لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤

الشاهنامة

نظمها بالفارسية ترجمها نثرا

أبو القاسم الفردوسي و الفتح بن علي البنداري

و

قارنها بالأصل الفارسي، وأكمل ترجمتها في مواضع، وصححها وعلّق عليها، وقدّم لها

الدكتور

عبد الوهاب عزام

المدرّس بالجامعة المصرية

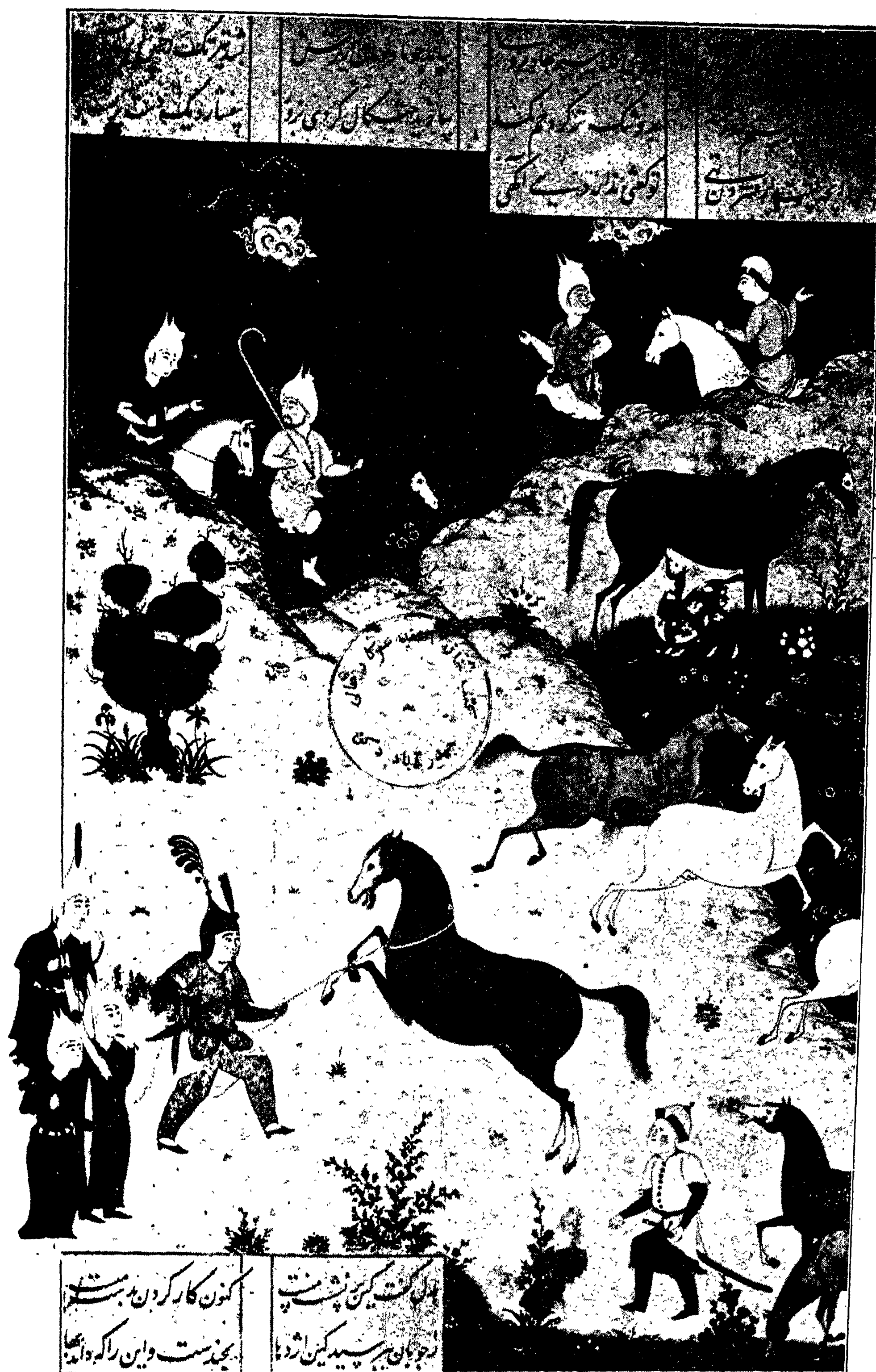
الجزء الأول

مع المقدمة والمدخل

[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م



رستم يمسك فرسه (الرخش) بالوهق

[منقولة من كتاب مارتين (Martin) ص ١٢٣ ج ٢ — عن نسخة كتبت للشاه طهماسب فى القرن العاشر الهجرى]

لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤

الشاهنامه

نظمها بالفارسية أبو القاسم الفردوسى
و
ترجمها نثرا الفتح بن على البندارى

و

قارنها بالأصل الفارسى، وأكمل ترجمتها فى مواضع، وصححها وعلّق عليها

الدكتور

عبد الوهاب عزام

المدرّس بالجامعة المصرية



[الطبعة الأولى]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٥٠ هـ — ١٩٣٢ م

بسم الله الرحمن الرحيم

عزيز

مقدمة

١

كنت أسمع عن الشاهنامه كما أسمع عن القصص الكبيرة الأخرى . وكنت أمنّى نفسى قراءة الكتاب، وأشتط فى التأميل أحيانا فأمنيها ترجمته حين يتاح لى علم اللغة الفارسية . وكنت أتمنى درس الفارسية فى حداثتى؛ أمنية نشأت فى نفسى بعد أن مضيت سنين فى درس التركية أو محاولة درسها . وأحسبنى شرعت ألتقط بعض الألفاظ التركية من الأفواه ومن الكتب وأنا فى سن الرابعة عشرة .

ثم عرفت بعد أعوام طوال ، ولا أدرى كيف ومتى ، أن الشاهنامه ترجمت الى العربية . وكنت أحسب ترجمتها من الآثار التى ندّ بها الزمان ، وطوتها ظلمات القرون . وكان هذا ظن من يعرف الشاهنامه ويعرف أنها ترجمت الى لغتنا من الأدباء حتى البستانى مترجم الالياذة . فهو يقول فى مقدّمة إلياذته :

" ثم إنه لا يخفى أن الشعر إذا ترجم نثرا ذهب رونقه، وبهت رواؤه. والظاهر أن هذا الحكم انطبق على تعريب الشاهنامه فأهملها الناس . وإلا فما ذهبت ضياعا، وبقيت أثرا بعد عين؛ نقرأ عنها فى كتب التاريخ وليس فى الأدباء من روى لنا منها حديثا مذكورا[(١)] " .

٢

وبينا أقرأ فى كتاب الأستاذ براون " تاريخ الآداب الفارسية " وكان هذا منذ ستة اعوام فيما أظن ، عرفت أن نسخة من الترجمة العربية فى مكتبة كمبردج فسرت فى نفسى هزة الفرح والظفر وقلت : " لقد كُفيتُ ترجمة الشاهنامه وإنها لعبء فادح " . وصح العزم حينئذ أن أحصّل الكتاب ثم أنشره .

---

(١) الالياذة ص ٦٧

سافرت الى لندره سـنة ١٩٢٧ م معتزما الذهاب الى كمبردج للاطلاع على الكتاب ، بعـد الفراغ من العمل الذى سافرت من أجله . فلما كان يوم ٧ ديسمبر، وهو آخر أيام العمل ، قابلت الأستاذ نكلسون فى مدرسة الدراسات الشرقية ،وكان جاء اليها يومئذ لامتحانى . وجمعتنا بعد الامتحان حفلة مدرسية فقلت للأستاذ الصـديق المأسوف عليه السير توماس أرنولد : إنى أريد أن أذهب الى كمبردج للاطلاع على كتاب الشاهنامه المعرّب . فكلّم الأستاذَ نكلسون فى هذا وسأله أن يسنّى لى الاطلاع على الكتاب فواعدنى الأستاذ أن أقابله فى داره بكمبردج .

ذهبت الى كمبردج يوم الاثنين تاسع ديسمبر وأممت الدار المعمورة حيث شرفت بلقاء الأستاذ . ثم واعدنى اللقاء صباح الغد للذهاب الى المكتبة . فلمـا جئته فى الموعد سرنا الى المكتبة العظيمة وتوغلنا فى أروقة كبيرة حافلة بالكتب حتى وقف الأستاذ على أحد عمال المكتبة فكلمه فجاء بالكتاب بعد قليل . فوضعه الأستاذ بين يدىّ وسلم وانصرف . فله الشكر مضاعفا مكررا .

تصفحت الكتاب فاذا آخره : " وهـذا ما انتهى الينا من أخبار رستم . والحمد لله على التمـام والكمال والله تعالى أعلم الخ" . فعرفت أن الكتاب ناقص، وأوجست خيفة أن يكون المترجم قد وقف عند هذا الحدّ . وقد ظن الأستاذ براون من هذه الخاتمة أن الكتاب لم يترجم كله (١) . وسيأتى وصف هذه النسخة

مررت بباريس فى طريقى الى مصر فقابلت العالم الفاضل محمد بن عبد الوهاب القزوينى فأخبرنى أنه رأى فى مكتبة برلين نسخة من الكتاب وأنه عسى أن تكون نسخة أخرى فى مكتبة باريس .

عدت الى القاهرة فسارعت فعرضت الأمر على " لجنة التأليف والترجمة والنشر " فاتفقنا على أخذ الأهبة لطبع الكتاب . وطلبت من مكتبة الجامعة المصرية تحصيل نسختى كمبردج و برلين . وسيأتى وصفهما .

و بينما أنتظر تصوير النسختين وإرسالها عثرت بدار الكتب المصرية على نسـخة من الكتاب منقولة بالتصوير عن نسخة فى مكتبة كوپريلى فى الآستانة . فتصفحتها فاذا الترجمة تستوعب الشاهنامه كلها فسررت كل السرور بما علمت أن الترجمة العربية كاملة . واستعرت الكتاب وقرأته فرأيت فيه من الغلط والتحريف والسقط ما أبينه حين أصف هذه النسخة بعد .

(١) انظر فهرس المخطوطات الاسلامية بمكتبة جامعة كمبردج ، لبراون .

ثم جاءت مصوّرات كمبردج و برلين فاذا نســخة برلين كاملة متقنة ذات فهرس ، لا تقاس بهـا نسخة كمبردج الناقصة ولا نسخة كو پريلى السقيمة . فاتخذتها أصلا وشرعت فى نسخها تمهيدا للطبع .

ولـما سافر الأستاذان الفاضلان أحمد أمين وعبـد الحميد العبادى الى الآستانة سنة ١٩٢٨ م . ونقبا فى مكاتبها عن نفائس الكتب العربيـة اطلعا على نسخة من الكتاب كاملة والجزء الثـالث من نسخة أخرى فى مكاتب "طوپ قپو سراى" — وهى مكاتب السلاطيـن التى لمّـا تفتح للطالعين حتى اليوم، ويرجى فتحها عما قليل بعـد الفراغ من ترتيب فهارسها وكتبها — فلما رجع الأستاذان وعرفانى بمـا عثرا عليه أرجأت طبع الكتاب حتى أحصل على هاتين النسختين .

سافرت الى الآسـتانة صيف ١٩٢٩ م وسعيت للاطلاع على النسختين وتصويرهما فتسنى لى ما أردت باذن العالم الفاضل خليل أدهم بك مدير متاحف " طوپ قپو سراى" فله الشكر الجزيل .

اجتمع لى إذًا ثلاث نسخ كاملات : نسخ برلين، وكو پريلى، وطوپ قپو سراى (السلطان أحمد)، ونسختان ناقصتان : نسخة كمبردج التى تحتوى نحو نصف الكتاب الأوّل، ونسخة طوپ قپو سراى (قصر روان) وفيها الثلث الأخير من الكتاب .

٣

وهذا وصف النسخ على ترتيب كمالهـا وجودتها :

(١) نسخة برلين . وهى التى اتخذت أصلا . ويرمز اليها هكذا : صل .

وهى حسنة الخط متقنة . وسقطها قليل إلا فى النصف الثانى حيث يكثر السقط الناشئ من تشابه النهايتين (١) .

ومن سننها فى الرسم أنها لا ترسم الألف بعد واو الجماعة إلا فى مواضع قليلة تشبه أن تكون سهوا من الناسخ . وأن الهمزة التى بعـد مدّ لا ترسم إلا نادرا مثل سمآ وصحرآ . والهمزة المكسورة ترسم ياء منقوطة، والهمزة التى يليها مدّ تكتب ألفين مثل شآ ايب ومآ ارب . ويظهر أنها ترسم الهمزة بحسب حركتها فى مثل هيأة وجاؤوا وملجاؤنا ، وملجاء . ولا تطرد فيها قاعدة لرسم الهمزة اضطرادا تاما .

كتبت هـذه النسخة سنة ٦٧٥ ه عن نسخة المؤلف — كما يرى القارئ فى نهاية الكتاب — فى ٤٥٣ صفحة مرقمة بعدد الأوراق لا الصفحات . فآخر رقم فيها ٢٢٧ . وتسطيرها ٢٧ . وقد كتب

(١) أى تشابه نهايتى جملتين . وذلك يؤدى أحيانا الى ترك الناسخ نهاية الأولى الى نهاية الثانية .

فى الحاشية العليا من الصفحة العاشرة : " الثـانى من معرب شاه ناماه " وعلى الصفحة العشرين : " الثالث من معرب شاه ناماه " وهكذا كل عشر صفحات. وعلى حواشي بعض الصفحات : "بلغت المقابلة بالأصل المكتوب بخط المترجم " . وفى حاشية الصفحة الأخيرة : " بلغت المقابلة بالأصل المكتوب بخط معرّبه" .

وفى صفحة العنوان بخط يشبه خط الكتّاب :

كتاب شاه ناما للفردوسى نقله — فتح الأصفهانى من لسان الفارسى الى العربى — رحمهم الله جميعا وغفر لكاتب هذه — الأحرف ونوله مراده — وهو الحسين بن ابراهيم الخالدى سنة — ٧٧١ — هجرية[١] .

ويظهر أن التاريخ كتب ٨٧١ ثم أصلح فصار ٧٧١

والذى يقرأ هذه الديباجة ويقرأ الخاتمة يرى اختلاف الكاتبين والتاريخين ؛ فالكاتب فى الأولى الحسين بن ابراهيم الخالدى، والتاريخ ٧٧١ ، والكاتب فى الثانية يوسف بن سعيد الهروى والتاريخ سنة ٦٧٥ . وهنا إحتمالان : أن يكون الحسين بن ابراهيم كتب النسخة التى بأيدينا، ويوسف ابن سعيد كتب نسخة نقلت عنها هذه النسخة، ويكون الحسين نسخ اسم الكاتب الأول والتاريخ كما وجدهما .

والثـانى أن يكون الحسين بن ابراهيم إنمـا كتب كلمات فى صفحة العنوان ومن أجل هذا سمى نفسه "كاتب هذه الأحرف" . وأرجّح أن السطرين الأولين من العنوان كتبهما يوسف بن سعيد ؛ وأن "رحمهم الله جميعا الخ" زادها هـذا الحسين بن ابراهيم بخط قريب من الأول . ولذلك نجـد سياق العنوان مضطربا ؛ فبعـد ذكر الفردوسى والأصـفهانى فى السطرين الأولين نجد صيغة الجمع "رحمهم الله" . ويؤيد هذا أن النساخ لم يتعوّدوا أن يكتبوا أسماءهم فى صفحة العنوان بل فى آخر الكتاب . فيوسف بن سعيد اذًا هو كاتب هذه النسخة سنة ٦٧٥ ه .

ويظهر أن هـذه النسخة هى التى رآها كاتب چلبي حينما كتب "كشف الظنون " فقـد ذكر فى كتابه أن تعريب الشاهنامه انتهى سنة ٦٧٥ . وهـذا غلط كما يعرف من تاريخ المترجم والسلطان الذى ترجم له الكتاب . وانما هـذا تاريخ نسختنا . فكأن صاحب كشف الظنون ظن أن تاريخ النسخة التى بيدنا هو تاريخ تعريب الكتاب . ويؤيد هذا أن النسخة، كما يفهم من أسماء مالكيها،

(١) الخطوط القصيرة التى يراها القارىء تدل على نهاية السطور فى الأصل .

كانت فى استانبول فى حياة كاتب چلبى المتوفى سنة ١٠٦٨ هـ . وسيأتى بيان هذا . وقد لفت نظرى الى هذا الفاضل العلامة محمد بن عبد الوهاب القزوينى فى رسالة من باريس عام ١٩٢٨ م :

وفى يمين صفحة العنوان بجانب السطر الثانى من العنوان هذه الجملة : " الله حسبى . من كتب أبى بكر بن رستم بن أحمد الشروانى ". وبعده ، فى ثمانية سطور قصيرة مائلة مشطوبة ، هذه الكلمات : ملكه من فضل الله العبد الفقير المعترف — بالذنوب والتقصير أقل عباد — الله ، وأحوجهم الى رحمة الله الحاج أحمد — بن الحاج محمد بن الحاج أحمد بن الحاج — على بن الحاج حسن الشهير بابن الزينبيه (؟) — الشراباتى بحلب المحروسة بسوق الصابون — . غفر الله لمن نظر فيه وقرأ له — الفاتحة .

وأسفل من هذا الى اليسار بخط جميل فى خمسة سطور : "هو — استصحبه العبد الآثم — چلبى زاده اسماعيل عاصم — جعل الله سبحانه التقى زاده — ووفر سره وزاده — خلال سنة ١١٣٨ ".

وتحت هذا فى أربعة سطور : " ثم استصحبه العبد الكثيب السيد محمد منيب — جعل الله تعالى التقوى زاده — وعامله بالحسنى وزيادة — آمين " .

ويهمنا هنا اسمان : أبو بكر بن رستم بن أحمد الشروانى . وچلبى زاده اسماعيل عاصم .

اسماعيل عاصم هو شيخ الاسلام المؤرخ الشاعر المتوفى سنة ١١٧٣هـ . وأبو بكر بن رستم مشهور باقتناء الكتب النفيسة النادرة . توفى فى استانبول سنة ١١٣٩ ودفن فى حظيرة جامع السليمانية . ويظهر لى أنه ملك الكتاب قبل اسماعيل عاصم ثم ملكه اسماعيل عاصم سنة ١١٣٨ كما ذكر . وأما السيد محمد منيب فأظنه مترجم السير الكبير المتوفى فى آيدين سنة ١٢٣٨ ، والشراباتى اسم أسرة معروفة فى حلب .

ثم الصفحة الأخيرة من الكتاب مكتوبة الى نحو نصفها فقط . وفى ظهرها أبيات عربية وفارسية كتبها أحد القرّاء . ثم ورقة مكتوب فى صفحتيها فهرس للكتاب ، وفى أعلى الصفحة الأولى منها الى اليمين اسم أبى بكر بن رستم ، كما فى صفحة العنوان ، والى اليسار اسمان كتبا قبل كتابة الفهرس : "صاحبه العبد الفقير — مصطفى عفى الله عنه — بعونه ". وتحت هذا هذه الجملة فى خمسة أسطر : ثم دخل فى سلك ملك الفقير — الى الغنى القدير عطاء الله الشهير — بنوعى زاده القاضى — سابقا غفر لهما — فى سنة ١٠٣٣ — وثمنه ١٥٠٠ ".

وبعد ذلك صفحة فيها أبيات من الشاهنامه فى ثلاثة أسطر .

ونوعى زاده هو أحد علماء القرن الحادى عشر الهجرى ومؤلف ذيل الشقائق النعمانية .

ويظهر مما تقدّم أن نوعى زاده أقدم الملاك الذين كتبوا أسماءهم على الكتاب بعد مصطفى الذى لا نعرفه . وهذه الأسماء لا ترجع بالنسخة الى ما قبل القرن الحادى عشر .

(٢) نسخة كمبردج[1] . وهى التى يرمز اليها بالحرف ك .

وهى نسخة ناقصة فيها من أوّل الكتاب الى مقتل رستم ، مكتوبة فى ٢٩٧ صفحة . كل صفحة ٢٥ سطرا . وخطها واضح ولكنه ليس جميلا . ويرى نلدكه وريو أنها كتبت فى القرن الثامن الهجرى[2] . ومن سننها فى الرسم أنها ، كنسخة برلين ، لا ترسم الهمزة بعد الألف الممدودة فى مثل السمآ وتضع علامة على الراء والسين ، وهى مضطربة فى رسم الهمزة .

وعنوانها مكتوب فى حلية جميلة ، فى أعلاها مستطيل فيه : "كتاب امتثال أمر الملك المعظم فى أخبار ملوك العجم" . ولكن المستطيل لم يتسع لكلمة "العجم" فكتبت وحدها فى دائرة منقوشة الى اليسار .

وفى أسفل الحلية دائرة فيها الأسطر الآتية :

وهو تعريب كتاب شاه نامه — مما ارتجزه باللسان الفارسى الأمير الكبير الأديب — الحكيم المطلع البليغ المفتنّ أبو منصور بن الحسن الفردوسى — رحمه الله وعفا عنه بكرمه — للسلطان الأعظم السعيد الشهيد محمود بن سبكتكين — رحمه الله تعالى وأثابه الجنة بمنه — واعتنى بسجع تعريبه الشيخ الإمام الجليل البليغ الفاضل — الفتح بن على بن محمد بن الفتح البندارى الأصبهانى — رحمه الله تعالى وتجاوز عنه بفضله .

وآخر النسخة : "وهذا ما انتهى الينا من حديث رستم ، على التمام والكمال . والله تعالى أعلم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم . والحمد لله رب العالمين" .

وفى حواشى صفحة العنوان أسماء سبعة مالكين . يظهر أن أقدمها اسمان ، على يسار الديباجة : "دخل فى نوبة العبد الفقير محمد الخفاجى المصرى عفى عنه سنة ١٠٢٩" . ومحمد الخفاجى هذا أظنه أبا شهاب الدين الخفاجى المصرى الشاعر العالم المعروف المتوفى سنة ١٠٦٩ ، وفوق الديباجة فى سبعة أسطر قصيرة "مما ساقه سائق التقدير الى نوبة — عبد الرحمن الفقير الى رحمة ربه الخطير — الشهير

---

(١) (Cambridge, Ms. QQ. 46) (٢) الحماسة الايرانية ص ٧٧ ، وفهرس المخطوطات الاسلامية لبراون .

بقاضي زاده بلغ فى — الدارين مراده — فى سنة خمسين بعــد الألف — من الهجرة بقسطنطينية العظمى — بثمن قدره ٩٥٠ عثمانى " .

ويقابل صفحة العنوان صفحة بيضاء، قبلها صفحة كتب فى أعلاها فى الوسط : " من كتب العبد الفقير اليه سبحانه — محمد أمين بن صنعى عفى عنهما" . وفى زاويتها العليا اليسرى فى سطرين : "ترجمه شاه نامه فردوسى بزبان عربى" وتحت هذه الجملة خمسة أسطر مائلة الى اليمين فيها : "تاريخ صلاح الدين يوسف بن — أيوب ونور الدين الشهيد يعرف — بكتاب زهر الروضتين فى أخبار — الدولتين لمولانا أبو شامه وهى — فى الخزانة المحمودية يطلب إنشاء الله" وتحت الأسطر ختم

ويقابل هذه الصفحة صفحة بيضاء . وقبل الصفحة البيضاء صفحة كتب فى زاويتها اليسرى العليا : " ممــا من الله به على العبد الفقير — مصطفى بن محمد — ابن ؟

وفى أعلى الصفحة المقابلة لهــا الى اليمين : قيمت باره غروش ١ ١٠

(٣) نسخة طوپ قپوسراى (كتب السلطان أحمد — تاريخ ٢٠٧ — ٢٩٩٦) . وهى المرموز اليها بالحرف طا . وهى فى ٣٧٤ ورقة . وتسطيرها ٢٥، حسنة الخط مشكولة شكلا كاملا لا يخلو من الغلط والاضطراب . ومن خصائصها رسم الألف بعــد واو الفعل فى مثل يدعو ، ويرجو ، ونقط الياء المتطرّفة فى مثل الذى ووضع نقطة تحت الدال وثلاث تحت السين .

وفى صفحة الديباجة ثلاثة نقوش جميلة متوالية من أعلى الصحيفة الى أسفلها : مستطيل فدائرة فمستطيل . وعلى يسار المستطيل الأعلى حلية تشبه الخاتم . وبين نقوش المستطيل الأوّل فى سطرين : " امتثال أمر الملك المعظم — فى ترجمة أخبار ملوك العجم " . وفى الدائرة : " صنعه المملوك الأصغر الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى" .

وفى المستطيل الأسفل أربعــة أسطر : " برسم خزانة الصاحب المخدوم — المعظم نجم الحق والملة والدين — افتخار الملوك والسلاطين — أعز الله أنصاره بمحمد وآله " .

والكتابة فى المستطيل الأخير تلوح كأنها نقش فلا تقرأ إلا بتأمل . وتحت الزاوية اليسرى السفلى من المستطيل الأعلى إمضاء يشبه الطغراء تبينت فيه : "أحمد مصطفى" أو "أحمد مصطفى خان" .

وتحت المستطيل الأسفل ختم . وفى أعلى الصفحة بخط أحد المطالعين أو الملاك : " كتاب تواريخ ملوك العجم بالعربية" .

وفى الزاوية اليسرى العليا : "نظر فى هذا الكتاب محمود بن محمد الاقصرائى الحنفى عامله الله تعالى بلطفه الخفى .

وفى أســفل الصفحة بيــان المكتبة فى ثلاثة أسطر : "تاريخ — ٢٠٧ — ٢٩٩٦" ثم : "عدد الأوراق ٣٧٤" .

وفى الصفحة الأولى من الكتاب، فى الزاوية العليا اليمنى خاتم فيــه "الحمد لله الذى هــدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله". ثم طغراء فيه : "وقف السلطان أحمد بن محمد خان الثالث . وفى الصفحة التى قبل صفحة العنوان الكلمات التى فى العنوان نفسه بقلم رصاص . وتحتها : هو ترجمة الشاهنامه للفردوسى الى العربية بأمر السلطان أبى الفتح عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب . ثم إمضاء " أحمد زكى " . وأظنه صاحب السعادة أحمد زكى باشا .

وفى آخر الكتاب :

وهــذا آخر الكتاب . قال معرّب الكتاب رضى الله عنه فى نسخته المنقول منهــا هذه النسخة المباركة : وقع الفراغ من تعريبــه وتحريره فى عاشر شوّال ســنة إحدى وعشرين وستمائة . وكان الافتتاح به فى أوائل جمــادى الأولى من سنة عشرين وستمائة بدمشق المحروسة . والحمــد لله تعــالى .

نجزت فى سابع المحرم ســنة اثنتين وتسعين وستمائة الهلالية على يد العبد الفقير الى رحمة الله تعالى على بن أحمد الموصلى معيد المدرسة النظامية المعروف بابن الشهرستانى تغمدهم الله جميعا برحمته وغفرانه وتعمدهم بلطفه واحسانه .

والحمد لله رب العالمين وصلواته — على ســيدنا محمد النبى الأمى وآله وصحبه — وسلامه وتحياته وإكرامه " .

وتحت هذا مستطيل فيه :

"بلغت المقابلة بنسخة المعرّب المنقول منها رحمه الله تعالى — ووافق الفراغ منها آخر نهار الثلثاء سابع عشر صفر ختم — بالخير من السنة المؤرّخة ولله الحمد على نعمه وإحسانه" .

ويرى القارئ عناية الناسخ بنقل خاتمة المعرّب، وبتأريخ النسخة، وتأريخ مقابلتها بنسخة المعرّب عناية لا تدع مجالا للشك والبحث .

ويتبين مما تقدّم أن هذه النسخة أخذت عن نسخة المترجم بعد إحدى وسبعين سنة من تعريب الكتاب، وأنها كتبت بعد النسخة الأولى نسخة برلين بسبع عشرة سنة . فليس يبعد اذًا أن كلا الناسخين قد نقل من نسخة المعرّب كما يدعيان .

ويتبين كذلك أن هـذه النسخة لم تكتب لخزانة الملك المعظم ، وأن الناسخ نقل العنوان الذى وجده على نسخة المعرّب فكتب "صنعه المملوك الأصغر الخ" .

(٤) نسخة طوب قپو سراى (قصر روان ١٦٠٨) . وهى المرموز اليها بالحرف طر . مكتوبة بخط جميـل مشكول . ولكنها كثيرة السـقط . والذى فى يدنا منها هو الجزء الثالث فقط . وهى فى ٣٧٦ صفحة . وتسطيرها ١٥، ورسمها كرسم طا، وكأنها مأخوذة عنها .

وصفحة الديباجة تشبه ديباجة كمبردج شبها قريبا ؛ كتب فى مستطيل أعلى الديباجة : "الجزء الثالث من امتثال أمر الملك المعظم فى أخبار ملوك العجم" سـطرا واحدا . وفى دائرة كبيرة فى بقية الديباجة صيغة العنوان الذى على نسخة كمبردج مع تغيير قليل، فى تسعة أسطر : "وهو تعريب — كتاب شاه نامه . مما ارتجزه باللسان الفارسى — الأمير الكبير الأديب الحكيم المطلع البليغ المتقن — المفنن، أبو القاسم منصور بن الحسن الفردوسى رحمه الله تعالى — وعفا عنه بمنه وكرمه . للسلطان الأعظم السعيد الشهيد — محمود بن سبكتكين رحمه الله تعالى . واعتنى بسجع — تعريبه الشيخ الامام الجليل البليغ المتقن الفاضل على — ابن الفتح البندارى الأصفهانى رحمه الله تعالى — وتجاوز عنه بفضله" .

وفوق الديباجة سطر مشطوب فيه : " المجلد أخير من كتاب ترجمة كتاب الفردوسى بالعربية فى التواريخ" ! ! . وتحته : "نسخ ١٥" .

والى يسار الزاوية العليا اليسرى من الديباجة الخاتم السلطانى الذى تقدّم وصفه فى الكلام عن النسخة الثالثة (طا) . وتحت الخاتم سطران : "جلد ثالث من ترجمة شاه نامه — فردوسى بالعربية بخط نسخ" . وتحته : "سطر ١٥" . وتحت ذلك : "ورق ١٨٨" و "صحيفة ٣٧٦" .

وفى آخر الكتاب : "وهذا آخر الكتاب . قال معرّب الكتاب رحمه الله فى نسخته المنقول منها نسخة هـذه النسخة المباركة : وقع الفراغ الخ العبارة التى فى آخر نسـخة طا" . ثم تاريخ النسخة فى أربعة أسطر : "وافق الفراغ منه فى يوم الخميس ثانى عشرى شهر الله المحرّم سنة اثنين وسبعين وسـبعمائة بدمشق المحروسة . الحمد لله رب العالمين . وصلى على سـيدنا محمد وآله وصحبه وسـلم . وحسبنا الله ونعم الوكيل" .

وبعد الصفحة الأخيرة أربع صفحات فيها أبيات تركية على غير نظام .

فهذه النسخة مكتوبة بعد النسخة الثالثة (طا) بثمانين سنة .

ورسم هذه النسخة يشبه رسم (طا). وهى توافقها حين تختلف النسخ بل توافقها فى الغلط والسقط. فاذا نظرنا الى هذا والى الخاتمة التى نقلت فيها خاتمة المعرّب فى النسختين ، ونظرنا الى أن كاتب طا يقول أن نسخته نقلت من نسخة المعرّب ، وكاتب هذه النسخة يقول أنها نقلت من نسخة منقولة عن نسخة المعرّب ، ونظرنا الى أن النسختين كلتيهما مكتوبتان فى دمشق رجحنا أن تكون هذه النسخة (طر) منقولة من طا . ولكن ديباجتها لا تشبه ديباجة طا التى نقلت فيها ديباجة المعرّب نفسه ، بل تشبه ديباجة لـ كما تقدّم . و (لـ) ليست كاملة فليس عندنا تاريخها ولا خاتمتها. والجزء الذى فى يدنا من لـ لا يشارك الجزء الذى عندنا من هـذه النسخة فلا نستطيع أن نبين الصلة التى بينهما إلا هذا التشابه بين الديباجتين والعنوانين .

(٥) النسخة الخامسة نسخة كوپريلى (مكتبة كوپريلى باستانبول رقم ١٠٦٤) وهى المرموز اليها بالحرف كو .

اجتمع فيها رداءة الخط والسقط الكثير الذى يتناول أحيانا أسطرا كثيرة ، والتحريف الشنيع ثم التصرف فى عبارة المترجم للسجع أو التفصيل أو اختيار كلمة مكان أخرى ، أو التمثل بأبيات .

فمن أمثلة الزيادة ما جاء فى فصل قباذ الأول ، فالنسخ تتفق على هذه العبارة : "إن خلصتنى من هذا الحبس اتخذتك صاحبا ووزيرا" وهذه النسخة تزيد : "وكنت لك ما عشت ناصرا وظهيرا"[1] . وفى فصل مزدك : "الذى يمنع الناس عن سلوك طريق السداد" تزيد بعدها : "فيردّهم عن الاستقامة على منهج الرشاد"[2] وأمثال هذا كثير جدا . ويقول المترجم فى بعض المواضع : "قلت" فتضع مكانها : "قال الفتح بن على بن محمد البندارى مترجم الكتاب"[3] .

وأما التحريف فكان يخيـل إلى وأنا أطالعها أن كاتبا كليل البصر سريع النسيان يجهل اللغـة العربية كُلّف نسخ الكتاب . فهو لا يرى الكلمات على حقيقتها ، ولا يقرأ مايراه على حقيقته . ثم ينسى ما قرأه حين يكتب . وهذه أمثلة من التحريف الشائع فى كل صفحة من الكتاب :

(١) ص ٢٩٠ كو ج ٢ . (٢) ص ٢٩٣ كو ج ٢ و ١١٩ ج ٢ من هذا الكتاب . (٣) ص ٢٩٠ ج ٢ كو .
(٤) انظر ٢٤٩ و ٢٣٨ و ٢٨٤ ج ١ كو ، الخ .

" وكان ذا عناية بمن يكون " تحرّف الى " وكان داعيا به نحن يكون" . " ووراء سترى أربع صغار" تحرف الى "وقد اشترى أربع صغار" . "واحتفال أهلها" تحرف الى "واستئصال أهلها". " وأن نعطيه ترمذ وواشجرد " تحرف الى " يعطيه ما يريد وأشجر " . وبيت المترجم :

جحافل قد سدّوا السكاك بعثير   تلبد حتى باض فيـــه قشاعمه

يحرّف الى :

جحافل قـد شدوا الشكال بعنتر   ىلىد حـتى فاض فيـه قشاعمه

وكان من سوء الحظ أنى حصلت على هذه النسخة قبل غيرها فقرأت معظمها متلمسا معانيها من وراء أغلاطها .

وفى صفحة الديباجة أعلاها سطر واحـد : " كتاب تاريخ مولانا شاهنامه" !!! وفى أسفلها سطر آخر : "للعلامة الفردوسى كان بالعجمى" . وفى الوسط : "عربه علامة الزمان وترجمان الأوان شرف الدين الفتح بن على بن محمد بن الفتح البندارى الأصفهانى رحمهما الله تعالى" .

والى يسار الديباجة من أعلاها خاتم فيه : " هـذا ما وقف الوزير أبو العباس أحمد بن الوزير أبى عبد الله محمد . عرف بكوپريلى أقال الله عثارهما" . وتحت هذا رقم ١٠٦٤

وفى الصفحة الأخيرة :

وهـذا آخر الكتاب . والحمد لله حق حمده . وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين آمين آمين آمين .

وكتبه العبد الفقير الحقير الراجى عفو ربه القدير نجم الدين الأزهرى الشافعى مذهبا والشعراوى عقيدة غفر الله تعالى له ولوالديه ولمن دعا له بالرحمة آمين آمين آمين . سنة ٩٦٧

ثم صفحة بها أسطر قصيرة فيها هذه الجمل المضطربة المتناقضة :

"يقول محرّر هذه الأحرف الضعيفة وسطر هـذه الكلمات الظريفة محمد بن أحمد بن محمـد الشهير بسكيكو بين البرية بالخطيب :

يوم تاريخه بالعادلية بمحروسة حلب المحمية طالعت هـذا الكتاب معتبرا بقصصه مسليا النفس بما رأيت من أخبار ما لقى الأكابر فى الدهر من جوره وغصصه .

وأنا يومئذ بمحروسة القسطنطينية أتجرع الغصص لأمور دنية دنياوية . وكان إتمامى لجنى ثماره بعــد اقتطاف أزهاره عشية السبت رابع رمضان من شهور ســنة اثنين وثمانين وتسعمائة أحسن الله ختامها . وكنت قــد طالعته مرة أخرى قبلها . وهو عارية عندى لشمس الفضائل وبدر الأماثل محمــد چلبي الشهير نسبه الكريم بابن پير محمــد افندى القــاضى يوم تاريخه بمحروسة شيزر من أعمال حلب . فان قضى الله بالموت وآذن بالفوت قبل إيصاله اليه فجزى الله خيرا من ردّه عليه . قال ذلك بفمه ورقمه بقلمه العبد المذكور أعلاه بلغه الله مناه، وهو يومئــذ بخان پرتو باشا الواقع بوفا ميدان من محروسة إسلام بول .

٤ رمضان سنة ٩٩٤"

وبعد هذا : "طالع ما فيه الخطيب محمد سنة ٩٩٠"

وقد فهمت من هــذه الجمل المضطربة أن الرجل كتب هذه الكلمات باستانبول ووضع تحتها تاريخ ختمه الكتاب فى حلب، وعنى هذا التاريخ بقوله : يوم تاريخه الخ .

مقارنة النسخ الخمس إجمالا :

تبين ممـا تقدّم صفات كل نسـخة وعلاقة بعض النسخ ببعض . والخلاصــة أن نسخة برلين تخالف النسخ الأخرى فى أكثر مواضع الخلاف . وما عدا برلين تتشابه رواياتها، وأحسب النسخ الثلاث — نسخة كمبردج ونسختا طوپ قپو سراى مأخوذة بعضها من بعض أو مأخوذة من أصل واحد .

ثم النسخ كلها ماعدا كوپريلى المحرّفة المضطربة متقاربة جدا، حافظ نساخها على الأصل على قدر طاقتهــم، ولكنهم لم يسلموا من الغلط والسهو . والنسخ يصحح بعضها بعضا ويكمل بعضها بعضا وأكثر خلافاتها فى ألفاظ لا يختلف المعنى باختلافها .

٤

جعلت نسخة برلين أصلا للكتاب إذ رأيتها أقدم النسخ وأمجدها تاريخا، ولمـا يبدو من الاتقان فى كتابتها ومقابلتها بالأصل .

وأثبتّ اختلاف النسخ الأخرى فى الحاشية إلا أن تكون رواية أصح من رواية النسخة التى جعلتها أصلا، فأدخلها فى سياق الكتاب وأبين هذا فى الحاشية ذاكرا النسخة التى صححت منها دون النسخة التى توافق الأصل .

٥

وكنت أريد أن أقابل الترجمة كلها بأصلها الفارسى ولكن وجدت هذا متعذرا أو مستحيلا . فاكتفيت بمراجعة الأصل حين يضطرب سياق الترجمة ، أو يغمض الكلام ، وحين أجد معنى لا يشبه أن يكون من معانى الشاهنامه ، وحين أعرف أن المترجم قد اختصر أو حذف . وقد اهتديت فى هذا بعناوين الشاهنامه التى أثبتها كلها فى الحواشى ، وبالفهارس المفصلة فى ترجمتى ورنر ، ومول ، وبما أعرف عن الكتاب من قبل .

وقد أكملت الترجمة فى مواضع كثيرة فأثبتّ فصولا أو نبذا حذفها المترجم كلما رأيت فائدة فى إثباتها . وأثبتّ ما ترجمتُه فى الحاشية إلا أن يكون فصلا كاملا فأثبته فى متن الكتاب بين قوسين كبيرين مبينا هذا فى الحاشية أيضا . وقد نظمت مما ترجمت فصولا أردت أن تكون نموذجا من شعر الشاهنامه (1) .

٦

ورأيت الكتاب فى حاجة الى التعليق لشرح غامضه أو لمقارنته بالأصل الفارسى ، أو لرد بعض أساطيره إلى أصلها ، أو تبيين ما بين تاريخه والتواريخ الأخرى من اتفاق واختلاف . وقد استلزم هذا مراجعة كتاب زردشت (الأبستاق) وكثير من المصادر العربية والفارسية والأوربية .

٧

وأردت أن يطبع التعليق بحرف صغير ولكن صعوبة شكل الكلمات بهذا الحرف ، وإرادة التيسير للقارئ أوجبتا طبعه بحرف كبير .

وجعلت التعليق الطويل فى الحاشية الأولى معلما بهذه العلامة § والتعليقات القصيرة ، وهى شرح كلمة أو جملة أو بيان لخلاف صغير بين الترجمة والأصل ، كتبت مع اختلاف النسخ فى الحاشية السفلى بحرف صغير .

وأردت أن يميز القارئ بين علامات التعليقات الصغيرة وعلامات اختلاف النسخ فجعلت علامات التعليق حروفا وجعلت علامات اختلاف النسخ أرقاما . فان كثيرا من القرّاء لا يبالى باختلاف النسخ على حين يعنى بقراءة التعليقات فلو كانت العلامات نمطا واحدا لوجب على القارئ أن ينظر كل

(١) انظر ص ١٤٧ ج ١ الآتية ، وص ٢٩ ج ٢ الخ .

علامة فى الحاشية ليرى أهى للتعليق أم لبيان الاختلاف . على أن هذا لايكون إلا فى متن الكتاب.
وأما الحواشى فلها علامات متجانسة، وهى الأرقام فقط لأنه ليس فيها اختلاف نسخ .

٨

كتابة الأعلام الفارسية وشكلها :

حيثما ير القارئ فى الكلمات الأجنبية هــذه الكاف ڪ فلفظها كالجيم فى لغـة أهل القاهرة أى مثل الكاف الفارسية والتركية فى مثل ڪُل (الورد) وكحرف G فى مثل (Garde) فى الفرنسية والانكليزية .

ووضعت لشكل الأعلام الأجنبية قواعد يسيرة نافعة أود أن يشيع الاصطلاح عليها وهى :

(١) الحرف الذى يليه حرف مدّ لا يحتاج إلى شكل .

(٢) والحرف فى أوّل الكلمة إذا لم يشكل فهو مفتوح لأن الفتح أكثر الحركات وأخفها .

(٣) والحرف الذى ليس أوّل إذا كان ساكنا لا يشكل .

(٤) والرابعة، وهى قاعدة لم أعتمد عليها كثيرا تخفيفا على القارئ، أن الحرف الذى يقع بعد حرف ساكن، لا يشكل إذا كان مفتوحا . ومعنى هذا أن الحرف فى أوّل المقطع كالحرف فى أوّل الكلمة، فان لم يشكل فهو مفتوح .

(٥) الهمزة تكتب تحت الألف إن كانت مكسورة، وفوقها إن كانت مفتوحة .

بهذه القواعد اليسيرة الطبيعية يستغنى عن ضبط معظم الحروف . كما يتبين من هذه الأمثلة :

أفـريدون : لا يحتاج إلى شكل مّا، ولا تقرأ بهذه القواعد إلا أَفْرِيدُون ؛ الألف مفتوحة لأنها أوّل الحروف، والراء والدال بعدهما مدّ، والفاء غير مشكولة فى الوسط فهى ساكنة .

سِياوخش : تشكل فيها السين فقط : الياء بعدها مدّ، والواو مفتوحة لأنها فى الوسط بعد ساكن أى لأنها أوّل مقطع، والخاء ساكنة لأنها فى الوسط وليست بعد ساكن .

أفراسِياب : تشكل فيه السين فقط؛ الهمزة مفتوحة لأنها أوّل الحروف ولأنها فوق الألف . والفاء ساكنة لأنها وسط وليست بعد ساكن، والراء والياء بعدهما مدّ .

روذابــه : لا تحتاج إلى شكل ولا تقرأ إلا رُوذَابه .

جمشــيد : « « إلا جَمْشيد .

أنوشِروان : تشكل فيه الشين فقط .

بهـــرام : لا يحتاج إلى شكل و يقرأ بَهْـرَام .

جـــودرز : « « جُودَرْز .

كِشـــواذ : تشكل فيه الكاف فقط و يقرأ كِشْوَاذ . وهلم جرا .

وإذا طبقت هذه القواعد فى اللغة العربيـــة استغنينا عن شكلٍ كثير جدا . مثلا فى قوله تعالى : ﴿ربِّ اشرح لى صدرى، و يسِّر لى أمرى، واحلُل عُقدة مِن لِسانى يفقهوا قولى﴾ لا نحتاج إلا الى الشكلات التى يراها القارئ . وإذا راعينا اللغة والنحو استغنينا عن أ كثرها كذلك .

ثم إذا تكررت الكلمة فى الصفحة تضبط مرة واحدة .

٩

و رمـــوز الحـاشـــية كما يأتى :

صل = الأصل أى نسخة برلين التى اتخذت أصلا .

طا = نسخة طوب قپو سراى ــ السلطان أحمد .

طر = « « « « قصر روان .

ك = « كمـــبردج .

كو = نسخة كو پريلى (١) .

ز = زيادة بعض النسخ كلمة أو جملة .

لا = نقص « « « « .

حا = حاشية الكتّاب .

= توضع بعد رقم من أرقام المراجع للدلالة على أن المرجع هو ما تقدّم فى الرقم السابق .

ثم كلمات "المتن والحاشية، والسابقة، والآتية" تدل على أن المرجع هو هذا الكتاب نفسه .

وأما فهرس المراجع فينظر فى آخر الكتاب .



ولا يسعنى أن أختم هذه المقدمة دون أن أوجه الثناء والشكر الى حضرة محمد مصطفى نديم افندى ملاحظ مطبعة دار الكتب المصرية، والى مساعديه . فقد شققت عليهم، وسلكت بهم فى ترتيب الكتاب مسلكا غير مألوف فلم يدخروا جهدا فى العناية والاتقان . وانى لراج أن تبلغ الطباعة العربية بهم و بأمثالهم الغاية المرجوة .

(١) انظر ص ٥ و ٨ و ٩ و ١١ و ١٢ السابقة .

فهــرس مدخل الكتاب

تنبيـــه — أعداد صحف المدخل موضوعة فى الذيل .

مدخل

الفصل الأوّل – الملاحـــم

١ – نشــوء المــلاحــم :

لكل أمة ذات أدب نصيب من القِصص منظومة ومنثورة . وإنما تختلف الأمم فى الاكثار والاقلال، والإجادة والتقصير . وليس يواتى الشعر القصصى أمة إلا بعد تجاريب ووقائع تهيج حميتها، وتثير فيها الاعجاب بمآثرها، والفخر بأحسابها فتتغنى بمناقبها وأفاعيل أبطالها ، وتنسج حول الحادثات كثيرا من الخرافات يجد فيها كبرياء الأمة وخيالها مجالا أرحب من مجال الحقيقة المحدود . فتنشأ قصص شتى منثورة ومنظومة . وقد يتاح لهذه الحادثات الشتيتة، والأساطير المتفرقة شاعر يؤلف أشتاتها، ويسلكها كلها فى نظام واحد فيجد الناس شعره ترجمان مشاعرهم ، وجماع أقاصيصهم الموروثة قد أعطيت من النظام والجمال مالم يعهدوه من قبل . فيكلفون بهذه القصص ويتخذونها سمرهم وأغانيهم فى محافل لهوهم ونخرهم . فتخلد على الزمان حديث الخاصة والدهماء، وذخر الآباء للأبناء.

وللأستاذ مول مترجم الشاهنامه إلى الفرنسية كلام فى نشوء الملاحم أعرض على القارئ خلاصته :

إن البحث فى أصل الملاحم من أشوق المباحث الأدبية وأصعبها . كل الأمم لها قصص ؛ فإن أمة لا تنشأ وتشبّ دون أن تجتاز مراحل من المخاوف تجلى فيها أعمال الأبطال ، ودون أن تنشئ رجالا يثيرون إعجابها وخيالها ؛ وُجدت هذه الملاحم فى جزائر بحر الجنوب حكاياتٍ مسجوعة تسجل الوقائع وزمانها ، وعرفت عند الايقوسيين والاغريق الحديثين فى صورة أغانىّ تاريخية أنشئت ذكرى لمآثر متفرّقة من مآثر الأبطال . وعند الجركس تراجم منظومة لبعض العظماء أنشدت رثاء لهم ثم حفظت فى أُسَرهم وقبائلهم ، وإذا جمعت فهى تاريخ الأمة كلها . وعند الأسبانيين والصرب تتقارب هذه الأغانى حتى لا يعوزها إلا أواصر قليلة لتصير ملاحم .

وكذلك نشأ تاريخ الأمم كلها : فالناس يقصون ويتغنون قبل أن يكتبوا . وعلى هذه القصص اعتمد المؤرّخون الأوّلون . ونحن نرى طابع الملاحم فى أخبار هِرُدوت المأثورة عن العصور الأولى. لا يلجأ المؤرّخ إلى هذه القصص إلا حين يملق وتعوزه الأنباء . ولكن القاصّ يجد فيها كل ما يريد فيؤلفها أثارة أدبية حافظا مادتها وصورتها جهد طاقته . فان مكنته مواهبه من الإبانة عن مشاعر

(١) مول مقدّمة الشاهنامه ص III وما بعدها .

الناس وحماستهم تلقف الناس قصته الجديدة، وغنّوا بها عن الأقاصيص التى انطوت فيها . فتضيع هذه الأقاصيص حتى يتعذر على مر الزمان المقارنة بين الروايات والملاحم التى نسجت منها . ولكن تغلّب الملاحم عليها وسرعة نسخها دليل على أنها صورتها .

وكثيرا ما رأينـا شاعرا اخترع ملحمة لم يأخذ مادتها من أقاصيص أمتـه فصدّ عنهـا الجمهور وأعرض . قد أعجب الأدباء بمعانيها وعباراتها ولكن جمالها لم يغن عند العامة شيئا . ذلك هو المحكّ الوحيد للملاحم كلها ؛ إذا أقبل الناس على ملحمة وتلقفوها وأنشدوها فى محافلهم فهى ، ولا ريب ، مؤلفة من عنعنات (١) صحيحة وليس فيها للشاعر إلا حسن التصوير والتصرف فيما عرفه الناس من قبل.

وخير مثال لمـا أسميه الملحمة الصحيحة والملحمة الزائفة منظومتا هومير، ومنظومة ڤرجيـل ؛ فقد أراد ڤرجيل أن يكمل من خياله نقص العنعنات التى وجدها ولكن بلاغته كلها و جمال أسـلوبه لم يجعلا الانياد (L'Énéide) كتابا وطنيا ذائعا .

وقـد يَعجب الانسـان أن قليلا من الأمم أنشأت ملاحم على حين كل أمة عندها عناصر الملاحم . ولكن تفسير ذلك بيّن : يكثر عند الأمم فى بداوتها عناصر الملاحم ولكن لا يتاح لها شاعر مطبوع قدير على أن يلحم القطع المتفرّقة ويصوغها قصـة شعرية . فاذا ترعرعت آدابها فقـد ينبغ فيها شاعر يدرك الأقاصيص قبل أن تنسخها الآداب الخاصة فيخلق منها ملحمة قومية . وعلى قدر تقدّم الآداب وتمكنها فى نفوس الجماهير يمّحى من نفوسهم الكلَف بالملاحم، وتحل الآداب المدرسية والكتب محل القصاص . فتضيع الأغانى العامة ويغيض ينبوع الشعر القصصى . حتى اذا ملّ الناس الصنعة، كما فى زماننا، والتفتوا الى الأقاصيص القديمة لايجدون فيها من الحياة مايؤهلها لعمل جديد... الخ . اه

هذه آراء قيمة، كما يرى القارئ . ولكنى أحسبها لاتطابق آداب الأمم كلها، فالقصص العربية الجاهلية مثلا، لم تؤلف منها ملحمة، ولم تضع بل حفظها التدوين . ولا تزال فى بطون الكتب كافية لتأليف قصص طويلة . والشاهنامه مثل آخر، حُفظت لها الأساطير الفارسية قرونا عديدة حتى جاء الفردوسى فنظمها .

٢ — الملاحم الكبيرة :

عرفت القصص المنظومة عند كثير من الأمم القـديمة والحديثة : فى الآثار المصرية قطع من الشعر تدل على قصص واسع منها شعر بنتاهور . وللعبران ملاحم حفظت التوراة بعضها . وعند الهند

(١) يستعمل كتاب الترك كلمة عنعنات فى ترجمة الكلمة الأوربيـة (tradition) . وهى مأخوذة من اصطلاح المحدثين فهم يسمون الحديث الذى فى سنده : عن فلان عن فلان الخ الحديث المعنعن .

القـدماء قصـتا مها بْهارَتا و رامايَنا . ولليونان ملاحم قبـل الالياذة حتى قيل إن الإلياذة والأُذيسية وغيرهما مما عرف من ملاحم اليونان ليست الصورة الأولى ولا الثانية ولا الثانية عشرة من نوعها.[1] وقيل إنه قد عدّ لقدماء شعراء اليونان سبعون منظومة كالالياذة والأُذيسية[2] .

ولقـدماء الجرمان والسكندناڤيين ملاحم كانت ذا خطر عندهم . وللرومان ملاحم كبيرة بدءوها بترجمة الأوذيسية ثم تتابعوا فيها حتى كان ڤرجيل فنظم قصته المعروفة بالانياذة (L'Énéide) . بدأ نظمها سنة ٣٠ ق م . ومات بعد تسع سنين . وقد أوصى أن تحرق مسوّدات الانياذة إذ كان يعوزها نظم ثلاث سنين حتى تتم[3] . ولأمم أوربا الحديثـة ملاحم كثيرة جدا منها أغانى رولان عنـد الفرنسيين، وقصة هِلدِبرَند الجرمانية . ثم مهزلة دنتى الطليانى، وفردوس مِلتُن الانكليزى . وللفنلنديين منظومات كثيرة جمعها الياس لِنرُت سنة ١٨٣٥ م فصارت ملحمة كبيرة . واسمها كالَوالا .

وللعرب قصص فى جاهليتهم و إسلامهم ولكن ليس فيها قصة يسوغ أن تسمى ملحمة. ولو أتيح لأيام العرب الجاهلية شاعر كالفردوسى لنظم منها ملحمة رائعة . هذا الى ما يقوله بعض الباحثين عن سفر أيوب فى التوراة أن أصله عربى[4] .

وللفرس قصص كثيرة أعظمها الشاهنامه، وقد نسج الترك العثمانيـون على منوال القصص الفارسية فنظموا كثيرا .

والشاهنامه ليست، كهذه القصص، تدور على بطل واحد أو أسرة واحدة أو حرب واحدة بل هى، كما سيأتى، تاريخ أمة من أقدم ما وعت أساطيرها حتى الفتح الاسلامى. و يقول نلدكه عنها أنها ملحمة لا نظير لها عند أمة أخرى . فاذا قسنا الشاهنامه بأعظم الملاحم الأخرى وأبعدها صيتا تبـين الفرق بينها. واليك الأمثلة :

(ا) الالياذة والأذيسية .

محور الالياذة غضبة أخيل بطل اليونان على قومه ثم حميته لهم . وكان قد اعتزلهم فى حرب طرواد نقمة على أغا ممنون زعيم اليونان الذى غصـبه فتاة أسيرة . فالقصة لا تتناول، على سعتها، إلا وقائع الأيام الأخيرة من عشر السنين التى حاصر فيها اليونان مدينة طرواد . وطرواد تسمى إليون واليها نسبت القصة إذ سميت (إلياس)[5] .

(١ ، ٣) دائرة المعارف الانكليزية (Epic) . (٢ ، ٤) الياذة البستانى ص ٦١ ، ١٦٧ .
(٥) انظر فى إجمال القصة الياذة البستانى ص ٣٢ — ٣٤

وموضوع الأذيسية تيه أوذيس ملك جزر ايثاكة، وداهية الاغريق، عشر سنين على لجة الماء اذ هاجت العواصف على سفنه راجعا من حرب طرواد .

(ب) المها بْهارتَه والراماينَا.

فأما المها بهارته فهى زهاء مائة ألف بيت، وهى قِصص موصّلة . والقطب الذى تدور عليه تنافس بنى العم من بنى بهارّته . وهما بيتا كورَفا و باندَفا ؛ تنافسوا على الملك، وبعد غِيَر شتّى تحاربوا ثمانية عشر يوما على أرض كُرُكشِترا فى مملكة متسيا . وانتهى الجلاد بفناء بيت كورَفا . وتنتهى القصة بزهد الأمراء الباقين أمراء باندفا، واعتزالهم العالم، ورحلتهم الى جنة إندرا الخ .

فهى قصة واحدة وقائعها متصلة وزمنها قصير .

وفى الراماينا زهاء ثمانية وأربعين ألف بيت، ومعظمها لشاعر واحد . وبطلها راما بن ملك أوده؛ ولّاه أبوه العهد فسعت أم أخيه بهراتا حتى عزم الملك على أن ينفيه أربعة عشر عاما . فانصاع راما وعاش فى البرّية وأبى أن يرجع حين دعى ليتولى الملك . ثم إن ملك الجن فى جزيرة سيلان، واسمه راڤنا، أحب سيتا زوج الأمير راما فخطفها . فذهب راما لاستخلاصها . وأعانه ملك القـردة على عبور مضيق سيلان . وكذلك ناصره أخو ملك الجن . وانتهى القتال بأن قتل راما ملكَ الجن، واستولى على مدينته، وأجلس أخا ملك الجن على عرشها . ثم رجع راما وزوجه سيتا ظافرين الى أوده . وكانت بعدُ حوادث أخرى . وفى هذه القصة شبه بقصة كيكاوس وملك الجن فى مازندران التى فى الشاهنامه(١).
فهذه القصة، كما يؤخذ من اسمها، قصة رجل واحد هو الأمير راما .

(حـ) الانياذة، وهى قصة ڤرجيلوس الشاعر الرومانى، موضوعها متصل بموضوع الالياذة . وبطلها أنياس أحد حلفاء الطرواد : رحل فى جماعة من قومه يرتاد أرضا حتى بلغ قرطاجه ثم ايطاليا حيث أكرمه الملك لاتينوس وزوّجه ابنته ثم استخلفه على الملك . وكان من أعقابه، فيما يقـال، روملوس مؤسس رومية .

فموضوع هـذه القصص وغيرها من الملاحم الكبيرة حوادث متتابعة فى سنين قليلة، كقصة واحدة من قصص الشاهنامه ـــ كالحرب بين بنى أفريدون، أو حرب كيكاوس والجن فى مازندران، أو قصة سهراب ورستم، أو قصة سِياوخش بن كَيكاوُس . ولعل ملحمة الشاعر الرومانى إنيـوس التى نظم فيها حوادث روما كلها تشبه الشاهنامه فى عموم موضوعها(٢).

(١) انظر ص ١٠٥ وما بعدها ج ١ ـــ الآتية . (٢) دائرة المعارف البريطانية (Epic) .

الفصل الثانى ـ القصص الفارسى

الفرس مولعون بالإطناب فى شعرهم، كلفون بالقَصص والإسهاب فيه . يقول الشاعر العربى :

ولا يقـــيم على ضـــيم يراد به　　　إلا الأذلان : عير الحىّ والوتد
هذا على الخسف مربوط برمّته　　　وذا يشج فـلا يرثى له أحـــد

لا يجد فى ذلة الوتد إلا أنه يشج . ويقول الشاعر الفارسى :

دشمنـانت همچو ميخ خيمه ميخواهم مـــدام　　　تن بخاك وسر بسنگ و ريسمان بر گردنش

أى "أود أن يكون أعداؤك كوتد الخيمة أبدا : جسمه فى التراب، ورأسه للحجر، والحبل فى عنقه" . فقد أدرك ثلاثة أشياء فى مذلة الوتد . وهذا يصلح مثلا للفرق بين الأدبين الفارسى والعربى فى التفصيل والإسهاب .

ومن آيات هذا أن قصة يوسف التى قصها القرآن، وقصة ليلى والمجنون المعروفة فى الأدب العربى لم يتصدّ لنظم إحداهما شاعر عربى على حين نظمهما شعراء الفرس مرارا، وافتنّوا فيهما افتنانا . واقتدى بهم شعراء الترك . وأنوار سهيلى، وهو ترجمة كليلة ودمنة الى الفارسية، يبلغ زهاء أربعة أمثال الأصل العربى بما فُصّل فيه الوصف، وكررت العبارات .

يقول ابن الأثير فى خاتمة المثل السائر فى تعديد الفروق بين الكتابة والشعر :

« والثالث أن الشاعر اذا أراد أن يشرح أمورا متعدّدة ذوات معان مختلفة فى شـعره، واحتاج الى الإطالة بأن ينظم مائتى بيت أو ثلاثمائة أو أكثر من ذلك فانه لايجيد فى الجميع ولا فى الكثير منه بل يجيد فى جزء قليل، والكثير من ذلك ردىء غير مرضىّ . والكاتب لا يؤتى من ذلك بل يطيل فى الكتاب الواحد إطالة واسعة تبلغ عشر طبقات من القراطيس أو أكثر وتكون مشتملة على ثلاثمائة سطر أو أربعمائة أو خمسمائة . وهو مجيد فى ذلك كله . وهذا لا نزاع فيه لأننا رأيناه وسمعناه وقلناه .

وعلى هذا فانى وجدت العجم يفضلون العرب فى هذه النكتة المشار اليها . فان شاعرهم يذكر كتابا مصنفا من أوله إلى آخره شعرا، وهو شرح قصص وأحوال . ويكون مع ذلك فى غاية الفصاحة والبلاغة فى لغة القوم، كما فعل الفردوسى فى نظم الكتاب المعروف بشاه نامه . وهو ستون الف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس . وهو قرآن القوم . وقد أجمع فصحاؤهم على أنه ليس فى لغتهم أفصح منـه . وهذا لايوجد فى اللغة العربية على اتساعها، وتشعب فنونها وأغراضها، وعلى أن لغة العجم بالنسبة إليها كقطرة من بحر » .

وقد عرف القصص فى الأدب الفارسى الحديث منذ نشأ :

(١) فأبو جعفر الرودكى أقدم شعراء الفرس العظام المتوفى سنة ٣٢٩ نظم كليلة ودمنة بالفارسية .

(٢) والعنصرى المتوفى سنة ٤٣١، شاعر السلطان محمود الغزنوى نظم قصة وامق وعذراء وأربع منظومات أخرى . ولا ندرى أأخذ عن كتاب سهل بن هارون الذى سماه الوامق والعذراء أم لا . وقد نظمها فى البحر المتقارب كالشاهنامه[1] .

(٣) وأبوعبدالله الأنصارى الشاعر الصوفى المتوفى فى هراة سنة ٤٨١ كتب قصة يوسف وزليخا نثرا .

(٤) وفخرى الجرجانى شاعر السلطان طغرل بك السلجوقى نظم قصة ويس ورامين .

(٥) ونظامى الكنجوى المتوفى فى حدود سنة ٦٠٠ نظم خمس قصص عرفت باسم خمسة نظامى منها ليلى والمجنون . واقتدى به من بعد بعض شعراء الفرس والترك فحرصوا على أن يكونوا أصحاب "خمسة" .

(٦) والأمير خسرو الدهلوى المتوفى سنة ٧٢٥ نظم خمسة منها ليلى والمجنون أيضا ، وزاد قصصا أخرى .

(٧) وآذرى أحد شعراء السلطان شاهرخ بن تيمورلنك، نظم يوسف وزليخا .

(٨) وعبد الرحمن الجامى الشاعر الصوفى الكبير المتوفى سنة ٨٩٨ نظم أكثر من ست قصص منها يوسف وزليخا وليلى والمجنون .

(٩) ومكتبى الشيرازى المتوفى سنة ٨٩٥ نظم قصة ليلى والمجنون .

(١٠) وهاتفى الجامى المتوفى سنة ٩١٨، ابن أخت عبد الرحمن الجامى، نظم "خمسة" أيضا منها ليلى والمجنون، وزاد قصصا أخرى .

(١١) ووحشى الكرمانى اليزدى المتوفى سنة ٩٩٢ نظم قصة خسرو وشيرين وغيرها .

(١٢) وناظم الهروى المتوفى سنة ١٠٥٨ نظم قصة يوسف وزليخا .

(١٣) ونامى من شعراء القرن الثانى عشر، فى عهد الملك نادر شاه، نظم ليلى والمجنون، ووامق وعذراء، وخسرو وشيرين .

والصوفية من شعراء الفرس كثيرا ما يتخذون القصص وسائل لبيان طريقتهم ، وشرح ما دق من إدراكهم وإحساسهم ؛ فالعطار كتب منطق الطير وقصصا أخرى ، وجلال الدين الرومى مولع بضرب الأمثال من القصص ينتقل من واحدة الى أخرى حتى يوفى بالقارئ على الغاية مما يريد .

وفى هذا برهان ما فى طباع الفرس من الولوع بالقصص، وقد صار هذا سنة فيهم جرى عليها المطبوع وغير المطبوع منهم .

هذا عدا الشاهنامه والملاحم التى نظمت محاكاة لها كما يأتى .

---

(١) الحماسة الايرانية، ص ٤٣ حا . ولباب الألباب ج ٢ ص ٣٢

الفصل الثالث — اصول الشاهنامه[1]

١ — فى الشاهنامه قسم تاريخى، هو تاريخ الساسانيين، وبعض قصة دارا واسكندر المقدونى، وفيها قسم خرافى ليس فيه أثارة مما عرفه التاريخ فى آثار الفرس وكتب اليونان إلا حدسا وتخمينا. ويرى القارئ فى التعليقات على ملوك البيشداديين والكيانيين فى هذا الكتاب أن معظم هؤلاء الملوك يذكرون فى كتاب الأبستاق محاطين بكثير من الأساطير الدينية. ويرى القارئ كذلك أن معظم الملوك من كيومرث الى كيخسرو يذكرون فى الأساطير الهندية أيضا فهم بقايا من الأساطير الارية حفظها الهند والفرس على خلاف فيها.

حفظت الأبستاق، كالتوراة، روايات أمة قديمة نُسجت حول أبطال تدل أسماؤهم أنهم كانوا من قوى الخير والشر فى الدين الآرى القديم الذى قام على عبادة الطبيعة. طال الأمد على الايرانيين بعد زوال ملك الكيانيين بحروب اسكندر، وامّحى من ذكرياتهم تاريخ ملوكهم القدماء فى خمسة القرون التى مضت بين اسكندر وأردشير مقيم الدولة الساسانية. فلما نهض بهم أردشير، وجمعهم تحت لواء واحد، وأحيا دين زردشت كذلك، وترجمت الأبستاق الى الفهلوية — خلطوا بالبقية القليلة التى وعوها عن ملوكهم الأقدمين، وبما عرفوا من تاريخ الأشكانيين ما رواه لهم كتاب دينهم. فانقلب الأبطال وأشباه الآلهة فى الأبستاق ملوكا قدماء سيطروا على إيران. وأضيف الى هذا ما عرفه الفرس عن عداء الأشوريين والعرب والتورانيين من أساطير قديمة أو وقائع حديثة ردّوها الى عهد قديم. وزيد على هذا وذاك ما اخترعته خيالات الجماهير. فصار هذا كله قِصصا حماسية احتفظ بها الدهاقين وحدّثوا بها، وأنشدها الناس فى محافلهم وأعيادهم[2].

أضيف الى هذا تاريخ الساسانيين، ودوّن هذا كله فى كتاب سمى باستان نامه (كتاب القدماء) أو خداى نامه (كتاب الأمراء).

---

(١) أعظم مصادر هذا الفصل نلدكه: الحماسة الايرانية، ومقدّمة بايسقر، والآثار الباقية للبيرونى.

(٢) مول ج ١ : مقدّمة ص ٦٠ وما بعدها.

٢ — مقدّمة بايسنقر :

وخلاصة ماترويه مقدّمة بايسنقر[1] على علاتها ، أن الساسانيين كانوا مولعين بجمع أخبار أسلافهم وترتيبها . وكان أنو شروان أكثرهم اهتماما فكان يرسل الى الأطراف لجمع الأخبار وحفظها فى مكتبته . واستمر هذا فى عهد الملوك بعده حتى أيام يزدجرد الأخير . فأمر الدهقانَ دانِشَور أحدَ أكابر المدائن أن يرتب الأخبار المجموعة ويضع لها فهرسا ويكملها ، من كيومرث الى آخر عهد پرويز (جد يزدجرد) . فرتب الدهقان ما وجده وسأل الموابذة عما لم يجده وجمع تاريخا كاملا .

فلما غنم سعد بن أبي وقاص خزائن يزدجرد أخذ الكتاب فيما أخذ . فلما أرسل الى عمر أمر مترجما أن يخبره بما فيه . فاستحسن القصص التى تروى عن عدل الملوك وحسن سياستهم فأمر أن يترجم الى العربية . ولما سمع غير هذا من عقائد عبدة الشمس والنار والصابئين ، وخرافات زال والعنقاء قال : إنه كتاب غير جدير بالقراءة لأنه يشبه الدنيا . فسئل كيف يشبه الدنيا؟ فقال : سمعت الرسول يقول : إن الدنيا هانت على ربها فخلط حلالها وحرامها . يعنى أن هذا الكتاب خليط من جد وهزل وحق وباطل .

قسمت الغنائم وانتهى الكتاب الى الحبش فقدم الى ملكهم مع نفائس من خزائن يزدجرد فأمر فتُرجم وسكن اليه الملك ، وتداولته الأيدى فى بلاد الحبش والهند حتى كانت دولة يعقوب بن الليث الصفّار فى خراسان .

استحضر يعقوب الكتاب ، وأمر أبا منصور عبد الرزاق بن عبد الله فرُّخ الذى كان معتمد الملك ، أن ينقل الى الفارسية ما كتبه دانِشَور بالفهلوية ، وأن يلحق به الأحداث من بعد پرويز . فأمر أبو منصور وكيل أبيه ، مسعود بن المنصور المعمرى ، وأربعة آخرين فترجموا الكتاب سنة ٣٦٠ﻫ وانتشرت نسخه فى خراسان والعراق .

والأربعة الذين شاركوا المعمرى فى الكتاب هم ، على كثرة التحريف فى أسمائهم[2] :

(ا) تاج بن خُراسانى ، من هراة .

(ب) يزدان داذ بن شابور ، من سيستان .

---

(١) مقدّمة كتبت للشاهنامه بأمر بايسنقر حفيد تيمورلنك . وهى فى كثير من النسخ المخطوطة وفى طبعة مكن (Macan) وطبعة تبريز .

(٢) صيغ الأسماء هنا مأخوذة من مقدمة الشاهنامه طبع تبريز سنة ١٢٧٥ ﻫ . ومن نلدكه : الحماسة الايرانية ص ١٢ نقلا عن مقدمة أخرى للشاهنامه غير مقدّمة بايسنقر . وقد رجحت بعض الصيغ على بعض .

(حـ) ماهوى خورشيد بن بهرام، من نيشابور .

(ء) شادان بن بُرزين، من طوس .

ولمـا كان عهد السامانيين أمروا الدقيقى أن ينظمه فنظم ألف بيت ثم قتل . وكان السلطان محمود الغزنوى يتقيّل الساسانيين ، ويعنى بالعلوم، ويعجب بأخبار ملوك العجم . وأراد أن يعمل عمـلا لم يسبق اليه فأمر بنظم الكتاب .

ويقال إن أحد أبناء الملوك من ذرّية أنو شروان، واسمه خورفيروز، هاجر من موطنه فارس، وساقته غِيَر الزمان الى مدينـة غزنى، وودّ أن يعلم السلطان بحاله فطاف بالقصر فقابل رجلا حسن السمت، وكان إمام السلطان، فعرض عليه حاله فتقبل أن يرفع الى السلطان أمره. ثم تسنى لخورفيروز أن يدخل على السلطان فرأى الشعراء مجتمعين، ثم رآهم أخذوا طومارا من العنصرى الشاعر وعرضوه على السلطان فاستحسنه وأكرم الشـاعر وأمره بنظم الكتاب . قال خورفيروز : أى كتاب؟ قال الامام : إن السلطان مولع بالشعر ، وقد جلب اليه كتاب من سجستان فيه سير بعض الملوك، وأراد الملك أن يُنظم، ومن أجل هذا ازدحم الشعراء هنا . وقد بذّهم العُنصرى . فقال : لو أسعدنى الجد لأحضرت الكتاب معى . فأُنهى قوله الى السلطان فأرسـل رسول الى موطن الرجل وعشيرته فأتى بالكتاب، فحظى خور فيروز عند السلطان .

ويقال إن ملك كرمان سمع بتصدّى محمود لجمع الكتاب ، وكان يخطب مودّته . وكان فى كرمان رجل من نسل شابور ذى الأكتاف، حريص على جمع أخبار العجم . فأرسله ملك كرمان الى السلطان محمود. وكان بمرو رجل اسمه كُرد آزاد من نسـل زال ، يعرف أخبار زال وسـام ورستم فحمل ما عنده الى محمود أيضا " .

هذه خلاصة ما فى مقدّمة بايسنقر . وهى، كما يرى القارئ ، مليئة بالغلط والخرافات . ولكن فيها أخبارا ينبغى ألا يغفلها الباحث :

٣ ــ نقد هذه الأخبار :

فأما جمع الساسانيين أخبارهم وأخبار أسلافهم فالتـاريخ يؤيده . فالمؤرخ الشاعر اليونانى أكثياس (١) ، وهو معاصر أنوشروان، يروى أنه كان عند الفرس أيام خسرو الأول سجلات يعتنى بحفظها، تتضمن أسماء الملوك الساسانيين وتاريخهم . ولا ريب أن هذه السجلات حوت أسماء الملوك قبل الساسانيين من لدن كيومرث. ولولا هذا ما اتفقت الروايات على نسق الملوك وكثير من

(١) ٥٣٦ ـــ ٥٨٣م .

حوادثهم . ولم يكن الفرس إذ ذاك يفرّقون بين الخرافىّ والتاريخى من هـذه الأخبار ، كما كان الأثينيون فى القرن الرابع ق . م . يصدّقون بوقائع الأمازون تصديقهم بوقائع سلاميس ومراثون . وما كانت روايات الفرس عن القدماء اختراعا محضا بل كانت تطوّر أساطير وعنعنات قديمة . ومن أجل ذلك نجد فى الشاهنامه الاكثار فى تاريخ بعض الملوك والاقلال فى تاريخ بعضهم إقلالا يخل بالتناسب بين العصور[1] . ثم يروى الفردوسى وغيره أن هُرمزد أبا پرويز حينما خلع وسملت عيناه طلب من ابنه أن يحضره رجلا يقص عليه من أنباء الوقائع السالفة ، وآخر عالما بأخبار الملوك يقرأ عليه كتابا فى أخبارهم[2] . وكان خلع هرمزد سنة ٥٩٠ م .

وكتب أخرى تتضمن بعض قصص الشاهنامه كتبت بين القرن الثانى والقرن الثامن الميلادى . وفى هذا دليل على قدم هـذه الأساطير؛ فقصة گُشتاسب وكتايون لها نظير فى كتاب المؤرّخ اليونانى أثنيوس (Athenæus) الذى عاش فى أواخر القرن الثانى الميلادى وأوائل الثالث[3] ، والكتاب الفهلوى "ياتكار زريران" فيه قصة زرير أطول مما فى الشاهنامه ، وقد كتب حوالى سنة ٥٠٠ م[4] . والكتاب الفهلوى الآخر "كارنامك أردشير" الذى كتب حوالى ٦٠٠ م يعتبر أصلا لما فى الشاهنامه والكتب العربية عن أردشير مقيم الدولة الساسانية[5] . وبعض أخبار رستم عرفت فيما كتبه موسى القورينى الأرمنى الذى كتب فى القرن السابع الميلادى أو الثامن[6] . وأخبار رستم واسفنديار كانت معروفة عند العرب قبل الاسلام .

على أن قصة دارا والاسكندر فى الشاهنامه تلاقى ما عرفه التاريخ فى القرن الرابع قبل الميلاد . وهناك أبطال فى الشاهنامه مثل گودرز وابنه جيو تشبه أسماؤهم وأفعالهم أسماء بعض الأمراء الأشكانيين وأفعالهم . فان يكن بعض ما تقصه الشاهنامه عن دارا وهؤلاء الأبطال ذكرى وعاها الفرس بالرواية الشفوية أو المكتوبة من عهد الاسكندر أو الأشكانيين فليس بعيدا بالقياس على هـذا ، أن تكون أساطير كيكاوُس وكيخسرَو ومن قبلهما ومن بعدهما قديمة جدا أو بقايا محرّفة من حقائق بعيدة العهد أفلتت من قيود التاريخ .

والخلاصة أن هناك دلائل تثبت قدم القصص التى فى الشاهنامه ، ولا يسع الباحث إلا أن يظن أن هذه القصص دوّنت قبل زوال الدولة الساسانية .

---

(١) نلدكه : الحماسه الايرانية ص ١٢ (٢) أنظر فيا يأتى ص ١٩٧ و ١٩٨ ج ٢ ، والشاهنامه أوّل عهد پرويز: مول ج ٧ ص ٨ ، ٩ (٣) ص ٣١٣ ج ١ الآتية . (٤) ص ٣٢٧ ج ١ الآتية . (٥) ص ٥٠ ج ٢ الآتية .
(٦) الحماسة الايرانية ص ٢٠

وأما أمر يزدجرد بكتابة أخبار الملوك من كيومرت الى پرويز، كما تقدّم، فتذكره كذلك المقدّمة الأخرى التى تصدّر بها بعض مخطوطات الشاهنامه، وتزيد على دانشور رجلين آخرين : فرخان الموبذ الكبير فى عهد يزدجرد، ورامين خادم الملوك . ويقول نلدكه فى تأييد هذا أن اتفاق الكتب العربية والشاهنامه ظاهر الى آخر عهد پرويز، وهذا دليل على أن المصدر الذى أخذ عنه كتب بعد هذا العهد بقليل ، وأن ما فى الكتاب من عصبية للفرس ، وانتصار للملوك يشعر بأنه كتب فى رعاية المُلك قبل زوال الدولة . ثم تعظيم پرويز ولعن ابنه شيرويه الذى قتل أباه وأخوته، وفيهم شهريار أبو يزدجرد ، يؤيد أن الكتاب جمع فى عهد يزدجرد . وكأن تتويج هذا الملك فى اصطخر العتيقة المقدّسة فى حماية رستم كان إيذانا بانتهاء الفوضى وإقبال عهد سعيد . وهذا يلائم جمع تاريخ رسمى لايران . وليس يمكن أن يكون هذا الجمع وقع بعد حرب القادسية .

ولا ريب أن هذا الكتاب جمع باللغة الفهلوية اذ لم يكن غيرها يكتب فى ذلك العصر . والظاهر أنه عرف عند الفرس باسم خداى نامه (خَوتاى نامك) أى كتاب السادة؛ فان الكتب العربية كثيرا ما تذكر هذا الاسم فى الكلام على كتب أخبار الفرس التى ترجمت الى العربية .

وأما أخذ سعد بن أبى وقاص الكتاب وإرساله الى عمر فخرافة مبينة ، وكأنها متصلة بالخرافات الأخرى التى اخترعها بعض الناس بغضا لعمر . أريدَ بها أن يكون عمر قد أخذ كتابهم كما فتح بلادهم . كما اتهموا اسكندر المقدونى أنه أحرق كتاب الأبستاق حينما فتح إيران . ولكن الأسطورة وقفت بعمر موقفا وسطا؛ فما أمر باحراق الكتاب ولا قال: إنه كذب كله . بل جعله شبيه الدنيا يختلط حلالها بحرامها . وهى شهادة للكتاب لا عليه . وكأن مخترعى الأسطورة أو رواتها أرادوا ألا ينفر من الكتاب بايسنقر حفيد تيمورلنك، الذى جمعت له مقدّمة الشاهنامه .

ونقل الكتاب الى الحبشة من عجائب الخرافات ، ولكن قول الراوى بعد هذا : وتداولته الأيدى فى بلاد الحبش والهند يفسر هذه الخرافة . فاتصال الأساطير الايرانية بالأساطير الهندية بيّن . وقديما خلط اليونان ومن أخذ عنهم، بين الحبشة والهند، كما يرى فى فصل اسكندر الآتى فى الشاهنامه[2] .

وانظر كيف أجاب أنو شروان سيف بن ذى يزن حين قال له : غلبتنا على بلادنا الأغربة » . قال أنو شروان : أى الأغربة ؟ الحبشة أم السند[3] .

(١) نلدكه : الحماسة الايرانية ص ٢٣ ، ومقدّمة ترجمة الطبرى ، انظر ترجمة خدا بخش لكتاب The Iranian Influence on Moslem Literature. ص ١٤٥ .

(٢) ج ٢ ص ١٩ حا ، الآتية . (٣) ابن هشام ج ١ ص ٦٢

٤ — تاريخ الفرس القدماء، فى العهد الاسلامى :

(١) فى اللغة الفارسية :

استمر الفرس، بعد الفتح الإسلامى، على رواية تاريخهم القديم، واحتفظ به المجوس وغيرهم، وتقلبت به الأطوار حتى انتهى الى الفردوسى. يقول الاصطخرى: "وقلعة الجص بناحية أرّجان فيها مجوس وبادكزارات الفرس. وأيامهم تتدارس فيها"[١]. ونحو ذلك فى ابن حوقل[٢]. ويقول الاصطخرى فى موضع آخر[٣]: "وبناحية سابور جبل قد صوّر فيه صورة كل ملك، وكل مرزبان معروف للعجم، وكل مذكور من سدنة النيران وعظيم من موبذ وغيره، وتتابع صور هؤلاء وأيامهم وقصصهم فى أدراج. وقد خص بحفظ ذلك قوم سكان بموضع بناحية أرّجان يعرف بحصن الجص".
ويقول المسعودى عن كتاب آئين ناماه (كتاب الرسوم): "وهو عظيم فى الألوف من الأوراق لا يكاد يوجد كاملا إلا عند الموابذة وغيرهم من ذوى الرياسات. والموبذ لهم فى هذا الوقت المؤرخ به كتابنا، وهو سنة ٣٤٥، بأرض الجبال والعراق وسائر بلاد الأعاجم، أتماذ بن أشرهشت"[٤].
ويقول فى موضع آخر[٥]: "ورأيت بمدينة اصطخر من أرض فارس، فى سنة ٣٠٣ عند بعض أهل البيوتات المشرفة من الفرس، كتابا عظيما يشتمل على علوم كثيرة من علومهم وأخبار ملوكهم وأبنيتهم وسياساتهم لم أجدها فى شىء من كتب الفرس كخداى ناماه وآئين ناماه وكهناماه وغيرها، مصوّر فيه ملوك فارس من آل ساسان، سبعة وعشرون ملكا منهم خمسة وعشرون رجلا وامرأتان. قد صوّر الواحد منهم يوم مات شيخا كان أو شابا، وحليته وتاجه ومخط لحيته وصورة وجهه، وأنهم ملكوا الأرض أربعمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة وشهرا وسبعة أيام، وأنهم كانوا اذا مات ملك من ملوكهم صوّروه على هيئته ورفعوه الى الخزائن كيلا يخفى على الحى منهم صفة الميت، وصورة كل ملك كان فى حرب قائما، وكل من كان فى أمر جالسا، وسيرة كل واحد منهم فى خواصه وعوامه، وماحدث فى ملكه من الكوائن العظيمة والأحداث الجليلة الخ".

وقد كان عند الفرس كثير من كتب التاريخ تختلف فيها الروايات. وعرف بحذق تواريخهم بعض الموابذة مثل بهرام بن مردانشاه موبذ كورة سابور من فارس الذى روى عنه حمزة الأصفهانى أنه قال: "إنى جمعت نيفا وعشرين نسخة من الكتاب المسمى خداى نامه حتى أصلحت منها

---

(١) ص ١١٨ (٢) ص ١٨٩ (٣) ص ١٥٠ (٤) التنبيه والاشراف ص ١٠٤
(٥) ص ١٠٦

تواريخ ملوك الفرس من لدن كيومرت والد البشر الى آخر أيامهم بانتقال الملك عنهم الى العرب[1] . وقد ذكره ابن النديم فيمن ترجموا من الفارسية .

وقد بقيت كتب فهلوية الى وقتنا هذا منها "يادكار زريران" و"كارنامك أردشير پاپكان" .

ثم كتبت بالفارسية الحديثة شاهنامات منها شاهنامة المؤيدى[2] . وشاهنامة أبى على البلخى التى ذكرها البيرونى فى الآثار الباقية[3]، والشاهنامه التى كتبت بأمر أبى منصور بن عبد الرزاق الطوسى حوالى سنة ٣٤٦ هـ . وهى أصل شاهنامة الفردوسى فيما يظن .

(ب) فى اللغة العربية :

عنى العرب بنقل أخبار الفرس منذ أوّل عهدهم بالترجمة؛ يقول المسعودى فى التنبيه والاشراف[4] عن الكتاب الذى رآه فى أصطخر مشتملا على تاريخ ملوك الفرس وصورهم : "وكان تاريخ هذا الكتاب أنه كتب مما وجد فى خزائن ملوك فارس، للنصف من جمادى الآخرة سنة ١١٣، ونقل لهشام ابن عبد الملك بن مروان عن الفارسية الى العربية". ويروى صاحب الفهرست أن جبلة بن سالم، وهو كاتب هشام، ترجم كتاب إسفنديار ورستم . وترجم ابن المقفع كتاب خُداى نامه، وليس بعيدا أن يكون هو الكتاب الذى جمع فى عهد يزدجرد، وترجم كتبا أخرى منها كتاب مزدك، وكتاب التاج فى أخبار أنو شروان، وكتاب آئين نامه[5] . ويقول المسعودى عن آئين نامه، وأحسبه يصف الأصل الفارسى لا ترجمته : "وهو عظيم فى الألوف من الأوراق، لا يكاد يوجد كاملا إلا عند الموابذة وغيرهم من ذوى الرياسات"[6] . وترجم محمد بن الجهم البرمكى كتاب سير الملوك كذلك . ويظهر من كلام صاحب الفهرست أن أبان بن عبد الحميد اللاحقى نظم سيرة أردشير، وسيرة أنو شروان . ولعلى ابن عبيدة الريحانى، وهو من أصحاب المأمون، كتاب كيلهراسف الملك . وإسحاق بن يزيد نقل من الفارسية كتابا آخر فى تاريخ الفرس[7] . ويقول حمزة الأصفهانى فى كتابه تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء[8] : "وتواريخهم (يعنى تواريخ الفرس) كلها مدخولة غير صحيحة لأنها نقلت بعد مائة وخمسين سنة من لسان إلى لسان . ومن خط متشابه رقوم الأعداد الى خط متشابه رقوم العقود، فلم يكن لى فى حكاية ما يقتضى هذا الباب ملجأ إلا الى جمع النسخ المختلفة النقل . فاتفق لى ثمانى نسخ وهى: كتاب سير ملوك الفرس من نقل ابن المقفع، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل محمد بن الجهم البرمكى،

(١) حمزة ص ١٩ (٢) تاريخ طبرستان : الترجمة الانجليزية ص ١٨ (٣) ص ٩٩ (٤) ص ١٠٦
(٥) الفهرست : ابن المقفع . (٦) التنبيه ص ١٠٤ (٧) الفهرست فصل النقلة من الفارسية (٨) ص ٩

وكتاب تاريخ ملوك الفرس المستخرج من خزانة المأمون ، وكتاب سير ملوك الفرس من نقل أو جمع محمد بن بهرام بن مطيار الأصبهانى ، وكتاب تاريخ ملوك بنى ساسان من نقل أو جمع هشام بن قاسم الأصبهانى ، وكتاب تاريخ ملوك بنى ساسان من إصلاح بهرام بن مردانشاه موبذ كورة شابور من بلاد فارس . فلما اجتمعت لى هذه النسخ ضربت بعضها ببعض حتى استوفيت منها حق هذا الباب" وقد روى حمزة الأصفهانى عن موسى بن عيسى الكسروى قوله : " إنى نظرت فى الكتاب المسمى خداى نامه ، وهو الكتاب الذى لما نقل من الفارسية الى العربية سمى « كتاب تاريخ ملوك الفرس » فكررت النظر فى نسخ هذا الكتاب وبحثتها بحث استقصاء فوجدتها مختلفة حتى لم أظفر منها بنسختين متفقتين . وذلك كان لاشتباه الأمر كان على الناقلين لهذا الكتاب من لسان الى لسان"(١) .

ويذكر البيرونى عن البلخى الشاعر أنه صحح كتاب الشاهنامه من خمسة كتب . منها أربعة من التى ذكرها حمزة ، والخامس كتاب سير الملوك لبهرام بن مهران الأصبهانى ، وأنه قابل ذلك بما أورده بهرام الهروى المجوسى(٢) .

ومن هذا كله يتبين أن المترجمين الى العربية لم يترجموا من كتاب واحد ، بل وجدوا كتبا عديدة فى أخبار ملوك الفرس كلهم أو سير بعضهم . ولو كان أمامهم كتاب واحد ما احتاجوا أن ينقلوه الى العربية ثمانى مرات ، وما كان بين التراجم هذا الاختلاف الذى يصفه حمزة الأصفهانى وتشهد به الكتب العربية . هذا الى اختلاف الترجمة عن الكتاب الواحد . يؤيد هذا قول هذا المؤرخ فى أول الفصل الخامس من الباب الأول : " وهو فى حكاية جمل مما فى خداى نامه لم يحكها ابن المقفع ولا ابن الجهم فجئت بها فى آخر هذا الباب ليجريها من يقرأها مجرى أحاديث لقمان بن عاد"(٣) . وكأن ابن المقفع وابن الجهم حذفا ما لا يلائم الدين والعقل فهذه الجمل التى ذكرها حمزة أساطير دينية منقولة من كتاب الأبستاق وغيره .

وقد عرفت هذه الكتب بين قراء العربية وذاعت ولا سيما ترجمة ابن المقفع . ويذكر الجاحظ حكاية عن الشعوبية ما يبين عن هذا الكتاب بعض الإبانة إذ قالوا : " ومن احتاج الى العقل والأدب ، والعلم بالمراتب والعبر والمثلات ، والألفاظ الكريمة ، والمعانى الشريفة فلينظر الى سير الملوك"(٤) . وفى كتاب عيون الأخبار وكتاب المعارف لابن قتيبة وغيرهما نبذ من كتاب ابن المقفع .

---

(١) حمزة ص ١٥ (٢) الآثار الباقية ص ٩٩ (٣) حمزة ص ٤٣

(٤) البيان والتبيين ط القاهرة سنة ١٣٤٥ ج ٣ ص ٧

٥ — الشاهنامه التى أمر بجمعها أبو منصور بن عبد الرزاق الطوسى :

تقدّم، فى خلاصــة مقدّمة بايسنقر، أن يعقوب بن الليث الصفار حصل كتاب ملوك الفرس وأمر أبا منصور عبــد الرزاق بن عبد الله بن فرّخ الذى كان معتمد الملك أن ينقله من الفهلوية الى الفارسية سنة ٣٦٠ ﻫ .

ويبنغى قبل بحث هذا الموضوع أن نبعد اسم يعقوب بن الليث . فذكره هنا غلط بيّن . بعض العنعنات الفارسـية تجعل يعقوب بطلا إذ كان أوّل أمير فارسى اسـتقل عن الخلافة العباسـية، ويروى أن أوّل ما عرف من الشعر الفارسى الحديث شطر بيت همهم به ابن رضيع ليعقوب. فمكانة يعقوب هذه زيّنت لرواة مقدّمة بايسنقر المليئة بالخرافات أن يقرنوا اسم يعقوب بالشاهنامه المنثورة التى كتبت فى القرن الرابع . يعقوب توفى سنة ٢٦٥ فلا يمكن أن يكون قد أمر بجمع الشاهنامه التى كتبت سنة ٣٦٠ . واذا أخذنا برواية النسخة التى نقل عنها مول ، وصححنا التـاريخ فجعلناه ٢٦٠ فأبو منصور بن عبــد الرزاق عاش فى القرن الرابع ولم يدرك يعقوب . بقى أنـــ يقال أن هـــذا "أبا منصور عبد الرزاق بن عبــد الله فرخ" الذى يذكر فى مقدّمة بايسنقر ليس هو أبا منصور بن عبدالرزاق والى طوس المعروف. فشاهنامة يعقوب بن الليث غير الشاهنامه التى جمعها أبو منصور بن عبــد الرزاق وذكرها البيرونى كما يأتى. ومهما يُقل فبعيد أن يُعنى رجل كيعقوب بن الليث بجمع تاريخ الفرس القديم فى عهده القصير المضطرب. ولم يخبر بهذا أحد من الثقات. وليس يلزم المؤرّخ التعويل على رواية عجيبة تتفرّد بها مقدّمة بايسنقر المملوءة بالأغلاط والخزعبلات ، على أن المقدّمة الأخرى تسمى جامع الكتاب "أبا منصور بن عبد الرزاق"[١] أيضا .

يقول البيرونى فى الآثار الباقية أثنــاء الكلام عن الملوك الأشكانيين : "ووجدنا تواريخ هــذا القسم الثانى فى كتاب شاهنامه المعمول لأبى منصور بن عبــد الرزاق على ما أودعناه أيضا فى هــذا الجــدول"[٢] .

ويقول فى موضع آخر : "كما فُعل لابن عبد الرزاق الطوسى من افتعال نسب له فى الشاهنامه ينتمى به الى منو شجهر"[٣] .

فلا ريب إذًا أن شاهنامة جمعت لرجل اسمه أبو منصور بن عبدالرزاق الطوسى . فمن أبو منصور هذا ؟ هو محمد بن عبد الرزاق الذى ولى خراسان من قبــل السامانيين، وجعله منصور بن نوح قائد

(١) الحماسة الإيرانية ص ٢٦ (٢) الآثار ص ١١٦ . (٣) الآثار ص ٣٨

خراسان سنة ٣٥١ هـ، ومات بعد هذا بقليل . وأظنه لم يدرك سنة ٣٦٠، وهو تاريخ جمع الشاهنامه في مقدّمة بايسنقر، كما تقدّم . وفي المقدّمة الأخرى أنه أمر بجمع الكتاب سنة ٣٤٦[1] فهذا يلائم تاريخ أبي منصور .

ويمكن أن يقال أن هذا الكتاب حوى ما في خداى نامه وأشباهها من كتب سير الفرس، وأن معظمه نقل من كتب فارسية قديمة كتبت في عهد الساسانيين، وأن جامعي الكتاب ومترجميه أضافوا الى ذلك كثيرا من القصص والأمثال والخطب . فما كانوا ليتركوا أثارة من سير آبائهم الأولين . ومن ذلك، في رأي الأستاذ نلدكه، اكثر الحكايات القصيرة التي تروى عن بهرام كور والتي لا تلفى في الكتب العربية التي أخذت عن خداى نامه . وكذلك أدخل في الكتاب قصص أجنبية لم تكن في خداى نامه كقصة اسكندر التي في الشاهنامه . فان تعظيم اسكندر وإدخاله في عداد الإيرانيين حدث في العصر الإسلامي[2] .

ونحن نجد اليوم بعض قصص الشاهنامه في كتب فهلوية وفارسية متأخرة مثل قصة نقل الشطرنج الى إيران التي يظن أنها كتبت في العصر الإسلامي . فلا يبعد أن تكون مثل هذه القصص زيدت عند جمع الكتاب، على ما كان في خداى نامه .

والخلاصة أن هذا الكتاب، فيما يظن، جمع ما وعاه علماء المجوس بالحديث أو الكتابة، من تاريخ الفرس القدماء .

الفصل الرابع — نظم الشاهنامه المنثورة

١ — يقول الفردوسي في مقدّمة الشاهنامه[3] :

"كان من آثار الغابرين كتاب مملوء بالقصص تقسمته أيدي الموابذة، وحرص كل عاقل على قطعة منه . وكان من نسل الدهاقين بطل عاقل ذكي جواد يتحرّى آثار الأولين، ويتتبع قصص الماضين . فدعا اليه كل موبذ قد وعى أثارة من هذا الكتاب، وسألهم عن أنساب الملوك والأبطال النابهين ... ... فلما سمع منهم شرع يؤلف من ذلك كتابا عظيما الخ" .

ليس يبعد أن يكون هذا « البطل العاقل الذكي الجواد » هو أبا منصور بن عبد الرزاق الذي ذكر آنفا . وكان جمعه الشاهنامه في حياة الفردوسي . ثم هو يمدح في المقدمة صديقا أغدق

(١) الحماسة الإيرانية ص ٢٦ (٢) الحماسة الايرانية ص ٢٧ وما بعدها . (٣) ص ٦ ج ١، الآتية .

عليــه من ماله حتى يفرغ لنظم الشاهنامه . وهذا المدح تحت عنوان "مدح أبى منصور بن محمد" فى بعض النسخ . وفى بعضها "أبو منصور محمد" . ولكنى أحسب هذا أبا منصور غير أبى منصور ابن عبدالرزاق ، وأظن ابن عبدالرزاق مات قبل أن يشرع الفردوسي فى نظم الكتاب . على أن الفردوسى لم يسمه جامع الكتاب .

ثم الأربعة الذين ترجموا الكتاب ، وقد ذكرت أسماؤهم آنفا ، كانوا مجوسا كما يتبين من أسمائهم . ولم يكن غير المجوس إذ ذاك يُعنى بالفهلوية ويجيــد قراءتهــا . والفردوسى يذكر اسم واحد منهــم : شادان بن بُرزين فى أوّل قصة كليلة ودمنة كأنه الذى حدثه بهذه القصــة[1] . ويرى الأستاذ نلدكه أن شاهوى الذى يذكره الفردوسى راويا فى مفتتح قصة وضع الشطرنج[2] قد يكون تحريف ما هوى أحد الأربعة المترجمين ، وأن ماخًا مرزبان هراة الذى يروى الفردوسى عنــه سيرة هرمزد بن أنو شروان[3] يمكن أن يكون هو تاجا أحد هؤلاء الأربعة ، وفى اسمه اختلاف كثير[4] .

فان صح هذا فهو ، الى ما يذكره الفردوسى فى المقــدّمة ، يرجح أن الفردوسى نظم الشاهنامه التى جمعت لأبى منصور بن عبد الرزاق .

٢ — الدقيقى ونظم الشاهنامه :

ترعرعت الآداب الفارسـية فى القرن الرابع وأعان على نمـائها وازدهارها الملوك السامانيـون فنظم الشعر فى موضوعات شتى ، وأمر السامانيون بترجمة تاريخ الطبرى وتفسيره ، وترجمــة أخبار الفرس من الفهلوية الى الفارسية الحديثــة . والسامانيون ينتسبون الى بهرام جو بين القائد الفارسى الذى ثار على كسرى پرويز .

شرع الدقيقى الشاعر ينظم الشاهنامه فبــدأ بتاريخ گُشتاسپ (گُشتاسپ نامه) ويقال أنه نظم امتثالا لأمر الملك نوح بن منصور السامانى . فهو إذا لم ينظم قبل سنة ٣٦٥

وينبغى أن نذكر هنا طرفا من أخبار هذا الشاعر :

أبو منصــور محمد بن أحمد الدقيقى[5] من شعراء القرن الرابع الهجرى . يقول عوفى فى لبــاب الألباب[6] أنه كان فى خدمة الأمراء الجغانيين ويروى أبياتا له فى مدح الأمير أبى سعيد محمد بن المظفر

(١) الشاهنامه : مول ج ٦ ص ٤٤٤ (٢) = ص ٤٠٠ (٣) ص ١٧٠ ج ٢ ، الآتية .
(٤) الحماسة الايرانية ص ٢٨ (٥) يختلف فى اسمه واسم أبيه ، ويرى نلدكه أن هذا الاسم الاسلامى اختراع من ينكرون أنه زردشتى . (٦) ج ٢ ص ١١ و ١٢

ابن محتاج الجغانى (المتوفى سنة ٣٢٩) . وكذلك يروى من مدائحه فى الأمير السعيد منصور بن نوح السامانى (٣٥٠ــ٣٦٥) والأمير الرضى نوح بن منصور (٣٦٥ — ٣٨٧) . ويقول صاحب تاريخ گزيده أنه كان معاصرا للأمير نوح بن منصور[١] . ويؤخذ من ذلك أنه عاش الى سنة ٣٦٥ ، ويرى بعض المؤلفين أنه توفى ما بين ٣٦٧ و ٣٧٠

ويختلف الرواة فى مولده بين طوس وبلخ وبخارى وسمرقند . ولو كان طوسيا لذكر الفردوسى فى مقدمته أنه من بلده .

وقد اغتاله أحد عبيده ليلا، ويقول الفردوسى فى مقدمة الشاهنامه :

"ولكن سوء الخلق كان خدن شبابه فكان يقطع أوقاته بالبطالة وصحبة الأشرار حتى بغته الموت فتوجه بتاجه الأسود[٢] " .

ويرى بعض الكتاب، ومنهم الأستاذ نلدكه ، أن الدقيقى كان على دين زردشت ويستدلون ببيتين رويا عنه ، ويقول نلدكه أن بدءه بقصة زردشت حينما شرع ينظم أخبار الفرس ، وتعظيمه دين زردشت فيما نظم يؤيد ما يفهم من هذين البيتين . وهما :

دقيقى چار خصلت بركزيده است   بگيتى أز همه خوبى وزشتى
لب يا قوت رنگ ونالهٔ چنگ   مى خون رنگ ودين زردهشتى[٣]

أى "الدقيقى اختار أربعة أشياء من كل الخير والشر فى الدنيا : الشفة فى لون الياقوت، وزمزمة العود، والخمر القانية، ودين زردهشت " .

ويرى الأستاذ براون، ورأيه أشبه بالصواب ، أنه لا ينبغى التعويل على هذين البيتين كثيرا فلعل الشاعر اختار دين زردهشت لأنه يبيح شرب الخمر لالأنه يدين به[٤] .

على أنى أخذتنى الريبة فى الدقيقى حين قرأت قوله عن نوبهار بلخ فى مفتتح ما نظمه :

كه آتش پرستان بدان روزكار   مر آن خانه راداشتندى چنان   كه مر مكه راتازيان اين زمان

أى " الذى كان عند عباد النار فى ذلك العهد كمكة عند العرب فى هذا الزمان " . وشتان بين هذا وبين كلام الفردوسى عن الكعبة فى قصة اسكندر .

(١) تاريخ گزيده ص ٨١٨   (٢) ص ٩ ج ١ السابقة .   (٣) مول ج ١ ، XVIII
(٤) تاريخ آداب الفرس لبراون ج ١ ص ٩ه٤

كان للدقيقى صيت فى الشعر ذائع بين القدماء، فالعتبى يقول فى كتابه اليمينى، عن شعراء السلطان محمود الغزنوى: "لازدحام شعرائها (شعراء الفارسـية) على بابه الرفيع بقصائدهم التى قد غبّروا بها فى ديباجة الروذكى، وصـنعة الخسروى والدقيقى"[1]. ويروى نظامى العروضى فى كتابه چهار مقاله أن العميد أسعد وزير الأمير أبى المظفر الجغانى حينما قدم اليه الفرّخى الشاعر قال له : لقد جئتك بشاعر لم ير أحد مثله منذ وارت الأرض الدقيقى[2].

وقـد اقترن اسم الدقيقى باسم الفردوسى إذ كان السـابق الى نظم الشاهنامه فنظم ألف بيت ثم حالت المنية دون أمنيته. وقد أدرج الفردوسى ما نظمه الدقيقى فى الشاهنامه إجابة لرجاء الدقيقى فى الرؤيا[3].

وينبـغى ألا يلتفت الى قول عوفى فى لباب الألباب أن الدقيـقى نظم عشرين ألف بيت وزاد الفردوسى ستين ألفا، وقول صـاحب تاريخ گزيده أنه نظم ثلاثة آلاف بيت، فهما روايتان تكذبهما الشاهنامه، ورواية ثقات المؤرخين.

٣ — الفردوسى والشاهنامه :

يقول الفردوسى فى مقدّمة الشاهنامه، عن الدقيقى الشاعر « فلمـا قرئت هـذه القصص على الناس أعارتها الدنيا سمعها وقلبها، وأولع بها العقلاء والحكماء. حتى ظهر فتى فصيح اللسان، حسن البيان، ذكى الفؤاد فقال : سأنظم هذا الكتاب ففرح الناس به أى فرح ... ... ثم انقلب به جدّه فقتله أحد عبيـده؛ نظم ألف بيت عن گشتاسپ وأرجاسپ ثم انتهى عمره فذهب والكتاب لم ينظم» . ثم يقول: «فلما يئس قلبى منه (الدقيقى) توجهت تلقاء ملك العالم لعلى أظفر بهذا الكتاب فأنظمه. سألت أناسا لا يحصيهم العدّ وأنا أوجس خيفة من غير الزمان، وأخشى ألا تمتدّ بى الحياة فأتركه لغيرى ... ... وكان فى المدينة صديق لى كأنى وإياه نفس واحدة فقال : لقـد هديت للرشاد، وسارت قدمك فى سبيل السداد. أنا كفيل بهذا الكتاب الفهلوى فلعلك لاتنام عنه ... ... فلما أحضر إلىّ هذا الكتاب أضاءت روحى المظلمة الجناب ... ... لمـا ظفرت بهذا الكتاب أتيح لى أحد الكبراء فتى من ذرية الأبطال عاقل حازم ذكى سديد الرأى، شديد الحياء، فصيح المنطق، حلو الحديث. قال : ما ذا أفعل ليفرغ بالك للنظم؟ سأواسيك بمـا تملك يداى، ولا أفضى الى أحد بحاجتك. فلبثت فى كنفه كالتفاحة الغضـة يحاذر أن يمسنى من الرياح ضر» . ثم يذكر أن

(١) ج ١ ص ٥٢ (٢) ص ٣٩ (٣) ص ٣٢٢ ج ١ الآتية.

هذا الصديق قتل . ويقول إنه كان نصحنى فقال : « اذا يسر الله لك هذا كتاب الملوك فأهده الى الملوك[1] » .

فهذا برهان أن الفردوسى نظم من كتاب — كتاب أخبار ملوك الفرس الذى بدأ الدقيق نظمه قبل . والفردوسى يعلن أثناء الكتاب ، فى أوائل بعض القصص وخواتمها ، أنه نظم ما سمعه من الدهقان أو من فلان ، وأنه يستقصى ما يروى له فلا يدع منه شيئا . وفيما يأتى أمثلة :

يبدأ فصل كيومرث ، وهو فاتحة القصص ، بقوله : « ما ذا يقول الدهقان الفصيح » ثم يقول : «كذلك قال الذى عنده كتاب الماضين ، المحدث عن سير الأبطال[2] » .

ويقول فى مقدّمة قصة سياوخش :

زكفتار دهقان چنين داستان　　　تو برخوان وبركوى أزباستان

”اقرأ من قول الدهقان قصة كهذه ، وحدث عن الماضين“ . ويبدأ القصة بقوله : ”كذلك قال الموبذ[3] “ .

وفى مقدّمة قصة كاموس الكاشانى يقول :

كنون رزم كاموس پيش آوريم　　　زدفتر بكفتار خويش آوريم
بكفتار دهقان كنون باز كرد　　　نكر تاچه كويد جهانديده مرد

”الآن نشرع فى حرب كاموس وننقلها من الدفتر الى كلامنا ، فارجع الان الى قول الدهقان لتنظر ما ذا يقول الرجل المجرّب“ . ويقول فى آخر هذه القصة :

سرآوردم اين رزم كاموس نيز　　　درازست ونفتاد زويك پشيز
كر ازداستان يك سخن كم بدى　　　روان مرا جاى ماتم بدى

”ختمت هذه الحرب حرب كاموس أيضا ، وما سقط منها ، على طولها ، قطمير . ولو ضاع من هذه القصة كلمة واحدة ، لقام عليها بنفسى مأتم[4] “ .

وهو يحدّثنا فى أوّل قصة بيژن ومنيژه أنه أرق ليلة فصاح بالغلام فجاء بالشراب والرباب وشرع يسقيه ويغنى ثم قال له : ” إن كنت لا تنام فأصغ إلىّ حتى أقرأ عليك من الكتاب

(١) انظر ص ١٠ ، ١١ حـ ١ — الآتية .
(٢) انظر ١٦ حا ، ج ١ الآتية .
(٣) شاهنامه : مول ج ٢ ص ١٩٤ و ١٩٦
(٤) مول ج ٣ ص ٢٦٨

الفهلوى قصة لتنظمها . وكان يقرأ وأنا أنظم . ولمـا نظمت الحكاية قلت : أرع سمعك الى الخ»[1]
ويقول فى آخر هذه القصة :

تمـامى بكفتم من اين داستان بدينسان كه بشنيدم از باســتان[2]

« أتممت هذه القصة كما سمعتها عن الغابرين »

وكذلك يقول فى قصة مقتـل رستم : « كان عنـد أحمد بن سهل بمرو رجل طاعن فى السن يسـمى سروا ، وكان ينتسب الى سام بن نيرم . وكان حُفَظة لأحوال آبائه وأخبار أسلافه فحكى الخ»[3] . وقد اختصر البندارى فى ترجمة هذه العبارة ، والأصل الفارسى يبين أن سروا هذا كان عنده كتاب الملوك وأن الفردوسى نظم عنه ما وجد[4] .

وأمثال هـذا فى الشاهنامه كثير . وليس يحتاج الباحث الى دليل آخر ليعرف أن الفردوسى كان ينظم قصصا مكتوبة لا يحيد عنها .

وأما ذكر الفـردوسى هؤلاء الرواة كأنهـم حدّثوه أو حُدّث عنهم فلا يدل على شيء أكثر من أن القصص التى أمامه أسندت فى الكتاب الى هؤلاء . ومن أجل هذا نجده يقول فيما تقدّم أنه ينقل من الدفتر ثم يقول : فارجع الآن الى قول الدهقان . وكذلك نجده يروى عن سرو الذى كان عند أحمد ابن سهل . وأحمد هذا مات سنة ٣٠٧ هـ[5] . أى قبل مولد الفردوسى .

الفصل الخامس — تاريخ الفردوسى

أعرض على القارئ خلاصة ما روى عن الفردوسى فى مقدّمة بايسنقر التى ذكرت آنفا ، ثم أبين جوده من زائفه ، آخذا ، ما استطعت ، تاريخ الشاعر من كلامه ؛ وأنا أفصّل هذه الروايات بالأعداد ثم أنقدها على ترتيبها :

(١) هو أبو القاسم منصور بن مولانا فخر الدين أحمد بن مولانا فرّخ الفردوسى .

لمـا ولد الفردوسى رآه أبوه فى المنام على سطح عال متجها تلقاء القبلة يصيح فيُسمع رجع صوته من كل جانب . فذهب الى الشيخ نجيب الدين ، وقص عليه الرؤيا فعبرها بأن الفردوسى سيكون فصيحا يسمع صوته فى أربعة أركان العالم فيتلقاه الناس بالقبول . ولمـا بلغ الفردوسى سن التعلم شغل بالعلم وفاق أقرانه ، وعكف على قراءة الكتب .

---

(١) ص ٢٣٨ ج ١ الآتية . (٢) مول ج ٣ ص ٤١٠ (٣) ص ٣٦٥ ج ١ الآتية .
(٤) مول ج ٤ ص ٧٠٠ (٥) ابن الأثير حوادث سنة ٣٠٧

وكان يحبب اليه الجلوس على جدول يرفده نهر طوس، ويأنس بالماء الجارى ، ويغتم كلما طغا السيل بجرف السّد فانقطع المـاء . وكان يتمنى أن يبنى سدّ المـاء بالحجارة والآجر والحديد ، ونذر أن ينفق فى هذه السبيل ما يحصله من مال .

(٢) ويقال إنه سمع أن الدقيقى الشاعر كان ينظم الشاهنامه وقتل ، وأن السلطان محمودا يود أن ينُظم الكتاب . وكان الفردوسى يتطلع الى نظمه ويطمح الى بلوغ أمله من بناء مجرى المـاء . فصح عزمه حينئذ على الاضطلاع بالعبء الباهظ .

ولم يكن لديه كتاب الملوك كله فاستشار صديقا له اسمه محمد لشكرى فرغبه وحرضه على ماتصدّى له ، وأخبره أن لديه الكتاب كاملا . فذهب الشاعر يستمدّ الشيخ محمـدا معشوقا أحد أوليـاء طوس فبشره بأنه سيبلغ ما يريد . ووثق الفردوسى ببشارة الشيخ .

(٣) بدأ الفردوسى فنظم حرب أفريدون والضحاك فأولع الناس بنظمه . وكان أبو منصـور والى طوس من قبَل السلطان . فلما سمع شعر الفردوسى أعجب به وأحسن اليه وأمره بالمضى فى عمله ، والتزم له بحاجاته . ثم مات أبو منصور فوهن الفردوسى . ومرثية أبى منصور فى مقدمة الشاهنامه ، بعد ذكر محمد لشكرى .

(٤) أرسل السلطان بعد أبى منصور أرسلان خان واليا على طوس . وكان السلطان قد سمع بالفردوسى فأمر أرسلان خان بإشخاصه الى غزنة ، فاعتذر الفردوسى ، واستعفى فلم يجده ذلك . ثم تذكر قصة الشيخ معشوق فعزم على الاجابة . حتى اذا بلغ هراة أتاه من غزنين خبر ساءه فتوقف هنالك ؛ ذلك أن بديع الدين صاحب ديوان الرسائل قال للعنصرى والرودكى(١) ! أن قدوم الفردوسى واضطلاعه بنظم الكتاب يغضّ من شعراء السلطان .

فأرسلا الى الفردوسى أنه لا فائدة فى قدومه ، فان السلطان لا يذكره قط . فتردد الفردوسى ثم خاف أن تكون خدعة فتلبث أياما فى دار أبى بكر الوراق . ثم كان بين العنصرى وبديع الدين مشاقة فقال العنصرى لصاحبه : أنت رددت الفردوسى عن غزنة . وخشى بديع الدين مؤاخذة السلطان فأرسل الى الفردوسى أن الرسالة الأولى كانت من حسـد العنصرى والرودكى . فان كان يستطيع أن يجاريهما فى مضمار البلاغة فليحضر . فكتب فى الرسالة أبياتا يعتـد فيها بنفسه ويذكر أن العنصرى والرودكى لا خطر لهما عنده . ثم سار من هراة الى غزنة .

(١) ذكر الرودكى هنا غلط . فالرودكى توفى سنة ٣٢٩ ، ولم يدرك الدولة الغزنوية .

وتروى فى قدومه الى غزنة رواية أخرى : ذلك أن الفردوسى سار الى غزنة متظلما من عامل طوس. فلما بلغها نزل فى بستان ليصلى . وكان السلطان قد فرّق سبع قصص من كتاب تاريخ الفرس على سبعة شعراء ليرى أيهم أجود نظما فيكل اليه نظم الكتاب . فاتفق أن العنصرى والفرّخى والعسجدى نزلوا فى ذلك البستان وخلوا فى ناحية منه. فلما رآهم الفردوسى قصد قصدهم فكرهوا أن يجلس معهم، وحسبوه زاهدا ثقيلا، وأرادوا أن يدفعوه عنهم بأية وسيلة . فاتفقوا أن ينظم كل منهم شطرا على قافية نادرة ثم يكلفوه بالشطر الرابع . فنظموا أشطرا ثلاثة فى الغزل تنتهى بالكلمات "روشن، كلشن وجوشن" فأجاز الفردوسى : "مانندسنان كيودر جنك پشن" (أى مثل سنان كيو فى موقعة پشن) يشير الى قصة من قصص الشاهنامه . فلما عرفوا فضله سدّوا عليه السبيل الى السلطان محمود . وكان للسلطان نديم اسمه ماهك لقى الفردوسى فى هذا البستان وحادثه فأعجب بعلمه وفصاحته فدعاه الى داره . ثم سأله عن موطنه ومقصده فأخبره الفردوسى خبره كله . وأخبره النديم باهتمام السلطان بنظم كتاب الملوك . فسر الفردوسى وأخبره أنه شاعر، وسأله أن ينهى أمره الى السلطان . وظل ماهك سبعة أيام لا يجد الوسيلة الى إخبار السلطان خبر الفردوسى . فسأله الفردوسى أن يبلغه حضرة السلطان . وأخبره ماهك أن الشعراء اجتمعوا وعرضوا شعرهم على السلطان فبذّهم العنصرى ببيتين من قصة رستم وسهراب . فنظم الفردوسى القصة خفية ثم قال لماهك : إنى نظمت كتاب الملوك من قبل، وعندى قطعة منه هى أبلغ من شعر العنصرى . وأعطاه القصة فأبلغها السلطان، وأخبره بكل ماعلم من أمر الفردوسى . فأمر باحضاره فسأله : أنظمت كتاب الملوك . قال الفردوسى، بعد الدعاء للسلطان : إنى رجل غريب من طوس، فزعت الى عدل السلطان . فلما سمعت قصة كتاب الملوك نظمت هذه الحكاية . ففرح السلطان وسأله عن طوس وأهلها . ثم سأله عمن بنى طوس. فقال : طوس بن نوذر . وذكر خبر فرود بن سياوخش كما فى الشاهنامه (١) . فلما عرف السلطان أنه عالم بسير ملوك العجم أمر باحضار الشعراء السبعة وقال لهم : هذا رجل شاعر قد نظم قصة رستم وسهراب . فتحير الحاضرون من بلاغة نظمه . وخلع عليه السلطان . وقبل العنصرى يد الفردوسى . ثم اقترح السلطان على الفردوسى أن يرتجل بيتين فى طرة أياز خادمه ففعل وأعجب بهما السلطان وعهد اليه أن ينظم كتاب الملوك .

هيئ للشاعر مكان فى قصر السلطان، وعلقت فيه آلات الحرب، وصور الأبطال وملوك إيران وتوران . ولم يؤذن لأحد أن يدخل عليه غير غلام وأياز " وكان السلطان يثنى على شعره، ويقول:

(١) ص ٢٠٥ ج ١ الآتية .

سمعت هذه القصص مرارا ولكن نظم الفردوسى شيء آخر. وقال له : إنك صيرت مجلسنا فردوسا . ولقّبه الفردوسى .

وأمر السلطان الميمندى الوزير أن يعطيه ألف مثقال ذهب كلما نظم ألف بيت . وكان الفردوسى لا يأخذ المال، يبغى أن يدخره لبناء سدّ طوس، كما تقدّم .

(٥) أكمل الفردوسى الشاهنامه، وسلمها الى أياز فعرضها على السلطان فاستحسنها وأمر أن يعطى حمل فيل ذهبا . فقال الميمندى للسلطان : إنى أخشى أن يقتله الفرح إذا مُنح هذا المقدار . وقال آخر : حرام أن يعطى شاعر فرد ستون ألف مثقال ذهب . حسبه مثلها فضة . فأمر السلطان أن يعطى ٦٠ ألف مثقال فضة . وأرسلها الميمندى مع أياز . وكان الفردوسى إذ ذاك فى الحمام . فلما رأى الفضة قال : ما بهذا أمر السلطان . فأخبره أياز بما كان بين السلطان والميمندى . فغضب الفردوسى وقسم المال أثلاثا بين أياز والحمامىّ وفقاعىّ شرب من عنده شربة فُقّاع . ثم قال لأياز: أبلغ السلطان أنى ما تحملت هذا العناء للدرهم والدينار ولكن للثناء الحسن والذكر الخالد .

غضب السلطان على الميمندى وقال : عرّضت عِرضى لألسنة الشعراء . قال الميمندى : إن منحة السلطان تشريف كثرت أم قلت . ولو أرسلت اليه قبضة من تراب لوجب أن يقبلها ويكتحل بها . فثارت ثورة السلطان وقال : لأرمينّ هذا القرمطى تحت أرجل الفيلة غدا . وأجعله عظة لسيئ الأدب .

خاف الفردوسى وتحير . فلما خرج السلطان فى الصباح الى المتوضأ ارتمى على قدميه وقال : إن الحاسدين قرفونى عند السلطان بما أنا منه براء . واعتذر عما فعل بعطية السلطان . وقال : هبنى واحدا من المجوس أو اليهود والنصارى الذين فى مملكتك .

رضى السلطان وعاد الفردوسى الى مسكنه فأحرق بضعة آلاف بيت فى مسوداته . ثم ذهب الى المسجد الجامع وكتب على الجدار عند مجلس السلطان بيتين معناهما أن حضرة السلطان كالبحر الذى لا قرار له . فان غصت فيه فلم أظفر باللآلئ فذاك ذنبى لا ذنب البحر .

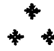
وأعطى أيازا كتابا وأوصاه أن يسلمه للسلطان بعد ٢٠ يوما ثم ودّع أيازا وخرج راجلا ليس معه من زاد السفر ومتاعه شيء . وخاف الناس أن يزوّدوه للسفر ولكن أيازا أرسل وراءه الزاد خفية . وبعد عشرين يوما قدم أياز الكتاب للسلطان فاذا فيه الهجاء المشهور (فغضب السلطان وأمر بتعقبه، وجعل ٥٠ ألف درهم لمن يأتيه به . ولكنه فات جهد الطالبين[1]) .

(١) ما بين القوسين من المقدّمة الثانية، مول ج ١ XL

(٦) شاع أمر الفردوسى، وألم الناس لمـا أصابه . وبلغ الخبر قُهستان . وكان واليها ناصر لك معجبا بالفردوسى فأرسل جمـاعة من خواصه فجاءوا به الى قهستان فأكرمه . وكان الفردوسى يريد أن يهجو السلطان فاحتال ناصر حتى عدل به عن الهجاء، وأعطاه مائة ألف درهم . وسكنت ثائرة الفردوسى فندم على الأبيات التى أنشأها .

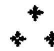
ثم كتب ناصر الى السلطان يعجب من حرمان شاعر كالفردوسى بعد تحمله هذا العناء . ويبين للسلطان فقر الشاعر واحتياجه .

بلغ كتاب ناصر يوم الجمعة . وكان السلطان لم يذهب الى الجامع منذ خرج الفردوسى من غزنة الا ذلك اليـوم فقرأ على جدار المسجد البيتين اللذين كتبهما الفـردوسى ثم رجع الى قصره فاذا كتاب ناصر . واغتنم الفرصة جماعة من مقربى السلطان، المعجبين بالشاعر فندم السلطان وغضب على من أشار عليه بالذى فعل، وعنف الميمندى وقتله .



(٧) هرب الفردوسى الى مازندران ، وأصلح الشاهنامه وألحق بهـا مديح والى مازندران[١] . وكان إذ ذاك من أبناء شمس المعالى قابوس بن وشمكير بن منوچهر بن شمس المعالى[٢] (؟) وابنه صهر السلطان، وهو ابن بنت مرزبان بن رستم بن شروين مؤلف مرزبان نامه . وكان من غلاة الشيعة . فسرّ الوالى به وبالغ فى إكرامه، وأراد أن يمسكه عنده لولا خوف السلطان محمود . فوصله واعتذر اليه وأمره بالرحيل .

(٨) فتوجه تلقاء بغداد وبقى فيهـا أياما حتى لقيه بعض أصدقائه من التجار فوعده أن يبلغه حضرة الخليفة . ثم اتصل الفردوسى بالوزير ومدحه بقصيدة عربية بليغة فأعجب به الوزير وأنزله فى داره، ومنّاه مكانة عند الخليفة . ثم رفع أمره الى الخليفة فأمر باحضاره وأكرمه فنظم فى مدحه ألف بيت .



(٩) فلما أقام ببغداد وعلم أن الخليفة والناس لم يستحسنوا كتابه فى ملوك المجوس نظم قصـة يوسف وزليخا فأعجب بها الخليفة وأهل بغداد وزادوه إكراما .

---

(١) ليس فى الشاهنامه أثر من هذا المدح . (٢) لعله يريد فلك المعالى منوچهر بن شمس المعالى قابوس .

(١٠) تحسس السلطان محمود حتى عرف مستقر الفردوسى فأرسل الى الخليفة يهدده أن يطأ بغداد بالفيلة إن لم يرسل اليه القرمطى . فكتب الخليفة على ظهر كتاب محمود : "ألم والسلام" . تحير السلطان فى رسالة الخليفة حتى فسرت له بأن الخليفة أراد أن يجيب تهديد السلطان إياه بالرمز الى سورة الفيل : ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل الخ .

(١١) ثم كان شقاق بين محمود وبعض الأمراء فأراد أن يكتب اليه مهددا بالحرب . فاستشار وزيره فيما يكتب اليه فكتب بيت الفردوسى :

أكر جزبكام من آيد جواب　　من وكرز وميدان وأفراسياب

(إن لم يأت الجواب كما أريد فأنا والدبوس والميدان وأفراسياب) .

فقال السلطان، وتذكر الفردوسى : إن هـذا المسكين لم يظفر منا بشىء ثم أمر أن يعطى ستين ألف دينار وخلعة، ويعتذر اليه . وسمع الفردوسى بعطف محمود فسار من بغداد الى طوس .

(١٢) وكان يسير يوما فى سوق طوس فسمع صبيا ينشد بيتا من هجائه :

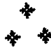
أكر شاه را شاه بودى پدر　　بسر بر نهادى مرا تاج زر

(لو كان للملك أب فى الملوك لوضع على رأسى تاجا من الذهب) .

فتحسر الفردوسى وغشى عليه فحمل الى داره فاذا هو ميت . وبينا يسار بالشاعر الى قبره جاءت صلة السلطان محمود .

(١٣) عرضت العطية على ابنته فلم تقبلها، وقالت أخته : إن أخى كان يود أن يبنى سد طوس بالحجر والحديد ليبقى ذكرا له فأنفقوا المال فى هذا . ففعلوا . ويسمى هذا السد سد عائشة فرخ، وآثاره باقية . وذكر ناصر خسرو فى كتابه سفرنامه أنه فى سنة ٤٣٨ مر بطوس فرأى رباطا كبيرا حديث البناء فسأل فقيل : إنه بنى من صلة السلطان محمود للفردوسى . وقيل : إن السلطان لما علم أن الفردوسى مات، وأن وارثه لم يقبل المال أمر أن يبنى به عمارة .

(١٤) دفن الفردوسى فى بستان له . وأبى الشيخ أبو القاسم الجرجانى أن يصلى عليه بما أضاع عمره فى سيرة عبدة النار . ورأى الشيخ فى منامه الجنة، وبصر فيها بقصر عظيم فدخل فاذا سرير من الياقوت . فسأل لمن هذا السرير؟ فأجاب رضوان : للفردوسى . وتبدى الفردوسى حينئذ فى لباس من سندس وتاج كالزمرد . فسأل الشيخ : يا فردوسى من أين هذه العظمة ؟ قال : ببيتين قلتهما فى توحيد الله . وذكر بيتين من الشاهنامه . فلما استيقظ الشيخ ذهب فصلى على قبر الفردوسى وأخبر الناس برؤياه . اه .



هذه خلاصـــة مقدّمة بايسنقركما فى نسخة تبريز . وهى، بغضّ النظر عن خرافاتها، مضطربة بعض الاضطراب . فبعد أن تقص علينا شـفاعة ناصر لك عند السلطان محمود وندم السلطان على ما فعل بالفردوسى ، وقتله الميمندى من أجل ذلك[1] تصف لنا الشاعر مذعورا هاربا الى مازندران ثم بغـداد، وتصف محمودا منقبا عنه مهددا الخليفــة من أجله . ثم تصف موت الفردوسى حسرة حينما سمع الصبى ينشد بيتا ممـا قاله فى هجاء السلطان بعد أن تذكر أنه رجع الى طوس عالما أن السلطان أمر له بالعطاء . فان كان السلطان قبل شـفاعة ناصر لك وقتل الوزير الميمندى من أجل الفردوسى ثم أمر بعدُ بأن يعطى سـتين ألف دينار ففيم هربُ الفردوسى وموته حسرة ؟ فى ثنايا المقدّمة أبيـات متفرّقة تساير القصــة ويظهر أنها سيرة منظومة تقص عن الشاهنامه والفردوسى . ومن هــذه الأبيات يظهر أن الفردوسى سافر من غزنه الى مازندران لا الى قهستان . وهذا يوافق ما فى الروايات الأخرى : أن مسيره الى قهستان وشفاعة ناصر لك كانتا بعد مفارقة بغداد[2] . بهــذا يستقيم سياق القصة بعض الاستقامة .

وفيما يلى نقد هذه الأخبار، والاستشهاد بكلام الفردوسى نفسه فى تبيين سيرته ونظمه الشاهنامه وعلاقته بالسلطان محمود الغزنوى وغير ذلك .

وسأسير فى النقد على نسق الأعداد، التى تقسمت الأخبار المتقدّمة .

نقد هذه الأخبار وتحقيق سيرة الفردوسى :

لا بدّ قبــل نقد هذه الروايات أن نتحرّى مولد الفردوسى حتى اذا جزمنا فيــه برأى اهتدينا به فى تحقيق كثير من أخباره :

إذا اتخذنا خاتمة الشاهنامه مبدأ البحث، كما فعل مول ونلدكه ، فالخاتمة فى نسختى مول وتبريز وترجمة ورنر تتضمن هذه الأقوال: "حينما أتى على خمس وستون سنة زدت همى ونصبى، واحتجت الى تاريخ الملوك وتأخر كوكبى" ثم " ولما بلغتْ السنون إحدى وسبعين علا على الفلك شعرى . لبثت خمسا وثلاثين ســنة فى هذه الدار الحائلة أحمل النصب من أجل الذهب . فلما ذروا نصبى مع الريح ذهبت الخمس والستون سدى . والآن يقارب عمرى الثمـانين وقد ذهبت كل آمالى أدراج

(١) لم يقتل السلطان الوزير الميمندى ولكن حبسه سنة ٤١٢، لأمر آخر .

(٢) مول ج ١ ص XLII وما بعدها .

الرياح . انتهت الآن قصة يزدجرد فى يوم أرد من شهر سـفندارمذ . وختمت هذا الكتاب الملكى حين مضى من الهجرة أربعمائة عام[1]".

ظاهر هـذا الكلام أنه زاد اهتمامه بنظم الكتاب وهو فى سن خمس وستين، وأنه حينما بلغ الاحدى والسبعين كان قد أمضى خمسا وثلاثين سنة فى نظم الكتاب، وأن سنه حين ختم الكتاب سنة ٤٠٠ كانت تقارب الثمانين . ولكن القارئ يعجب من ذكر هذه الأعمار المختلفة على هذا النسق فى خاتمة الكتاب، ويرى فى الخاتمة بعض الاضطراب . ويتبين هذا الاضطراب والتناقض بمطالعة خاتمة الكتاب فى مخطوطات مختلفة : فى بعض المخطوطات أن ختم تاريخ يزدجرد، وأظن المراد ختم الشاهنامه كلها ، كان سنة ٣٨٤ . وهـذا التاريخ نفسه يذكر وحده فى خاتمة الترجمة العربية فى النسخ التى رأيتها كلها . ثم خاتمة أخرى قدّم بها الكتاب إلى أحمد بن محمد بن أبى بكر الخالَنجانى تبين أن ختم الكتاب كان سنة ٣٨٩ . فهل الأعمار الثلاثة المبينة فيما تقدّم بقايا ملفقة من خواتم للكتاب مختلفة، فى التواريخ الثلاثة : سنة ٣٨٤، ٣٨٩، ٤٠٠؟ هذا يظهر عند النظرة الأولى رأيا سديدا؛ فان تكن سن الشاعر كانت ثمانين سنة ٤٠٠ فقد كانت سنه قريبا من إحدى وسبعين سنة ٣٨٩ ، وقريبا من خمس وستين سنة ٣٨٤ . ولكن إن استقامت هـذه الأعمار المختلفة فى قياسها الى السنين المختلفة فليست تلتئم مع أخبار أخرى يحدث بها الشاعر نفسه فى ثنايا كتابه :

فأما سنّ الثمانين فلا تلائم ما يذكره الشاعر عن عمره فى مواضع أخرى ، وقد سبق الى إدراك هـذا مول فى مقدمته للشاهنامه[2] : ذلك بأن الشاعر يقول فى فاتحة حرب كيخسرو وأفراسياب أبياتا فى مدح السلطان محمود يفهم منها أنه كان فى سن ثمان وخمسين حينما ولى محمود الملك . ومحمود تولى سنة ٣٨٧ . فان يكن قد كان فى سن ٥٨ سنه ٣٨٧ فكيف بلغ سن الثمانين سنة أربعمائة؟ ثم هو يقول فى بعض المواضع أن سنه ثلاث وستون[3] ثم يتبع هـذا بمدح السلطان محمود . ولو كانت سنه ثمانين، سنة ٤٠٠ لكان فى السابعة والستين عام تملك السلطان ، فكيف مدحه سلطانا وهو فى سن ٦٣ ؟ لا يمكن اذا أن نقبل أن سنه كانت ثمانين عام ٤٠٠ إلا بتأويل : محمود ولى خراسان من قبَل السامانيين عام ٣٨٤ . فاذا فرضنا أن هذه الولاية هى التى عناها الشاعر حين قال أنه سمع بولايته وهو فى سن الثامنة والخمسين فعمره سنة ٤٠٠ كان زهاء أربع وسبعين . وهذا يسوغ للشاعر

(١) هذا يوافق ٢٥ فبراير سنة ١٠١٠ م (٢) مول ج ١ ص XXII وما بعدها .

(٣) آخر قصة بهرام بهراميان و بهرام بن شابور ص ٧٣ ج ٢ الآتية . مول ج ٥ ص ٤١٤ و ٤٩٠

أن يقول أنه قارب الثمانين . فقد انتهينا اذًا الى أن سن الشاعر لم تكن ثمانين على أى فرض، على خلاف ما ذهب اليه نلدكه، وأن أقصى الفروض لا يزيد بها على أربع وسبعين . وهذا يقرّبنا من العمر الثانى . ويحتمل أن الأبيات التى يذكر فيها الثمانين ألحقت بالخاتمة بعد سنين من ختم الكتاب ومغاضبة السلطان . وبهذا يفهم قول الشاعر أن كل آماله ذهبت أدراج الرياح . فما كان ليقول هذا فى خاتمة يقدّم بها كتابه الى السلطان آملا فى عطائه أكبر الآمال .

ننظر فى السن الأخرى المذكورة فى الخاتمة وهى إحدى وسبعون . هل تلائم إخبار الشاعر عن نفسه وتلائم ما نعرف من أحواله؟ إن يكن الفردوسى كان فى سن ٧١، سنة ٤٠٠ فقد كان فى سن ثمان وخمسين، سنة ٣٨٧؛ وهى سنة تملك السلطان محمود . وقد صرح هو بذلك، كما تقدّم .

ويؤيد هذا أن الشاعر يقول أنه كدّ فى نظم الكتاب ٣٥ سنة . فان تكن سنه كانت ٧١، سنة ٤٠٠ هـ فقد بدأ النظم وسنّه ٣٦ سنة . ولو كانت سنّه ٨٠ فى السنة نفسها لكان بدؤه فى سنّ ٤٥؛ والأوّل أجدر بما عرف عن الشاعر من كلف بنظم تاريخ الفرس .

هذا، فيما يظهر، أرجح الآراء وأجدرها بالثقة . فيمكن أن يقال أن الشاعر ولد سنة ٣٢٩ هـ . وهذا يقارب ما يروى أنه مات سنة ٤١١ وهو فى سن الثمانين أو الثلاث والثمانين[1] . وعلى هذا الرأى أسير فى تحقيق سيرة الفردوسى .

(١) تتفق الروايات على أن شاعرنا لقبه الفردوسى، وكنيته أبو القاسم . ثم تختلف فى اسمه بين منصور وحسن وأحمد، وفى اسم أبيه بين على وفخر الدين أحمد و إسحاق . وبعضها يسمى جدّه فرّخ وبعضها يسميه شَرَفشاه . وليس فى الشاهنامه ذكر اسمه ولا اسم أبيه . و"الفردوسى" لقبه الشعرى كدأب شعراء الفرس . ويقال أنه نسبة الى بستان فى طوس اسمه الفردوس كان لعميد خراسان سورى بن المغيرة، وكان أبو الفردوسى خادمه[2] . وليس حقا أن السلطان محمودا لقبه بهذا حين أعجب بشعره فأسطورة محمود واهية كلها كما يأتى :

ولا شك أنه طوسى . يقول نظامى العروضى فى چهار مقاله : "من قرية اسمها باژ من ناحية طبران . وهى قرية كبيرة تخرج ألف رجل" . ويقول ياقوت عن طبران : "إحدى مدينتى طوس .

(١) مول حـ ١ ص XLIV، ورنرج ١ ص ٤٦ (٢) براون ج ٢ ص ١٣٢ و ١٣٩، نلدكه : الحماسة الايرانية ص ٣٩، چهار مقالة، تاريخ كزيده، بهارستان جامى الخ .

لأن طوس عبارة عن مدينتين أكبرهما طابران والأخرى نوقان" . ومثل ذلك ما يقوله عن نوقان : "إحدى قصبتى طوس . لأن طوس ولاية ولها مدينتان إحداهما طابران والأخرى نوقان" .

وفى بعض الروايات أن الفردوسى من شاداب[1] . وفى دولتشاه أنه من قرية رزان قرب طوس .

ويقول العــروضى أن الفردوسى كان من دهاقين طوس، وكان له شوكة عظيمة فى قريتــه . وكان فى غنى بمــا تغله ضياعه[2] . ويظهر من الشاهنامه أنه كان صاحب زرع ؛ فهو يشكو من البرد الذى أتلف الزرع وأهلك الغنم ولم يدع له شيئا ، وجعل الأرض كقطعة من العاج، إبان الخراج[3]. ويظهر فرحه فى موضع آخر بأن السلطان أسقط خراج سـنة[4] . ويؤيد هــذا قول العروضى أنه دفن فى حديقة له فى طبران[5] . ولكنا نجد الشاعر يقول فى المقدّمة أن ماله لم يكن كثيرا، وأن صديقا له تكفل بحاجاته ليفرغ لنظم الشاهنامه، ونجده يردد شكاته من الفقر أثناء الكتاب : يقول، وهو يمدح السلطان محمودا : أمضيت خمسا وستين سنة (وذلك عمره حينئذ) فى الفقر والبؤس والنصب[6] .

"چنين سال بكذا شتم شصت وپنج   بدرويشى وزندكانى ورنج"

ويقول دولتشاه أنه كان فقيرا وأنه فر الى غزنة من ظلم والى طوس ولبث يرتزق بانشاد الشعر حتى عرفه العنصرى فقــدّمه الى السلطان[7] . فان يكن الفردوسى كان دهقانا، كما يقول العروضى، فكلامه لا يدل على أنه كان غنيا . وليس بعيدا أن يكون بعض الرواة قد لبس الأمر ؛ فكلمة "دهقان" تدل على صاحب الأرض وتدل على القاصّ أيضا .

وأما نشأة الفردوسى وتعلمــه فليس لدينا عنهما خبر . ولكن الشاهنامه تبين أنه درس ما كان يدرســه أمثاله من أدباء ذلك العصر . ويظهر أن تاريخ الفرس شـغله منذ صباه . ويدرك قارئ كتابه أنه لم يكن واسع الاطلاع على التاريخ والجغرافيا . وسيأتى بيان هذا فى مبحث أغلاط الشاهنامه .

(٢ و ٣ و ٤ و ٥) علاقته بالسلطان محمود، ونظم الشاهنامه الخ .

محور هذه الأخبار صــلة الفردوسى بالسلطان محمود ، ونظمه الشاهنامه بأمره ثم حرمانه مما أمّله ، وسخطه على السلطان وهجاؤه إياه وهربه . ومعظم هــذه الأخبار خرافات ملفقة . وحسب

(١) نلدكه، ص ٤٠   (٢) چهار مقالة ص ٤٧   (٣) وورنر ج ١ ص ٢٥
(٤) أول قصة الأشكانيين، مول ج ٥ ص ٢٦٦   (٥) چهار مقالة ص ٥١   (٦) — ٤ ص ٤
(٧) براون ج ٢ ص ١٣٩

القارئ أن يعلم أن الفردوسى أمضى زهاء عشرين سنة فى نظم الشاهنامة قبل تملك السلطان محمود. وبراهين ذلك كثيرة؛ فهو يقول فى كتابه أنه نظم خمسا وثلاثين سنة. وقد ختم كتابه سنة ٤٠٠ هـ. فقد شرع فى نظمه إذًا حوالى سنة خمس وستين وثلاثمائة وذلك اثنتان وعشرون سنة قبل وفاة سبكتكين وولاية محمود، على أن محمودا لم يستقل بالملك إلا بعد سنتين من ولايته حينما زالت دولة السامانيين سنة ٣٨٩. والفردوسى نفسه يقول فى مدائح السلطان أنه لبث عشرين سنة ينتظر ملكا كفؤا لكتابه[1]. ويقول فى موضع آخر أنه انتظر كثيرا، وفى آخر أنه كان ينظم خفية لا يعلم به أحـــد[2].

ودليل آخر: أن الفردوسى شرع ينظم الكتاب بعد وفاة الدقيقى. وكانت وفاته حوالى سنة ٣٦٥.

ينبغى إذًا ألا نبالى بكل ما يروى، فيما تقدّم، عن شروع الفردوسى فى نظم الكتاب بأمر السلطان، وبقائه فى قصره أمدا طويلا مكبا على عمله.

وينبغى هنا أن نفرغ من هذه المسألة: متى بدأت صلة السلطان والشاعر؟

بينت، فيما تقدّم، أن الفردوسى كان فى سنّ الثامنة والخمسين حين تولى محمود، والشاعر يذكر سنه فى مواضع مختلفة من الكتاب، ويمدح السلطان محمودا فى قطع كثيرة.

وأوّل قطعة يمرّ بها قارئ الكتاب، بعد المقدّمة، تتضمن أبياتا يقول فيها الشاعر أن سنه خمس وستون[3]، وأنه لما كان فى سنّ الثامنة والخمسين سمع بحادثة عظيمة يفهم القارئ أنها تملّك السلطان. ولكنا نجده يقول بعد ذلك فى آخر فصل بهرام بهراميان وآخر فصل بهرام بن شابور[4] أن سنه ثلاث وستون، ويتبع هذا فى فصل بهرام بن شابور بمدح محمود. فهذا ينبئنا أنه كان ينظم لمحمود وسنه ثلاث وستون. وليس عندنا دليل صريح يبين اتصاله بمحمود فى سن قبل هذه. ولكن يستطيع الباحث أن يقول إن الفردوسى أمّل فى عطاء محمود، وعزم على أن يرسل اليه كتابه حينما فتح محمود خراسان واستولى على طوس. وكان ذلك سنة ٣٨٩، ويؤيد هذا ما تقدّم عن مقدّمة بايسنقر أن السلطان أمر أرسلان خان والى طوس أن يشخص اليه الفردوسى ويقول ابن الأثير فى حوادث سنة ٣٨٩ أن السلطان ولى أرسلان الجاذب على طوس. فأغلب الظن أن الفردوسى لم يتوجه شطر محمود إلا بعد أن جاوز الستين.

(١) ص ٣٣٦ ج ١ — الآتية.
(٢) ص ٢٧٤ ج الآتية، مول ج ٦ ص ٤٨٤
(٣) مول ج ٤ ص ٥ — ١٣
(٤) = ج ٥ ص ٤١٤، ٤٩٠

تاريخ نظم الشاهنامه :

عرفنا فيما تقدّم أن الشاعر نظم كتابه فى خمس وثلاثين سنة آخرها سنة ٤٠٠ أو قبلها بقليل . فهل يؤخذ من الشاهنامه ما يدل على تاريخ نظم القصص المختلفة أو يبين فى أى السنين نظم الشاعر معظم كتابه؟ لا يجد القارئ ذكر السلطان محمود بعد المقدّمة، وقد كتبت بعد انتهاء الكتاب، إلا فى مفتتح حرب كيخسرو وأفراسياب . وذلك قرب منتصف الكتاب . ثم تتخلل الكتاب بعد هذا مدائح محمود مسهبة وموجزة، حتى تبلغ عند الخاتمة خمس عشرة . والشاعر يتحدّث عن عمره فى مواضع . ففى القسم الأوّل الذى لا يذكر فيه اسم محمود يذكر أن عمره ٥٨ سنة، يذكر هذا فى موضعين : فى أوّل قصة سياوخش، وأوّل القصة التى تليها[1] . وفى آخر القصة الأولى ما يشعر أن الثانية نظمت بعدها فورا . ولكن فى أثناء هـذه القصة، فى فاتحة بناء سياوخش قلعة كنك، يذكر الشاعر أن سنه ٦٥، وهذا عجيب . فاما أن تكون هـذه السن غلطا من النساخ . وإما أن يكون الفصل قد نظم بعد سنين وألحق بموضعه من القصة . ثم لا نجد حديثا عن عمره حتى القسم الثانى الذى تكثر فيه مدائح محمود . فيُظن اذًا أن الشاعر نظم هذا القسم، أى من كيومرت الى حرب كيخسرو وأفراسياب، قبل استيلاء محمود على خراسان، وقبل أن يفكر الشاعر فيه .

وفى القسم الثانى يكثر مدح محمود وهو مفرق فى المواضع الآتية :

(١) فاتحة حرب كيخسرو وأفراسياب ويذكر فيه أن سنه خمس وستون[2] .

(٢) وفى أوّل القصة التى نظمها الدقيق وهى التى تلى القصـة السابقة . وبعدها حيث ينقد شعر الدقيق ويصفه بالركاكة[3] .

(٣) وفى فاتحة قصة هفتخوان، وهى تلى نظم الدقيق[4] .

(٤) وفى قصة رستم وأخيه شغاذ . وهى كالمتصلة بما قبلها . وفى ذلك يشكو الضعف والكبر والحرمان ويسأل السلطان مالًا[5] .

(٥) وفى أوّل تاريخ داراب، ولا يفصله عن القصـة السابقة إلا عهد بهمن وابنته خمانى، وليسا طويلين (١٦٧ بيتا و ٣٢٠) .

---

(١) مقدّمة قصة سياوخش، ومقدّمة رجوع كيخسرو الى ايران، مول ج ٢ ص ١٩٠ و ٤٣٢

(٢) مول ج ٤ ص ٥ – ١٣ (٣) = ص ٣٥٨، ٤٤٨ (٤) = ص ٤٨٨ (٥) = ص ٧٠٣

(٦) وفى أوّل قصـة اسكندر، وهى كالمتصلة بالسابقة لا يفصلهما إلا أبيات عن دارا . وفى آخر قصة الاسكندر يشكو الكبر .

(٧) وفى فاتحة القصة التى تلى قصـة اسكندر ، وهى تاريخ الأشكانيين . وهنا يمدح محمودا وأخاه نصرا القائد[١] .

(٨) وفى آخر عهد أردشير، وهو الذى يلى عهد الأشكانيين[٢] .

(٩) وفى آخر قصـة بهرام بهراميان وبهرام بن شابور . ويذكر فيهما أن عمره ٦٣ سـنة[٣] . وكذلك يذكر هذه السن فى آخر قصة شابور ذى الأكتاف .

(١٠) وفى آخر قصة نوشزاد بن أنو شروان أبيات قليلة فى مدح السلطان يختمها رجاء الشاعر أن ينعم عليه السلطان حين يسمع كلامه[٤] .

(١١) وفى آخر قصة كليلة ودمنة فى عهـد أنو شروان بيت واحد معناه لولا رجال السوء لسرّ قلبى من السلطان محمود .

(١٢) وفى آخر توقيعات أنو شروان يمدح السلطان ويقول أنه أخفى نظمه زمنا طويلا ويذكر فتح الهند . ومثل هذا فى آخر نصيحة أنو شروان ابنه هُرمزد[٥] .

(١٣) وفى أوّل قصة خسرو وشيرين يمدح السلطان ويقول أنه لم ينظر فى كتابه[٦] .

(١٤) ثم المدح فى خاتمة الشاهنامه كما يرى القارئ فى الحاشية آخر هذا الكتاب .

ويذكر الفردوسى سـنه فى موضعين آخرين ليس فيهما مدح السلطان : فى آخر عهد قباد الأوّل يقول أنه جاوز الستين، وفى رثاء ابنه يذكر أن سنه ٦٥ ؛ وهذا الرثاء فى فصل كسرى پرويز، قبيل نهاية الكتاب[٧] .

فيظهر من هذا كله أن الشاعر نظم ما بين حرب كيخسرو، التى يُذكر فيها محمود لأوّل مرة بعـد المقدمة، الى آخر الكتاب فى عهد محمود، وفى العقد السابع من عمره .

وهو، فيما يظهر، لم ينظم الكتاب على ترتيبه الحاضر . وروايات بايسنقر تدل على هذا . فقد تقدم أنه نظم أول ما نظم، حرب أفريدون والضحاك، وأنه نظم فى غزنة قصة سهراب ورستم . وبعض

(١) مول ج ٥ ص ٢٦٦ (٢) ص ١٩١ ج ٦ (٣) مول ج ٥ ص ٤١٤، ٤٩٠
(٤) مول ج ٦ ص ٤٥٦ (٥) = ٤٨٤، ٤٩٠ (٦) ص ٢٣٨، ٢ ج ٢ الآتية، مول ج ٧ ص ٢٩٤ (٧) ص ٢٢٠، ٢ ج ٢ الآتية، مول ج ٧ ص ١٩٠

التواريخ التى فى أثناء الكتاب تدل على هـذا؛ فنحن نجد سـنه ٦٦ وهو ينظم بناء قلعة كنك وهى فى ثلث الكتاب الأول ، ونجـدها ٦٥ فى حرب كيخسرو وأفراسـياب ، ثم نجـده فى عهد الساسانيين يذكر ٦٣ . ولكنى أظن معظم الكتاب نظم على ترتيبـه المعروف الآن ، وهو الترتيب التـاريخى .

ويرى مما تقدم أن الفردوسى نظم معظم كتابه بين الثامنة والخمسين والحادية والسبعين من عمره أى بين سنتى ٣٨٧ و ٤٠٠ من الهجرة، وإن كان قد شرع فى النظم قبـل ذلك بعشرين سـنة . وهو يصرح فى الخاتمـة بأنه زاد كده واحتياجه الى كتاب الملوك حين بلغ الخامسـة والستين . وكان الشاعر حريصا على إتمـام الكتاب يخشى أن يموت قبل أن يتمه ، وقد أعرب عن هذا فى المقدمة ومواضع أخرى، وأنه لا يبالى بالموت بعد ذلك(١) . ووصف فى مواضع عدة حاله بعد الستين،ومقاربة الموت بل قال أنه بعد أن جاوز ثمانيا وخمسين لا يفكر إلا فى الموت(٢) . فليس عجيبا من شاعرنا جدّه وكده بعد الستين من عمره لا كمال الكتاب الذى اتخذه عدّة لأيام الشيخوخة(٣) . ثم هو يقول فى حكاية رؤيا الدقيقى فى المنام أن الدقيقى قال له : ما أسرع ما تنظم هذا الكتاب . ولا ريب أنه كان سريعا فى نظم بعض القصص إن لم يكن فى القصص كلها . ولو أرخ القصص كلها لأمكن أن نعرف مقدار نظمه كل سنة . ولكنا نسـتطيع أن نعرف بالتواريخ القليلة التى نجدها أثناء الكتاب أنه نظم قصة سياوخش فى أثناء سنة واحدة، حينما كانت سنه ٥٨، وهى زهاء ٢٨٠٠ بيت . ويحتمل أنه نظم غيرها فى السـنة نفسها . وكذلك نعـرف أنه نظم تاريخ شابور ذى الأكتاف وبهـرام بن شابور وبهرام بهراميان أثناء سنة، حينما كانت سنه ثلاثا وستين، كما تقدّم فى هذا الفصل . وهذه القصص لا تقل عن ألفى بيت .

هذا ولعل درسا آخر للشاهنامه ، والاهتداء الى مصادر أخرى لتاريخه تعين على تأريخ الكتاب تأريخا أدق وأوضح .

كيف قدّم الفردوسى كتابه الى السلطان :

لا يجـوز أن نفرض أن الفردوسى أرسل الشاهنامه الى السلطان محمود جملة واحدة . فما كان الفردوسى ليلبث أكثر من عشر سنين ينظم للسلطان ويمدحه فى أثنـاء النظم دون أن يلفت

(١) ص ٨ ج ١ الآتية، مول ج ٤ ص ٨ و ٣٥٦ و ٧٠٠ (٢) مول ج ٢ ص ٤٣٢
(٣) مول ج ٤ ص ٨

السلطان اليه، ويتعجل بعض عطائه. فلا ريب أن الشاعر كان كلما فرغ من قصة كبيرة أو عدّة قصص بعث بها الى السلطان . ويحتمل أنه سار إلى غزنة بنفسه أحيانا وان لم نجد فى مدحه ما يدل على ذلك، كما يحتمل أنه قدّم بعض الكتاب الى السلطان حينما دخل طوس سنة ٣٨٩، أو فى أوقات أخرى . وفى الشاهنامه ما يدل على أن الشاعر أرسل إلى السلطان بعض كتابه قبل أن يتمه ؛ فهو يقول، أول قصة خسرو وشيرين، أن السلطان أعرض عن كتابه بسعاية المفسدين ولم ينظر فيه[(١)] . وقريب من هذا ما ذكره فى ختام قصة كليلة ودمنة[(٢)] .

ويمكن أن نفرض أن المدائح الطويلة التى تصدر بها بعض القصص كانت فواتح قطع من الكتاب أرسلها الشاعر الى السلطان . ومن ذلك مقدّمات حرب كيخسرو وأفراسياب، وقصة الدقيقى وهفتخوان واسكندر والأشكانيين[(٣)] .

ختم الكتاب وسفر الفردوسى إلى غزنه :

يقول نظامى العروضى فى كتابه چهار مقالة، وهو أقدم كتاب يروى من أنباء الفردوسى، أن الشاعر كان له نساخ اسمه على الديلمى، وراوية اسمه أبو دلف، وكان عامل طوس حيّ ابن قتيبة حفيًا به فأسقط عنه الخراج . ويروى العروضى أبياتا نجدها فى خاتمة الشاهنامه، تتضمن هذه الأسماء الثلاثة . ولكن الفردوسى يقرن هذه الأسماء بعضها ببعض فى نسق واحد، ويعدها من كبراء المدينة . فما أظن النساخ والراوية إلا كانا من الأدباء تطوعا لمعونة الفردوسى إعجابا به، وعصبية لأدب الفرس وتاريخهم القديم . ولو كانا مأجورين ما عدهما من الكبراء وذكرهما قبل عامل طوس الذى أراحه من تكاليف الخراج .

يقول العروضى : «كتب على الديلمى الشاهنامه فى سبعة مجلدات . وأخذ الفردوسى أبا دلف وتوجه تلقاء غزنه، وتوسل بالرئيس الكبير أحمد بن الحسن الكاتب . وكان السلطان محمود يعرف له أياديه . ولكن الرئيس الكبير كان له منافسون يدأبون على الايقاع به والغض من قدره . فسأل محمود هذه الجماعة ماذا نعطى الفردوسى؟ قالوا : خمسين ألف درهم، بل هذا كثير . لأنه رجل رافضى ومعتزلى» . وروى العروضى الأبيات التى اتخذوها دليلا على اعتزاله ورفضه، وهى مثبتة فى مقدمة الشاهنامه . «وكان السلطان محمود رجلا متعصبا فعملت فيه هذه السعاية، وأصغى اليها . فأرسل إلى

(١) مول ج ٧ ص ٢٩٤، ص ٢٣٨ الآتية الجزء الثانى . (٢) مول ج ٦ ص ٤٥٦

(٣) مول ج ٢ ص ٥ و٣٥٨ و٤٨٨، ج ٥ ص ١٠٠ و ٢٦٦

الفردوسى عشرين ألف درهم. فاغتم جدا وذهب إلى الحمام ثم خرج وشرب فُقّاعا، وقسم هذه الفضة بين الحمامى والفقاعى. وكان يعلم سطوة محمود ففارق غزنه بليل، ونزل بهراة فى دكان اسماعيل الوراق والد الأزرقى (الشاعر)، وتوارى فى داره ستة أشهر حتى بلغ طلاب السلطان طوسا وعادوا.

رواية العروضى هذه تشبه أن تكون منشأ الروايات المسهبة التى قدّمتُ خلاصتها عن مقدّمة بايسنقر. والعروضى، لاريب، أجدر بالثقة، وأقرب الرواة الى عهد الفردوسى، وقد زار قبره فى طوس بعد قرن من وفاته، سنة ٥١٠ ه. فكأنه يروى ما عرف عن الشاعر فى بلده بعد مائة سنة من وفاته.

وأوّل خلاف يعنينا بين العروضى وبين رواة بايسنقر يدور حول الوزير الميمندى؛ العروضى يجعل الميمندى وسيلة الشاعر الى السلطان، ويروى بعدُ أنه كان شفيع الشاعر الى السلطان بعد أن وقعت بينهما النفرة، وكذلك فى دولتشاه أن الميمندى كان محسنا الى الفردوسى. ومقدّمة بايسنقر تجعل الميمندى عدوّ الشاعر وحاسده الذى أفسد قلب السلطان عليه. وتتفق الروايتان على أن الميمندى لم يبلغ الشاعر ما أمّله.

والذى نعرفه من أخبار الوزير الميمندى والوزير الذى كان قبله — أبى العباس الفضل بن أحمد يمنعنا أن نقبل رواية العروضى فى عطف الميمندى على الشاعر، ويرجح رواية بايسنقر أن الميمندى سعى فى حرمان الشاعر من نوال السلطان أو لم يبال به :

كان وزير محمود سنة أربعمائة من الهجرة، وهى سنة ختم الشاهنامه، أبا العباس الفضل بن أحمد، والفردوسى يمدحه مع السلطان فى أوّل مدح يصادف قارئ الشاهنامه بعد المقدّمة، وفى أثناء هذا المدح يذكر الفردوسى أن سنه ٦٥؛ فهو قد مدح الفضل قبل ختم الشاهنامه. ولما ختم كتابه كان الفضل لا يزال وزيرا. فكيف توسل الشاعر بالميمندى الذى لم يمدحه دون الوزير الذى مدحه؟ نعرف من تاريخ العتبى أن النفرة وقعت بين السلطان ووزيره حوالى سنة ٤٠١ إذ قلّ الخراج وطالب السلطان وزيره بالمال وانتهى الأمر الى أن حبسه وغرّمه مائة ألف دينار. وبقى محبوسا حتى قتله الناس فى غيبة السلطان فى غزوة ناردين بالهند سنة ٤٠٤. والميمندى إذ ذاك صاحب الحول والطول، وقد استخلفه السلطان على أمور الدولة وإمداده بالمال فى غزواته، ثم ولاه الوزارة مكان أبى العباس. فلا ريب أن الميمندى كان من الشامتين فى الوزير، وقد قُتل الفضل وهو يعذب من أجل المال، والأمر كله فى يد الميمندى. فان كان الفردوسى بلغ غزنه بعد أن فسد الأمر بين السلطان والفضل

فتوسل بالميمندى فما كان أحراه ان يخيب . فالميمندى كان إذ ذاك فى شغل بتزيين عمله عند السلطان والحط من الفضل ومن تقرّب اليه . ثم الميمندى لم يكن يعنى باللغة الفارسية عناية الفضل . يقول العتبى : "وكان الوزير أبو العباس قليل البضاعة فى الصناعة ؛ لم يعتن بها فى سالف الأيام ، ولم يرُض بنانه بخدمة الأقلام . فانتقلت المخاطبات مدّة أيامه من العربية الى الفارسية . حتى كسدت سوق البيان ، وبارت بضاعة الاجادة والاحسان ، واستوت درجاة العجزة والكفاة ، والتقى الفاضل والمفضول على خطى الموازاة . ولما سعدت الوزارة بالشيخ الجليل أسعد الله به جدود الأفاضل ، وورّد بمكانه خدود الفضائل ، ورفع ألوية الكتّاب ، وعمر أفنية الآداب . بجزم على أوشحة ديوانه أن يتنكبوا ويتحاشوا الفارسية إلا عن ضرورة من جهل من يكتب اليه ، وعجزه عن فهم ما يتعرّب به عليه . فطارت توقيعاته فى البلاد ولا شوارد الأمثال ، وأبيات المعانى من القصائد الطوال" .

وأحسب اضطراب أمر الفضل كان من أسباب حرمان الشاعر . وخلو الكتّاب من ذكر الميمندى ، وإبقاء الفردوسى على اسم الفضل فى كتابه يدل على أن الشاعر بلغ غزنه فى عهد الفضل وتوسل به الى السلطان لا بالميمندى ، ولكن حاجة السلطان الى المال إذ ذاك ، وشدّة محاسبته الوزير لم تكن ملائمة إجزال العطاء للشعراء . والسلطان محمود كان حريصا على المال ؛ يقول ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٢١ عن محمود : « ولم يكن فيه ما يعاب إلا أنه كان يتوصل الى أخذ الأموال بكل طريق . فمن ذلك أنه بلغه أن إنسانا من نيسابور كثير المال عظيم الغنى فأحضره الى غزنة وقال له : بلغنا أنك قرمطى . فقال : لست بقرمطى ، ولى مال يؤخذ منه ما يراد ، وأُعفَى من الاسم . فأخذ منه مالا وكتب معه كتابا بصحة اعتقاده (١) » .

وليس بعيدا ، مع هذا ، أن يكون الناس اتهموا الفردوسى بالتشيع والاعتزال كما يقول العروضى . وفى الشاهنامه أبيات كثيرة تبين عن كلف الشاعر بحب آل البيت بل فى مقدّمة الكتاب يسمى عليا « الوصى » وفى بعض مدائح محمود يذكر عليا بعد الرسول ، ولا يذكر غيره من الصحابة (٢) . والأبيات التى روى العروضى أنه اتهم من أجلها بالرفض والاعتزال نجدها فى مقدّمة الشاهنامه (٣) . فايثار على بالمدح ، والمغالاة فى الثناء عليه كانا جديرين أن يتخذهما الحساد وسيلة الى سخط السلطان ، وإن كان الشاعر قد مدح الخلفاء الأربعة فى المقدّمة . وأحسب أن السلطان لو ترك لرأيه ما آخذ الفردوسى بالإطناب فى مدح آل البيت . فابن الأثير يخبرنا أن السلطان «جدد عمارة المشهد بطوس الذى فيه

---

(١) كتاب اليمينى ص ١٧٠ ج ٢ (٢) مول ج ٦ ص ٢٤٢ (٣) ص ٨ ج ١ الآتية .

قبر على بن موسى الرضا والرشيد ، وأحسن عمـارته . وكان أبوه سبكتكين قد أخربه . وكان أهل طوس يؤذون من يزوره »(١) .

وينبغى ألا ننسى رواية بايسنقر فيما تقدّم أن الشاعر كان يرسل قصصه الى الأمراء والكبراء، وأنه أرسـل الى فخر الدولة البويهى قصـة رستم واسفنديار فأرسل اليـه جائزة ، ووعده الاكرام إن قدم اليه . فهذا، إن صح، كان سببا الى سخط السلطان وسعى المفسدين لحرمان الشاعر .

ما أعطاه السلطان للفردوسى :

فى ثـنايا الشاهنامه مدائح كثيرة يوصف فيهـا السلطان محمـود بالجود والسخاء ، وأن الذهب والتراب سيان عنـده . ويصرح الشاعر فى المدائح أنه يرجو نوال السلطان، وأنه أعدّ الكتاب ليدرّ عليه المـال فى شيخوخته . ولكنا لا نقرأ للشاعر بيتا واحدا يشكر فيه السلطان على منحة، أو يحدث فيـه بأنه ظفر بعطائه . فأحسب اذًا أن السلطان لم يمنح الفردوسى شيئا أثنـاء نظم الكتاب، وأن الشاعر صبر، وادخر كل آماله فذهب بهـا الى غزنة بعـد أن ختم كتابه . ولا شك أن الفردوسى لم ينل ما رجاه؛ اتفقت على هذا الروايات ، وسار فى الأدب الفارسى مسير الأمثال . وفى مقدّمة بايسنقر ، كما تقدّم ، أنه أمر للشاعر بستين ألف دينار فأشار الميمندى أن يعطى ستين ألف مثقال من الفضة . والعروضى يقول أعطاه عشرين ألف درهم .

وفى الهجاء المروى عن الفردوسى بيت غامض يروى فى نسخة تبريز هكذا :

كف شاه محمـــود عالى تبـار　　نه اندر نه آمد سه اندر چهار

ومعناه فيما يظهر لى : إن فى كف الملك محمود، علىّ النسب، "تسعة فى تسعة" صارت "أربعة فى ثلاثة" فهل يؤخذ من هذا البيت أنه كان يرجو دنانير قيمتها واحد وثمانون ألف درهم فأعطاه السلطان اثنى عشر ألفا ؟ وقد تكون الإحدى والثمانون رمزا الى الخطوط التى فى الكف اليسرى . ومهما يكن فعطية السلطان كانت أقل من التى رجاها الفردوسى فخاب رجاؤه وثارت ثائرته .

تتفق الروايات على أن الشاعر قسم المـال بين بعض النـاس ازدراء ، وغضبا على السلطان . وأحسب قصـة الحمامى والفقاعى أوحت بهـا أبيات فى الهجاء المنسـوب الى الشاعر كما يأتى ؛ فهو يقول : "إن الملك فتح لى كنزه ليكافئنى فما أعطانى إلا ثمن شربة فُقّاع . استحققت من كنز الملك فقاعا فاشتريته على الطريق " . وإنمـا يقول الفردوسى هـذا استهزاء بمنحة السلطان . وأظن الفردوسى أخذ ما نال من السلطان ثم خرج مغاضبا .

(١) حوادث سنة ٤٢١

٦ و ٧ — هرب الفردوسى، ومسيره الى مازندران :

يقول العروضى بعد الذى ترجمته آنفا : "فلما أمن الفردوسى توجه من هراة الى طوس، وحمل الشاهنامه وسار الى طبرستان، الى الأصبهبذ شهريار الذى كان ملك طبرستان، من آل باوند، وهى أسرة عظيمة يتصل نسبها بيزدجرد بن شهريار. فكتب فى الديباجة مائة بيت فى هجاء محمود. وقرأها على شهريار وقال : "سأحول هذا الكتاب من اسم محمود الى اسمك، فان هذا الكتاب كله أخبار أجدادك ومآثرهم". فتلطف شهريار وأكرمه وقال : "يا أستاذ إن محمودا قد حُمل على هذا، ولم يُعرض عليه كتابك كما ينبغى وسُعى بك. ثم أنت رجل شيعى. وكل من تولى آل النبى لم تستقم له أمور الدنيا اذ لم تستقم لهم أنفسهم. ومحمود مَلِكى. فدع الشاهنامه باسمه، وأعطنى الهجاء لأغسله، وأعطيك شيئا يسيرا. سيدعوك محمود ويسترضيك. ولا يضيع جهد كتاب مثل هذا". وفى اليوم الثانى أرسل اليه مائة ألف درهم وقال : اشتريت كل بيت بألف درهم، فأعطنى مائة البيت هذه، وارض عن محمود. فأرسل الفردوسى الأبيات فأمر (شهريار) بغسلها، وغسل الفردوسى مسودتها أيضا. وضاع الهجاء وبقيت منه هذه الأبيات الستة. (يثبت العروضى هنا ستة أبيات سيأتى الكلام فيها). والحق أن شهريار قدم الى محمود يدا عظيمة وقد عرف له محمود حقه".

هذا يوافق فى جوهره ما نقلته عن بايسنقر فيما تقدّم؛ فالروايتان تتفقان على أن الفردوسى لجأ إلى أحد الامراء، وأراد أن يقدّم إليه الشاهنامه، ويمحو اسم محمود ويهجوه فعدل به الأمير عما أراد تقرّبا إلى السلطان. فلننظر أى الروايتين تلائم التاريخ : روايات بايسنقر تذكر أميرين : الأول ناصرلك والى قهستان الذى شفع للفردوسى عند السلطان حتى أرضاه عنه وعدل بالفردوسى عن هجائه كما فعل شهريار فى رواية العروضى. والثانى أمير مازندران الذى أكرم الفردوسى وأمره بالرحيل من بلاده خيفة من محمود. وظاهر أنهما روايتان متناقضتان. فلو أن السلطان قبل شفاعة ناصرلك ما احتاج الشاعر أن يهرب من مازندران، وما خاف أميرُ مازندران من إقامته فى بلاده. نترك إذًا قصة ناصرلك الذى لانعرفه ونأخذ الرواية الثانية لنقرنها برواية العروضى؛ هذه الرواية تجعل أمير مازندران إذ ذاك من أبناء قابوس بن وشمكير على اضطراب فى ذكر الاسم، وتجعل ابنه صهر السلطان وابن بنت مرزبان بن رستم بن شروين مؤلف كتاب مرزبان نامه. ونحن نعرف من تاريخ آل زيار أن ابن بنت مرزبان بن رستم منهم هو اسكندر بن قابوس والد كيكاوس الملقب عنصر المعالى، مؤلف كتاب قابوس نامه. وأن صهر السلطان محمود منهم هو كيكاوس بن اسكندر، وعمه منوچهر

فلك المعالى . فالذى ابنه صهر السلطان هو قابوس أو اسكندر[1] . والذى ابنه صهر السلطان وابن بنت مرزبان هو قابوس فقط . واذا نظرنا الى أن الفردوسى ختم كتابه سنة ٤٠٠ ، والى أن هربه ينبغى أن يكون فى السنة نفسها أو التى تليهـا فأمير مازندران اذ ذاك هو قابوس بن وشمكير نفســه . واذا فرضنا أنه تأخر الى سنة ٤٠٣ فالأمير منوچهر .

وأما رواية العروضى ففيها أن الشاعر ذهب الى مازندران عند شهريار. وليس فى چهار مقالة التى بيدى ذكر اسم أبيه . ولكن براون فى ترجمة أخبار الفردوسى عن چهار مقالة يذكر شهريار بن شروين[2] . وكذلك ابن اسفنديار فى تاريخ طبرستان ، عدّد ملوك آل باوند حتى شهريار بن شروين ثم قال : وكان شهريار معاصرا للسلطان محمود الغزنوى وقابوس بن وشمكير ، ونقل رواية العروضى عن ذهاب الفردوسى الى مازندران[3] . ومحمد بن عبــد الوهاب القزوينى فى حواشى چهار مقالة يقول أنه وجد فى أصل الكتاب شهرزاد أو شيرزاد مكان شهريار ، ويجزم بأن هذا خطأ ، وأن الحاكم اذ ذاك كان شهريار بن شروين بن رستم الخ[4] . ويظهر لى أن كل هذا نشأ من تشابه الأسماء فى آل باوند . فالمعــاصر لمحمود وقابوس ليس شهريار بن شروين بل شهريار بن دارا بن رستم بن شروين (٣٥٨ — ٣٩٦)[5] . وهو الذى عناه العروضى ، فيما يظهر . ولكن هذا لا ينهى المسألة . فشهريار هذا حكم الى سنة ٣٩٦ ، وهرب الفردوسى كان بعد سنة ٤٠٠ ، وحاكم مازندران اذ ذاك من آل باوند هو رستم بن شهريار (٣٩٦ — ٤١٩) فقد وضع العروضى شهريار مكان ابنه رستم . والذى يعنينا من هذه الروايات المختلفة أن الفردوسى ذهب الى مازندران ، وليس لدينا مايدعو الى التكذيب به . وليس يعنينا كثيرا أنه قصــد أميرا من آل زيار أو من آل باوند . ولا يبعــد أن يكون الشاعر ذهب الى الأميرين كليهما ، . ومهما يكن فبنو زيار كانوا فى حمـاية محمود ، وكانوا أصهاره ؛ وكان بنــو باوند أصهار بنى زيار ، وخاضعين لسلطان محمود أيضا . فلا غرابة أن يجهد أمير زيارى أو باوندى ليعدل بالفردوسى عن هجاء محمود إن كان الفردوسى قد هجاه أو عزم على هجائه .

هجــاء السلطــان :

ما يفتح أحد نسخة من الشاهنامه إلا يجدها مصدّرة بهجاء السلطان محمود ، وقد صدق الشاعر الذى قال :

(١) انظر مقدّمة قابوس نامه ، براون ج ٢ ص ٢٧٧ ، العتبى ج ٢ ص ١٨٤ (٢) براون ج ٢ ص ١٣٥
(٣) تاريخ طبرستان ص ٢٣٨ الترجمة الانكليزية . (٤) چهار مقالة ص ١٩٠ (٥) الدول الاسلامية لخليل أدهم ترجمة كتاب لين پول .

كذشت شوكت محمود ودرزمانه نماند جزاين قدركه ندانســت قدر فردوسى

"ذهبت شوكة محمود ولم يبق على الزمان إلا شىء واحد : أنه لم يقدر الفردوسى قدره" . فهل هجا الفردوسى السلطان محمودا ؟ وإن يكن هجاه فما الذى بقى لنا من هذا الهجاء ؟

يؤخذ من روايات بايسنقر والعروضى أن الشاعر عدل عما أراده من هجو محمود، أو رضى بمحوه وإخفائه . ويقول العروضى : "وقد بقى من الهجاء هذه الأبيات الستة" :

مرا غمــزه كردند كان پرسخن بمهــر نبى وعلى شــد كهن
أكرمهرشان من حكايت كنم چو محمودرا صــدحمايت كنم
پرســتار زاده نيــايد بكار وكرچند باشــد پدر شهريار
ازين در سخن چند رانم همى چو دريا كرانه ندانم همى
به نيكى نبد شاه‌را دستكـاه وكرنه مرا برنشاندى بكـاه
چواندر تبارش بزركى نبود ندانست نام بزركان‌شنود

وترجمتها :

"لقد قالوا طاعنين : إن هذا المنطيق شابَ على حب النبى وعلىّ . ولئن حكيت حبهم لأحمين مائة مثــل محمود . ان ابن الأمة لا يرجى خيره ولو كان أبوه ملكا . حتام أطيل الكلام فى هــذا، وهو كالبحر لا أعرف له قرارا ؟ لم يكن للملك مقدرة على الخير، وإلا لرفعنى على العرش . ولم يكن عظيم الأصل فلم يحسن أن يستمع أسماء العظماء .

هــذا كل ما رواه العروضى، وهو أقدم الرواة . ولكنا نجد الآن فى نسخ الشاهنامه هجاء محمود يختلف من ٣٠ بيتا الى ١٦٠؛ فى نسخة مول ٩٣، وفى نسخة تبريز ١٠٥، وفى مكن ١٠١ الخ[1] . ويقول مرزا محمد بن عبد الوهاب القزوينى فى حواشى چهار مقالة، تعليقا على قول العروضى أن الهجاء قد ضاع وبقى منه ستة أبيات : "هذا ادعاء غريب جدا . لأنه يقتضى أن الهجاء المعروف المثبت فى أوّل الشاهنامه ليس للفردوسى منه غير ستة أبيات على حين أن نسبة هذا الهجاء الى الفردوسى يمكن أن تعدّ من المتواترات . ثم طرز هــذه الأشعار وأسلوبها على نمط سائر أشــعار الفردوسى فى الجزالة ومتانة الألفاظ . وقوّة المعــانى واستحكامها"[2] . ويقول نلدكه، بعــد تبيين اختلاف النسخ فى عدد

(١) الحماسة الإيرانية ص ٤٧ حا . (٢) جهار مقاله ص ١٩١

أبيات الهجاء : " ومهما يكن فميرزا محمد القزوينى ناشر چهار مقالة له الحق فى الاعتراض على قول العروضى أنه لم يبق من الهجاء إلا ستة أبيات" .

هــذه الأبيات الستة متفرّقة فى أثناء الهجاء فى نسخة مكّن . وفى مول وتبريز ثلاثة منها . ونحن اذا نظرنا الى الهجاء فى مول وتبريز نجد بعض أبيــاته مثبتا فى أثناء الشاهنامــه ، وليس فيها هجاء . بل نجد بعض الأبيات مثبتا فى مدائح محمود ، وهى أبيات يذكر فيها الشاعر نفسه وكتابه الخــالد، وما يرجوه من السلطان[1]، ونجد أبياتا منه فى مقدّمة الشاهنامه كالأبيات التى يذكر فيها حبه آل البيت ، ويسب فيها مبغض على . فلاشك أن هذه الأبيات ليست كلها من هجاء الفردوسى إن كان الفردوسى قد هجا . وأحسب رواية العروضى أن الهجاء كان مائة بيت دعا بعض الناس أن يبلغوه مائة . وهو يقرب من المــائة فى أكثر النسخ الموثوق بها . فليست مطابقــة قول العروضى دليــلا على الصحة بل على المحاكاة .

وأنا أرتاب فى أن الفردوسى هجا محمودا لأن الرجل كان يعرف سطوة السلطان ، ولأننا لا نجــد فى مقدّمة قصة يوسف وزليخا التى أعرب فيها عن ندمه بما أضاع عمره فى نظم الأساطير، وقصص الملوك القدماء، والتى هى أجدر مكان باعراب الفردوسى عن خيبة أمــله فى السلطان — لا نجــد فى هذه المقدّمة بيتا واحدا عن السلطان محمود، ولا عن تحسر الشاعر على مافاته من ثمرة كتابه . إلا أن يكون هذا البيت :

نكويم دكـر داستان ملوك   دلم سيرشد زآســتان ملوك

«لا أقص من بعدُ قصص الملوك، فقد مل قلبى عتبات الملوك » .

وهو إن كان تعريضا بمحمود لا يعرب عن هجاء رجل محنق . فالذى منع الشاعر أن يقول كلمة عن محمود فى مقدّمة كتابه الثانى الذى كتبه وهو فى غير مملكته — منعــه ، فيما أظن ، أن يهجوه من قبــل . وإن صدقت رواية العروضى فقــد ضاع الهجاء فكيف بقيت هذه الأبيات كلها ؟ وآية الاضطراب فى روايات الهجاء الاختلاف الكبير فى عدد أبياته كما تقدم .

وما أظن الشاعر هرب من محمــود . وإنمــا كان ذهابه الى مازندران وغيرها التماسا لمــا فاته فى الشرق . ولمــا أراد الرجوع الى بلاده رجع غير هائب أحدا .

---

(١) الأبيات ٧ — ١١ ص C X ج ١ والأبيات ٦٦ — ٦٩ ص ١٠ ج ٤ ، مول .

بل يمكن أن يقال : إن السلطان ماحسب أنه أساء الى الشاعر، ولا علم أنه أتى أمرا نكرا بحرمانه الفردوسى، وأن الناس تحدثوا به حتى صار ذكر الشاهنامه سبة للسلطان . ولكنه أعطى عطاء ظنه وافيا بمكافأة شاعر . ومن آيات ذلك ما رواه ابن الأثير فى حوادث سنة ٤٢٠ أن مجد الدولة البويهى استنجد السلطان محمودا حين فسد عليه جنده فسير اليه جيشا وأمرهم بالقبض عليه "فلما وصل العسكر الى الرى ركب مجد الدولة يلتقيهم فقبضوا عليه وعلى أبى دلف ولده . فلما انتهى الخبر الى يمين الدولة (محمود) بالقبض عليـــه سار الى الرى فوصلها فى ربيع الآخر، وأخذ من الأموال ألف ألف دينار، ومن الجواهر ما قيمته خمسمائة ألف دينـار، ومن الثياب ستة آلاف ثوب، ومن الآلات وغيرها ما لا يحصى . وأحضر مجـد الدولة وقال له : أما قرأت كتاب شاهنامه وهو تاريخ الفرس، وتاريخ الطبرى وهو تاريخ المسلمين؟ قال بلى! قال: ماحالك حال من قرأها. أما لعبت بالشطرنج؟ قال بلى! قال : فهـل رأيت شاها يدخل على شاه ؟ قال لا . قال : فما حملك على أن سلمت نفسك الى من هو أقوى منك ؟ ثم سيره الى خراسان مقبوضا" .

فلو كان ذكر الشاهنامه سبة للسلطان ما سأل عنها خصمه .

٨ و ١٠ — الفردوسى ببغداد

وأما حديث الفردوسى ببغداد فحديث خرافة . ليس عجيبا أن يكون الشاعر ذهب الى بغداد، ولكن لا ريب أنه لم ينظم شعرا عربيا قط. فمدحه وزير الخليفة بقصيدة عربية بليغة، ومدحه الخليفة بألف بيت من الشعر العربى كذب صريح . وكذلك نظمه قصة يوسف وزليخا بأمر الخليفة أو إرضاء له، واستحسان الخليفة وأهل بغداد هذه القصـــة . فليس فى مقدمة يوسف وزليخا ذكر الخليفة صريحا أو كناية، ولا فيه ذكر بغداد أو أهلها . بل يصرح أنه نظم الكتاب لأمير العراق، كما يأتى . وكذلك تحسس السلطان أخبار الفردوسى، وتهديده الخليفة من أجله، ورد الخليفة . كل هذا أساطير بعيدة من الحقيقة؛ فما كان محمود ليهتم بأمر الفردوسى هذا الاهتمام، ولو أهمه أمره ما استباح، وهو السلطان السنى المتشدد، أن يهـدد الخليفة بأن يطأ بغداد بالفيلة إن لم يرسل اليه القرمطى (الفردوسى) . هذه أحاديث اخترعها الذين أرادوا أن يخلقوا للفردوسى قصة كقصص الشاهنامه .

(٩) يوسف وزليخا :

يقول الشاعر فى مقدمة القصة إن شاعرين نظماها من قبل : أبو المؤيد البلخى ثم البختيارى الذى نظمها لأمير العراق . وذلك أن البختيارى قصد حضرة الأمير بالأهواز يوم النيروز، ودخل

فى زمرة الشعراء المـادحين فى ذلك اليوم . وبعد أيام جلس الأمير يستمع ترتيل سورة يوسف، فودّ أن تنظم السورة بلفظ فارسى فصيح نظما يغنى عن التفسير . و بينما الأمير يفكر فى هـذا اذ أقبل البختيارى فأسرع الأمير الى دعائه، واقترح عليه أن ينظم القصة . فقبل الأرض والترم أن ينظمها . ودأب فى عمـله مكلفا نفسه كل نصب . يقول الفردوسى : وسمعت القصة كلها وعرفت جودها ورديئهـا . وكنت أتحدث عنهـا يوما عنـد " الأجلّ تاج الزمان ، فلك الوفاء والرفعـة، الموفق" فاستمع لحديثى ثم نظر الىّ وقال : أريد أن تبادر الى نظمها مرة أخرى نظما لا يستطيع أن يعيبه شاعر . فإن وفقت فى نظمها و واتتك الاجادة فى ألفاظها ومعانيها حملتها الى أمـير العراق فتقرأ عنده فتكون وسيلة الى تعريفه مكانتك فى الشعر فيلتفت اليك . فقلت له : سأمتثل الأمر وأنظم القصة حتى اذا صادفتْ قبولا من الملك جذب بضبعى، وسعدت بخدمته . الخ " .

فالشاعر يحدّثنا أن نظم القصة اقتُرح عليه، وأنه لم ينظمها، كما يقال، تكفيرا عن نظم الشاهنامه .

ولكن الشاعر، وقد تصدّى لنظم قصة قرآنية فى شيخوخته ، بعد أن أمضى عمره فى نظم سير الملوك وأساطير الأبطال ثم لم يظفر بما يعزيه عن عمره الفائت وكده خمسا وثلاثين سنة — اتخذ نظمها توبة مما اقترف إذ أضاع عمره فى نظم الأساطير . والشاعر يعرب هنا عن أسفه وندمه، مبينا الفرق بين أساطير الملوك وقصص الأنبياء التى أوحاها الله الى نبيه؛ يقول : «نظمت فى كل باب ، وسمع قولى كل إنسان . فان أكن قد وجدت فى هذا لذة فما بذرت إلا بذر النصَب والآثام . وقد ندمت على ما بذرت، وختمت على قلبى ولسانى . فلن أنطق من بعدُ بأحاديث الكذب، ولن أبذر الآثام بعد أن اشتعل رأسى شيبا . لقد انقبض قلبى من أفريدون البطل . ماذا يعنينى من أنه استولى على عرش الضحاك ؟ ومللت من ملك كيقباد . وذهب تخت كيكاوس أدراج الرياح . ولست أدرى ما الذى يكون غير العذاب من كيخسرو وحرب أفراسياب؟ إن العقل ليسخر من الكلف بمثل هذا . أنّى يرضى العقل منى أن أضيع نصف حياتى لأملأ العالم باسم رستم»؟ إلى أن يقول : «أضعت العمر وأصبت الغم . فان يحمّ لى البقاء أياما فلن أسلك إلا سبيل الصدق . لا أقص من بعدُ قصص الملوك، لقد انقبض صـدرى من عتبات الملوك ... إن هذه القصص كذب صراح ، لا يقوّم مائتان منهـا بذرّة من التراب" . ثم يقول : يجب أن يحدّث عن الأنبياء الذين لم يتخـذوا غير الصدق سبيلا ... سأقص عليك قصة . ولكنها ليست من كلام القدماء بل من كلام رب الصادقين الخ» .

فهذا كان رأى الشاعر حين نظم قصة يوسف و زليخا . وشتان بين هذا و بين إعجابه بنفسه، واغتباطه بذكره الخالد، حين كان ينظم الشاهنامه . ولعل الشيخوخة اليائسة، والأمل الخائب أوحيا إليه هذا.

لا يذكر الفردوسى اسم الأمير الذى نظم من أجله الكتاب ولكنه يسميه "أمير العـراق" . فمن كان أمير العراق حينئذ ؟

أمير العراق العربى ما بين سنتى ٣٧٩ و ٤٠٥ كان بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهى ، وأمير العراق العجمى ما بين سنتى ٣٨٧ و ٤٢٠ كان مجد الدولة أبا طالب رستم ، حفيد ركن الدولة بن بويه . وكان معروفا بالعكوف على مطالعة الكتب[1] . فأى العراقين عنى الفردوسى حين قال : "أمير العراق" ؟ أظنه العراق العربى . لأنه يقول فى مقدّمة يوسف وزليخا عن البختيارى الشاعر الذى نظم القصة من قبل — أنه مدح الأمير يوم النوروز فى الأهواز . فأغلب الظن أن أمير العراق الذى كتبت له القصة هو بهاء الدولة الذى ذكر آنفا .

١١ و ١٣ — رضاء السلطان عن الفردوسى :

قدّمت فى الكلام عن روايات مقدّمة بايسنقر أن شفاعة ناصرلك للفردوسى ، ورضاء السلطان عنه يناقض هربه بعد إلى مازندران والعراق ، وقلت : إن هذا التناقض يزول فى رواية أخرى تجعل شفاعة ناصرلك بعد ذهاب الفردوسى إلى العراق ، وقبيل رجوعه إلى وطنه .

والعروضى يقول فى هذا : "سمعت سنة ٥١٤ فى نيسابور من الأمير المعزّى أنه سمع من الأمير عبد الرازق بطوس أن محمودا كان فى الهند مرة ، وبينا هو عائد منها إلى غزنة عرض له ثائر فى قلعة حصينة . وكان منزل محمود فى اليوم الثانى عند باب هذه القلعة . فأرسل إليه رسولا أن ائت غدا ، وقدّم الطاعة ، واخدم حضرتنا ، والبس التشريف ، وارجع . فلما كان الغد ركب محمود . وبينا الرئيس الكبير (الميمندى) يسير عن يمينه إذ عاد الرسول وأقبل شطر السلطان . فقال السلطان للرئيس الكبير : ماذا يكون الجواب ؟ فأنشد الرئيس بيت الفردوسى :

أكرجز بكام من آيد جواب من وكرز وميدان وأفراسياب

"إن لم يأت الجواب كما أريد فأنا والجرز والميدان وأفراسياب"

قال محمود : لمن هذا البيت الذى تنبعث الشجاعة منه ؟ قال : للمسكين أبى القاسم الفردوسى الذى احتمل العناء خمسا وعشرين سنة وأتم مثل هذا الكتاب ، وما جنى أية ثمرة . قال محمود : أحسنت بما ذكّرتنى ، فقد آسفنى أن يحرم عطائى هذا الرجل الحر . ذكّرنى فى غزنة لأرسل اليه شيئا . فلما جاء الرئيس غزنة ذكّر محمودا . فقال السلطان : مر لأبى القاسم الفردوسى بستين ألف دينار ، يعطاها نيلجا ، وتحمل على الابل السلطانية ، ويعتذر اليه .

(١) ابن الأثير حوادث سنة ٤٢٠

ومضت سنون والرئيس فى شغل بهذا . ثم أنجز الأمر وحمّل الابل . وحمل النيلج الى طبران. وبينما الابل تدخل من باب رودبار كانت جنازة الفردوسى تخرج من باب رزان[1] ... ... ويقولون : إن الفردوسى خلّف بنتا عظيمة النفس أرادوا أن يسلموا اليها هبة السلطان فأبت، وقالت : لاحاجة بى اليها . فكتب صاحب البريد الى السلطان . فأمر أن يعطى المال الى الشيخ أبى بكر بن اسحاق الكرامى ليعمر به رباط چاهه فى حدود طوس، على طريق مرو ونيسابور . فلما بلغ الأمر طوسا امتثلوه. وبناء رباط چاهه من هذا المال" .

رواية ابن اسفنديار، مؤلف تاريخ طبرستان الذى نقل هـذه القطعة عن چهار مقالة، تذكر أنها كانت ستين ألف درهم لا دينـار، وأنه حين جمعت الدراهم أرسلت على الابل الى طوس[2] . ومثل هذا فى رواية بايسنقر المتقدمة . وأحسب رواية العروضى أصـل الروايات الأخرى . وتتفق الروايات على أن الهبة جاءت بعد موت الشاعر، وأن ورثته لم يقبلوها، وأنه بُنى بها بنيّة ــ سدّ، أو رباط .

ليس بعيدا أن يكون السلطان أُعجب بأبيات من الشاهنامه أو ببيت كما روى العروضى، ولا يبعد كذلك أن السـلطان رأى صيت الفـردوسى يذيع، والشاهنامه تقـرأ فى كل مكان، ومدحه مكرر فى صفحاتها، وأشار عليه وزير أو غيره أن يحسن الى الشاعر والى نفسه بهبة تكافىء كتابا كالشاهنامه. ولكن ليس عندنا ما يثبته . وكل ما يروى فى هذا أشـبه بالخرافات . فرواية العروضى، وهى أقدم الروايات وأصلها فيما أحسب، تقول : إن السلطان أمر أن يحمل الى الشاعر من النيلج ماقيمته ٦٠ ألف دينار، وأن الوزير لبث سنين مشغولا بهذا الخ . وليس يعقل أن تكون هبة السلطان من هذا النوع، ولا أن يحتاج الوزير الى سنين حتى يهيئها ويرسلها . ولو كان هذا، وهو عجيب، ما أبت قبوله بنت الفردوسى أو أخته . وأكبر الظن أن السلطان جاءه من غنائم الهند أو جزيتها مقدار كبير من النيلج فأمر بارساله الى المدن الكبيرة ليباع . فأرسل بعضه أوكله الى طوس . وكان ذلك عقب وفاة الفـردوسى . ثم أمر السلطان أن يبنى سد المـاء أو رباط من ثمن النيلج . فنشأت الخرافة ؛ جعل النيلج صلة للشاعر جاءت بعد وفاته . ولمـا لم يعط شىء لورثة الفردوسى قيـل إنهم أبوا أن يأخذوا الخ . ويجوز أن البناء على مر الزمن سمى باسم الفردوسى، أو باسم آخر جعـل اسما لاحدى قرابات الفردوسى، كما تقدّم عن بايسنقر أن سدّ طوس يسمى سدّ عائشة فرّخ، وأنها أخت الفردوسى.

(١) چهار مقالة ص ٥٠ و ٥١ (٢) براون ج ٢ ص ١٣٧

وأما الرواية عن ناصر خسرو فى كتاب سفر نامه ، أنه مر بطوس سـنه ٤٣٨ فرأى رباطا كبيرا حديث البناء فسأل فقيل له : إنه بنى من صلة السلطان للفردوسى، فلا نجدها فى سفرنامه . والمعروف من أخبار ناصر خسرو أنه لم يذهب الى طوس، وأنه فى سنة ٤٣٨ كان فى جهات الرى وسار منها صوب الغرب والجنوب، ولم يعاود خراسان إلا سنة ٤٤٤ (١)

١٢ و ١٤ — وفاة الفردوسى :

يقول دولتشاه : إن الفردوسى توفى سنة ٤١١، ويروى غيره أن وفاته كانت سنة ٤١٦ (٢)؛ وقد تقدّم أن الشاعر ولد حوالى سـنة ٣٢٩، فقد توفى اذا بعد الثمانين . وهذا يلائم ما يروى فى خاتمة الشاهنامه، وفى الهجاء المنسوب اليه — أنه كان يناهز الثمانين قبل ذهابه الى العراق .

وقد تقدّم ما ترويه مقدّمة بايسنقر عن الشيخ أبى القاسم الجرجانى أنه أبى أن يصلى عليه حتى رأى فى المنـام ما غيّر ظنه بالفردوسى . ويقول نظامى العروضى : "وكان فى طبران واعظ فتعصب وقال: لا أجيز أن يدفن فى مقبرة المسلمين إذ كان رافضيا ، وأصر على ذلك . وكان للفردوسى بستان داخل باب المدينة فدفن فيه . وقبره باق اليوم وقد زرته سنة ٥١٠" ويقول ابن اسفنديار إن هـذا البستان كان يسمى "باغ فردوس" أى حديقة الفردوس . ويقول دولتشاه أن قبره كان الى أيامه (القرن الثامن) معروفا يزوره المعجبون به، وأنه كان بجانب المقبرة العباسية (٣) .

وقد زار سيكس ساحة القبر وصورها فى كتابه تاريخ ايران (٤) . ولا يتبين فى الصورة إلا أحجار منثورة فى العراء على مقربة من شجيرات .

وفى مجلة ايرانشهر (العدد العاشر من السـنة الثالثة ، المنشور ٣ ربيع الأول لسـنة ١٣٤٤ هـ ٢٣ أغسطس سنة ١٩٢٥ م) أخبار عن تأليف جمعية لتشييد قبر الفردوسى ، وصورة جميلة فخمة للقبر الذى يراد إنشاؤه .

ذرية الفردوسى :

لا نعرف من أولاد الفردوسى إلا ابنا رثاه فى الشاهنامه، مات فى سن السابعة والثـلاثين بينما كان الأب فى سن خمس وسـتين (٥)، وإلا بنتا ذكرت فى روايات بايسـنقر والعروضى كما تقدّم . ولا نعرف من أخبار أسرته شيئا وراء ذلك .

---

(١) نلدكه ص ٥٠ (٢) نلدكه ص ٥١ (٣) براون ج ٢ ص ١٣٨ حا . (٤) ج ٢ ص ٦٠

(٥) ص ٢٢٠ ج ٢ — الآتية .

هل كان الفردوسى يعرف الفهلوية والعربية ؟

يظن الباحثون فى عصرنا أن كلمة پهلوى معناها پرتى. وكان إقليم پرتيا يسمى فى الفارسية القديمة پرتفا نحرف الى پهلو وقيل فى النسبة اليه پهلوى . ويوافقه ما فى الكتب العربية؛ فقد أطلق جغرافيو العرب كلمة فهله على إقليم فى وسط ايران وغربيها يشتمل على أصفهان والرى وهمذان ونهاوند وقسم من آذربيجان . كما يقول البيرونى عن بعض الأعياد : "وقد بقى هذا الرسم بأصفهان والرى وسائر بلدان فهله[1] " ويقول ياقوت أن فهلو أو فهله اسم يقع على خمســة بلدان : أصبهان والرى وهمذان وماه نهاوند وآذربيجان . وينقل عن حمزة الأصبهانى فى كتاب التنبيه : "فأما الفهلوية فكان يجرى بها كلام الملوك فى مجالسهم . وهى لغة منسوبة الى فهله" .

وكلمة "پهلوى" غير محدودة المعنى فى الآداب الفارسية . فالفردوسى يسمى لغة أبطاله القدماء پهلوية، وكذلك يقول البيرونى عن كيومرث أول ملوك الشاهنامه أنه كان يلقب كرشاه لأنه كان فى الجبال، و "كر" هو الجبل بالفهلوية[2] . ويقول القزوينى : إن الفهلوية كانت لغة جهات مختلفة فى بلاد الفرس . وفى الأدب الفارسى الحـديث قطع شعرية لها لهجة خاصة تسمى الفهلويات .

والذى يعنينا هو استعمال الفردوسى هذه الكلمة : هو يعنى بها اللغة القديمة . ويفرّق بينها و بين الفارسية أو الدرية؛ فهو فى فصل طهمورث يعدّد اللغات التى علمها الجن هذا الملك فيذكر "پهلوى" و "پارسى"[3]. وفى قصة كليلة ودمنة يقول: إن الكتاب كتب فى عهد أنو شروان ، ولم يكن إذ ذاك خط إلا الفهلوية[4] ، وبقى فى الفهلوية حتى عصر المنصور العبـاسى فترجم الى العربية . ثم ترجم الى الفارسية بأمر الملك السامانى نصر بن نوح[5] .

هل كان الفــردوسى يعرف الفهلوية ؟ ينبغى قبل إجابة هذا السؤال أن نتذكر أن الفرق بين الفارسية والفهلوية يكاد ينحصر فى الخط . فاذا تُكلم بالفهلوية أو كتبت بالحـروف العربيـة فهم الفارسى المسلم معظمها . والخط الفهلوى معقد . وينـدر أن يكون أحد من المسلمين عنى بدرسه إلا أن يكون من علمـاء اللغات .

يقول نلدكه أن الفردوسى لم يعـرف الفهلوية قط[6] . ولا أدرى علام بنى رأيه هـذا . ولكن قارىء الشاهنامه يحس أن الشاعر كان له إلمـام بالفهلوية على الأقل: يشرح الفردوسى فى أثناء

(١) براون ج ١ ص ٨٠ والآثار الباقية ص ٢٢٩ (٢) الآثار الباقية ص ١٢ (٣) مول ج ١ ص ٤٦

(٤ و ٥) ص ٤٥٤ ج ١ وما بعدها . (٦) مقدمة الطبرى لنلدكه .

الشاهنامه كلمات فهلوية ؛ يقول فى تفسير "بيوراسب" وهو لقب الضحاك ، أن بيور فى الحساب الفارسى معناه "ده هزار" (عشرة آلاف) باللغة الدرية (الفارسية) :

بجا بيــور أزپهلوانى شمــار بود درزبان درى ده هزار

ويقول عن دجلة : إنها تسمى بالفهلوية أروند . فان كنت لا تعرف الفهلوية فسمها دجلة بالعربيــة .

أكر پهلوانى ندانى زبان بتازى تو أروندرا دجله خوان(1)

وقال : إن بيت المقدس يسمى بالفهلوية كنك دِژ هوخت الخ(2) .

ثم هو يقول فى المقدمة أن صاحبه الذى حرضه على نظم الشاهنامه قال له أنت فصيح وشاب ، وتتكلم الپهلوانية :

كشاده زبان وجوانيت هست سخن كفتن پهلوانيت هست

وقد فسر مول وورنر الجملة الأخيرة بأنه قدير على وصف أعمال الأبطال (پهلوان) . وليس لها على هــذا دليل . ثم للفردوسى شــعر رواه صاحب لباب الألباب يصرح فيــه بأنه قرأ كثيرا من الفهلوية والعربية :

بسى رنج ديدم بسى كفته خواندم زكفتــار تازى وأزپهـــلوانى

"كم حملت نصبا، وكم قرأت من العربية والپهلوانية" .

وهنا تعرض للباحث مسألة أخرى :

الفردوسى يسمى الكتاب الذى نظم عنه الكتاب الفهلوى : يقول فى المقدمة على لسان صديقه الذى تقدّم ذكره الآن : "قد كتبت الكتاب الفهلوى، وسآتيك به لعلك لا تنام عنه" .

نبشــتم من اين نامۀ پهلوى به پيش توآرم مكــر نغنوى(3)

ويقول فى أوّل قصة بيژن ومنيژه أنه أرق ليلة فصاح بغلامه فهيأ له مجلس الشراب ثم قال له : "إن كنت لا تنام فأصغ الى حتى أقرأ عليك من الكتاب الفهلوى قصة لتنظمها" . وكان يقرأ وهو ينظم الخ(4) . فهل نظم الفردوسى من كتاب فهلوى ؟

(1) مول ج ١ ص ٩٤ (٢) = ص ٩٦ (٢) لباب ج ٢ ص ٣٣ (٣) مول ج ١ ص ٢٠

(٤) ص ٢٣٨ ج ١ الآتية .

أظن الفردوسى، حين يصف الكتاب الذى نقل عنه بأنه فهلوى، لا يعنى إلا أنه كتاب الملوك القدماء والأبطال. وفى الهند، وإيران حتى اليوم يوصف كل مايتعلق بأعمال الأبطال القدماء وأقوالهم بأنه فهلوى[1]. وقد تقدّم أن أبا منصور بن عبد الرزاق أمر بترجمة الكتاب القديم من الفهلوية إلى الفارسية، وأن هذا الكتاب هو أصل الشاهنامه.

ثم الفردوسى له بيت يحتمل أنه يصف الشاهنامه بأنها كتاب فهلوى أيضا.

زمن گشت دست فصاحت قوى   بپرداختم دفتر پهلوى[2]

"قد قويت بى يد الفصاحة، وأنهيت الكتاب الفهلوى.

ومهما يكن فالمصادر التى نظم عنها الفردوسى فارسية حديثة.

وأما معرفة الشاعر بالعربية فتظهر من البيت المتقدّم ومن بعض كلامه فى مقدّمة يوسف وزليخا. والظن بأدباء عصره أنهم كانوا يعرفون العربية قراءة على الأقل.

الفصل السادس ـــ الشاهنامه

١ ـــ عدد أبياتها:

يقول الفردوسى فى فاتحة قصة شيرين، فى عهد كسرى پرويز، قبيل آخر الكتاب: إن أبيات الكتاب تكون ستين ألفا[3]. وكذلك فى الهجاء المنسوب اليه.

وهذا هو الذائع بين الفرس، وقد ذكره ابن الأثير فى خاتمة المثل السائر. ويمكن أن يقال: إن الشاعر سوّغ لنفسه أن يقول: "٦٠ ألفا" بعد أن جاوز فى النظم ٥٠ ألفا، تعظيما لكتابه. فالكتاب بين خمسين ألفا وستين.

ونسخ الشاهنامه، وهى كثيرة جدا، تختلف فى العدد اختلافا كبيرا. ولا ريب أن بعض النسخ أُدخل فيها قطع من قصص أخرى نظمت بعد الشاهنامه على مثالها وفى حوادث متصلة بحوادثها. وقد ألحق ببعض الطبعات أبيات ميزت من متن الكتاب إذ تبين للنقاد أنها ليست منه. وفى طبعة تبريز زهاء ١٧٠٠ بيت ميّزت عن المتن لذلك.

---

(١) براون ج ٢ ص ٧٩ (٢) فرهنگ شعورى: پهلوى. (٣) ج ٢ ص ٢٣٨ حا ـــ الآتية.

واذا نظرنا الى مقدّمة طبعة تبريز، مثلا ، وهى تُعتبر إعادة طبعة مكّن، وجدنا المخطوطات التى صُحح عليها تختلف بعدد أبيات. وهذا تعداد ثمانية منها: ٥١٢٤٣، ٤٧٥٢٠، ٥٠٥٢٠، ٥٦٦٨٥، ٥٢١٣٥، ٤٦٩٨٢، ٥٥١٩٢، ٥١١٣٣ . وقد تكلم نلدكه عن ٤٠ نسخة مخطوطة أكبرها تحتوى ٦١٢٦٦ وهى فى المتحف البريطانى . وأكثرها يشتمل على ما بين ٤٨ ألفا الى ٥٢ ألفا . وأصغرها نسخة تحتوى ٣٩٨٥١

ولو أنى أنشر الأصل الفارسى لكان هنا مجال للنقد والمقارنة فسيح . وقد قارن أعداد الأبيات فى نسخ كثيرة، واختلاف النسخ فى قصص معينة، واختلاف الروايات فى الأبيات نلدكه . فليرجع اليه.(١)

٢ ـــ مكانتها عند الفرس وغيرهم :

وللكتاب عند الفرس مكانة عظيمة، هو سجل تاريخهم، وأناشيد مجدهم، وديوان لغتهم، ينشدونه فى المحافل، ويهيم به العالم والجاهل . وقد سماه ابن الأثير قرآن القوم كما سبق .

ويقول سيكس: وقد استمعت الى أبيات منها ينشدها بدوى غاضب لايستطيع أن يقرأ ولا أن يكتب فعرفت كيف يبذل الفارسى روحه فى مثل هذه المواقف .

ولا ريب أن لموضوع الكتاب ، ولعصبية الفرس أثرا فى ولوع القوم به كما أن لجمال الشعر وحسن التصوير، وروعة الأسلوب، وجلجلة الوزن أثرا . ولست أجد المجال متسعا هنا للكلام عن شعر الشاهنامه . فانما هى مقدّمة لترجمة عربية منثورة لا يتجلى فيها روعة الشعر وتصوير الواقعات . وحسبى أن أنقل نبذتين عن أستاذين كان كلاهما حجة فى الأدب الفارسى : نلدكه و براون . وسيرى القارئ أن براون كان أوّل من استطاع أن يجهر بعيب الشاهنامه :

يقول نلدكه(٢) : إن الفردوسى شاعر مطبوع يستولى على فكر القارئ، ويحيى القصة التافهة بانطاق الممثلين أمامنا، بل كثيرا ما تضيع الحركات فى جلال الأقوال . وهو يفصل الحادثات فيبين أحسن إبانة عن حادثة لم يكتب عنها فى الأصل الذى نظم عنه أكثر من أنها وقعت . ويبيح لنفسه أن يخلق حادثات صغيرة ليتم الوصف . وهو يعرف كيف يحيى أبطاله ، بل يخرج أحيانا البطل فى صورة جديدة غير التى عرفته بها الروايات . وماأقدره على تبيان ماوراء أعمال الأبطال من أسباب، وأفكار . والوصف النفسانى رائع جدا . ونغمة البطولة مسموعة فى الكتاب كله . وعظمة الزمان القديم ، وأبهته ، وفرحه وترحه ، وجلاده مصوّرة فى أسلوب معجب ، حتى ليسمع الانسان صليل

(١) نلدكه ص ١٠٩ وما بعدها . (٢) ملخص من الحماسة الايرانية ص ٨١ وما بعدها .

السيوف وصدى المآدب . هو لايبلغ فى التفصيل مبلغ هومير، ولا يستطيع أن يجمل حادثة فى كلمات قليلة مثله . ولكنه، مع هذا، يمضى قدما الى غايته حين يصف الوقائع وإن يكن فى الخطب والرسائل مكثارا ككل فارسى .

مشاهد الحرب تستقبل القارئ فى كل مكان . ولكن هناك ميادين للحب، والعواطف الدقيقة؛ هناك قصص عظيمة فى الحب كقصة زال، وروذابه، وبيژن ومنيژه (١) . وهى أجمل أقسام الكتاب .

والشاعر فى هذا ، بل فى كتابه كله، يملك القارئ ببساطة الوصف . وعاطفة الأمومة والأبوة والقرابة واضحة فى الكتاب كذلك . ولكن يصحبها التعطش للدماء ثأرا للأقارب؛ فقصة الانتقام لسياوخش، مثلا ، تملأ صفحات من الكتاب كثيرة جدا . وهذا التعطش للثأر يتمكن حتى نجد الرجل العاقل كودرز يشرب دم أطيب الأعداء نفسا : پيران الخ .

ويتجلى فى الكتاب كذلك ندب حظوظ الانسان فى هذا العالم الحائل، والاعتبار بغير الزمان . اهـ

إعجاب نلدكه بالشاهنامه يشاركه فيه أدباء الشرق والغرب، فيما أعلم، إلا الأستاذ براون :

يقول : يجمع نقاد الشرق والغرب على الإعجاب بالشاهنامه . فأنا أتهيب كثيرا أن أصارحهم أنى لم أستطع مشاركتهم إعجابهم . وعندى أن الشاهنامه لا يجوز أن توضع لحظة واحدة فى مستوى المعلقات العربية ، ولا أن تقاس فى جمالها وعاطفتها بما يتجلى فى المنظومات الرائعة الفارسية — المنظومات الخلقية والغرامية والوجدانية . حتى أنه لاتسوغ المجادلة فى أمور الذوق ولاسيما فى الأدب . وجائز أن يكون عجزى عن إعظام الكتاب قصورا فى طبعى عن تقدير الشعر القصصى كله . ولكنى على ذلك أستطيع أن أقول : إنى أجد فى الشاهنامه عيوبا معينة محققة؛ اذا أغضينا عن طولها الذى اقتضاه موضوعها ، وعن الاطراد الممل فى الوزن الذى تشارك فيه الملاحم الأخرى ، فهناك تشبيهات مكررة مملة : كل بطل فيها أسد مفترس ، أو تمساح ، أو فيل هائج . واذا كرّ مسرعا فهو دخان أو نقع أو ريح .

إن جمال الأسلوب الأدبى يضيع بالترجمة . ولكن جمال المعانى، وروعة الفكر يستطاع حفظهما . كما حفظت معانى الخيام فى ترجمة فترجرلد . ولكن الشاهنامه، فى ظنى، تمتنع على كل ترجمة معجبة . لأن جلجلة ألفاظها، وروعة وزنها اللذين لا يستطيع إنكارهما من استمع لهما فى محافل ايران تضيعان بالترجمة فتبقى المعانى التى وراءها عارية . أنا لا أزعم أنى ناظم مجيد. ولكنى نظمت كثيرا من ترجمة

(١) ج ١ ص ٢٣٨ الآتية .

الشعر العربي والفارسي في هذا الكتاب . وأحسب أن قليلا من قراء الانكليزية يضع ما ترجمته من الشاهنامه في مستوى ما ترجمته من المنظومات الأخرى . اه

يعترف الأستاذ براون في مواضع من كتابه أن ذوق أهل اللغة في تقدير آدابهم مقدم على أذواق غيرهم، ويعترف بأن الفرس منذ نظمت الشاهنامه حتى اليوم لا يعدلون بالفردوسي شاعرا آخر.

وأذكر أني كلمت العلامة محمد بن عبد الوهاب القزويني في باريس سنة ١٩٢٨م عن رأي براون في الشاهنامه فأنكره أشد الانكار.

وأما أنا فعهدي بالأدب الفارسي أحدث من أن أدلي برأي قاطع في موضوع كهذا. ولكن على ذلك أستطيع أن أقول : إني أجد في الشاهنامه ما يصدّق قول نلدكه وبعض قول براون؛ فالشاعر فيّاض يحمل القارئ من معمعة الى أخرى معجَبا مرتاعا. وهو يطيل ويسهب حين يحسب القارئ أن ليس للقول مجال . ولكن العيوب المعينة التي ذكرها براون لا مراء فيها. وأما حكمه على الكتاب كله بجدير بالرد .

٣ — موضوع الشاهنامه :

الشاهنامه تجمع معظم ماوعى الفرس من أساطيرهم وتاريخهم من أقدم عهودهم حتى الفتح الاسلامي. وهي مرتبة ترتيبا تاريخيا : تذكر الأسرة فتبدأ بأول ملوكها تبين تاريخه، وما كان في عهده من الحادثات ثم تذكر الملك الثاني وهلم جرا . وبهذا تخالف الملاحم الأخرى، كما تقدّم .

ويستمر القصص فيها ٣٨٧٤ سنة يحكم فيها أربع دول :

(١) الدول البيشدادية . وملوكها ١٠ ومدّتهم ٢٤٤١؛ وهذا هو العهد الخرافي الخالص، تختلط فيها أساطير الهند وإيران. ويلتبس فيها الآلهة بالملوك . وفي مآثرهم ذكرى الحضارة الفارسية الأولى . وكانت دار ملكهم طبرستان واصطخر. ويجد القارئ تفصيل هذا في التعليق على فصولهم أثناء الكتاب[1].

(٢) الدولة الكيانية . وملوكها ١٠ مدتهم ٧٣٢ سنة . وهي في ملوكها ووقائعها موصولة بالدولة التي قبلها، الى عهد لهراسب . ومع لهراسب تنقطع الصلة بالأساطير الهندية ويبدأ عهد أظنه مجالا للبحث التاريخي؛ نجد فيه گشتاسب وزردُشت ثم عدة ملوك ينتهون بدارا ووقائعه مع اسكندر . ومن المؤلفين القدماء والمحدثين من يرى في بعض الملوك الكيانيين ملوكا من الدولة الأكمينية التي حكمت إيران من سنة ٥٥٠ ق م. حين استقل كورش بالملك الى فتح إسكندر المقدوني .

(١) انظر الحاشية ص ١٣ — ٣١ و٣٧ — ٤١ و٥٠ — ٥٨ و٧٩ — ٨٥ و٩١ — ٩٩

فالبيرونى مثلا يجعل كورش هو كيخسرو، وبهمن هو أرتكزكس (اخشويرش) و يخلط بين أسماء الكيانيين والأكمينيين تارة، و بين الكيانيين وملوك بابل تارة أخرى[1] .

وفى مروج الذهب وصبح الأعشى أن كورش هو بهمن أو والى العراق من قبل بهمن[2] . وقديما ظُن أن قبر دارا فى سوسه هو قبر كيخسرو .

والسير وليم جونس فى القرن الثامن عشر الميلادى، وتبعه آخرون، كان يرى، كما رأى البيرونى، أن كورش هو كيخسرو، ويحاول التوحيد بين الكيانين والأكمينين[3] . ومؤرخو الفرس والترك فى هذا العصر يسمون كورش كيخسرو، وقمبيز كيكاوس ، الخ .

وأرى أن هناك شبها بين أساطير الكيانيين وتاريخ الأكمينيين (هخامنشى)، وليس يعاب على باحث أن يحاول تمحيص المسألة . ولكن ليس هـذا مكانها . وقد بينت بعض هذا فى التعليق على فصول الكيانيين فى الكتاب[4] .

وآخر هـذه الدولة اسكندر المقدونى الذى اغتصبته الأساطير فزعمتـه ابن داراب، وأخا دارا الأخير، وجعلت أمه بنت فيلقوس (فيليب) ملك الروم .

(٣) الدولة الأشكانيـة . ومدّتهم ٢٠٠ سـنة ، ولا يذكر الفردوسى منهم إلا أسمـاء قليلة ولا تعنى بهم الأساطير الفارسـية بل تعدّهم أجانب لم يؤثروا أثرا فى آداب الفرس . وغير الشاهنامه من كتب التاريخ الفارسى يعدّ منهم زهاء ٣٠ ملكا . وهذه دولة تاريخية لم يكشف التاريخ بعد عن أصلها أكانت ايرانية أم تورانية . وآثارهم وصورهم تدل على اصطباغ حضارتهم بالصبغة اليونانية[5] .

(٤) الدولة الساسانية. ومدّتها فى الشاهنامه ٥٠١ سنة، وعدد ملوكها ٢٩ . وهى دولة موصولة النسب والمآثر بالدولة الكيانية، وتعد محيية المجد الفارسى والدين الزردشتى بعد كارثة اسكندر .

وهى دولة تاريخيـة . ونسق ملوكها فى الشاهنامه، وأعمالهم تاريخيـة إلا قليلا من القصص . ولكن الشاهنامه وغيرها من الكتب الفارسية والعربية تخطئ فى مدّتهم ، وقد بين المسعودى سبب الخطأ. وبيان هذا فى التعليقات على فصول الساسانيين، فقد حاولت أن أقيس تاريخهم فى الشاهنامه بما يعرف من تاريخهم عند اليونان والرومان والعرب، جهد الطاقة والوقت .

---

(١) الآثار الباقيـة ص ١١١و٨٨ (٢) مروج الذهب ص ١٤٣ ج ١ (٣) براون ج ١ ص ٥٥

(٤) انظر الحاشية ص ٩٩ — ١٠٩و١٩٩ — ٢٠٤ و٣٠٨ — ٣٠٩و٣٢٣ — ٣٣١ و ٣٦٩ — ٣٧٥ و ٣٧٩ — ٣٨٠ (٥) انظر الحاشية ؛ ص ٣٣ — ٣٧

يتخلل أخبار هؤلاء الملوك قصص كثيرة ممتعة بعضها متصل بنسق الحوادث إذا فصل منها اختل سياق القَصص، و بعضها مستقل لا يحتاج اليه فى ربط الحادثات بعضها ببعض . والى هذا خُطب الملوك والقوّاد، ووصاياهم . والفردوسى لا يمل الاطالة فيها . ثم الشاعر يظهر فى أثناء الكتاب، ولا سيما فى أوائل الفصول وأواخرها، معجبا بشعره، أو ذاكرا الراوى الذى روى القصة، أو شاكيا النصب والشيخوخة، أو مادحا السلطان محمودا ، أو واعظا مذكرا بغيَر الزمان، وتقلب الحظوظ . وهو لا يكاد يترك فرصة للاعتبار والوعظ .

٤ — اشخاص الشاهنامه :

(ا) الملوك لهم المكانة الأولى فى تصريف الأمور، ولهم الأمر النافذ والطاعة المخلَصة . وهم مميزون حتى فى خلقتهم، فالملوك الكيانيون كان فى أجسامهم شامة يُعرفون بها . وبها عرف فرود بن سياوخش حينما مر الجيش الايرانى بمعقله فى طريقة الى حرب التورانيين، وعرف كيخسرو حينما ذهب كيو يفتش عنه فى أرجاء توران ليرجع به الى وطنه[1] .

و يصحب الملوك المجد الآلهى (فرّ ايزدى) أو شعاع السعادة الآلهية، كما يسميه الثعالبى فى الغرر. ولما فرّ أردشير من قصر أردوان آخر الملوك الأشكانيين، ليقيم الدولة الساسانية تبعه هذا المجد فى صورة أيل[2] .

وقد يخبر الملك بالغيب كما أخبر منوچهر ابنه نوذر باغارة التورانيين ، وأخبر سياوخش أمه بأنه سيقتل . وقد يوحَى الى الملك كما نزل الملَك سُروش على كيومرث، وعلى كيخسرو . وقد ارتفع كيخسرو الى السماء حيا .

واذا استقام الملك استقامت الأمور ، ونعمت الرعية، وأخصبت الأرض، ”ومهما كان الملك ظالما كان محروما من الخيرات، مدفوعا من الحسنات . ومتى كان ظالما انقطع التناسل بين الوحوش والطيور، وقلت الألبان فى الأخلاف والضروع ، ونشت المياه فى المنابع والعيون، ولم تسمح نوافج المسك بالأرج ، ولا مثمرات الأشجار بالثمر[3]“ . وقد نزل بهرام كور متنكرا فى بيت فلاح، وعزم أن يزيد فى الخراج فقامت امرأة الفلاح الى بقرة لتحلبها وتهيئ للضيف طعاما فلم تجد لبنا فأخبرت زوجها أن قلب الملك تغير وقالت : ”أما تعلم أن الملك إذا صار ظالما جفت الألبان فى الضروع، ولم يأرج المسك فى النوافج ، وشاع الزنا والربا فى الخلق، وصارت

(١) ص ١٩٢ ، ٢٠٦ ج ١ الآتية .   (٢) ص ٤١ ج ٢ الآتية .   (٣) ص ١٦٥ ج ١ الآتية .

القلوب قاسية كالحجر الصلد، وعاثت الذئاب، وضريت بالإنس، وتخوف ذوو العقول من ذوى الغواية والجهل . ولولا حدث "حدث لما تغير لبن هذه البقرة الحلوبة". فلما سمع بهرام ذلك ندم على ما أضمر وتاب عما عزم عليه فعاد اللبن الى ضرع البقرة [1].

ولكن الملوك على علو قدرهم ليسوا معصومين، فقد ضل جمشيد، وكان طيش نوذر سببا فى هزيمة الجيش الإيرانى واستيلاء التورانيين على إيران . وكان كيكاوس نزقا أحمق، عرّض نفسه وملكه للهلكة مرارا [2] . والملوك ليسوا أعظم من أن يوبخوا على مثل هذه الأفعال . كما وبخ كودرز كيكاوس حينما حاول أن يطير الى السماء فسقط، وحينما أغضب رستم [3] . وقد سخط الناس على نوذر فأرادوا أن يخلعوه وعرضوا المملكة على سام . ووبخ سام كيخسرو حينما زهد واحتجب عن الناس، وتمنى الخلاص من الدنيا [4] .

وليس عظيما أن يقوم الملك للسلام على البطل أو القائد أو يخرج لاستقباله كما خرج كيخسرو لاستقبال رستم حينما خلص بيژن من سجن أفراسياب [5] . وكثيرا ماينادم الملك أمراءه وقواده ويحتفى بهم . وقد نادم الملك منوچهر الشابَّ زال بن سام، ومازحه، وأمر الفرسان أن يركبوا احتفاء به [6]، فالملوك معظمون مقدّسون، ولكنهم ليسوا بمعزل من الناس، ولا بنجوة من الحادثات .

(ب) الأبطال :

للأبطال المكانة الثانية فى السلم، والمكانة الأولى فى الحرب . وبعضهم من نسل الملوك مثل طوس ابن نوذر، واسفنديار بن گشتاسب، وبعضهم من أسر أخرى . وأعظم الأبطال أسرتا قارن وسام . عرفت الأسرة الأولى منذ أفريدون وبقيت تنشئ القواد والمحاربين والأبطال حتى آخر عهد كيخسرو . وشيخهم گودرز، ومن أبنائه گيو، وبيژن، وبهرام . وعرفت الأسرة الثانية منذ أفريدون أيضا، وبقى لأبطالها الثلاثة : سام وزال ورستم الذى هو بطل أبطال الشاهنامه، المكانة الأولى بين أبطال إيران الى آخر عهد كيخسرو . ثم تغيرت الأحوال وبقى زال ورستم فى معزل بزابلستان موطنهما حتى كانت الفتنة بين رستم وگشتاسب، وقتل رستم اسفنديار بطل الأبطال زمن الكيانيين من بعد كيخسرو . ثم اغتيل رستم بحيلة أخيه وصهره . واسفنديار هو بطل دين زردشت وأعظم بطل فى عصره [7] . وأعظم أبطال الساسانيين الملك بهرام گور والقائد بهرام چوبين .

(١) ص ٨٧ ج ٢ الآتية . (٢) ص ١٢٨ و ١٢٩ ج ١ الآتية . (٣) = ص ١٢٩ و ١٣٧
(٤) = ص ٨٠ و ١٠٣ (٥) = ص ٢٤٩ (٦) = ص ٧٢ (٧) انظرها ص ٥٢ — ٥٧ و ٢٠٣ و ٣٢٨ ج ١ الآتية .

وكان فى عهد الكيانيين جماعة عرفوا باسم " الأبطال السبعة " . وكأنهم ذكرى الأسر السبعة التى كان لها الشرف فى دولة الأكمينيين . والأبطال الذين يذكرون كثيرا فى عهد كيخسرو، وهو آخر عهد البطولة، اثنا عشر[1] .

ولا ريب أن بين أبطال الكيانيين جماعة من أمراء زمن الأشكانيين ردتهم الأساطير الى الزمن القديم، كما أرجعت حوادث متأخرة الى زمن متقدّم . فأسماء كودرز، وكيو، وبيرن، وبهرام معروفة فى العهد الأشكانى، على اختلاف فى الصيغ : كودرز يسمى كوترزس، وكيو يسمى كيو بتراس، كما تحوّل اسم مهرداتِس الأشكانى الى ميلاد أحد أبطال الكيابيين، واسم فراتِس الى فرهاد[2] .

وكما نجد أيام البيشداديين والكيانيين والساسانيين قارن وأسرته، نجد فى تاريخ الأشكانيين أسرة نابهة جدا تحمل هذا الاسم .

(ج) المـــوابذة :

والموابذة لهم شأن عظيم فى عهد الساسانيين . ولكن الشاهنامه تتوسع جدا فى معنى «موبذ» ؛ فهو مستشار الملوك والأمراء، ومعبر الأحلام؛ عبر رؤيا أفراسياب[3]، وغيره. وهو العالم بالتاريخ والأنساب الذى أخبر زالا أن من نسل أفريدون رجلا فى جبال ألبرز اسمه كيقباد . بل نجد الموبذ طبيبا يشق خاصرة أم رستم ليخرج الجنين[4] . ونجده يتولى تجهيز الملك يزدجرد الأثيم حين مات فيشق صدره وخاصرته وبطنه . ونجد الموبذ يفرغ النفط على الحطب لإشعال النار فى قضية سياوخش[5] . وقد أُرسل أربعة موابذة الى الحيرة ليعلموا بهرام كور الكتابة والتاريخ والفروسية والصيد واللعب بالكرة[6] .

٥ ــ القضاء، والقدر، والسحر، والأحلام، والتنجيم .

حوادث الشاهنامه تسير فى تصرف قضاء قاهر لا حيلة فيه . والفردوسى يعرب عن هذا فى مواضع كثيرة . فالفلك مسيطر جبار لا مناص من حكمه :

أزين برشــده تيزچنــك أژدها • بمردى ودانش كه يابد رها ؟
بباشد همى بود نى بى كمان نجويد أزو مرد دانا زمان

"من يستطيع النجاة بالشجاعة والمعرفة من هــذا التنين المحلّق، حديد المخالب؟ إن المقدّر كائن لا ريب . لا يحاول الرجل العاقل تأخيره[7] .

(١) = ص ٢٠٤ و ٢٥١ (٢) وورنج ٣، مقدّمة . (٣) ص ١٦٤ ج ١ الآتية . (٤) = ص ٧٦ و ٩٧
(٥) ص ٧٩ ج ٢ و ١٧١ ج ١ الآتية . (٦) ص ٧٥ ج ٢ الآتية . (٧) مول ج ٢ ص ٥٩٠ .

وكان أفراسياب يعلم أنه سيولد بينه وبين ملك إيران ولد يقتله فأراد ألا يزوج ابنته من سياوخش بن كيكاوس . ثم كان الزواج وولد كيخسرو فهمّ بقتله فصرفه عنه پيران حتى نجز المقدور فقتل أفراسياب بيد كيخسرو بعد خطوب عظيمة . وكذلك كان سياوخش يعلم أن أفراسياب سيقتله، وپرويز يعلم أن ابنه قباذ سيقتله ، وأن زوال ملك الساسانيين سيكون على يد يزدجرد حفيده . فحاولوا محاولات خائبة ثم نفذ عليهم القضاء[1] . وانظر ما تكهن به رستم قائد الفرس فى القادسية .

والأحلام والتنجيم تكشف من أسرار القضاء المقبل وعما خفى من الواقعات الراهنة . فسام عرف بالرؤيا أن ابنه زالا حىّ على بعض الجبال، وأفراسياب رأى أن كيخسرو هزمه وضربه ضربة قاتلة ، وكودرز رأى أن كيخسرو فى بلاد توران فأرسل جيوا فأحضره، وطوس يعرف بالرؤيا قدوم جيش إيران . وأمثال هذا كثير[2] .

وقل أن يقضى فى أمر دون استنباء النجوم عن عاقبته؛ سام يسأل المنجمين عن عاقبة زواج ابنه ببنت مهراب ملك كابل ، وكذلك يسألهم الملك منوچهر ، وكيكاوس حين خفى عليه أمر ابنه سياوخش وزوجه سوذابه سأل المنجمين، وكودرز ينتظر للقتال ساعة سعد فى حرب يازده رخ. وكيخسرو وأفراسياب فى موقعة آمل يُعدّان للحرب ثم ينتظران أنباء النجوم[3] ، وكشتاسب يتعرّف طالع ابنه اسفنديار . وقيصر الروم يسأل المنجمين عن إنجاده پرويز حين استعان به[4] .

وأما السحر ففى قصة هفتخوان الأولى والثانية حديث رستم واسفنديار مع الساحرتين وبيان ما تستطيعه السحرة من العجائب . وكان فى بيت كيكاوس ساحرة واطأت سوذابه على الكيد لسياوخش . والتورانيون يهزمون الايرانيين بالسحر[5] .

٦ — الأمم فى الشاهنامه :

الأمم التى تذكر كثيرا فى الشاهنامه ، عدا الإيرانيين، هم التورانيون، والروم والهند والصين والعرب . وهى الأمم المجاورة إيران والقريبة منها .

وملوك التورانيين والروم أقارب ملوك إيران؛ كلهم من ذرية أفريدون؛ ملوك إيران من نسل ايرج، وملوك توران من نسل تور، وملوك الروم من نسل سلم . هذا الى صهر بينهم فى عصور مختلفة ، كتزوج سياوخش بن كيكاوس فرنكيس بنت أفراسياب، فى الزمن القديم ، وتزوج

(١) ص ١٧٥ و ١٨٠ ج ١، ص ٢٥٣ ج ٢ — الآتية . (٢) ص ٥٥ و ١٦٣ و ١٩١ و ٢١٩، ج ١

(٣) = ص ٦٣ و ٧٠ و ١٥٩ و ٢٧٦ و ٣٠٥ (٤) ص ٢٠٩ ج ٢ الآتية . (٥) ص ١١٢ و ٣٤٥ و ١٥٩ ج ١

أنو شروان بنت الخاقان فى العهد الساسانى . وكتزوج گشتاسپ بن لهراسپ كتايون بنت ملك الروم فى عصر الكيانيين ، وتزوج كسرى پرويز مريم بنت قيصر فى العهد الساسانى .

وأما الهند فليسوا أقرباء ولكنهم ليسوا أعداء . وقد كانت مصاهرة بين بهرام گور الساسانى وملك الهند .

والصينيون يذكرون فى التجارة . والوقائع بينهم وبين الإيرانيين نادرة ، ولكنهم يلبسون بالتورانيين كثيرا كما يأتى . وأما العرب فأجانب أعداء يمثلهم الضحاك أحد الأرواح الشريرة الثلاثة التى دمرت إيران . ولكن لهم ، مع هذا ، صلات صهر ومودّة . وهذا يتجلى ، فى العهد القديم ، فى تزوّج ثلاثة أبناء أفريدون بثلاث بنات لملك اليمن . زواج يجعل الدم العربى فى ذرّية ايرج وسلم وتور أى فى ملوك إيران وتوران والروم . وكذلك تزوّج زال بن سام من بنت مهراب ملك كابل العربى الأصل جعل العرب أخوال رستم بطل الأبطال . ثم فى العهد الساسانى نجد المودّة بين الإيرانيين وملوك الحيرة .

وفى الصفحات الآتية تفصيل هذا بعض التفصيل :

(ا) الإيرانيون :

الايرانيون لهم المكانة الأولى بين الأمم ، وهم أحسن دينا ، وأعظم حضارة ، وأشجع أبطالا ؛ بطلهم رستم لا ثانى له بين الأمم ، وگيو بن گودرز غلب وحده جيشا تورانيا وخلص كيخسرو وأمه من توران . وگشتاسب فى بلاد الروم قتل التنين والذئب اللذين ملأا بلاد الروم فزعا . وبهرام گور فى الهند قتل التنين ، وصرع أكبر المصارعين . وهلم جرا .

وكذلك علماء إيران يحلون المعضلات التى يسألهم عنها الروم والهند ويُعجزون هؤلاء العلماء اذا سألوهم . كما كان بين رسول الروم وعلماء إيران فى حضرة بهرام گور ، وبين رسول الروم أيضا وبزرجمهر فى حضرة أنو شروان (1) . وقد فهم بزرجمهر الشطرنج بفطنته ، ووضع النرد فعجز الهند عن فهمه . ولما ذهب رسل كسرى پرويز الى القسطنطينية ، وأراهم الروم بعض (2) التماثيل العجيبة التى يخيل الى الرائى أنها ذات حياة عرف كنهها خراد بن برزين وقال : إنها كصناعة الهند ، ثم كلم قيصر عن دين الهند ، وفضّل دين الفرس ، وعاب دين المسيح ، وظهر بعلمه على قيصر .

والخلاصة أن الشاهنامه تضع الايرانيين فوق الأمم الأخرى . ولكنها تنصف غير الايرانيين فى مواضع كثيرة . فهى تعترف بانهزام الايرانيين أمام التورانيين فى مواقع ، وأمام العرب فى هاماوران (حمير) .

(1) ص ٩٦ و ١٥٨ ج ٢ ، الآتية .   (2) ص ٢١١ ج ٢ الآتية .

ويرى القارئ الفرق بين العصور القديمة التى تغلب فى قصصها الخرافات التى تخترعها خيالات الأمة إجابة لكبريائها وزهوها ، وبين العصر الساسانى الذى تغلب فيه الحقائق التاريخية . ففى العصر الثانى نجد تاريخا يحدث بما للايرانيين وما عليهم .

وحديث الايرانيين قصص الشاهنامه كلها فلا يمكن ولا يفيد التوسع فيه هنا .

(ب) التورانيون :

جلاد الايرانيين والتورانيين أعظم وقائع الشاهنامه، وأطولها ، ومظهر البطولة فيها . لذلك أرى أن أفصل الكلام هنا قليلا ، وأن أقدّم كلمة تبين بعض ما يعرفه التاريخ من صلات الأمتين :

أمم الشمال الهمجية كانت ، منذ أقدم الأزمنة ، وبالا على إقليم إيران المتحضر ، وكان دفعهم من أعظم ما يعنى به ملوك إيران فى العصور كلها .

أوّل غارة يسجلها التاريخ غارة جماعة يسميهم هومير وهردوت الكِمّريين ، وتسميهم التوراة كومر ، والآثار الأسورية كِمِرّا . كانوا ، فيما يظهر ، نازلين على نهر الدنستر وبحر أزوف فاضطرتهم إلى الرحيل قبائل أخرى من جنسهم يسميهم الأشوريون "مندا" . فاجتازوا ممر دربند ، ونزلوا شمالى نهر أرس . ثم حاولوا الاغارة على أشور سنة ٦٧٧ ق . م . فردهم الأشوريون فتحوّلوا إلى آسيا الصغرى .

ثم جاء على آثارهم جماعة أخرى تسمى سكا فاجتازوا نهر أرس وجاسوا أرض الميد واتخذوا دار ملكهم إكبتانا (همذان) . ويظهر أنهم هم الذين عرفوا فى التاريخ باسم الدولة الميدية . وهى الدولة التى ثار عليها كورش أمير عِلام فأسقطها وأقام الدولة الايرانية الأولى .

ويقال أن كورش مدّ فتوحه إلى سيحون ، وأقام على حدود بلاده قلاعا لحمايتها من غارات أمم الشمال ويروى مؤرّخو اليونان أنه هلك فى حرب الاسكيت . وفى هردوت قصة كورش وتوميريس ملكة المسّكيتا . ثم خلفه دارا فاجتاز الدانوب سنة ٥١٣ ق . م ليقتص من الاسكيت بغاراتهم[٢] .

ثم قامت دولة الأشكانيين فى القرن الثالث ق . م . وهم تورانيون ، فيما يظن . وسيطروا على ايران الى القرن الثالث الميلادى حين قامت الدولة الساسانية . وقد سالت عليهم هجمات إخوانهم التورانيين من الشمال أيضا . وكان نشاط التورانيين عظيما فى القرن الثانى ق . م .

(١) ورنر ج ١ ص ١٧ (٢) = ص ١٨

وكانت حدود المملكة الأشكانيــة كلها من هندكوش الى بحر قزوين مجال غاراتهم . وقد قتل فى حربهم ملكان متتابعان من الأشكانيين . حتى هزمهم مِثْر داتِس الثانى فيمموا الشرق، واستقروا شرقى إيران فى الأرض التى سميت منذ ذلك الزمن باسم إحدى قبائلهم "سكستان" أى أرض سكا (سجستان أو سيستان) حوالى سنة ١٠٠ ق . م . ثم انتشروا فى شمال الهند الغربى .

وكان الألان أو اللان على نهر ڤلجا فى القــرن الأوّل الميلادى فدفعهم الهون فساروا الى ميديا وأرمينية ، ونزل بعضهم فى القوقاز . وكانت لهم وقائع فى هذه الجهات فى القرن الثانى(١) .

والهون الذين دفعـوا اللان أمامهم كانوا مدفوعين أمام قبيل آخر . وقد نزلت جمـاعة منهم فى واحات سمرقند والسغد ، وتحضروا على مر الزمان . وهم الذين سموا الهون البيض؛ وقد حاربهم الساسانيون وسموهم الهياطلة . وبهذا الاسم يعرفون فى الكتب العربية(٢) .

وفى منتصف القرن السادس الميلادى عرف اسم الترك (توكيو) فى التاريخ وامتد سلطانهم على أواسط آسـيا ، وغلبوا الهياطلة وغيرهم من الأمم التورانية . وقد انقسموا الى شرقيين وغـربيين . وكان للغربيين صـلات بالصين وإيران والروم . وكانوا وسطاء لنقل التجارة والحضارة والدين بين الأمم التى تجاورهم . وحروبهم مع أنو شروان معروفة(٣) .

وفى العصر الاسلامى ، وليس هـذا من موضوع الكتاب ، قامت منهـم الدولة الغزنوية التى قدّمت اليها الشاهنامه ، ودولة السـلاجقة . ثم دالتا ورجعت إيران تقاسى غارات الترك فى الشمال ولا سيما الأزبك . والترك العثمانيون فى الغرب لم يقصروا فى الاحتفاظ بميراث أجدادهم من عداوة الايرانييـــن .

هذه الوقائع التى سجلها التاريخ ، كانت لا ريب ، أصل ما تقصه الشاهنامه من التناحر الطويل بين إيران وتوران .

نزاع ايران وتوران يتخلل عصرين من تاريخ الشاهنامه ينقطع بينهما ذكر التورانيين زهاء ثمانية قرون ونصف يدخل فيها الفترة الطويلة بين غارة اسكندر وقيام الدولة الساسانية . وهى فترة لا تنال من الشاهنامه عناية ما ، اذ كانت فترة صغار واضمحلال .

العصر الأوّل من عصرى النزاع يمتـد من أواخر عهـد أفريدون سادس الملوك البيشدادية الى عهد كُشتاسب خامس الملوك الكيانية . وذلك قراب ثمانمائة عام . وفيه من الملوك البيشدادية

(١) ودنر ج ١ ص ١٩ (٢) ص ١٤١ ج ٢ الآتية (٣) = ص ١٣٩ و ١٤٠ حا .

أفريدون ومنوچهر وزوّ بن طهماسب ، ومن الكيانية كيقباذ وكيكاوس وكيخسرو ولهراسب وكشتاسب . وهذا العصر طوران : طور الثأر وهو أكثرهما وقائع وأطولها مدّة ، وطور الحرب الدينية وهو قصير المدة لا يعدو عهد كشتاسب . وملوك توران فى الطور الأوّل پشنك وابنه أفراسياب وفى الطور الثانى أرجاسب .

وبطل الإيرانيين فى الطور الأوّل سام بن نريمان ثم ابنه زال ثم حفيده رستم . وبطل التورانيين أفراسياب . وأعظم قوّاد إيران طوس وكودرز وأبناؤه وقارن . واعظم قوّاد توران پيران و بارمان وهومان .

وبطل الإيرانيين فى الطور الثانى اسفنديار بن الملك كشتاسب .

وأما العصر الثانى فيتخلل ما بين بهرام جور من الساسانيين الى آخر هذه الدولة . ومدّته تقارب مائة وخمسين سنة . ويذكر فيه من ملوك إيران بهرام جور وحفيده هرمز وكسرى أنو شروان وابنه هرمز . ويذكر ملوك الترك باسم الخاقان؛ لا يذكر باسمه إلا ساوه شاه وابنه برموذه . وليس فى هذا العصر بطولة ظاهرة إلا أن يكون بهرام چوبين قائد الفرس أيام هرمز بن أنو شروان .

وتفصيل هذا فيما يأتى :

العصر الأوّل — الطور الأوّل :

أفريدون الذى هزم الضحاك وأسره فأراح الناس منه وتمكن فى الأرض خمسمائة عام كان له أبناء ثلاثة : سلم وتور وإيرج . وقد قسم الأرض بينهم فجعل لسلم ، وهو الأكبر ، أرض الروم والمغرب وما تاخمهما . ولتور بلاد الصين والترك وما يضاف اليهما . ولإيرج ، وهو الأصغر ، ممالك العراق مع أرض بابل الى آخر الهند وجعله ولى عهده .

توجه سلم وطور الى مملكتيهما ثم أخذت بسلما الغيرة والعزة فكتب الى تور أن أفريدون ظلمنا وزحزحنا الى الأطراف ، واختص إيرج بولاية العهد ، وأنى أجمع الى كبر السن خلالا تجعلنى أجدر بالملك . فان كان لا بد أن أنحّى عنه فأنت أحق به وأهله . ثم تواعدا مكانا فتقابلا وبث كل ما فى نفسه . ثم أرسلا الى أفريدون أبيهما يعلمانه رأيهما فى قسمته ، ويذكران ما يطلبان لأنفسهما . فاهتاج الملك ولكن إيرج استأذنه أن يسير الى أخويه ليرضيهما ويتخلى لهما عن ولاية العهد ثم سار اليهما فلقياه محتفلين ، ورجعا به الى مضاربهما فقام إيرج يعتذر ويسترضى حتى استلّ الضغينة من أخويه . ولكن الناس أعجبوا بايرج إعجابا وتحدّثوا أنه أجدر بما رشحه له أبوه فثارت حفيظة سلم

وأتمر مع تور على قتل ايرج.فذهبا الى سرادقه وتحدّثا عن ظلم أبيهما، وتمادى تور فى الطعن على أبيه، وإيرج يتلطف فلا يزيده إلا غضبا حتى أخذ كرسيا كان يجلس عليه، ورمى به إيرج فشجه ثم تقدّم فشق صدره بخنجره . فكان هــذا ، كدم هابيل ، أوّل دم بين أبناء أفريدون. وكم سالت من بعدُ بينهم دماء .

بلغ أفريدون نبأ إيرج فذهب به الحزن كل مذهب حتى كف بصره ولبث يرتقب أن ينتقم لابنه المظلوم . وقد ترك إيرج أمة حبــلى ولدت من بعد بنتا . فلما كبرت زوّجها جدّها أفريدون من ابن أخيه بشنج فكان بينهما ابن سماه منوچهر، ورباه حتى شب فأعدّ له جيشا لينتقم من سلم وتور . ويبلغهما الخبر فيرسلان الى أبيهما يستغفران . ويصر هو على الانتقام . ثم يســير منوچهر بجيشه فيقتل سلما وتورا، ويرجع فيتخلى له جدّه عن عرش إيران .

مات منوچهر بعد أن حكم مائة وعشرين سنة وخلفه ابنه نوذر فاختلت أمور إيران وطمع فيها بشنك ملك الترك فجمع ملأه وقال: هذا حين ننتقم لتور . فاذا جاء الربيع فدوّخوا بخيلكم دهستان وجرجان وسيروا الى آمل فان فى هذه البلاد قتل تور .

يزحف أفراسياب بجيشه وقت الربيع ، وزال بطل إيران فى زابلستان مشغول بموت أبيــه، فيوجه أفراســياب جيشا الى زابلستان ويقصد هو دهستان فى أربعمائة ألف . وتقع الوقائع فيهزم الايرانيون ويرسل الملك نوذر حُرمه وذخائره الى فارس فى خفارة ولديه طوس وكستهم فيبعث أفراسياب وراءهم فيضطر قارن قائد إيران أن يترك الجيش ويتعقب التورانيين الذين يتعقبون ابنى الملك ومن معهما . وتدور الدائرة على جيش إيران ويأسر أفراسياب نوذر الملك ، ولكن يتاح الظفر للايرانيين على جيشى أفراسياب فى زابلستان وطريق فارس فيغضب أفراسياب ويقتل الملك الأسير. ثم يُســيّر الأسارى الى مدينة سارى مع أخيه إغريرث، ويقصد هو الرى فيتبوأ عرش إيران حينا . وبقتل نوذر يزيد فى حساب الثأر بين الأمتين ملك آخر،وتستحكم العداوة التى توقد نار الحرب من حين الى حين .

ثم يزيد دم آخر حين تصل القصة الرحم بين بنى أيرج وبنى تور، بتزويج سياوخش بن كيكاوس من بنت أفراســياب ، لتقطعها حين يَقتل أفراسيابُ سياوخش فى توران . ويؤذن هذا بأشد أطوار التناحر بين الأمتين فى عهد الملك كيخسرو بن سياوخش وابن بنت أفراسياب . تكون الوقائع سجالا حتى تنتهى بموقعة "يازده رخ" التى قتــل فيها القائد التورانى العظيم پيران، ومعظم أبطاله . ثم يتولى

الحرب كيخسرو نفسه ويهزم جدّه مرة بعد أخرى ثم يتعقبه سائرا الى ختن ثم بلاد التيز ومكران . ثم يركب بحرا تقطعه السفن فى ستة أشهر ثم يخلص الى البر فاذا قوم لغتهم تقارب لغة مكران ونظامهم كنظام الصين، ويسير مائة فرسخ الى قلعة كنك . وكان أفراسياب قد هرب حين بلغه أن كيخسرو قد عبر بحر كياك . رجع الملك لم يظفر بطلبته فعبر البحر فى سبعة أشهر وسار الى مكران فالصين فسياوخش كرد بجنة كنك حيث أقام سنة ثم ولّى كستهم من بجغار الى حدود الصين، وأمره بالجدّ فى طلب أفراسياب . ثم قفل الى ايران مارا على السغد فبخارى فبلخ حيث رتب جيشا وترك قائدا ثم واصل السير الى الطالقان فمرو الروز فنيسابور فالرى فبغداد. لم يرض كيخسرو أن يقفل غير ظافر بأفراسياب . وقد فعل كل ما يستطيع فلم يلحقه، فلم يبق إلا الالتجاء الى الله . وكذلك سار الملك وجده كيكاوس الى بيت نار فى آذر بيجان اسمه آذركشسب ضارعين الى الله أن يظفرهما بعدوهما . وبينا هما هنالك سمع بعض النساك صوت رجل فى غار يندب حظه ويبكى على سالف مجده فعرف أنه أفراسياب طلبة الملك . فيمسكه ويأتى به الى الملك فيقتله غير سامع لضراعته ولا مبق على رحمه . وبهذا ينتهى ذلك الطور من الجلاد الطويل الذى يقترن فى كل وقعاته بذكر أفراسياب .

الطور الثانى :

خلف كيخسرو لهراسب ثم تنسك وترك الملك لابنه كشتاسب . وفى عهد كشتاسب هذا يظهر زردشت فيعود التناحر بين ايران وتوران ولكن باسم الدين . والحرب فى هذا الطور بين كشتاسب وأرجاسب ملك الترك المقيم بمدينة روئين دِز. وهى القصة التى بدأ نظمها الدقيقى الشاعر ونظم منها ألف بيت ثم أتمها الفردوسى وأدخلها فى الشاهنامه . ويؤخذ من القصة أن الايرانيين غلبوا بعد ما رأينا من ظفرهم. فان كشتاسب يقول لزردشت إنه لا يحسن فى ديننا أن نذل لملك الترك ونؤدّى الجزية . فيقابل فعلهم ملك الصين (أرجاسب) بتسفيه رأيهم فى ترك دينهم القديم ويدعوهم الى نبذ الدين الجديد مهدّدا بالحرب . ثم يتحاربون عند بلخ ويهزم التورانيون بعد أن قتل من الايرانيين ثلاثون ألفا منهم ثلاث وستون ومائة وألف من الكبراء، وجرح مائتان وأربعة آلاف .

انصرف الملك الى زابلستان وحبس ابنه إسفنديار. فلما رأى أرجاسب غفلة الإيرانيين واشتغالهم بأنفسهم هجم على بلخ وهى خلو من الجند، وبها لهراسب الملك الناسك، فقتلوا لهراسب وأسروا بنتى كشتاسب، وخربوا بيوت النار، وحرّقوا كتب الزند .

جاء كشتاسب فى جيشه ونازل التورانيين فى جهات بلخ و باميان فوقعت الدبرة على الايرانيين واعتصموا ببعض الجبال وأحاط بهم العدو فأرسل الملك الى ابنه اسفنديار المحبوس يستنجده و يعده الملك إن نفّس عن قومه هذا الكرب الشديد . فجاء اسفنديار وهزم التورانيين وسار الى مقر الملك مدينة روئين دِژ فاجتاز سبع عقبات من ظلمات و بحار وغيرها — كالعقبات السبع التى اقتحمها رستم فى سيره الى مازندران من قبل . ثم يدخل المدينة دخول جذيمة الأبرش مدينة الزباء ويصيح فى أصحابه فيقتلون أرجاسب ويهزمون جنده .

هذه آخر المواقع فى العصر الأول ، لا نسمع بعدها بالتورانيين الى أن يدال من الكيانيين لاسكندر المقدونى . والفترة بين الكيانية والساسانية على طولها لا تشغل كثيرا من القصص الايرانى ولا ذكر فيها للتورانيين . ثم لا يذكرون فى عهد الساسانية قبل أيام الملك بهرام جور . ومعنى هذا أن الشاهنامه سكتت عن التورانيين زهاء ثلاثين وثمانمائة سنة .

وأما العصر الثانى فيبدأ أيام بهرام كور (٤٢٠ — ٤٣٨ م) اذ يغير خاقان الترك على إيران . ثم تتمادى الوقائع فى عهد الملوك من بعده الى كسرى أنو شروان (٥٣١ — ٥٧٨ م)[١] الذى بنى سدّا غربى بحر قزوين ليصدّ غارات التورانيين (الخزر) على بلاده . ثم صاهر الخاقان فتزوّج ابنتــه ، وتخلى له الخاقان عن سمرقند والسغد والشاش[٢] . ثم تعود الحرب أيام ابنه هرمزد فيحطم البطل بهرام چوبين جيش توران و يقتل ملكهم الخ .

وآخر حديث عن التورانيين فى الشاهنامه ما كان بين يزدجرد الثالث والخاقان[٣] إبان الفتح الاسلامى .

(ج) الـــروم :

ملوكهم من أبناء سلم بن أفريدون . وهى نسبة ظاهرة فى الكتاب حتى فى العهد الساسانى التاريخى . فقد أوصى هُرمزد ابنه پرويز ، حينما ثار عليه بهرام چوبين ، أن يستنجد ملك الروم لأنه من أبنــاء أفريدون[٤] . وصــلاتهم بالإيرانيين فى الشاهنامه قليــلة قبل الساسانيين . ومنهــا قصة كشتاسب فى القسطنطينية (التى لا تذكر باسمها) وتزوجه كتايون بنت ملك الروم[٥] .

وأما العهــد الساسانى فتسجل فيــه ذكرى الوقائع العظيمـــة المتمادية بين دولة الروم الشرقية والساسانيين .

(١) ص ٨٠ و ٩٢ ج ٢ الآتية . (٢) = ص ١٣٩ وما بعدها . (٣) = ص ٢٦٩ وما بعدها : المتن والحاشية . (٤) ص ٢٠١ ج ٢ ، الآتية . (٥) ص ٣١١ وما بعدها ، وص ٣١٣ و ٣١٤ ح ١ ، ج ١ — الآتية .

وأما الرومان فكان جلادهم مع الدولة الأشكانية . وهذه لا خطر لها فى الشاهنامه . ومن أجل ذلك ضاعت ذكرى الرومان كذلك .

وليس عن اليونان خبر إلا حروب اسكندر وسيرته . وعجيب أن تضيع ذكرى حروب دارا وخلفه ــ الحروب التى شنها الفرس على بلاد اليونان ، وكان لها فى التاريخ أثر بليغ ، وصدى تجاوبت به الأجيال بعد الأجيال .

(د) الهنــــد :

الهند فى الشاهنامه ، كما فى الكتب العربية[1] ، تشمل إقليم كابل وزابل من أفغانستان الحاليـة . ففى قصة زال وبنت مهراب يقال عن زال "ابن ملك الهند" ، وهو من زابلستان . ومنوچهر يولى ساما السند والهند . وإنمـا كانت ولايته فى جهات سجستان وزابل[2] . والهند الحقيقية تذكر فى سيرة اسكندر وحروبه ، وفى ذهاب بهرام گور اليها ومصاهرة ملكها[3] .

ولا نجـد عداوة بين الهند والايرانيين ، إلا اختلاف الدين ، ولكنه يُذكر فى كلمات متسامحة . ونحن نعرف أن البوذية انتشرت فى الهند وما صاقبها من الغرب منذ دخل فيها الملك الهندى أسوكا سنة ٢٥٠ م ، وأنها تمكنت فى كابلستان الى عهد العباسيين[4] . وفى الأبستاق وصف كابل بأنها ذات الظلال الشريرة ، والوثنية . وأثر هـذا بيّن فى الشاهنامه : ففى قصة زال وبنت مهراب يأبى زال أن يجيب دعوة مهراب لأن الكابليين عباد أصنام ، وتقول امرأة مهراب لسـام : "وإن كان قصـد الملك لبـلاده (مهراب) من أجل الدين فان إلاهنا وإلاهكم واحد لا خلاف بين الطائفتين فيـه غير أن قبلتنا التماثيل والأصنام ، وقبلتكم الشمس والنـيران[5]" . وحينما غاضب گشتاسپ أباه وأراد أن يذهب الى الهنـد قال له أخوه : " واذا دخلت الى بلاد الهنـد احتجت الى خدمة ملكها الذى لا يعبد إلاهك ، وليس على دينك[6]" .

وقد غفل رواة الشاهنامه عن الصـلات القديمة بين الايرانيين والهند ــ هذه الصلات التى تظهر فى كثير من الأساطير التى فى الكتاب نفسه .

(١) انظر معجم ياقوت : كابل ، زابل .
(٢) ص ٥٩ ، ٦١ ج ١ ، الآتية .
(٣) ص ٩٨ ج ٢ ، الآتية .
(٤) ودزنج ١ ص ١٥
(٥) ص ٦٩ ، ج ١ ، الآتية
(٦) = ص ٣١٠

(هـ) الصين :

والصين فى الشاهنامه، وفى الكتب العربية، تقال على تركستان أيضا. يقول عبد الرحمن الباهلى :

و إن لنـا قـبرين قـبر بلنجـر وقـبر بصين استان يا لك من قبر

فأما الذى فى الصـين عمت فتوحه وهـذا الذى يسق به سـبل القطر (١)

يذكر قبر قتيبة بن مسـلم الباهلى فى تركستان ، وقبر سليمان بن ربيعـة وراء نهر بلنجر فى جهة الباب والأبواب .

ومن أجل هذا نجد الشاهنامه تسمى خاقان الترك خاقان الصين .

والصين الحقيقية تذكر أحيانا بما يجلب منها من الحرير وغيره، وفى قصة اسكندر ومواضع أخرى. وإذا استثنينا تركستان فصلات ايران بالصين قليلة جدا فى الشاهنامه وإن يكن التاريخ يحـدث بسفارات بين الصين والساسانيين .

(و) العـرب :

هم فى الشاهنامه يمثلون الساميين كلهم ؛ ففى أخبارهم ذكرى الدول السامية القديمة ، وذكرى ما كان بين الفرس والعرب من بعد الى عصر الاسلام .

فى الكتب العـربية والفارسـية كثير من لبس تاريخ الإيرانيين وأساطيرهم بأساطير الساميين وتاريخهـم . كالذى يروى فى نسب آدم وأبنائه ، ونسب كيومرت أبى البشر عنـد الفرس ، وأبنائه . وكما يرى من الشبه بين نوح وأولاده، وأفريدون وأبنائه ، وكما يروى أن ابراهيم هوزردشت، وأن الأبسـتاق هى صحف ابراهيم ، وأن صخرا الجنى الذى سرق خاتم سـليمان هو الضحاك المحبوس فى نهاوند . وأمثال هـذا كثير فى الكتب العربية كالطبرى ، وكتاب البـلدان للهمذانى ، ومروج الذهب والكتب الفارسية كفارس نامه . وهذه روايات نشأت بعد الإسلام فيما أظن .

وانمـا يعنينا ما فى الشاهنامه؛ فيها قصة حزن أفريدون على ابنه منوچهر وذهاب بصره، كقصة يعقوب . وفيها نسل الايرانيين والتورانيين والروم من أبناء أفريدون الثلاثة كما نسلت الأمم من أبناء نوح . وفيها محاولة كيكاوس الطيران الى السماء كما سخرت الريح لسليمان . وقد أضل الشياطين كيكاوس ليخلصوا من عذابه حين سخرهم فى البناء فزينوا له صعود السماء كما تمنى الشياطين الخلاص من تسخير سليمان (٢) .

(١) البلدان ص ٢٨٧ . (٢) انظر حواشى فصول البيشداديين والكيانيين من هذا الكتاب .

وأما العرب فقد ورثوا فى الضحاك عداوة الإيرانيين والساميين ، العداوة التى بقيت ذكرى للحادثات القديمة بين الأمتين ، والتى سجل بعضها تاريخ الأشوريين . ويظن أن حدود إيران الغربية كلها كانت عرضة لغارات الساميين أيام الأشوريين ، وقد حارب هنالك سلمناصر الثانى (٨٥٨ — ٨٢٣ ق م) وملوك بعده الى أسر حدّون الأول (٦٨١ — ٦٦٨ ق م) الذى حاول فتح ايران . ولم تخف وطأة الأشوريين على ايران إلا بعد سقوط نينوى (٦٠٦ ق م) .

فهذه الحادثات ، وما كان بعدها من العرب وغيرهم من الأمم المصاقبة ايران من الغرب تركت أثرا فى أساطير ايران . وكان منها أسطورة الضحاك :

وهو ابن ملك عربى اسمه مرداس . أغراه ابليس بقتل أبيه فقتله واستبد بالأمر وعظم شأنه . ثم استنجد به الايرانيون ليدفع عنهم عتو جمشيد . فاستولى على ايران وحكم ١٠٠٠ سنة يسوم الناس ألوانا من العذاب ، ويقتل منهم كل يوم رجلين يطعم بدماغهما الحيتين النابتتين على كتفيه . والأبستاق تجعل مستقر الضحاك بورى ، وهى بابل . والشاهنامه جعلت مستقره بيت المقدس . وفى هذا دليل على أنه ذكرى الساميين لا العرب وحدهم[1] .

على أن نسبة الضحاك الى العرب أدت الى نتيجة بينة فى الكتاب . ولكن لا يبين اهتمام الرواة بها كثيرا ، وإشادتهم بها : ذلك أن مهراب ملك كابل يجعل من نسل الضحاك ، وبنته روذابه تسمى المخدرة العربية . وروذابه هى أم رستم بطل الأبطال . فالعرب أخوال رستم .

ومثل هذا تزويج أبناء أفريدون الثلاثة من ثلاث بنات لملك اليمن سرو . فقد جعل العرب أخوال بنى أفريدون جميعا . وهم ملوك ايران وتوران والروم . ولكن قصص الشاهنامه تذكر هذا الزواج ثم تغفل نتائجه فلا تذكرها مرة واحدة .

ومن الحوادث العظيمة بين الايرانيين والعرب غزو كيكاوس بلاد اليمن ووقوعه فى أسر ملكها ، وتسمى اليمن فى هذه القصة "هاماوران" وقد بينت فى التعليق عليها أنها "حمير" . وهى الوقعة التى يفخر بها أبو نواس فى قصيدته القحطانية المعروفة :

وقاظ قابوس فى سلاسلنا　　　سنين سبعا وفت لحاسبها[2]

وكان من آثار هذه الغزوة أن تزوج كيكاوس بنت ملك اليمن سوذابه . واسوذابه أثر سيىء على زوجها ، وسيرة خبيثة فى قصة سياوخش . وقد اضطر هذا الى أن يغاضب أباه ويلجأ الى العدو

(١) ص ٢٥ وما بعدها ، وحا . ج ١ — الآتية :　　(٢) ص ٢٧ حا ، ج ١ الآتية .

الألد أفراسياب ملك توران ، فرارا من مكائدها . وقد انتهى أمرها بأن قتلها رستم انتقاما لربيبه سياوخش الذى قتل فى أرض توران[1]، وآخر ذكر للعرب فى العهد الذى قبل الساسانيين حرب داراب وشعيب بن قتيب الذى صمد لحرب الفرس فى مائة ألف من أولى النجدة فهزمهم داراب "وأطاعه سائر ملوك العرب، والتزموا أداء الخراج اليه . فنفذ داراب الى بلادهم من يأخذ منهم خراج السـنة المـاضية مع خراج السنة الحاضرة[2]" .

وفى العهد الساسانى نجد صلات العرب والايرانيين أقرب الى التاريخ بل بعضها تاريخى صحيح . ومنها إغارة الملك الغسانى واستيلاؤه على مدينـة طيسفون (المدائن) فى عهـد سابور ذى الأكتاف (٣٠٩ — ٣٧٠ م) . وفى هذه القصة بقايا محرّفة من حرب أذينـة ملك تدمر وسابور الأوّل ابن أردشير، ومن قصة ملك الحضر وسابور بن أردشير أيضا[3] .

ثم نجـد المودّة بين أمراء الحيرة وملوك الفرس منذ عهد يزدكرد الأثيم (٣٩٩—٤٢٠ م) وابنه بهرام كور، يرسل يزدكرد ابنه الى الحيرة فينشأ على الفروسية هنالك. ثم يموت الملك فيختار الفرس للملك رجلا غير بهرام . فيأبى بهرام والمنذر بن النعمان، والنعمان ابنه، فيكرهون الفرس على الرجوع عما عزموا عليه ويتهى النزاع بتملك بهرام[4] .

ثم يذكر العرب فى أمور غير ذات خطر، حتى تذكر وقعة القادسية . وهنا يرى القـارئ سخط القصة على العرب ، وتحقيرهم، والمبالغة فى وصف فقرهم ، وهمجيتهم . ويرى رستم القـائد المنجم يصف العهـد المقبل بآثامه ومصائبه . وفى هـذا يتجلى ما ورثته العنعنات الفارسية عن وقائع الفتح الاسلامى من النفور والبغضاء . ويكفى أن أثبت بيتين مما قيل على لسان رستم .

زشير شتر خوردن وسوسمار عرب را بجائى رسيداست كار

كه تاج كيانرا كنـد آرزو تفو باد برچرخ گردون تفـو

"قد بلغ الأمر بالعربى من شرب لبن الابل، وأكل الضباب، الى الطموح الى تاج الكيانيين . فأف لك يافلك السماء ! " .

ولا نجـد فى الشاهنامه أثرا من الأساطير التى اخترعت فى العهـد الاسلامى للتقريب بين العرب والفرس، وخلط أساطيرهم القديمة بعضها ببعض ، كالذى قيل من أن الفرس أبناء إسحاق فهم أبناء

(١) قصة سياوخش ص ١٥٥ وما بعدها ج ١ ، الآتية . (٢) = ص ٣٨٠ (٣) ص ٦٥ ج ٢ ، الآتية . (٤) ص ٧٩ ج ٢ ، الآتية .

عم العرب الاسماعيليين وأقرب اليهم من القحطانيين : ويروى الطبرى والمسعودى شعرا فى هذا منها أبيات منسوبة لجرير :

وأبناء إسحاق الليوث اذا ارتدوا ... حمائل موت لا بسين السنورا
اذا انتسبوا عدّوا الصبهبذ منهم ... وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا
وكان كتاب فيهم ونبوّة ... وكانوا باصطخر الملوك وتسترا
فيجمعنا والغر أبناء سارة ... أب لا نبالي بعده من تأخرا
أبونا خليل الله والله ربنا ... رضينا بما أعطى الاله وقدرا [1]

وكذلك افتخر بعض الشعراء من الفرس بانتسابهم الى اسحاق، وفضّل أمهم سارة على هاجر :

قل لبنى هاجر: ما بنت لكم(؟) ... ما هذه الكبرياء والعظمة الخ

وكما روى أن الفرس كانت تأتى مكة وتطوف بالبيت تعظيما لجدها إبراهيم وأن آخر من حج منهم ساسان جد أردشير بن بابك، وأن بئر زمزم سميت بزمزمتهم عليها :

زمزمت الفرس على زمزم ... وذاك من سالفها الأقدم الخ [2]

لا نجد فى الشاهنامة أثرا من هذا التقريب الإسلامى. وهذا برهان أن الكتاب احتفظ بالعنعنات القديمة . ولم يشُبها بما اخترع بعد الاسلام إلا قليلا .

٧ — القصة، واتصال حوادثها، وأغلاطها :

يحس قارئ الشاهنامه اتصال الحوادث بعضها ببعض ، وتذكُّر الوقائع المتقدّمة فى العصور المتأخرة، ورجوع القاصّ الى ما قدّمه ليحتج به كلما أراد .

ومن ذلك أننا نرى، فى آخر فصل منوچهر، ساما جدّ رستم يخبر ابنه زالا أنه يحس دنو أجله فلا ينسى الراوى أن يخبرنا بموت سام فى أوّل فصل نوذر [3] . ونقرأ فى قصة سياوخش عن تزوّجه من جريرة بنت پيران قائد التورانيين فلا يفوت القاص أن يخبرنا بأنه ولد من هذا الزواج ابن، فى الفصل الذى يقص فيه عن زيارة كرسيوز أخى أفراسياب لسياوخش فى المدينة الجديدة التى بناها، مع أن السياق لا يجعل القارئ ينتظر خبرا من هذا القبيل . ثم لا ينسى أن يخبرنا بقتل هذا الابن على يد الايرانيين أنفسهم وهم ذاهبون لحرب التورانيين فى مكان لا ينتظر القارئ أن يصادف فيه ابن

(١) الطبرى ص ١٩٥ ج ١ . (٢) مروج الذهب ج ١ ص١٤٩ ، ١٥٠ (٣) ص٧٨ ، ٨٤ج١ الآتية

سـياوخش[1] . وقد وصف كيكاوس بالحمق فمـا زال حمقه يتجلى فى تاريخـه كله . وكذلك صداقة كستهم وبيژن يذكرها الشاعر مرة فلا ينسى بعـدُ أن يجعل أحدهما ينجد الاخر وقت الشـدّة حينما هزم الايرانيون أيام كيخسرو ، وحينما انتـدب كستهم لمطاردة اثنين من شجعان توران بعـد موقعة يازده رخ[2] . وحينما أراد كيكاوس أن يعهد الى من يخلفه تعصب كودرز لكيخسرو ، على فريبرز ابن كيكاوس . فنجد أثر هذا الخلاف حينما هزم الايرانيون ، وهرب فريبرز بالعلم فأمر كودرز حفيده بيژن أن يأخذ العلم من فريبرز قهرا[3] . ومثل هذا كثير .

ولكن القارئ يجد فى مواضع قليلة خلاف هـذا ؛ يجد ما يدل على نسيان الشاعر أو الراوى ، أو ما يدل على أن روايتين عن واقعة واحدة جعلتا واقعتين يشـعر القارئ حين يقرأ الثانية أنه يعيد قراءة الأولى .

ويظهر هذا التكرار فى ذهاب طوس بالايرانيين لحرب التورانيين ، وانهزام طوس وغضب الملك عليه وحبسه ، ثم ذهابه قائدا مرة أخرى ليلقى هزيمة كالهزيمة الأولى . الراوى أظهر أنهما قصتان مختلفتان إذ ذكر رضاء الملك على القائد وإرساله ليغسـل الهزيمة الأولى[4] . ولكن حوادث الحربين تشعر القارئ أنهما حرب واحدة . وقريب من هذا قصـة هفتخوان المروية عن إسفنديار ، فهى لا محالة محاكاة لقصة هفتخوان المروية عن رستم[5] .

ومن الغفلة أن الشاعر يقص أن بنى كودرز قتل منهم سبعون فى وقعة بين ايران وتوران أيام كيخسرو ثم يقص فى أخبار بيژن ومنيژه ، وهى قصـة عشق ، أن بنى كودرز لم يصابوا قط بمثل ما أصيبوا به من وقوع بيژن فى أسر التورانيين . ولا شك أن أسر رجل أهون من قتل سبعين . وهذا دليل على أن قصة العشق هذه قصة مفردة جمعت الى قصص الشاهنامه ولم يحكم وصلها بها[6] . ومن ذلك أن الشاعر يذكر فى أول قصة سياوخش أن أمه بنت كرسيوز أخى أفراسياب أو من قرابتـه . ثم يجعل كرسيوز من بعد ألد حساد سياوخش والساعى فى دمه دون أن يذكر هـذه القرابة طول القصة . ومما يقطع على القارئ قراءته أن يقرأ وصف المغارة المظلمة التى فيها ملك الجن ثم يقرأ أن رستم رأى هذا الملك وتبين صورته القبيحة فى ظلام الغار ، وأن ملك مازندران لم يسمع بما أصاب ملك الجن على يد رستم ، وبما فعله الايرانيون فى بلاده إلا من كتاب أرسله اليه كيكاوس على

(١) ١٧٤ حا ، ٢٠٥ ج ١ ، الآتية (٢) = ص ٢٦٦ (٣) = ص ٢١٣ (٤) ص ٢١٥ حا ، ٢١١ ، ٢١٦ ، ج ١ ، الاتية . (٥) = ص ١١٠ ، ٣٤١ (٦) = ص ٢١٣ ، ٢٤٧

حين أن كيكاوس كان محبوسا فى ظلمات مازندان ، حبسه ملك الجن بتحريض ملك مازندران نفسه فلا يعقل أن يخلص الملك وجيشه من الأسر، ويفعل رستم أفاعيله فى البلاد والملك فى غفلة من هذا .

ومن غفلات الراوى أو جامع القصص أن بعض الأبطال يموتون ثم يظهرون فى القصص من بعد . فكلباد التورانى قتله قارن أيام كيقباد ثم ظهر فى لعب الكرة فى قصة سياوخش . وكهرم التورانى قتل فى موقعة يازده رخ ثم ظهر فى حرب أرجاسب وكشتاسب . وبارمان قتله قارن ثم وجدناه فى حوادث أخرى . وألوا حامل رمح رستم قتله كاموس الكاشانى ثم ظهر فى حرب رستم واسفنديار . وكذلك قارن واغريرث قتلا ثم ظهرا[١] . ولكن يمكن أن يقال فى بعض هذه الأسماء إنها أسماء أشخاص آخرين .

أغلاط القصة :

يجد القارئ فى الشاهنامه ، غير الزلات القصصية التى قدمت أمثلة منها، أغلاطا تاريخية وجغرافية لا سبيل للمجادلة فيها :

وحسب القارئ أن يقرأ قصة طواف كيكاوس فى مملكته، وذهابه الى هاماوران، وقصة تعقب كيخسرو أفراسياب ليرى خلطا عجيبا فى الجغرافيا[٢] .

وفى قصة ذهاب رستم الى ما زندران يسأل رستم الأسير أولاذ عن المسافة بينه و بين كيكاوس الملك الذى كان محبوسا فى الظلمات فيقول أولاذ: " إن بينك و بين الموضع الذى حبس فيه كيكاوس مائة فرسخ، ومن عنده الى مستقر ملك الجن مائة فرسخ أخرى[٣] ". ويعلم القارئ أن مازندران لا تتسع لهذه المسافات .

ثم العربى الغسانى الذى حاربه سابور ينهزم أمامه الى قلعة باليمن فيحاصره فيها سابور . وقد بينت أنها قصة ملك الحضر المروية فى الكتب العربية ، وقصة أذينة ملك تدمر[٤] . وأشنع من هذا أن المنذر أخذ بهرام كور ليربيه فحمله الى اليمن . ولست أظن الفردوسى يجهل الجغرافيا الى هذا الحد . وأحسب مثل هذا الغلط الأخير تحريفا من النساخ .

(١) مول ج ٤ ص ٥٢ (٢) ص ١١٩، ٢٩٠ ج ١ الآتية . (٣) = ص ١١٣ .
(٤) ص ٦٤، حا، ص ٧٥ ج ٢، الآتية .

ومن الأغلاط التاريخية أن أفريدون نقش زندواستا على جدران مدينة كُنْدُز التى سميت من بعد بيكَنْد[1] . وكتاب زندواستا جاء به زردُشت الذى بعث أيام كُشتاسپ، بعد أفريدون بقرون عدة. وكذلك تعبُّد كيخسرو بقراءة هذا الكتاب . ومثل هذا ذكر المسيحية والصليب فى حروب اسكندر ودارا، وجعل رسول الروم الى بهرام كور تلميذ أفلاطون[2] .

أثر الشاهنامه فى القصص الفارسى :

تبين من تاريخ الشاهنامه أنها حوت أساطير الفرس وتاريخهم على ما كانا عليه فى القرن الرابع الهجرى . ويؤيد هذا كتاب "غرر أخبار ملوك الفرس وسيَرهم" الذى ألفه الثعالبى فى القرن الرابع وقدّمه الى الأمير نصر أخى السلطان محمود الغزنوى الذى قدّمت اليه الشاهنامه . هذا الكتاب أقرب الكتب الى الشاهنامه فى موضوعه وترتيبه . وفى هذا دليل على أن الشاهنامه تضمنت معظم ما كان معروفا فى ذلك العصر .

وقد صارت الشاهنامه، منذ نظمت وشاعت بين الناس، عمدة التاريخ الفارسى القديم، ووسيلة الى نشره وبثه بين الخاصة والدهماء بما أُنشدت قصصها فى المحافل، وكلف بها الفرس فى كل جيل. ولكنها لم تستوعب الروايات الفارسية كلها؛ فهنالك قصص فارسية فى كتب أقدم من الشاهنامه كالطبرى والأخبار الطوال لم تذكر فيها .

فلما كلف الناس بالقَصص المنظوم، وسارت الشاهنامه وناظمها مثلا بين الفرس حاول بعض الشعراء أن يعارضوا الكتاب أو يقاربوه فرجعوا الى الروايات القديمة ينظمون منها ما لم تحوه الشاهنامه، ويتوسعون فيما حوته ليأتوا بجديد يلفت الناس اليهم . فنظموا قصصا تدور حول أبطال الشاهنامه أو ذوى قرابتهم بعضها يكمل نقصا فى سياق الكتاب، ويصل ما انقطع من نسقه، وبعضها لا يحتاج اليه سياق الحوادث .

ومحاكاة الشاهنامه بادية فى وزن هذه القصص وقافيتها وفى موضوعات بعض القصص التى تبدو للقارئ صورة أخرى من قصص الشاهنامه . كقصتى جهانكير أخى سهراب، وبرزو بن سهراب . فهما تشبهان قصة سهراب التى فى الكتاب كما يظهر مما يأتى . بل بعض هذه القصص تتحدّى الشاهنامه وتغض من أبطالها لترفع فوقهم أبطالا آخرين تقصّ من أنبائهم ، كقصة كرشاسپ نامه .

(۱) مول ج ٤ ص ٢٢ . (٢) ص ٩٥ ج ٢ الآتية .

وأكثر المؤلفين لا يذكرون أسماءهم ولا يعرف شيء عنهم إلا حدسا .

وقد بدأت محاكاة الشاهنامه، فيما يظهر، بعد نصف قرن من ختمها. فقصة كرشاسپ نامه نظمت، كما يقول ناظمها، بين سنتى ٤٥٦ و٤٥٨ هـ . ويظهر أن القصص الأخرى نظمت فى القرن الخامس أيضا . وقد ظهر فى القرن السادس ضرب آخر من القَصص أعظم موضوعاته العشق ، وأكثر قِصصه لا يستمد التاريخ الفارسى القديم . ووزنها يخالف وزن الشاهنامه . وقد عددت معظمَها فى فصل القَصص الفارسى المتقدّم . وفارط هذا الضرب من القصص الشاعر الكبير نظامى الكنجَوى المتوفى فى حدود سنة ٦٠٠ هـ . أخذ هذا النوع المكانة الأولى فى القصص الفارسى منذ القرن السادس ولكن محاكاة الشاهنامه لم تنقطع . فقد نظمت بعدُ قصص منها كتاب شاهنشاه نامه الذى نظمت فيه سيرة فتح على شاه فى القرن الثالث عشر الهجرى .

وفيما يلى بيان موجز عن القصص التى حاكت الشاهنامه(1) :

١ — كرشاسپ نامه :

بطلها كرشاسپ أبو أسرة سام . وهى أكثر هذه القصص شيوعا وأقدمها فيما يظهر . نظمت بين سنتى ٤٥٦ و ٤٥٨ هـ . ويقول ناظمها فى المقدّمة أن بعض الكبراء قال له إن الفردوسى بلديك حاز صيتا رفيعا، واقترح عليه أن يجاريه فى نظم بعض التواريخ القديمة. ثم يذكر أن أمامه كتابا فيها سير وعِبر وأنه ينظم عنه ، ثم يعدّد هزائم رستم بطل أبطال الشاهنامه، ويفضّل عليه جدّه كرشاسپ الذى فعل فى الهند والصين والروم ما لم يستطعه رستم . ثم يتناول أسرة رستم من أوّليتها فيذكر جمشيد الى كرشاسپ بطل قصته فيفيض فى تبيين مآثره .

ويقول المؤلف إنّ قصته سبعة آلاف بيت . وكثيرا ما يخلط النساخ أبياتا من هذه القصة بالشاهنامه .

٢ — سام نامه :

بطلها سام جدّ رستم . ويبدؤها الناظم بأبيات من الشاهنامه فى أوّل عهد الملك منوچهر يقول فيها سام إنه سيطوّف فى أقطار الأرض ليقهر أعداء الملك ، وتنتقل الشاهنامه بعدها الى مولد زال ابن سام ولا تقص عن طواف سام فى الأرض . فيذكر ناظم سام نامه وقائع سام فى الصين والمغرب

(1) لم أظفر بمخطوطات هذه القصص فى مصر فاعتمدت على مقدّمة مول للترجمة الفرنسية للشاهنامه .

وبلاد الصقالبة . ثم يصل قصته بالشاهنامه عند مولد زال . فغرض المؤلف أن يسدّ هذا النقص الذى بدا له فى قصة الفردوسى .

وفى هذه القصة زهاء ستة آلاف بيت .

٣ — جهانكيرنامه :

بطلها جهانكير بن رستم وأخو سهراب . تقص عن موت سهراب ثم تحدّث عن بطلها حديثا كحديث قصة سهراب فى الشاهنامه . فجهانكير ينشأ بعيدا عن أبيه رستم ثم يأتى من قِبل أفراسياب لحرب الإيرانيين، ويقاتل أباه رستم وهو لا يعرفه . ثم يتعارفان وينحاز جهانكير الى قوم أبيه ويقاتل مع الملك كيكاوس فى أقطار كثيرة . ثم يقتله جِنّى فى الصيد .

وفى هذه القصة نحو ثلاثة آلاف بيت . ويذكر مؤلفها أنه من هراة . ولا يعرف اسمه .

٤ — فرامُرز نامــه :

وهى قصة صغيرة عن فرامرز بن رستم، تصف حربه دفاعا عن ملك الهند الذى كان تابعا للايرانيين واستنجد الملك كيكاوس ليردّ عنه عدوّه . وتنتهى القصة بدخول ملك الهند نوشاد وجماعته فى دين الفرس .

وفى القصة نحو ثمانمائة بيت .

٥ — بانوكُشاسپ نامه :

وهى قصــة فذّة بطلها امرأة هى بانوكُشاسپ بنت رستم وامرأة كيو بن كودرز . تزوّجته بعد تزاحم الأبطال عليها . وقد غضبت مرة على زوجها فربطته وسجنته حتى جاء أبوها رستم نخلصه . ولها وقائع فى البطولة تضعها فى عداد الأبطال العظماء .

وفى القصة نحو خمسة آلاف بيت .

٦ — برزو نامــه :

بطلها برزو بن سهراب وحفيــد رستم . وهى تحوى مآثر آل سام التى أغفلتها الشاهنامه . وتبتدئ بأبيات من الشاهنامه فى قصــة سهراب ثم تشرع فى الحديث عن برزو . وتجعله كسهراب وجهانكير، يربّى بعيدا من أبيــه ثم يحارب به غير عارف به . ثم يأسره الايرانيون فيعرف نسبه

ويبق فى قومه الايرانيين . وقد تجنب صاحب هـذه القصة كصاحب قصة جهانكير أن ينهى قصته بالمنتهى الفاجع الذى ختمت به قصة سهراب .

وفى القصة نحو ثلاثين ألف بيت . وناظمها يزعم أنه ينقل قصته عن كتاب قديم .

٧ — بهمن نامه :

بطلها الملك بهمن بن اسفنديار . يرى القارئ فى الشاهنامه أن رستم قتل اسفنديار الذى أكره على محاربته . فهذه القصة فى معظم حوادثها تصف انتقام بهمن لأبيه من أسرة رستم، ومطاردة أبطالها فى الهند وغيرها ثم نبش مقابرهم فى سيستان .

وأبياتها نحو خمسة آلاف . وقد كتبت للسلطان محمود بن ملكشاه السلجوقى الذى ملك سنة ٤٩٨ هـ .

يتبين من هذا البيان الوجيز أن ستًّا من هـذه القصص تدور حول أبطال من أسرة رستم، وأن القصة السابعة معظم حوادثها متصل بهذه الأسرة . ولو عرف شىء عن أصحاب هـذه القصص لأمكن أن يعرف أكان لتعصب أهل إيران الشرقية لأسرة الأبطال الزابلية — أسرة رستم أثر فى الاكثار من هـذه القصص . والقصة السابعة كتبت لإعظام الملوك الكيانيين، والحط من أسرة رستم، والانتقام لاسفنديار بطل الدين الزردشتى . وقد رأينا فى أثناء الشاهنامه وفى التعليق عليها كيف قابلت القصة رستم باسفنديار ثم تذبذبت فى تفضيل أحدهما على الآخر

الفصل السابع — المترجم والترجمة

١ — البُنـدارى :

ترجم الشاهنامه الى العربية قوام الدين الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى، واسمه ولقبه يذكران مرارا فى أثناء الترجمة، ولا سيما نسخة كوپريلى التى قدمت الكلام عنها . ولا نعرف من تاريخه الا نبذا متفرّقة فى ترجمة الشاهنامه ومقدمتها، ونتفا تذكر عرضا فى بعض الكتب[1] .

(١) براون ج ٢ ص ١٦٦، ٣٠٤، ٤٧٢ الخ، دائرة المعارف الاسلامية : البندارى .

ويؤخذ من أقواله فى أثناء الترجمة أنه نشأ فى أصفهان وتربى بها، وأنه قدم الشام ولحق بالملك المعظم عيسى بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب، وأنه لم يتخذ الشام دار إقامة بل كان يترقب الرجوع الى بلده بعد الحظوة بمكافأة السلطان على ترجمة الشاهنامه :

فهو فى أثناء ترجمة أخبار قباذ ينقل عن حمزة الأصفهانى أن قباذ تزوج بنت دهقان من قرية اسمها أردستان على ثلاث مراحل من أصبهان[1] . ونجد بعد هذا النقل هذه الجملة : « قال الفتح ابن على : وحدّثنى بهذه الحكاية عن مشايخ أهل هذه الضيعة شيخى تاج الدين محفوظ بن الطيب الطرفى . وكان، رحمه الله، ينتهى نسبه الى هذا الدهقان، وكان يباهى بذلك بين الأقران الخ[2] » .

وهذا يدل على أنه تعلم فى أصفهان ونواحيها . وفى ترجمة قصة ذهاب كيو بن كودرز الأصفهانى الى تركستان مفتشا عن كيخسرو يقول : "ومكث كذلك يدور فى بلاد توران راجيا للوقوع على أثر كيخسرو حتى أتت عليه سبع سنين لم يضع فيها ساعةً سلاحه، ولا أراح يوما فرسه، ولا يأكل غير لحوم الوحش، ولا يلبس غير جلودها، يسير بين الجبال والشعاب بعيدا عن الأحباب والأصحاب، حليفا للوجوم أسيرا للهموم . وكأنما تكلم على لسانه مترجم الكتاب الفتح بن على حيث باح بشكوى الاغتراب حين شطّت داره، وامتدت أسفاره حيث قال فى كلمة له (كتبها إلى والده أبى الحسن البندارى رحمه الله بأصبهان)[3] .

فيا صاح استمع أبثك شكوى — نزيع لا يرى يوما قرارا
بعيد الدار من أعلام جىّ — تغرّب يركب الخطط الغمارا
فيوما بين وحش الريف ضيفا — ويوما عند ذئب القاع جارا
تكالحه خطوب الدهر حتى — كأن لديه للأيام ثارا
وتغزوه بجيش بعد جيش — وها هو يوسع الكل انكسارا
بصولة نافض عن لبدتيه — حكت أظفاره الأسل الحرارا
وسطوة رابض فى ظل بأس — يشق به على الفلك الصدارا

(١) ص ١١٧ ج ٢ الآتية .
(٢) هذه العبارة فى نسخة كوبريلى فقط، كوبريلى ص ٢٩١ ج ٢ (دار الكتب المصرية ١٤٩٣ تاريخ) .
(٣) ما بين القوسين من نسخة كوبريلى .

وكما عاود جيو بلدىّ هذا العبد أصبهان، بعد أن طالت سفرته، وتمادت غربته، مقرون السعى بالنجاح، فائزا فوز المعلّى من القداح، فكذلك هو يرجو أن يثنى عنانه ويعاود أوطانه، صاعد الجد، وارى الزند بسعادة مولانا السلطان الملك المعظم الخ"[1] .

وقد ترجم للمعظم كتاب الشاهنامه ما بين جمادى الأولى سنة ٦٢٠ وشوال سنة ٦٢١ فى مدينة دمشق[2]، ويظهر أنه جاء الى الشام سنة ٦٢٠، فهو يقول فى المقدمة أنه لما قدم حضرة السلطان أهدى اليه كتاب الشاهنامه فأمره بترجمته "فتصدّى المملوك لما ندب له امتثالا للأوامر العالية[3]" .
ولا ندرى كم أقام بالشام بعد هذا التاريخ . ولكن السلطان الملك المعظم توفى سنة ٦٢٤، فيحتمل أنه رجع الى بلده عقب وفاة السلطان إن لم يكن رجع قبلها .

والبندارى أديب شاعر، كما يتبين لقارئ هذ الكتاب[4]. ثم هو فقيه، يدل على ذلك تلقيبه بالفقيه الأجل فى أثناء الكتاب[5] . وهو مؤرخ، اختصر تاريخ السلاجقة الذى ترجمه عماد الدين الأصفهانى عن الفارسية . ألفه الوزير أنوشروان بن خالد، وزير السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه السلجوقى، ووزير المسترشد بالله، المتوفى سنة ٥٣٢. وهو الوزير الذى قدّمت اليه مقامات الحريرى . وقد طبع كتاب البندارى فى ليدن والقاهرة[6] . ويقال أنه اختصر كتابا آخر لعماد الدين نفسه اسمه البرق الشامى[7].

٢ ــ الترجمة :

اذا أخذنا نسخة من نسخ الترجمة لنقيسها بالأصل فنسخة (طا) فيها زها ١٨٥٠٠ سطر، ومعدّل كلمات السطر عشرة . فاذا فرضنا أن كل سطر منثور يترجم بيتين من الشعر دون إجحاف بالمعنى ففى ترجمة البندارى ٣٧٠٠٠ ألف بيت من الشاهنامه. وقد تقدّم أن الكتاب بين خمسين ألفا وستين. فاذا فرضناه خمسة وخمسين ألفا فقد اختصر المترجم زهاء ثلث الكتاب .

وذلك أنه أراد أن ينقل الى قراء العربية حوادث الشاهنامه مجملة مجرّدة من أوصاف الشاعر المسهبة، ومما يتصل بها من تفصيل دقيق :

وفيما يلى بيان تصرف المترجم فى الكتاب موجزا :

(١) ص ١٩١، ١٩٢ ج ١ ــ الآتية . (٢) ص ١٠ السابقة . (٣) ص ٣ ج ١ ــ الآتية
(٤) نظر ص ١٩٢، ١٩٧، ٢١٦، ٢١٨، ٢٧١ الخ ج ١ ــ الآتية . (٥) كوص ٢٩٤ ج ٢
(٦) براون ج ٢ ص ١٦٦، ٤٧٢ (٧) دائرة المعارف الاسلامية : البندارى .

(ا) يحذف المترجم بعض الفصول الصغيرة كما حذف فصل تجريب أفريدون أولاده، ومحاولة ملك اليمن سحر أبناء أفريدون[1]، وحذف، فى قصة منوچهر، قتل رستم الفيل الأبيض، وذهابه إلى الجبل الأبيض[2]، وحذف فى قصة كاموس الكاشانى مقاتلة رستم وجنكش[3]. وحذف من قصة اسفنديار ورستم نصح زال ابنــه رستم. وهكذا. ويستطيع القارئ أن يتتبــع الفصول المحــذوفة بالرجوع الى عنوانات الشاهنامه التى ألحقتها بفصول الكتاب، وميزت فيها ما حذفه المترجم بوضعه بين قوسين.

(ب) ويحــذف بعض حوادث الفصول، كما حذف ما كان بين رستم والتركمان حينما ذهب لإحضار كيقباد من جبــل ألبرز، وحذف بيان أن زوج كيو هى بنت رستم، وأنها ذهبت إلى أبيهــا حينما سار زوجها الى توران باحثا عن كيخسرو[4]. وقد بينت فى التعليقات بعض المحذوفات من هذا الضرب.

(حـ) ويحذف أكثر مقدمات الفصول التى يتكلم فيها الشاعر عن نفسه، أو يعظ ويبين العبر من تقلب الأحداث. وقد بينت بعض هذا فى موضعه. كما حذف مقدمة قصة سهراب التى يتكلم فيها الشاعر عن موت الشبان والحكمة فيه. ومقدمة قصة سياوخش التى يتكلم فيها الفردوسى عن الشعر والكلام البليغ.

(ى) وحذف مدائح السلطان محمود. وقد أثبتُّ بعضها بنصــه، واختصرت بعضها، ونبهت الى بعضها فى التعليق.

(هـ) واختصر الرسائل الطويلة، والخطب، والوصايا. وهذا مطرد فى الكتاب.

(و) واختصر كذلك الأوصاف فى الحروب، والأســفار، والمآدب، ووصْف آلات الحرب أو الخيل، أو الوحوش الخ. فهو يقول بعد وصف الذئب الذى قتله گُشتاسب ببلاد الروم: «فى أوصاف كثيرة ذكرها صاحب الكتاب»[5]. ويقول فى الحرب بين أرجاسپ وگشتاسپ: "فزعم الدقيق أن الأمر جرى على ما ذكره جاماسب الحكيم على التفصيل الذى سبقت الاشارة اليه فلم نطول نحن باعادته"[6].

(ز) وينقــل عن كتب أخرى كالطبرى وحمزة الاصــفهانى والمسعودى لبيان رواية غير التى ذكرها الفردوسى أو ذكر حادثة تركها. كما نقل عن الطبرى انتساب الملك بهمن الى بنيامين[7]، وكما

(١) ص ٤١ حا، ج ١ الآتية. (٢) = ص ٥٨ حا. (٣) = ص ٢٢٥ حا.
(٤) = ص ٩٧، ١٩١ (٥) ص ٣١٤ ج ١ الآتية. (٦) = ص ٣٣٠ (٧) = ٣٩٦

روى قصة ملك الحضر فى عهد سابور بن أردشير، ونقل عن غير صاحب الكتاب ما كان بين هرمز ابن نرسى ورعيته[1] . ومثل هذا كثير .

والمترجم أمين فى هذا كل الأمانة، لا يذكر كلمة واحدة من غير الكتاب إلا نبّه الى ذلك .

(ع) ويكذّب ببعض الأساطير أثناء الترجمة. كما قال فى قصة زال و بنت مهراب عن الفردوسى: «قال، والعهدة عليه: فدلت قرونها وأشارت إلى أن يتعلق بها و يصعد»[2] . وكثيرا ما يقول: «فزعم صاحب الكتاب» .

(ط) ويغيّر الكلمات غير المألوفة أو التى لا تلائم الدين كما حذف كلمة «أهرمن» فى الكتاب كله، ووضع مكانهـا كلمة «إبليس» أو «جنى» . وكذلك حذف بعض ما وصف به المسيح مما لا يلائم العقيدة الاسلامية فى حرب رام بن برزين ونوشزاد الثائر على أبيه كسرى أنو شروان، وفى سفارة خرّاد بن برزين فى القسطنطينية أثناء كلامه عن المجوسية والمسيحية[3] .

لغـــة الترجمـــة :

يقول المترجم فى المقدمة : «لأن هــذه الحضرة — لا زالت بسطة جلالهـا محمية من دواعى الانقباض، ومعاقد دولتها محروسة عن يد الانتقاض — مجتمع قروم الفصاحة ومعرس فحول البلاغة ... ... فكيف يضم دهمته الكالحة الى غررهم اللائحة، وحجولهم الواضحة، من يرتضخ لكنـة أعجمية تنبو عنها الطباع، وتمجها الأسماع .» ثم يقول : «فلذلك ما أقــدم المملوك على نقل الكتاب غير نازل فى عبارته الى حضيض الإسفاف، ولا صاعد الى ذروة التكلف والاعتساف، متنكبا عن تلفيق الأسجاع التى تستهجنها القرائح الصافية، والأذهان الزاكية»[4] .

وقد صدق . فأسلوبه غير متكلف، وبيانه فى جملته، ليس مُسِفا ولا عاليا . إلا جملا يتبين فيها القارئ أثرا من العجمة فى كتابه كما كان يرتضخ لكنة أعجمية فى منطقه . وأدع للقارئ إدراك العبارات الركيكة، والجمل النابية عن الأساليب الفصيحة، كما أدع له تقدير بلاغته فى نظمه ونثره .

(١) ص ٥٨ و ٦٢ ج ٢ الآتية . (٢) ص ٦٢ ج ١ الآتية . (٣) ١٢٩ ، ٢١١ ج ٢ الآتية

(٤) ص ٣ ، ٤ ج ١ الآتية .

قيمة هذه الترجمـــة :

و بعد فقد ترجم كتاب الشاهنامه الى لغات كثيرة . وهذه هى الترجمة العربية الفذة . وقد يسّرها المترجم للقارئ وأوجزها فقرّب له حوادث الكتاب، ومكّنه من استيعابه فى زمن قصير، وإن فوّت عليه جمال الشعر وتفصيــيل الحادثات . وأحسب أن القارئ العربى ، بهــذه الترجمة، أقدر على الإحاطة بقصص الشاهنامه من القارىء الفارسى . فهى كافية من يريد الالمــام بالملحمة الفارسية الكبيرة، وهى وسـيلة الى درس الأصل الفارسى لمن يريد . وقــد ربحت بها اللغة العربيــة قصصا جديدة وأسلوبا فى القصص طريفا .

ثم لهذه الترجمة خطر آخر . فقد ترجمت فى أوائل القرن السابع الهجرى، ولست أعرف نسخة من الشاهنامه تبلغ هذا القرن قِدَما . فيمكن الاستعانة بها على نقد الكتاب الفارسى ، وتحكيمها بين النسخ المختلفة التى تتفاوت أبياتها من أربعين ألفا إلى ستين، كما تقدّم . وعسى أن تكون فاتحة لدرس واسع، وبحث مستفيض فى الشاهنامه، والقصص الفارسى، والآداب الفارسية كلها .

نسأل الله أن يهدينا للتى هى أقوم، ويعصمنا من خدعة النفس، وضلال الرأى، وافتراء القول، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

عبد الوهاب عزام

شعبان سنة ١٣٥٠ هـ .

الشاهنامة

الجزء الأول

البيشداديون والكيانيون

فهـــرس الجـــزء الأوّل[1]

صفحه

القســـم الاوّل – البيشداديون

(١) العنوانات التى فى الفهرس هى العنوانات التى وضعها المترجم لفصول الكتاب . وبعضها أضيق مما يذكر بعدها من الحوادث ولكنى لم أستحسن تغيــيرها . وما يرى فى الفهرس بين هذين القوسين [ ] عنوانات الفصول التى ترجمتها وأثبتها فى متن الكتاب .

القسم الثانى — الكيانيون

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

رَبّ أغْن وأَعِن



الحمد لله الذى تعطف رداء الكبرياء، واتصف بقيومية [2] الملك فى الأرض والسماء . تنكص على أعقابها دون إدراك مبادى جلاله ثواقب [3] الأفهام ، وتتعثر فى أذيال [4] الحيرة فى مضامير كماله سوابق [5] الأوهام . الجبار الذى خفضت الملوك لعظمته [6] طوامح الأحداق، وطأطأت الصناديد لعزته سوالف الأعناق . القهار الذى ترتد لدى أمره هواجم السيول فى صبب البطحاء ، وتنزوى لهيبته متضايقة أرجاء البسيطة الفيحاء . سرادقات آلائه ممتدة الأطناب على الدوام، لايقوضها تناسخ الليالى والأيام . فسبحانه من سلطان [7] لاتتخلخل [8] هضبات اعتلائه ، ولا تتزلزل قواعد كبريائه . مالك الملك يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء . خلق السبع الشداد [9]، وشحن أطباقها بأرصاد النجوم، وأشرع دون حماها فى نحور الشياطين أسنة الرجوم . وخلق الأرض مهادا للدهماء، وفراشا للعالم المعرّض للسعادة والشقاء . وبرأ البرايا صنوفا وضروبا، وجعلهم قبائل وشعوبا ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات . ولم يزل يستخلف فى كل قرن من القرون الماضية ، وكل أمة من الأمم السالفة ، رعاية للأمور، وسياسة للجمهور، من ينتخبه من خلقه، ويختصه بإلهامه، فيبسط يده فى ممالكه، ويجعله ظله فى أرضه على خلائقه . فاذا قضى على أيامه بالانقضاء ، وعلى أمده بالانتهاء، ورّث آخر أرضه ودياره ، واستخدم له أشياعه وأنصاره . وابتعث فيهم الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين بالدلالات الواضحة ، والعلامات اللائحة ، والمعجزات الساطعة، والبينات اللامعة . ليهدوهم الى المنهج القويم ، والصراط المستقيم، ويدلوهم على مافيه صلاحهم ونجاتهم ، وبه يطيب محياهم ومماتهم . حتى انتهت

(١) ك طا : وبه نستعين . (٢) ك طا : قيمومة . (٣) كو : سوابق . (٤) كو : ذلاذل .
(٥) كو : ثواقب . (٦) كو : لهيبته . (٧) كو : ملك . (٨) طا : يتخلخل .
(٩) كو : الطباق .

نوبة الرسالة الى سيدنا محمد النبي العاقب ، المختص بأفضل المناقب ، الفارع هضبات المآثر ، الناشر رايات المفاخر ، سليل الذبيحين ونجل العواتك ، الذى استخرجه من أشرف العناصر وأكرم المحاتد ، وغذاه بلبان التنزيل ، وأيده بعصمة الوحى الجليل ؛ فنسخ جميع الشرائع بشريعته الطاهرة[1] ، ورفع سائر الملل بملته الزاهرة . ولم تزل تباشير صبح جلالته طالعة ، وأشعة شمس رسالته لامعة ، حتى ملأت طِلاع[2] البسيطة باهرة الأنوار ، وطبقت أكناف العالم ساطعة الآثار . فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه مصابيح الدين ، ومفاتيح اليقين ، ودرارى أفلاك السيادة ، وجراثيم أشجار السعادة ، صلاة تكون أمدادها بآماد الأبد معقودة ، وظلالها على أرواحهم المطهرة ممدودة .

ثم إنا نحمد الله الذى شيد مبانى الشريعة ، ومهد قواعد الاسلام ، بمكان مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ملك[3] الملوك والسلاطين أبى الفتح عيسى بن[4] الملك العادل أبى بكر بن أيوب . حين ذلل له نواصى العباد ، وملكه سرة العالم وصفوة البلاد .
(٢) وقضى لأوليائه بالعز الأقعس ، والطرف الأشوس . وحكم لأعدائه بالذل اللازم ، والمعطس الراغم . وأيد عزائمه بأمداد الفتح المبين ، وشيع ألويته بجنود النصر والتمكين . فهو بأمر الله قائم آناء الليل وأطراف النهار ، ملظ بالمرابطة والمجاهدة فى ثغور الاسلام . متجرد كالسيف الجراز فى حز مفاصل الشرك ، متبلج كالصباح الباهر فى رفع ظلام نحل الإفك . لم يسمع براية للكفر مرفوعة إلا بادرها بالتنكيس والتعفير فى تراب الإتعاس والتحقير . ولم يحس بنار موقدة للظلم إلا أطال عليها باع الإطفاء ، وسلط عليها يد الإخماد . هذا مع ماخصصه الله[5] به من الفضائل الباهرة ، والعلوم الزاهرة ، التى تبحر فى فنونها وأنواعها ، وتملك أعنتها رافعا منارها كالنار على يفاعها . فهو ابن جلاها وطلاع ثناياها ، والمستبد من أقسامها بمرباعها وصفاياها . حتى صارت أيامه مواسم تجلب اليها بضائع العلوم والآداب من كل مرمى سحيق ، وتضرب اليها أكباد المطى من كل فج عميق . فلا زالت أنوار دولته ساطعة ، ومجاديح كرمه هامعة ، ووجوه مواليه بنضارة الإقبال موردة ، وخدود أعاديه بقتر الإدبار مربدة ، ما كان الخير معقودا بنواصى الخيل ، وتعاقب شقراء النهار ودهماء الليل .

(١) كو : الظاهرة . (٢) كو : تلاع . (٣) كو : « ملك ملوك العرب والعجم » بدل « ملك الملوك والسلاطين » . (٤) كو : سلطان الملك . (٥)

نعم ولما جذبت السعادة بضبعى، وطمحت بطرفى، ووطئت بساط مملكته الفسيحة، وأدنيت من سدّته العالية مكتحلا بترابها الذى هو ذرور أعين الإقبال، وعبير مفرق الجلال، وتشرفت بالمثول فى حضرة مالك الرق — خلد الله سلطانه — منخرطا فى سلك زمرة الإخلاص، ومنضما الى جملة المنادين بصدق الدعاء فى تلك العراص، قدّمت برسم الخدمة لخزانة آدابه — لا زالت معمورة ببقائه — الكتاب الموسوم بشاه نامه الذى عنى بنظمه الأمير الحكيم أبو القسم منصور بن الحسن الفردوسى الطوسى، مطرزا ديباجته بذكر السلطان السعيد أبى القسم محمود بن سبكتكين — رضى الله عنه — ذاكرا فيه ملوك الفرس وتواريخ أيامهم، وشارحا فيه مقاماتهم المأثورة، ووقائعهم المشهورة، مع وصف سيرهم الحميدة، وخلالهم السديدة، فى إفاضة العدل والإحسان، وإشاعة الأمن والأمان، وصرف العناية الى عمارة العالم، وإسباغ ظلال الرأفة والرحمة على كافة الأنام . فوقع من همته العالية موقع القبول . لكنه رأى الكتاب مع(١) ما تضمنته أطباقه من عجائب تصاريف الأدوار، وبدائع تأثيرات الأطوار، والحكم التى تنفتح بها عيون البصائر، والعبر التى تتقوى بها أعضاد التجارب، قد استبدت العجم بفوائده، وتوشحوا بقلائده، وتخصصوا باستماع حكاياته وأقاصيصه، واستأثروا بالاستمتاع بحكمه وأعاجيبه . فاشرأبت همته الجوالة فى سماء المكارم وعزمته الوقادة فى انتهاز فرص المآثر الى أن تعمم فوائده، وتكثر منافعه وعوائده . فأمر مملوكه وضيعته الفتح بن على بن محمد(٢) بن الفتح البندارى الأصبهانى أن يترجمه فيحل حكاياته المنظومة وينزع عن معاطفها أطمار اللغات العجمية، ويفيض عليها فضفاض وشائع الألفاظ العربية، ويكسوها رونق اللسان الذى هو أشرف الألسن، المنزل به أفضل الكتب، والمتناطق به خير البشر وخلصان الأمم، والمتخاطب به أهل السعادة فى قرارة المنن . فتصدّى المملوك لما ندب له امتثالا للأوامر العالية ترتعد فرائص بيانه وبنانه، وترجف أحشاء يراعه ولسانه . لأن هذه الحضرة — لا زالت بسطة جلالها محمية من دواعى الانقباض، ومعاقد دولتها محروسة عن يد الانتقاض — مجتمع قروم البراعة ومعرّس فحول الصناعة، الذين اذا هدرت شقاشق أقلامهم، وجاشت بحار خواطرهم وأفهامهم، تلفعت فصحاء العرب بجلابيب الحياء، وتسربلوا لباس الخجل منقمعين بين القبائل والأحياء . فكيف يضم دهمته

(١) ص : معا . (٢) طا : محمد (لا) .

الكالحة الى غررهم اللائحة، وحجولهم الواضحة، من يرتضخ لكنة عجمية، تنبو عنها الطباع، وتمجها الأسماع ؟ وكيف يستطيع ابن اللبون صولة البزل القناعيس، وأنى يبغم الخشف الغرير عند زئير الأسد وسط الخيس؟ لكنه أمل من أنوار السعادة السلطانية التى اذا التفتت بعين العناية الى الهباءة الخافية كستها بهور الشمس البازغة . وتوقع من العواطف الشاملة التى اذا اشتملت على القذاة الخاسئة أطالت باعها على مناكب الجبال الشامخة — أن يكسو معاطف هذه الترجمة خلع الارتضاء، وينوّه بذكرها بحسن الإصغاء . ويورد صفحات صحائفها بأنوار القبول والإقبال، ويعديها(١) شرف الكمال وبهاء الجلال . فلذلك ما أقدم المملوك على نقل الكتاب غير نازل فى عبارته الى حضيض الإسفاف ، ولا صاعد الى ذروة التكلف والاعتساف ، متنكبا عن تلفيق الأسجاع التى تستهجنها القرائح الصافية والأذهان الزاكية . مستعينا بالله عز وجل ومبتهلا اليه أن يمدّه بالتوفيق ويؤيده بالتسديد . وهو على ذلك قدير وبالإجابة جدير .

(١) ك : يغذيها .

فاتحـــة الكتاب [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم رب الروح والعقـل الذى لا مجال للفكر فوق علائه، رب الاسم والمكان،[2] المقيت ومرسل الهداة بنعمائه. رب كيوان والفلك الدوّار، ومنير الشمس والزهرة والقمر السيار . المتعالى عن الأسماء والسمات والأوهام، الخالق فى السماء عوالى الاجرام . لا تدركه الأبصار فلا تجهد عينيك،[3] ولا يحدّه الاسم والمكان فماذا يجدى الفكر عليك ؟ إن يعد الروح والعقل هذه الجواهر، فكلاهما فى الطريق اليه حائر . وإن تخير الفكر الكلام فقصاراه أن يصف ما يراه . لا سبيل الى الثناءِ عليه فى حقيقته، وانما واجبك أن تشمر لعبادته . هو للعقل والروح قائد، فكيف يحيط به الفكر الجاهد ؟ لن تدركه برأيك هذا وعدّتك، وإن شققت على روحك وعقلك . حسبك أن تقرّ بوجود الديان، وأن تكف عن هذا الهذيان ، وأن تعبده وتستهديه، وتطيع أوامره ونواهيه . من عرف فقد قدر، وبالمعرفة يشب القلب اذا هتر . ليس للكلام وراء هذا الحجاب مجال، وسعى الفكر لإدراكه خيال محال .

مقـال فى مدح العقـل

هنا أيهـا العاقل يتسع فى وصف العقـل مجال الواصفين، فحدث بمـا تعرف واشرح صدور السامعين . العقل أحسن نعم الله عليك، فخير أعمالك أن تحدّث بمـا يسدى اليك . العقل يهديك ويشرح صـدرك ، ويأخذ بيدك فى الدارين فيسدّدك . منـه لذتك وألمك، وربحك وخسارتك . واذا حرم العقـل النور حرم العاقل كل سرور . كذلك قال الكيس العـاقل الذى يتزوّد من نصائحه العالم : "من لم يجعل العقل إمامه، كانت أعمـاله آلامه . وهو مجنون عنـد العقلاء، وغريب بين الأقرباء" . بالعقل تسعد كل حين، ومن حرم العقـل فهو فى الإسار رهين . العقل عين الروح حين

(١) مقدّمة نظمها الفردوسى لكتابه وحذفها المترجم فترجمتها وأثبتها هنا . وقـد حرصت على أن تكون الترجمة صورة الأصل مقتربا على قدر الطاقة من الأسلوب العربى . (٢) هكذا فى الأصـل . وقد ترجمتها ورنر (warner) «رب كل مسمى وكل ما حل فى مكان» . وترجمها مول (mohl) « رب المجد والعالم » . (٣) أنظر المقدّمة فى تهمة الفردوسىّ بالاعتزال .

تنظر، فكيف بدونه تورد فى الحياة وتصدر؟ العقل فاعلم أوّل الخلق، وهو المهيمن على الروح بالحق. فاحمد العقل بلسانك وأذنك وعينيك، فهو(١) سبيل الخير والشر اليك. من ذا الذى يوفى الروح والعقل الثناء؟ وإن أنا أثنيت فمن يستطيع الإصغاء؟ ما جدوى الكلام ولا انسان أيها الحكيم؟ أقصر وخبرنا كيف كان الخلق القديم: أنت صنع خالق العالم، تعرف ما خفى وما علن. اجعل العقل مشيرك على الدهور، وتجنب به سفاسف الأمور. وتتبع فى كل مكان أقوال العلماء، ثم طوّف الآفاق وبثها للخاصة والدهماء(٢). واذا سقط اليك حديث من العرفان، فلا تنم عنه ساعة من الزمان. واذا أبصرت «فرعا» من البيان، فاعلم أن «جذر» المعرفة لا يناله(٣) انسان.

مقال فى خلق العالم

لا بد أن تعرف بادئ بدء أصل الجواهر: قد خلق الله شيئا من غير شىء لتتجلى قدرته. ثم خلق منه أربعة عناصر لم يمسه نصب ولم يحتج إلى زمن. بدأ بالنار المضيئة العالية، ثم جعل الماء والهواء وسطا بينها وبين التراب المظلم. اضطرمت النار فظهر اليبس من حرها، وفثأت الحرارة فكان البرد، ومن البرد نشأت الرطوبة. فلما خلقت عناصر هذا العالم الفانى عمل بعضها فى بعض فظهرت الأنواع كلها: ظهرت هذه القبة سريعة الدوران تبدى كل يوم من عجائبها، ووكلت السبعة بالاثنى عشر(٤). وأخذ كل مكانه المقدّر. وبدت القسمة والعطاء فأعطى (الخالق) كما يجدر بالعالم(٥). وخلقت الأفلاك طباقا، وتحركت حين اتسقت. وظهرت الأرض وبحارها وأوديتها ورباها كالمصباح المضىء. وارتفعت الجبال، وسالت المياه، ونما النبات. ولم تقدّر الرفعة لهذه الأرض فكانت مركزا أسود مظلما. وظهرت النجوم فوق فى عجائبها، وانتشر الضياء على الأرض. وصعدت النار، وهبط الماء. ودارت الشمس حول الأرض. ونبت العشب وأنواع الشجر، وقدّر لها أن تنمو صاعدة ليس فى طبعها إلا النمو؛ لا تستطيع أن تنتشر على الأرض كالحيوان. ثم ظهر الحيوان فسيطر على النبات كله، ودأب يطلب الطعام والسلامة والنوم. يتمتع بهذه الحياة، ليس له لسان

(١) ويحتمل «فهى». (٢) يحتمل أن يكون المعنى «وتلمس طريقك بأقوال العلماء، وطوف الآفاق وحدّث كل انسان». (٣) فى الأصل أن المعرفة لا تبلغ الجذر يعنى أنها لا تنتهى. (٤) سبعة الكواكب السيارة والاثنى عشر برجا. يقول المعرّى فى اللزوميات جسد من أربع تلحظها سبعة راتبة فى اثنى عشر. (٥) فى الأصل درو بخشش ودادآمد پديد به بخشيد داننده راجون سزيد. ترجمها ورنر (warner) «مقدّرة الخير والشر ومعطية أنصبة عادلة لكل من قدر على القراءة» ولا أدرى من أى أصل ترجمها. وترجمها مول (mohl) «وظهر الحظ والقضاء ومنحا السعادة لمن يفهمهما».

ناطق ولا عقل مفكر، وانما همه أن يربى جسمه بما وجد، لا يعرف الخير ولا الشر فى العواقب، ولا يكلفه الخالق عبادة . إنه العالم القادر العادل فما أخفى فضلا . ذلك ولا يعلم أحد عقبى العالم سرا أو علانية .

مقال فى خلق الانسان

ثم ظهر الانسان فكان مفتاحا لهذه الأغلاق . خلق عالى الرأس غير ذى عوج كأنه سرو سامق، ذا منطق حسن وعقل يصرف الأمور، مزودا بالحكمة والرأى السديد والذكاء فخضعت لأمره البهائم . فكر قليلا ! كيف يكون الانسان ذا معنى واحد ؟ كأنك تظن الانسان هذه الصورة الحقيرة ولا تعرف فيه أثرا وراء هذا! إنك أنشئت من العالمين فكنت وسطا بينهما . أنت الأوّل فى الخلق وان جئت آخرا . فلا تستهتر باللهو واللعب . وقد سمعت من بعض العلماء غير هذا، وماذا نعرف نحن من أسرار خالق العالم ؟

انظر فى عاقبة أمرك : "وان تنازع فى نفسك أمران فاختر أحسنهما . ورض نفسك على المشاق بجدير حمل المشاق فى سبيل العلم . وإن ترد السلامة من كل شر وأن تنجو بنفسك من حبالة البلاء، وأن تخلص من السوء فى الدارين، وأن يرضى الخالق أعمالك"[(١)] . فتأمل هذا الفلك الدوّار الذى هو مصدر الداء والدواء، ذلك الفلك الذى لا يبليه تعاقب الزمان، ولا ينال منه التعب والنصب، ولا تعييه الحركة ولا يمسه كما يمسنا العطب . فمنه الزيادة والكثرة، وعنده يظهر الخير والشر[(٢)] .

مقال فى خلق الشمس

الفلك من ياقوت أحمر ليس من الهواء والماء والتراب والدخان . وقد تبدّى فى زينته ونوره كبستان يوم النوروز . يجرى فيه جوهر يملأ الصدور سرورا، يمدّ النهار بالضياء، يرفع رأسه المضىء كل صباح من المشرق كأنه ترس من ذهب، فيكسو الأرض أثوابا من النور، ويبدل العالم من ظلامه ضياء . فاذا مال للغروب بدت رأس الليل المظلم فى الشرق . هكذا دواليك لا يدرك أحدهما الآخر، وذلك أقوم نظام . أيها الذى هو شمس كل حين ما بالك لا تشرق على قط[(٣)] ؟

(١) ما بين القوسين ليس فى نسخة تبريز فى هذا الموضع . (٢) يكثر فى شعر الفرس ذكر السماء وأقدارها وقد أفتنوا فى نعتها وأكثروا من أسمائها، ولعل هذا أثر الدين الآرى القديم . (٣) هذا البيت الأخير فى النسخ التى بيدى وفى التراجم ولست أدرى من يخاطب به .

مقـال فى خلق القمر

مصباح أعدّ لليـل المظلم — احذر ما استطعت أن تضل فى ظلمـات الشر — يختفى يومين وليلتين كأن الدوران قد أبلاه . ثم يتراءى محقوقفا مصفرّا كالإنسان ولهه العشق . ولا يكاد البصر يدركه من بعيد حتى يحتجب . وفى الليلة التالية يزداد ظهورا فيزيدك نورا . حتى يكمل فى أسبوعين فيعود سيرته الأولى ؛ يزيد نحولا على مر الأيام، واقترابا من الشمس المنـيرة . كذلك أعطاه الخالق خلقه، فطرة لا يزايلها ما بقى .

مدح النبي صلى الله عليه وسلم

لا ريب أن فى العلم والدين نجاتك، فتحر ما استطعت سبيل النجاة . وان ترد ألا يمرض قلبك، وألا تمـادى فى سكرتك . فاهتد بقول الرسول الى سبيل الرشاد ، وطهر من الأرجاس قلبك بهـذا المـاء . قال صاحب التـنزيل والوحى ، ورب الأمر والنهى : " ان الشمس لم تطلع على خير من أبى بكر بعد الرسـل الكرام " . وقد أظهر الاسلام عمر ، وصير العـالم كجنات الربيع . والمختار بعد هذين عثمان الحيي التقى(١) . والرابع على زوج البتول ، الذى أحسن الثناء عليـه الرسول . إذ قال : " أنا مدينة العلم وعلىّ بابهـا " . وحق انه لقول الرسول . أشهد بهـذا كأنما تسمعه الآن أذناى . كذلك علىّ والآخرون الذين اشتد بهم أزر الدين . ولقد كان الأصحاب أقمـارا اذ كان الشمس سيد المرسلين، إنما الطريقة المثلى ألا تفرّق بينهم أجمعين .

إنى عبـد أهل بيت النبي، ومادح تراب قدم الوصى . لست أبالى ما يقول الآخرون، وليس لى فى القول مذهب غير هذا . إن الحكيم يرى هذه الدنيا بحرا ثارت بموجه ريح عاصف، فيه سبعون سفينة قـد نشرت شرعها ، بينهن سفينة كالعروس، مجلوة فى زينتهـا كعين الديك . وفيها محمد وعلىّ وأهـل بيت النبي والوصى . والعاقل حين يبصر على بعـد هذا البحر الذى لا يدرك غوره، ولا يرى شاطئه، يوقن أنه سيموج فلا ينجـو من الغرق أحد، فيقـول فى نفسه ان غرقت مع النبي والوصى فقـد ظفرت بصاحبين وفيـين، وكان لى نصيرا صاحب اللواء والتاج والسرير ، صاحب الأنهـار من الخمر والشهد، والينابيع من اللبن والمـاء المعين . فان كنت ترجو الدار الآخرة فتبوأ مكانك عند النبي والوصى . فان أصابك من هذا شر فإثمه علىّ . ذلك مذهبي وطريقتى . عليه ولدت وعليه أموت، وما أنا إلا تراب قدم حيدر(٢) . اذا ابتغى قلبك الإثم فهو عدوّك ولن يعادى عليا إلا زنيم أعدّ

(١) مدح الخلفاء الثلاثة غير مذكور فى ترجمة وزنر (Warner)

(٢) حيدر على بن أبي طالب .

الخالق له عذاب الجحيم . ومن أظلم ممن يسر بغض على؟ حذار أن تتخذ الدنيا لعبا وأن تنقلب عن الرفقة الميامين . ان السعادة تواتيك حين تصحب الذين سعدوا . حتام أرسل القول فى هذا الباب ولست أعرف للقول منتهى ؟

مقال فى جمع "شاهنامه"

لم يذر المتقدّمون لمتأخر ما يقول . فقصاراى أن أعيد بعض الحديث . مهما أقل فقد قيل من قبل، ما تركت ثمرة فى حديقة المعرفة . ولكن إن تقعد بى همتى دون أن أتبوأ مكانا على الشجرة الفينانة فمن يأوالى دوحة عظيمة لا يعدم فى ظلالها مأوى . ولعلى أنال مكانا فى أفنان هذا السرو المظل حين أترك ذكرا على الدهر بهذا الكتاب "كتاب عظماء الملوك" . لا تحسبنه حديث كذب وخرافة، ولا تحسبن الزمان يسير على نسق واحد . ان العاقل ينتفع بما فيه كله ولو حسبه رمزا وتمثيلا .

كان من آثار الغابرين كتاب مملوء بالقصص ، تقسمته أيدى الموابذة [1] ، وحرص كل عاقل على قطعة منه . وكان من نسل الدهاقين [2] بطل عاقل ذكى جواد، يتحرى آثار الأولين، ويتتبع قصص الماضين . فدعا اليه كل موبذ حنكته السنين، قد وعى أثارة من هذا الكتاب، وسألهم عن أنساب الملوك والأبطال النابهين ، وكيف صرفوا أمور العالم من قبل ثم خلوه لنا صاغرين [3] ؟ وكيف مهد لهم الجد فملئوا الأيام بمآثرهم ؟ فقص عليه هؤلاء الكبراء قصص الملوك، وأخبروه عن غير الزمان . فلما سمع منهم شرع يؤلف من ذلك كتابا عظيما، فترك ذكرا ذائعا فى الآخرين، وأثنى عليه الأكابر والأصاغر أجمعين .

قصة الدقيقى الشاعر

فلما قرئت هذه القصص على الناس أعارتها الدنيا سمعها وقلبها، وأولع بها العقلاء والحكماء؛ حتى ظهر فتى فصيح اللسان، حسن البيان، ذكى الفؤاد . فقال سأنظم هذا الكتاب ففرح الناس به أى فرح . ولكن سوء الخلق كان خدن شبابه . فكان يقطع أوقاته بالبطالة وصحبة الأشرار، حتى بغته الموت فتوجه بتاجه الأسود . لقد سلط الخلق الدميم على الروح الجميل، وما نعم يوما بالحياة . ثم انقلب به جده فقتله أحد عبيده . نظم ألف بيت عن كُشتاسب وأرجاسب ثم انتهى عمره [4] فذهب والكتاب لم ينظم . وكذلك أفل نجمه السعيد [5] . اغفر اللهم ذنبه . وارفع يوم الحشر درجته .

(١) جمع موبذ وهو القيم على الدين . أنظر المقدّمة . (٢) جمع دهقان، وهو معرب دهكان أعنى صاحب مزرعة . أنظر المقدّمة . (٣) ويحتمل أن يكون المعنى خلفوه لنا حقيرا . (٤) هذه الجملة فى نسخة تبريز وليست فى ترجمة ورنر ولامول . (٥) فى الأصل : نام بخته اليقظان . وهى عبارة فارسية شائعة .

مقال فى بدء الكتاب[١]

فلما يئس قلبي منه (الدقيق) توجه تلقاء ملك العالم[٢] لعلى أظفر بهذا الكتاب فأنظمه . ساءلت أناسا لا يحصيهم العدّ وأنا أوجس خيفة من غير الزمان ، وأخشى ألا تمتد بى الحياة فأتركه لغيرى . ثم مالى لم يكن ذا وفاء . ولا أجد من يشترى منى هذا العناء . وكان الزمان يرجف بالطعن والضراب، والعالم ضَيق المجال على الطلاب . غبرت على هذا برهة أكتم منيتى فى نفسى ، ولا أرى من أفضى اليه بذات صدرى . ماذا فى العالم خير من الكلام البديع الذى يهوى اليه فؤاد الرفيع والوضيع ؟ لولا الكلم الطيب من رب العالمين، ما كان هادينا سيد المرسلين . وكان فى المدينة صديق لى كأنى وإياه نفس واحدة . فقال : "لقد هديت للرشاد، وسارت قدمك فى سبيل السداد . أنا كفيل بهذا الكتاب الفهلوى فلعلك لا تنام عنه . فأنت فصيح اللسان غض العمر جدير أن تقص من أنباء الأبطال . فاقصص كتاب الملوك كرة أخرى . وابغ المكانة عند العظماء بهذه الذكرى" . فلما أحضر الى هذا الكتاب، أضاءت روحى المظلمة الجناب[٣] .

فى مدح أبى منصور محمد[٤]

فلما ظفرت بهذا الكتاب أتيح لى أحد الكبراء : فتى من ذرّية الأبطال، عاقل حازم ذكىّ سديد الرأى، شديد الحياء، فصيح المنطق، حلو الحديث . قال : ما ذا أفعل ليفرغ بالك للنظم ؟ سأواسيك بما تملك يداى ، ولا أفضى الى أحد بحاجتك . فلبثت فى كنفه كالتفاحة الغضة يحاذر أن يمسنى من الرياح ضر . وسموت من التراب الى كيوان بسعى هذا الفاضل الخير النابه ، الذى يستوى فى يده الذهب والفضة والتراب . وقد أصاب فيه المجد أحسن زينة ورواء . جواد وفىّ يحتقر الدنيا وما فيها . فواحسرتا أن يفتقد مثل هذا الرجل النابه كما يفتقد فى الحديقة السرو[٥] الباسق . لست أجد أثرا منه حيا أو ميتا . اغتالته أيدى التماسيح السفاكة الدماء . فوا أسفا على هذا الشطاط العالى ووا أسفا على هذه الطلعة الملوكية . لقد انقبض قلبى وملكه اليأس، ورجفت روحى كالقصبة فى مهب الريح .

(١) هذا العنوان ليس فى نسخة تبريز . (٢) العبارة مبهمة ولست أدرى من يريد . (٣) يكثر فى الشاه . التعبير بظلام القلب والروح ونورهما وكأنه من آثار دين زردشت . (٤) أنظر المقدمة . (٥) السرو عند الفرس مثال حسن القد واستقامته وطوله .

أذكر نصيحة منه تعدل بى الى سواء الطريق . قال لى إذا يسر الله لك هذا كتاب الملوك فاهده الى الملوك . قد اطمأن قلبى الى قوله وآنشرح صدرى لرأيه . فقدّمت هذا الكتاب لملك الملوك الأصيد، رب التاج ورب التخت، ملك العالم المظفر السعيد .

فى مدح السلطان محمود (١)

ما عرف الناس مثل هذا الملك مذ خلق الله العالم . لقد لاح تاجه على العرش فازدانت الأرض كأنها قطعة من العاج وضاءة . كلا لاتجعل الشمس المضيئة مثلا له، فأبو القاسم الملك المظفر قد وضع على تاج الشمس عرشه، فأشرقت الأرض من المشرق الى المغرب، وفتحت كنوزها لمجده . وقد طلع نجمى به وكان غاربا، وفاض معين الفكر وكان ناضبا . وقد علمت أن وقت القول قد حان، وأن قد تجدّد بعد أن بلى الزمان .

رقدت ليلة وقلبى بملك الأرض مشغول، وفمى بالثناء عليه معسول . وكان قلبى نور الليل البهيم، قد انطبقت الشفتان وهو مفتوح سليم . فرأت روحى المنيرة فى المنام أن شمعة لألاءة ظهرت من الماء، فانجابت الظلماء، وصارت الأرض بضوئها كالياقوتة الصفراء . وبرزت الصحراء كالديباج . ونصب عرش من الفيروزج لملك كالقمر يزينه التاج . اصطف الجند ميلين عن يمينه، وسبعمائة فيل هائل عن يساره . ووقف أمامه وزير (٢) تقى يرشده إلى الدين والعدل . فشدهنى جلال الملك وهول هذا الجيش وهذه الأفيال . ولما ملأ عينى ذلك الوجه الملكى سألت هؤلاء الكبراء : أفلك وقمر منير أم تاج وسرير ؟ ونجوم ما أمامه أم جنود ؟ قال قائل : "هذا ملك الروم والهند، وما بين قنوج الى بحر السند . كل من فى ايران وتوران له عبيد، يحيون بأمره ورأيه السديد . قد زين الأرض بعدله، فحق له أن يضع التاج على رأسه . ملك العالم « محمود » ذو العزة القعساء الذى جمع بين الذئب والحمل على موارد الماء . وأجمعت على إعظامه الملوك من كشمير الى بحر الصين . وأوّل ما ينطق به الطفل الرضيع « محمود » ذلك الاسم الرفيع . فأشد كذلك بذكره فأنت مبين، تطلب به الذكر الخالد فى الآخرين . لا يستطيع أحد أن يخالف أمره، أو يفوت قهره" .

فلما استيقظت وثبت من مرقدى غير حافل بظلام الليل، فأثنيت على هذا الملك الجليل . وأعوزنى من المال نثار، فنثرت روحى بدل الدرهم والدينار . وقلت لنفسى : "هذه رؤيا لها تعبيرها على الأيام، فان صيته ذائع فى الأنام" فسلام على من يثنى على هذا الجدّ السعيد، والخاتم والتاج

(١) محمود بن سبكتكين الغزنوى (أنظر المقدّمة) . (٢) فى الأصل دستور (أنظر المقدّمة) .

المجيد . لقد صارت الدنيا بجلاله كجنات الربيع، فهواؤها سحاب وأرضها من الأزهار فى ترصيع . نزل الغيث فى حينه من السماء، فأضحت الأرض كجنة إرم الغناء . كل خير فى إيران فقد أفاضته يده، وحيثما رأيت انسانا فهو مؤيده . هو سماء مغيثة فى المآدب، وفى الهيجاء تنين حديد المخالب (١) . تمثل فى جسمه صولة الفيل، وفى روحه علم جبريل، وفى كفه مطر الربيع ، وفى قلبه نهر النيل . يذل عداته لسطوته، كما يذل الدينار فى همته . لا يغرّه السلطان والنشب ، ولا يضيق صدره بالحرب والنصب . وكل من ربتهم نعمته من الأحرار ، أو عبيده الأخيار ، قد أخلصوا له القلوب، وشمروا فى طاعته لقراع الخطوب . أملاك على الأمصار، مخلدة أسماؤهم فى الأسفار . وأوّل أولئك أخوه الصغير ، الذى ليس له فى الرجولة نظير. من يخلص العبودية «لنصر (٢)» ، يعش سعيدا فى ظل ملك العصر . ومن نماه « ناصر الدين (٣) » الى العلياء ، يضع عرشه على مفرق الجوزاء . هو رب الفضل والشجاعة والرأى المتين ، وقرة عين الكبراء أجمعين . ثم أمير طوس الباسل، الذى يهزأ فى الهيجاء بالأسد الصائل . والذى يهب كل ما يصيب من الزمان، ولا يبغى إلا الحمد على الأيام . والذى يهدى الخلق الى الديان، ويجهد ليسلم الملك من الحدثان . لا أخلى الله العالم من الملك وتاجه، والله يخلده فى سروره وابتهاجه . سالما فى بدنه، ممتعا بتاجه وعرشه، آمنا من الغم والحزن، مظفرا على مر الزمن .

الآن أرجع الى فاتحة العمل — الى كتاب الملوك العظام .

(١) فى الشعر الفارسى يكثر الجمع بين المأدبة (بزم) والهيجاء (رزم) وأحسب ذلك من تقارب اللفظين . (٢) نصر السلطان محمود . (٣) ناصر الدين سبكتكين والد محمود .

القسم الأول

البيشداديون

١ — ذكر جيومرت وشرح نبذ من أحواله

قال صاحب الكتاب أوّل من ملك العالم جيومرت . وكان قد سخر الله له جميع الجن والانس ، وخصه من عنايته بمزيد القوة والشهامة ، وروعة الجلالة وبهاء المنظر . وهو أوّل من لبس جلود السباع . وكان كل يوم يحضر الجن والانس ببابه ويصطفون صفوفا على رسم الخدمة له .

١ — القسم الأوّل

البيشدادية (١)

لقب للأسرة الأولى من ملوك الشاهنامه . وأوّل من لقب به ثانيهم "هُوشَنك" ويلقب في الأبستاق "پَرَذْهاته" أي "پيشداد" (٢) .

وهم أوّل من تعرفهم الأساطير الفارسية . ويتبين في أسمائهم وقصصهم بقايا الأساطير الآرية ، وآثار الدين الهندي والدين الايراني القديم . وفي الفيدا والأبستاق كثير من أسمائهم ومآثرهم على خلاف فيها .

وهم في الشاهنامه عشرة ملوك أسقط المترجم عاشرهم "كرشاسب" . ومدّة ملكهم فيها إحدى وأربعون وأربعمائة وألف سنة ، تستغرق واحدا وأربعين وخمسة آلاف بيت (٣) .

وهذا نسبهم ونسقهم كما في الشاهنامه .

الملوك البيشدادية

١ - كَيُومَرت
٢ - سِيامَك
٣ - هُوشَنك
٤ - جَمْشيد (اجيال عدة) — ٥ - الضحّاك
٦ - أفريدون

سَلْم — تُور — إيرَج
بنت إيرج = پَشَنك (ابن أخي أفريدون)

٧ - مِنوچهر
٨ - نُوذَر

طُوس — كُسْتَهَم — طَهْماسب

٩ = زَو
١٠ = كَرْشاسب

(١) يعرّب فيشداذية (طبري ، ج ١ ص ٨٤ ط القاهرة) . وپيش معناه أمام أو أوّل . وداد معناه العدل . فبيشداذي اذا معناه صاحب العدل أو القانون الأوّل . والياء في آخر الكلمة للنسبة . (٢) فارس نامه وطبري وأفستا ، ج ٢ ص ٥٨

(٣) أنظر المقدّمة لتفصيل الكلام على هذه الطبقة .

ورزقه الله تعالى ابنا كان يسمى سِيامك يرى الدنيا بعينه، ويربيه بين سحره ونحره . فلما ترعرع واستكمل أسباب السلطنة ظهر له عدوّ من الجن يرصده بالغوائل قاصدا إهلاكه . فأرسل الله تعالى

١ — كَيومَرت

وهو فى الأبستاق "كيا" أو "كيامَرِتَن" وهو الانسان الأول، أوّل من عبد أهُرَمزدا والذى نسلت منه الأمم الآرية . "نعبد روح كيامرِتن أوّل من أصغى لفكر أهرمَزدا وتعليمه الذى صوّر منه أهرمزدا أصل الأمم الآرية — بذر الأمم الآرية"[١] .

وفى بُنْدَهِش[٢]، أن هرمزد خلق شيئين هما أصل الانسان وأصل الحيوان والنبات . وذانك كيومرت والثور الأوّل . عاشا سعيدين فى ملك هرمزد ثلاثة آلاف سنة . ثم ظهر أهرِمَن فقتلهما؛ بدأ بالثور وبعد ثلاثين سنة قتل كيومرت (وينبغى أن نذكر هنا أن مدّة ملك كيومَرت فى الشاهنامه ثلاثون سنة) . نتج من الثور حين موته أصل الحيوان والنبات، ومن كيومرت حين موته الزوجان الأوّلان : "مشيا ومشيانه" ومعنى مشيا رجل (مثل آدم) . فنسلا نسلا كان منه سيامك (ابن كيومرت فى الشاهنامه[٣]) .

وتفصيل هذا فى "الآثار الباقية" فى روايتين[٤] :

خلاصة الأولى أن الله أعجب بالعالم فتولد من هذه الفكرة أهرمن . ثم تحير فى أهرمن فعرق جبينه ومسح ذلك ورمى به فكان كيومرت وأرسله الى أهرمن فقهره وركبه وطاف به فى العالم. ثم سأل أهرمن كيومرت ما أبغض الأشياء اليه وأفظعها؟ فأجابه أنه يخاف من جهنم خوفا شديدا . فلما بلغ به جهنم جمح واحتال حتى رماه ثم علاه وسأله من أين يبدأ أكله؟ فقال كيومرت — وهو يعلم أن أهرمن سيخالف قوله — : ابدأ بالرجلين لأتمتع بالنظر الى العالم فبدأ أهرمَن بالرأس. فلما بلغ الصلب قطرت منه قطرتا نطفة على الأرض فنبت منها ريباستان تولد منهما "ميشى" و"ميشانه" ويقال لهما أيضا "ملهى" و"ملهيانه" ويسميهما مجوس خوارزم "مرد" و"مردانه".

وخلاصة الرواية الثانية — وهى منقولة من الشاهنامه التى كتبها البلخى الشاعر بعد أن صحح أخباره من ست مؤلفات — أن كيومرت مكث فى الجنة ثلاثة آلاف سنة فى ...

(١) يست ٢٤ زنداوستا ندر مستتر (٢ ... ومعنى بندهش "الخلق الأول" .

(٢) كتاب بهلوى دينى ...

(٣) ... Warner ج ١ — ١١٧

(٤) ص ٩٩ ط . ليبزك (Leipzig).

ملكا الى أبيه فأخبره بذلك . فلما أحس سِيامك بذلك اغتاظ واستشاط واحتشد لمحاربة عدوه الجنى ، ولبس جلد النمر ، وأصحر للمقابلة[(١)] والملاقاة . فلما قرب منه أنشب الجنى فى صدره مخالبه ، وشق عن مقر

= والثور والجوزاء . ثم هبط الى الأرض وعاش آمنا مطمئنا ثلاثة آلاف أخرى — آلاف السرطان والأسد والسنبلة . وكان يعيش فى الجبال وقد رزق جمالا لم يره حيوان إلا بهت وغشى عليه . ثم ظهر الشر مع أهرمن وكان له ابن يسمى خزورة[(٢)] فتعرض لكيومرت فقتله كيومرت . فتظلم أهرمن الى الله وأراد الله أن يقاصه به حفظا للعهود التى بينهما . فأرى كيومرت عواقب الدنيا والقيامة حتى اشتاق للموت ثم قتله فقطرت من صلبه قطرتان فى جبل دامداذ باصطخر ونبت منهما شجرتا ريباس ظهر عليهما الأعضاء فى أوّل الشهر التاسع وتمت فى آخره وتأنستا وهما "ميشى" و "ميشانه". ولبثا خمسين سنة ناعمين مستغنيين عن الطعام والشراب . ثم ظهر لهما أهرمن فى صورة شيخ فحملهما على تناول فواكه الأشجار . فأكلا ووقعا فى الشرور والبلايا . وظهر فيهما الحرص حتى أكلا ولدهما . ثم ألقى الله فى قلوبهما رأفة . ثم ولدا ستة أبطن . وكان السابع "سِيامَك" و "فراوَك"، وقد تزاوجا فولد لهما أوشهنج .

وفى الإشراف والتنبيه للمسعودى[(٣)] "ميشا" و "ميشانى" و "مهلا" و "مهلينه"[(٤)] .

وكيومرت عند جمهور مؤرّخى الفرس كآدم عند الساميين ، وبعضهم ينميه الى نوح أو آدم[(٥)] . ولا يختلف الفرس أنه أوّل انسان ملك على الناس . ويلقب "كِل شاه" ومعناه ملك الطين أو الملك العظيم . ويلقب كذلك "كرشاه" أى ملك الجبل[(٦)] . ويقال أنه أوّل من تكلم الفارسية ، وأنه هو ايران الذى ينسب اليه الايرانيون[(٧)] ، وأن مقر ملكه كان اصطخر أو دباوند[(٨)] . وينسب اليه بناء مدائن اصطخر وبلخ ودماوند وفيروزان[(٩)] . وقد عاش ألف سنة ملك منها أربعين أو ثلاثين[(١٠)] . =

(١) طا : للقاتلة . (٢) قارن هذا الاسم باسم حزورة بنت آدم التى تزوجها شيث . انظر الطبرى ج ١ ص ٨١

(٣) ص ٩٣ ط ليدن ١٨٩٤ م (٤) قارن هذا الاسم بمهلائيل أحد أحفاد آدم . طبرى ج ١ — ٧٧

(٥) طبرى ج ١ ص ٧٦ ، وفارس نامه . التنبيه والاشراف ٩٣ والآثار الباقية ص ٢٤ و ٩٩ (٦) فارس نامه ص ٩ والفهرست لابن النديم ص ١٢ والتنبيه ص ٨٥ والآثار الباقية ص ٩٩ (٧) الفهرست ص ١٢ ونزهة القلوب للقزوينى ، المقالة الثالثة ص ١٩ ط ليدن . (٨) التنبيه ص ٨٥ وفارس نامه . (٩) نزهة القلوب للقزوينى ، المقالة الثالثة ص ٥٢ و ١٢٠ و ١٥٥ و ١٦٢ ، وفارس نامه ص ٢٨ (١٠) فارس نامه ص ٩ والتنبيه ص ٨٥

روحه ترائبه، وجدّ له فى الأرض قتيلا، فلم يغن عنه ملكه ولا ملك أبيه فتيلا . فلما علم جيومرت بذلك خرعن سرير الملك متململا يتقلب فى التراب، يضرب صدره، وينتف شعره، ويفجر ينابيع الدماء من محاجره، ويصعد نيران الزفير عن حناجره . وقامت القيامة على الخلق فانثالوا على حضرته للعزاء وعقد المأتم . فبقى على تلك الحالة من الجزع حتى انقضت سنة كاملة . فجاء الملك وعزاه وأمره أن يقصر من جزعه، ويتأهب للانتقام والطلب بثار ابنه . (٣)

وكان للقتول ابن يسمى أوشهنج يتفرّس فيه مخايل الملك . فدعاه وجعله ولى عهده، وأوصى اليه فى جميع أموره، وولاه زعامة جيشه . ونهض نحو العدوّ فأظفره الله تعالى به، ومكنه منه، حتى أدرك الثار المنيم بسفك دمه، والاقتصاص منه لقرّة عينه . وحين استشفى جيومرت أشفى على الموت فاخترم بعد استيفاء ثلاثين سنة من ملكه . ولكل أمد محدود وأجل معلوم، ولا يبقى إلا ملك الواحد القيوم .

= ومدّة ملكه فى الشاهنامه ثلاثون سنة تستغرق أربعة وسبعين بيتا مقسمة الى هذه الفصول :

ملك كيومرت أوّل ملوك العجم ثلاثون سنة .

قتل سيامك بيد الشيطان .

ذهاب هوشنك وكيومرت لحرب الشيطان الأسود .

ويبدأ الفردوسى الكلام عن كيومرت بقوله : ماذا يقص الدهقان لفصيح عمن كان أوّل طالب تاج العظمة فى الناس، والذى وضع على رأسه التاج ؟ ليس لأحد بذلك علم إلا أن يروى ولد عن والده ما سمع من أنباء صاحب الحديث الذائع . الذى بذ الأماجد . كذلك قال الذى عنده كتاب الماضين، المحدّث عن سير الأبطال : الخ .

وقد حذف المترجم فى هذا الفصل وفى سائر الكتاب « أهرمن » واستبدل به « جنى » .

وحذف اسم « سروش » وهو الملك الذى كان ينزل بالوحى والذى عزى كيومرت عن قتل ابنه، وأمره بالتأهب للثأر . ثم الجنى الذى قتل سيامك وصف فى الشاهنامه بأنه ابن « أهرمن » . وكذلك أغفل المترجم اجتماع الوحش على باب كيومرت حين قتل ابنه .

(١) انظر المقدّمة فى بحث الترجمة .

٢ — ذكر أوشهنج(١) ووصف بعض أحواله وماجرى فى عهده

قال صاحب الكتاب : ثم ملك أوشهنج وتسنم سرير المملكة تبهر من أسرّة وجهه علامات الشهامة والصرامة، وآثار المهابة والجلالة . وكان ذا رأى رصين، وعقل رزين . وهو أوّل من استخرج النار والحديد من الحجر . وكان سبب إخراجه النار أنه رأى يوما فى بعض مخارم الجبال حية تتوقد حدقته فى محجره بجذوة نار تشتعل فى غار و يتنفس فيكاد يذيب أفلاذ الحرّة الرجلاء بأنفاسه . وكأنه ينفخ عن كير، ويحرق الأرم عن تغيظ وزفير . فأخذ حجرا ورماه به فأخطأه، ووقع الحجر على أنف الجبل فتشعشع منه شعلة نار أعجبته . فأفلت الحية، وظهر هذا السر اللطيف المودع فى صميم تلك الصخرة الصماء . فخر لله تعالى ساجدا يشكره على ما وهب له من تلك النعمة، وحباه من تلك الكرامة . فاتخذ النار قبلة . وذلك مبدأ(٢) تعظيم النار عند الفرس . وقال هذه لطيفة إلّهية، وأنوار روحانية . فلا بد من تعظيم شأنها وتفخيم قدرها . فلما جنه الليل أمر فأشعلت نار ملأت طلاع الأرض بالأشعة . حتى خيلت للألحاظ أن الشمس غير غاربة، وان أضواء النهار الساطع غير غائبة . فاتخذ(٣) تلك الليلة عيدا يعرف بالسذق(٤) . فبقى من ذلك الزمان آثارها بين الأنام . يتوارثها من ملوك

٢ — أوشهنك

هو فى الشاهنامه أوشهنك . ويكتب فى بعض الكتب هوشهنك وهوشنك . ويعرّب بإبدال الكاف جيما(٥) .

وهو فى الأبستاق «هوشينكها» ال «پردهانه» أى البيشدادى(٦)، وهو أوّل من لقب «پيشداد»(٧) .

وهو فى الشاهنامه ابن سيامك بن كيومرت . وفى المصادر القديمة أن سيامك وامرأته نشاك ولدا فرفاك وفرواكين . وولد هذان خمسة عشر زوجين ركب تسعة منهم الثور «سرسوك» فعبر بهم البحر الى الأقاليم الستة فأقاموا هنالك . و بقى الستة الآخرون وفيهم هوشنك وزوجه كوزهك فعمر الأقليم الوسط الذى فيه إيران(٨) . وفى فارس نامه : أن فى نسب أوشهنك ثلاث روايات : أصحها أنه هوشنك بن فرواك بن سيامك بن ميشى بن كيومرت، وأن من المؤرّخين من يقول =

(١) ك : أوشهنك . (٢) ك طا : مبداء . (٣) طا : فاتخذت . (٤) ك : السدق

(٥) فارس نامه . (٦) أفستا، ج ٢ ص ٥٨ (٧) فارس نامه . طبرى ج ١ ص ٨٤

(٨) وردنر، ج ١ ص ١٢٢

الفرس كابر عن كابر، وغابر عن غابر . ثم إنه اتخذ آلات الحديد من الفوس والمناشير وغيرها ، وأخذ فى شق الجداول الى الصحارى ، وبذر البذور فيها، وتميتها بالمياه . فسهل الله تعالى له ذلك حتى حد الحدود، ونثر الحبوب، وزرع الزروع ، وأقام بالخلق على طريق لاحب للمعايش واكتساب الأقوات . واتخذ من جميع البهائم كل نوع يصلح للعمل من البقر والحمر وغيرهما[1] . وسخرها الله له فاستعمل كل جنس فيما يصلح له . واستلان جلود الثعالب والسنجاب والقاقم والسمور . فلم يزل يشتغل بالاصطياد منها، ويأمر بسلخ جلودها للملابس والمفارش . فانعمر فى عهده العالم، واستراحت الخلائق بميامن عدله فى ظل الأمن والأمان، وخفض العيش وطيب الزمان . فلما بلغ غاية الكمال حان له حين الارتحال . فلم ينشب أن سل[2] عليه سيف الفناء شعوب، ولم يقدر أن يفل حدّه عنه القبائل والشعوب . فمات حميد الأثر، مرضى السير . وكانت مدّة ملكه أربعين سنة .

= أنه أبو «خنوخ» وخنوخ هو إدريس . وفى الطبرى أن بعض نسابة الفرس يقول : "إن هوشنك هو مهلائيل ، وأن أباه فرواك هوقينان أبو مهلائيل، وأن سيامك هو أنوش أبو قينان، وأن مشا هو شيث أبو أنوش ، وأن جيومرت هو آدم"[3] . ويقال إن هوشنك هو إيران[4] . وفى الآثار الباقية أنه جعل لنفسه الملك والقيام بسياسة العالم وذلك هو الدهوفَذيّة، وجعل الدهقنة لأخيه "ويكرد" واحتفل الناس بهذه القسمة ، وبقيت ذكراها فى عيد "روزتير"[5] . ويقال أنه وأخاه ويكرد من الأنبياء[6] . وقد بويع بالملك فى اصطخر[7]، وفى مروج الذهب أنه كان ينزل الهند .

وينسب اليه بناء الكوفة لأول مرة، وتُستر ودامغان ، ومسلة عين شمس . وزاد فى عمارة السوس واصطخر[8] .

وتاريخه فى الشاهنامه ستة وأربعون بيتا، فيها هذه الأقسام :

مُلك هوشنك أربعين سنة — سَن عيد السذق (سده) .

(١) طا : وغيرها . (٢) طا : سلت . (٣) طبرى ج ١ ص ٧٧ و ٨٤ و ٨٥ . وانظر المقدّمة فى اختلاط الأساطير السامية والايرانية . (٤) نزهة القلوب ص ١٩ (٥) ص ٢٢٠ (٦) فارس نامه . (٧) فارس نامه . (٨) نزهة القلوب ص ٣٠ و ٥٣ و ١٠٩ و ١١١ و ١٢٠ و ١٦١ و ٢٩١ والبلدان ص ٧٣

٣ — ذكر طهمورَث وما جرى فى عهده

قال صاحب الكتاب ثم ورث مكان أوشهنج ابنه طهمورث . فسلك منهج أبيه فى تمهيد قواعد العدل ، وإحياء محامد السير ، وإخراج دقائق الصناعات ، بجودة الذكاء ، وفخامة الرأى . وهو أوّل من أمر بجز الأصواف وغزلها ، واتخاذ البسط منها . وكذلك هو أوّل من علق الشعير . وفى زمانه ظهر تعليم الجوارح الصيد، مثل الباز والشاهين وغيرهما من ذوات المناسر والمخالب . وكذلك هو أوّل من اتخذ الفهود وكلّبها لما أعجبه لونها وذكاؤها ووثوبها . فسخرها الله تعالى له

---

٣ — طَهمورَث

ويقال طَهمورَث بالثاء ، وفى مروج الذهب : طخمورث . ويلقب "زيناوَند" أى الكمىّ (١) و "ديوبَند" أى مقيد الشياطين (٢) .

وهو فى الأبستاق "طخما أُرپا" وذكر فيما بعدها من الكتب باسم طهموراف .

وهو ابن هوشنك فى الشاهنامه ، ولكن كتبا أخرى تجعل بينه وبين هوشنك ثلاثة آباء أو أربعة على خلاف فى أسمائهم . وفى رواية أنه أخو يما (جمشيد) . وقد سخر له أهرمن حصانا فركبه حتى خدع أهرمن زوج طهمورث فأفشت اليه سرّ قوة زوجها فقهره وابتلعه حتى جاء يما فخلص جثته من جسم أهرمن ، وخلص الفنون والحضارة التى اختفت باختفائه (٣) .

وفى الأبِستاق عن طهمورث نصوص منها : "نقرّب للمجد الملكىّ الرائع ، صنع أُهرَمَزدا ، القهار علىّ الفعال ، الذى يملك الصحة والعقل والسعادة ، والذى هو أقدر الخلق على الإهلاك ، والذى تجسد فى "طخما أُرپا" الكمى حينما حكم أقاليم الأرض السبعة على الجن والإنس . . . والظالمين ، والأعمى والأصم ؛ حين قهر الجن والإنس . . . وركب أنكرمينيو ممسوخا فرسا ، حول الأرض من طرف الى طرف ثلاثين عاما (٤) " .

وقد بقى هذا على مر الزمان فى أساطير الفرس . فالثعالبي يقول بعد ذكر طهمورث : "وقد صوّرته الفرس فى كتبها وقصورها ومصانعها راكبا ابليس . وتمثل بعض الشعراء فى بعض من ركب الفيل من الملوك : =

---

(١) الآثار الباقية ص ١٠٣ (٢) فارس نامه وغيرها . (٣) أفستا ، ج ٢ ص ٢٥٢ : حاشية (١) .
(٤) أفستا يست زمياد ، ج ٢ — ص ٢٩٢ — أنظر بقية الأسطورة فى الطبرى ، ج ١ ص ٨٦

وكان له وزير(ا) موصوف بحسن السيرة وسداد الطريقة فلم يزل يرشده الى معالى الأمور، ومكارم الأخلاق، وبث المعدلة بين كافة الرعية، وملاحظة أحوالهم بنظر الرأفة والرحمة . ثم أنه سجن (ب) عفريتا من الجن فاجتمعت الجن كلهم على مخالفته، وخلع ربقة طاعته، واحتشدوا لمحاربته . فلما أحس بذلك ناجزهم الحرب فنصر عليهم، وأوثق بعضهم بالرقى والسحر، واستذل البعض تحت وطأة القهر . فطلبوا الأمان، وقالوا ان كففت عنا يد القتل، ووطأت لنا جانب العفو أطلعناك على سر من الرموز التى لا بد للملوك منها . فآمنهم على ذلك فعلموه الخط والكتابة على ثلاثين نوعا من =

يا ليث ملك أصبحت * له المعالى خيسا
وراكبا من فيله * مستشرفا نفيسا
كأنه طهمورث * لما امتطى إبليسا
لا زلت للدين وللد * نيا معا أنيسا[1] "

ولعل بديع الزمان الهمذانى أشار الى هذا حين قال فى مدح السلطان محمود الغزنوى :

اذا ما ركب الفيل * لحرب أو لميدان
رأت عيناك سلطانا * على كاهل شيطان[2]

ويقال أن طهمورث هو أبو فارس الذى ينسب اليه الفرس[3] .

وقد ملك طهمورث بعد هوشنك . وفى الشاهنامه أنه ملك ثلاثين سنة ، وفى بُندَهِش أربعين[4] . ويقال انه أول من ركب الخيل ووضع الأحمال على الدواب[5]، وأن فى عهده ظهرت عبادة الأوثان . وذلك أن وباء عظيما اجتاح الناس فصوروا من هلكوا ثم عبدوا الصور[6] . وينسب اليه أنه بنى مكتبة لحفظ الكتب من الأحداث فى مدينة أصفهان حينما أنذر بالطوفان قبل حدوثه باحدى وثلاثين ومائتى سنة[7] . وأنه بنى المدائن وسماها كرداباد ثم أتمها جمشيد وسماها طيسفون، وبنى إصفهان وقُم، وفراهان، وبشاور، وكازرون، ونيسابور، وآمل، وسمنان، وكُهندز (قلعة)=

(ا) اسمه شيداسب فى الشاهنامه . (ب) الذى فى الشاهنامه أنه سحر أهرمن وسلسله ثم اتخذه سرجا وركبه وطاف به حول الأرض فثارت العفاريت .

(١) أنفس العرر ص ٩ (٢) يتيمة الدهر : (بديع الزمان) .

(٣) كتاب البلدان ص ١٩٥ (٤) أفستا ج ٢ ص ٢٥٢ حاشية (١) . (٥) فارس نامه .

(٦) فارس نامه . (٧) الآثار الباقية ص ٢٤

الألسنة المختلفة ، من الرومية والعربية والفهلوية وغيرها من أنواع الألسنة . وذلك مبدأ ظهور الخط بين الخلق . ثم انه هجم عليه الموت وثل عرشه، وجعل تراب الأرض فرشه . وكانت مدة ملكه ثلاثين سنة .

٤ — ذكر جَمشيذ ونوبة ملكه وما جرى فى عهده

هو جمشيذ بن طهمورت . وشيذ فى لغتهم هى الشمس . وانما سمى بذلك لأنه كان موصوفا بالجمال الرائق، والحسن الكامل . قال : فلما مات طهمورت جلس ابنه جمشيذ على سرير أبيه، وعقد على رأسه تاج السلطنة، وشدّ على خصره منطقة الملك، ونفذ أمره فى جميع الخافقين، وأذعن لطاعته جميع الثقلين . وكان متوفرا على عمارة العالم وتفقد أحوال الرعية بإفاضة العدل والإحسان . يبسط لهم ظلال الرحمة ، ويرفرف عليهم بجناح الرأفة . فأول شئ اشتغل به فى نوبة ملكه إعداد آلات الحرب . فانه هو الذى أعدّ السيوف الفواصل(١)، والرماح العواسل(١)، وألان الحديد، ونسج الدروع

= مرو، واثنين مثله فى فارس . وزاد فى عمارة اصطخر، وأتم بلخ التى بدأ عمارتها كيومرت ، وبنى سابور فى فارس . وجدّد عمارة بابل(٢) .

وقصته فى الشاهنامه ٥٠ بيتا تحت عنوان واحد : ملك طهمورث مقيد الشياطين ٣٠ سنة .

٤ — جمشيذ

جمشيذ كلمة مختصرة من " يما خشَيتا " . أى "يما الملك". فلفظ " شيذ " لقب، ومعناه " المتلألئ " . ولذلك يذكر جمشيذ فى بعض الكتب العربية كالطبرى باسم جم الشيذ .

ويقال أيضا "جمشيدون" (أ) . وذكر فى الأبستاق باسم " يما " . وهو فى الشاهنامه ابن طهمورث . وفى غيرها أخوه أو ابن أخيه(٣) .

وفى "جَم" هذا أو "يما" تلتقى أساطير إيرانيــة وهندية وسامية . ففى الأبستاق(٤) أن زرَتُشترا (زردشت) سأل أهرمزدا : من أوّل انسان كلمته وعلمته الدين؟ فأجاب أن ذلك "يما" الأبيض =

(أ) يقول قطران أرموى :

خداش أزانرو مسعود كردوكر خواهد . هر آنچه خواهد بكند چوكرد جمشيدون (فرهنگ شعورى) .

(١) ك طا : قواصل . العوامل . (٢) فارس نامه ص ٢٩ — ٦٣ — ١٢٥ — ١٤٥ — ونزهة القلوب ص ٣٧ — ٤٨ — ٦٧ — ٦٩ — ١٢٥ الخ، وطبرى، ج ١ ص ٨٦ (٣) فارس نامه، طبرى .

(٤) أفستا، ج ١ ص ١٠ — ٢٠

الفضفاضة، والجواشن الرائعة، والتجافيف السابغة، الى غير ذلك من أنواع الأسلحة . فلم يزل على ذلك حتى بلغ قصارى أمنيته، ونهاية أمله فى تحصيل تلك العدد، والاستظهار بها لليوم والغد. ثم ألهمه الله اتخاذ الملابس فاستعمل ثياب الكتان والإبريسم، وعلم الناس كيف يغزل الغزل و ينسج، فبقى على ذلك مدة حتى انتشر جميع تلك الصناعات فى أقطار الأرض، وتوفر الناس على المكاسب والاشتغال بأمور المعاش . ثم أمر الجن بنحت الأحجار، وتخمير الأطيان، وضرب اللبن الكبار . وكان كل حين 

=الراعى الصالح ، وأنه عرض عليه رسالته فقال إنه ليس أهلا لها . فأمره بتعمير العالم وحكمه وحراسته . فامتثل وقال سأنمى العالم ، ولن يكون فى عهدى ريح باردة ولا حارة ، ولا مرض ولا موت . ومر على حكمه ثلاثمائة شتاء وضاقت الأرض بالناس والبهائم . فأنذره أهرامزدا فطبع "يما" على الأرض بخاتمه وضربها بخنجره وسألها أن تتسع فزادت ثلث سعتها الأولى . فمضى ستمائة شتاء فى حكم "يما" وضاقت الأرض ففعل "يما" مافعل قبل فزادت ثلثين، فمضى تسعمائة شتاء فى حكم "يما" ثم ضاقت وزادت بفعل "يما" ثلاثة أثلاث .

جمع أهرامزدا الملائكة فى أيرينا فيئكو(١)، وجمع "يما" أخيار الناس الى المكان نفسه، وأنذر أهرا "يما" باقتراب الأشتية القارسة التى يتراكم فيها البرد فيهرب الوحش فى السهل والجبل الى أمكنة تحت الأرض . فاذا ذاب الثلج لا يرى على الأرض أثر شاة . وأمره أن يصنع لنفسه "ڤرا" وبين له طوله وعرضه وتخطيطه . وأمره بأن يجمع الى هذا البناء من خيار الرجال، والنساء، ومن أحسن الحيوان، وأعظم الأشجار — اثنين من كل نوع . وأخبره أنه لن يكون هناك ذو عاهة، ولا مريض ولا حاسد ولا كذاب الخ . وعلمه كيف يبنى البناء وكيف ينزل فيه الناس وغيرهم . ثم يسأل زرتشترا عن النور فى هذه البنية فيجيب أهرا: هناك أنوار مخلوقة وأخرى غير مخلوقة (طبيعية ومصنوعة)، ولم يفتقد هناك إلا مرأى النجوم والشمس والقمر، والسنة تمر كأنها يوم .

ويولد لكل زوجين ولدان ذكر وأنثى كل أربعين عاما . وكذلك البهائم . ويعيش الناس سعداء فى بناء "يما" . وفى مواضع أخرى من الأبستاق ما يدل على أن "يما" ملك الأقطار كلها وقهر الجن وأذلهم . وأن حكمه كان سعادة ونعيما كاملا لا آفة تصيب الأبدان أو الأموال . ولا حر ولا برد ولا هرم ولا موت(٢) . =

(١) هى ايران فيك ، وهى الأرض المقدسة فى دين زردشت، التى ولد فيها زردشت و بدأ فيه دعوته : أفستا، ج ١ ص ٣، حاشية ٣ (٢) أفستا، ج ٢ ص ١١٢ و ٢٥٢

يستحدث بناء[1] ويستجد مدينــة ويؤثر أثرا حتى طالت على ذلك المدة . ثم تتبع المعادن فاستخرج منها بدقائق فطنته الذهب والفضـة والياقوت والفيروزج وسائر الأعلاق النفيسة من أصـناف الجواهر، فرصع بهـا المناطق، ووشح منها الأسورة والعصائب، واقتنى منها الذخائر، وكنز الكنوز وملأ الخزائن . ثم أخرج أنواع الطيب من مستودعاتها كالمسك والكافور والعنبر . ثم صـعّد أنوار الورد والأزاهير حتى حصل منها أمواها تتنفس عن روائح تفغم[2] الخياشيم، وتنعش الأرواح والنفوس . وأظهر علوم الصناعة الطبية وتصرف فى أفانينها، وتقلب فى أساليبها، ووقف على أسرارها الغامضة، ودقائقها الخفية . وتعرف خواص الأدوية فشاعت هـذه الصناعة بين الناس من ذلك الزمان . ثم تفكر فى اتخاذ المراكـب وإجرائها على وجه المـاء، طائرة بأجنحة الهـواء . فعمل السفن وأطلقها فى مضامير البحار كرواكض الخيول، وهواجم السـيول . فلم يزل يتنقل من إقليم الى إقليم، ومن صـوب الى صوب، حتى جاس جميع أطراف البر والبحر . ثم عمل تختا مرصعا بألوان الجواهر، ورتب له حملة من الجن . فكان يجلس عليه ويرفعونه فى الهواء ويحملونه الى حيثما[3] أراد من الممالك . وكان ذلك أوّل يوم من السنة وقت حلول الشمس فى برج الحمل فسمى ذلك اليوم بالنيروز[4] . فجلس فى مجلس الأنس للطرب يحيّا[5] بريحان السرور، وتدار عليهم أقداح الراح فى رياض الحبور . فبقى النوروز سنّة مشهورة عند الفرس يعظمون شعارها، ويتبعون آثارها .

= ولكن جمشيد طغى وشرع يستروح الى الكذب والباطل، ففارقه المجد الملكى؛ رئى ذاهبا عنـه فى صـورة طائر . فزلزل ملكه وأذله أعداؤه[6] . وأوّل من خرج عليـه أخوه أسـفور[7] (سپتورا) . وستأتى بعض أخباره فى الفصل الآتى .

وكذلك نجد عند الهندفى " الڤيدا " أسطورة يمـا ومنو : وهما توأمان أبوهما ڤڤسقات المتلألئ أى الشمس، والمتلألئ هو معنى شـيد بالفارسية فى مثل جمشيد وخورشـيد (الشمس)، ومنو هو المشرع للآريين، و" يمـا " إله، وهو أوّل بشر عظيم اجتـاز الى عالم الآخرة فهـو ملك الموتى . وله كلبان أسمران لكل أربعة أعين الخ يذهبان كل يوم ليشما الموتى ويحشراهم الى ملكهما . وكذلك نجد فى الأبستاق الأمر بإحضار كلب موصوف الى جانب الميت يطرد عنه الشيطان[8] . فانظر كيف =

(١) أصل : بناءا . (٢) ك، طا : والأصل تنغم . (٣) أصل : حيث ما . (٤) طا : نوروز .
(٥) أصل : يحيي . (٦) أفستا، ج ٢ ص ٢٩٣ (٧) فارس نامه وأفستا، ج ٢ ص ٢٩٧
(٨) أنظر تاريخ الآداب الفارسية لبراون، ج ١ ص ١١٤؛ وانظر تاريخ الفرس لسيكس، ج ١ ص ١٠٣

نعم فاستكمل جمشيذ جميع أسباب السلطنة، وأطاعه جميع الخلائق، وبقى على ذلك ثلثمائة سنة لا يمس جانبه محذور، ولا يطرق بابه مكروه، ولا يغشى ألم وساده، ولا يعترى وجع فؤاده، قد وطأت الدنيا له أكنافها، وأدرت عليه أخلافها . فنسى المنون، وظن الظنون، وباض الشيطان فى رأسه وفرخ، ولوى جيده عن طاعة ملّاك الرقاب، متعرّضا بغمط نعمه لقاصمة العقاب . فأنكر عليه العلماء والحكماء، وارتجت بذلك الأرض والسماء . فأدركته غيرة القهارية فأطارت واقعه، وهاجت وادعه، وأقلقته بعد السكون، وأذعرته غب الركون . وسيأتى تمام ذكره وهلاكه على يد الضحاك بعد إن شاء الله تعالى .

= تشابه ما يروى عن نوح وسليمان وما يروى عن جمشيد، وكيف اشتركت الفيدا والأبستاق فى بعض أسطورة يما[1] .

ثم تقسيم جمشيد الناس أصنافا فى الشاهنامه يشبه فى الأبستاق تقسيم زردشت الناس الى رجال الدين والمحاربين والزرّاع ، وكان زردشت أوّل كاهن وأوّل جندى وأوّل زارع وجعل أبناءه الثلاثة على رأس هذه الطبقات[2] .

ويقال إن جمشيد أتم بناء المدائن وسماها طيسفون، وبنى أصفهان، ونميسوز فى العراق العجمى وشيد قصره بها . ويقول القزوينى أن أطلاله بقيت الى زمانه . وبنى همذان ونيشابور فى فارس واصطخر،[3] واليه تنسب أعظم نيران الفرس . وهى آذَرخُره التى كانت بخوارزم ونقلها أنوشروان الى الكاريان . فلما ملك العرب خافت المجوس عليها فنقلوا بعضها الى فسا[4] .

وقصة جمشيد فى الشاهنامه ٢١٦ بيتا فيها هذه العناوين :

(١) ملك جمشيد سبعمائة سنة . (٢) قصة الضحاك مع أبيه . (٣) إبليس فى زى طباخ .
(٤) هلاك جمشيد .

(١) أنظر المقدّمة فى علاقة الايرانيين والساميين والهند فى الشاهنامه . (٢) أفستا، ج ٢ ص ٢٠١
(٣) نزهة القاقوب للقزوينى وفارس نامه . (٤) البلدان ص ٢٤٦

٥ — ذكر ظهور الضحاك

قال صاحب الكتاب كان فى ذلك الزمان أمير كبير يسمى بمرداس . وكان ملك العرب . و يوصف بصلاح السيرة ، وسداد الطريقة . وكانت له أموال كثيرة من الخيل العراب والإبل والبقر والغنم . وكان له ابن يسمى بيوراسب ، و يلقب بالضحاك . وبيور فى لغتهم معناه عشرة آلاف، واسب هو الفرس . وكان له من الخيل المسرجة بسروج الذهب والفضة ، المرصعة بأنواع الجواهر الفاخرة ما لا يحيط به الحصر والعدّ . وكان مشغوفا باللهو والطرب، والصيد والطرد . فظهر له إبليس فى زى شاب صبيح، وعرض عليه نفسه ليخدمه . فاتصل به . وكان يظهر كل يوم فى الخدمة آثارا مرضية، ويبدى فى المناصحة والمخالصة أفعالا حميدة . فكان يورد عن رأيه ، و يصدر عن أمره . فخلا به يوما وقال له إنى ناصح لك ، ومشير عليك برأى إن قبلته ملكت رقاب العرب، واستتبت لك أسباب الأمر والنهى ، وانتظمت لك أحوال المملكة . فقال الضحاك إنا خبرنا رأيك، وجربنا عقلك فما رأيناك إلا جاريا على سنن الصواب ، وطريقة السداد . وإنك أثبت علينا بصدق خلوصك ، ونصوع طويتك فى موالاة أيامنا ، ومشايعة دولتنا حقوقا كثيرة . وكل ما تشير به علينا يتضمن مصالح أمورنا ، ومناجح أوطارنا . وما خالفناك فيما أشرت به مدة مقامك فى هذه الحضرة .

---

٥ — الضحاك

يذكر فى الأبستاق باسم "أزى دهاكه" وفى الكتب الفارسية والعربية باسم أزدهاق أو أژدهاق . وذلك أصل كلمة "ضحّاك" التى تذكر فى الشاهنامه وغيرها . ويلقب "بيوراسب" ويقول الفردوسى أنها كلمة مركبة من "بيور" ومعناها عشرة آلاف ومن "اسب" أى الفرس . وتعرّب "بيوراسف" .

وأصل "أزى دهاكه" روح شريرة فى الأساطير الآرية . وفى الأبستاق نجده شيطانا يمنع ماء السحاب أن ينزل الى الأرض . ثم نجده ملكا جبارا ظالما يتمثل فيه الشر كله .

سأل زرتُشترا " أردفى سورا أناهِتا " روح الماء : كيف أعبدكِ وكيف أقرب اليك لينزلك "مزدا" الى الأرض، ولا يسوقك الى السماء، وليبعد عنك هذا الثعبان (أزى) فلا يؤذيك بسمومه[1] " .
وفى موضع آخر : "قرب اليها (الى أنا هِتا) "أزى دهاكه" ذو الأفواه الثلاثة فى أرض "بورى" مائة حصان، وألف ثور، وعشرة آلاف حمل . تضرع اليها قائلا اكفلى لى هذه النعمة أيتها الطيبة، =

---

(١) أفستا ، ج ٢ ص ٧٤

فهات ما فى ضميرك ، وفاوضنا فيما بدا لك . فقال لا يمكن إفشاء هـذا السر إلا بعد الاستظهار من الأمير بأيمان مغلظة، ومواثيق مبرمة، وعهود مؤكدة على أنه إن لم يقبل الرأى، ولم يصغ للنصيحة، جعلها دَبْر أذنه ، ثم يضرب عنها صفحا ، ويطوى دونها كشحا ، ويسترها فى أحشاء الكتمان ، ويطويها فى تضاعيف النسيان . فوافقه على ذلك، وحالفه على ما أراد، وأخلى له المكان، وخلا به الناصح الفاضح، وزخرف لديه أباطيله ، وموّه عليه أكاذيبه، ومهد له مقدّمة كانت نتيجتها أن يستبد بالإمارة، وتولى أمور الخاصة والعامة، وأن ذلك لا يمكن الا بقتل أبيه، والاستراحة من تكاليفه الباهظة، وأحكامه الفادحة . وأنه إن فعل ذلك ملك مقاليد الخزائن ، وتمكن من خبايا الذخائر . فلما سمع ذلك صعب عليه، وأكبر أن يجازى أباه ومن رباه بإراقة دمه، وقطع رحمه . فلم يزل الملعون يفتل منه فى الذروة والغارب حتى لانت عريكته، وتمكنت منه خديعته . فقال تدبر فى الأمر واحتل فى قتله .

= الخيرى "أردفى سورا أنا هتا" لعلى أخلى الأقاليم السبعة من الناس" . ثم يقرّب اليها "ثرِئتَونا" (أفريدون) لينتصر على "أزى دهاكه، ذى الأفواه الثلاثة، والرءوس الثلاثة، والأعين الستة، الذى له ألف حاسة... كارثة العالم، أقوى دروكـ[1] الذى خلقه أنكرا مَيْنِيُوما[2] وسلطه على العالم المادّى ليدمر عالم الخير[3]" .

"بُورى" المذكورة هنا هى بابل . فالضحاك تمثال العداوة بين الايرانيين والأشوريين ثم الكلدانيين . ويوافق هـذا ما يذكر فى الكتب العربية من أن الضحاك كان من ملوك الكلدانيين النبط[4] . وما فى نزهة الأمم[5] من أن بابل كانت دار ملك نمرود والضحاك وبنى فيها الضحاك قلعة . ومن المؤرخين من يقول أن نمرود هو الضحاك . والطبرى يرد هذا وينكر أن يكون للنبط ملك، ويروى عن "ذوى العلم بأخبار الماضين، والمعرفة بأمور السالفين" أن نمرود كان واليا من قبل الضحاك[6] .

ثم ينقلب الضحاك عربيا فى الشاهنامه وينسب الى اليمن — كما يرى القارئ — ويجعل مستقرّه بيت المقدس، ولعل هذا بقية محرّفة من تاريخ قورش مع ملك بابل واليهود . وتداول جمهور المؤرّخين من العرب والفرس هـذه الأسطورة وساقوا نسبه فى العرب . ووضع بعض مؤلفى الفرس بين آباء الضحاك "تاجا" وهو أبو العرب، ومنهم من يقول (تاز) بدل (تاج) ويدعى أنه من أجل هذا سميت =

(١) روح شريرة وهى الكذب : دروغ، فى الفارسية الحديثة . (٢) أهرمن . (٣) أفستا، ج ٢ ص ٦٠ — ٦٢ (٤) التنبيه والأشراف ص ٨٨ (٥) المقالة الثالثة ص ٣٧ (٦) ج ١ ص ١٤٩

وكان للملك بستان اتخذه لخلواته . فيه حوض تنصب اليه الأمواه . وكان كل ليلة يدخل البستان و يتطهر من ذلك الحوض و يشتغل طول الليل بعبادة الله تعالى . فحفر الملعون فى طريقه بئرا وغطاها بحشيش . فقام الملك من الليل ودخل البستان على عادته المعهودة، وتوجه نحو الحوض على ذلك الطريق فتردى فى قعر الحفيرة . فلما رأى العدوّ ذلك بادر اليه وطمها بالتراب ، وسواها بالأرض . فاستولى الضحاك على ملك العرب، وأطاعه جميع الأمراء، وأخذ أمره فى الاعتلاء .

= اللغة العربية "تازى" وسمى العرب "تازِيان" باللسان الفارسى (١) . وكأن بعض الرواة حاول أن يفسر اختلاف الروايتين فى نسبة الضحاك الى العرب أو الى الفرس فقال ان جمشيد زوّج أخته من بعض أشراف أهل بيته وملّكه ايمن فولد الضحاك هناك وولاه جمشيد اليمن (٢) . وقد جعل بعض العرب الضحاك من تبابعة اليمن (٣) ، فافتخر به أبو نواس فى قصيدته المعروفة التى فخر فيها بقحطان على نزار :

فنحن أرباب ناعط م ولنا صنعاء والمسك فى محاربها
وكان منا الضحاك يعبده م الخابل والطير فى مساربها

وقد أشار أبو تمام الى قصته مع أفريدون غير متعرّض لنسبه اذ قال يمدح الأفشين بعد هزيمة بابك :

ما نال ما قد نال فرعون ولا * هامان فى الدنيا ولا قارون
بل كان كالضحاك فى سطواته * بالعالمين وأنت أفريدون

و يقول المسعودى فى مروج الذهب : وقد ذكرته شعراء العرب ممن تقدّم وتأخر .

وقصة تقييد الضحاك فى مغارة على جبل دماوند تذكر القارئ بقصة "پروميثوس" البطل اليونانى الذى نفاه هرقل الى القوقاز . وقد بقيت هذه الخرافة على مر الزمن حتى روى فيها الرواة أحاديث عجيبة أنقل منها هذه الرواية الغريبة عن كتاب البلدان للهمذانى (٤) : "وقال محمد بن ابراهيم : كنت مقيما بطبرستان فى خدمة موسى بن حفص الطبرى فى أيام المأمون اذ ورد عليه قائد من قواد المأمون يأمره بالشخوص مع موسى بن حفص الى موضع البيوراسف بقرية الحدّادة — فى سنة ٢١٧ والوقوف على أمره ، وتعريف صحة الخبر . قال فوافينا قرية الحدّادة فلما قربنا من الجبل الذى فيه البيوراسف اذا نحن بذئبة فى عظم البغل ، وطيور أمثال النعام فى خلق الفصلان . واذا قلة الجبل مغشاة بالثلج ودود عظام كأنها جذوع تنحط عن هذا الثلج الى القرار فتعدو عليها تلك الطيور فتبتلعها . فلم نهتد الى قلة الجبل ولم نعرفه . فبينا نحن كذلك اذا شيخ قد أتانا فسألنا عما قدمنا له ، =

(١) فارس نامه . (٢) طبرى ، ج ١ ص ١٠٠ (٣) طبرى . (٤) ص ٢٧٦ وما بعدها .

ثم تبدّى له(١) إبليس بعد ذلك فى زى شاب رشيق يخلب القلوب بلطفه، ويسحر العيون بحسنه. وجاء الى باب داره، وعرض نفسه عليه . وقال : أنا صانع حاذق أطبخ ألوان الأطعمة، وأحسن خدمة الملوك . فقبله وقلده المطبخ الخاص . فلم يزل يبدع فى اتخاذ ألوان الأطعمة، ويخترع كل يوم شيئا لا يشبه الآخر. وكان أكلهم فى أوّل الأمر من نوع واحد . فلما رأى الملك ذلك أعجبه، واستصفاه، ومال اليه كل الميل . فطالت مدّته فى خدمته ، والقيام بفرائض طاعته ، وأخذ بمجامع قلب الملك حتى صار بحيث لا يصبر عنه ساعة . فدخل عليه يوما فقال له اقترح على حاجة أقضيها لك فان من الواجب مراعاة مثلك، والإحسان اليك . فأطلق لسانه بالدعاء للملك . وقال مالى حاجة غير بقائك، ودوام ملكك، وثبات دولتك . فان كان ولا بد من سؤال فأرجو أن يمكننى الملك حتى أقبل منكبيه، وأتشرف بذلك . فأذن له فيه . فتقدّم وقبل منكبيه، وساخ فى الأرض، واستتر عن العيون . فأخرج الله تعالى من كل واحد من منكبيه حية سوداء فهاله ذلك وأزعجه . وأحضر 

= فعرفناه الخبر . واذا على الجبل حوانيت كثيرة فيها قوم من الحدّادين حول تلك القلعة عليهم نوائب يضربون مطارقهم على سنداناتهم ساعة بعد ساعة، ويتكلمون بكلام يهجسون به موزون عندضربهم لا يفترون لحظة . فسألنا الشيخ عن هذه الحوانيت فقال هؤلاء الحدّادون طلسم على البيوراسف لئلا يحل من وثاقه، وإنه لدائبا يلحس وثاقه وسلاسله، فاذا ضربت هذه المطارق عادت الى ما كانت عليه من الغلظ . فان أحببتم الوقوف عليه وعلى هذا الحيوان المحبوس أريتكم برهان ذلك . فقال له القائد : ما جئت لغير هذا الذى وصفت . فأخرج لهم الشيخ سلما مخروزا من الصرم(٢) وسكك حديد . وجمع شبان القرية حتى صعد منهم من صعد ذلك السلم من قرار القلة الى مقدار مائة ذراع فى الجبل. ثم أرانا من الناحية الشرقية فى القلة عند مطلع الشمس جوبة عظيمة وعليها أسكفة باب حديد عليه مسامير من حديد مذهبة مكتوب عليها بالفارسية ؛ على كل مسمار ما أنفق عليه، وفوق الأسكفة كتابة تخبر أن على القلة سبعة أبواب من حديد مصاريع على كل مصراع أربعة أقفال . قد كتب على كل عضادة منها : "له أمد يجرى الى غايته ونهاية لا يعدوها فلا يعرض خلق لفتح شيء منها فيهجم من هذا الحيوان على الإقليم آفة لا مدفع لكم منها ولا حيلة لكم فى صرفها" . فقال موسى بن حفص : ويحكم! فحيوان منذ آلاف سنين يبقى بغير قوت؟ فقال الشيخ : طعامه القديم الذى تغذى به مطسلم فى جوفه . فهو يتغلغل فى صدره، ويرتفع الى لهواته حتى يمتلئ منه، قد منع من إخراجه . فذلك غذاؤه . فانصرفوا ولم يحدثوا شيئا . وكتب بخبره الى =

(١) ك، طا : « بعد ذلك له إبليس» . (٢) الصرم : الجلد

الأطباء والحكماء[١] فأمروه بقطعهما . فلما قطعتا نبتتا فى الحال مثل الأوّل . ففرّق أصحابه فى الأطراف فى طلب الأطباء حتى جمعوا منهم خلقا كثيرا . فعجزوا عن معالجة ذلك الداء، وحسم مادته . فجاء إبليس فى زى طبيب الى باب الملك فأدخل عليه، وقال هذا قضاء أجراه الله[٢] عليك . لا بد من تربية

= المأمون ، فكتب ألا يعرض له..." وفى البلدان أيضا: "وعن القاسم بن سليمان قال : أبجد وهوز وحطى وكلمن وسعفص وقرشت كانوا ملوكا جبابرة . ففكر قرشت يوما فقال تبارك الله أحسن الخالقين فخلقه أژدها[٣] فله سبعة رءوس وهو بدنباوند محبوس . وزعم بعض المحدثين أن المحبوس بدنباوند صخر الجنىّ الذى أخذ خاتم سليمان بن داود . فلما ردّ الله جل وعز على سليمان ملكه حبسه فى جبل دنباوند[٤]" .

وأعجب من هذا ما رواه بعض المؤلفين من أن سكان بلدة دماوَند على السفح الجنوبى من جبل دماوند يحتفلون بعيد يسمونه "عيدِ كردى" إحياء لذكرى موت الضحاك، وأن قرب البلدة مصطبة عظيمة يقال إن طبل الضحاك كان يضرب عليها عند الصباح[٥] .

فانظر كيف تقلبت على مر الزمن وشاعت أسطورة الضحاك . وهو فى كل الأطوار ثعبان أو قرين ثعبان . ويقول بعض المؤلفين أن عبادة الثعبان التى يظن أن أصلها تورانية كانت مقترنة بتقريب القرابين البشرية . وفى نقش رستم يرى أرمزد على فرس يقدّم التاج لأردشير بابكان أوّل الساسانيين وتحت قدميه أردوان آخر ملوك البارثيين يحيط برأسه ثعبانان[٦] .

ثم الضحاك لم يقتل على يد أفريدون بل قيد ، وسيأتى الكلام عن قتله فى أسطورة "كرشاسب" العجيبة[٧] .

ومن المسائل المهمة التى أهملها المترجم : أن الضحاك أوّل من أكل اللحم وكان الناس يقتاتون بالنبات . وهذا ينسب الى نمرود أيضا . وقصة أرمايل وكرمايل اللذين كانا يكلفان بقتل الناس لإطعام حيتى الضحاك فكانا ينقذان كل يوم رجلا حتى اجتمع مائتان فأعطياهم من الضأن والمعز فكثروا ونسلوا وكان منهم الكرد . =

(١) طا : والأمراء . (٢) طا : الله تعالى . (٣) أژدها : تنين . (٤) بلدان ص ٢٧٤ وما بعدها . (٥) ورنر، ج ١ ص ١٤٢ نقلا عن «رحلة ثانية فى فارس» لمريير (Morier) (٦) أنظر (Warner) ج ١ ص ١٤٣ (٧) أنظر مقدّمة فصل كرشاسب الآتى .

كتفي الحيتين وإطعامهما حتى يستريح الملك. ولا يصلح طعامهما إلا من أدمغة الناس. فانه ان فعل ذلك يقل اضطرابهما، ولا تتأذى بهما. وكان مراد الملعون أن يبسط الملك يده فى قتل خلق الله تعالى وسفك دمائهم. فكان يحرّضه على ذلك حتى قبل مقالته، واستباح دماء الخلق على ما سيأتى ذكره.

ذكر هلاك جمشيد وانتهاء أمره

قال ثم إن الملوك لما رأوا أن جمشيذ مرق عن الدين، وأطلق يده فى الظلم خرجوا عليه وخلعوا ربقة طاعته، واستبد كل واحد منهم برأيه وملكه. فكثرت الملوك، وكثر الفساد، وعمّ الهرج والمرج، حتى اجتمع ملوك الفرس الى باب الضحاك، وأذعنوا له بالطاعة. فقدم أرضهم، وجلس على تخت السلطنة، ووضع على رأسه تاج الملك، وجمع عساكر البر والبحر، ونهض نحو جمشيذ قاصدا قصده. فلم يطق الثبات قدّامه. فولاه ظهره وهرب الى أرض الهند. ولم ير له أثر مدّة مائة سنة. وبعد ذلك ظهر وخرج من تلك البلاد فلما سمع به الضحاك طار اليه بجناح الركض، وانقض عليه، وجعل الأرض عليه ككفة حابل[1] ثم أخذه[2] وأمر به فنشر بالمنشار[3] فانتهت نوبته بعد سبعمائة سنة، وانقرضت أيامه وملك مكانه الضحاك. وكذلك سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا.

ذكر الضحاك وما جرى من الوقائع فى عهده وكانت مدّة ملكه ألف سنة[4]

قال صاحب الكتاب ثم ملك الضحاك، وعم ملكه طلاع الأرض شرقا وغربا، وبرا وبحرا. وكان ظلوما غشوما، محيت فى زمانه آثار العدل والإنصاف، وطالت على الخلق منه أيدى الجنف[5]

= ثم قصة الضحاك فى الشاهنامه ٥٤٢ بيتا مقسمة الى العناوين الآتية :

(١) حكم الضحاك ألف سنة. (٢) رؤية الضحاك فريدون فى المنام. (٣) ولادة فريدون. (٤) سؤال فريدون أمه عن نسبه. (٥) قصة الضحاك وكاوه الحدّاد. (٦) ذهاب فريدون لحرب الضحاك. (٧) رؤية فريدون ابنتى جمشيد. (٨) قصة فريدون مع وكيل الضحاك. (٩) تقييد فريدون الضحاك.

(١) فى الشاه : أن جمشيذ اختفى مائة سنة، ثم ظهر على بحر الصين فأمسكه الضحاك. (٢) كو : «فما خلص عن مخالب قهره وقبض عليه» بدل « ثم أخذه ». (٣) كو: تزيد «وقد قال بعض الحكماء اذا أراد الملك أن يدوم سلطانه وتثبت قواعد ملكه وأركانه فليجتهد فى عبودية الخالق» ثم فانقرضت نوبة جم وانقرطت أيامه وملك مكانه الخ.

(٤) كو : ذكر نوبة الضحاك ومدّة ملكه ومآل أمره. (٥) لـ : حيف، كو : الظلم.

والإجحاف . وكان كل ليـلة يأمر برجلين يقتلان ويستخرج دماغهما طعمة للحيتين[١] . حتى غبر[٢] على ذلك ألف سـنة . فضجت الخلائق ، وارتجت لفظاظـة[٣] أمره المشارق والمغارب[٤] . وكان نائمـا فى طارمه[٥] ليلة من الليالى ، فرأى رؤيا هائلة(ا) تدل على زوال ملكه ، وقرب أجله فأصبح مهموما قد نعاه[٦] اليه شؤم فعله ، وقبح عمله . فجمع العلماء والمنجمين[٧] والكهنة والسـحرة[٨] وقد أخذه من ذلك المقيم المقعـد . فقال لهم إنى سائلكم[٩] عن أحوال المملكة على ما أدركتموه من أحكام[١٠] النجوم، وألقى الى[١١] أنفسـكم من أسرار الملكوت . فسكتوا ولم يسـتطيعوا أن يردّوا جوابا ، أو يحـيروا خطابا . فأحضرهم[١٢] فى اليوم الثـانى واستنطقهم فى السر والإعلان، وذكر[١٣] لهم ما رآه من المنـام ، وألح عليهم فى السؤال عن ملكه ، وما بقى من مدّته ، ومن يرثه التاج والتخت[١٤] ومتى يكون زوال دولته[١٥] فما أجابوا عن شىء مما سألهم بغير السكوت . وعلموا أن مدّته شارفت الانقضاء، ودولته قد ناهزت الانتهاء، وأنهم لو أطلعوه على ذلك لبطش بهم، ومزقهم كل ممزق، وأوسـعهم عقوبة ونكالا[١٦] . فأحضرهم فى اليوم الثالث وأعاد عليهم السـؤال فأطرقوا واجمين، ترتعد فرائصهم، وتضطرب أفئدتهم . وكان فى جملة الحكماء[١٧] حكيم(ب) طاعن فى السنّ . قد مارس العلوم، وعرف الأحكام، وعبد الله تعالى فأورثه[١٨] علمـا كاملا وأدبا بارعا . فقام وقبّل الأرض، وقال ما ولد مولود إلا للفناء، ولا بقاء إلا لرب العزة والكبرياء . فاستعد للأمر[١٩] فإنه قد حضر أو كاد . وسـيجزى[٢٠] الله فى الانتقام من الظالمين الميعاد . واعلم أن زوال ملكك يكون على يد ملك اسمه أفريدون . وهو لم يولد بعد . وأنه اذا وضعته أمه قتل أبوه على يدك . ثم أنه اذا ترعرع ونشأ طلب بثأر أبيه، وانتقم منك . فيكون هو وارث الملك بعـدك ، وصاحب تاجك وتختك . فلما سمع الضحاك ذلك خر من السرير صعقا . ولمـا أفاق عاد الى مكانه، وبث الرسل فى أطراف البلاد فى طلب أفريدون[٢١]، وتتبع آثاره، طلبا للفتك به .

(ا) خلاصة الرؤيا التى فى الشاه : أنه رأى ثلاثة رجال من نسل الملوك ظهروا فجأة يتوسطهم أصغرهم . وتقدّم الأصغر فى زى الملوك وضرب الضحاك بجرز على رأسه ثم ربطه ونثر عليه التراب، وقاده ذليلا على أعين الناس الى جبال دماوند .

(ب) اسم سمه فى الشاه : زيرك ومعناه (ذكى) .

(١) كو : ز «النابتتين على منكبيه ولم يزل ذلك دأبه» . (٢) ك ، كو : عبر . (٣) ك : فظاعة .
(٤) ك : المغارب والمشارق . (٥) كو : ايوانه . (٦) كو : نعى . (٧) كو : المعبرين .
(٨) كو : المتجمين . (٩) كو : استخبركم . (١٠) ك : أحوال . (١١) ك طا : فى .
(١٢) كو : ثم . (١٣) كو : وقص عليهم . (١٤) كو : ومن يتولى التاج والتخت من بعده .
(١٥) كو : زوال أمره وانتهاء عمره . (١٦) كو : وعاقبهم بأشد عقوبة . (١٧) ك، طا : العلماء . كو : الحاضرين . (١٨) كو : فأورثه ذلك . (١٩) كو : للرحيل قد قرب أو كاد . (٢٠) ك ، كو طا : سينجز . وهذه الجملة ليست فى الشاه . (٢١) طا : أفريذون بالمعجمة .

وولد أفريدون فى تلك السنة . ولما[1] وضعته أمه نظرت اليه فرأت فى وجهه مخايل السعادة واضحة، وأمارات الملك فيه لائحة . فكانت تربيه أحسن تربية، وتؤدّبه أحسن تأديب وهو ينمو نموّ الهلال، متسربلا بفضفاض الجمال . فاتفق أن أباه أخذ وقتل فى جملة من قتل بأمر الضحاك . ففزعت أمه عليه، وأوجست فى نفسها خيفة من الملك وشره . وكانت تسمى مانك[2] وهى موصوفة بالعقل[3] . فحملت أفريدون وهربت به الى بعض المروج التى ترعى فيها البقر والغنم . وكان راعى المواشى فى ذلك المرج رجلا صالحا . فسلمت ابنها اليه، وقالت هذا صبى يتيم، ولا آمن عليه من شر هذا الملك[4] . وانى آويت به الى ظل أمانك حتى تكفله وتربيه الى أن يراهق . وتغذوه بلبن هذه البقرة(ا) . وكانت بقرة خلقها الله[5] على لون[6] يسر الناظرين، ويعجب الخلائق أجمعين . فكفله الراعى واتخذه ولدا، ولم يزل يغذوه بلبن تلك البقرة ويشفق عليه، ويميل اليه . فجاءت أمه بعد ثلاث سنين الى ذلك المرج، واعتذرت الى الشيخ الصالح، وقالت له[7] ان شر هذا الظالم قد تفاقم، ولا آمن على هذا الصبى من بأسه[8] . وقد عزمت على أن أحمله الى بلاد الهند، وآوى به[9] بعض الجبال(ب)، فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرا، ويريح من هذه الدولة . فأخذت أفريدون وتوجهت نحو بلاد الهند[10] . فبلغ الخبر الى الضحاك، وجاء الى ذلك المرج، وقتل الراعى، ونهب المواشى، وأحرق أيضا دار أفريدون وقصر أبيه . ثم ان أمه مانك لما قربت من أرض الهند صعدت الى جبل عظيم[11] . وكان عليه راهب يعبد الله فسلمت عليه، وأجهشت بالبكاء اليه[12] . وأطلعته على أنها أرملة قتل زوجها الضحاك[13] . وما لها من الدنيا غير هذا الولد . وقد خرجت به من بلد الظلم هاربة اليه، وأن الضحاك يرصده بالغوائل، ويطلبه بين سمع الأرض وبصرها . وقد فرّق أصحابه فى طلبه[14] . وقالت أنى قد تمسكت بذيل أمانك، وجئت به اليك . وأرجو أن تحنو عليه بعاطفتك، وتتخذه ولدا يكون قوة لظهرك، وقرة لعينك . فان له شأنا عظيما، وخطبا جسيما . ولا يكون زوال ملك الضحاك إلا على يده . وسيظهر ذلك فى أقرب مدّة . فتفرس الراهب فيه ذلك وقبله[15] . ولم يزل يربيه ويعلمه مكارم الأخلاق ويهديه الى مناهج الخيرات الى أن نشأ وترعرع .

٦

(ا) اسمها پرمايه (الجميلة) وفى ورز : برمايه . وفى فرهنگ شعورى برمايه ويقال أيضا برمايون .
(ب) فى الشاه : جبال البرز .

(١) كو . فلما . (٢) فى الشاه . فرانك — مول، ج ١ ص ٧٨ (٣) كو . مخصوصة بالعقل الوافر .
(٤) لك : شر الملك . (٥) لك كو طا : الله تعالى . (٦) لك : فى لون . (٧) كو، لك طا : قالت أن . (٨) كو، لك طا : بائقته . (٩) كو، طا، لك : الى بعض . (١٠) كو، طا، لك : نحو الهند . (١١) كو : عظيم هناك . (١٢) لك كو . طا : لديه . (١٣) كو : قد قتل زوجها فى محنة الضحاك . (١٤) كو : فى طلبه وطلبها . (١٥) كو : وقبله أحسن قبول .



الضحاك يقتـــل البقـــرة التى غذى أفريدون بلبنهـا

[منقولة من كتاب مارتين (Martin) ص ١٢٦ ج ٢ — عن نسخة كتبت للشاه طهماسب فى القرن العاشر الهجرى]

فلما راهق انقض من حالق ذلك الجبل كالعقاب الخاطف . وجاء الى[١] أمه كالقمر الزاهر واستخبرها[٢] عن أحواله وآبائه وأجداده . فأعلمته أن أباه كان يسمى أبتين[٣] من الفرس[٤] ينتسب الى طهمورث الملك . وأن الضحاك قد قتله ، وأطعم دماغه الحيتين النابتتين على كاهليه[٥] . وسردت عليه حكايته من أول خروجها[٦] الى المرج ، وتربيتها إياه بابن البقرة الى أن حملته الى أرض الهند هاربة به . فلما سمع ذلك منها التهب غيظا ، واستشاط غضبا . فأطرق مليا ثم تنفس الصعداء ، وفض ختام سره ، وقال لا بد من إعمال السيف فى هذه القضية ، وصب أسواط القهر على هذا الظالم ، وسيجرى بينى وبينه يوم تنفصم فيه متون الصفاح ، وتنقصد أصلاب الرماح . فقالت له أمه خفض عليك ، ولا تنظر الى الدنيا بعين شبابك ، ولا تغتر بقوة بأسك . فان كل من سكر من جام الغرور فى مقتبل العمر وريعان الشبيبة لا يفيق إلا عن ندامة . والحازم من خمر الرأى وأتقن التدبير ، وشاور فى أموره الصغير والكبير . فكفكفت من غلوائه ، وخفضت من طغيانه .

قال وكان الضحاك لا يفتر لسانه عن ذكر أفريدون ، وقد وقع فى قلبه من الذعر منه ما سلبه الرقاد ، وحرمه القرار . وكان يتجلد ، وبكل شىء كالغريق يتعلق . فأمر يوما أن ينادى فى المملكة بجمع كل موبذ كان موصوفا بكمال العلم ، ورزانة الحلم ، وثقوب الرأى ، ووفور العقل . فلما جمعهم قال لهم إن ورائى عدوا لا يخفى ظهوره عليكم . وإن الملك الحازم لا يكون غافلا عن عدوه وإن كان صغيرا . فإن شره عن قريب يصير مستطيرا . وانى عزمت على أن أجمع عساكر الجن والانس ، وأنهض فى طلب هذا العدو . فلعل السعادة تظفرنى به ، وتمكننى منه . فأمرهم أن يكتبوا محضرا ينطق بأن الملك لم يزل مثابرا على بث المعدله بين الرعية ، كافا يد الظلم عن العالم ، لا يقدم إلا على ما فيه مصالح[٧] الخلائق ومناجح أوطارهم[٨] فبيناهم[٩] فى ذلك المحفل يكتبون شهاداتهم فى ذلك المحضر إذ فجئهم صياح عظيم ملأ الأسماع من باب الإيوان . فسأل الضحاك عن ذلك فقالوا متظلم مستغيث . فأمر به فأدخل عليه . ولما مثل بين يديه شبك أصابعه على أم رأسه ، ورفع صوته بالبكاء والعويل . وقال أيها الملك : إنك قد ملكت أقاليم الأرض ، ونفذت أوامرك فى الشرق والغرب . لكنك[١٠] نكايتك منحصرة فى هذه الحطة . وبالأمس قتل[١١] ولدى ، وقرة عينى لإطعام دماغه للحيتين[١٢] ، ولم يبق لى غير هذا الولد ، وقد أخذ[١٣] اليوم . فكيف انتهت النوبة إلى من بين جميع الخلق فى هذه المدة

(١) كو : وطلع على أمه . (٢) كو : فاستخبر . (٣) ك طا : آبتين . (٤) ك طا : أهل الفرس .
(٥) كو : منكبيه . (٦) كو : خروجها به . (٧) ك طا : صلاح . (٨) كو : أوطارهم ومناظم أحوالهم .
(٩) ك كو : فبينما . (١٠) كو ك طا : لكن نكايتك . (١١) ك، كو طا : قتلوا . (١٢) ك ، كو ، طا : الحيتين . (١٣) ك، كو ، طا : أخذوه .

القربية ؟ فأمر الملك برد ولده عليه، واستعطافه بالإحسان اليه . ثم قدم ذلك المحضر اليـه، فأ[١] أن يكتب شهادة[٢] فيه . فلما قرأه ورأى خطوط العلماء والزهاد والعباد مثبتة فيه أقبل على الحاضرين، وقال ياعلماء السوء، ويا أعداء الحق، ويأهل[٣] النار أتشهدون بالزور لهذا الظالم الفاجر؟ ومزق المحضر، ورماه فى وجوه القوم، ورفع صوته، وخرج من الإيوان يستغيث ويصيح، وتبعه[٤] من أوباش البلد والمظلومين خلق كثير . وكان هذا الرجل يسمى جاوه[٥] وكان حدّادا فجاء الى الدكان وأخذ قطعة جلد يغطى بها الحدّاد قدمه عند تطريق الحديدة المحماة، ورفعه[٦] على رأس عصا شبه العلم . فاجتمع تحت رايته خلق كثير، وسواد عظيم . ونادوا بشعار أفريدون . نعم فلما أخبر الضحاك بذلك قال : لما دخل علىّ هذا المتظلم رأيت كأن جبلا من الحديد حال بينى وبينه . وقد أوجست فى نفسى منه خيفة قلقلت أحشائى، وشغلت خاطرى . وما أرى ذلك إلا من علامات زوال ملكى، وانقلاب حالى . ولعل شمس دولتى قد آذنت بالغروب، ووجه حظى علته يد الشحوب .

قال فخرج جاوه بمن معه من المنادين بطاعة أفريدون يطلبون مقرّه، ويتبعون أثره . فلما قرب من أفريدون فى ذلك الجم الغفير والعدد الكبير تهلل وجهه فرحا وبشرته السعادة أن تباشير صبح دولته همت بالطلوع، وتيمن بتلك الراية المنصورة . وكانت تسمى درَفش جاويان[٧] وكان[٨] ملوك الفرس يتوارثونها ويتيمنون بها، ورصعوا[٩] ذلك الجلد باللآلئ واليواقيت، وعلقوا عليه علائق الديباج والحرير . وصارت تلك الراية آية بين ملوك الفرس كأنما أنزلت فى شأنها آيات الظفر والفتح . فما رفعت فى معركة الا والسعادة ترفرف عليها بالأجنحة، والإقبال يضرب تحت ظلالها بالجران . وسيأتى ذكرها فى مواضعها[١٠] من الكتاب .

قال ثم إن أفريدون جاء بعد مدّة من الزمان الى أمه كالليث الكاشر، والعقاب الكاسر . وقال الهمة صاعدة[١١]، والعزيمة مصممة على النهوض الى مخيم هذا الثعبان للانتقام، وكف عاديته عن سائر الأنام . وكان له رفيقان من أولاد المرازبة مخصوصان برزانة الرأى، ورصانة العقل . فشاورهما فى أمر القتال، وأمرهما بإحضار الحدادين لاتخاذ عدّة اخترعها بعقله، واستحدثها بفكره . فجاءوا[١٢] بأحذق الصناع وأذكاهم فى صنعة آلات الحرب، فنقش على الأرض صورة بقرة[١٣] وأمره أن يعمل

(١) ك، كو، طا : وأمر . (٢) ك، كو . طا : شهادته . (٣) ك، كو . طا : ياأهل .
(٤) ك، كو طا : فتبعه . (٥) تعريب كاوه . (٦) كو . فرفعه . (٧) كو : ز : ويقال كابيان .
(٨) طا : وكانت . (٩) ك ، طا : وقد رصعوها باللآلئ . (١٠) ك : فى موضعه .
(١١) كو، طا : صادقة . (١٢) ك : فجاآ . (١٣) كو : ثور .

على مثالها جرزا من الحديد . فعمله وجاء به الى حضرته ، فهزه بتلك الأعضاد الشديدة(١) ونهض فيمن معه من بهم الرجال ، وأبناء القتال . يقطعون المراحل كالرياح العواصف ، وخلايا السفين بالنواصف . ولم يزل يصل التأويب بالإسآد ، ويجمع بين الإغوار والإنجاد . حتى خيم على شاطئ دجلة الزوراء فتقدّم الى الملاحين بإحضار المراكب والزواريق للعبور . فامتنعوا وقالوا لابد من جواز من الملك . فاحتدم غيظا وأمر العسكر بالعبور على حوارك الخيول . وتقدّمهم كالفحل القطم ، وسيل العرم ، حتى عبر . ولم يزل يطير على قوادم الركض الى أن قرب من بيت المقدس . فرأى قصرا منيعا ، وطارما مشيدا ، وإيوانا عاليا كادت شرفاته تناطح الجوزاء ، وتمس السماء . فعلم أنها للضحاك . فنادى بالعسكر(٢) وأمرهم بالهجوم على تلك القصور قبل احتشاد مستحفظيها والموكلين بها للمدافعة والممانعة . فلم يحس القوم إلا بالملك الهمام ، مطلا عليهم كالغمام ، وبجحافل محيطة بالمدينة إحاطة الأطواق
بالأعناق . فتوغل تلك الديار ، وتوقل القلاع ، وقصد الإيوان الرفيع ، والقصر المنيع . فدخله قسرا (٧)
وأطل على سرير السلطنة قهرا ، وأدرج كل من فيها من العفاريت الذين وكلوا بحفظها وحفظ خزائنها تحت وطأة البأس . وملك كل ما فيها من الذخائر والجواهر . وأحضر حظايا الضحاك وأقمار سجفه ، وشموس حجبه . وكانت فيهن شقيقتان(٣) لجمشيذ قد أخذهما الضحاك عند استيلائه على الملك . فلما وقعت أعينهما على أفريدون حركتهما العروق النوازع ، وتفجرت من محاجرهما الدموع الهوامع . فاستخبرهما عن الضحاك ، وذاكرهما سوء آثاره وقبح أفعاله . فأعلمتاه أنه توجه نحو بلاد الهند(ا) فى عساكره ، وجماهير جحافله . لسفك دمائهم ، واستباحة ذخائرهم وأموالهم ، على عادته الذميمة ، وسيرته القبيحة .

قال فبينا الملك أفريدون على تخت الضحاك بين حظاياه وجواريه إذ دخل وزير(ب) الضحاك عليه . فلما رآه خر ساجدا بين يديه . ولما رفع رأسه أطلق لسانه بالدعاء ، لاستدامة دولته العلياء(٤) . فقبله أفريدون ، واستدناه الى بساطه ، واستخبره عن أحوال صاحبه ، وما قاساه الناس من فعله الفظيع ، وظلمه الشنيع . ففتح عليه خزائن الأسرار ، وسرد عليه جميع الأخبار . فخرج(٥) على غرة من القوم وتشذر

(ا) فى الشاه : ليتعلم فن السحر ولأنه لا يستطيع القرار لما أخبره به بعض المنجمين ، ولأن الحيتين يقلقانه الخ .

(ب) اسم الوزير فى الشاه : كندراف وهو ممن تشترك فيهم الأساطير الهندية والايرانية . فهو فى فيدا "كندهافا" الحارس الإلهى للشراب المقدّس "سوما" وهو فى أبستاق "كندروا" : شيطان كان قتله من أعظم مآثر البطل الآرى القديم "كرشاسب" انظر أفستا : ج ٢ ص ٦٣ ، وولف : ج ١ ص ١٤٣

(١) كو . ز : والمرافق المفتولة واستحسنه . (٢) ك ، كو . طا : فى العسكر . (٣) كو ... من بنات .

(٤) ك ، طا : الغلباء . (٥) كو : ثم أنه خرج واعرورى مجرة عربية الخ .

جوادا كالريح المرسلة وطار الى حضرة الضحاك . فلما وصل الى مخيمه استأذن فدخل عليه . فأنكر قدومه . فأخبره بصورة الحال، وأعلمه أن أفريدون هجم على إيوانه فتوغله، وقتل حشمه وخوله، واستبد بتلك الذخائر والرغائب، واستمتع بالحظايا الخرد الكواعب، وأطاعه أهل المدينة، وصفت له المملكة بلا منازع ولا مدافع .

فلما سمع الضحاك ذلك احترق تغيظا، وتنفس مستشيطا، وأمر فنودى فى عسكره بالارتحال، ونهض متوجها نحو بيت المقدس كالسيل المتلاطم، والليل المتراكم . فلم يحس القوم إلا بطلائع الخيل(١) متتابعين، وسرعان الجيش متواصلين، تقدم مواكب تسد السكاك بالعجاج، وتموج كالبحر المتدافع الأمواج . وأمامهم الضحاك كالتنين الصائل، والأفعوان الهائل . فلما قربوا من سور المدينة قام أهلها فى وجوههم، ودفعوا فى نحورهم، وأمطروا عليهم عن اليمين والشمال شآبيب النبال، ينادون بشعار أفريدون، و بظل أمانه يستعيذون . فأخذه(٢) الداء العضال لاستعصائهم ومما لأتهم عدوه عليه . وبات يتلوى حنقا، ويتقلقل أرقا، ويحترق بنار الغيرة، غريقا(٣) بين أمواج الحيرة . حيث رأى بعينيه تلك الخرائد الأبكار، والعرائس الأتراب، فى طارمه المنضد بالوشائع والدبابيج، وعلى سريره المرصع بالجواهر واليواقيت، بين يدى عدوه أفريدون وهو الهادم مبانى ملكه، والمنكس راية دولته . فحملته الحمية الجاهلية على أن خرج مدججا شاكى السلاح لا يعرف، وأخذ وهقا فى طول ستين ذراعا، فجاء الى عقر قصره وعلق الوهق على بعض الشرفات، وتوقل حتى صعد القصر على غفلة من الحراس . وأطلع من أعلى الإيوان على أفريدون قاعدا على بعض الأرائك مع إحدى زوجتيه . فلما رأى ذلك علق الوهق، وانحط كالقضاء من السماء، والعُقاب من العِقاب، وفى يده حربة كشواظ من نار فلما رآه أفريدون أهوى بيده الى الجرز فرفعه، ثم صبه مثل الصاعقة على رأسه، فتشظت البيضة عليه، وهم أفريدون بقطع وريديه . فتمثل ملك(ا) بين يديه وقال إن الله(٤) قد أنسأ فى أجل هذا الثعبان، وأمر بتعذيبه طوال الزمان . فشد وثاقه، وضيق عليه خناقه . فاذا وصلت الى جبل دُنباوند(ب) فاحبسه فيه . فأخذ سيرا من جلد الأسد مريرا قويا، وجمع(٥) به أطرافه فى عقدة لا يذكر عاقدها

(ا) هو سروش فى الشاهنامه . (ب) الذى فى الشاهنامه أن الملك أمره بأن يحمله حتى يجد جبلين متقاربين فيربطه هناك . فلما بلغ أفريدون "شيرخوان" عمد الى الجبل وأراد أن يلق الضحاك على رأسه ، فجاءه سروش وأمره بالمسير به الى جبل "دماوند" الخ .

(١) لك : بطلائع القوم . (٢) كو : فاخذ الضحاك . (٣) من همه الى حرب ، و جهور ودور وسلم ، ساقط من نسخة كو . (٤) لك طا : الله تعالى . (٥) لك طا : يجمع .

الحل . وغادره تحت تخته طريحا يطيف به الخذلان ، ويبكى عليه الكفران . قال فأمر[(١)] أفريدون فنودى من أعلى ذلك الإيوان بصوت يطن[(٢)] به الخافقان : ألا إن جناح الشر قد كسر ، وموقد ناره أسر . فيا أسود النزال ، ويا فرسان النضال ، ردّوا الى المراكز الرماح ، وحطوا عن العواتق الصفاح ، وبادروا الى مخيم سلطان الزمان ، واستعيذوا بظل العدل والأمان . فأخمدت الحروب نارها ، وحطت أوزارها . وانثالت قوّاد الضحاك وأمراؤه على جناب أفريدون مطاوعين ومبايعين . ففتح الخزائن ، وأخرج الدفائن ، وفرق فيهم الرغائب ، وأفاض عليهم الخلع والمواهب . قال ثم رتب أفريدون نوابه بالمدينة[(٣)] ، وأمرهم ببسط ظلال الرأفة على كافة الرعية . وعزم على النهوض فخرج فى مواكب النصر ، وجحافل الظفر ، وأمر بالضحاك فأخرج على قتب عار ، بين شنار وعار ، عبرة للناظرين ، وموعظة للظالمين . فلم يزل يخيم ويقوض ، ويحل ويرحل . حتى قرب من دُنباوند وهى من نواحى الرى فسار فى مخارم شِعاب[(٤)] ، حتى حصل بين جبلين متناطحين . فوجد هنالك مغارة محشوّة بالظلمات ترى فى النهار الشامس ، كالليل الدامس . فدعا بمسامير الحديد ، وقيد الضحاك ، وأودعه تلك[(٥)] فهو يعذب فيها الى يوم القيامة بسوء عمله ، وقبح أثره .

٦ — ذكر نوبة أفريدون ، وما جرى فى عهده من الوقائع

قال صاحب الكتاب : ثم انتهت نوبة الملك الى أفريدون . فاعتصب بالتاج وتجلى على سرير الملك أوّل يوم من ماه مِهر . فاتخذ مجلسا عظيما حضرته الخاصة والعامة ، يهنونه بالملك الجديد ، ويدعون لأيامه بالتأبيد والتخليد ، ويشكرون الله[(٦)] على ما أفاض عليهم من ملابس عدله ، وأزلّ اليهم من عوارف

---

٦ — أفريدون[(٧)]

بطل تشترك فيه أساطير إيران والهند كذلك . وهو هرقل الإيرانيين الذى غلب "أزى دهاكه" وقيده على جبل دماوند ، كما تقدّم .

وفى الأبستاق[(٨)] : "والرابعة عشرة من الأرضين والأقاليم الطيبة التى خلقتها أنا أهُرامَزدا كانت فِرنًا[(٩)] ذات الزوايا الأربع التى ولد لها ثِرَيتُونا الذى حطم أزى دهاكه" . وفى موضع آخر أن المجد الإلهى =

(١) ك : وأمر . (٢) ك طا : يطق . (٣) ك طا : فى المدينة . (٤) ك طا : وشعاب .
(٥) ك : تلك المغارة . (٦) ك طا : تعالى . (٧) ويقال فريدون بحذف الالف . وفى الآثار الباقية أن لقبه (الموبذ) . (٨) ج ١ ص ٩ (٩) يقول بعض شراح الأبستاق إنها طبرستان أو الديلم . ويقول آخر هى جبل دماوند الذى قيد عليه الضحاك : أفستا ج ١ ص ٩ حاشية ٢

فضله . ثم أمر فبسطوا سماطا عظيما يعجب الحاضرين ، ويروع الناظرين بالآلات الرائقة من الأوانى المخروطة من قطع البلخش فضلا عن الذهبيات المكللة باللآلئ ، والفضيات الموشحة بالجواهر، فلما رفع السماط جلس للشراب فأحضروا الكراين المحسنات ، والجوارى المسمعات . واصطف على رأسه روقة الغلمان بمناطق الذهب المرصعة باليواقيت الحمر، واللآلئ الزهر . فتشمرت

= حينما فارق جمشيد المرة الثانية أخذه ثرئتونا وارث قبيلة أثويا الباسلة الذى كان أعظم مظفر فى الناس بعد زرتشترا .

ثم نجد أفريدون فى الأبستاق طبيبا . وكانت الأمراض تعزى إلى سموم الثعبان، فليس عجيبا أن يكون هازم الثعبان طبيبا . وهو فى الطب يشبه ثريتا أول طبيب الذى أنزل اليه أهرامزدا عشرة آلاف من الأعشاب الشافية كانت نابتة حول شجرة الخلد (هوم) البيضاء[1] . وقد نجد فى الكتب الفارسية والعربية المتأخرة أن أفريدون أول من نظر فى الطب وأول من استخرج الأدوية من النبات وأول من رقى المرضى[2] .

وأسطورة أفريدون فى الأبستاق تشبه أسطورة فى الڤيدا الهندية . وأكبر الظن أنهما تمتان الى أصل واحد : يذكر فى الڤيدا تريتا أپتيا الذى أعطته الآلهة موهبة شفاء المرضى . ويذكر بطل اسمه تريتانا قتلماردا . وينسب الى أحدهما ما ينسب الى الآخر . مثل ثرئتونا وثريتا فى الأبستاق . وأپتيا الذى يلقب به تريتا فى الڤيدا هو أثويا اسم قبيلة ثرئتونا فى الأبستاق . وهو أبتين أو أثفيا الذى هو اسم أبى أفريدون فى الشاهنامه وغيرها من الكتب المتأخرة .

ويختلف النسابون فى نسب أفريدون. ويرى ابن البلخى أن سبب الاختلاف أن أولاد جمشيد هربوا بعد الذى أصاب أباهم على يد الضحاك، وعاشوا بين رعاة البقر والغنم ألف سنة — زمان ملك الضحاك . ويذكر بين أفريدون وجمشيد أحد عشر أبا كلهم يلقب أثفيان . وكلهم إلا آخرهم يسمى باسم يدل على بقرة وصفتها مثل " اسپيدكاو " أى البقرة البيضاء . ويقول إن اثفيان لقب مثل " كى " التى توصل بأسماء الملوك الكيانين مثل كيخسرو وكيكاوس ، وإنهم سموا بهذه الأسماء الدالة على البقر إذ كانوا رعاة، وإنه من أجل هذا اتخذ أفريدون المقمعة ، وهى سلاح الرعاة، وصوّر طرفها كرأس بقرة، وإنه حينما خرج على جمشيد ركب بقرة حتى استتب له الأمر[3]. =

(١) أفستا ج ١ ص ٢٢٦ و ٢٤٦ (٢) صبح الأعشى، ج ١ ص ٤٢٠ وفارس نامه ص ٣٦

(٣) فارس نامه ص ١٢ و ٣٦

السقاة لادارة الأقداح، واستجلاب الأفراح، بسلاف الراح. فصار المجلس يفتر كالفردوس نضارة، ويتهلل كرياض الجنان غضارة. ثم أمر بضرب(١) الدنانير وإفراغها على الحاضرين على اختلاف المقادير. فصار ذلك اليوم غرة فى جبهة الزمان. وهو اليوم المعروف بعيد "المِهرجان".

=وفى مجمل التواريخ أن أفريدون هو ابن أبتين أو أتفيال بن همايون بن جمشيد وأن أمه فرانَك أو فِرِنَك بنت طهُور ملك جزيرة بَسلا فى بحر مجدين(٢).

وفى الشاهنامه أن أفريدون ربى بلبن البقرة العجيبة "بُرمايه".

وفى تاريخ طبرستان لابن اسفنديار(٣) أن أفريدون ولد فى طبرستان بقرية ورَكه فى حضيض جبل دماوَند، وإلى هذه القرية لجأت أم أفريدون وخدمها حين تفرّقت أسرة جمشيد فرقا من الضحاك. فلما ولد أفريدون هاجروا الى قرية جِلاب، ولما بلغ السابعة من سنه كان يرسِن الأبقار فى أنوفها ويركبها فكأن شمسا ثانية تطلع من "الثور" (يعنى برج الثور). وكان الصبيان يحتمون به ويهتدون برأيه. ثم هاجروا الى قرية ما وجَكوه. ولحق بهم أهل "أُميدْ واركوه" "وكوه قارَن" الذين صنعوا للأمير الصغير المقمعة المشهورة التى رأسها كرأس البقرة. ثم تكاثر أتباعه فأغار على العراق، فلما بلغ إصفهان اتبعه كاوه الحدّاد حتى أسر الضحاك وقيده فى مغارة على جبل دماوند لا تزال معروفة. فلما استقرّ له الأمر فى الأقاليم السبعة سكن تميشه حيث ترى اليوم آثار قصوره فى مكان اسمه بانَصران الخ.

فانظر كيف ترتبط أسطورة أفريدون بالبقر فى رواياتها كلها. وكذلك أساطير أعياد الفرس التى تقترن بذكرى أفريدون(٤).



وأفريدون هو نوح الإيرانيين كما يتبين من قصته وقصة أبنائه الثلاثة. وقد قسم نوح الأرض بين أبنائه كما قسمها أفريدون(٥).

وأسماء أبناء أفريدون فى الأبستاق: سيرِما وتور وأيريو. واللام والراء فى الفهلوية تلتبس إحداهما بالأخرى فليس بعيدا أن يحول سيرما الى سلم. وقد ذكره الطبرى باسم "سرم". والبيرونى باسم "شرم". =

(١) ك طا: بصب. (٢) أنظر مول (mohl) ج ١ ص ٧٩ (٣) ص ١٥ وما بعدها. (٤) الآثار الباقية ص ٢١٦ (٥) نزهة ص ١٩



قال فوردت البشائر على أمه مانّك بأن ذاك الهلال صار بدرا كاملا، وتلك المخايل فيه صرن شمائلا، وأن ابنها طاول الأفلاك، وقطّر على أرض المهانة الضحاك. وأخرس أصداء أبيه بإدراك الثار المنيم، وأنطق ألسنة المحامد بفضله العميم، وطوله الجسيم. نخرت ساجدة لله[1] تعفر خدّها فى التراب،



=

وقد ذكر فى الشعر العربى أفريدون وأبناؤه وقسم الملك بينهم. وتقدّم بعض هذا فى فصل الضحاك. ومنه قول بديع الزمان الهمذانى فى مدح السلطان محمود الغزنوى[2].

أأفريدون فى التاج أم الاسكندر الثانى ؟

وقول بعض الشعراء[3]:

وقسمنا ملكنا فى دهرنا قسمة اللحم على ظهر وضم

فجعلنا الشام والروم إلى مغرب الشمس إلى الغطريف سلم

ولطوج جعل الترك له فبلاد الترك يحويها ابن عم

ولإيران جعلنا عنوة فارس الملك، وفزنا بالنعم



وفى عهد فريدون يتسع القصص فى الشاهنامه، ويبدأ الجلاد الشديد بين الإيرانيين والتورانيين.

ومن الحوادث التى حذفها المترجم أن أخوى فريدون: كيانوش وبُرمايه ائتمرا على قتله، فأخبره الملَك سُروش، وعلّمه كيف يرد كيدهما بالسحر. فلما ذهب أفريدون لحرب الضحاك نزل فى حضيض جبل ألبرز فنام، فدحرج أخواه صخرة من قمة الجبل، فاستيقظ والصخرة تتدهدى إليه فوقفها بالسحر. وهى قصة جديرة بالعناية لكثرة ما يذكر فى الشاهنامه وغيرها من العداء بين الإخوة فى هذا العهد الخرافى. فاسپتور أخو جمشيد كان عونا للضحاك على أخيه وهو الذى نشره بالمنشار، كما تذكر الأبستاق. والقتال بين أبناء أفريدون وذريتهم معروف. ثم رستم بطل الأبطال لا يقتل إلا بمكيدة أخيه شغاد، كما يجىء.

ثم قصة أفريدون فى الشاهنامه واحد وخمسون ومائة وألف بيت مقسمة إلى هذه الفصول، وما بين الأقواس محذوف من الترجمة.

=

(١) لك طا: تعالى. (٢) يتيمة الدهر: ترجمة بديع الزمان. (٣) البلدان ص ٣٧، والآثار الباقية ص ١٠٤، ومروج الذهب، ونزهة الأمم ص ١٩ على خلاف قليل فى الرواية.

وتفض من أجفانها عقود اللؤلؤ المذاب . ثم أمرت بنثر الجواهر على الواردين بتلك البشائر ، وإفاضة الصدقات على الفقراء والمساكين شكرا لله تعالى على ما خصص به قرّة عينها وثمرة قلبها . وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

قال ثم عزم أفريدون على الرحيل فسار فى عساكره، وطاف فى المشارق والمغارب يمهد أساس العدل، ويهدم قواعد الظلم . حتى عمر جميع الأرض بحسن السياسة، ووفور الرحمة والرأفة .

قال فرزق بعد أن بلغ خمسين سنة من عمره ثلاثة أشبال من بنتى جمشيذ (ا) فرباهم بين سحره ونحره حتى ترعرعوا وراهقوا البلوغ . وكان له فى المملكة رجل(ب) موسوم بالعقل الكامل،والرأى الثاقب . فدعاه وتقدّم اليه بأن يطوف فى البلاد مفتشا عن أخواتٍ ثلاث من البيوت الكبار، والقبائل الشريفة، يصلحن للاتصال بهؤلاء الأشبال . فتجرّد لذلك وطاف فى جميع الأقطار ينقب ويبحث حتى علم بأن سروا ملك اليمن قد رزق ثلاث بنات مقابلات موصوفات بالجمال الكامل، والعقل الوافر . فسار حتى قدم اليمن فتلقى الملك مورده بالإعظام والإجلال ،وأنزله فى طارم (ج) رفيع مشيد[(1)]، وأدر عليه الأنزال، ووفر عليه الوظائف . ثم استحضره[(2)] بعد ثلاثة أيام واستخبره[(3)] عما وراءه،

= (١) ملك فريدون ٥٠٠ سنة . جلوس فريدون على التخت . (٢) إرسال فريدون جندل إلى اليمن . (٣) إجابة ملك اليمن جندل . (٤) ذهاب أبناء فريدون إلى ملك اليمن . (٥) (محاولة سرو (ملك اليمن) أن يسحر أبناء فريدون . (٦) تجريب فريدون أبناءه) . (٧) تقسيم فريدون العالم بين أبنائه . (٨) حسد سلم إيرج . (٩) رسالة سلم وتور الى فريدون . (١٠) إجابة فريدون ابنيه . (١١) ذهاب إيرج الى أخويه . (١٢) قتل إيرج بيد أخويه . (١٣) علم فريدون بقتل إيرج . (١٤) ولادة بنت إيرج . (١٥) ولادة منوچهر . (١٦) سماع سلم وتور بمنوچهر . (١٧) إرسال الابنين رسالة إلى فريدون . (١٨) إجابة فريدون . (١٩) إرسال فريدون منوچهر لحرب تور وسلم . (٢٠) هجوم منوچهر على جيش تور . (٢١) قتل تور بيد منوچهر . (٢٢) كتاب الفتح من منوچهر إلى فريدون . (٢٣) استيلاء قارن على قلعة الألانيين . (٢٤) (هجوم كاكوى حفيد الضحاك) . (٢٥) هرب سلم وقتله بيد منوچهر . (٢٦) إرسال رأس سلم الى فريدون . (٢٧) موت فريدون .

(ا) هما شهرنازو أرنواز اللتان خلصهما من الضحاك . وفى الشاه أن الأولى أم تور وسلم، والثانية أم إيرج . وهذا يفسر بعض أسباب الخلاف بين إيرج وأخويه . (ب) اسمه جندل فى الشاه . (ج) قبة .

(١) لـ طا : وقصر مشيد . (٢) لـ : واستحضره (٣) لـ : ثم استخبره .

فأعلمه أن أفريدون أرسله (١) الى حضرته خاطبا لمخدراته الثلاث لأشباله الثلاثة، وأنه راغب فى التحام أواصر الشجن من الجانبين . فلما سمع الرسالة قام وقبل الأرض على رسم الخدمة ، وأطلق لسانه بالثناء والدعاء، وردّ الرسول الى مخيمه، واستمهله ثلاثة أيام حتى يفكر (٢) فى الأمر . فخلا بوزرائه وأركان دولته، وشاورهم فى تلق سؤال أفريدون بالإسعاف، أو مقابلتـه بالمنع والتشمر للخلاف . فمن مشير بالامتناع حسما لمـادة أطماع الأغيار عن مداخلته فى مملكته ، وآمرٍ بالانقياد إصلاحا لذات البين ، وليعتضـد البعض بالبعض من الجانبين . فكانت آراؤهم تتفق مرة وتختلف أخرى حتى استقرت على أن الإذعان لهـذا الملك أولى من مخالفته، والملاينة معـه أعود من مخاشنته . فأحضر الرسـول وأوسعه تطوّلا و إكراما، وتفضلا و إنعـاما . ثم افتتح الكلام بالدعاء للملك و بدوام أيامه الزاهرة، ودولته القاهرة. ثم قال: الأوامر العالية ممتثلة، والرغبة فى المواصلة الميمونة صادقة . ولكن المأمول أن ينعم الملك ويجشم أشباله النهوض الى هذه الخطة تحت رايات السعادة ، وظلال السيادة ، حتى تكتحل بروائهم العين ، و ينشرح بلقائهم الصـدر . ثم تأتلف الأقمـار بالشموس بالطائر الميمون ، والطالع المسعود . فاذا حصل الاتحاد والامتزاج ردّوا الأعنة فى مواكب الجلال ، وعاودوا الحضرة تحت ظلال الإقبال . فرجع الرسول على هـذه الجملة الى أفريدون . فلما مثل بين يديه قبل الأرض وعرض عليه ما شاهده من صورة الحال، وأخبره بصدق رغبة صاحب اليمن فى المصاهرة . فأحضر أبناءه وأمرهم بالنهوض الى اليمن فجهزهم اليها توخيا لرضاه . ولما وصلوا تلقاهم بأتم إكرام، وقابلهم بأحسن إنعام، وأبلغ إعظام . وانتظمت بينهم أسباب الاتصال على جملة الامتزاج والاتشاج (ا) . وأقاموا هنالك مدّة من الزمان . ثم سرحهم بعد حصول الاستئناس والائتلاف الى حضرة أفريدون.

فلما قدموا عليه (ب) ورأى ثلاثة أقمار كللتهم السعود بأنوار الكمال، وكساهم العلو رفارف الجمال قسم الدنيا بينهم ثلاثة أقسام ، وعين لكل واحد صوبا معلوما، ليستقل على مقتضى أحكام السلطنة فى أرضه بالحل والعقـد ، والإبرام والنقض . فعين لسـلم، وهو أكبر أولاده، أرض الروم و بلاد المغرب وما تاخمها من تلك الممالك، ولتور بلاد الصين والترك وسائر ماينضاف اليها من تلك الولايات،

(ا) فى الشاه أن ملك اليمن أراد أن يهلك أولاد أفريدون فأنزلهم ليلا فى بستان ثم أهب عليهم بالسحر ريحا باردة ، ولكنهم تيقظوا وأبطلوا السحر . وأنه أعطى بناته كارها .

(ب) فى الشاه أن أفريدون امتحن أولاده حين قدموا من اليمن فتمثل لهم تنينا هائلا يثير الغبار وينفث النار ، فخاف الأكبر وفرّ منه ، فعمد الى الأوسط فأخرج هذا قوسه ، فتركه الى الأصغر فلم ينزعج وأمره بالانصراف وهدّده . ثم رجع أفريدون الى صورته ، وأخبر أولاده بما فعل . ووصف الأول بالحزم ، وسماه سلما ، والثانى بالشجاعة والتهور، وسماه تورا ، والثالث بالشجاعة والتؤدة، وسماه "إيرج" . وسمى امرأة سلم "أرزدى" . وأمرأة تور "ماه" وامرأة إيرج "سهى" .

(١) ك طا : أنفذه . (٢) ك طا : يتفكر .

ولإيرج وهو أصغرهم ممالك العراق مع أرض بابل الى آخر بلاد الهند، وهى واسطة قلادة المملكة، ومستقر سرير السلطنة. وجعله ولى عهده، ووهب له الإكليل الرائع، والتخت الباهر، والحرز الهائل.

فتوجه كلا(١) الأخوين الى ممالكهما فى عساكر كالجبال المائرة والبحار الزاخرة، حتى استقرا على سرير(٢) ملكهما ومبوأ عزهما. فمضت على ذلك مدة من الزمان تترقى أمورهما، وتتصاعد جدودهما، الى أن بلغت رتبة الكمال، فآذنت بالزوال. ودب بين الاخوة عقارب الشحناء تجتذ العروق الشواجر، وتقطع الأرحام والأواصر(٣). وأول ذلك أن سلما عظم عليه إيثار أبيه أخاه الصغير عليه، وتخصيصه إياه بولاية العهد. فكتب الى تور يقول: إن الملك قد ظلمنا فى هذه القسمة. فإنه زحزح كل واحد منا الى طرف من نواحى الأرض، وفضل علينا إيرج مع صغر سنه، وخور عنان عقله. ويذكر أنه لا يخفى على العالمين أنه مع كبر السن أطول الأخوة باعا، وأرحبهم ذراعا، وأروعهم سيفا وسنانا، وأثقبهم زنادا وأنداهم بنانا. وأنه إن لم يكن هو أهلا لولاية العهد، ووراثة التاج والتخت فالصواب أن يفوضها(٤) الى تور. فان خلائق الأرض قاطبة، شارقة وغاربة اتفقوا على استحقاقه لذلك بمكارمه الباهرة، ومساعيه الزاهرة. وذكر أن الرضا بذلك سبة تبقى آثارها على وجوه الدهر لا يرحضها عنها يد الشهور والأعوام. فالرأى أن نجتمع ونتعاقد ثم نرسل الى حضرة الملك ونعرفه إنكارنا عليه ذلك. فلعله يستدرك الأمر، ويحسم الشر بتغيير هذه القسمة، وبتنزيل كل واحد من الأولاد محله على مقتضى الاستحقاق، قبل توارى قمره المحتوم(٥) المحاق. فوردت هذه الرسالة من أخيه على صدر موغر، وقلب بالغيظ مستعر. فردّ اليه الجواب، مقابلا رأيه بالاستصواب. وتواعدا على الاجتماع ومناضلة الآراء. فنهض أحدهما من الروم والآخر من الترك، والتقيا فى بعض أطراف المملكة (ا) فأطلع كل واحد منهما الآخر على مستودع ضميره، ومخزون سره. فتعاهدا على الترافد والتظاهر، والتناصر والتظافر(٦). ثم أنهضا بعض الدهاة من أعيان الدولتين رسولا الى أفريدون، وحملاه رسائل توغر الصدور، وتثير الحقود. وأمراه أن ينهى الى ذلك الملك البـاذخ، والطود الشامخ أن الله تعالى لما ملكه نواصى العباد، وأورثه الأدانى والأقاصى من البلاد أمره ببسط العدل والإنصاف، والتنكب عن الحيف والإجحاف. وهو قد قابل نعمه بالكفران، وأوامره بالعصيان، فى تقسيط هذه المملكة. حيث قسط الممالك على مقتضى هوى النفس، ورجح جانب الصغير على الكبير، من غير اختصاصه بمزية الشرف، ولا تميزه بمزيد فضيلة. وإنما الصواب

(ا) فى الغرر: أنهما اجتمعا فى أذربيجان، ص ٤٤

(١) ك: كلى. (٢) ك طا: سريرى. (٣) ك: الأرحام الأواصر. (٤) ك طا: يسلمها.
(٥) ك طا. بمحتوم. (٦) كذا فى النسخ كلها. وأحسبها "التضافر".

أن يبعده الى بعض أطراف الممالك كما أبعد الآخرين ، ويباشر أمور السلطنة بنفسه ، ثم يتدبر بعد ذلك فى ترتيب ولاية العهد لمن هو أحرى بها وأجدر . وإن أبى ذلك فإنا سنجعل بلاده مرابط الجحافل ، ومراكز القنا والقنابل، فنأخذ الأمر قسرا، ونملك التاج والتخت قهرا .

فنهض الرسول ولم يزل يطوى أطراف السباسب، ويمسح أكتاف المهامه ، حتى قرب من سرادق الملك . فرأى من المهابة ما ملأ عينه وراع قلبه . وأخبر الملك بقدومه فأمر بإحضاره . فلما مثل بين يديه استخبره أوّلا عن قرّتى عينه، وفلذتى كبده، واستقامة أمور مملكتهما، وانتظام أحوال دولتهما . فأعلمه أنها على جملة تسر قلوب الأولياء، وتسخن عيون الأعداء . ثم سأله بعد المؤانسة والملاطفة عما يحمله[(١)] من الرسالة . فخرّ الرسول ساجدا ثم رفع رأسه وقال : أيها الملك إنى عبد مأمور، ومعى رسالة ناطقة بلسان الحفيظة، تنطف دما، وتعقب صاحبها ندما . ولا بدّ من إذن الملك فى إبلاغها الى المسامع العالية. فأذن له حتى بلغه ما حمل من تلك الرسالة . فلما سمع ذلك أطرق ساعة ثم تنفس عن زفير قطع أحشاءه، ومزق أكباده[(٢)]، وعض على يديه[(٣)] حتى ضرّج[(٤)] بنانه . وعلم أن طلائع الشر طالعة ، ونواجم الفتن لامعة . فأجاب عن تلك الرسالات بإبراق وإرعاد، وإعذار وإنذار . وأشار على الرسول بالرجوع . فعلم إيرج بصورة الحال وحضر بين يدى الملك وقال : إن اختلاف الكلمة يورث زوال الملك وتشتّت[(٥)] الأمر . والرأى أن أركب اليهما ، وأدخل عليهما ، وأخمد نائرة هذه الفتنة ، وأتفادى[(٦)] مستعفيا عن السلطنة، وأسلم الأمر اليهما، وأوفر المملكة عليهما ، وأستعطف جانبهما قبل أن يطرحا قناع الحياء، ويهتكا ستر الحشمة فيتفاقم الأمر ويعضل الداء، ولايمكن التلافى والتدارك . فكحل القضاء عين بصيرة أفريدون بميل الحيرة، وأنساه أن الملك عقيم، وأن داء الحسد قديم . فأذن له فى ذلك فنهض فى خف من العدد، وجماعة من خواص العسكر متوجها نحو أخويه للزيارة، وتطفية النائرة . فلما قرب منهما وأخبرا بقدومه لاصلاح ذات البين، وإزالة الوحشة من الجانبين، ركبا فى مواكبهما للاستقبال، وتلقيا موارده بالإجلال والإعظام . وأمرا بتنضيد الجواهر على الأطباق برسم النثار . فلما تدانت أشواط النواظر، وأحس كل واحد منهم بوجه الآخر ترجل إيرج إعظاما لقدرهما، وإكبارا لمحلهما . فتلاقوا وتعانقوا ورجعوا الى مضاربهم ، وجلسوا للأنس والطرب، يتراضعون صفو المدام ، ويتلاطفون بحلو الكلام . حتى قدحت فى عقولهم الأقداح، وتمكنت من نفوسهم الراح . قام إيرج معتذرا عن ذنب لم يقترفه، ومستغفرا عن جرم لم يجترحه .

(١) لك طا : يحمله . (٢) لك : كبده . (٣) طا : يده . (٤) لك : تضرج
(٥) لك : شتات . (٦) لك : انقاد .

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

ولم يزل بهما حتى استعطفهما، وألان عريكتهما، ونزع الغل من صدورهما . وصفت بينهم شريعة الحال عن كدر التنافس والتحاسد . ولبثوا كذلك حينا .

ثم إن أهل تلك الممالك لما طلع عليهم إيرج رأوا منه ملكا قد ملأ عين الزمان بصباحة وجهه، ورجاحة عقله، مع ما اختص به من السجايا المعسولة، والشمائل المشمولة . فتفاوضوا فى ذكره، وما حباه الله تعالى(١) من مكارم الشيم، ولطائف الكرم . فكان لا يجتمع اثنان من أركان تلك الدولة وأعيانها إلا(٢) وكان ذكره سبحة لسانهما، وراحة أرواحهما، ونزهة قلوبهما وأسماعهما . فبلغ ذلك الى سلم فتحرك ذلك الحقد الدفين، والحسد القديم . وخلا بتور وأعلمه إقبال قلوب جميع العسكر عليه . وميل أهوائهم اليه، وأنهم لا يشتغلون إلا بذكر أخلاقه، ووصف سيره، واستصواب رأى أبيه(٣) فى ترشيحه للسلطنة . فحملهما فساد ضميرهما، ودغل قلوبهما، على الغدر به، وقطع رحمه . فلما أصبحا من الغد ركبا الى مخيمه . فلما رآهما من بعيد استقبلهما متلطفا، وتلقاهما متملقا . فدخلوا السرادق وأخلوا المكان، وقعدوا يتفاوضون فى أمور المملكة . فأفضى بهم الكلام الى ذكر أبيهم وظلمه إياهما فى إزاحتهما عن صميم المملكة الى بعض الأطراف . فرفع تور صوته بتسفيه أبيه فى ذلك، وأخذ إيرج يتلطف ويتملق فى الإجابة، ويذكر أنه قد خرج من تلك المملكة كراهة استيحاشهما، وتوخيا لرضاهما، فانجر الحديث حتى وثب تور من مكانه كالنار الموقدة، وأخذ كرسيا من ذهب كان تحته ورماه به . فتضرع اليه بالبكاء، وأجهش لديه بالعويل، وطلب الأمان . فاستمرت به القسوة وأخرج خنجرا كان معه فهتك به حجاب قلبه، ونقب خزانة روحه، وفجعه بشبابه الناضر، وشطاطه الناعم . ولم يرع لله تعالى حرمة، ولا(٤) راقب لأبيه إلًّا ولا ذمة، وغرقه كالشمس وقت الشفق فى نجيع دمائه، ولم يبق على حشاشته وذمائه :

ظلت سيوف بنى أبيه تنوشه لله أرحام هناك تشقق

ما كان ضرك لو مننت وربما منّ الفتى وهو المغيظ المحنق

قال ثم أمر برأسه فرفع، وحشى بالمسك والكافور، ولف فى ثوب حرير، وأودع تابوتا معمولا من ألواح الذهب، ونفذه الى أبيه .

---

(١) لك : تعالى به . (٢) لك : إلا كان . (٣) فى الأصل : استصواب أبيه، والتصحيح من لك

(٤) لك طا : ما راقب .

نعم وكان أفريدون ينتظر طلوع رايات ولده، ويعدّ الليالى والأيام دون أوبته . فلما قرب الوقت الذى عينوه لقدومه أمر العساكر بالركوب لاستقباله . وكانوا[١] كل صبيحة يركبون ويترقبون طلوع الهلال الزاهر، ويطمحون نحو الطريق بالنواظر . فطلع راكب على جمل يشق الأرض ويثير النقع، وبين يديه صندوق مغشى بالديباج والحرير . فلما قرب من موكب السلطان شق جيبه، ورفع بالعويل والنحيب صوته، ونعى اليه ولده الذى انتظر مقدمه . فلما سمع ذلك خر من مركوبه الى الأرض، وحثا التراب على مفرق كان يأنف من المسك السحيق، والعنبر الفتيق، ورفع صوته بالرنين والشهيق، يقبض أثناء الحشا كمدا باحدى يديه، ويمسح بالأخرى سيل الدماء عن عينيه . ولم يبق أحد من أعيان الأمراء وأركان الدولة إلا وهو حاف حاسر بين يديه . فرفعوا ذلك التابوت وأدخلوه الإيوان، وأمر[٢] بهدم دار إيرج، وإحراق بستانه، وجلس للعزاء على عادة الفرس، وبكى حتى نبت العشب حواليه من فيض دموعه . ثم كف بصره، وكان لا يزال يتضرع الى الله تعالى ويبتهل اليه ويسأله  أن ينتقم له من الفاتكين بولده السافكين[٣] لدمه .

وكانت له جارية خلف الستر حاملة من إيرج . فولدت بنتا فكان يربيها حتى ترعرعت فزوّجها من ابن أخيه بشَنج . فولدت منوجهر . فلما أخبر بذلك أفريدون سُرّى عنه بعض همومه وسر به . فكان يربيه أحسن تربية ويعلمه آداب الملوك أحسن تعليم . فرد الله تعالى[٤] عليه بصره . فلما رأى وجه منوجهر بشرته أسارير وجهه، ومخايل سعادته، ببلوغ الأوطار، وإدراك الثار . فترعرع الشاب فى أقرب زمان وأسرع أوان . حتى كان يطاول الأرماح[٥] برشاقة قده، ويضارع[٦] الآساد بقوة بأسه . فأمر أفريدون بإفاضة الأموال عليه، وتمكينه من الخزائن العتيقة، والجواهر الدفينة، واجتمع عليه جميع العساكر . فحدّثته نفسه بالنهوض والتشمر لطلب الثار والتشفى من الظلمة الفجار . فطن العالم بذلك، وقامت القيامة على سلم وأخيه . فأخذا فى ضرب الآراء، واستمالة الأهواء، والتشمر ليوم اللقاء . فأنهضا رسولا الى أفريدون وكتبا اليه متنصلين عما جرى على أيديهما من القضاء المقدور، والأمر المحتوم . فلما وصل الرسول أمر بإحضار العساكر والمحافل، وجلس[٧] فى صدر الإيوان، وأقعد منوجهر على سرير من العاج، واصطفت على رأسه الأمراء والقوّاد . فخرج سابور من السرادق وأخذ بيد الرسول وأدخله عليه . فلما رآه خر ساجدا يعفر خدّه فى التراب . ثم رفع رأسه، وافتتح كلامه بالاعتذار والاستغفار لصاحبيه حتى أدّى الرسالة . فأجابه أفريدون بوعيد[٨] يتضعضع دونه الجبال

(١) لـ طا : فكانوا . (٢) لـ طا : فأمر . (٣) لـ طا : والسافكين . (٤) لـ : تعالى بصره
(٥) لـ : الرماح . (٦) طا : يصارع . (٧) طا : فجلس . (٨) لـ : بكلام .

الشوامخ، وتغيض عنده البحار الزواخر . وذكر أنه على عزيمة الانتقام ، وطلب الثار، وتجهيز الجحافل تحت رايات منوجهر الى بلادهما ، وانتزاع تلك الممالك عن[1] أيديهما . فعاد الرسول طائرا بجناح الاستعجال حتى وصل الى المغرب . فرأى سرادقات سلم وأخيه مضروبة، وعساكرهما مجموعة . فدخل عليهما فى خيمة من الديباج ، ورآهما مجتمعين على تدبير الأمر وتخمير الرأى . فطفقا يستخبران عن منوجهر وعن الأمراء المرتبين معه ، والأجناد المجتمعين عنده . فتقدّم الرسول وافتتح كلامه مخبرا عما رآه فى تلك الحضرة ؛ فقال : قدمت فقربت من سرادق مضروب كقبة[2] خضراء ، وأدخلت على ملك يشق[3] مرائر الأسود بهيبته ، يلتهب على رأسه تاج من الياقوت ، متجليا على سرير من الذهب ، يبص منه كافور شيب على صفحات وجه تتوقد تحت بشرته نيران الحفيظة ، ويترقرق من ظاهر أديمه ماء الأريحية . وكان على يمينه[4] منوجهر كالنخل الباسق يكاد يبهر الشمس بروائه وبهاء منظره . وقدامه قارن، وهو صاحب حربه ، كالهزبر الهصور . وعلى يساره وزيره ملك ايمن كالذكاء المجسم ، والدهاء المصوّر . وعلى رأسه سام (أ) بن نريمان حامل سيفه ، وهو كالسحاب المبرق المرعد . وعلى بابه شيرويه وسابور كالثعبان الصائل والغضنفر الهائل . وأما الفيلة والخيل فعلى عدد الرمال، وكأمثال الجبال . اذا زحفوا غادروا الجبال سهولا ، والسهول جبالا . واذا ساروا حوّلوا النهار ظلاما ، والظلام نهارا . فلما سمعا من الرسول ماجاء به من الأخبار الهائلة أخذهما المقيم المقعد . فأجالا أفكارهما فيما فجئهما من الأمر المهم، والخطب المدلهم . فأمرا العساكر بالتأهب للحرب ، والاستعداد للطعن والضرب . فنهضا فى خيول يضيق عنها الفضاء، وفيول تغص بها البيداء .

فوصل الخبر بذلك الى أفريدون فأمر منوجهر بالبروز بعساكره، وتعبية[5] مقانبه ومناسره . فضربت سرادقاته على ظاهر دار الملك ، وأقام ثمانية أيام حتى اجتمعت العساكر، وتلاحقت الجحافل . فخرج أفريدون فودعه ، وأوصاه بالأخذ بالحزم فيما يورد ويصدر، ويأتى ويذر . وجهزه تحت رايات النصر، وأعلام الظفر . حتى قرب من أرض العدوّ . فلما تدانى الفريقان، وتراءى الجمعان، تناوشوا الحرب من طلوع الشمس، وداموا على ذلك سحابة نهارهم الى وقت الغروب . فلما غربت الشمس رجع كلا الفريقين الى مضاربهم . وكان هذا دأبهم ثلاثة أيام . وكانت آثار الفشل والضعف تظهر كل يوم فى عساكر الترك . فلما رأى تور ذلك رأى أن يصدم عساكر[6] منوجهر

(أ) هو جد رستم . ولأسرته مكانة عظيمة فى قصص الشاه (انظر مقدّمة الفصل الآتى) .

(١) طا : عن يدهما . (٢) لك طا : كقبة الخضراء . (٣) لك : تشق ... لهيبته . (٤) فى النسخ كلها "يساره" والتصحيح عن الشاه . (٥) كو : وترتيب ميامنه ومياسره . (٦) لك ، كو، طا : عسكر .

صدمة واحدة، فيبيتهم تحت رواق الليل، ويباغتهم بصواعق الطعن والضرب . فبلغ الخبر الى منوجهر فكمن له فى بعض الطرق، وأمر عسكره بالتأهب للمدافعة، والتيقظ للمكافحة . فلما جنّ الليل ركب تور فى ثلاثين ألفا . فلما قرب من معسكر منوجهر رأى صفوفا كالجبال، وأعلاما تخفق برياح النصر والإقبال . فاضطر الى المناجزة والمبادرة . فلم يحس إلا بمنوجهر قد طلع عليه من ورائه، فى بُهَم رجاله، وأعيان أبطاله . فأحاطت به السيوف والرماح، تأخذه يمنة ويسرة، فجعل يعض على يديه ندامة وحسرة . وتطاعن هو ومنوجهر ففت فى عضده الخذلان، ودفع فى نحره الكفران . وساعدت السعادة منوجهر فطعنه طعنة اختطفه بها عن ظهر فرسه . ثم جدّ له فى الأرض وترجل عليه واحتز رأسه . فدب الخور فى عسكره، ولم تغرب الشمس إلا على شفق من دماء الأبطال، تسيل بها مخارم تلك الجبال . فشفى بذلك غلته، وأدرك نَهمته، ويأبى الله إلا أن ينتقم من الظالمين، ويقطع دابر المارقين . فكتب الى أفريدون بما يسر الله تعالى على يده من الانتقام وإدراك الثار . وأرسل برأسه على رمحه[1] اليه . فلما بلغ الخبر اليه تحركت منه العروق النوازع، فتفجرت بالدماء منه المدامع، من حيث إن قلوب الآباء ترق على الأولاد، وقد تذهب الشدائد بالأحقاد . وكان هجيراه[2] قول الشاعر :

فان أك قد بردت بهم غليلى * فلم أقطع به[3] الابنانى

قال : وجاء الخبر بذلك الى أخيه سلم فانكسر ظهره، ووهى أمره . وكان وراءه فى البحر على بعض الجزائر قلعة § حصينة أعدّها ملاذا لنفسه إن اضطر الى الفرار . (ا) وكان قد أمر بتعبية

§ اسم هذه القلعة فى الشاه ألانان دِژ، أى قلعة اللان . و"ألان" قبيل من البدو يقال أنهم خليط من الايرانيين والتورانيين ويذكرون فى الكتب العربية باسم اللان . ومساكنهم غربىّ بحر الخزر . وفى هذه الجهة جبل ألان . وفى كردستان مدينة اسمها ألانى . والجزيرة المذكورة هنا ينبغى أن تكون فى بحر الخزر .

ويذكر اللان فى الكتب الأوربية باسم (Alan) أو (Alain) وقد عرفوا منذ القرن التاسع الميلادى فى اللغة الروسية باسم (As) أو (Jasy) وفى لغة جرجيا باسم (Ossi)[4] .

(ا) فى الشاه هنا ذكر وقعة بين وقعة تور ووقعه سلم . وذلك أن « كاكوى » حفيد الضحاك ويسميه الثعالبى « كاكويه الشيطان » يأتى من قلعة « دژهوخت » مددا لسلم، فيبارزه منوجهر ويقتله . ومعنى هذا وصل العراك بين إيرج وأخويه بالنزاع بين أفريدون والضحاك . وإخراج سلم وتور من صفوف الإيرانيين الى جند الأعداء .

(١) كو : على الرمح . (٢) كو : من «وكان هجيراه» الى آخر البيت (لا) . (٣) لك : بهم .

(٤) بلدان ص ٢٩٧ ، ونزهة القلوب ص ١٠٧ و ١٧١ و ٢٣٩ وغيرها، ودائرة المعارف البريطانية .

المراكب على الساحل للاستظهار . فعلم بذلك منوجهر وأشار على قارَن بالاحتيال على مستحفظ تلك
القلعة لأخذها . فركب فى جنح الليل مع طائفة من نخب الأجناد، وجماعة من أعيان القوّاد . ولما
قرب من الساحل أمر العسكر بالنزول ، وأظهر أنه من أصحاب سَلم . فركب على(١) بعض المراكب
(١١) وعبر الى القلعة، وقال للحراس : جئت فى أمر مهم من حضرة الملك . وكان معه علم جعله علامة بينه
وبين أصحابه ، فمكن من الدخول فصعد . ولما وقعت(٢) عينه على أمير(٣) القلعة علاه بالسيف فأطار
برأسه الى الأرض . ونصب ذلك العلم على بعض شرفات القلعة . فلما رآه أصحابه ركبوا تلك المراكب
فى هجمة واحدة، وعبروا الى القلعة فدخلوها(٤) وانتهبوا جميع ما فيها، وأخذوا فى تخريبها ، فلم تغرب
الشمس إلا وقد عفا أثرها، ولم يبق منها إلا خبرها . ورجعوا الى الساحل، وأحرقوا جميع المراكب،
وعادوا الى معسكر منوجهر فاستعدوا لمحاربة سلم ومناجزته . فما كانت إلا ركضة واحدة تزلزلت دونها
الأقدام، وتضعضعت لها من الصفوف الأركان، حتى هرب سلم طائرا بقوادم الانهزام الى الساحل
ليعبر على المراكب، ويتحصن بالقلعة . فلما قرب من البحر لم يصادف إلا مركب الحمام . وذلك
أن منوجهر انقض فى أثره كالشهاب المرسل على العفاريت، ولما قرب منه أهوى بصمصامه الى
كاهله وعاتقه ، ففرّق بين هامه وجسده . وتفرّقت عساكر الترك بين المخارم والشعاب لا يلتفت
بعضهم على بعض، ورفع الباقون أصواتهم بالإعوال والإرنان وطلب الأمان . فآمنهم منوجهر،
وأحسن اليهم، وأبقى عليهم . فوضعت الحروب أوزارها، وخمدت نيرانها .

وعزم منوجهر على معاودة الحضرة فأمر شيروَيه بجمع الغنائم ، وما أفاء الله عليه من الذخائر .
فرتب الفيول وحلاها بالجواهر واليواقيت والوشائع والديابيج ، وأوقرها بأحمال الذهب والجواهر
والنفائس(٥) والرغائب . ثم كرّ هو(٦) راجعا الى أفريدون منصور الأعلام . راكبا صهوة النجاح بعد أن
كان صعب المرام . حتى قرب من طبرستان وهو(٧) دار الملك ومستقر سرير السلطنة . فركب
أفريدون لاستقباله فى مواكبه ورجاله . فلما طلعت راياته ترجل منوجهر، وجعل يقبل الأرض
حتى قرب من الملك . فأقر عينه منه بذلك المنظر البهىّ والقالب الشاهنشهىّ ، فانكبّ(٨) عليه
أفريدون يقبله، ويمسح بيده غرته ووجهه . وأمر بتفريق تلك الغنائم على العساكر شكرا لله تعالى
على ما خوّله . وتواصلت البشائر والتهانى فى تلك الأيام، ونثرت الجواهر على تلك الأعلام . ثم إن
أفريدون لما قضى الله حوائجه، وأنجح مقاصده ومآربه ، ورأى أنه قد طعن فى السن سئم الحياة

(١) لـ : فى . (٢) طا : وقع . (٣) كو : والى . (٤) لـ : فأخذوها . (٥) كو : وسائر النفائس . (٦) لـ : كر راجعا . (٧) لـ : وهى . (٨) كو : فأكب .

فكان يسأل الله تعالى أن يخلصه من دار الفناء، ويحوّله الى دار البقاء. فلما قرب وفاته أوصى الى منوجهر (أ) وأعطاه التخت، وعصب بيده على رأسه التاج، وأمره بأن يفرغ وسعه ويبذل جهده فى إفاضة العدل والاحسان، وإشاعة الأمن والأمان. وأوصى الى الملوك والأمراء بمتابعته ومشايعته، والإذعان لطاعته، وأخذ المواثيق عليهم بذلك. فانتقل الى جوار الله الكريم مشكورا محمودا. وكانت (١) مدّة ملكه خمسمائة سنة (ب).

٧ — ذكر نوبة منوجهر وما جرى فى عهده (٢)

قال صاحب الكتاب: لما مات أفريدون استقر منوجهر على سرير الملك فتسارع الناس الى طاعته، وأصفقوا على بيعته، وتناهبوا شكر الله تعالى على ما قيضه لهم من ميامن أيامه، ومحاسن سيره. وأخلصوا الدعاء بثبات دولته (ج) ودوام مدّته (٣) فكان يحذو حذو جدّه فى عمارة العالم، ويتقيل

٧ — منوچهر

يسمى فى الأبستاق "منوش كيتهر". ويسمى كذلك مانوش كيهر ومنوكهر (٤) واسمه فى الكتب العربية منوشجهر ومنوشهر (٥).

ومعنى منوچهر "سليل مانو" (٦). ومانو أخو يما الذى ذكر فى مقدّمة فصل جمشيد. وفى الكتب المتأخرة أن مانوش اسم الجبل الذى فرّت اليه أم منوچهر وهى حامل به فوضعته هناك، وأنه لهذا سمى مانوش چهر ثم حرّف الى منوچهر. ويقال انه سمى منوچهر لجماله و"منو" الجنة و"چهر" الوجه كما فى الفارسية الحديثة (٧). ويقول الثعالبي فى الغرر إن أفريدون قال حين رآه: "منوچهر" أى يشبه صورتى. والفردوسى يقول إن أفريدون حين رأى حفيده "مناچهر" أى "ذا وجه متهلل سماه" منوچهر (٨). ولم يبين الفردوسى معناه. =

(أ) فى الشاه أن أفريدون أوصى سام بن تريمان بمنوجهر (انظر سام فى مقدمة الفصل الآتى). (ب) فى الشاه أن منوجهر بنى لفريدون قبرا من الذهب واللازورد، ووضعوا فيه سريرا من العاج، وعلقوا فوقه التاج. ثم تقدّم الناس لوداع أفريدون، دأبهم فى ذلك العهد. ثم سدّوا باب التربة. (ج) حذف المترجم، خطبة منوجهر وإجابة سام التى تبين أن ساما كان أكبر رجل فى ذلك العهد.

(١) كو: وكانت الى آخر الفصل (لا). (٢) كو، ز: "من الوقائع. وكانت مدّة ملكه ماية وعشرين سنة وهو السابع من ملوك الفرس". (٣) طا، لث: ذكر المسعودى فى تاريخه أنه قد قيل أن موسى بن عمران ويوشع بن نون كانا فى أيام منوجهر هذا. والله أعلم. (٤) أقسنا، ج ٢ ص ٢٢٢ و٢٨٧ حاشية ٤ و٩٥ حاشية ٢ و ١١٤ حاشية ٧، ورنر (Warner) ج ١ ص ٣٣٨ (٥) الآثار الباقية ص ٢٢٠ والإشراف ص ٨٨ والطبرى. (٦) ورنر (Warner) ج ١ ص ١٢٩. (٧) فرهنك شعورى: (منوچهر). (٨) الشاهنامه: فصل ولادة منوچهر والغرر ص ٥٢

أثره فى بث المعدلة وتحريض الخلائق على عبادة الله تعالى والتنكب عن معاصيه ، واتباع(١) أوامره ونواهيه . وكان هو ثامن ملوك الفرس . وفى نوبته ولد زال الملقب بدستان الذى طن العالم بصيته ، واستفاضت الأخبار عن رجوليته ، وضربت الأمثال به وبابنه فى الآفاق ، وأصفق الخلائق على رجوليتهما بالاتفاق .

= ويلقب " المصطفى " كما فى الآثار الباقية(٢) .

وهو فى الشاهنامه ابن بنت إيرج بن أفريدون وأبوه بشنك ابن أخى أفريدون . وبعض الكتب العربية والفارسية تجعل بينه وبين إيرج عشرة بطون أو تسعة(٣) . ولا نعدم من ينسبه الى إسحاق بن ابراهيم يجعله ابن حفيده . ونسبة الفرس الى إسحاق معروفة فى الكتب العربية . ويروى لجرير وغيره فيها شعر(٤) . وكذلك يروى أن منوچهر كان فى زمن موسى وأن الخضر من أولاده(٥) .

ومن مآثره غرس البساتين وتسويرها ، وحفر الخنادق ، وصنع آلات الحرب ، وحفر نهر الفرات وروافده ، وتجديد عمارة مدينة الرى ، وسن نظام الدهقانية(٦) .

ومن الحادثات العظيمة التى تغفلها الشاهنامه وترويها كتب أخرى فى هذا الموضع أو فى غيره الحرب(٧) بين منوچهر وأفراسياب ملك الترك واصطلاحهما على جعل نهر جيحون حدّا بين مملكتيهما

وخلاصة القصة ، على رواية الآثار الباقية(٨) : أن أفراسياب هزم منوچهر وحاصره فى طبرستان ثم اصطلحا على أن يكون الحدّ بين المملكتين غلوة سهم يرمى من طبرستان الى الشرق . فجاء ملَك اسمه اسفندارمَذ وأمر باتخاذ قوس ونشابة على مقدار مثّله . ثم أحضر أرش(٩) ليرمى السهم . فأشهد أرش الناس أنه برىء من العلل ، وأخبرهم أن جسمه سيتمزع لشدّة الرمية . ثم رمى فاختطفت الريح النشابة من جبل الرويان فى طبرستان الى أقصى خراسان . ووقع السهم على نهر بلخ وأصاب شجرة جوز كبيرة لم يكن لها نظير . ويقال أن السهم سار ألف فرسخ . وفى روايات أخرى أن السهم طار من الفجر الى الظهر أو الى المغرب وسقط عند مرو . وقيل على نهر جيحون . وقد بقيت ذكرى =

(١) كو : من «واتباع» الى «وفى نوبته» . ساقط . (٢) ص ١٠٤ . (٣) فارس نامه ص ١٢ والطبرى : منوشهر . (٤) الطبرى ، ج١ ص ١٩٥ ، والأشراف ص ١٠٩ والآثار الباقية (انظر المقدمة فى علاقة الفرس والعرب) . (٥) الطبرى وفارس نامه والأشراف ص ٢٠٠ (٦) فارس نامه ونزهة ص ٤٦ و ٥٣ (٧) يرويها الثعالبى فى الصلح بين أفرسياب وزو بن طهماسب الآتى ذكره . انظر الغرر ١٣٣ . (٨) ص ٢٢٠ و ١٠٤ وانظر الغرر للثعالبى ص ١٣٣ (٩) ويقال إيرش وأريش . وفى الطبرى ارششياطين وهو فى الفهلوية : أريس شيڤاتير (أى أريس ذى السهم السريع) أفستا ، ج ٢ ص ٩٥

ذكر ولادة زال وابتداء أمره (ا)

قال كان سام بن نريمان بهلوان العالم فى عهد منوجهر. وكان يبتهل الى الله تعالى ويسأله أن يرزقه ولدا يكون قوّة لظهره، وقرة لعينه . وكانت له جارية فحملت منه . فلما أخبر بذلك شكر الله تعالى، ولم يزل يعدّ الليالى والأيام، منتظرا طلوع صبح ما ارتجى، وحصول ما أراد وابتغى . فولدت ولدا ذكرا كأنه القمر إضاءة غير أن شعره كان أبيض يشتعل شيبا كرءوس المشايخ الطاعنين فى الأسنان.

= هذه الرمية فى عيد "روزتير" (يوم السهم) فى الثالث عشر من شهرماه . وهى إحدى الرميات التى يفخر بها الفرس . (والثانيــة) رمية وهريز قائد الفرس فى اليمن التى قتلت أمير الحبش هناك . (والثالثة) رمية بهرام كور التى قتلت ملك الترك[١] .

أسرة سام بن نريمـان

يذكر فى هذا الفصل جماعة من أبطال الإيرانيين . أوّلهم فى الشاهنامه سام بن نريمـان ، ومن أجل هذا سميتها "أسرة سام" . ولهذه الأسرة المكانة الأولى فى أساطير الشاهنامه من لدن منوجهر الى كشتاسب. وذلك زهاء سبعة قرون. وموطنها زابلستان : الاقليم الشرقى من إيران القديمة. وقد نالت من عناية شـعراء الفرس وقصاصهم فى العهـد الاسلامى أوفر نصيب . فنظم فى سـير أبطالها ما لا يقل عن مائة ألف بيت[٢]. وقد بلغ من مكانتهم أن سمّى الفرس قوس قزح قوس سام أو قوس رستم. و ينتهى نسبهم فى الشاهنامه الى گرشاسب، وفى "گرشاسب نامه" يذكر أبو گرشاسب واسمه إثرِت . وهو ثرِيتا المذكور فى الأبستاق والذى تقدّم ذكره فى فصل أفريدون .

وأعظم أبطال هذه الأسرة رستم. وهو ابن زال (دستان) بن سام بن نريمـان بن گرشاسب. ولرستم ثلاثة أبناء : سهراب، وجهانگير، وفرامُرز . و بنتان : بانو گُشاسب أعظم بطلات إيران، وزرْبانو . ولرستم أحفادٌ أعظمهم برزو الذى نظمت فى سيرته "برزونامه" . ولا تعرف الشاهنامه من هؤلاء إلا گرشاسب ونريمان وسام وزال ورُستَم وسُهراب و بانو گُشا

(ا) يذكر كثيرا فى الشاهنامه وغيرها باسم "زال زر" أى زال الكبير. وفى الغرر : أن معناه الشيخ الكبير بلغة أهل سجستان وزابلستان . أنظر الغرر، ص ٧٠

(١) أنظر أفستا، ج ٢ ص ٩٥ حاشية ٢ (نقلا عن تاريخ ميرخوند) ص ٤١٤، وتاريخ طبرستان ص ١٨ — ٢٠، والطبرى ص ٢٩٢ — ١ طبع بريل (Brill) . وفارس نامه . (٢) أنظر المقدّمة (القصص الفارسى) .

فبشر سام بذلك . فلما رآه على تلك الهيئة استقبحه، ونفر عنه طبعه، ورفع رأسه الى السماء وجعل يدعو الله تعالى ويبتهل اليـه، ويظن أنه لمعاصيه وذنوبه ابتلاه الله[1] فى ولده بتلك الهيئـة القبيحة . وأمر به فأخرج[2] إلى جبل ألبرز، وهو جبل عظيم من جبال[3] الهند . وأصـعد به الى ذلك الجبـل، وترك فى بعض شعفاته وحيدا . وكان على رأس الجبل معشش العنقاء . وكانت تطير فى طلب

= وهذه سلسلة نسبهم كما يؤخذ من الشاهنامه وغيرها[4] :

كَرْشاسْپ
نَريمان
سام
زال (دَسْتان)

رُسْتَم زَوارَه شَغاد

سُهْراب فَرامُرز جِهانگير بانوكُشاسْپ زَرْبانو

بَرْزو سام پَشَن

ويلتبس كرشاسب ونريمان وسام بعضهم ببعض فى الأساطير القديمة، وذلك أننا نجد فى الأبستاق : "نعبد الأرواح الطيبة القوية الخيرة، أرواح المؤمن التى تحرس جثة كرساسپه بن ساما حامل المقمعة". وفى موضع آخر "نعبد روح كرساسپه المقدس الساما حامل المقمعة[5]". فكرساسپه هو ابن ساما، ويلقب كذلك ساما أى المنتسب الى ساما . وقد تقدّم أن ساما لقب ثريتا[6] . ويلقب كرساسپه "نرمانو[7]" أيضا . فكأن هـذه الأسماء والألقاب التبست وعدّت أسماء أناس مختلفة . فكرساسپه صار ثلاثة : كرشاسب ونريمان وسام . ثم قيل سام بن نريمان بن كرشاسب . ويؤيد هذا أن كرساسپه يوصف فى الأبستاق بأنه حامل المقمعة . وهذا أبين أوصاف سام فى الشاهنامه . والمقمعة ميراث تحرص عليه أسرة سام فقد ورثه زال عن أبيه ثم أعطاه لابنه رستم حين رشحه لقيادة الجند =

(١) ك طا : تعالى . (٢) ك طا : حتى أخرج . (٣) كو : متصل بأرض الهند . (٤) أنظر مول (Mohl) : المقدمة ص (LVIII) وما بعدها ونولدكه (الحماسة الايرانية) (Das Iranische Nationalepos) : الترجمة الانكليزية ص ١٦ وما بعدها . (٥) أنظر أفستا، ج ١ ص ١٩٥ و ٢٢٣ (٦) انظر مقدمة فصل أفريدون — (٧) ورنر (Warner) ج ١ ص ١٧٢

الرزق لافراخها ، فرأت ذلك الصبى فى مثـل ذلك الموضع . فألقى الله تعالى فى قلبها محبة منه فجاءته ورفرفت بجناحها عليـه ، ثم حملته وحلقت به الى رأس الجبـل ، ووضعته بين أفراخها . فكانت[١] تربيه مع أولادها حتى طالت عليـه المدّة فى قلة ذلك الجبل ، وترعرع بين أفراخ العنقاء . وكانت القوافل تعبر تحت ذلك الجبـل فوقعت أبصارهم على مولود إنسى بين أفراخ العنقاء فى شعفة الجبـل

= فى عهد الملك نوذر — كما يأتى — ودليل آخر : أن كرساسپه يفخر بقتل تِنّين فظيع ، وأنه الذى يقتل أزى دهاكه (التنين)[٢] بعدُ . ونحن نجد فى الشاهنامه وغيرها[٣] أن قتل تنّين نهر كشَف من أعظم مآثر سام ، فهذا يرجح أن كرساسپه وساما رجل واحد .

ولا يذكر زال ورستم فى الأبستاق . ويظن سبيجل أنهما كانا معروفين حين ألّفت الأبسـتاق ولكن رجال الدين كرهوا ذكرهما . ويقول نولدكه : لو كان الأمر كذلك لذكرا فى عداد الأشرار . ولعل انتسابهما الى زابلستان البعيدة عن موطن الأبستاق جعلهما مجهولين فيها[٤] .

وأما الشاهنامه فلا تعنى كثيرا بكرشاسب ونريمان . وسام يذكر فى عهد منوچهر ويموت فى عهد خلفه نوذر ، ورستم يبقى الى أيام كشتاسب فيعيش زهاء أربعمائة سنة . ويبقى زال بعد موت ابنه رستم .

ورستم[٥] أبعدهم صيتا وأبقاهم ذكرا . ومآثره ملء القصص الفـارسى ، واسمه مردّد فى الشـعر القـديم والحديث . ويفضل آباءه بمآثره العظيمة التى فى الشاهنامه ، ومنهـا تخليص الملك كيكاؤس من أسر ملك هاماوران — كما يأتى — وقد جزاه الملك بأن حرره من العبودية ، وفى فارس نامه[٦] التحرير الذى كتب لرسـتم : باسم الخالق العدل المقيت . هذا تحرير كيكاوس بن كيقباد لرستم بن دستان ، أنى حررتك من العبودية . ومنحتك مملكة سيستان وزاوُلستان . فلا تقرّ بالعبودية لأحد ، وأحسن رعاية هـذه الولاية التى ملكّتك عليها . واجلس على تخت مذهب . وضع على رأسك قلنسوة مذهبة بدل التاج حين تكون فى ولايتك . حتى يعلم الناس كيف تحلو ثمرة الخدمة والوفاء ، وكيف نعرف حق عبيدنا الأوفياء .

وقد عرف رستم فى الآداب العربية منذ الجاهلية . ففى سيرة بن[٧] هشام أن النضر بن الحـارث كان قد قدم الحيرة ، وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس ، وأحاديث رستم واسفَنديار . فكان اذا جلس =

(١) ك ، كو طا : وكانت . (٢) ورنر (Warner) ج ١ ص ١٧٢ (٣) أنظر تاريخ طبرستان ص ٤١

(٤) نولدكه : (الحماسة الإيرانية) ص ١٦ وما بعدها . (٥) أصل اسمه روتَستَهم ، وحرف الى رستَم أو رستُم بفتح التاء وضمها . وقد عرفت هذه الصيغة فى القرن السابع الميلادى . وبقيت آثار الصيغة الأولى فى « روستم » و « رستهم » اللتين تذكران فى الشاهنامه أحيانا وفى غيرها (نولدكه ص ٢٠) .

(٦) ص ٤٣ (٧) ص ٢٧٢ ط القاهرة سنة ١٣٢٩ هـ .

فقضوا العجب من ذلك وتحدّثوا به . حتى بلغ الخبر إلى سام . ورأى هو أيضا فى منامه ليلة كأن رسولا جاء[1] على فرس كالبرق الخاطف فأعلمه أن ولده على بعض الجبال فانتبه وأحضر الحكماء والمعبرين وسألهم عن حال رؤياه . فعبروها على أن الله تعالى لما رأى جفاءك على ولدك حين أبعدته ونفيته وطرحته على بعض الجبال وحيدا فريدا تعطف برحمته عليه فرباه ووقاه، وهو حىّ يرزق . فتوجه

=رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا خلفه فى مجلسه . ثم قال: أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه . فهلم إلىّ فأنا أحدّثكم أحسن من حديثه . ثم يحدّثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار .

ونجد طاهر بن الحسين قائد المأمون ينسب الى رستم بن دستان الشديد[2] . وقد أشار الى رستم بعض الشعراء كقول البحترى فى وصف فرس :

وافى الضلوع يشدّ عقد حزامه ... يوم اللقاء على مُعِمّ مخول
أخواله للرستمين بفارس ... وجدوده للتبعين بموكل

وقد بقيت ذكرى رستم فى آثار وأساطير وأغانى متداولة فى إيران وغيرها ؛ ففى سجستان آثار يزعم الناس أنها كانت مربط فرس رستم . وقد أخبر بهذا المؤرخون القدماء . فالهمذانى يقول أن آثار هذا المربط فى القرنين من أعمال سجستان . ويقول ياقوت فى مدينة روست[3] . وفى وادى شوشان حيث يجرى نهر قارون قلعتان: قلعة رستم وقلعة دختر أى قلعة البنت يتحدّث الناس عنهما أحاديث مقرونة بذكرى رستم[4] . ويروى كذلك أن رستم بنى مدينتى كابل وغزنه، كما بنى أحد أمراء جدّه نريمان مدينة هراة . ويقال أن أهل كشمير يغنون فى أعراسهم أغنية يزعمون أن أم رستم تغنت بها حين ذهب ابنها الى مازندران لإنجاد الملك كيكاوس . ويروى فى كشمير كذلك قصة عجيبة عن رستم وعلى بن أبى طالب . خلاصتها أن الرسول عليه السلام قال لعلى يوما وقد أعجبه غناؤه فى الحرب : لقد قاتلت قتال رستم . فتشوّف علىّ الى معرفة رستم فدعا الرسول — وعلىّ لا يعلم — أن يبعث الله رستم . ثم تلاقى علىّ ورستم فى شعب ضيق لا يتسع لراكبين . فسلم رستم ولم يرد علىّ السلام . ولم يكن بد من رجوع واحد منهما القهقرى حتى يجتاز الآخر . ولكن رستم رفع عليا وفرسه ووضعهما خلفه ومضى كل فى طريقه . فلما لقى على الرسول صلوات الله عليه أخبره بما رأى . ثم مر علىّ بعد أيام قليلة برستم قاعدا وفرسه يرعى حوله . فسلم رستم ولم يجب علىّ . وسأله رستم أن يحضر اليه مخلاة فرسه وكانت على مقربة منه . فلم يستطيع علىّ حملها إلا بجهد . فقال فى نفسه ماعسى أن تكون قوة الفرس=

(١) ك، طا : جاءه . (٢) الاشراف ص ٣٤٧ (٣) انظر كتاب البلدان ص ٢٠٨ ومعجم البلدان (سجستان) . (٤ و ٥) (Asiatic . Papers) ص ١٠ و ١٠٨

الى الجبل وتضرع الى الله وتب اليه فانه يردّ عليك ولدك . ففعل ذلك وأقبل الى تلك الجبال يدور في مخارمها وشعابها وحيدا ، ويبكى[١] و يتضرع الى الله ويسأله أن يرد عليه ابنه . قال : فألهم الله العنقاء أنه إنما يدور فى هذه المخارم والشعاب لطلب ولده ذلك . فحلقت نحوه ، وكانت سمته "دستان"، (١٣)
وقالت : ان أباك قد جاء ، وهو يدور فى هذه الجبال محترق القلب ، منسكب الدمع عليك . وقد ربيتك

=وفارسه ؟ فلما أخبر علىّ الرسول بما رأى قال الرسول : ذاك رستم . دعوت الله أن يبعثه لتراه . ولامه على أن لم يرد تحيته وقال : لو أحسنت لقاءه لسألت الله أن يطيل حياته ولكان لك فى حربك عضدا[٢]

العنقــاء :

يرى القارئ فى هذا الفصل مافعلت العنقاء بزال بن سام . وسيرى بعدُ كيف تعين رستم فى حرب اسـفنديار[٣] . والعنقاء ترجمة " سيمرغ " فى الشاهنامه . وهو أحد الطير الخرافيــة التى يكثر ذكرها فى الأساطير الايرانية الدينية والتاريخية . وكلمة سيمرغ تجانس (سه مرغ) أى ثلاثة طيور و"سى مرغ" أى ثلاثين طائرا . وقد استعان فريد الدين العطار بهذا الجناس الأخير فى كتابه "منطق الطير" فأبدع أيما إبداع . ويرجح أن اللفظ مركب من " سِه مرغ " أو متوهم فيه هــذا التركيب . فإنه يذكر فى بُنْدَهِش باسم الرخم ذى ثلاث الطبائع . وفى بندهش أن نوعين من الطير لهالبن ترضع به فراخها : الرخم والخفاش الذى يطير بالليل ، فالخفاش مخلوق من أجناس ثلاثة : الكلب والطير ، وفأرة المسك لأنه يطير ، وله أسنان كثيرة كالكلب ، ويتخذ جحرا كفأرة المسك[٤] .

وقد تطوّرت به الأساطير أطوارا وذكر بأسماء مختلفة . ففى الأبستاق يذكر باسم سئينا .

ومسكن السيمرغ على الشجرة التى تقى كل البذور وهى فى المحيط الواسـع على مقربة من شجرة الخلد . تجتمع عليها البذور التى أنتجتها النباتات كلها طول الســنة . واذا طار السيمرغ نبت ألف عسلوج فى هذه الشجرة واذا وقع كسر هذه العساليج ونثر بذورها . فيأتى طائرا آخر اسمه " جمرُش " يعشش فى قمــة جبل ألبرز ويحمى إيران من غارات الأعداء . فيلتقط البذور ويحملها الى المـاء الذى يأخذه تِشتَر (ملَك المطر) فيقع البذر مواقع المطر فى الأرجاء كلها . =

(١) كـ طا : يبكى . (٢) (Asi. Papers :) ص ١٠ و ١٠٨ (٣) أنظر فصل كشتاسب الآتى
(٤) ورنر (Warner) ج ١ ص ٢٥٣

مثل أفراخى، وأنت أعز علىّ من روحى. وأرى لك أن أحملك بين جناحىّ الى أبيك. فانك ستصير ملكا من الملوك، ويعظم شأنك بين الخلق. وأنا أعطيك من جناحى ريشة. فاذا حزبك أمر مهم فأحرقها فإنى سأحضر للوقت وأقضى حاجتك. فحملته وحلقت به ثم رفرفت حوالى سام، ووضعته بين يديه. فرأى شخصا قد أفرغ فى قالب الجمال، رشيق القدّ كالغصن المائل، صبيح الوجه كالبدر

= وقد صار السيمرغ بعدُ مثال الحكمة العليا. وقد اتخذه بعض الصوفية رمزا للحق تعالى.

وللطير فى دين الايرانيين وأساطيرهم مكانة. فالطائر كِرِسپتا الذى يقرأ الأبستاق بلغة الطير قد أدخل الدين الى البناء الذى أوى اليه جمشيد — كما تقدّم — و"هُما" عندهم طائر اذا وقع ظله على إنسان صار ملكا. وفى الأبستاق أوصاف عجيبة للطائر ڤارِنغنا. والسهم الذى رمى به أرش فطار من الفجر الى المغرب قد ريش بريش عقاب.

ثم تأثير ريشة العنقاء لها أصل فى الأبستاق. فهناك يسأل زرَتُشترا أهُرا مَزدا كيف يرد عن نفسه لعنة أعدائه، ويبطل سحرهم. فيجيبه أن خذ ريشة من ڤارِنغنا وادلك بها جسدك، ورد اللعنة الى أعدائك. ويعلمه أهُرا مَزدا أن الذى يحمل عظمة من عظام هذا الطائر القوى لا يقهره أحد. ومن يحمل ريشة منه يرعد لهيبته الناس جميعا الخ. وسيرى القارئ فيما يأتى أثر ريشة العنقاء فى حرب رستم واسفَنديار.

واعتبر هذا بما فى القاموس المحيط (مادة: رخم) من فوائد مرارة الرخم ولحمه وزبله، وأن وضع ريشة من أيمنها بين رجلى المرأة يسهل ولادها.

ثم عهد منوچهر فى الشاهنامه ألفان وثلاثون بيتا فيها الأقسام الآتية. وما بين القوسين محذوف من الترجمة:

(١) منوچهر: ملكه ١٢٠ سنة. (٢) مقال فى ولادة زال. (٣) رؤيا سام حال ابنه. (٤) اطلاع منوچهر على أمر سام وزال زر. (٥) رجوع سام الى زابلستان. (٦) إعطاء سام الملك لزال. (٧) مجيء زال الى مهراب الكابلى. (٨) مشاورة روذابه جواريها. (٩) ذهاب جوارى روذابه لرؤية زال زر. (١٠) رجوع الجوارى الى روذابه. (١١) ذهاب زال الى روذابه. (١٢) مشاورة زال الموبدان فى أمر روذابه. (١٣) كتابة زال الى سام والإبانة عن حاله. (١٤) مشاورة سام الموبدان فى أمر زال. (١٥) اطلاع سين دُخت على أمر روذابه. (١٦) اطلاع مهراب على أمر ابنته. (١٧) معرفة منوچهر حال زال وروذابه. (١٨) مجيء سام الى منوچهر. (١٩) ذهاب سام لحرب مهراب. (٢٠) ذهاب زال رسولا الى منوچهر. (٢١) غضب مهراب على سين دخت. (٢٢) سام يحسن الى سين دُخت. (٢٣) مجيء زال بكتاب سام الى منوچهر. =

الكامل. فخر ساجدا لله تعالى يعفر وجهه فى التراب، ويشكره على ما أكرمه به من ردّ ولده وقرة عينه عليه . وعاهد الله تعالى وأشهده على نفسه ألا يوحش بعد ذلك قلبه، ولا يضيق صدره . وأطلق لسانه بالثناء على العنقاء لحسن صنيعها مع ولده . ثم انحدر به من ذلك الجبل كالليث المشبل. وكساه قباء فكان ملأه رونقا وبهاء وعزا وسناء . فلما رأى العسكر ساما قد أسهل مع ابنه دستان رفعوا أصواتهم بالبشارات، وكاد الطرب يسلب عقولهم(١)، وأقبلوا راجعين الى المدينة بالدبادب والبشائر . فاستفاضت بذلك الأخبار حتى بلغ الخبر الى حضرة منوجهر . فأنفذ ابنه نوذر الى سام للتهنئة بما يسر الله له من رجوع ولده اليه . وأمره بالركوب مع دستان الى الحضرة فى أسرع زمان، وأقرب أوان . فلما وصل نوذر الى سام(٢) خرج مبادرا وخيم بظاهر البلد فنجز أموره، ورتب أسبابه، ونهض مع دستان متوجها نحو الحضرة . فلم يزل يصل السير بالسرى حتى وصل الى مستقر سرير السلطنة . فخرج منوجهر لاستقباله فى مواكب جنوده، تحت أعلامه وبنوده . فلما رأى سام دِرَفْشه الميمون، ولواءه المنصور ترجل إجلالا، وقبل الأرض إعظاما وإكبارا . فأوسعه الملك برا وإلطافا، وأمره بالركوب. فسارا الى دار المملكة، وجلس على سرير الذهب، وأجلسه عن يمينه، وأجلس قارن عن يساره . وأمر الحاجب الكبير بإحضار دستان. فخرج وأخذ بيد دستان وأدخله على الملك مشدود الخصر بمنطقة مرصعة باليواقيت، معصوب الرأس بإكليل من الذهب، على كاهله جرز كقطعة من الجبل . وكأنه يحكى بذلك(٣) الرأس الأبيض والوجه الأزهر، تحت إكليل الذهب الاحمر، صورة القمر بعد التسع والخمس، متوجا بعين الشمس . فملأ عين الملك بشكله وشمائله، وما لاح فيه من أمارات العز ومخايله. ففرح بلقائه وشكر الله تعالى على ما رزقه من الاكتحال بوجهه، والاستظهار به ليومه وغده، وقربه من بساطه ومسح عينه ووجهه بيده . ثم أقبل على سام واستخبره عن أحواله وكيفية استنزاله من معشش العنقاء وشعفات تلك الجبال . فسرد لديه حكايته

=(٢٤) امتحان الموبدان زالا . (٢٥) إجابة زال الموبدان. (٢٦) زال يظهر مزاياه أمام منوجهر (٢٧) جواب منوچهر الى سام . (٢٨) وصول زال الى سام . (٢٩) مقال فى مولد رستم (٣٠) مجيء سام لرؤية رستم . [(٣١) قتل رستم الفيل الأبيض . (٣٢) ذهاب رستم ا. الجبل الأبيض . (٣٣) كتاب الفتح من رستم الى زال . (٣٤) كتاب زال الى سام] (٣٥) نصح منوچهر أولاده .

(١) لك طا : وينهب قلوبهم .
(٢) كو : كان أول نظره فى الكتاب وآخره الى الركاب فركب
(٣) طا : بذاك .

من أوّل ميـلاده الى يومه ذلك . فلمـا سمع الملك ذلك أمر بإحضار المنجمين وسايلهم عن طالع دستان وما قدّر الله له من المقامات، وكتب على يده من الوقائع . فنظروا فى ذلك وتدبروا ثم جاءوا الى الملك مبشرين بسعادة طالعه، ويمن نقيبته . فسر الملك بذلك وأمر لهم بمـال عظيم . ثم قال اسام : هذا وديعتى عندك، وهو علىّ أعز من إحدى عينى . وشرط عليه أن يعلمه بمكارم[١] الأخلاق وآداب الملوك ومراسمهم فى حالتى الحل والترحال، والسلم والقتال . ثم أمر له بخلعـة راقت العيون وشرحت الصدور، من الدبابيج[٢] المنسوجة بالذهب والمرصعة بالجواهر الثمينة، بأطباق[٣] من اليواقيت واللآلئ، وعدد من الخيول العتاق، وجماعة من روقة الغلمان الرشاق . وعقـد له لواء عظيما، ووقع له بجميع ممالك الهنـد والسند وما والاهما من الممـالك . فتوجه الى تلك الولايات فى مواكب العز والإقبال، وكواكب المجد والجلال . فاستقرّ[٤] بها على سرير الملك ينهى ويأمر حتى استنهضه الملك فى بعض المهمات السانحة، وهو استخلاص مملكة مازندران التى استولى عليها بعض العتاة المعاندين، والعداة المـارقين . فدعا بابنـه دستان واستنابه فى مملكته، وأمر أركان دولتـه وأعيان حضرته، بالتوفر على خدمته، وإقامة مراسم طاعته . وأمر الوزراء والنصحاء ومن ندبهم لمنادمتـه ومجالسته من الكفاة الأذكياء، والعلماء الأتقياء، بتحريضه على مكارم السير، وتأديبه بمحاسن الشيم . ثم أذن له فى الطرد والصيد متوجها حيثما[٥] أراد من أطراف المملكة . فودّعه وانحدر على مقتضى الامتثال الى أرض مازندران لمـا ندب له من استخلاص تلك الممالك وقتال من استولى عليها من المخالفين المعاندين .

قصة دستان وبنت مهراب

قال فقعد دستان مقعد أبيـه ينهى ويأمر، ويورد ويصدر . ثم إنه نهض متصيدا الى قرب أراضى كابل . وكان لتلك البلاد ملك يسمى مهراب . فلما سمع بقرب دستان منه ركب الى حضرته للخدمة، واستصحب من طرائف الجواهر ونفائس ما يليق أن يتحف به مثـله من الملوك . فقبله دستان أحسن قبول، وقابله بأتم إحسان وإكرام . وكان مهراب ذا صورة عجيبة تستوقف الألحاظ وتستتبع الأحداق، من شطاط قامة، وحسن وجه، ولين معطف، وأبهـة جلالة، وطراوة منظر، وعذوبة منطق . فلما قام من حضرة دستان وخرج أقبل على أصحابه وندمائه، وقال ما أحسن هـذا الشاب[٦] . وإنه قد ملأ قلبي بمحاسنه وشمائله، وكأنه ما ولد قط مثله . فلم يزل يكرر هذا الكلام ونحوه

(١) ك، كو، طا : مكارم . (٢) أصل : "الديباج" والتصحيح من ك، كو، طا . (٣) ك : وباطباق .
(٤) ك : واستقر . (٥) فى الأصل : حيث ما . (٦) كو : و(لا) .

حتى قال له بعض الندماء إن له وراء حجابه بنتا كالشمس الطالعة . وقد(١) خلقت من طينة الجمال، وأفرغت فى قالب الكمال .

بيضاء تسحب من قيام فرعها وتغيب فيه وهو وحف أسحم
فكأنها فيه نهار ساطع وكأنه ليل عليها مظلم

فاستهام بها دستان ، وشغفه حبها حتى ملك الغرام عنان قلبه، واستلبه زمام عقله . وجعل
١٣ يتجلد ويخفى ما يجن ويضمر . فأبت لواعج همومه إلا الاشتعال، وسوابق عبراته إلا الانهمال .
نعم ولما أصبح مهراب جاء الى باب سرادقه للخدمة . فبادر الحجاب ورفعوا دونه الحجب حتى دخل على دستان . فتهلل فى وجهه، وتلقاه بأريحيته، ولاطفه فى الكلام، وأمر برفع حوائجه، ووعده بإنجاح مطالبه، وإنجاز مآربه . فقال مهراب : إن حاجتى أن يتجشم الملك حضور منزلى لينوّره بإشراق طلعته مشرّفا عبده بذلك . فقال : أما هذا فلا سبيل اليه بدون أمر الملك سام . واعتذر اليه، وخلع عليه . وردّه الى داره على جملة تسر قلوب مواليه، وتسخن عيون أعاديه . فلما عاد مهراب الى داره سايلته زوجته عن دستان وصورته وشكله وحاله بمحضر من ابنته ، وكانت تسمى روذابه (أ) فطفق مهراب يصفه ويذكر ما أعطاه الله(٢) من الصورة الجميلة والشمائل المعسولة ، والمنظر البهىّ، والرواء الأنيق. وقال: غير أن رأسه أبيض كالكافور، يرف شعره واردا على عارضيه كأوراق الأقحوان ، على شقائق النعمان. فكأنه لايصلح لحمرة وجهه، غير(٣) بياض شعره ، ولا لبياض شعره غير حمرة خده . فجعلت روذابه تسمع ذلك بمجامع قلبها حتى أثرت تلك الصفة فيها فتغير وجهها، واصفر لونها . وما أحسن ما قال بعض الحكماء: لا تصفوا محاسن الرجال، لربات الحجال. فانها تعلق بقلوبهن، وتأخذ من نفوسهن، وتفتح عليها مكامن الشيطان ، فلا يكون للعقل بمقابلتها يدان . فعشقته روذابه ، وحالفتها الأشجان حتى ملك الهوى عنان اختيارها، وفجعها بنومها وقرارها. ولما عادت الى بيتها ضاقت ذرعا عن كتمان سرها . وكان لها خمس جوار يخدمنها ويحضنها مختصات بها . فأفضت اليهن بمكنون سرها ، ومخزون أمرها . وأخبرتهن بما تقاسيه من لواعج الحزن، ولوافح الحب . فأنكرن ذلك عليها ، وأطلقن ألسنتهن بالتوبيخ والتعنيف(٤)، وأخذن يخوّفنها سطوة مهراب ، ويذكرن لها شدّة غيرته على الحرم . فخنقتها العبرات ، وتصعدت من صدرها الزفرات . ثم أقبلت عليهن وقالت قد فنى منى الاصطبار، وخرج من يدى الاختيار .

(أ) فى الغرر : " روذاوذ " .

(١) كو، طا : و(لا). (٢) كو ، طا ، ك: تعالى (٣) ك : إلا (٤) ك : والتعنيف لها .
كو : بتوبيخها وتعنيفها .

لم يُبق لى الشوق لا صبرا ولا جلدا فليصبرن خلىٌّ يملك الخلدا(١)

فصارت لا تستأنس إلا بوصفه ، ولا تستريح(٢) إلا الى ذكره . فلما أبصرن ذلك طفقن يعللن قلبها ويقلن(٣) : إنا سنتدبر(٤) فى شأنك وسنجمع بينه وبينك . وكان معسكر دستان قريبا من قصرها . فلبسن وشائع الحلل ، وتبرجن للألحاظ والمقل . وأخذت كل واحدة منهنّ على يدها طبقا من ذهب ، وصرن الى بستان قريب منه على شط نهر ، وجعلن يجتنين الورد والياسمين وأنواع الرياحين ، وينضدن ما يجتنينه على الأطباق . وذلك بمرأى من دستان . فأبصرهن من تحت السرادق وسايل عنهنّ . فقيل وصائف خرجن من قصر مهراب الى هذا البستان ، يجتنين الورد والريحان . فدعا بالقوس والنشاب وقام يتمشى بين تلك الرياض ، ومعه جماعة من صغار الغلمان الحصارية (أ) فلما قرب من الماء أزعج طيرا ورماه بنشابة فوقع الطير الى ذلك الجانب من الماء ، بين أشجار الورد والياسمين ، عند الجوارى المذكورات . فأمر بعض الغلمان بالعبور الى ذلك الجانب وأخذ الطير . فلما عبر الغلام الى البستان سايلته إحداهنّ عن الشاب . فقال الوصيف : هذا(٥) ابن ملك الهند ، وهو كما ترين يروق العيون جمالا ، ويملأ القلوب كمالا . وطالت مسارتهما . فضحكت الجارية وقالت للغلام : إن وراءنا فى الحجاب سيدة كالقمر(٦) ليلة التمام . وأخذت تصف صاحبتها له وهو يصغى الى ذلك . ثم رجع بالطير الى صاحبه فسايله عن الجارية وعما حاورته فيه . فسرد عليه ما جرى بينهما . فسر بذلك حتى توردت صفحات وجنته ، وتهللت أسارير جبهته . ثم رد الغلام الى الجارية وأمرها ألا تبرح من البستان إلا بإذن الملك . ودعا الخازن وأمره فأحضر قطعا من الجواهر النفيسة فأنفذها على يد ذلك الغلام الى الجارية ، وأمرها أن تحملها(٧) الى صاحبتها ، وبأن لا تبرح من مكانها حتى يحملها رسالة اليها . فقالت الجارية : إن كان للملك رسالة فلا يسمعنها غيرى . فان السر اذا جاوز اثنين(٨) لا يبقى مكتوما ، وكان بالإذاعة قمينا . فتجشم الملك النهوض الى البستان ، وخلا بتلك الجارية وباح اليها بمكنون سره ، وأخبرها بما انطوى عليه قلبه من حب صاحبتها . ثم رجعت الوصائف الخمس الى القصر ، وبشرت تلك الجارية سيدتها بأن قلب الملك هائم بها ، وأن وجده بها فوق وجدها به . وقدّمن الجواهر التى أنفذها بين يديها . ففرحت بذلك وسرى عنها بعض همومها . ثم تردّدت

(أ) فى الشاه . ومعه عبد .

(١) ك طا : الجلد . (٢) ك كو ، طا : وتستروح . (٣) ، كو ، ك طا : ويقلن لها . (٤) ك : سندبر . (٥) كو . طا ، ك : هو . (٦) طا : كأنها القمر . (٧) ك طا : بحملها . (٨) ك ، كو ، طا : الاثنين .

الجارية بين المتعاشقين حتى تواعدا على الاجتماع . فلما جنّ الليل جاء دستان ووقف عند أصل القصر . وأشرفت عليه روذابه من بعض شرفاته . قال، والعهدة عليه : فسدلت قرونها وأشارت الى أن يتعلق بها ويصعد . فامتنع من ذلك وقبل تلك الضفائر المسكة ، وعلق الوهق[١] ، وصعد فى أسرع من رجع الطرف . فاجتمعت الشمس والقمر، وطال بينهما الحديث والسمر ، وباتا يتشاكيان حرّ الاشتياق ، ويتفاوضان ذكر الفراق ، فى مجلس فرش بالديباج والحرير، ونضد بالمسك والعبير . فكانا كما قال الشاعر :

بتنا ضجيعين فى ثوبى هوى وتقى　　　يلفنا الشوق من فرع الى قدم
وبيننا عفة بايعتها بيدى　　　على الوفاء بها والرعى للذمم
وأكتم الصبح عنها وهى غافلة　　　حتى تكلم عصفور على علم

فلما نفحت نسايم السحر، وتشعشعت تباشير الصبح، وغردت سواجع الأطيار، فى عذبات الغصون والأشجار، قام دستان فودعها فتعانقا وتحالفا على ألا يقرب كل واحد منهما غير صاحبه حتى يجمع الله بينهما بالنكاح . فافترقا على ذلك وجاء[٢] الى مخيمه . فلما طلعت الشمس جمع الوزراء والأمراء، وشاورهم، وأعلمهم بأنه يريد أن يتزوج بابنة مهراب . فقالوا إنه من أولاد الضحاك . ولا يخفى
(١٤) عليك ما بين البيتين من العداوة والشحناء . ولا يرضى أبوك سام ولا الملك منوجهر، بأن يجرى بينكما امتزاج واتشاج . وإن سمعا بميلك الى هذه المصاهرة احتدما غيظا، وصعب استرضاؤهما، وتعذر استعطافهما . فلما سمع ذلك أطرق محزونا مكتئبا . ثم أقبل عليهم وقال : لا بد من إعمال الفكر فى ذلك بما يفضى الى حصول هذا المقصود . فأشاروا عليه بأن يكتب الى أبيه ويتضرع اليه، ويعرض ما بلى به من العشق عليه . فلعله يرق قلبه ويتشفع الى الملك ويتوسل اليه بذرائع عبوديته، وشوافع خدمته، ويسأله إذنه فى مصاهرته تلك . فاستصوب هذا الرأى فأحضر الكاتب وأمره أن يضمخ كافور القرطاس بمسك الأنفاس ، ويكتب الى حضرة ذلك الهزبر الهصور كتابا يفتتحه بالثناء على الله خالق الأمم، وبارئ النسم . ثم يثنى بالدعاء بثبات دوحة الجلال، وجرثومة الإقبال ، ليث الحفاظ ، وغيث النوال، مفخر السيوف والأرماح، وفاجع الأشباح بالأرواح . ثم يثلث[٣] بما بلى به قرة عينه ، وفلذة كبده من شغفه بالمخدرة العربية . ثم يذكره[٤] العهود التى أبرمها يوم استنزاله من معشش العنقاء فى إيثار ما يعود بطيب قلبه ، ويقضى بخفض عيشه . ثم يستأذنه، بعد الإطناب والإسهاب فى معنى خلوص عبوديته، ونصوع طاعته، فى المصاهرة المذكورة، والمواصلة

(١) كو : الوهق فى بعض الشرفات . (٢) كو : جاء دستان . (٣) لد، كو طا : بذكر ما بلى .
(٤) لد : يذكر .

المطلوبة . فكتب على تلك الجملة كتابا وختمه بالمسك ، وطير به راكبا الى مازندران الى حضرة سام[(١)] . فلما وصل الرسول أخبر سام بمقدمه فقرّبه من بساطه، فأوصل اليه الكتاب بعد تقبيل التراب ، وإقامة شرائط الخدمة . ففض ختامه وقرأه ، فأخذه الوجوم ، وتناوشته الهموم . ثم أخذ يفكر فى السبيل الموصل الى ما خامر قلب ابنه من مواصلة آل الضحاك ومصاهرتهم . ورأى أن ذلك مما لا يرتضيه الملك منوجهر . فأحضر المنجمين والحكماء وشاورهم فيما هجس فى ضمير ولده من ذلك، وأنه كيف يجوّز الحزم التغافل والتغابى عن الحقود الدفينة، والحسائك القديمة . وقال لهم : تدبروا فى ذلك الأمر، واستدلوا بطالعيهما على ما فيه من الخير والشر، واستعينوا على ذلك ببصيرة العقل وقوّة الفهم، واستشفوا ستر العواقب ، وطالعوا مرآة الغيب بالآراء الثواقب . ثم أعلمونى نتيجة ذلك . وأذن لهم فقاموا والتجئوا الى الزيجات والتقاويم ، وتشمروا للنظر السديد والرأى القويم . حتى وقفوا على الأمر المكنون، والسر المخزون . ثم جاءوا الى باب الملك مبشرين بسعادات دلت المخايل على ظهورها، وآذنت تباشيرها بطلوعها . وأخبروه أن الله[(٢)] أجرى قلم التقدير فى اللوح المحفوظ باقتران السعدين ، واجتماع النيرين بتواصل البيتين ، وأنه يولد بينهما ولد يملأ الدنيا مهابة وقهرا، وشهامة وفخرا، ويرفع تاج السلطان، الى أوج الكيوان[(٣)] . ويطهر بساط الأرض عن[(٤)] أهل البغى والطغيان، وتشتعل به نار ملوك الفرس حتى تمدّ باعها الى ذروة السماك، ويضرب لهم رواق المجد على مفرق الأفلاك . فلما سمع سام ذلك من المنجمين أخذته أريحية الطرب ، وتمشت فى رأسه نشوة الفرح . فأفاض[(٥)] على أعطافهم الخلع الرائقة وأجزل لهم الأعطية والمنح الوافرة . ثم دعا برسول ولده دستان وأمره[(٦)] بالرجوع إليه . وردّ اليه[(٧)] ، أنا نتوصل الى قضاء حوائجك ، ونسعى فى إنجاح مطالبك . ونهض[(٨)] الى حضرة السلطان لاستئذانه فى إنشاء هذه المصاهرة ، وتجيز هذه المواصلة . وأمر بأن ينادى فى العسكر بالرحيل والتوجه الى مستقر سرير الملك، بعد ما كفاه الله تعالى ما اهتم به من[(٩)] العدوّ، وأنعم عليه بالظفر والنصر والنجاح والفوز .

ذكر انكشاف حال روذابه عند[(١٠)] أمها وأبيها واطلاعهما على ذلك

قال : فرجع الرسول الى حضرة دستان ، وأعلمه أن[(١١)] أباه تقبل له بإنجاح المأمول ، وإطلاب[(١٢)] المقصود . فدعا بعجوز كانت تتردّد بينه وبين روذابه ، وأنفذها اليها وأصحبها

(١) ك طا : الى حضرة سام الى ما زندران . (٢) ك، كو طا : تعالى . (٣) ك : كيوان .
(٤) ك : من . (٥) ك، كو طا : وأفاض . (٦) كو : وأمره بالانصراف وكان من جوابه انا الخ .
(٧) ك : عليه . (٨) ك، كو طا : ونهض. (٩) ك، كو طا : من أمر . (١٠) كو : عند والديها وما يعقب ذلك من أمرها . (١١) ك : بأن . (١٢) ك : طلاب .

الرسالة التى عاد بها الرسول من عند أبيه . فدخلت عليها و بشرتها بذلك . فتخايلت من الفرح وتهللت من المرح، فأمرت (١) لها بخلعة من القصب منسوجة بالذهب . فلما خرجت من عندها رأتها « سين دخت (٢) » أم روذابه . فاستـرابت بها ، وأمرت بالقبض عليها ، واستكشافها عما وراءها . ففزعت العجوز وتعلقت بأذيال الأكاذيب، وتمسكت بأهداب المخاريق . فما وقع ماذكرته عندها موقع القبول . وأمرت بتفتيش ما اشتمل عليه إزارها . فعثروا على تلك الخلعة الفاخرة . فشـددت حينئذ على الخبيثة الفاجرة ، وأغلقت جميع الأبواب ، وطفقت تلطم الورد بالعناب ، وتفض من النرجسين (٣) عقود اللؤلؤ المذاب . ودخلت على بنتها وأخذت تخاطبها بلسان اللوم والتعنيف والعـذل والتوبيخ على طرحها قناع الحياء، وتدرّعها ملابس الفحشاء . وتؤاخذها بإلباس العجوز الشوهاء ، ملابس الخريدة العذراء . فما أجابتها إلا بالإطراق ورمى الأرض بالأحداق . فلما طالت مطالبتها لها باظهار حالها وإعلان سرها تنفست الصعداء، وأسبلت من محاجرها الدماء ، وفضت ختام سرها وذكرت لها شغفها بابن الملك ، واجتماعهما فى تلك الليـلة ، وما جرى بينهما من المعاهـدة والمحالفة على الازدواج والامتزاج والأخذ فيما يفضى اليه من السـعى البليغ والجهد الأكيد . وأخبرتها بأنه قد كتب فى المعنى الى أبيـه سام ، وأنه رد اليه فى جواب كتابه أنى أنهض الى حضرة الملك منوجهر وأستأذنه فى ذلك توخيا لما يرتضيه ، وانقيادا لما يبتغيه . فلما سمعت ذلك سين دخت خفضت من غلوائها قليلا، وكفكفت من طغيانها حتى عاد حدّه كليلا لميلها الى مصاهرة ابن الملك والاتصال به رغبة فيه لمكانه وعلوّ شأنه . ثم اعتذرت الى تلك العجوز وطيبت قلبها ، وأمرتها بإسبال الستر على ما جرى من الإساءة . ودخلت الى قصر مهراب واضطجعت فى موضعها تتفكر فى الحادث الكارث، وتتفكر (٤) فى عاقبة الأمر ووخامته .

فدخل مهراب فرآها نائمـة على غير العـادة المعهودة، منزعجة قد تورّست صفحات خدها بردع الألم، وتردّدت فى محاجرها عبرات الهم والحزن . فاستخبرها عن حالها فما أجابت إلا بما نبت عنه
(١٥) مسامعه، واستبعدته ألمعيته . فألح عليها فى إظهار ما انطوى عليه سرها، وبث ما استجنه ضميرها . واستمرت (٥) على المدافعة عن إطلاعه على حقيقة الحال ، والإفصاح عنها بصدق المقال . فلم يزل يعيد عليها السؤال حتى شرحت لديه الحال . فلما وقف على ذلك مهراب تضرمت نيران غيرته ، ووثب كالليث المحرج الى السـيف متوجها نحو البيت . فنهضت زوجتـه وتعلقت به . ثم قالت : إنى

(١) كو : وأمرت . (٢) لـ طا : شين دخت . (٣) لـ : النرجستين . (٤) كو وتخوف من عاقبته ووخامته . (٥) لـ كو طا : فاستمرت .

أعرض عليك رأيا فان كان من الصواب قريبا قبلته وإلا مضيت على غلوائك، ومقتضى رأيك . فتوقف ساعة . فقالت : إن هذا الأمر قد شاع وإن دستان قد كتب بذلك الى أبيه سام، ورجع الرسول اليه مخبرا بأنه نهض من مازندران متوجها الى حضرة السلطان ليستأذنه فى الخطبة اليك. وسردت عليه جميع ما جرى من المراسلات والمكاتبات . فلما سمع مهراب ذلك خفض قليلا، ومال الى جريان الاتصال بين الدولتين، اعتضادا للبعض بالبعض من الجانبين .

قال فاطلع منوجهر على الحال وأنهى اليه أن ابن سام يريد الاتصال ببنت مهراب، وأن أباه متابع (١) على ذلك، ومصمم على النهوض الى حضرته لاستئذانه. فاحتدم غيظا واستشاط غضبا، وجمع وزراءه وقواده، وفاوضهم فى ذلك . وقال : أخاف أن يكون تحت هذا الرماد جمر يثور منه دخان . وقد علمتم أن أفريدون كم تجرع غصص المكاره حتى استأصل شأفة الضحاك (٢) . واذا حصل بين ابن سام وبنت مهراب التى هى شعبة من الدوحة الضحاكية تزاوج أمكن أن يحصل بينهما ولد يكون له صغو الى أمه ، فتحدثه نفسه بإحياء بعض سنن البيت ، فيتفاقم الأمر ويعضل الداء . والحزم ألا يفتح له طريق الى هذا ، ولا يمكن من السؤال فى ذلك المعنى . فاستصوبوا رأيه وأثنوا عليه . فلما قدم سام استقبله على العادة المعهودة، وتلقاه بالإعظام والإجلال، والبر والإكرام، وأنزله على جملة الاحترام . فلما كان من الغد جاء برسم الخدمة الى باب الملك فرفع دونه الحجب، وتلقاه الملك بالبشر والتهلل، وسايله عما قاساه من محاربة شياطين مازندران ومكافحة أسود كركساران (ا) وما لاقاه من مقاتلتهم ومعاركتهم . فأخبره بما جرى له من أول نهوضه الى أن فتح الله عليه تلك البلاد . وذكر له ما تيسر من قتل ملكهم(ب) الذى كان من أولاد سلم بن أفريدون. وأعلمه أنه قد صفت له تلك المملكة وانضمت الى جملة ممالكه. فلما أنهى حديثه أثنى الملك عليه وشكر سعيه . ثم دعا بآلات مجلس الأنس، واشتغلوا بالقصف والطرب، وتعاطوا أقداح اللهو والفرح . حتى استباحت عقولهم الكئوس، وثقلت من فضلات الراح الرءوس. استأذن (٣) حينئذ سام للقيام، ورجع الى مضطجعه . فلما أصبح ركب الى خدمة الملك ليعرض بذكر ولده زال، ويستأذن له فى معنى الاتصال ببنت مهراب . فلما دخل على منوجهر رآه كالمغتاظ محتدما كالنار . فافتتح وقال لسام : إنا تدبرنا فى أمر

(ا) اسم قبيلة فى نواحى مازندران ويظهر أنه جمع «كركسار» ومعناه شبيه النسر، أو «كركس سر» أى الذى رأسه كرأس النسر . وبين الرى وقم وكاشان جبل اسمه كركسكوه أى جبل النسر . وهو جبل وعر أجرد كان مأوى للصوص . (انظر معجم البلدان وقاموس الأعلام) . (ب) اسمه فى الشاه . كركوى .

(١) ك طا : متابع له . (٢) كو : وحسم مادة الشر . (٣) كو : فاستأذن .

مهراب وأنه شعبة من تلك الجرثومة الخبيثة ولا بدّ من قلعها واستئصالها . وقد اقتضت آراؤنا أن تنهض لكفاية أمره، واستصفاء مملكته، واستضافتها الى ما فى يدك من ممالك الهند . فلما رأى سام أن الملك قد سدّ عليه طريق ملتمسه كفّ لسان سؤاله، وسارع الى الانقياد، وتشمر لما جرد[1] فقبل الأرض فخرج متوجها نحو ممالك الهند . فتناهى الخبر بذلك الى زال ومهراب[2]، وقامت القيامة[3] على مهراب وأصحابه ويئسوا من الحياة . وضاقت الأرض على زال لأنه كان السبب فى إيقاد نائرة الفتنة . وتوقد من الغيظ متنمرا كالثعبان الصائل . حتى قال يوما : إن مهراب نسيبي وهو معتضد[4] بقوّة باسي وشدّة مراسي، ولا يقدر العقاب أن يطير على ساحة مملكته ما دام هذا الرأس على جسدى، واستقر هذا الصمصام فى يدى . ثم جاء الخبر بمقدم أبيه فخرج للاستقبال فى مواكبه . فلما طلعت رايات أبيه ترجل للخدمة، يتلقى الأرض بيده، ويلثم التراب بفيه . فأركبه أبوه وعانقه ومسح بيده غرته . فسار تحت أعلامه حتى نزل فى إيوانه . فخلا به فى الوقت وأخذ يبث اليه[5] شكوى الحال، وما قاساه مدّة مفارقته من الأشواق اليه، ثم ما أصابه من رسيس الوجد وحرقة الغرام . وأذكره معاهدته إياه على مواتاته فيما يطلب ويقترح، ومعاونته فيما يعرض من مآربه ويسنح، وتنكبه عما يعود بضيق صدره، ويقضى بشغل قلبه . وكأنك[6] الآن لم تقدم من مازندران إلا على ما يوغر صدرى، ويوحش قلبي، ويفجع بروحى شخصى . لما أنت عليه مصمم[7] من محاربة مهراب، وتخريب دياره، وانتهاب خزائنه[8] ورغائبه . فان كان الأمر على هذه الجملة فهأنا واقف بين يديك، مسلم زمام قيادى اليك . فخذ رأسى أوّلا ثم خض فى محاربة مهراب ثانيا . فرق عند ذلك من سام قلبه، ولانت صفاته، وطفق يعلل قلب ابنه بالأمانى . وقال له إنى أنفذك الى خدمة الملك، وأكتب اليه كتابا أستعطفه وأسأله الإنعام عليك بما يفضى الى إنجاح مآربك، وقضاء حوائجك . فاستحضر الكاتب وأمره أن يكتب مفتتحا بحمد الله خالق النجم والشجر، ومنوّر الشمس والقمر، المتصف بالقدم، المسلط على الوجود يد العدم . ومثنّيا بالثناء على الملك الجليل ناعش التاج والتخت، ومالك الشرق والغرب . ثم قال[9] إنه لا يخفى على آرائه العالية أنى قد طعنت فى السن وتلفعت برداء الشيب، وضعف كاهلى عن حمل أثقال السلاح، ووهت منتى عن إعمال السيف عند الكفاح . ثم أخذ يُدل فى كتابه بحرمانه السالفة، وحقوقه الثابتة، ومقاماته المشهورة، ووقائعه المذكورة، ونكاياته فى أعادى دولته، ومخالفى

(١) كو : جرد له . (٢) لـ : مهراب (لا) . (٣) ص القيمة . (٤) لـ طا : يعتضد .
(٥) لـ طا : اليه (لا) . (٦) كو : وقال كأنك . (٧) لـ : مصمم عليه . (٨) لـ ، كو طا .
وفى الأصل : خزانته . (٩) لـ ، طا : له . كو : فيه .

كلمته، ويصف مالاقاه فى محاربة سعالى مازندران، وعفاريت كركساران (ا) ويذكر أنه جعل ولده دستان ولى عهده فى عبودية الملك وكفاية ما يحدث من مهم يحتاج فيه الى قوة باس، وشدّة مراس، وأنه قد نفذه الى حضرة الملك حتى يكتحل بالطلعة الميمونة ويمثل فى زمرة العبيد . وبعد ذلك لايخفى على ألمعية الملك أنه وإن كان بقوّة أعضاده يدفع فى نحور الآساد، ويضعضع أركان الأطواد، فهو ربيب الطير. ومن أجل ذلك هو رقيق القلب . وكأنه قد رأى بنت مهراب فملكت قلبه، وسلبته عقله . فهو أسير فى يد الغرام، منفجر الدمع مثل الغمام . نومه غرار، ودموعه غزار . وقد وفد الى حضرة الملك ملتجئا الى عاطفته، ومستعيذا بظل رأفته . راجيا أن ينعم عليه بالإذن فيما يروم . وختم الكتاب بالدعاء والثناء، ودعا بدستان ودفع اليه الكتاب . وأمره أن يتوجه الى خدمة الملك[1] منوجهر فركب يطوى الأرض كالبرق الخاطف، حتى وصل إلى مستقر الملك منوجهر على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى . (١٦)

ذكر إرسال مهراب زوجته سين دُخت[2] والسبب فى ذلك

قال ولما شاع فى بلاد كابل أن منوجهر أمر ساما بالنهوض اليها لتخريبها واستصفاء حصونها وقلاعها، واستفاضت به الأخبار اهتاج مهراب وطار واقعه، وأقضت مضاجعه . فالتهب مستشيطا، ودعا بزوجته سين دخت، وشكا اليها ما ابتلى به من شؤم بنتها وقبح فعلها، وأنه بسببها قد ظهر الشر الكامن، وتحرك العرق الساكن . وأوعد بقتلها مع بنتها متوسلا بذلك الى استعطاف الملك منوجهر واسترضائه فلعله يكف عن[3] غلوائه، ويمسك عن محاربته، وانتزاع مملكته من يده . فالتجأت الى إعمال الحيلة، وإجالة الفكر فيما يقضى لها بالنجاة من تلك المصيبة . فنهضت خائفة ترجف أحشاؤها، وباتت بليلة أنقد، تأبى مزعجات الخوف أن تغفو وترقد . فلما أصبحت دخلت على زوجها وقالت إن هذا الأمر لا بد من تلافيه، ومقتضى الحزم التشمر فيه . فإنه ما عز أمر إلا هان، ولا تصعب ريض إلا استقاد ولان . وكذلك ظلام الليل وان أرخى سدوله، وسحب على النواظر ذيوله، فلا بدّ من انفراجه بطلوع الصبح وابتلاجه . والرأى أن أنهض رسولا إلى سام، وأستل هذا الحسام، وأستعطفه وأستلين عريكته، وأطفئ[4] هذه النائرة، وأسكن الفتن[5] الثائرة . وإذا[6] خاطرت أنا بالروح

(ا) أعظم مآثره التى تذكرها الشاه فى هذا المقام قتله تنين نهر كشف . كما ذكر فى مقدّمة هذا الفصل .

(١) طا : الملك (لا) . (٢) لـ طا : شين دخت . (٣) كو : من . (٤) كو : لعلى أطفى .

(٥) لـ : هذه الثائرة . (٦) لـ طا : فاذا .

فلا بدّ لك من المساعدة بالمـال . فاستصوب مهراب رأيها ورضى لها بالبروز، وسلمت[(١)] اليها مفاتيح الكنوز . وأطلق يدها فى جميع تلك الرغائب ، والذخائر والحرائب . فقالت لا[(٢)] آمن، اذا غبت، على روذابه من بائقة غضبك، وبادرة سطوتك . ولا يمكن خروجى إلا بعد الاستظهار منك بعقود محكمة ، ومواثيق مبرمة، على كف عاديتك عنها . ففعل ذلك . ثم تشمرت للنفود فى ذلك وفتحت أبواب الخزائن، وأخرجت ثلاثين ألف دينار برسم النثار، وعشرة من الخيول المذكورة، وثلاثين رأسا غيرها من العراب الجياد، وخمسين وصيفا كالأقمـار الطالعة، مشدودى الأوساط بمناطق الجواهر الرائعة، وستين وصيفة كأنهن ضرائر الحور العين، على يد كل واحدة جام مملوء من المسك الفتيق، والعنبر السحيق، وأربعين رزمة من الوشائع الرومية والدبابيج التسترية، ومائة قطعة من السيوف الهندية ، والصوارم المشرفية، ومائة ناقة حمـر الأوبار هدل الشفاه قوالص الأشـفار ، ومائة بغلة كأركان الجبال برسم الأحمال، وتاجا من الذهب محلى بزهر الجواهر ، كالشمس المنقطة بالنجوم الزواهر ، وتختا يشبه الفلك الدوّار ركبت[(٣)] فيه يواقيت تخطف الأبصار ، وأربعـة من الفيلة الهـائلة التى تضرب وسـط الحروب بالأسداد، وتزاحم مناكب الأطواد . قال : فلمـا أعدّت[(٤)] اسـتعدّت وركبت منطلقة نحو حضرة[(٥)] سام فلم يحس بهـا أحد حتى حلت بفنائه . فسألت الحجاب أن يعلموا ساما بوصول رسول من عند ملك كابل . فلمـا أخبر سام بذلك أمر أن ترفع دونها الحجب . فدخلت وقبلت الأرض، ومثلت بين يديه . وكانت قد أمرت أن تصف الهدايا صفوفا وبأن يقدم الواحد منها بعد الواحد بين يدى سام. ففعل ذلك وأعجبته[(٦)] تلك التحف بكثرتها، وجميل هيئتها . وجعل يتعجب من إنفاد مهراب إياها على يدى امرأة ويقول فى نفسه : إن قبلت هذه التحف وعلم بذلك منوجهـر لم آمن عواقب سخطه . وإن لم أقبلها وسمع بذلك دستان تمر فطار واقعه، وهاج وادعه . فوقع له أن يسلموا تلك الهدايا والتحف إلى خازن ابنه دستان . فلما رأت العقيلة الكابلية أن ساما أمر بقبول مستصحباتها تهللت فرحا. وكانت معها ثلاث وصائف على يد كل واحدة طبق مشحون من الياقوت والزبرجد[(٧)] فأمرتهن[(٨)] فنثرنها تحت قدم سـام . ثم أخلى المجلس لأداء الرسالة . فتقدّمت نحو بساطه، وأطلقت لسانها بالثناء . وقالت أيها الملك : إنه لا نتعلم مكارم الشيم إلا من أخلاقك ، ولا يهتدى الى طريق المحاسن والمآثر إلا بإشراق أنوارك . وأنت الذى يفـرج[(٩)] برأيك رتاج كل أمر ، ويغلق

(١) كو : سلم . (٢) لـ طا : إنى . (٣) لـ : قد ركبت . (٤) لـ كو طا : واستعدت .
(٥) لـ : حضرة (لا) . (٦) لـ : فأعجبته . (٧) كو : البلخش . (٨) فى الأصل : أمرهن والتصحيح من لـ .

بعدلك باب كل شر . ولا يخفى عليك أن البرىء لا يؤاخذ بذنب المجرم، وأن المحسن لا يقابل بجزاء المسىء المذنب . وإذا أساء الضحاك الذى ذاق وبال ظلمه، واستوخم عاقبة فعله فأنّى تجوز المعدلة الفائضة ، والرحمة الشاملة أن يعاقب لإساءته مهراب الذى هو غرس نعمتك، وتراب قدمك، ولم يسلك منذ تصدّى لسلطنة كابل غير طريق طاعتك ، ومنهج عبوديتك . نعم وإن كان قصد الملك لبلاده من أجل الدين فإن إلهنا وإلهكم واحد، لاخلاف بين الطائفتين فيه . غير أن قبلتنا التماثيل والأصنام ، وقبلتكم الشمس والنيران . وعلى الجملة فأنت تعلم أن سفك الدماء(١) لايستحسن، وأن مؤاخذة غير المجرم عند الملوك تستهجن . فلما سمع سام(٢) ذلك أقبل عليها وسايلها(٣) عن حالها أهى زوجة مهراب أم مستخدمة له ؟ ثم سايلها عن حال روذابه وصفتها وعن مبدأ السبب فى هيان ولده بها . فقالت إذا وثقت من الملك بمعاهدته إياها على ألا يرصد لها ولا(٤) لصاحبها بالغوائل ، ولا بقصدهما قصد العدو المخاتل، أطلعته بصدق المقال على جميع الأحوال . فصفق بيده على يدها، وحالفها على ذلك . فقامت سين دخت وقبلت(٥) الأرض، وقالت أما أنا فانى، مع انتسابى الى الدوحة الضحاكية، صاحبة مهراب ووالدة روذابه التى ملكت بجمالها وكمالها قلب ابنك دستان . ونحن كلنا عبيد حضرتك، والمنخرطون فى سلك خدمك . نسأل الله تعالى دوام ملكك وثبات دولتك . وإنما باشرت بنفسى هذه الرسالة لأعرف رأيك فى أهل كابل . فان كنا نحن من المجرمين، أو لا نليق بالملك فى تلك الأرضين جريت فينا على مقتضى رأيك . فسيفك محكم فى رقابنا . ولا ينبغى على ذلك أن تتعرض بمكروه لأهل كابل الذين لم يجترحوا ذنبا، ولم يقترفوا جرما . فلما علم سام صدق مقالتها، ونصوع طويتها فى الطاعة أقبل عليها وقال إن المعاهدة بيننا قد سبقت آنفا . ولست عن مقتضاها أحيد، ولو قطع منى الوريد . فاسرحوا آمنين فى مراتع عيشكم، واطمئنوا وادعين فى ظلال أمنكم . فانى مظاهر ولدى على هذه المصاهرة والمواصلة . وإن كنتم من أهل بيت آخر فإنكم من أهل الملك ، ومن أصحاب التاج والتخت، وولاة الأمر والنهى . ولكن جرت عادة الأيام بتقلب الأحوال . والعاقل يعلم أن لأدوار الدول أطوار، وأن فى مسالك الحظوظ أنجادا وأغوارا . فمن ناقص ينمو نمو الهلال، وكامل ينقص كالقمر بعد الكمال، ومصير الكل الى الزوال . وإنى قد كتبت الى الملك منوجهر كتاب تضرع وابتهال ، ونفذته الى حضرته على يدى ولدى زال . وقد حلق نحوه طائرا بقوادم العجلة ، حتى كأنه حين ركب لم تحوه دفتا سرجه ، ولم تمسس التراب حوافر خيله .

(١) كو : ز «فى جميع الملل» . (٢) ك كو : ذلك سام . (٣) ك كو : سألها . (٤) ك : إن
(٥) ك طا : فقبلت .

وسيدّ الملك، إن شاء الله، عنانه[١] منعما علىّ بانجاح أمله، وقضاء وطره. فرأت سين دخت حينئذ مباسم سام عن الرضا متبسمة، وأسارير جبينه بالارتياح متهللة. فطيرت فارسا الى مهراب مبشرا بما حصل من استرضاء سام، ورجوعه الى خطة الموافقة، ومخبرا بما فى نفسه من المساعدة على المصاهرة. ثم جاءت صباح اليوم الثانى الى سام واستأذنته فى الرجوع الى دار ملكها، ومقرّ عزها، للاشتغال بإعداد أسباب العرس الميمون. فأذن لها فى المعاودة. وأمر لها بخلعة تليق بمكانتها وجلالتها. ووهب لها جميع ما كان له فى بلاد كابل من الدور والقصور والخيل والنَعم، الى غير ذلك من أنواع النِعم. وتصافقا ثانيا متقبلا روذابه لولده دستان، قولا يصدّقه الوفاء، ووصلا يشايعه البنون والرفاء. وقال لها: لن تراعوا بعد يومكم هذا. فودعها وسرحها راجعة وأنفذ فى خدمتها أميرا كبيرا فى مائتى فارس، يصحبها الى أن تطأ عرصة مملكتها، وتعود الى معرّس[٢] دولتها.

ذكر وصول زال الى حضرة منوجهر

قال فجاء الخبر الى منوجهر بوصول زال فاستقبله أعيان القوّاد، وأمراء الأجناد. ولما قرب من السرادق رفعت دونه الستور حتى دخل. فلما وقعت عينه على[٣] الملك قبل الأرض، ووضع جبهته على التراب، على رسمهم فى الخدمة. وبقى كذلك ساعة. فأشار الى من رفع رأسه من الأرض وقرّبه الى التخت فلاطفه فى خطابه، وسايله عن حاله، وما تحمله من وعثاء السفر فى حله وترحاله. فقال كل تعب يفضى الى لقائك فهو راحة وسرور، وكل عناء يقع فى الطريق اليك فهو مسرة وحبور. فتناول منه الكتاب فتبسم لما قرأه مستبشرا متهللا. ثم أقبل عليه وقال حمات قلبك هما طويلا، وألزمت نفسك عناء عظيما. ولكن العزم بسبب هذا الكتاب الذى كتبه ذلك الشيخ الكبير، وإن كان صدرى بما فيه يضيق، ألا تسددون مرادك الطريق. وسأقضى لك جميع حوائجك، وأحقق جميع مآربك. ومدّوا السماط. فلما طعموا ورفع مالوا الى مجلس الأنس والطرب، وتعاطوا كئوس الرحيق. ولما ثمل دستان نهض فأركب الى مخيمه. ولما أصبح عاود الخدمة فأثنى عليه الملك حين شاهده، وحين ثنى عنانه وفارقه. قال: فأمر بجمع العلماء والحكماء ومن تبحر من المنجمين، وأمرهم بالبحث فى طالع زال، والتنقيب عن سر الفلك فى أمره، وعما يؤول اليه حاله فى مصاهرته تلك. فلبثوا ثلاثة أيام يعملون دقائق النظر، وثواقب الفكر، فى تطلب علم ما وارته ستور الغيب. ثم جاءوا الى باب منوجهر وقالوا أيها الملك: إنه قد ظهر لنا على مقتضى الأحكام السماوية، وأسرار الأجرام العلوية أن يولد بين[٤] ابن سام وبنت مهراب ولد كبير القدر، رحيب الصدر، طويل النجاد، طلاع

(١) ك: عنانه الى. (٢) كو: ظلال. (٣) ك طا: على عين. (٤) ك: من ابن.



الملك منوچهر يستشير المنجمين فى تزويج زال بن سام من رودابة بنت مهراب ملك كابل

[منقولة من كتاب مارتين (Martin) ص ١٢٤ ج ٢ — عن نسخة كتبت للشاه طهماسب فى القرن العاشر الهجرى]

الأنجاد ، ويكون غمر الرداء ، واسع العطاء، مخصوصا بشدّة القوة، وضخامة الجثة، وطول المدّة . تكاد هيبته تمنع العقاب الكاسر أن يطير حواليه ،والأسود السود أن تزأر بين يديه . اذا لمعت بوارق سيفه فى اللقاء تدفقت شآبيب الدماء . يشدّ وسطه فى هذه الممالك لخدمة الأملاك، ويرفع قواعد مجدهم على ذرى الأفلاك. فلما سمع الملك ذلك أمرهم بإخفاء السر، ودعا بزال ليجرّب عقله وفهمه بمسايلته عن مسائل غامضة، وإشارات خفية . فأحضر كل موبذ كان بحضرته وعقد مجلسا عظيما ، وأحضر زالا فأمرهم أن يباحثوه ويسايلوه :

المسائل التى سئل عنها زال وما ذكر فى جوابها

قال فتصدّى موبذ وسأله عن اثنتى عشرة شجرة جذب بأضباعها السموق، ومدّ من أعضادها البسوق . قد تشعب من كل واحدة ثلاثون غصنا لا يرى الفرس فيها زيادة ولا نقصا . وسأله آخر عن فرسين: أحدهما أشقر كالنار (ا) والآخر أدهم كالقار . لا يزالان يتراكضان، يتعاقبان ولا يتسابقان. وسأله آخر عن ثلاثين فارسا يعرضون على السلطان ، اذا عبروا نقص منهم واحد، واذا رجعوا فلا ناقص ولا زائد . وسأله آخر عن روضة معشبة يرف نباتها فى رونق الغضارة ، وتروق العيون بالبهجة والنضارة . ثم ينحى عليها ذو منجل يُنزل بساحتها مكروه الحطب ، ويجمع فى حصدها بين اليابس والرطب . وسأله آخر وقال(١) : شجرتان من بواسق الأشجار، ثابتتان(٢) فى البحر الزخار، على كل واحدة منهما وكر لطائر يصبح على إحداهما ويمسى على الأخرى . اذا طار من هذه تساقطت أوراقها، واذا وقع على الأخرى راق العيون إيراقها. فتكون الأولى ناضرة على الدوام، والثانية ذابلة مدى الأيام (ب) وسأله آخر عن بلدة طيبة حصينة فى ذروة جبل، تركها الناس وعمدوا الى أرض تنبت القتاد، فأرسوا بها الأوتاد . وبنوا بها الدور، وشيدوا فيها القصور . وتناسوا تلك البلدة الطيبة . فبيناهم كذلك إذ خسفت بهم أرضهم، وقامت عليهم القيامة، وحالفتهم الحسرة والندامة . فقيل لزال : إن أبرزت هذه الكنوز، وأوضحت هذه الرموز كنت العالم الخبير، وأثرت من التراب العبير(ج) فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأعاد تلك المسائل . ثم قال : أما الشجرات الاثنتا عشرة فهى عدة الشهور مع الأيام، على تعاقب الأزمنة والأعوام . وأما الفرسان فهما الملوان يتعاقبان ولا يتسابقان . وأما أعداد الفرسان، ١٨

(أ) فى الشاهنامه : أحدهما كبحر من القار، والآخر كالبلور الأبيض المتلألئ . (ب) عبارة الترجمة غير مستقيمة . والذى يقتضيه السياق ما فى الشاهنامه : وتكون أبدا إحداهما ناضرة، والأخرى ذابلة . يعنى أن تداول النضرة والذبول بينهما دائم لا أن إحداهما ذابلة أبدا ، والأخرى ناضرة أبدا . (ح) ترجمة للعبارة الفارسية : "زخاك سيه مشك سارا كنى" .

(١) ك : فقال . (٢) ك، كو : نابتتان .

وما يظهر فيها من النقصان، فذاك إشارة الى نقصان الشهر وأنه[١] تارة يكون تسعا وعشرين، وتارة ثلاثين . وأما الشجرتان اللتان عليهما معشش الطائر فإن العالَم من وقت حلول الشمس فى برج الحمل الى أن تبلغ الى الميزان يتبرج كالخريدة المعطار، فى حلى الرياحين وحلل الأزهار . ومن حين حلولها العقرب الى أن تحل الحوت يقبع بين أسحاق[٢] الحداد، وأطمار السواد . فالشجرتان كنايتان عن عضدى الفلك الدوّار، والطائر عبارة عن الشمس الباهرة الأنوار. وأما البلدة الطيبة فهى دار القرار، ومنزل الأبرار . والأرض التى آثروها عليها فهى الدنيا قرارة الأكدار، ومعرّس الأخطار . تناهبك مدارج الأنفاس، وتضرب فى انصرام عمرك الأخماس فى الأسداس . بينا أنت الى نعيمها راكن، وفى ظلالها وادع ساكن، إذ تزلزلت من تحتك، وأمطرت مكارهها من فوقك، فسمعت الأفلاك تنشدك فى ذاك :

لا أنت أنت ولا الديار ديار . خفّ الهوى وتولت الأوطار

إن هذا الإنسان، وإن طاول الكيوان[٣]، فليس يصحبه منها غير ستره تحت حفرة . فإن اكتسب فيها الذكر الجميل، أحرز هنالك الأجر الجزيل . وإن زرع العدل والإحسان، حصد الروح والريحان . ثم إن صاحب المنجل كناية عن الأجل يحصدنا كحصد النبات، فيأتى على البنين والبنات، سواء فى مكروهه الشيب والشبان، والفروع والأغصان . قال : فلما رأى منوجهر استخراجه لتلك الرموز الخفية والأسرار[٤] المبهمة تهلل مستبشرا وارتاح مبتهجا، وجلس فى مجلس عظيم قد فرش بالديباج والحرير، وطيب بالمسك والعبير . ودعا بدستان وسائر القواد . وتعاطوا كئوس الرحيق . فلما تورّدت وجناتهم، وتمشت فى مفاصلهم نشواتهم، قاموا متمايلين الى مضاربهم . ولما أصبح زال عاود الخدمة واستأذن الملك فى عوده الى أبيه . وذكر أنه قد برّحت به اليه الأشواق، واستنفد صبره الفراق . فقال له الملك تلبث عندنا هذا اليوم . فمازحه وقال إن الذى يزعجك حب ابنة مهراب، والنار تأبى إلا الالتهاب . فأمر العسكر فلبسوا السلاح، وجردوا الصفاح، واعتقلوا الرماح . وبرزوا الى الميدان، يتلاعبون بالسيف والسنان، ويتساجلون فى الضراب والطعان . قد نصبوا الأغراض، وتعاطوا التوتير والإنباض . فمسح زال معاطف قوسه وأطلق نشابة نحو شجرة عظيمة كانت بين يديه فمرقت منها . ثم أتبعها بأخرى راكضا[٥] فرسه فنفذت فيها[٦] كمثل الأولى . ثم اصطف العسكر من الجانبين وزحف بعضهم الى بعض يواترون بين طعن وضرب . وكان زال مطلا عليهم ينظر اليهم .

(١) طا : فانه . (٢) كو : أسجاف . (٣) ك : كيوان . (٤) ك، طا : الاشارات
(٥) ك : راكبا . (٦) أصل : فيه . والتصحيح من ك .

فرأى فيهم فارسا يغلب الأقران، ولا يتهيب السيف والسنان . فصمد صمده(١)، وقصد قصده . وأنشب فى معاقد منطقته مخالبه وقطّره عفيرا . فرفع النـاس صياحهم ، وقالوا ما من فارس مقدام تعرّض هـذا الغضنفر له إلا وأمه ثاكلة . وهيهات أن تلد الضراغم مثـله أو يلاقى(٢) الملاحم والوقائع شكله . فليهن ساما أن يخلفه هـذا البطل الجسور والليث الهصـور . وأثنى عليه منوجهر فى جميع الأمراء والقوّاد . ورجع الى الإيوان فخلع عليه خلعة تليق بمثله مضـافة الى التاج والتخت والسوار والطوق الى غير ذلك من الثياب الرفيعة، والخيول العتيقة، والغلمان الرشيقة . وأمر بأن يكتب جواب كتاب سام ، ويعلم فيه أنه قرّ عين الملك بطلعة زال ولقـائه وانشرح صدره بمحاسن آدابه . وأنه تقـدّم بإنجاح جميع مطالبـه وقضـاء مآربه . فخرج زال بالطائر الميمون ، والطالع المسعود . وقدّم فارسا الى حضرة أبيـه ليعلمه بإقباله منصرفا من حضرة الملك منوجهر ، ويبشره بمـا قابله من الإنعـام والإعظام ، وأفاض عليـه من المنن الجسام . فلمـا بلغ الخبر بذلك الى سام دبت فى معاطفـه دواعى الطرب حتى كأنمـا عاد شبابه النضير بعـد أن جالله القتير . فأرسل فارسا الى مهراب ليعلمه بالحال ويبشره بمـا أنعم به الملك منوجهر ، ويعلمـه بأنه منتظر قدوم ولده، وأنه اذا وصل بادرنا الى فنائك، واستسعدنا بلقائك . فلما بلغ الخبر بذلك الى مهراب كاد يخلع روحه على البشير ويطير من الفرح والسرور . ودعا بزوجته سين دخت وشكر سعيها وقال: إنك قد أعلقت يدك بشجرة من شجرات المجد، واتصلت بجرثومة من جراثيم الملك . فتأهبي للأضياف الكرام ، وأعدّى أسباب الإكرام والإعظام . وسلم اليها مفاتيح الخزائن، وأطلق يدها فى تلك الدفائن . فقامت ودخلت على بنتها روذابه ، وبشرتها بعلو جدّها وسعادة طالعها . فدعت لها بطول البقاء، ودوام المجد والسناء . وقالت: سأجعل تراب قدمك على مفرق رأسى إكليلا، وأتخـذ من رأيك الى جميع السعادات هاديا ودليلا . قال : فأقبلت سين دُخت تزين الدور، وتنجد القصور . فزينت(٣) مجلسا مذهبا وفرشت فيه بساطا منسوجا من الذهب موشحا باللؤلؤ والزبرجد . ونصبت تختـا من العقيان مخروط القوائم من حجر البهرمان . ثم حلت الخريدة العزراء ، وجلتها على ذلك التخت كأنها الشمس فى كبد السماء ، موشحـة بقلائد الجوزاء . وسـدلت دونها الحجب وأرخت السجف . ثم أمرت فزينوا جميع البـلد بموشيات المطارف، ومستحسنات الرفارف . وجللوا ظهور الفيـلة بالحرير والديبـاج، ووضعوا على كواهلها أسرة العاج لتركبها القيان المحسنات ، والجوارى المسمعات . واشرأبوا لاستقبال الملكين ، وطلوع النيرين، مترصدين للانتظار ، طامحين نحو الطريق بالأبصار .

(١) ك : فأصمد . (٢) ك طا : تلاقى . (٣) ك : فرتبت

ذكر رجوع زال الى أبيه ونهوضهما الى كابل للعرس

قال فانصرف زال من حضرة الملك منوجهر يسوق مستعجلا كالطير فى الهواء، والسفينة على وجه الماء . فلم يشعر به أحد حتى طلع على أبيه . فلما رآه وثب اليه فعانقه، ثم أهوى زال يقبل الأرض . وعاد سام الى تخته فتسنمه . وطفق ابنه يحكى لديه ما أنعم به الملك عليه، وأسدى من عوارفه اليه . وحكى له أبوه قدوم سين دُخت عليه فى طلب المصالحة والمسالمة، ومسارعته الى تحقيق مطالبها، ومبادرته الى محالفتها ومصافقتها، ومواعدته العزم على النهوض الى كابل لاجتماع القمرين، واقتران السعدين . فلما سمع دستان ذلك توردت بشرته، وتهللت أسرّته من فرط الفرح والسرور . (١٩)
فبيناهم فى ذلك اذ وصل رسول من كابل يذكر أن مهراب ينتظر قدوم سام ودستان . ويترقب[(1)] تجشمهما النهوض اليه . فأمر سام بالرحيل وقدم راكبا الى مهراب يعلمه بوصول دستان من حضرة الملك وأنهما آخذان فى الركوب اليه والقدوم عليه . فخرج مهراب لاستقبالها وأمر بشدّ الكوسات والطبول على مناكب الفيول، وركوب العساكر فى موشعات الملابس، ونشر عذبات الرايات والأعلام، وخروج القيان والمغانى بالمزاهر والمعازف . قال : فلما طلعت رايات سام ترجل مهراب إعظاما لقدره وإجلالا لمحله . فعانقه سام وجعل يسأله ملاطفا ويساره مفاكها، ومهراب يقابله بالثناء والدعاء . فركب يسايره، ودستان يسير قدّامه كالهلال ليلة العيد يشار اليه بالأصابع، ويرمى نحوه بالنواظر . حتى انتهوا الى كابل فرأوا الأرض تطن بخفق الطبول ونقرات[(2)] السرور . واستقبلهم أهل البلد راكبين قد ضمخوا أعراف الخيول بالمسك الأذفر، وخلّقوا سبائبها بالزعفران والعنبر . وخرجت سين دخت ومعها ثلثمائة وصيفة كدرارى الشهب، على يد كل واحدة جام من الذهب نضدت عليه قطع الياقوت وحبات اللآلئ . فلما رأت ساما وولده أمرتهن فنثرن تلك الجواهر تحت سنابك الخيل . وكثر نثر الدراهم والدنانير يمنة ويسرة حتى خيل للرائين ان السماء تمطر على تلك المواكب زهر الكواكب . وقال سام فى خلال ذلك لسين دخت : ألم يأن أن تقرّ ألحاظنا بالخريدة العربية، وتكتحل أحداقنا بالعقيلة الكابلية ؟ فأجابته ضاحكة وقالت : إن أحببت أن ترى الشمس المنيرة فأين التحفة والهدية ؟ فلاطفها سام وقال : كل ما أملكه من صامت وناطق نثار لقدمك وفداء لخدمك . فنزلوا ورفعت دونهم الأستار والكلل حتى دخلوا الايوان المذهب، والمجلس[(3)] المنجد . فرأى سام روذابه فوق تلك المنصة متجلية كالشمس البازغة . فبهت لرونق جمالها وقضى العجب من حسنها وكمالها . وأمر مهراب فتقدّم وعقدوا العقد على عادتهم المألوفة وسنتهم المعهودة .

(١) ك طا : ويرتقب . (٢) ك طا : نعرات . (٣) ك : المنضد المنجد .

ثم أخذوا بيد زال وأقعدوه بجنب صاحبته، ونثروا على سريرهما المنجّد أطباق الياقوت والزبرجد. وكانت (١) تلك الليلة من الليالى الزهر، ومن حسنات الدهر. وكأنها التى عناها مترجم الكتّاب بقوله :

فيا ليلة فيها السماء تبرجت * سرورا ككود فرعها فاحم جثل (٢)
وقد جلت الاكليل جبهتها لنا * بكف خضيب والهلال لها حجل
وقد أشعلت زهر النجوم أمامها * مشاعل منها أشرق الحزن والسهل
زفاف به السعد ان فى فلك العلى * قداجتمعا. لا فض بينهما الشمل

قال فجاءوا بنسخة تفصيل الجهاز للعرض، فأفصحت بذكر نفائس لم تر مثلها عين ولا سمعت بها أذن. وأقاموا بكابل ثلاثة أسابيع لا يفيقون من نشوات الأفراح، ولا يقصرون عن معاطاة الأكواب والأقداح. ثم عزم (٣) سام على الارتحال خارجا نحو سجستان. فتوجه اليها وأمر زال بإعداد العماريات وتهيئة المهود والهوادج، واتبعه مستصحبا صاحبته ومهراب وزوجته، وارتحلوا من سجستان جميعا قاصدين قصد نيم روز فقدموها. وأقام سام بضيافتهم ثلاثة أيام. ثم استأذن مهراب ورحل راجعا الى كابل خطة ملكه ومقر عزه. وأقامت سين دخت عند ابنتها ✻ وأما سام فانه جعل تلك الممالك برسم ابنه دستان. وأقعده على سرير ملكه، وأقامه مقام نفسه. وترحل عنها نحو كركساران ونواحى مازَنْدَران ليتخذها دارا ويتبوأها قرارا.

ذكر ولادة رستم بن دستان

قال : فلم يمض إلا قليل حتى حملت روذابه وتناوش شخصها النحول، ومس ورد وجنتيها الذبول. وكانت أمها سين دخت تسايلها عما تقاسيه من الحبل ووصبه، وتعانيه من الوحم ونصبه. فكانت تخبرها بما تجده من الآلام ويزعجها من الأوجاع. وكانت لا تنام بالليل (٤) ولا تهدأ بالنهار. كأن جلدها حشى بالجندل والحديد أو بالصرفان الشديد. فلما انتهت مدّة حملها، ودنت ساعة وضعها غشى عليها فشهقت سين دُخت وخمشت خدّها، ونتفت شعرها. ودب فى وصائفها الأنين والنحيب، وشملهن البكاء والعويل. وأعلم بالحال زال فجاء بقلب محترق، ودمع مندفق. فبيناهم كذلك متلددين بين اليأس والأمل، متردّدين بين الرجاء والوجل إذ ذكر زال ريشة العنقاء التى أعطتها إياه على ما سبق ذكره. فبشر بذلك سين دخت، ودعا بمجمر فأحرق بعضها فاذا بالسماء كأنها قد تغيمت، وبالآفاق كأنها أظلمت، وبالعنقاء

(١) لك طا : فكانت. (٢) كو : الأبيات (لا). (٣) لك : وعزم. (٤) لك : الليـــل.

قد أقبلت بالطائر الميمون كسحابة شآبيبها قصب[1] المرجان، أو روضة شقائقها من العقيان. ولما دنت خرّ زال ساجدا يقبل الأرض ويذرى الدمع . فنادته العنقاء وبشرته بسلامة صاحبته، وأنكرت عليه الجزع، وقالت حاش لعيون الأسود أن تنضح برشاش المدامع ، ومعاذا لمناكب الأطواد أن تتزلزل بالرياح الزعازع . إنه سيصحر من أجمة هذه اللبؤة شبل أغلب، تقبل سود الأسود مواطئ قدميه، ولا يجترئ السحاب المكفهر أن يمرّ عليه . تنشقق جلود النمور دون غرار هيبته ، وتستل بأنيابها مخالبها مخافة سطوته . ثم قالت تأخذ بإذن الله تعالى حديدة حادة (أ) وتدفعها الى آس حاذق أحذ يد القميص (ب) ويعل الحاملة بأرطال من سلاف العقار حتى يملك السكر عنان حواسها . ثم يشق الحكيم بتلك الحديدة خاصرتها ويستخرج منها الولد . ثم يخيط الشق ويرتق الفتق . ثم يؤخذ[2] حشيشة كذا وكذا، وتدق بلبن ومسك، وتجفف فى الظل وتسحق . ثم تذر على موضع الشق . وتمر
٢٠ عليه ريشة من جناحى الميمون . فهنالك يسهل جميع الحزون . ولا تستهولن ذلك، وأطلق لسانك بشكر الله تعالى حيث آتاك شجرة ناضرة تثمر لك كل يوم ثمرة يانعة . ثم نزعت ريشة من جناحها ورمت بها اليه وطارت فى السماء، وحلقت نحو تلك القلة الشماء . فبادر زال الى تلك الريشة وأخذها، وأعدّ جميع ما أشارت به العنقاء من الأدوية. والخلق مجتمعون يقضون العجب من تلك الحالة . ثم جاءوا بموبذ خفيف اليد أحذق أهل زمانه فى صناعته . فسق روذابه من المدام الصرف أقداحا حتى سكرت وخرت صعقة لم تحس بشيء . فاستل تلك الحديدة وشق خاصرتها ثم استخرج منها بخفة وسرعة يد ولدا لم ير مثله قط. قد صوّره الله تعالى على خلقة تعجب العيون وتروق القلوب. وبقيت أمه على حالها مغشيا عليها يوما وليلة . ثم أفاقت بعد ذلك فنثروا عليها الذهب والجوهر ودعوا الله تعالى وحمدوه على ما أسدى اليهم . ثم قدّموا الطفل اليها كأنه ابن عشر سنين . فلما رأته تبسمت ضاحكة وقالت برستم[3] أى قد خلصت. فسمى الصبى "رُستم" . قال: نخاطوا على قدّ ذلك الطفل العزيز[4] تمثالا من الحرير وحشوه بوبر السمور . وصوّروا وجهه كصورة الشمس . وركبوا عليه[5] أعضادا كأنها الثعابين . وجعلوا له أظافير كبراثن الأسود . وشغلوا إحدى يديه بالجرز مرفوعا الى كاهله، والأخرى بعنان فرس أركبوه عليه محفوفا بخدم مكنوفا[6] بخول وحشم . وأثاروا هجينا ونفذوا التمثال الى سام . قال : وبلغ الخبر الى مهراب فاستهز الطرب أعطافه، وكساه السرور أفوافه. واتخذ الناس من أوّل أراضى كابل الى آخر حدود زاول تلك الأيام أعيادا[7]، مواسم سرور وفرح

(أ) الشاهنامه : خنجر . (ب) عبارة (أحذ يد القميص) زيادة من المترجم .

(١) كو: قضب . (٢) طا : تؤخذ . (٣) ك، كو: رستم . (٤) ك : الغرير . (٥) فى الأصل : عليها . والتصحيح من طا . (٦) ك، كو طا : ومكنوفا . (٧) كو : أعيادا للسرر ومواسم للفرح والحبور .

وحبور . يواصلون بين الصبوح والغبوق، ويفيضون(١) سيول الرحيق فى أودية العروق . لا يفيقون من قصف ، ولا ينفكون من عسف وعزف . ولما جاء المبشر بذلك التمثال الى سام ووقع بصره عليه قامت شعرات بدنه حين رآه(٢) على صورته وشكله . وأمر بإفاضة الدراهم ونثرها على المبشر حتى كاد ينغمر فيها شخصه . ثم أمر بضرب البشائر وركوب العساكر للتطارد فى الميدان، والتلاعب بالسيف والسنان . وأمر الكاتب أن يجيب عن كتاب زال مفتتحا كتابه بحمد الله عز وجل قائلا فيه لزال : إنى كثيرا ما ابتهلت الى الله تعالى وتضرعت اليه أسأله أن يقرّ عينى بشبل يصحر عن غيلك، على صورتى التى جبلنى عليها . فالحمد لله على قضاء الحاجة وإنجاح الطلبة . ولا أسأله سبحانه إلا أن يطيل بقاءه، ويسهل الى معارج العلوّ ارتقاءه . قال : وكانت له عشر مرضعات يمتص نخب ألبانهن حتى ترعرع . ولما بلغ ثمانى سنين صار كالنخل الباسق ، والكوكب الدرىّ فى الظلام الغاسق ، يحكى فى بهاء المنظر ، ورشاقة القد، وأبهة الجلالة جده ساما . وكان لا يحمله مركوب غير الفيل لضخامة جثته وعبالة أكتافه . وجاء الخبر الى سام بأنه قد ترعرع وراهق . فاشتاق الى لقائه وأقبل نحو زابلستان . فلما أحس(٣) بمقدمه زال ركب مع مهراب، وأمر بركوب العساكر للاستقبال . وشدّت الكوسات على كواهل الأفيال . وقدّموا فيلا عظيما، وشدّوا على ظهره تختا من الذهب . وجلس عليه رستم مشرفا على الناس معصوب الرأس بالتاج مشدود الوسط بالمنطقة ، فى يده قوس ونشاب . فلما طلعت رايات سام من بعيد اصطفت العساكر سماطين . فترجل زال ومهراب والأمراء والقوّاد ووضعوا جباههم على الأرض برسم الخدمة . ثم أطلقوا ألسنة الإخلاص بالثناء والدعاء . وتهلل وجه سام حين وقع نظره على رستم . وأمر فقرب منه الفيل الذى هو راكبه فرآه على تلك الهيئة . فأثنى على الله تعالى، ودعا له بالبقاء . ففتح رستم لسانه بالثناء عليه وقال : إنما أنا فرع أنتمى الى جرثومة جلالك ، وأتقيل شمائلك فى جميع أحوالك . ولعل الله تعالى حين صوّرنى على صورتك يمدّ أعضادى بمثل قوتك . ثم نزل عن ظهر الفيل . وأكب عليه سام يقبل رأسه وعينيه ، ويعوذه بالله عز وجل . ثم توجهوا جميعا نحو كورابذ يتفاكهون فى الطريق بصدور منشرحة وقلوب مرتاحة وأقاموا بها شهرا كاملا لا شغل لهم غير اللهو والطرب، ولا نديم لهم سوى ابن الغمام وابنة العنب . وكان سام لا يقبض عنان طرفه عن رستم وشمائله ، ويقول لزال لوسايلت مائة من القرون لم تسمع بولد استخرج عن خاصرة أمه كما استخرج هذا . وطفق يشكر العنقاء ويحمد الله عز وجل إذ ألهمها صنيعها ذلك . فاندفعوا فى شرب المدام الى أن أفرغت الكئوس ، وشرقت بالخندريس

(١) ك : ويفيضون — العروق (لا) . (٢) ك، كوطا : وجده . (٣) ك طا : زال بمقدمه .

النفوس . وطفق مهراب فى غمار سكره يقول : لا أبالى بعد يومى هــذا بزال ، ولا أتفكر فى سام ، ولا يهمنى هم الملك المتوج . أذا(١) برزت مع رستم الى الميدان وتطاردنا مع الفرسان اضطرب لمهابتنا الخافقان . وسأحيى دولة الضحاك ، وأضرب خيم العــز على الأفلاك . ثم عزم سام على الرحيــل فارتحل وخرج فى ركابه رستم وأبوه برسم الوداع مرحلتين . فأقبــل سام على زال وأوصاه بالعــدل والاحسان ، وطاعة السلطان ، ومتابعة الرأى والعقل ، ومخالفة النفس الأمارة بالسوء ، وسلوك سبيل الحق ، والتنكب عن طريق الشر . ثم قال له : إياك والإخلال بشىء من هذه الوصية . واعلم أن نفسى تحدثنى بأن مقامى ليس يطول فى دار الدنيا ، وكأنى قد شارفت الارتحــال . ثم ودع ولديه وركب . فشيعاه مرحلتين أخريين ورجعا . وانطلق سام متوجها (نحو مستقره)(٢) .

§ ذكر آخر أمر منوجهر

ثم إن منوچهر لمــا أناف على مائة وعشرين ســنة دنت وفاته ، وجاءه المنجمون ونعوا اليه نفسه ، وأنذروه بتقارب أجله ، وانتهاء عمره . فجمع الموابذة والهرابذة والأمراء والقواد ، ودعا بولده

---

§ حذف المترجم هنا فصلين : الأول قتل رستم الفيل الأبيض . وذلك أنه كان لزال فيل عظيم أبيض . فهاج ليلة وقطع سلاسله وانطلق صائلا . فلم يجرؤ أحد على التعرض له . واستيقظ رستم فأخذ مقمعة جده سام . وخرج الى الفيل وقمعه على رأسه فقضى عليه ثم رجع الى فراشه .

والثانى : فتح رستم الحصن الأبيض . وذلك أن زالا حين رأى من ابنه القوة والشجاعة أخبره أن على الجبــل الأبيض قلعة شاهقة علوها أربعة فراسخ . فيها من المياه والأشجار وكنوز الذهب ما لا يحصى . وأن جده نريمان ذهب اليها بأمر أفريدون فحاصرها أكثر من ســنة ولم ينل منها . ثم ألقى المحاصرون عليــه حجرا فقتلوه . وذهب اليها سام بن نريمان فحاصرها ســنين ثم رجع خائبا . وقال زال لرستم : ان الملح أندر شىء هناك ، وأشار عليــه أن يذهب اليهــا فى زى تاجر ملح ويحتال حتى يدخلها . فدخلها رستم فى نفر قليــل بهذه الحيلة . ولمــا جن الليل ثار فى القلعة فقتل أهلها . وعثر على كنز عظيم فكتب الى أبيه زال فأرسل اليه آلافا من الإبل فحملها رستم من الذهب والجواهر والملابس . ثم أضرم النار فى القلعة .

ويرى السير ملكولم (Sir Malcolm) أن هذا الحصن الموصوف فى الشاه هو الحصن الأبيض فى ولاية فارس على ستة وسبعين ميلا الى الشمال الغربى من شيراز(٣) .

---

(١) طا : انى اذا . (٢) ما بين القوسين من ك ، طا . (٣) أنظر تاريخ إيران لملكولم (Malcolm) ج ١ ص ١٩

نوذر فوعظه ونصحه، وقال له : إن العاقل لا يغتر بالأمر والنهى، ولا يثق بهذا التـاج والتخت . فإنى قد[١] نيفت على المـائة والعشرين أعالج الخطوب، وأمارس الحروب . ونالتنى سعادة الملك أفريدون، وتوصلت إلى أن أدركت ثار إيرج وانتقمت له من سلم وتور، وطهرت العالم من العبث والفساد، وشيدت الدور والقصور، وعمرت المدن والبلاد . وهأنا الآن كأنى لم أكن من أهل الدنيا وقاطنيها . (٢١) وإنى مسلم إليك التاج والتخت كما سلمهما إلىّ أفريدون . وكأنى بك قد[٢] خلعت ما تلبسه من ذلك . فاجهد[٣] ألا يتبعك من بعدك سوى الذكر الجميـل . وستتجدّد عن قليـل نبوّة فيبعث الله عز وجل موسى نبيـا بناحية المغـرب . فصدّقه وآمن به ولا تحيدن عن طاعته . وتنكب سبيل[٤] مخالفته (أ) . وسيخرج من الترك عسكر عظيم يملكون هذه الديار . فعليك بالصبر فإن أمامك أمورا عظاما وخطوبا صعابا . وستلقى من ابن بشنك معضلة لا تبقى ولا تذر، وداهيـة يضيق بها عليك المورد والمصدر . فاذا أناخ عليـك الزمان بكلكله فاستعن[٥] بسام وولده . واعلم أن هـذا الغصن الذى تفرّع الآن من دوحة زال سيدوّخ بلاد الترك ويتوغل ديارهم، ويطلب بثارك وينتقم لك . فلمـا فرغ من مقالته هذه جرت دموعه على وجهـه، ووقع البكاء والشهيق على ولده . فتنفس منوجهر وغمض عينيـه، وفاضت نفسه من غير مرض ولا وصب . ومضى لسبيله حميد الأثر مرضى السير[٦]، مشكور الورد والصدر[٧] . وكانت مدّة ملكه مائة وعشرين سنة[٨] .

٨ — ذكر نوبة نوذر والوقائع التى جرت فى عهده

قال صاحب الكتاب : لمـا فرغ نوذر من عزاء أبيه ومأتمه تسنم سرير الملك، وأفاض الأرزاق على العسكر خاصة وعلى سائر الخول والخدم عامّة . ولم يكن يهتـدى الى مسالك العدل والاحسان،

---

٨ — نوذر

هنا يضطرب نسق الأساطير، وتختلف الروايات فى سـياق الملوك . فلا يذكر نوذر بين الملوك البيشداديين فى الطبرى والمسعودى وفارس نامه وتاريخ حمزة الأصفهانى ؛ بعضهم يذكر زوبن=

(أ) الأبيات التى فيها البشارة بنبي ناقصة فى بعض النسـخ . والنسخ التى تثبتها تختلف فى كلمة "موسى" فالنسخ التى كتبها البارسيون تضع "موبد" مكان "موسى" وأكثر النسـخ التى كتبها المسلمون تثبت "موسى" مكان "موبد" وكذلك يثبت البارسيون هنا أبياتا كثيرة فيها إخبار عن محمد صلوات الله عليه . انظر مول (Mohl) ج ١ ص ٣٧٩، وورنر (Warner) ج ١ ص ٣٣٦، والشاهنامه ط تبريز . آخر فصل منوچهر .

(١) لك، كوطا : وأنى . (٢) لك، كوطا : وقد . (٣) لك : فاجتهد . (٤) لك طا : سبل

(٥) طا : فاستغث . (٦) لك : الفعل والسير . (٧) كو — ز : (وقال غير صاحب الكتاب : ومن آثار منوجهر فى الأرض نوبهار بلخ ومدينة الرى ووادى الفرات) . (٨) لك، كوطا : والله تعالى أعلم .

ولا يتوفر على تمهيد قواعد الأمن والأمان . فلم يمض إلا قليل حتى خالف سنة أبيه، وطوى بساط الرأفة والمعدلة، وأطال يد الظلم على الرعيـة . وصار لا يهتم إلا بجمع النشب، ولا يشتغل إلا باللهـو واللعب . وكان يخاشن الموابذة والقواد، ويجفو الأمراء والأجنـاد . فتزلزلت قواعد ملكه، وتبـدّد نظام شمله، وتحزبت جموعه، وخرجت عليـه جنوده . فكتب الى سام، وكان بسكسار مازندران، كتابا يتضرع فيه اليه، ويستغيث به، ويعلمه أن السيل قد بلغ الزبى ، وأن الملك آذن بالانصرام ، وأنه إن لم يسل سيفه ويتلاف الأمر(١) ذهب التاج والتخت. فلمـا وصل الكتاب إليه رحل متوجها نحو دار الملك فى عساكر تملأ البر والبحر، وتطبق الحزن والسهل . فلما سمع بإقباله الإيرانيـة أقبلوا إليه مطاوعين، وتلقاه منهـم الأمراء والأكابر مبادرين ومشايعين . وشكوا إليه سـيرة الملك وسوء صنيعه بالرعية ، وما حدث فى زمانه من خراب العـالم . وسألوه أن يتقلد السلطنة بنفسه ، ويتلافى الخلل . ووعدوه بالانقياد والاتباع، وموازرته على التقدّم بالاجتماع(٢) . فقال : أنى يستحسن الرب تعالى وتقدّس أن يكون مثل نوذر الذى هو من هذا البيت الكريم قاعدا على سرير الملك وأنا أتعرض للتاج والتخت؟ ومن يجترئ أن ينطق بهـذا المحال، أو يسمع بهذا المقـال ؟ ولو لم يخلف الملك منوجهر غير ابنة لكان من الواجب أن تجلس على التخت(٣) وتعتصب بالتـاج ، وألا يكون لى فى خدمتها مقرّ

= طهماسب الآتى ذكره — بعد منوچهر، ومنهم من يضع اسما مكان نوذر(٤). وهـٰا كذلك تختفى الصلة بين أساطير إيران وأساطير الهند فلا يمكن إرجاع نوذر الى ماقبل الأبستاق(٥) .

ونوذر كذلك أوّل ملك خائر من البيشداديين . ويرى القارئ أن ابنيه طوسا وكُستَهَم لا يصلحان لخلافة أبيهما فيعدل عنهما الى زو بن طهماسب .

والأبستاق تذكر نوذر (نُوتَرا) والنوذريين : ففى أبان يست أثناء الكلام عن " أردفى سورا أناهِتا " أن أسرة نوذر عبدوها وسألوها أن تمنحهم الخيـل السريعة . فصار فِستاسپه النوذرى صاحب أسرع الخيل فى هذه الأقاليم . وفى مواضع أخرى يذكر النوذريون أصحاب الخيل السريعة، والتورانيون يعدون خلف " أشى ڤنجهى " (آلهة الغنى والسعادة(٦)) . ونجد أيضا أن هُتاوُسا، من أخوة كثيرة من بيت نوذر، تقرب قربانا لبعض الآلهة وتسأله أن تكون معززة محبوبة مقبولة فى بيت الملك ڤستاسپه(٧) .

(١) صل : يتلافى . (٢) طا : بالاجماع . (٣) لك، كوطا : على سرير الملك وتعتصب بتاج السلطنة .
(٤) هو فى فارس نامه "شهريامان" حفيد نوذر وفى مروج الذهب سهم بن أبان حفيد نوذر . (٥) ورنر (Warner) مقدمة فصل نوذر .
(٦) ج ٢ ص ٧٦ و ٧٧ و ٢٨٠ و ٢٨١ (٧) ج ٢ ص ٢٥٧

غير تراب عتبتها . وهذا الملك ، وإن مال قليلا عن منهج الصواب ، وحاد عن سنن السداد فليس بصلب طبع حتى يصعب صقاله . وقد يميل الغصن الرطيب فيسرع اعتداله . وسوف أردّه الى الطريقة المرضية ، والسيرة الحميدة . فعاودوا ما كنتم عليه من الطاعة ، واستروا ما صدر منكم بالتوبة والندامة . فإن مخالفة الملوك نار فى الآجل ، وعار فى العاجل . فلما سمعوا ذلك منه ندموا على ما بدر منهم من المخالفة ، ورجعوا الى مسلك الطواعية . فاستتبت الأمور بيمن نقيبته[1] ، وعادت الى أحسن ما كانت عليه من قبل . وبادرت الأمراء والقوّاد الى خدمة الملك نوذر ، وأهووا الى الأرض وسألوه العفو والصفح[2] . ثم إن ساما لما أصلح الفاسد ، ولم الشعث استأذن الملك فى عوده الى مستقره . فسمح له بالإذن ، وأفاض عليه خلعة رائقة تشتمل على التاج والتخت والخاتم والطوق مشفوعة بالخيل العتاق والغلمان الرشاق . فعاد الى مقرّ عزه ، ومبوّأ مجده . ودارت أفلاك السعادة برهة لنوذر الى أن كشرت له[3] عن أنياب الشر ، وأناخت عليه بكلكل الإذلال والقهر . على ما سيأتى ذكره إن شاء الله تعالى .

= وأما طوس فيذكر فى الأبستاق باسم طُسا ويوصف بأنه محارب مقدام : "سألها بركة قائلا امنحينى هذه أيتها الطيبة الخيرى " أردفى سورا أناهتا " لعلى أقهر الشجعان أبناء فاِسكا فى حصن خِشَتْر ـ ساكا الذى يبدو رفيعا على كنغا المقدس الشامخ ولعلى أحطم من التورانيين خمسيناتهم ومئاتهم ، مئاتهم وآلافهم ، آلافهم وعشرات آلافهم ، عشرات آلافهم وعشرات عشرات[4] آلافهم" .

ويذكر آخر من أبناء نوذر اسمه فِستَورا . يقرب الى أردفى أيضا على شاطئ نهر ويسألها أن تمنحه طريقا يبسا ، بما حطم من عباد الشيطان عداد شعر رأسه . فأسرعت إليه الإلهة وفرقت له النهر فاجتاز . فيظن أن ابن نوذر هذا هو الذى يذكر فى الشاهنامه باسم گُستَهم[5] .

وفى هذا الفصل من الشاهنامه تعود الحرب بين أبناء أفريدون : ملك الايرانيين نوذر بن منوچهر سبط إيرج بن أفريدون ، وملك التورانيين پشنك الذى ينتهى نسبه الى تور أو طوج ابن أفريدون . وبطل التورانيين فى هذه الوقائع والتى تليها حتى آخر عهد كيكاوس هو أفراسياب ابن پشنك . وذلك زهاء مائتين وسبعين عاما فى تاريخ الشاهنامه . ويقول بعض المؤرخين أن أفراسياب ملك ٢٠٠ سنة ، وبعضهم أنه ملك[6] قرابة ٤٠٠ سنة . =

(١) لـ ، كو طا : نقيبة سام . (٢) كو : ز (فعفا عنهم وغمرلهم وأقال عثرتهم) . (٣) كو : له النوائب . (٤) ج ٢ ص ٦٦ و ٦٧ (٥) أفستاج ٢ ص ٧١ و ٢٠٦ (٦) أفستا ، ج ٢ ص ٦٤ حاشية ١ ، الغرر ص ١٣٧

ذكر اطلاع بشنك (أ) على وفاة منوجهر وما حدث بعد ذلك

قال : وسارت الركبان بالخبر الى توران بموت منوجهر وتزلزل قواعد الملك فى تلك المملكة بسوء تدبير ابنه نوذر، وضعف رأيه، وخور عقله . فلما سمع بذلك(١) بشنك ملك الترك طمع فى الإيرانية، والاستيلاء على ملكهم . فأحضر أمراءه وقواده وأعيان دولته وخواصه ، مثل اخواست (ب) وكرسيوز وبارمان وكلباذ (ح) ، ودعا بزعيم عسكره وقائد جيشه ويسه . وأحضر ابنه أفراسياب، وكان بهلوان دولته . فأجرى ذكر آبائه وأعمامه كتور وسلم، وذكر ما جرى عليهم من الإيرانية من القتل والفتك . وقال إن هذا يوم الانتقام . فلا بد من توغل تلك الديار لإدراك الثار . فتضرم أفراسياب وأخذته الحمية . وقال : أنا أتقلد هذا الأمر . فأمر بشنك العساكر بالاجتماع والاستعداد . فأتاه ابنه أغريرث واجما متفكرا وقال : أيها الملك . لا تشرع فى هذا الأمر إلا عن حزم . واعلم أن منوجهر وإن مات فان بهلوان عسكره هو سام بن نريمان ومعه قارن وكشتاسب الى غيرهما من هؤلاء الأمراء الكبار، وأسود النضال ، وفرسان القتال . وأنت تعلم ما جرى

= وأفراسياب هذا عند الايرانيين أحد الأرواح الشريرة الثلاثة التى أصابت إيران بأعظم الكوارث . والآخران الضحاك الذى تقدّم ذكره، واسكندر المقدونى الذى يسمونه "اللعين" . ولأفراسياب أخ خيّر اسمه أغريرث يرى القارئ فى هذا الفصل ما أسداه الى الايرانيين . وأخ آخر شرير إسمه كرسيوز سيأتى ذكره .

ويقوم بجانب أفراسياب أسرة من الأبطال مكانها فى توران كمكان أسرة سام المتقدّم ذكرها فى إيران . وهى أسرة ويسه أخى پشنك . وأعظمها وخيرها پيران، كما يتبين من الفصول الآتية .

وأفراسياب وأغريرث وأسرة ويسه يذكرون فى الأساطير الدينية :

ففى الأبستاق أن فرنكرسينا (أفراسياب) التورانى السفاح قرب الى بعض الآلهة (أردفى سورا أناهيتا) فى مغارة تحت الأرض، بمائة حصان وألف ثور وعشرة آلاف حمل، سائلا أن تؤيده حتى يظفر بالمجد الذى يموج فى وسط بحر "فورو — كشا" والذى هو للأمة الإيرانية الخ . ولكن =

(أ) فى الشاهنامه پشنك بالباء الثقيلة والكاف الفارسية . ويعرب أحيانا بالجيم "بشنج" وأخرى بالكاف كما هنا . وقد تحوّل الباء فاء فقد ذكر فى فارس نامه "فاشن" . (ب) اخواست غير مذكور فى الشاه . يذكر مكانه أغرير . (ح) بفتح الكاف كما فى فرهنك شعورى وترجمة مول . وفى ورنر بضم الكاف .

(١) طا : ذلك .

على تور وسلم من سام وسطواته . ولا يخفى عليك أن شم(ا) بن تور وإن كان[1] يزاحم بأعضاده الأطواد ، ويجدل بقوة بأسه الآساد فإنه تغافل عن إيقاد هذه النار والسعى فى إدراك ذلك الثار . والرأى ألا تحرك العرق الساكن ، ولا تثير الجمر الخامد . فقال بشنك : كل ولد ينام عن ثأر أبيه وجده ، ولم يشد وسطه للانتقام لهما فلا بد أن يكون نسبه مدخولا . وهأنا أنفذ أفراسياب إلى إيران (٣٣)
وليس لك بد من الرواح معه . فإذا طاب الهواء ، وانحسر الشتاء ، واخضرت الأودية والشعاب فخيموا على الصحراء ، وجروا العساكر الى الفضاء ، وسيروا الى آمل ، ودوخوا بحوافر خيلكم دهستان وجرجان (ب) . فإن فى هذه الخطة حارب منوجهر تورا وظفر به . فالقوهم أنتم فى ذلك الموضع ، وأثيروا فى السماء العجاج ، وأفيضوا من دمائهم الفجاج . واجهدوا أن تساعدكم السعادة فتظفركم بقارن وكشتاسب . فإنكم إن نصرتم عليهما فقد أدركتم المأمول وشفيتم الغليل .

قال فلما أقبل فصل الربيع وتيسرت المراعى فى الصحارى أقبل أفراسياب ، طالعا من الشرق فى عساكر الترك والصين . ولما قرب من جيحون بلغ الخبر بذلك الى نوذر . فتوجه نحو دهستان

= دعاءه لم يستجب[2] . وفى موضع آخر[3] تصف الأبستاق كيف حاول فرنكرسينا (أفراسياب) ثلاث مرات أن يظفر بمجد الايرانيين فى البحر . وكلما أخفق أوعد بإهلاك الحرث وتدنيس المياه .

وأغريرث يذكر فى الأبستاق باسم "أغرئرثا" ويعد من الأبرار : "نعبد روح "أغرئرثا" المقدس نصف الانسان"[4] . وتفسير "نصف الانسان" فى كتاب بندهش . حيث يقال أن أغريرث حى خالد فى أرض سوكقستان ، واسمه هناك كوپتشاه (ملك الثيران) . ونصفه الأسفل ثور والأعلى إنسان . وهو مقيم أبدا على شاطئ البحر دائبا فى العبادة ، يصب الماء المقدس الى البحر من فيه[5] . وكأن منشأ هذه الخرافة أنه تورانى خير . فلم يستحسن كتاب الأبستاق وغيرها عده خيرا كاملا فجعلوه نصف إنسان طيب . ويرى القارئ فى هذا الفصل سبب قتل أفراسياب أخاه أغريرث . وفى بندهش[6] أن أفراسياب قتله لأنه أطلق منوجهر وجيشه وهم أسارى فى جبل پدشخوار . والأبستاق تجعل الحرب بين كيخسرو وأفراسياب ، كما سيأتى ، لأجل الانتقام لسياوخش وأغريرث[7] . =

(ا) فى الشاه زادشم ملك الترك . وزادشم (بفتح الشين) اسم أبى پشنك . (ب) تعرب گرگان بالكاف الفارسية كما فى الشاه .

(١) فى الأصل "كان" بغير شرط والتصحيح من ك ، طا . (٢) ج ٢ ص ٦٤ (٣) ج ٢ ص ٣٠٠
(٤) ج ٢ ص ٢٢٢ (٥) أفستا ، ج ٢ ص ١١٤ نقلا عن بندهش ومينوخرد . (٦) أفستا ، ج ٢ ص ١١٤ حاشيه ٢ (نقلا عن بندهش) . (٧) انظر فصل كيخسرو الآتى .

فى مائة ألف وأربعين ألف فارس . وقــدّم بين يديه قارن صاحب جيشه ، وتبعه بنفسه . فلمـا وصل الى دهستان ضرب سرادق نوذر على ظاهر البـلد بين يدى الحصار، ودخل أفراسياب أرض إيران فبلغه الخبر بموت سام بن نريمان ، واشتغال ابنــه زال بعزائه . ففرح بذلك وأنهض شماساس وخزيران (ا) فى ثلثين ألفا من نخب الأتراك الى زاولستان للقاء زال ومقاتلته ،واهتبال غرته . وقصد بنفسه دهستان فى أربعمائة ألف فارس . وحين وصل اليها ضرب سرادقه قبالة سرادق نوذر . وكان بين العسكرين مسافة فرسخين . وكتب الى أبيه يخبره بقلة عدد الإيرانية ، و بموت سام ، وأنه انتهز الفرصة ونفذ العسكر الى زاولستان ، وكأنا بهم قد استولوا على أقطارها ، وجاسوا خلال ديارها . وختم الكتاب وطير به راكبا الى أبيه بشَنك . ولمـا(١) طلع النهار جاءت طلائع أفراسياب الى باب دهستان . وكان عليهم رجل من سعالى الأتراك يسمى بارمان . ثم رجع الى أفراسياب وأخبره بجميـع أحوال نوذر . فقال : أيها الملك ما هذا الإنظار فى الضرب وقد أمكن الهام سطوة العضب ؟ وإن(٢) أذنت لى دنوت من ذلك الجمع وطلبت المبارزة فأريهم نكاية باسى ، وأذيقهم شدّة مراسى . فأذن له فركب كالليث

= والأخ الثانى من أخوى أفراسياب كرسيوَز . وسيأتى ذكره فى الفصول الآتية . وفى الأبستاق أن كيخسرو قيّد فرنكرسَينا وكِرسَفَزدا (كرسيوَز) للانتقام لسياوَخش وأغريرث(٣) .

ينقطع ذكر أسرة پشنك فى الشاهنامه بعد انتهاء الحرب بين الايرانيين والتورانيين بقتل أفراسياب . و بهذا ينتهى طور من أطوار الحـرب فى الشاهنامه(٤) . وفى فارس نامه(٥) طرف من أخبار هذه الأسرة بعد قتل أفراسياب .

و يذكر ويســه فى الأبستاق باسم فائِسَكا : " قرب اليها (أردڤى) الشجعانُ أبناء فائِسَكا قربانا فى حصن خِشَــثرو ـــ سَوكا الذى يثبت عاليا على كنغا الشامخ المقدّس ، بمـائة حصان وألف ثور وعشرة آلاف حمل .

وسألوها بركة قائلين : امنحينا هذه أيتها الطيبة الخيرى أردڤى سورا أناهتا ! لعلنا نقهر المحارب المقدام تُسا . ولعلنا نحطم من الايرانيين خمسيناتهم ومئاتهم الخ " .

ولكن الآلهة لم تستجب دعاءهم(٦) . =

(ا) كذا فى نسخ الترجمة التى عندى . وفى الشاه نسخة مول : خزروان . وفى نسخة تبريز : خرزوان بتقديم الراء . وفى كتاب الغرر (ص ١٢١) خزوزان ، بزايين وضبطها مترجمه (زوتنبرج Zotenberg) خزوزان باسكان الزاى الأولى وفتح الواو .

(١) طا : قال ولما . (٢) طا ك : فأن . (٣) أفستا ، ج ٢ ص ٣٠٤ (٤) أنظر المقدمة فى حرب ايران وتوران . (٥) ص ٤٧ . (٦) ج ٢ ص ٦٨

الغضبان، ودنا ودعا الى المبارزة . فنظر قارن الى فرسان الخيل وآساد الجيش . وقال من يبرز الى هذا الأسد المقدام ؟ فما أجابه من بينهم أحد سوى أخيه قُباذ، وكان شيخا طاعنا فى السن. فغضب قارَن وتلهب وجهه، وقال : إنك قد بلغت من السن الى غاية توجب عليك أن تكف يدك عن القتال، وتقصر عن الكفاح . ومع ذلك فأنت خاصة الملك، وصاحب رأيه . فلو أصبت فى هذه المبارزة وضرجت شيبتك بالدم لانكسرت قلوب العسكر، ووقع فيهم الفشل، ودب فيهم الخور . فلم يجع فيه ذلك ، وبرز كالفحل القطم، وناوش بارمان المقاتلة من أول النهار الى وقت الزوال . يتضاربان ويتطاعنان . فوقعت[1] الدبرة على قباذ، وأصابته فى رأسه ضربة أذرته[2] عن الفرس منكوسا . فلما رأى قارن ذلك زحف بعسكره أجمع فالتقى[3] الجمعان، واستمر البأس بينهم الى أن غربت الشمس . فعطف قارن عنانه الى دهستان، وأتى حضرة الملك، وشرح لديه حال الحرب وما جرى فيها من قتل قباذ وغيره . فعزاه الملك وانكسر لذلك . فباتوا تلك الليلة . ولما أصبحوا ثار كلا الفريقين الى فضاء المعركة . فتناوشوا الحرب من أول النهار الى وقت الغروب ضربا بالصفاح وطعنا بالرماح، حتى تلاطمت أمواج الدماء، وتضايقت بجثث القتلى ساحة الغبراء . فزحف نوذر بنفسه من القلب

= وقارَن — الذى ذكر لأول مرة فى فصل أفريدون ويذكر فى هذا الفصل وما بعده الى آخر عهد كيخسرو — يسمى فى الشاهنامه قارنِ كاوه أى قارن بن كاوه . ويقول الثعالبى[4] إنه ابن كاوه الحدّاد الذى ثار على الضحاك .

وكِشواذ الذى يذكر فى هذا الفصل أبو أسرة من أبطال إيران تلى أسرة سام المتقدّم ذكرها . وسأتكلم عنها فى مقدّمة فصل كيقُباذ الآتى . ثم أسماء أخرى لاتستحق التقديم لها هنا .

ثم قصة نوذر فى الشاهنامه ستمائة وأحد عشر بيتا تقسمها هذه العناوين :

(١) جلوس نوذر على العرش . (٢) سماع پشَنك بموت منوچهر . (٣) مجىء أفراسياب الى أرض إيران . (٤) حرب بارمان وقباد وقتل قباد . (٥) حرب أفراسياب ونوذر مرة أخرى . (٦) حرب نوذر وأفراسياب المرة الثالثة . (٧) أسر أفراسياب نوذر . (٨) عثور ويسه على ابنه مقتولا . (٩) سرية شماساس وخزَروان الى زابلستان . (١٠) إنجاد زال مهرابَ . (١١) قتل نوذر بيد أفراسياب . (١٢) علم زال بموت نوذر . (١٣) قتل أغريرث بيد أخيه

(١) ك، كو، طا : حتى وقعت . (٢) ك كو : أردته . (٣) ك : فلما التقى . (٤) انظر الغرر، ص ٣٨ و ٥٣

مع عساكره وجموعه، وتنازعوا الحرب مع الأتراك حتى التفت الرماح بالرماح . وكانت تلك الزحفة على غير مقتضى الحزم لما فيها من نزق لا يليق بحال الملوك فى مثل ذلك الموقف . وعظمت النكايات على الايرانية، وظهرت مبادئ الغلبة للتورانية . فرجع كل واحد من الفريقين الى مضاربهم بعد غروب الشمس . ولما هجم الليل دعا نوذر بولديه طوس وكُستَهم ففض عليهما ختام سره، وذكر[1] ما كان أبوه أخبره به عند موته من غلبة الترك إياه . وأمرهما أن يتوجها الى صوب فارس، وينطلقا على طريق إصبهان يستصحبان الحرم والنساء وما قدرا عليه من الخزائن ، ويصيران الى جبل راوه (ا) من جبال ألبرز . وقال لعله ينجو من آل[2] أفريدون اثنان . فانى لم أسمع بمثل هذا العسكر الذى خرج الآن من الترك، وأعلم[3] أنه لا قبل لنا بهم . وأمرهما بالرحيل على وجه لا يحس به العسكر لئلا تضعف قلوبهم . ثم ودعهما وبكى حتى اخضلت محاسنه بالدموع . قال : ثم أقام الفريقان كلاهما يومين مستريحين من غير حرب وقتال . فلما كان وقت تبلج الإصباح من اليوم الثالث اضطربت الآفاق بخفق الطبول ، وصهيل الخيول . فاضطر نوذر الى الدفاع واللقاء . وكان أفراسياب قد بات ليلته تلك يعبى مقانبه ، ويرتب مياسره وميامنه . فبرزوا الى الفضاء كالبحار المتلاطمة والسيول المتراكمة . وجعل نوذر يعبى صفوفه : فجعل قارَن معه فى القلب وتليمان (ب) فى الميسرة وسابور فى الميمنة . فتدانت الصفوف وتزاحفت[4] الجموع ولم يزل القتال بينهم الى أن زالت الشمس مؤذنة بزوال دولة الايرانية . فوقعت كسرة عظيمة على الميمنة حتى تزلزلت أقدامهم ونبابهم مقامهم . وبقى سابور فى خف من أصحابه واقفا لا يبرح ، ويرد تلك الحملات الى أن قتل فى موقفه ذلك . فانكشفوا وأحجم نوذر فردّ عنانه الى دهستان ، وتحصن بالبلد . فبقى كذلك أياما يقاتل من وراء الحصار . ثم إنّ أفراسياب نفذ كُروخان بن ويسه على طريق البرية الى فارس فى طلب نساء الايرانية وذراريهم وخزائنهم وأموالهم . ولما بلغ الخبر بذلك الى قارن تضرمت نيران غيرته وجاء الى نوذر وأعلمه بذلك ، وقال الرأى أن أنهض وراءهم فأفل حدّهم ، وأذب عن الحريم . وليستقر الملك فى هذا الحصار . فإن عنده الخزائن والأموال والعساكر . فلم يستصوب نوذر ذلك، وقال لا بد لهذا الجمع من مرتب . وقد نفذنا طوسا وكستهم (ج) لكفاية هذا . وقد سبقاك الى فارس فلا حاجة الى

(ا) راوه بالراء فى نسخ الترجمة التى عندى . وفى الشاهنامه بالزاى . انظر مول (Mohl) ج ١ ص ٤٠٤ وتبريز (فصل نوذر) .

(ب) تليمان ذكر فى الشاهنامه فى عهد أفريدون المتقدّم باسم «شاه تليمان» وكان أحد المحاربين فى صفوف منوچهر حين حارب سلما وتورا . (ج) هو فى الشاه بالكاف الفارسية . وقد ضبطه فى فرهنگ شعورى وترجمة مول بفتح الهاء ، ولكن مقتضى وزن الشعر فى الشاه تسكينها أحيانا .

(١) ك : وذكر لهما . (٢) أصل : اال . (٣) ك : واعلها . (٤) ك : وتزاحمت .

نهوضك . ثم مد السماط فلما طعموا وقاموا رجع قارن الى منزله وهو لا يستصوب المقام . فركب (أ) فى عسكر عظيم وخرج من الحصار . وكان بارمان من أصحاب أفراسياب آخذا بمخنق الطريق فى جمع عظيم . فتلاقيا وتقاتلا طول الليل، وانكشفت تلك الوقعة عن قتل بارمان قاتل قُباذ. فتفرّقت جموعه وانهزم أصحابه . ومضى قارن لسبيله نحو فارس .

ذكر أسر أفراسياب لنوذر

(٣٣)

قال: فلما سمع نوذر بخروج قارن من الحصار اتخذ الليل جملا وركب فى أثره كالريح المرسلة يطلب النجاة من مخالب القضاء المبرم . فانتهى الخبر الى أفراسياب فركب فى عسكره، وطار خلفه بجناح الركض كالثعبان الصائل حتى لحقه . فتناوشوا الحرب من أوّل الليل الى طلوع الشمس . وقبض بالآخرة على نوذر، وضمه الأسر مع ألف ومائتين من أعيان الايرانية ووجوه قوادهم المذكورين. فتنكست تلك الأعلام، وتشتت ذلك الجيش اللهام . وكذا[1] عادة الأيام، ما مدّت أطناب خيرها على أحد إلا قوضتها ، ولا أبرمت حبال العز لملك إلا نقضتها . ثم فرق أفراسياب طائفة من عسكره فى طلب قارن . فلما علم بمصيره الى فارس أقبل على ويسه وقال: وطن نفسك على أن ولدك هالك فانه لا يطيق مقاومة قارن، وانهض نحوه فلعلك تلحقه . فركب ويسه قائد جيوش الترك فى عسكر عظيم وجمع كبير[2] راكضا خلف قارن . فرأى قبل وصوله اليه ابنه كروخان طريحا فى الطريق مضرجا بالدم العبيط، مع جماعة من أمراء الأتراك مجدلين فى ذلك الفضاء . وبلغ الخبر الى قارن بقصد ويسه إياه فنفذ الحرم والضبن الى نيم روز ، وركب فى عسكره . فلما خرج من نواحى فارس طلعت من يسار طريقه طلائع الخيل فاذا بأعلام ويسه قائد جيوش الترك خافقة . فاصطف الفريقان وزحف بعضهم الى بعض، وجرت بينهم ملحمة عظيمة . فانهزم ويسه وقتل من أصحابه خلق عظيم . فرجع الى أفراسياب ناكصا على عقبيه، يعض من الغيظ والندامة على يديه . قال: ولما ترجه شماساس وخزيران من عند أفراسياب نحو زاوُلستان فى عساكرهما ساروا على طريق سجستان حتى وصلوا الى هيرمَند. وكان زال قد رحل منها الى كورابذ لعزاء أبيه سام. ولم يبق فى تلك المدينة غير مهراب . فنفذ رسولا الى شماساس وانتمى الى عبودية أفراسياب، وذكر أنه من بيت الضحاك وإنما اتصل بابن سام مخافة زوال الملك. وقال : إن هذه المدينة دار ملكى ومقر عزى. ولما توفى سام وخرج زال من هذه

(أ) فى الشاه أن كبراء الجيش اجتمعوا فى منزل قارن وتشاوروا وأجمعوا على إرسال جيش الى فارس فسار قارن . فلم تكن مخالفة قارن الملك إلا باتفاق القوّاد .

(١) طا : كذى . (٢) طا : كثير .

البلاد فرحت بذلك . وليس بيني و بينه بعد هذا اليوم إلا السيف . ولا أمكنه من أن يطأ هذه الأرض. وإني أرجو الآن أن تمهلوني ريثما أنفذ رسولا الى خدمة تخت الملك أفراسياب، وأعرض عليه خلوص طويتي في صدق عبوديته، وأبعث نثارا الى حضرته، ثم اتبع أمره حتى لو أشار بالمبادرة الى خدمة التخت لسلمت اليكم هذه الممالك ونهضت على رأسي مبادرا الى حضرته، و وقفت ماثلا عند سدّته . فكفهم بهذه الحيلة عن محاربته، ونفذ رسولا الى زال يعلمه بمجيء عساكر الترك الى هيرمَند وأنه احتال عليهم بما منعهم عن مناجزته، فإن توقفت ساعة عن التوجه الى هذه الخطة لم يبق منها عين ولا أثر. قال : فلما وصل الرسول الى زال، ورأى رسوخ قدم مهراب في موافقته، وعلم صدق عزيمته على مساعدته عاود تلك البلاد كالنبل الصارد في رجال أحرجتهم[(1)] الحفيظة وأزهقتهم[(2)] الحمية . فلما اجتمع بمهراب أثنى عليه، وشكر سعيه، وحرضه على ملاقاة العدو. وقال : سأخرج هذه الليلة على هؤلاء الأتراك ليعلموا بمقدمي . فخرج في جنح الليل . فلما قرب من معسكر الأتراك رمى بثلاثة أسهم الى وسط خيامهم . فوقع فيهم الاضطراب ، وعلت منهم الأصوات . فلما أصبحوا نظروا الى تلك السهام فعلموا بقدوم زال، وفطنوا لحيلة مهراب . وأمر زال فبرزت عساكره من المدينة، وخيموا بظاهر البلد، وتأهبوا للمدافعة والممانعة ، ورفعت الكوسات على كواهل الفيول . واشتعلت[(3)] الأسود على حوارك الخيول . فازدلف الفريقان، والتقى الجمعان . وأقبل خزيران كالهزبر الكاسر على زال فعلاه بعمود كان في يده فمزق على أكتافه جواشنه . فتقدمت الفرسان الزاولية . وثنى زال عنانه، ولبس خفتانا (ا) آخر، وأقبل على خزيران رافعا على كاهله جُرزا (ب) كقطعة جبل فلم يكن سوى أن ضربه ضربة واحدة خر منها صريعا لليدين وللفم ، معفرا في التراب مضرجا بالدم . ولما فرغ من خزيران جال في العسكر يطلب شماساس فلم يظهر لمبارزته . فوقع تحت ظلام العجاج على كلباذ أحد أعيان التورانية . فرفع على رأسه الجرز ففر من بين يديه . فأخذ القوس ورماه بنشابة سمرته على سرجه . فلما رأى شماساس ذلك ولىّ هاربا ونكب عن المحاربة جانبا ، وطار بقوادم العجل، يحفزه سائق الخوف والوجل ، متوجها نحو أفراسياب في جماعة أفلتوا من مخالب المنون . وحين توسط البرية صادف قارَن راجعا من محاربة ويسه دامي الأظافر[(4)] خضيب البواتر . فعرفهم وعلم أنهم منهزمون من زاولستان فأمر بضرب الطبول وسل السيوف، وصدمهم صدمة لم ينج منها

(ا) الخفتان لباس من القطن يلبس في الحرب تحت الدرع أو فوقها (قفطان) .

(ب) الجرز : معرّب كرز بالكاف الفارسية وهو المقمعة .

(١) طا : أخرجهم الحفيظة وأرهقتهم الخ .

(٢) أرهقتهم .

(٣) كو طا : استعلت .

(٤) صل : أظفار. وطا : أظافر .

غير شماساس فى نفر قليل . فبلغ الخبر الى أفراسياب بقتل خزيران وكلباذ ، وانهزام شماساس على تلك الهيئة الفظيعة ، والكسرة الشنيعة . فتسعرت أحشاؤه حنقا ، وتقطعت كبده غيظا وحسرة ، وقال : كيف أبق نوذر حيا وقد قتل أعيان أمرائى ووجوه قوادى ؟ فأمر بإحضاره . فبادر جماعة الى الخيمة التى كان فيها محبوسا وأخرجوا ذلك الملك المتوج حاسرا حافيا يرسف فى أصفاده وقيوده . فضرب رقبته وأهوى برأسه الكريم الى الأرض . فكادت السماء هنالك تبكى دما ، وهمت الأرض أن تنشق هما وحزنا . وخلت ممالك إيران عن صاحب التخت والتاج ، وأقبلت الفتن متلاطمة الأمواج . قال صاحب الكتاب : فياصاحب العقل والإنصاف انزع أردية الحرص عن الأكتاف . وقس على هذه الأحوال أحوالك ، فكم رأى التاج والتخت أمثالك . واعلم أنك وان أسرجت لك الأفلاك ، وتطأطأ لعزك السماك ، ودعيت ملاك الرقاب لم تتوسد بالآخرة غير التراب . قال : ثم جاءوا بالأسرى الى أفراسياب يجرّون اليه . فخروا ساجدين بين يديه ، وأطلقوا ألسنتهم بطلب الأمان . فجاء أغريرث فرققه عليهم ، وتشفع اليه فى أمرهم . وقال : إن قتل هؤلاء الأسود صبرا يكون عارا يبقى أثره الى الأبد . ثم على الجملة قتل الأسرى غير مرضى عند الملوك . والأحرى أن تؤمنهم على أرواحهم ، ثم تسلمهم كذلك فى القيود الى حتى أسجنهم ، وأوكل بهم المستحفظين والحراس ، وأنفذهم الى مدينة سارى ، وأجعل محبسهم بها . فوهب لأغريرث دماءهم ، وحفظ عليهم ذماءهم . وأمر بهم فحملوا الى مدينة سارى فى الجوامع والأغلال . ولما فرغ أفراسياب من ذلك رحل من دهستان متوجها (٣٤) الى الرى .

ذكر سلطنة أفراسياب فى ممالك إيران وما جرى فى نوبته

قال[(١)] : ثم اعتصب أفراسياب بتاج الملك ، وفتح أبواب الخزائن ، وفرق الأموال على الأجناد والعساكر ، واستقر على سرير الملك . ووصل الخبر الى طوس وأخيه كستهم بأن أفراسياب قتل نوذر . فقطعوا الشعور ، وخمشوا الخدود . ووضع الأمراء على رءوسهم التراب ، ومزقوا جيوبهم ، وتوجهوا الى زاولستان قاصدين " زالا " يندبون الملك نوذر . وكأنهم بلسان حالهم يقولون :

ياصارم المجد الذى	ملئت مضاربه فلولا
ياكوكب الاحسان أعـ	ـجلك الدجى عنا أفولا
ياغارب النعم العظا	م غدوت معمودا جزيلا
لهفى على ماض قضى	ألا نرى منه بديلا
وزوال ملك لم نكن	يوما نقدر أن يزولا

(١) ك ، طا : قال صاحب الكتاب .

فقال دستان عند ذلك : حياء لسيفي عن مضاجعة القراب بعد هذا المصاب . ومعاذا أن[(١)] يكون مثواى غير صهوات الجياد ، وأن أقيل إلا فى ظلال الرماح . ثم استعدوا للانتقام ، و برزوا من ذلك المقام . وتناهى الخبر بذلك الى الأمراء المأسورين فأخذهم المقيم المقعد ، وأيسوا من الحياة . فأرسلوا الى أغريرث رسالة يثنون عليه بحفظ الذمام ، و يشكرونه على ما أسدى اليهم من الإنعام . وقالوا : من المعلوم أن زال بن سام مستقر على سرير الملك بزاولستان فى جميع أمراء الإيرانية مثل برزين وقارن وكشواد وخرّاد ، وأنهم لا يدعون ممالكهم فى يدى أفراسياب ، ولا بدّ لهم من الاجتماع والاحتشاد فى طلب المعاودة الى مساكنهم ومواطنهم . ومهما فعلوا ذلك وعلم به أفراسياب احتدم نار غضبه ، وحمله ذلك على أن يأمر بضرب رقابنا و إراقة دمائنا . فإن رأيت أن تمن علينا معاشر الأسارى بالإطلاق ، وتسترق رقابنا بالإعتاق فعلت . فقال أغريرث : أما إطلاقكم على هذا الوجه فلا سبيل اليه . فإن فيه إظهار[(٢)] معاداة أفراسياب والخروج عليه . ولكن اذا توجه زال فى عساكر إيران وقربوا من مدينة سارى لم أتعرّض لمقاتلتهم ، وخليت آمل وانحدرت الى الرى الى خدمة أفراسياب . فتخلصون[(٣)] حينئذ بغير اختيار منى ، ولا يلحقنى بذلك تبعة عند أفراسياب . فلما بلغهم ذلك من قوله خرّوا على الأرض ساجدين يشكرون الله تعالى ويحمدونه ، ويثنون على أغريرث و يمدحونه . فنفذوا راكبا الى زاولستان لإنهاء هذه الحال الى زال . وأمروه بالاستعجال والمسارعة الى إيصال هذه الرسالة حتى ينتهز الفرصة فى خلاصهم . فلما وصل الرسول أمر بإحضار الأمراء والقوّاد ، وأخبرهم بالحال . وقال : من يتكفل بهذا المهم الخطير والأمر العظيم ؟ فقام كشواد وقال : أنا أتولى هذا الأمر . فخرج فى عسكر عظيم من أعيان فرسان الايرانية ، وتوجه راكضا الى مدينة سارى . فسمع بوصولهم أغريرث فترك الأسارى كلهم فى تلك المدينة ، وركب فى جميع عساكره متوجها الى الرىّ الى أفراسياب . فنزل كشواد على سارى وأخذها وأخرج جميع الأسارى . فساروا عائدين الى زاولستان . وبلغ الخبر بذلك الى زال فسر به وأمر بإفاضة الأموال على الفقراء والمساكين شكرا لله تعالى على ذلك . ولما قربوا استقبلهم زال . وجدّدوا للملك نوذر عزاء حثوا فيه الأتربة على رءوسهم ، ومزقوا أثوابهم على نفوسهم . ثم أعدّ زال لكل واحد منهم منزلا ينزله ، وأفاض عليهم خلعا فاخرة وأموالا وافرة . قال : ولما فر أغريرث من آمل ، و بلغ الرى ، واجتمع بأفراسياب أنكر عليه فعله الذى فعل ، وكان قد بلغه ، فتنمر له وطفق يعنفه و يوبخه . وآخر ذلك أن سل عليه السيف وقدّه بنصفين . فانتهى الخبر بذلك الى زال فأجمع على قصده . وجمع الجموع ، وحشد الجيوش ، وتوجه نحو فارس فى جحافل

(١) ك ، كو ، طا : من أن . (٢) ك : اظهار (لا) . (٣) ك : فستخلصون . وطا : فتتخلصون .

جرارة . ولما علم بذلك أفراسياب نهض فى جموعه الى خوار(١) الرى . ودنا زال منه فكانت طلائع العسكرين تتلاقى والقتال يجرى بينهما سجالة كل يوم مقدار أسبوعين . ثم ان زالا بات ليلة يتفكر فى أمر الملك . فلما أصبح قال: لابد لهذا الجمع العظيم من ملك يتسنم سرير الملك، ويعتصب بتاج السلطنة حتى ينظر فى الأمور، ويكون موئلا للجمهور . وطوس وأخوه كلاهما لا يصلحان لذلك . فنظروا فى المنتسبين الى شجرة أفريدون فلم يجدوا فيهم من يصلح لذلك غير زو بن طهماسب . وكان ذا قدر وجلالة وشهامة وصرامة . فنفذ قارن وجماعة من الأمراء فى عسكر مجر ليستقدموه ويتوجوه.(١)

٩ — ذكر نوبة زو بن طهماسب وماجرى فى عهده

قال : فلما قدموا على زو أخبروه بأن زال بن سام وعساكر إيران كلهم اتفقوا على تقديمه وتتويجه. فأجاب وقدم فجلس على السرير واعتصب بالتاج . وكان كبير السن قد أناف على ثمانين سنة . فساس الرعية وأجرى الأمور على قانون العدل وطريقة السداد، وكف أيدى الظلمة وقلم أظفار الجورة . ووقع فى ذلك العهد قحط عظيم عز فيه الطعام حتى كان يقابل بالدراهم . وأمسكت السماء عنهم، وصوّح النبات، وعدمت الأقوات . وبقيت عساكر الفريقين ثمانية أشهر متقاتلين ومتقابلين على حالة واحدة . فأضعفتهم الأزمة واستغاثوا وقالوا إن الله تعالى قد أبلانا بهذا البلاء والغلاء بشؤم فعلنا فى أرضه، وسوء صنيعنا بخلقه . فترددت الرسل بين الفريقين، فاصطلحوا

---

٩ — زوّ بن طهماسپ

لم يكن فى ابنى نوذر من يصلح لخلافته، فاختار الايرانيون زوّ بن طهماسپ . ويقول الفردوسى: لم يكن طوس وكستهم ابنا نوذر متحليين بالمجد (فر) الإلهى . ويعبر الثعالبى عن هذا بقوله : «لخلوّهما من شعاع السعادة الإلهية»(٢) . على أنه يؤخذ من كتاب بُنْدَهِش أن زوّا هو ابن نوذر لا ابن طهماسپ(٣) .

وهو فى الأبستاق أُزَقَه بن طوماسپه : "نعبد روح أزقه المقدّس ابن طوماسپه"(٤) وتختلف الروايات فى اسمه بين زوّ وزاب وزاغ وراسب . وفى اسم أبيه بين طهماسب وطهماسفان وسوماسب(٥) . وينتهى نسب طهماسپ الى نوذر المتقدّم ذكره . وعجيب أن يجعل المؤرّخون بينهما=

(أ) اسم مكان . ويلفظ «خار» .

(١) كو : ويبشروه بنيله ما كان يطلبه ويرجوه . (٢) الغرر، ص ١٣١ (٣ و ٤) أفستا، ج٢ ص ٢٢ و٩٠

(٥) أنظر تاريخ حمزة، ص ١٣ و ٢٦ والغرر، ص ١٣٠ والطبرى، ج ١ ص ٢٣٥

وتهادنوا . واتفقوا على أن يقسموا بينهم الأرض (ا) . فاستقرت الحال على أن يكون من حدّ رُوزابد، وشير الى منتهى[1] أقصى الصين والخُتَن لأفراسياب والتورانية، ومن هذا الجانب لزوّ والايرانية . فتعاقدوا على ذلك ، وتعاهدوا على أن لا يتجاوز كل واحد منهما حدّه المحدود . فرجع كلا الفريقين
(٢٥) إلى ممالكهم ، وأخذ زوّ على طريق فارس، وعاد زال الى زاولستان . ففتح الله[2] على الخلق أبواب السماء وأدر عليهم شآبيب الأنداء . حتى أخصبت المرابع ، واعشوشبت المراتع . واستقر زوّ على سريره بفارس واجتمع عليه الايرانية . وبقى على سيرة العدل والإحسان، وقاعدة الأمن والأمان، يقيم الميل ويزيل الأود على وتيرة[3] مرضية وشاكلة حميدة الى أن مضى لسبيله بعد خمس سنين من ملكه . فانتكست أمور الايرانية واختلت أحوالهم .

[١٠ — كرشاسب

" وكان لنوزر ولد تقرّبه عينه اسمه كرشاسپ . فجلس على العرش، ولبس تاج الملك، فملأ العالم أبهة وجلالا . وبلغ الترك أن زوّا مات وأن عرش إيران شغر . فصاح أفراسياب فرحا ، وأقبل بجيوشه حتى بلغ خوار (خار) الرىّ"] .

= خمسة آباء أو ثمانية[4] على حين أن زوّا خلف نوذر بعد اثنى عشر عاما حكم فيها أفراسياب . ونوذر مات وهو ابن خمس وثمانين سنة . ويروى أن كرشاسب الآتى ذكره كان شريكا له فى الحكم[5] .

وينسب الى زوّ (زاب) حفر نهرى الزاب فى العراق[6] . وهو أوّل من اتخذ ألوان الطبيخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة[7] .

وقصته فى الشاهنامه ثمانية وأربعون بيتا تحت عنوان واحد .

١٠ — كرشاسب

تختلف الروايات هنا كما اختلفت فى نوذر . فبعض المؤلفين لا يذكر كرشاسب وبعضهم يذكره وزيرا أو شريكا لزوّ بن طهماسپ الذى تقدّم ذكره : =

(ا) فى هذا الصلح يروى الثعالبي رمية السهم التى ذكرت فى مقدّمة فصل منوچهر .

(١) لـ، طا : الى أن ينتهى الى . (٢) لـ، طا : تعالى . (٣) لـ : سيرة . (٤) فارس نامه ص ١٣، والطبرى، ج ١ ص ٢٣٥ (٥) أنظر مقدمة الفصل الآتى . (٦) فارس نامه والطبرى ونزهة القلوب ص ٢١٥ الخ . (٧) طبرى : ج ١، ص ٢٣٦ وفارس ٣٩

وكان أفراسياب لما ارتحل من خوار الرى وعبر جيحون قسم الممالك (ا) . وكان أبوه بشنك متغيرا عليه ومغتاظا من جهة إقدامه على قتل أخيه أغريرث . وكان لايجيب عن كتبه اليه، ولا يمكن رسله من الدخول عليه . وكانت رسله تبق على بابه سنة كاملة لا يسمع لهم كلاما، ولا يرفع بهم رأسا . وكان يقول على سبيل التعنيف مخاطبا لابنه فى غيبته : لو كان الجد لك معاضدا ومساعدا لبقى لك أخوك عضدا وساعدا . أتفر عن ربيب طير(ب) ثم تنحى على أخيك بكل ضير؟ فمن الآن لاسبيل لك الى الحضور بين يدىّ، ولا طريق الى أن أنظر اليك أو تنظر الىّ . قال: فمضى على ذلك مدّة من الزمان وتناهى الخبر بموت [كرشاسپ بن] زوّ الى بشنك فأرسل الى ولده أفراسياب يأمره بأن يعبر جيحون، ويعاود ثانيا قصد ممالك إيران، ويهتبل غرة أهلها وفرصة خلو عرصتها . فجمع عسكرا ترتج به الأرض، ويتضايق دون كثرته البر والبحر . وعبر بهم جيحون . فلما بلغ الايرانية ذلك وقع فيهم الاضطراب وجفلوا إلى زاولستان، وأقبلوا على زال يوبخونه ويعنفونه، وقالوا إنك منذ جلست موضع أبيك سام، وصرت بهلوان الدولة لم يطب عيش الناس يوما واحدا

= فى فارس نامه[1] أنه كان صديق زوّ أو شريكه أو ابنه أو حفيده . وفى الإشراف والتنبيه[2] أن زوّا ملك ثلاث سنين وكرشاسب ملك ثلاثا . وفى الغرر للثعالبى[3] أن زابا (زوّ) كان منفردا بالعمارة وكرشاسب منفردا بالحرب . ويقول حمزة الأصفهانى[4] : " وفى أيام مملكة زوّ ملك كرشاسب " . ويقول الطبرى[5] : " وكان له (لزوّ) كرشاسب بن أثرط موازرا له على ملكه . ويقول بعضهم كان زوّ وكرشاسب مشتركين فى الملك . والمعروف من أمرهما أن الملك كان لزوّ بن طهماسب وأن كرشاسب كان له موازرا ومعينا . وكان كرشاسب عظيم الشأن فى أهل فارس غير أنه لم يملك " .

ويمكن تبين هذا الاضطراب فى الشاهنامه نفسها. فهى تصف فى أبيات قليلة تملك كرشاسب . ثم تقول إن افراسياب، حينما بلغه موت زوّ عاود الإغارة على إيران وجاء الى الرى . وكان أبوه پشنك ساخطا عليه منذ قتل أخاه أغريرث . فكان لا يقابل رسله ولا يجيب كتبه . وهنا تختلف النسخ . ففى بعضها أن پشنك بقى على هذه الحال حتى مات كرشاسب فأرسل الى أفراسياب يأمره أن ينتهز الفرصة فى إيران . وفى بعض النسخ يذكر البيت الدال على موت كرشاسب بعد =

(ا) قوله : "وكان أفراسياب" الى "الممالك" غير موافق للشاهنامه كما يرى القارئ من السطور التى ترجمتها فى مفتتح هذا الفصل . (ب) يعنى فراره من زال الذى ربته العنقاء كما تقدم فى فصل منوچهر .

(١) ص ٣٩ (٢) ص ٩٠ (٣) ص ١٣١ (٤) تاريخ سنى ملوك الأرض والأنبياء ص ٢٦

(٥) ج ١ ص ٢٣٦

[حينما مات زوّ خلفه ابنه فقصرت يد الأشرار عن الفساد، والآن ذهب الملك كرشاسب العظيم فسارت المملكة والجيش بلا ملك] والآن قد نجم ناجم الشر فاستعد للأمر . فقال لهم زال : إنى منذ شددت وسطى بمنطقة البأس لم ير الناس مثلى فارسا مطلاّ على صهوات الخيل . وما وضعت رجلى فى مستنقع حرب، ومعترك طعن وضرب إلا وصارت أعنة الفرسان أثفارا، وصدور الشجعان أدبارا . والآن قد انحنى شطاطى القويم، واستشنّ من ظاهر إهابى الأديم . ونفض الشيب على غباره، وألبسنى شعاره . وضعف كاهلى عن حمل السلاح، وتقاعدت همتى (١) عن هز الرماح . وقد أدرك ولدى رستم وأصبح كالنخل (٢) الباسق . وسأستنهضه فى هذا الأمر الفادح . فسر الايرانيون بذلك واشتد أزرهم . وجاء رستم أباه متعرّضا لأمره . فقال : إن بين يديك أمرا باهظا وخطبا فادحا يهجر من أجله النوم والقرار . وأنت بعد رطيب العود، جدير بالدعة والقعود . فكيف أرمى بك فى أنياب المنون الفاغرة، وأعرضك لمخالب الخطوب الفاقرة . فقال رستم عند ذلك : كيف يليق بهذه الأعضاد الشداد الاقامة تحت ظلال الترف والدلال؟ وسوف ترانى اذا اشتجرت الرماح، وتصافحت الصفاح وفى يدى قطعة سحاب يتفجر من خلالها الدم، وتسعر صواعقها وتتضرم، أفلق هامات

= رسالة پشنك الى ابنه . ومعنى هذا أنه أمر أفراسياب بانتهاز الفرصة بعد موت زوّ . فعلى الرواية الأولى يبقى پشنك ساخطا على ابنه تسع سنين بعد إغارته على إيران حتى يموت كرشاسب فيأمره بسوق الجيش لحرب الايرانيين . فلماذا لم يأمر پشنك ابنه بالحرب بعد موت زوّ وقد أغار ابنه على إيران؟ ومقتضى الرواية الثانية أن الأب والابن اتفقا على غزو إيران بعد موت زوّ، والنسخ متفقة على أن وقائع الحرب لم تبدأ إلا بعد موت كرشاسب . ففيم مضت تسع السنين التى ملك فيها هذا الملك؟ تجيب النسخ التى تروى هذه الرواية بتغيير بيت من أبيات القصة تغييرا يدل على أن تعبئة الجيش استمرّت تسع سنين . وهذا يخالف نسق القصص فى الشاهنامه التى تطوى الزمان والمكان للتعجيل بالوقائع . على أن النسخ كلها متفقة على أن ملك الترك أمر ابنه أفراسياب بالتعبئة وعبور جيحون . فأفراسياب اذا كان فى بلاد الترك وراء جيحون، وقد عرفنا من قبل أنه أغار على إيران حتى قارب الرى . فكيف كانت عاقبة هذه الإغارة؟ هذا خلل آخر فى السياق . إلا أن يقال أن الشاعر ذكر الإغارة ثم رجع يقص ما كان بين أفراسياب وأبيه حتى بلغ الموضع الذى بدأ منه نخيل الى القارئ أنهما إغارتان .
=

(١) ك، كو، طا : منتى . (٢) كو: السرو .

الأبطال، وأهجم بها على هجمة الآجال . وما أريد الآن إلا حصانا كالبحر المائج والفيل الهائج وأريد جرزا — كأنه الذى عناه مترجم الكتاب بقوله (١) :

وأرعن عن ثغر الغضنفر كاشرا * شتيم المحيا فيه صولة جبار
كصاعقة لو (٢) واجهت ركن يذبل * تشظى كرمل فى البطائح منهار

= على أنه سيذكر فى فصل كيقباد ما يدل على أن أفراسياب لم يلق أباه بعد قتل أخيه إلا بعد انهزامه أمام رستم وكيقباد . وهذا يستقيم فى الرواية التى تجعل غارة أفراسياب وأمر أبيه إياه بالغزو بعد موت زو لا على الرواية التى تجعل غارة أفراسياب بعد موت زوّ وأمر أبيه بالتعبئة بعد موت كرشاسب .

وقد سرى هذا الاضطراب الى الترجمة العربية . فقد حذف المترجم كرشاسب، وقص فى فصل زوّ السابق ما قصته الشاهنامه بعد عنوان كرشاسب . وأغفل الموضعين اللذين ذكر فيهما كرشاسب فى سياق القصة . على أنه يبعد أن يكون هذا تصرف المترجم . فأظنه ترجم نسخة لم يخصّص فيها فصل لكرشاسب . واذا نظرنا الى اختلاف كتب التاريخ الفارسى فى ذكر هذا الملك وأن غرر الثعالبي، وهى أقرب الكتب الى الشاهنامه، لم تذكره وذكرت فى عهد كيقباد الحوادث التى ذكرتها الشاهنامه فى أيام كرشاسب لم نستبعد أن الفردوسى لم يذكر كرشاسب بين الملوك، وأن تكون الأبيات القليلة التى ذكر فيها دخيلةً فى الكتاب زادها بعض الذين يريدون أن تكون الشاهنامه جامعة سير الملوك القدماء . وقد ترجمتُ الأبيات التى حذفها المترجم وأثبتها فى الترجمة بين أقواس لتكون موافقة نسخ الشاهنامه المتداولة .

ومهما تختلف الكتب فى أمر الملك كرشاسب ففى الأساطير القديمة بطل من أعظم أبطال إيران اسمه كِرِساسپه هو منبع أساطير كثيرة . وقد تقدّم الإلماع اليه فى مقدّمة فصل الضحاك ، وفى الكلام على أسرة سام فى مقدّمة فصل منوچهر . وأجمل هنا مآثره وسيرته العجيبة :

فى الأبستاق : "نعبد روح كرساسپه الساما (٣) المقدّس حامل المقمعة ذى الضفائر" . وفى موضع آخر أن المجد الإلهى حينما فارق جمشيد المرة الثالثة أخذه كرساسپه الجرىء أشدّ الرجال بعد زرتُشترا الخ" . ويعدّ من مآثره فى الأبستاق قتل الثعبان سرڤرا الذى كان يبتلع الخيل والناس ، الثعبان الأصفر الذى يفيض السم الأصفر غزيرا فوقه . والذى كان كرساسپه يطبخ طعامه فوقه فى قدر =

(١) كو، ز : من قصيدة سلطانية . (٢) ك : إن . (٣) أى المنتسب الى سام

قال : فلما سمع زال مقالة رستم هذه تمايل من الطرب بين أفوافه، وتمشت نشوة السرور فى أعطافه ، وأمر أن تعرض الخيل عليه (ا) . فجعلوا يمرّون بها على رستم . فكان اذا وقع نظره على فرس قوى جره اليه بأعرافه، وغمز ظهره بكفه . فيلصق بالأرض من شدّة قوته . فلم يجد فرسا يسلم من ذلك حتى جاءوا بخيل كثيرة من كابل ، فمروا بها عليه فرأى فى جملتها حجرة شهباء ضامرة كأنها لبؤة . وخلفها مهر جذع فى قد الأم ، طامح الطرف، مطهم الخلق،ململم الكفل ، ضافى الذنب، صافى اللون، فى أوصاف كثيرة ذكرها .

فرمى بالوهق فى عنقه § واستجره اليه ، وغمز ظهره بكفه ، فثبت ولم يتحرّك . فسر بذلك وأسرجه وألجمه واسترضاه[1] لنفسه مركوبا . وكان يسمى رخشا . وسر زال بذلك أيضا وأمر العساكر

[§ فى الشاه . أن رستم أراد أن يرمى الوهق على المهر فقال له الراعى : لاتأخذ فرس غيرك . فقال رستم : لمن الفرس ؟ إن نخذيه ليس عليهما سمة . قال الراعى : دع السمة فقد كثر القيل والقال فى هذا المهر . ونحن نسميه « رخشا » . وهو — كما ترى — مُدَنَّر فى صفاء الماء وحدة النار . ولسنا نعرف له صاحبا ولكنا نسميه رخش رستم . وقد أركب منذ ثلاث سنين ، ولكن أمه تدفع عنه الناس دفع الأسد . ولا ندرى أى سر فى هذا .

فرمى رستم الوهق فأقبلت أمه كالفيل الهائج . فزجرها رستم وضربها فوقعت على الأرض . ثم غمز ظهر المهر فلم يلن لغمزته . فسأل ماثمن الحصان ؟ فأجاب الراعى : إن كنت رستم فخذه واذهب نخلص إيران . فإنما ثمنه بلاد ايران .]

= من النحاس وقت الظهيرة، فأحس حر النار فقام على أرجله ووثب من تحت القدر وكفأ الماء . وكذلك قتل كندروا[2] ذى العقب الذهبى الذى كان يصول فاتحا براثنه ليدمر عالم الخير . وكان يعيش فى البحر والوادى وعلى الجبل، ورأسه يناطح السماء . ويبتلع اثنى عشر رجلا جملة واحدة .

قاتله كرساسپه تسعة أيام وليال حتى أخرجه من قعر البحر وحطم رأسه بالمقمعة . فلما سقط على الأرض فسدت بسقطته أقطار كثيرة[3] . وكذلك قتل أبناء بثانا التسعة قطاع الطريق الذين بلغوا من بسطة الجسم أنهم كانوا اذا مشوا حسب الناس أن تحتهم الكواكب والقمر، وأن الشمس تطلع =

(ا) فى الشاه : وأمر أن يحضر له مقمعة سام التى تتوارثها الأسرة ثم عرض عليه الخيل الخ .

(١) كذا فى النسخ كلها . والصواب ارتضاه . (٢) أفستا ، ج ٢ ص ٢٩٥ (٣) = حاشية ١ .

وورنر (Warner) ج ١ ص ١٧٢

بالخروج . فبرز فى جمع ضاق بهم الأرض ولم يأت عليهم العدّ والحصر . وفصل من زابلستان فى فصل الربيع . وبلغ خبره أفراسياب فسار فى عساكره وساقهم حتى وصل الى الرى . فنزل فى مرج كثير المـاء والقصب . ووصل عساكر إيران متظاهرين على طريق البرية . فتقارب الفريقان حتى كان بعد ما بينهما مقدار فرسخين . فدعا زال بأركان الدولة وأعيان الأمراء والموابذة . وقال لهم : إنى قد حشدت هذا الجمع الكثير والجم الغفير . ولا بد من ملك يتولى تدبيرهم ، ويسوس صغيرهم وكبيرهم . فإنه لمـا جلس زو على سرير الملك استتبت الأمور وانتظمت . وهكذا الآن لا بد من ملك يشـمل الكل أمره ونهيه ، ويحوط الجملة رأيه وعقله . فأشار الموبذ عليه بكيقباذ . وكان منتسبا إلى شجرة أفريدون . فأنفذ زال ابنه رستم الى جبل ألبرز فى جماعة من أعيان الأمراء وفرسان القوّاد (١) . وسار[1]

= فى الصباح أسفل منهم ، ومياه البحار تبلغ ركبهم[1] . الى مآثر أخرى تعدّها الأبستاق وغيرها ؛ منها قتل الطائر كمك الذى ظلل الأرض ، ومنع المطر حتى جفت الأنهار[3] .

وكان كرساسپه أعطى الخلود على الأرض ولكن أحد خلائق أهرمن أضله فأزدرى عبادة النار ومال الى الوثنية . فألقى فى النار الى أن شفع فيه زردُشت عند هُرمُزد فدعاه فجاء يتضرع متوسلا بمآثره التى تقدّم ذكرها ، وبأنه سـيقتل الضحاك آخر الزمان ، لا يستطيع غيره أن يقتله . فيعفو عنه هرمزد ويدخله الجنة .

ولعل أعظم مآثر كرساسپه أنه سيقتل الضحاك . وقد تقدّم أن أفريدون قيد الضحاك على جبل دماوند ولم يقتله . وأرجأتُ الكلام عن عاقبة الضحاك الى هذا الموضع :

كرساسپه نائم فى وادى پِشـين جنوبى كابل . ويحرسه هناك المجـد الإلهى وأرواح الأتقياء . حتى اذا اجتمعت قوى الشر لتحارب قوى الخير المحـاربة الأخيرة دعا أهرمن الضحاك من جبـل دماوند ، فيخلص من قيوده ويصول فيبلع ثلث البشر والبقر والغنم وغيرها من مخلوقات أرمُزد . =

(١) لم تذكر الشاه أن أحدا ذهب مع رستم . وقصة ذهاب رستم الى كيقباد ومصادفته إياه فى طائفة من الفرسان بين الأشجار والمياه وقد نصب له تخت ، وتبشيره بالملك ، وقص كيقباد رؤياه على رستم ، والذهاب معه إلى حيث الأمراء والجيش — من طرائف قصص الشاه .

(١) ك : فسار . (٢) أفستا ، ج ٢ ص ٢٩٥ حاشية ٤ (٣) = ٢٩٦ حاشية ٠

وطوى تلك المنازل البعيدة، والمراحل المتقاذفة فى أسبوعين حتى أتى كيقباذ وبشره بالملك ، وأقبل معه ودخل المعسكر ليلا . ومكثوا أسبوعا يتشاورون ويمخضون الآراء حتى ترتبت الأمور وانتظمت الأحوال .

= ويفسد الماء والنار والنبات ويعيث فى الأرض. فتبكى النار والماء والنبات أمام هُرمُزد وتدعو أن يبعث أفريدون ليقتل الضحاك . وتقول النار أنها لن تحمى، والماء أنه لن يفيض . فيأمر هرمزد سُروش وملَكا آخر ليوقظا كرساسپه . فيناديانه ثلاث مرات ، ويستيقظ بالنداء الرابع . ويصمد للضحاك، ويضربه على رأسه بالمقمعة المعروفة فيقتله ، ويزول الشر والإثم والفقر ويبدأ عهد السعادة الدائمة[1] .

ثم موطن هذه الأساطير، وهو كابلستان، يوافق ما ذكر آنفا عن الصلة بين أسرة رستم وبين كرشاسپ، ويفسر جنوح كرساسپه الى عبادة الأصنام . فإقليم كابل وما حوله كان أقرب الى الحضارة الهندية[2] .

واذا نظرنا الى تشابه الاسمين اسم الملك كرشاسپ واسم البطل كرساسپه، وعرفنا أن فى دينكَرد يذكر بعد الملك كيقباد الآتى ذكره ملِك اسمه كرساسپ يظن أنه هو البطل العظيم صاحب المآثر التى أسلفنا ذكرها فأكبر الظن أن الملك كرشاسپ الذى تجعله الشاهنامه آخر البيشداديين هو البطل كرساسپه . ومن أجل هذا ذكرت طرفا من أخبار البطل كرساسپه فى مقدّمة فصل الملك شاسب .

ثم قصة كرشاسب فى الشاهنامه ٢٧٣ بيتا مقسمة الى هذه الأقسام :

(١) ملك كرشاسب تسع سنين . (٢) إمساك رستم رخشا . (٣) زال يقود الجيش الى أفراسياب . (٤) إحضار رستم كيقباد من جبل ألبُرز .

(١) أفستا، ج ٢ ص ٦٢ حاشية . ورنر (Warner) ج١ ص ١٧٣

(٢) أنظر المقدمة فى العلاقة بين الايرانيين والهند .

القسم الثانى

الكيانيون

١١ — ذكر نوبة كيقباذ وما جرى فى عهده[1]

قال صاحب الكتاب : ثم نصبوا تختا[2] وتسنمه كيقباذ معتصبا بالتاج . واصطف حواليه الأمراء والقوّاد يهنئونه وينثرون النثارات عليه . فسايلهم عن أفراسياب وحاله . وركب فى اليوم الثانى للقتال وارتجت الآفاق بخفق الكوسات . وتدجج رستم مظاهرا بين لبوس الحرب، وتصدّى كالليث الكاشر للطعن والضرب . واصطف الإيرانيون وتعبوا للحرب ميامن ومياسر، ومقانب ومناسر . فوقف مِهراب فى أحد الجانبين، ووقف كَزْدَهَم فى الجانب الآخر، ووقف قارَن مع كِشواذ فى القلب، ووقف وراءهم الملك كيقباذ مع زال يخفق على رأسه درفشه الميمون، ولواؤه المنصور . فصارت (٣٦) الأرض كأنها تمور، والجبال كأنها تسير . فركض قارن وبرز من الصف كالهزبر الصائل، وجعل يحمل على الميمنة تارة وعلى الميسرة أخرى . فلما رأى رستم تعطفه فى جولانه، ومطاردته لأقرانه أتى أباه وسايله عن أفراسياب وعن مقامه الذى يقوم فيه، واستوصفه صفة ملبسه ورايته، وقال : إنى حامل عليه وآخذ له . فقال له أبوه : لا تخض اليوم هذه الغمرة، وكن على حذر منه . فانه لا طاقة لك بمقاومة الثعبان الثائر . ثم قال : إن شعاره هو السواد وله راية سوداء وعليه خفتان أسود، وعلى

القسم الثانى

الملوك الكيانيون

طائفة من ملوك الشاهنامه تبتدئ أسماؤهم بكلمة "كى" ويظن أنها لقب معناه "ملِك" ويقول المسعودى معناه "العزيز" . وجاءت فى كتاب الڤيندا بلفظ "كڤى" ومعناه فيها كاهن، لا سيما الكاهن الذى يوحى اليه حين يشرب شراب "سومه" المقدّس . وكذلك جاءت كلمة "كڤى" فى الابستاق بمعنى زنديق . وجاءت كذلك اسما لإنسان بعينه ولقبا لجماعة تنتمى اليه، بينهم بعض من ذكرتهم الشاهنامه باسم الكيانيين[3] .

ولا يجد قارئ الشاهنامه ما يفصل بين البيشداديين والكيانيين فصلا تاما . فسياق القصة لم يتغير بالانتقال من هؤلاء الى هؤلاء . وكبار الأبطال والقادة الذين يحاربون فى جيش قباد أول الكيانيين هم بقية أبطال العهد الأوّل . والفارق الذى تضعه الشاهنامه بين العهدين أن كرشاسب =

---

(١) كو، ز : "وهو أوّل من ملك من الطبقة الثانية من ملوك الفرس وهم الكيانية وكانت مدّة ملكه مائة سنة".

(٢) لك كو: من العاج. (٣) ورنر (Warner) ج ١ : الكيانيين، وأفستا، ج ٢ ص ٢٦ و ٢١٣ و ٢١٥ و ٢١٨

رأسه مغفر عليه علاقة سوداء . فقال رستم : لا بأس عليك فإن الله معاضدى ، والجد مساعدى . ثم حمل وبرز الى فضاء المعركة . فرآه أفراسياب فتعجب من شكله وقالبه ، وتشمره . وسأل عنه فأخبر بأنه ابن دستان بن سام . فقصد أفراسياب وتدانيا وتواقفا (١) . فوثب عليه رستم ، وأخذ بمعاقد منطقته ، واقتلعه من سرجه فانقطعت سيور منطقته ، ووقع إلى الأرض . فأحاطت به فرسان أصحابه وحموه منه . فبلغ (٢) الخبر بذلك الى كيقباذ فحمل بصفوفه المرصوصة عليهم حملة ضعضعت أركانهم ، وأدحضت أقدامهم . فمنحوهم الأكتاف ، وولوا منهزمين ، وتفرقوا طرائق قددا أجمعين . وقتل ألف ومائة وستون من أعيان التورانية ووجوه قوادهم ، ورتوت أمرائهم . ونكص أفراسياب فى فله الى دامغان ومنها الى جيحون . ثم عبر وتوجه نحو أبيه بشنك . فلما مثل بين يديه سرد عليه جميع أحوال الوقعة ، ووصف قوة الإيرانية وقلة ثبات التورانية بين أيديهم . وقال : الصواب أن نغتنم السلامة منهم ، وننفذ الرسل إليهم جانحين الى السلم . ثم طفق يعتذر الى أبيه من سبق السيف العذل فى قتل إغريرث أخيه ، ويسأله العفو والصفح . ففعل ونفذ أحد دهاة حضرته وكفاة دولته رسولا الى كيقباذ ، وكتب إليه كتابا افتتحه بحمد الله والثناء عليه . ثم أثنى

= عاشر البيشداديين مات عن غير خلف صالح للملك وقد أغار التورانيون على إيران . فجمع زال زعيم الأبطال الجيش وسار للحرب . ثم رأى أن الأمر لا يستقيم بغير ملك يجمع كلمتهم . فأعلمه الموبذ أن فى جبال ألبرز رجلا من ذرية أفريدون جديرا بالملك اسمه كيقباذ . وقد تقدم أن أفريدون أحد الملوك البيشداديين . فأرسل زال ابنه رستم لإحضار كيقباذ . فلما جاء بايعه الملا من الجيش وصمدوا لحرب العدو . فليس فى الأمر إذا إلا أن واحدا من ذرية البيشداديين ورث عرشهم . وقد تقدم أن نوذر بن منوچهر قتل وليس فى أبنائه أهل للملك ، فأحضر زال زو بن طهماسب فكان ملكا . وليس بين الحادثين فرق ، فيما يظهر ، إلا أن الشاهنامه والكتب الأخرى عدت كيقباذ أول أسرة من الملوك عرفت باسم الكيانيين . وأكثر الكتب يجعل كيقباذ من نسل نوذر — كما يأتى .

سيجد القارئ اختلافا كبيرا بين طائفة من الكيانيين وأخرى — اختلافا هو أجدر أن يكون فاصلا بين عهدين . فبعد كيخسرو ثالث الكيانيين تتغير أسباب الحرب ، وميادينها ، وأبطالها ، فى إيران وتوران . ويبدأ عهد جديد بولاية گشتاسب الذى عهد اليه كيخسرو فأنكر عليه الايرانيون وأبوا أن يبايعوا رجلا لا يعرفون له فى الملوك نسبا ، ولا يرون له عليهم فضلا . حتى أخبرهم =

(١) كو : تصاولا . (٢) ك ، طا : وبلغ

على أفريدون وذكر أنه كان جرثومة الجلال ، ومتشعب أغصان المجد والإقبال . وذكر فيه أن تورا و إن كان ظلم إيرج فإن منوجهر انتقم له وأدرك ثاره . وقد كان أفريدون قبل ذلك قد قسم الممالك قسمة عادلة . والأحرى بنا أن نتبعه ونقتدى به فى ذلك ولا نحيد عن مقتضاه . فيكون جيحون حاجزا بين المملكتين و يكون ما وراءه للتورانية كما كان فى عهد إيرج ، وما هو من جانبه الآخر للإيرانية ، ومقتضى العقل أن نتراضى بهذه القسمة ، ولا نتعنى فى محاولة غيرها . فإن اقتضى رأى الملك كيقباذ أن يغمد سيف الخلاف ، وتحسم مادة الشر ، و يصالحنا على ذلك حتى يأمن العالم وتنقطع الفتن فعل . فلما وصل الرسول الى كيقباذ وقرأ الكتاب قال : إنكم تعلمون أنا لم نسارع قط إلى الشر بادئين ، ولم نور زناد الحرب لا فى هذا الزمان ولا قبله ظالمين . أما فى عهد أفريدون فقد كان تور بادئا بقتل إيرج . وأما الآن فلا يخفى أن أفراسياب هجم (١) هذه البلاد ، وفعل ما فعل بنوذر ، وأقدم على قتل أخيه أغريرث . ثم إنكم إن ندمتم على ما قدّمتم من سوء الصنيع ومستهجن الفعال ، وجنحتم الى السلم والمكافة رعاية لمصلحة الكافة أغضينا عما سلف ، وتجاوزنا عما فرط ، ووافقناكم على أن يكون ما وراء النهر لكم وما دونه لنا . وكتبوا بذلك عهدا ، وأبرموا أمره عقدا . فأتى رستم

= كيخسرَو — وهو فى حال جعلت الايرانيين يظنون به الجنون — أن لهراسپ هذا من ذرّية هوشنك ثانى الملوك البيشداديين .

ويُذكر كى فى الأبستاق بلفظ كفى . ويظهر أنه اسم رجل بعينه . ففيها : " نعبد روح المقدّس كفى " و " نعبد روح المقدّس پورُستى بن كفى " و " نعبد روح كرستا بن كفى " . وتذكر فيها أسماء أخرى يأتى بعضها فى الفصول الآتية (٢) .

و ينبغى التنبيه الى أن الأبستاق — فى زمياد يست الذى يسميه درمستتر شاهنامه مختصرة — لم تلقِّب بلقب كفى إلا طائفة أوّلهم كيقباد وآخرهم كيخسرو . والملك لُهراسپ الذى خلف كيخسرو لم يلقب بهذا . وفى هذا تفريق بين الفئتين : كيخسرو ومن قبله ولهراسپ ومن بعده .

وتصف الأبستاق تجسد المجد الإلهى فى الكيانيين ، وما يكون فى عهدهم من السعادة والرغد ، واقتدارهم على محو التورانيين . وتجعل موطنهم عند بحيرة كاسَثا على نهر هئيتُمَنت حيث جبل أُشِدهَو الذى تحيط به المياه السائلة من الجبال . والبحيرة المذكورة بحيرة زِره فى سيستان . والنهر نهر =

(١) ك ، كو : هجم على .

(٢) أفستا ، ج ٢ ص ٢١٥ و ٢١٣ و ٢١٨

الملك كيقباذ وأنكر عليه الصلح . وقال : هلا كان ذلك منهم قبل هذه الوقعة ! والآن فالرأى أن نجوس ديارهم، ونستبيح أموالهم ودماءهم . فقال الملك : إنا لم نر أحمد مغبة من العدل، ولا أحسن عاقبة من الإنصاف . فاذ طلب بشنك مصالحتنا وموادعتنا لحقيق بنا أن نجيبه الى ما طلب . وقد تقدّمنا بأن يكتب لك عهد على ممالك زابلستان الى بحر السند . فانهض اليها وتسنم سرير الملك بها ، وسلّم بلاد كابل الى مِهراب . وخلَع عليه خلعة عظيمة مشتملة على التاج والمنطقة وغير ذلك من الملابس الفاخرة ، وولاه ذلك الإقليم . وذكر دستان وأثنى عليه وقال إنه بقية الملوك الماضين . وأمر فأعدّوا تاجا من الذهب ومنطقة مرصعة بالجواهر، وأحضروا خمسة من الفيلة العظام ، وأوقروها بالذهب والفضة . وأمر بحمل الكل اليه . وأمر لجميع الملوك والأمراء مثل قارنَ وكِشواذ وبرزين وخرّاذ بنفائس الخلع، وطرائف التحف، على اختلاف مراتبهم . ثم سار فى جحافله الى بلاد فارس، وكانت اصطخر دار الملك فى ذلك العهد . فصار اليها وألقى بها عصا التسيار، فقصده الخلائق من

= هلمَند، والجبل جبل أُشى دارِنا أى الجبل الذى يمنح الفهم، وهو فى سيستان كذلك(١) . فموطن الكيانيين اذا شرقى ايران . ولكن الشاهنامه تجعل موطن كيقُباد جبل ألبرُز . وقد تقدّم عن أفريدون(٢)، أن أمه أخذته من الراعى وقالت أريد أن أقربه الى الهند، وأحمله الى جبل ألبرز . فليس بعيدا أن يكون الفردوسى أو من قبله تخيل ألبرز فى الشرق . على أنه، فى أساطير إيران، جبل محيط بالأرض. والكتب الأخرى تجعل مقامهم فى الشرق، بلخ وما حولها(٣) . والشاهنامه تجعل حاضرة أوائلهم اصطخر .

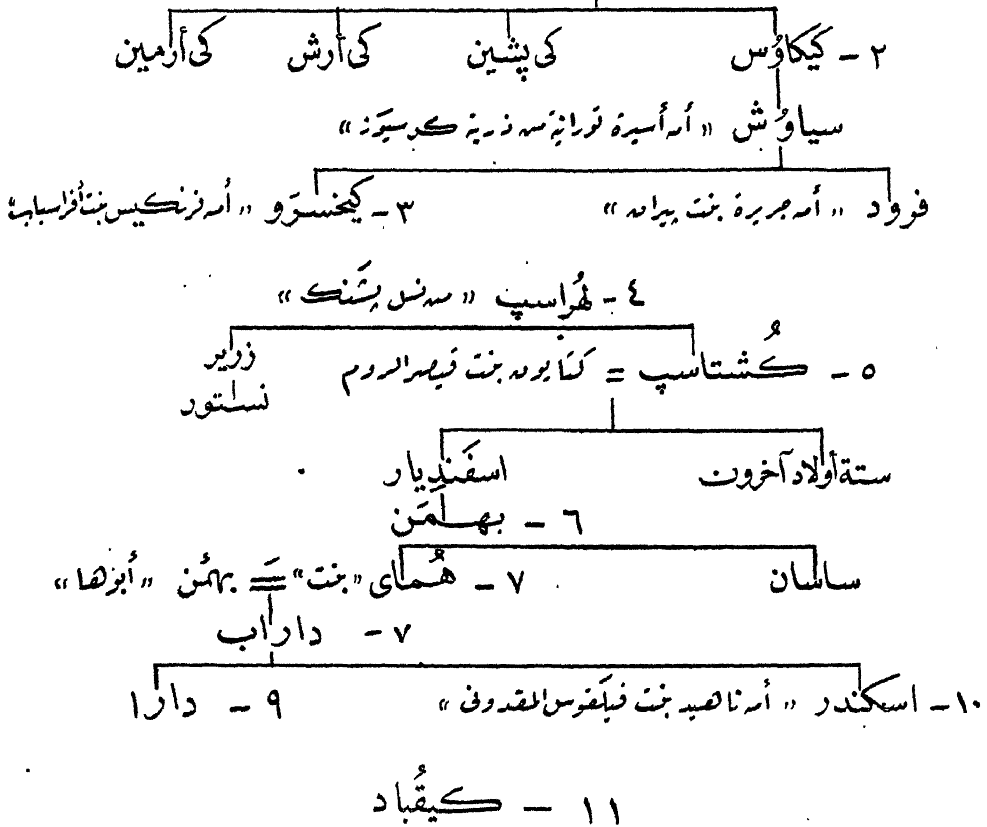
ثم بعض سير الكيانيين فى الشاهنامه يوافق التاريخ الحق، وبعضها يقاربه، وبعضها خرافة . فهم وسط بين أساطير البيشداديين وتاريخ الساسانيين فى الشاهنامه وغيرها(٤) .

وأعظم أبطال هذا العهد أسرة سام التى أسلفنا ذكرها ، وأسرة أخرى يأتى ذكرها هى أسرة كوذَرز بن كِشواذ . ومن هاتين الأسرتين وغيرهما عصبة تعرف باسم "الأبطال السبعة" سيجدها القارئ فى ثنايا الفصول الآتية . ولكن هؤلاء الأبطال جميعا يختفون أو يتركون الميدان فى العصر الثانى من عصرى الكيانيين — عصر لهراسپ وخلفه . وأعظم أبطال هذا العصر اسفنديار ابن الملك كُشتاسپ . وسيرى القارئ أن رستم يقتله بمعونة العنقاء(٥) .

(١) أفستا، ج ٢ ص ٢٠٢ و ٢٢٥و٢٨٧ (٢) ص ٣١ متن . (٣) مروج الذهب وفارس نامه
(٤) انظر المقدمة : الكيانيين والأكمينيين . (٥) انظر المقدمة : أبطال الشاهنامه .

جميع الأقطار . وتوفر على تمهيد قواعد الأمن والأمان ، وتشييد مبانى العدل والاحسان . فطاب عيش الناس فى زمانه ، وأقاموا فى ظلال النعم(١) وادعين آمنين . وكان له أربع بنين كيكاوس وكى آرش

= ثم ملوك الكيانيين تسعة تتفق عليهم الكتب إلا الجدول الذى يقول البيرونى، فى الآثار الباقية أنه نقله عن أهل المغرب، ويخلط فيه الكيانيين وملوك بابل ويذكر فى سياق الكيانيين بعض الأسماء المعروفة فى تاريخ الأكمينيين . وهذا نسبهم مأخوذا من الشاهنامه :



١١ — كيقباد

هو أول الكيانيين . ولا تذكر الشاهنامه فى نسبه إلا أنه من ذرية أفريدون . وكتب أخرى تجعل نوذر جده الثالث(٢) . وفى بندهش أنه نبذ بعد ولادته فعثر عليه أزاف (زاب أو زو(٣)) وتبناه . واسمه فى الأبستاق كفى كفاته(٤) . =

(١) ك، طا : ظل النعيم . (٢) فارس نامه ص ١٤ والآثار الباقية ص ١٠٤ ، والطبرى ، ج ١ ص ٢٣٦

(٣ و ٤) أفستا ، ج ٢ ص ٢٢٢ حا ٣

وكى نشين وكى أرشش (ا) . فلما أتى عليه مائة سنة من ملكه تبدّت له طلائع المنون ، فدعا بأكبر أولاده : كيكاوس ، وسلم اليه التاج والتخت واستخلفه ، وأمره باكتساب محامد السير والتحلى بمكارم الشيم ثم مضى لسبيله[(١)] .

١٢ — ذكر نوبة كيكاوُس وما جرى فى عهده

قال صاحب الكتاب : ثم قام كيكاوس بالملك بعد أبيه ، واعتصب بتاج السلطنة . فصادف الدنيا عامرة ، وأموال الخزائن وافرة ، ووجوه الخلائق بدولته مسفرة ، وصدورهم بحسن سيرته منشرحة . فلم يبق أحد من أصحاب الأطراف إلا وقد ألقى زمام الانقياد اليه ، وتضاءل مذعنا بالطاعة بين يديه .

قال : وجلس يوما على سريره وحوله الإيرانية فأتاه الحاجب وقال[(٢)] له : إن على الباب رجلا يقول إنه مغنّ حاذق من أهل مازندران . وهو يلتمس الحضور بين يدى الملك . فأمر بإدخاله عليه .

= والشاهنامه تجعل مقامه اصطخر . وفى نزهة القلوب أنه اتخذ إصفهان دار ملكه[(٣)] . ومما يؤثر عنه بناء مدينة قواديان فى خراسان على جيحون ، وتقديره المسافات بالفراسخ والأميال[(٤)] .

وفى الطبرى أن زوج كيقُباد ، أم أبنائه الأربعة الآتى ذكرهم ، تركية . وهكذا تصل القصة نسب الايرانيين والتورانيين فى الحين بعد الحين ثم تقطع وشائج الأرحام بحدّ السيف فى المعارك الطاحنة[(٥)] .

١٢ — كيكاوُس

الواو فى كاوس ممدودة . وقد تهمز . ويسمى فى الكتب العربية كيقاوُس . ويعرب قابوس . وهو الملك الثانى من الكيانيين . وهو ابن كيقُباد فى الشاهنامه ، وفى كتب أخرى أنه حفيده أو ابن أخيه[(٦)] . ولقبه "نمرد"[(٧)] .

ويذكر فى الأساطير الدينية الهندية والايرانية . وتختلط أساطيره بالأساطير السامية ؛ فهو فى الفيدا "كايه أُشَنا" أى أشنا بن كثى . وقد تقدّم ذكر كثى فى الفصل السابق . وينسب اليه فى الفيدا =

(ا) فى الشاه : كى أرمين ، بدل كى أرشش . وفى الطبرى : كى أفنه ، كى كاوس ، كى أرش ، كيبه أرش ، كيفاشين ، كيبيه . وفى الأبستاق : أن الأربعة بنو أبيِقَنغو بن كيقباد ، وهم : أُسَدهَن ، أرشَن ، پِسَنه ، پيارش ، أفسنا ، ج ٢ ص ٢٢٢

(١) كو ، ز : " ويقال أنه كان ولد زو . ودفن فى أرض فارس وكان فى زمن سليمان " . (٢) طا : له (لا) .

(٣) ص ٢٨ (٤) نزهة ص ١٥٦ و ١٦٣ (٥) أنظر المقدمة : ايران وتوران . (٦) الآثار ، ص ١٠٤ والطبرى ، ج ١ ص ٢٦٢ ، وفارس نامه ص ١٤ (٧) الآثار ، ص ١١٤

فدخل وأجلس فى صف المغنين وأمر بالغناء[١] . فأخرج عودا وسوّاه، وجسّ أوتاره، وأخذ يغنى على طريقة أهل مازندران، ويصف فى غنائه طيب هواء بلاده ورياضها المونقة ، وأنه لا يكون بها شتاء ولا صيف، بل هى أبدا فى مثل هواء الربيع واعتداله ، ولا تزال صحاريها متبرجة بين الحلى والحلل من الرياحين والأزهار والشقائق والنوّار ، وأنها كجنان الخلد فيها الخرائد الآنسات كأنهن الشموس الطالعات . فلما قرع ذلك سمع الملك ارتاح الى تلك البلاد ، واشتاقت نفسه اليها ، (٣٧) وتشوّف الى تملكها والاستيلاء عليها . فأقبل على أصحابه وقال : إنا قد اشتغلنا باللهو واللعب، وألقينا قيادنا الى يد[٢] القصف والطرب ، وقبيح بالفارس البطل الإكباب على البطالة والكسل . وأنا الآن أطول الملوك باعا ، وأرحبهم ذراعا ، وأعظمهم مهابة وجلالة ، وأكملهم قوّة وبسالة . فالواجب أن أكون أوسعهم مملكة وأبسطهم ولاية[٣] . فاصفرت وجوه أصحابه حين سمعوا مقالته ، وارتعدت فرائصهم . من حيث إن من مضى من الملوك كانوا لا يتيمنون بمحاربة أهل مازندران ، ويتشاءمون من ذلك . ولم يتجاسروا على مواجهة الملك بذلك . لكن[٤] قالوا: الأمر أمر السلطان، ونحن كلنا لمراسمه

= أنه جعل "أكنى" أى النار الكاهن الأعظم بين البشر، وأنه كان قائد البقر السماوية (السُّحُب) الى المرعى، وأنه صنع المقمعة التى قتل بها الإله إندرا الشيطانَ فِرتره[٥] .

وهو فى الأبستاق كفى أُسا : " قرب اليها (الهة الماء) العظيمُ الحكيم كفى أُسا قربانا ... ... وسألها نعمة قائلا: امنحينى هذه أيتها الطيبة الخيرى "أردفى سورا أناهتا"! لعلى أصير ملك الأقطار كلها : بلاد الجن والانس الخ" . فاستجابت له الالهة[٦] . وفيها عن طائر مقدّس أنه يحمل مراكب الملوك ، وأنه حمل مركبة "كفى أُسا" . وفى هذا إشارة الى قصة محاولة الصعود الى السماء — وستأتى فى هذا الفصل — وفى كتاب دينكرد خلاصة أعمال كيكاوس ، وفيه أنه كان له ثور عجيب يرجع الى حكمه فيما يشجر بين الايرانيين والتورانيين من خلاف على الحدود . وكانت أحكامه أكثرها على التورانيين، فخدعوا كيكاوس وأغروه فقتل الثور[٧] .

وفى الطبرى أن الجن كانت تسخر له بأمر سليمان بن داود . وفى بعض روايات الآثار الباقية أن كيكاوس هو بختنصر[٨] . =

(١) ك : فأمر . (٢) ك : يد (لا) . (٣) كوز : « ولا بد لنا من قصد بلاد مازندران والمسير اليها والاستيلاء عليها » . (٤) ك ، طا : ولكن . (٥) انظر : ورنر (Warner) ج ٢ ص ٢٥ (٦) أفستا ، ج ٢ ص ٦٥ و ٢٤١ (٧) ورنر (Warner) ج ٢ ص ٢٦ نقلا عن « نصوص فهلوية » لوست (West) ص ٣١ ج ٥ (٨) الطبرى ، ج ١ ص ٢٦٤ ، والآثار ، ص ١١١

ممتثلون، ولاوامره مطيعون . وقاموا من عنده واجتمعوا وتذاكروا ما علق بقلبه من قصد تلك البلاد ، وذكروا أن جمشيذ مع جلالة قدره ، وفخامة شأنه حين أطاعته الجن والإنس والوحش والطير لم يخطر بقلبه ذكر تلك البلاد، ولم يتعرّض لها بمكروه مدّة عمرة . وكذلك أفريدون؛ أضرب عنها ولم يتعرّض لها أصلا . ثم أطرقوا(١) واجمين ، وسكتوا متفكرين . فقال لهم طوس : الرأى أن نرسل إلى زال بن سام، ونعلمه بذلك، ونجشمه النهوض الى هاهنا . فلعله يقدم فيثنى الملك عن هذا الرأى . فطيروا راكبا بذلك اليه واستقدموه الى دار الملك واستعجلوه . فلما وصل الرسول اليه وقرأ الكتاب، ووقف على الحال استعضل الأمر واستعظمه ، وركب فى الحال مبادرا الى بلاد فارس . ولما وصل الخبر الى أمراء إيران بطلوع رايات دستان بن سام ركبوا للاستقبال ، وتلقوه بالإعظام والإجلال، وترجلوا له اعترافا بقدره وإعظاما لشأنه . ثم ركبوا وأقبلوا الى حضرة الملك ، وجعلوا يشكونه اليه فى الطريق، ويعيبون عليه ما عزم عليه من قصد مازندران ، ومحاربة جنها وسعاليها، ويذكرون أنهم لا يستجيزون ترك النصيحة ويخافون أن تزل به القدم، فيقع فى بلية لاينفع بعدها الندم . ثم لما قربوا من باب الملك تقدّم زال فدخل فتبعه(٢) سائر الملوك والامراء . فحين

= ومن الاثار المنسوبة اليه تل عقرقوف فى العراق، وسمرقند، وأبهر، وستوريق فى العراق العجمى .(٣)

وفى عهد كيكاوس يتشعب القصص، وتدخل فيه أمم أخرى، وميادين جديدة . كما يرى القارئ فى ثنايا هذا الفصل .

ثم سيرة كيكاوس فى الشاهنامه ٧٤٤٦ بيت . وأعظم أقسامها :

(١) حرب مازندران . (٢) وحرب هاماوران . (٣) وقصة سهراب . (٤) وقصة سياوخش . وفى كل قسم من هذه عناوين كثيرة سأذكرها فى مواضعها .

مازندران

مازندران وطبرستان اسمان لاقليم واحد يقع بين جبال ألبرز وبحر قزوين من الجنوب والشمال ، وبين جرجان وجيلان من الشرق والغرب . وجبال ألبُرز شامخة يتجاوز بعضها خمسة آلاف متر علوا . وسفوحها الشمالية مغطاة بالغابات الكثيفة الى علوّ ألفى متر . وتكثر فيها أنواع الفاكهة . ويتعلق الكرم البرى بالأشجار، ويمتدّ من شجرة الى أخرى ناسجا عُرُشا طبيعية . =

(١) ك : أعرضوا . (٢) ك ، كو ، طا : وتبعه .

(٣) نزهة : ص ٣٩ و ٥٩ ، وفارس نامه ص ٤١ ، وأوراق أسيوية ص ١٥١ الخ .

شاهد الملك متربعا (أ) على سريره الباهر، مطرقا كالهزبر الصاخب[١] تكلم مفتتحا بالدعاء والثناء عليه . ثم قال أيها الملك : إنا رأينا قبلك الملوك، و بلغتنا أخبار الملوك[٢] فلم[٣] يبلغنا أن أحدا منهم تعرّض لبلاد مازندران . لكونها مأوى الشياطين ، ومواطن السحرة ، ولا سبيل الى فتحها بالسيف والسنان ، ولا بكنوز الفضة والعقيان . ولعل الأصوب أن يرجع الملك عن هذا العزم و يضرب عنه صفحا ، و يطوى دونه كشحا . فقال له الملك : إنه لا غناء بنا عن رأيك الصائب وفكرك الثاقب . ولكن لا يخفى أنا أكثر رجالا ، وأوفر مالا ممن ذكرت من الملوك الذين لم يتجاسروا على قصد مازندران . وليس لنا بد من قصدها والتغلب عليها . وكأنك وقد[٤] بلغك تملكنا أقطارها، وتوغلنا ديارها . فكن أنت وولدك رستم جلسى[٥] ممالكنا متيقظين فى حراستها وحياطتها . والله تعالى ناصرنا وممكن من عدوّنا . فاذ لم نكلفك التجشم لمعاضدتنا ومعاونتنا فلا تشيرن علينا بالتثبط عن أمرنا . قال : فلما سمع زال مقالة الملك هذه علم أنه تائه فى غوايته ومتردد فى مهاوى عمايته . فقال له : أنت الملك ونحن العبيد الناصحون لك . ولا بد لنا من امتثال أوامرك واتباع مراسمك . سواء كنت على حق أو على[٦] باطل . غير أنا أشرنا

= وهواء مازندران رطب ومطرها غزير . وهواؤها وخم لكثرة مستنقعاتها قرب الساحل . يقول ياقوت : "وهى كثيرة المياه، متهدّلة الأشجار، كثيرة الفواكه . إلا أنها مخيفة ونخمة، قليلة الارتفاع، كثيرة الخلاف والنزاع" . ولهذا يصاب أهلها بالحمى والرثية وأمراض العين . وهواء البطائح يبيّض أجسامهم ولذلك سموا — فيما يقال — الجن البيض[٧] . وهم على هذا أقوياء شجعان . وهم خير الجند الايرانى . و يقول ياقوت : "إن أهل تلك الجبال كثيرو الحروب وأكثر أسلحتهم بل كلها الأطبار حتى إنك قل أن ترى صعلوكا أو غنيا إلا وبيده الطَّبَر صغيرهم وكبيرهم" .

وفيها كثير من السباع مثل النمر والفهد والدب والذئب .

والطريق من إيران الى مازندران شعاب قليلة وعرة ضيقة عالية . فالطريق السائرة الى مازندران شرقى طهران على مسيرة سبعين ميلا منها ليست إلا شعبا سعته أذرع قليلة، يسيل الماء على جوانبه، و ينفسح أحيانا عن أودية ومغارات . وكان متصيد ملوك إيران الى عهد قريب . وهناك طريق أخرى قرب فيروزكوه وأخرى من استراباد[٨] . =

(أ) فى الشاهنامه « جالسا » وقد جرى المترجم على المعهود فى الكتابة العربية . ولست ترى فى الصور الفارسية الملوك أو غيرهم متربعين . بل يجلسون جلسة تشبه جلسة المتشهد فى الصلاة .

(١) ك ، كو، طا : الماصر . (٢) ك : أخبارهم . (٣) ك ، كو ، طا : ولم . (٤) ك : و(لا) .
(٥) ك ، كو، طا : حلسى . (٦) كو : أم وهو الصحيح لغة . (٧) ورنر (Warner) ج ٢ ص ٢٧
(٨) = ص ٢٨

عليك بما علمنا، وأظهرنا عندك من النصيحة ما أضمرنا . والآن فلا زلت بك القدم، ولا اعتراك فيما(١) هممت به الندم. ثم ودعه وخرج. ولحقه الملوك(٢) والأمراء مثل بهرام وطوس وجوذرز وجيو(٣). واعتذروا اليه مما ناله لأجلهم من وعثاء سفره. فودعوه وأخذ زال على طريق سجستان راجعا الى بلاد زابلستان.

ذكر مسير كيكاوس الى بلاد مازندران

قال : فأمر الملك كيكاوس جوذرز وطوسا بأن يجرّا العساكر الى مازندران . ثم سار اليها بعد أن استخلف ميلاذ فى أرض إيران وسلم اليه الخاتم والتخت . وقال له : إن نبغ لك عدوّ فاخترط سيف الانتقام، وكن معتضدا برستم وأبيه . ثم توجه فى جموعه يطوى المهامه والقفار حتى وصل الى موضع يأوى(٤) إليه الشياطين . فنزل فيه وأمر جيو بن جوذرز، وكان أحد الفرسان، بأن يركب فى نخب الأجناد، وأسودها الأنجاد، ومن يستصلح لفتح البلاد . وعهد اليه بقتل كل من يراه من أهل تلك الديار، وألا يبقى على أحد منهم . فشد عليه منطقته وسار حتى نزل على باب مدينة مازندران وجعل يقتل كل من يرى(٥) منهم من صغير وكبير، ويشن عليهم الغارات ويحرق الديار وينهب

= ومن أجل هذا امتنعت مازندران على الفاتحين، ولم تخضع كلها لسلطان الخلفاء إلا بعد زهاء مائتى سنة من فتح إيران . وقد لقى المسلمون فى جبالها ودروبها شدائد . وقد سار اليها مصقلة بن هبيرة بأمر معاوية " ومعه عشرون ألف رجل فأوغل فى البلد يسبى ويقتل . فلما تجاوز المضيق والعقاب أخذها عليه وعلى جيشه العدوّ عند انصرافه للخروج، ودهدهوا عليه الحجارة والصخور من الجبال فهلك أكثر الجيش، وهلك مصقلة(٦) " .

وكأنه من أجل هذا سمى أهلها جنا فى الشاهنامه وفى الكتب الدينية من قبل. ففى الأبستاق يوصف الملك سروشا بأنه يحارب كل يوم وكل ليلة جن مازندران، ويذكر الملك هوشنك مقرّبا الى بعض الآلهة سائلا أن يؤيد حتى يحطم ثلثى شياطين مازندران(٧) . ولا تزال كلمة جنى (ديو) لقبا بين كبراء البلاد. ويظهر من " دينكرد " أنهم كانوا يسكنون الكهوف، وكانوا ذوى عادات قذرة(٨) .

قد يجد القارئ فى طبيعة مازندران ومضايقها وغاباتها وطباع أهلها ما يفسر بعض الأساطير التى فى هذا الفصل، فحبس كيكاوس وجيشه فى الظلمات، وإمطار الحجارة عليهم من السماء يشبه =

(١) ك : مما . (٢) ك : وتبعه . (٣) ك : وجيو(لا) . (٤) ك، طا: تأوى . (٥) طا : يجد .
(٦) ياقوت : طبرستان. والبلدان ص ٣٠٧ (٧) أفستا، ج٢ ص ١٦١ و ٢٥١ (٨) ورنر(Warner) ج ٥ ص ٢٨ و ٢٩

الأموال . فرأى المدينـة كأنها جنة الفردوس رونقا ونضارة وبهجة وطلاوة ؛ فيهـا من الوصائف الحسان، وملاح الغلمان ، والذخائر والأموال ما لا يضبطه ضابط ولا يحصره حاصر . ولمـا وقف الملك كيكاوس على ذلك استطاب المكان ، وقال : لقد صدق من قال : إن بلاد مازندران تضاهى الجنان . فأمسكوا عن الغارة بعد أسبوع[١] . وانتهى الخبر الى ملكهم بدخول عساكر إيران الى ممالكه وإفسادهم فيها . فأطرق واجما وحار فى أمره . وكان عنده جنى موصوف بالدهاء والذكاء ، يسمى سنجه . فأمره بأن يطير مبادرا الى ملك الجن الذى كان يسمى سبيذ ديو (ا) ويعلمه بصنيع كيكاوس ذلك ، وبأن يقول له : إنك إن توانيت عن إغاثتنا لم يبق من هذه الممالك عين ولا أثر . فوصل سنجه الى ملك الجن وشرح لديه الحال وأدى الرسالة . فقال قل لملك مازندران : لا بأس عليـك . فها أنا مقبل كالليل البهيم اليهم، ومورد هجمة المنون عليهم . فلما دخل الليل قصدهم سبيذ ديو فى جنوده ، وأطبق عليهـم إطباق السحاب المطبق ، وملأ بالظلمات جميع تلك الأقطار حتى صارت الأرض عليهم كأنها بحر من القار (ب) فأصبح الإيرانيون وكأنهم لم يصبحوا لاستمرار ذلك الظلام الدجوجىّ عليهم . فصار بعضهم لا يرى البعض . وأظلمت عين الملك كيكاوس فكان لا يبصر شيئا . وكذلك

= ما أصاب القائد المسلم مصقلة بن هبيرة . والطريق التى سلكها رستم تشبه أن تكون أحد الشعاب المخيفة التى تؤدّى الى مازندران مخترقة جبال ألبرز . وكذلك قتل الجنى الأبيض فى الكهف ، يحتمل أن يكون خرافة نشأت من مقاتلة جماعة لاجئين الى غار . وهلم جرا .

ثم قصة حرب مازندران فى الشاهنامه تتقسمها الفصول الآتية :

(١) قصد كاوس مازندران . (٢) نصح زال كاوس . (٣) ذهاب كاوس الى مازندران . (٤) رسالة كاوس الى زال و رستم . (٥) سبعة الخطوب التى لقيها رستم الأول : عراك رخش والأسـد . (٦) الثانى : مصادفة رستم ينبوعا . (٧) الثـالث : حرب رستم والتنين . (٨) الرابع : قتـل رستم امرأة ساحرة . (٩) الخـامس : وقوع أولاد فى أسر رستم . (١٠) السادس : حرب رستم وأرژنك الجنىّ . (١١) السابع : قتل رستم الجنى الأبيض . (١٢) رسالة كاوس الى ملك مازندران . (١٣) مجىء رستم الى ملك مازندران برسالة . (١٤) حرب كاوس وملك مازندران . (١٥) رجوع كاوس الى إيران وتسريح رستم .

(ا) سبيذ ديو أى العفريت الأبيض . (ب) فى الشاه : وأمطر عليهم من السماء حجارة ونصالا فتفرّقوا الخ .

(١) فى الأصل : فأمسكوا عن الغارة . وبعد أسبوع انتهى الخبر الخ . وقد غيرت العبارة اتباعا للشاه وللنسخ ك، كو، طا .

أكثر عسكره . ثم بسطت الجن فيهم يد الأسر والنهب حتى استولوا على جميع خزائنهم (أ). وتركهم سبيذ ديو فى ظلماتهم، ووكل بهم اثنى عشر ألفا من الشياطين، وسلم تلك الخزائن والأموال والخيل والبغال الى أرزنك صاحب الجيش، وأمره أن يحملها(١) الى ملك مازندران . وقال : أعلمه أنا(٢) قد استأسرناهم، وتركناهم محبوسين حيث لا يرون قمرا ولا شمسا، وكأنما صارت الأرض عليهم رمسا . 
ولم نقتل منهم أحدا ليعرفوا مقدارهم، وليعتبر بهم من وراءهم فلا يتجاوزوا ديارهم . ففصل أرزنك الى حضرة الملك بالأسارى والغنائم والأموال والذخائر. قال: فنفذ كيكاوس نذيرا الى زابلستان ليعلم دستان بما جرى عليه، ويخبره أنه اذا ذكر موعظته ونصيحته تصاعدت زفراته، وتبادرت عبراته، وأنه راج أن يغيثه، ويشد لخلاصه وسطه . قال : فلما أتى الرسول دستان وأخبره بذلك كاد أن يتمزق غيظا وينفطر أسفا، فأقبل على ولده رستم وقال : لقد انقطع الوصال بين السيوف وأغمادها، ولم يبق ركون الى نوم ولا قرار حيث وقع الملك كيكاوس بين أشداق الثعابين، وعم الإيرانية ما عم من مكائد أولئك الشياطين . فأسرج رخشك، وجرد سيفك، وأغث الصريخ. فأنت الفارس الذى إن حارب البحار صارت دماء، وإن كافح الجبال عادت فضاء . وليس ينبغى أن يطمع معك فى الحيوة أرزنك وذاك الجنى ولا ملك مازندران . فانهض اليهم ودق رقابهم بالجرز الثقيل، والسيف الصقيل . وقدامك طريقان : أحدهما أبعد شقة وأطول مسافة وهو الذى سلكه كيكاوس . والآخر أكبر معرة وأوعر حرة وهو مسيرة أربعة عشر يوما . وهو مشحون بالشياطين والسباع والسراحين . فاسلك هذا الطريق فان الله معك . وسيقطعه رخشك ويطويه لك، وسأقوم بعدك آناء الليل ساجدا لله تعالى ومبتهلا أسأله أن يقرّ عينى بعودك ولقائك، ويمنّ علىّ بطول بقائك . فقال رستم سأشد وسطى للانتقام وأجعل نفسى فداء الملك الهمام، وأكسر طلسمات أولئك السحرة، ولا أبقى من أهل تلك الديار إنسيا ولا جنيا . ثم إنه لبس السلاح وركب كأنه فيل على فرس . فشيعه أبوه دستان الى وادى روذابه ثم ودعه متردّدا فى أمره بين اليأس والطمع .

ذكر مسير رستم هذا

قال : ففصل رستم عن حدود نيم روز يسير فى كل يوم مسيرة يومين، يحسب الليل نهارا، ولا يعرف نوما ولا قرارا . قال : فاشتهت نفسه الطعام يوما فعرضت بين يديه صحراء مملوءة بأسراب اليعافير . فركض رخشه خلف عير منها ورمى بالوهق فى حلقه فبطحه، وأخرج نشابة،

(أ) حذف تقريع الشيطان الأبيض للملك كيكاوس على إقدامه على حرب مازندران .

(١) لك، كو، طا : بحملها . (٢) طا : أعلمه بأنا .

وقدح بنصلها نارا ، وشوى العير . ثم أتى على لحمه أجمع . وخلع لجام فرسه وأرسله يرعى فى أجمة كانت بين يديه . ثم نام تحت قصب هناك . فلما مضت طائفة من الليل خرج سبع فرأى رستم متمددا كأنه ركن جبل ، ورأى رخشه كأنه ثعبان . فأقبل نحو للفرس ليفترسه فوثب الفرس وضرب بيديه على أم رأسه ففلق هامته ، ومزق جلده ، وتركه طريحا كخباء مقوّض . فلما انتبه رستم رأى ذلك فعلم أنه من صنيع رخشه . فأقبل عليه ومسح بيده غرته ، وقال : لو انتبهت لكفيتك هذه المقاتلة . ثم لما طلعت الشمس قام وغمز ظهره وأسرجه وذكر(١) الله تعالى وركبه . وكان يسير فعرض دونه طريق قاتم الأرجاء فسلكه . فلما قام قائم الظهيرة ، واشتدّ الحرّ عطش هو وفرسه فغلبه الأمر حتى ترجل وجعل يمشى كأنه سكران . ثم رفع رأسه الى السماء ، وبسط يده بالدعاء ، وزاد به الأمر حتى وقع على رمضاء ذلك الفضاء يلهث من العطش . فبينا هو على ذلك إذ سنحت له غزالة فقام وأخذ السيف وتبع أثرها . فما سار إلا قليلا حتى وقع على عين خرارة . فكرع فيها وشرب وعادت نفسه اليه . نخرّ فى ذلك المكان ساجدا لله تعالى ثم أقبل على الغزالة يدعو لها ويقول : لا زلت يا غزالة الريف تفيئين الى الظل الوريف ، وتكرعين فى الزلال المعين ، وتتقلبين بين الورد والياسمين . وأيما قوس راعك إنباضه فلا زالت متقطعة أوتاره . فانك سددت رمقى ، وشفيت غلتى . قال : ثم نحى السرج عن رخشه ورحض حواركه وأكتافه . ثم توجه يطلب الصيد فاصطاد حمار وحش ، وأوقد نارا وألقاه عليها حتى نضج ، فتناول لحمه . ثم رجع الى العين وشرب من مائها . وجنه الليل فتمدّد ونام ، والفرس يسرح فى مرعاه . فلما توسط الليل جاء ثعبان هائل كان يأوى الى ذلك الموضع . فلما رآه الفرس عاد نحو رستم وأخذ يضرب بحوافره الأرض حتى انتبه . فقام ونظر يمينا وشمالا فلم ير شيئا . فزجر الفرس وطرده وعاد الى نومه . فلم ينشب أن عاد الفرس يضرب الأرض حتى إنها تشقق تحت سنابكه . فانتبه وقام وجعل ينظر أمامه ووراءه فلا يرى شيئا . فطرد الفرس بجفوة وعنف ونام . فما استغرق فى النوم حتى أتاه راكضا جريا . فقام فرأى ثعبانا يتنفس فيحرق جميع ما حوله من الحشيش . وأخذ(٢) السيف وأقبل نحوه فتعلق أحدهما بالآخر وطال بينهما القتال . وكاد الثعبان يغلب رستم . فلما رأى رخشه ذلك حمل على الثعبان فعضه عضة انتزع بها كتفه (١) ، وشق جلده . فانقلب الثعبان ، واستعلى عليه رستم فألقمه السيف . نخرّ صريعا وجعل دمه يجرى جريان السيل . فلما رأى ذلك دعا الله عز وجل وشكره . وجاء الى العين فاغتسل منها ،

(١) لا يستغرب القارئ ذكر « الكتف » هنا . فالثعبان هنا تنين خرافى . ولذلك ذكرت فى الشاه محاورة بينه وبين رستم قبل المعركة .

(١) لك ، كو ، طا : فذكر . (٢) لك : فأخذ .

وأسرج الرخش وركبه . وركب متن الطريق سائرا نحو مقصده . فلما زالت الشمس وصل الى أرض شجراء معشبة تتدفق مياهها على الرضراض، وتنسبسب أنهارها بين الرياض . فوجد عندها جاما من الرحيق محمرا كذوب العقيق، وغزالا مشويا ، وأرغفة وملحا . وكان المكان للسحرة، فطلع رستم وقد جلسوا على طعامهم . فلما رأوه تركوه وفرّوا . فقعد وأكل من طعامهم حتى شبع . ورأى هنالك عودا فأخذه وجعل يضرب به ويغنى بما ترجمته نظما :

نصيبى من الأطراب قلّ وإنما(١) ندامای ما بين الحروب الضراغم
رحيق دماء الكاشحين أريقها وأقداحها وقت الصبوح الجماجم

فسمعت امرأة ساحرة غناءه . فتزينت له وتبرجت وجلست اليه تسايله عن حاله ، وتستخبره عن حله وترحاله . ثم إن رستم ذكر الله تعالى فتغير وجه الساحرة واسودّ . فلحظ ذلك منها رستم
٣٩ فرمى بالحبل فى حلقها، وأوثقها فباتت فى القيد عجوزا شوهاء . فاخترط السيف وقدّها بنصفين . وركب وسار فى طريقه حتى وصل الى طريق مظلم قد تراكم ظلماؤه، وتدانت أرضه وسماؤه . حتى ليس يرى فيه شمس ولا قمر، ولا نجم ولا شجر. فأرخى عنان فرسه، وخاض لجة تلك الظلمة، وسار يخبط خبط عشواء حتى خرج الى الضوء . فرأى أرضا مخصبة مخضرة الأرجاء والأكناف(٢) . فخلع لجام فرسه وأرسله يرعى فى قصيل هناك . فألقى مغفره ، وخلع خفتانه لابتلاله بالعرق ، وبسطه فى الشمس، واتكأ يستريح . فجاء ناطور تلك الصحراء، وصاح على رستم، وضرب بعصا كانت معه على رجله . وأمره أن يمسك فرسه عن الزرع. فقام وأخذ بأذنيه واقتلعهما من أصولهما . وكان ملك تلك الناحية يسمى أولاذ . وكان قد خرج الى الصيد فى ذلك اليوم . فحمل الناطور أذنيه يعدو هاربا الى أولاذ ، وقص عليه القصة . فثنى عنانه وأقبل فيمن معه من أصحابه نحو رستم . فلما رآه رستم من بعيد ألجم رخشه، وعلاه، وانتضى صمصامه، وأنحى نحوه . فلما تقاربا ناداه أولاذ وقال: من أنت؟ ومن أين أقبلت ؟ وكيف تجاسرت أن تطأ هذه العرصة ؟ فقال له رستم : أنا الذى لو نقش اسمى على الأرض لأنبتت سيوفا وأسنة . وإن مر ذكرى بسمعك انقطع نفسك، وجمد فى قلبك دمك. وإن كل أم تلد مثلك فلست أسميها إلا نائحة ثكلى . أتعترض بين يدىّ فى أصحابك ، وتوعدنى ببأسك، وتدل بقوّة مراسك ؟ ثم حمل عليهم ووقع فيهم كما يقع الأسد الهائج بين قطيع الغنم . فتساقطت رءوس أصحاب أولاذ تساقط ورق الشجر أيام الخريف إلا من تفرق منهم بين الأودية والشعاب . وهرب أولاذ فركض رستم خلفه حتى إذا دنا منه رمى بالوهق فى حلقه ، وقبض

(١) طا : فانما . (٢) كو : معشبة الأكناف



عراك الرخش (فرس رستم) والأسد

[منقولة من كتاب مارتين (Martin) ص ١٢٩ ج ٢ — عن نسخة كتبت للشاه طهماسب فى القرن العاشر الهجرى

وقد حذف نصف الصفحة الأعلى المشتمل على الأبيات]

عليه، وشدّ وثاقه، وطرحه مقيدا بين يديه . فقال له إن صدقت فيما أسايلك(١) عنه، ودللتنى على مستقر "سبيذ ديو" يعنى ملك الجن، وعلى مواطن كولاذ، وبيذ وتقدّمت بين يدىّ، وأوصلتنى الى الموضع الذى حبس فيه كيكاوس وليتك بلاد مازندران، وسلمت اليك ممالكها أجمع . فقال: إنّ أعطيتنى الأمان على روحى، وعاهدتنى على ذلك أطلعتك طلع هذه الأحوال، وأفضيت إليك بعجرها وبجرها، ودللتك على المواضع التى سايلتنى عنها . ففعل ذلك رستم . فقال له : إن بينك وبين الموضع الذى حبس فيه كيكاوس مائة فرسخ . ومن عنده الى مستقر ملك الجن مائة فرسخ أخرى . وفيه جبال شامخة وأودية غائرة . فقال : دلنى أولا على موضع كيكاوس . فتقدّمه وسار لايستريح ليلا ولا نهارا حتى وصل الى جبل أسفروز حيث كان معسكر كيكاوس، وحيث أحيط به وقبض عليه . فلما انتصف الليل سمع صياحا عظيما ولغطا كثيرا، ورأى نيرانا موقدة، وشموعا مشتعلة . فسايله عن ذلك الموضع . فقال : إن هذا باب مدينة مازندران . وعليها قوّاد ملك الجن فى عساكرهم، مثل كولاذ، وأرزنك، وبيذ . وهم لا ينامون ثلثى الليل . قال : فنام رستم . فلما طلعت الشمس شدّ وثاق أولاذ، وربطه بشجرة من تلك الأشجار، ولبس سلاحه وقصد أرزنك . فلما قرب من عسكره صاح صيحة ارتجت لها الأرض . فوثب أرزنك الجنىّ وخرج من خيمته . فحمل عليه رستم، وأنشب براثنه فى عنقه، واقتلع رأسه، وحلق به فوقع مضرجا بدمه بين أصحابه . فلما رأت الجن ذلك خافوا وتفرّقوا بعد أن وضع رستم فيهم السيف وقتل منهم خلقا كثيرا . ثم لما زالت الشمس ثنى عنانه وعاد الى سفح جبل أسفروز . فحل أولاذ وسايله عن الموضع الذى حبس فيه كيكاوس . فتقدّمه راجلا يدله على الطريق حتى دخل المدينة . فصهل رخشه كصوت الرعد فسمع كيكاوس صوته، وعرف بذلك قدوم رستم . فبشر بذلك أصحابه . فدخل رستم فى الحال عليه، وخر ساجدا بين يديه . فعانقه كيكاوس وأكرمه، وسايله عن أبيه دستان، ثم عما قاساه من التعب والمشقة فى طريقه ذلك . ثم قال له : اهتبل غرة سبيذ ديو واهجم عليه قبل أن ينتهى اليه الخبر بقتل أرزنك فيحشد جنوده، ويجمع جيوشه فلا تطيق مقاومته . وإن قدامك فى الطريق اليه سبع جبال شواهق، وعلى كل مرصد خلق من عساكره وجنوده . فإذا جاوزت الكل انتهيت الى مغارة عميقة هائلة مظلمة قد حفت مراصدها بالشياطين . وقعر هذه المغارة مستقر سرير سبيذ ديو . ولعل السعادة تظفرك به فتقتله وتشق خاصرته وتخرج كبده . فان الطبيب ذكر لى أنى إذا اكتحلت بدم كبده ردّ الله بصرى(٢) . فتأهب رستم لذلك وركب ومعه أولاذ يتقدّمه ويدله

(١) لك، كو : أسألك . (٢) لك : علىّ بصرى .

على الطريق . فتجاوز الجبال السبعة ، ووصل الى قرب المغارة . فأقبل على أولاذ وقال : لقد صدقتنى فى جميع ما استخبرتك عنه . فالآن دلنى على هذا الجنى . فقال : إن الجن إذا حميت الشمس ناموا فلا يبقى على باب المغارة إلا قليل من الحراس فتهجم عليه فى ذلك الوقت وتأخذه . قال : فلبث قليلا حتى ارتفعت الشمس . ولما كان وقت الضحى شد وثاق أولاذ وربطه ببعض الأشجار ، وركب وتقحم غمرات أرصاد الشياطين يضرب رقابهم يمينا وشمالا حتى وصل الى باب المغارة فوجدها محشوة بالظلمات . فاقتحمها برخشه فحجبت الظلمة نظره . فمسح بالماء عينه ، وهبط فى المغارة يطلب مستقر سريره حتى وصل اليه . فرأى وجها كالليل البهيم يتلهب كالجحيم ، وشعرا أبيض قد تشعث على رأسه . فلما رأى رستم وثب اليه فرفع رستم سيفه وضربه ضربة طير بها رجله . فتعلق مع جرحه برستم يتقارعان ويتقاتلان . فغلبه رستم ورماه الى الأرض قتيلا ، وسل خنجرا من وسطه وشق عن خاصرته ، واستخرج كبده . قال : فامتلأت تلك المغارة بدمه ، وانسد الطريق لعظم قالبه وجثته . وخرج[1] رستم مظفرا منصورا وجاء إلى أولاذ ، وحل رباطه ودفع اليه كبد الجنى . وقدّمه بين يديه وهو يسير وراءه . فقال له أولاذ : أيها الأسد المقدام إنك قد سخرت عالما من العوالم بسيفك ، وأدركت ماشئت ببأسك . وقد وعدتنى بشىء يتقاضاه رجائى . ولا يليق بمثلك نقض العهد وإخلاف الوعد . فانك المتوفر على رعاية الذمم والمنتمى الى شجرة الوفاء والكرم . فقال : سأسلم اليك جميع ممالك مازندران . ولكن بقى أن أملك ناصية ملكها وأفنى أصحابه وأبدد جمعه . ثم لا أحيد عما عاهدتك عليه
(٣٠) إلا أن أموت فيوارينى التراب . قال : فلما عاد رستم الى حضرة الملك كيكاوس . قال : أبشر أيها الملك بهلاك عدوك . فانى قد قتلته واستخرجت من خاصرته كبده . فشكره الملك وأثنى عليه وعلى من نجله . ثم اكتحل الملك بقطرات من دم الكبد[2] فعاد بصره . وجىء بتخت من العاج وتاج من الذهب ، فاعتصب وجلس على التخت . ولبث مع رستم وسائر الملوك والأمراء مثل طوس وفريبرز وجوذرز وجيو وبهرام وجرجين أسبوعا يتراضعون[3] السرور والطرب . ثم ركبوا فى اليوم الثامن أجمعين ، واستلوا أسيافهم ، وانتشروا فى مدينة مازندران ، ووقعوا فيها وقوع النار فى القصباء ، يحرقون الديار ، ويقتلون الرجال ، وينهبون الأموال . ثم قال كيكاوس لعسكره : لقد مكنا منهم يد الانتقام وجزيناهم بسوء صنيعهم صاعا بصاع . والآن نكف عنهم يد القتل ، ونرد عنهم عادية النهب ، ونرسل الى ملكهم ونوقظه من سنة غفلته ، ونخوفه وخامة عاقبة غرته . فوافقه رستم على ذلك .

(١) ك : نخرج
(٢) ك ، طا : تلك الكبد .
(٣) كو : يتراضعون در السرور .

ذكر ما جرى بين كيكاوس وملك مازندران من المكاتبات وما أفضى اليه الأمر

قال : فدعا بالكاتب وأمره فكتب بالمسك على الحرير الأبيض كتابا صدّره بالحمد لله والثناء عليه، وذكر فيه طرفا من المواعظ والنصائح . وأعقب ذلك بأمره إياه بالمبادرة الى حضرته، وقبول الخراج والجزية، وأنه إن تقاعد عن ذلك لم ير إلا ما حل بالجنىّ من التنكيل والقتل والأسر والنهب . وملأ الكتاب إعذارا وإنذارا . ودعا رجلا من أصحابه يسمى فرهاد، وكان من وجوه الملوك وأعيانهم، وأمره بحمل الكتاب الى ملك مازندران . فقبل الأرض وتناول الكتاب وركب حتى أتى على مدينة يقال لأهلها دُوال باى (ا) وكانت هذه المدينة مستقر سرير الملك . فلما أخبر بقدوم الرسول أمر أسود رجاله وأبطال عسكره بالركوب لاستقباله . وقال : لاتتركوا اليوم شيئا من آداب فروسيتكم ودلائل رجوليتكم إلا أظهرتموه . فتلقوه كذلك بوجوه مقطبة وشفاه مهدّلة، وقبض واحد منهم على يد الرسول، على الهيئة التى اعتادوها فى إظهار القوة والإدلال بالشدّة، وعصرها فما تغير وجهه ولا اصفرّ لونه . فجاءوا به الى خدمة الملك . فلما دخل عليه سأله عن الملك كيكاوس أوّلا ثم عما لقى من مشاق السفر ثانيا . فوضع الكتاب بين يدى الكاتب . فلما وقف الملك على الحال وما فيه امتلأ قلبه غيظا، وانكسر ظهره بقتل ملك الجن وأمرائه . فقال قل لكيكاوس : إنى أرفع منك شأنا وأعز سلطانا . وإن حوالى ألوف ألوف من العساكر الذين حيث توجهوا لم يبقوا حجرا ولا مدرا . وإن على بابى ألفا ومائتين من الفيلة التى ليس على بابك منها فيل واحد . وسأهجم بها عليك وأثل عرشك . فلما سمع فرهاد كلامه، ورأى خشونته وطغيانه اجتهد فى تحصيل جواب الكتاب، وانصرف راجعا الى صاحبه . ولما وصل الى حضرته أفضى اليه بجميع ما رآه وسمعه . فقال عند ذلك رستم : من الواجب أن أكون أنا الرسول اليه وأستصحب منك اليه كتابا كالسيف القاطع ورسالة كالسحاب الراعد . أؤدّى(١) الرسالة فى ناديه، وأفيض بها سيول الدماء فى واديه . فاستصوب الملك هذا الرأى وأمر الكاتب أن يجيب ملك مازندران عن كتابه، ويكتب أن مثل هذا الخطاب يستهجن من ذوى الألباب . ففرّغ دماغك من الفضول، وبادر الى حضرتنا واقفا على قدم المثول، وأنك إن خالفت هذا المثال ملأت الأرض بالجيوش وجررتهم الى حربك . ولعل روح ملك الجن تبشر النسور والذئاب بأشلائك . ولما ختم الكتاب استعدّ رستم وسار حتى قرب من ملك مازندران .

(ا) فى الشاه : الى مدينة فيها « نرم پاى » . وكل انسان هناك له رجلان من الجلد فلذلك سموا بهذا الاسم . فقد وضع المترجم «دوال باى» ومعناه ذو الرجل الجلدية — مكان «نرم پاى»، أى لين الرجل . وفى الشاه : أوّل هذا الفصل ما يدل على أن «نرم پاى» اسم قبيلة من قبائل مازندران .

(١) ك، طا : وأودى .

فأخبر بأن رسولا جاء كالهزبر الغضبان . فأمر قواد الجن ونخب فرسانهم وأنجاد شجعانهم باستقباله وتلقيه . ولما وقعت عين رستم عليهم قلع شجرة كانت بين يديه ورفعها كما يرفع المزراق . فقضوا العجب من ذلك . ولما قرب منهم رماها . فتلاقوا وتسايلوا . ثم جاء واحد من فرسانهم وقبض على يد رستم . فتبسم رستم وعصر يده حتى تغير لونه ونخب قلبه . وأخبر الملك بذلك فدعا بجنى يسمى كلاهور، وكان أقوى عسكره وأشدهم، وكان كالنمر فى خلقه لا يشتهى غير الهراش والحرب، فأمره[1] باستقبال الرسول وإظهار رجوليته له . فركب وتلقى رستم وسايله مسايلة المتنمر . ثم مدّ يده الى يد رستم فعصرها حتى صارت فى لون النيل . ففتل رستم يده وعصرها حتى تساقطت أظفاره . فعاد ودخل على الملك وأراه يده، ولم يقدر أن يخفى ما يجد من الألم . وقال : السلم خير لك من الحرب . فلا تضيق على نفسك مسالك الطريق الرحب . فإنك لا تطيق مكاشرة كيكاوس ومقاومته . فإن لان لك فالأولى أن ترضى بقبول الخراج والجزية[2] وتقسمها على أهل مازندران صغيرهم وكبيرهم . ووصل رستم فى تلك الحالة ودخل على الملك كالليث الثائر . فأجلسه الملك فى موضع يليق به، وسايله عن كيكاوس وعسكره، وذاكره فى عناء سفره . ثم قال : أأنت رستم ذو البراثن الشديدة والأعضاد القوية؟ فقال : إنه السيد وأنا الغلام . وكيف يقاس بالصبح الظلام؟ ودفع اليه الكتاب، وبلغه الرسالة . فقرأه[3] ثم أقبل على رستم وقال : ما هذه المخاطبة الشنيعة والمطالبة الفظيعة؟ قل لكيكاوس : إن كنت مالك إيران وأنت اجرأ من ليث خفان فأنا ملك مازندران المعتصب بتاج سلطنتها والمستقر على سرير مملكتها . وليس من رسم الأكابر أن يستنهض مثلى الى خدمتك . فتفكر فى نفسك، ولا تتعرّض للاستيلاء على أسرّة الملوك . فانه ارتفاع يورث الانخفاض . فارجع الى مملكتك، ولا تحدّث بغير ذلك نفسك . فانى اذا زحفت فى عساكرى نحوك لم تعرف رأسك من ذنبك . وإنى اذا واجهتك فى مأزق الحرب حسمت مادة حدّتك بالصارم العضب . فنظر رستم الى الملك وأصحابه، ولم يوافقه ذاك الخطاب العنيف . فاضطرم غضبه، ولم يقبل منه لا خلعة ولا ذهبا . وركب وعاود حضرة كيكاوس تغلى مراجل بأسه، وتشتعل نائرة غيظه . فذكر له ما سمعه من الرسالات الموغرة والبلاغات الموحشة وقال : لا تستهولن ذلك وتقدم وتأهب للقتال . واعلم أن أسودهم ورجالهم أحقر فى عينى من التراب . قال : ولما خرج رستم تأهب ملك السحرة صاحب مازندران للقتال، وأمر فضرب سرادقه على ظاهر المدينة . وبرزت عساكره وساروا فارتفع من مسيرهم عجاج كسف عين الشمس، وصار لا يرى بر ولا بحر، ولا يبين حزن ولا سهل . وكأن الأرض تئن تحت مناسم ٣١

(١) ك ، طا : وأمره . (٢) ك : وأداء الجزية . (٣) ك : فقرأ الكتاب ؛

الفيول، وتضطرب تحت وقع سنابك الخيول . وساق عساكره كذلك ولم يتلبث[١] فواق ناقة . فانتهى الخبر الى كيكاوس بدنو عساكر الجن . فأمر رستم أوّلا بالتأهب والتشمير، وأمر طوسا وجوذرز بإعداد العدد، وتعبئة العساكر . فضربوا سرادق الملك كيكاوس فى الصحراء . وجعلوا طوسا فى الميمنة، وجوذرز فى الميسرة، ووقف الملك فى القلب . وبرز رستم قدام العسكر . فتقدّم فارس من أصحاب ملك مازندران يسمى جوبان (ا) وكأنما يخرق الأرض بشدّة بأسه، ومر على صفوف الإيرانية كأنما يشقق السهل والجبل بزفيره وتغيظه . وجعل يطلب المبارزة فلم يجبه أحد منهم . فأشرع رستم رمحه واستأذن كيكاوس[٢] فبارزه ، وطال بينهما القتال، وتمكن منه رستم فدار من خلفه ووضع سنانه بين كتفيه فأخرجه من نحره، ورفعه على رمحه كالطير على السفود، ثم رماه مضرجا بالدم صريعا لليدين والفم . فتعجب أسود مازندران من ذلك ، وانكسرت ظهورهم ، وأرعبت قلوبهم . فأمر ملك مازندران عساكره أجمعين بأن يشدّوا عليهم شدّ الليوث، ويقاتلوهم قتال النمور . فارتفعت من الجانبين أصوات الكوسات والطبول، وأظلمت الآفاق بالقساطل، وارتجت الأرض بالجحافل، وأضاءت السيوف فى سماء العثير إضاءة البرق فى السحاب المكدر، وصارت الأرض كبحر من القار تتراكض سوابح الخيول فيها كالسفن . فبقوا كذلك فى القتال على حالة واحدة مدّة أسبوع . فلما كان اليوم الثامن ألقى الملك كيكاوس مغفره، ووضع خدّه على التراب وعفره، وجعل يسأل الله تعالى أن ينصره . ثم لبس المغفر وحضر المعركة فارتفعت أصوات الكوسات ، وتزاحفت الصفوف، وتكاثفت الجموع ، وجعلت سيول الدماء تتدفق بين الأودية والشعاب من أوّل السحر (ب) الى مغيب الشفق . واجتمع فى المعترك من جثث القتلى ما يضاهى الهضاب العالية . فتوجه رستم نحو ملك مازندران، وقصد قصده فى جمع عظيم . وقد ثبت ملك مازندران فى مجال الحرب متصدّيا للطعن والضرب فى جموعه ورجاله وخيوله وأفياله . فلما وقع بصره على رمح رستم ارتعدت فرائصه واضطرب قلبه . فألقى رستم رمحه، وتناول الجرز، وذكر الله تعالى، وخاض غمار الملحمة فوهت قوى السحرة فتخاذلوا وتواكلوا، وأسرع فيهم القتل[٣] حتى طبق الأرض جثث القتلى وخراطيم الفيلة . ثم أخذ رستم رمحه فطعن الملك فى خاصرته طعنة رمته الى الأرض . فسحر أعين الناس وصار كأنه قطعة جبل . فوقف الإيرانيون ينظرون اليه . ثم نزل اليه فرسانهم فما رأوا سوى صخرة صماء لا يطاق قلبها وتحريكها . فترجل رستم وتناوله بأصابعه، وكانت كبراثن السباع، فرفعه على كاهله،

(ا) فى الشاه : جويا . (ب) ترجم المترجم كلمة شبكير بالسحر، وهو صحيح . ولكن الكلمة تطلق على الصبح أيضا . وهو أقرب الى سياق القصة .

(١) ك : لم يلبث . (٢) ك : الملك كيكاوس . (٣) ك : الفشل

وسار والخلق وراءه يقضون العجب من حاله ، وينثرون عليه الجوهر والذهب . حتى انتهى الى باب سرادق الملك كيكاوس . فألقاه وقال له : إن لم تخرج عن هذا السحر ، ولم تخلع هذه الصورة فلقتك بالمعاول، وقطعتك قطعا . فلما سمع ذلك بان مدججا فى السلاح كأنه قطعة سحاب . فضحك رستم وأخذ بيده وأتى به الى حضرة الملك كيكاوس . فلما رآه الملك أمر رجلا من أصحابه كان يسمى دُژخيم[1] أن يقتله (١) ويمثل به . ثم نفذ الى معسكره من يجمع الغنائم ويحصى الجواهر والذخائر . فنضدوها فى تلك الصحراء بعضها فوق البعض حتى صارت كأنها الجبال . فركب وسار اليها فى عساكره، وفرّقها عليهم جميعا . وأمر بقتل المردة من الجن المأسورين فقتلوهم . ثم أتى مكان العبادة واعتكف فيه ، وجعل يناجى ربه ويشكره على ما وهب له من الفتح المبين والنصر العزيز . وأقام كذلك أسبوعا من الزمان . ثم خرج فى اليوم الثامن وفتح أبواب الخزائن ، وفرّق الأموال على المحتاجين خاصة وعلى سائر الخلق عامة . ثم فى الأسبوع الثالث لما انتظمت الأحوال واستتبت الأمور جلس مع أصحابه فى مجلس الأنس يتعاطون كؤوس الشمول متنقلين باللهو واللعب . فمكث على هذا أسبوعا آخر من الزمان . قال : فقال رستم لكيكاوس : إن أولاذ هو مفتاح هذه الفتوح فإنه كان الهادى لى والدليل بين يدى . وهو يتوقع تفويض مازندران اليه . وقد وعدته أنا بذلك. فرجائى أن يخلع عليه، ويعقد له اللواء، وتكتب له عهدا بأنه ما عاش فى هذه الممالك ينقاد له الصغير والكبير ويطيعه المرءوس والرئيس . فدعا أكابر مازندران وسايلهم عن سيرة أولاذ وطريقته ، واستخبرهم عن سريرته وعلانيته ،وسلم اليه ذلك الإقليم .وثنى عنانه عائدا الى بلاد فارس . ولما انتهى الى ممالك إيران فرح بعوده الايرانيون وزينوا البلاد ، وأظهروا الأطراب والأفراح . فجلس الملك كيكاوس على تخته . وبادر الى خدمته الملوك والأمراء . ففتح الخزائن ووضع ديوان الأرزاق ، ورتب لها كتابا وعمالا . ثم وصل رستم وجلس فى خدمة الملك كيكاوس . فأمر أن[2] تعدّ له خلعة رائقة ، وتخت من الفيروزج ، وتاج مرصع بالجواهر ، وثياب منسوجة من الذهب ، وطوق وسوار ، ومائة من روقة الغلمان بمناطق الذهب ، ومائة من الوصائف الصباح فى وشائع الحلى والحلل ، ومائة فرس بلجم الذهب ، ومائة ناقة من الجمال السود بأزمة الذهب محملة بالديباج الخسروانى والثياب الرومية ، ومائة بدرة من الذهب ، وجام مخروط من الياقوت مملوء بالمسك الأذفر ، وجام

---

(١) فى الشاه : أنه أمر دژخيم (بكسر الدال) أن يقتله . ومعنى دژخيم سيىء الطبع . و يقال للجلاد أيضا . والمراد أن الملك أمر الجلاد بقتله . ولكن المترجم ظن أن « دژخيم » اسم رجل بعينه فترجم الجملة كما ترى .

(١) طا : درخيم . (٢) ك : بأن .

آخر من الفيروزج مملوء بالماورد(١) ، ومنشور من الحرير مكتوب بالمسك السحيق بتقليده ممالك نيم روز . وقدّم جميع ذلك بين يدى رستم . وأثنى الملك عليه ودعا له . فأهوى الى الأرض فقبلها(٢) وخرج فنادى فى عسكره بالرحيل، وانصرف متوجها نحو ممالكه . وأقام كيكاوس على سريره ينهى(٣) ويأمر. وطاب عيش الناس، وعمهم الأمن والأمان، والعدل والاحسان . وأخصبت الأرض وصار العالم كأنه بعض الجنان المتهللة بالروح والريحان . (٣٢)

ذكر مسير الملك كيكاوس الى هاماوران §

قال : ثم عرض للملك كيكاوس حركة ففارق سرير الملك وخرج من ممالك ايران قاصدا بلاد الترك والصين . فعطف الى نواحى مُكران، ومنها الى بحر زِرِه الى أن وصل الى نواحى البربر(ا) طالبا للتغلب

---

§ هاماوران

يؤخذ من الشاهنامه أن الملك كيكاوس سار من سيستان حين بلغه أن ثائرا من العرب خرج فى مصر والشام . وآثر ركوب البحر لبعد الشقة فى البر فسار حتى توسط ثلاث ممالك : مصر عن يساره، و بربر عن يمينه وأمامه هاماوران ودونها البحر .

ظن بعض الكتّاب من أن الثورة ثارت فى مصر والشام أن هاماوران هى سورية، ولكن ليس هنا مجال للظن، ففى فارس نامه والطبرى والمسعودى أن كاوس أسر فى بلاد اليمن . وذكر ذلك أبو نواس فى قصيدته التى يفخر فيها بقحطان على نزار :

وقاظ قابوس فى سلاسلنا سنين سبعا وفت لحاسبها

بل يذكرون اسم ملك اليمن الذى حاربه قابوس، وهو ذو الأذعار بن أبرهة ذى المنار بن الرائش . ويقول المسعودى: هو شمر بن أفريقش(٤) . ويقول الثعالبى فى الغرر: إن هاماوران هى حمير . ويروى فى سبب ذهاب كاوس اليها ما ترويه الشاهنامه سببا لذهاب كاوس الى مازندران(٥) . وفى فارس نامه أنه ذهب لتأديب ذى الأذعار لعدوان كان منه .

ثم وصف الشاهنامه المتقدّم يوافق بلاد اليمن . وبربر التى تذكرها هى بربرة على الساحل الغربى من خليج عدن . وهذا لا يزيل الخلط فى جغرافيا الشاهنامه فى هذا الفصل . =

(ا) البربر هنا غير البربر الآتية . وينبغى أن تكون بعض الجهات فى أفغانستان أو تركستان .

(١) ك : بماء الورد . (٢) ك : وقبلها . (٣) ك : يأمر وينهى .

(٤) فارس نامه ص ٤٢ ، والطبرى ص ٢٦٤ ج ١ ، ومروج الذهب ص ١٤١ ج ١ (٥) الغرر : ص ١٥٥

عليها فمانعه ملك البربر، واستعدّ لحربه، ولقيه فى عسكر عظيم وجمع يخيل الهواء لكثرة رماحهم كأنه بعض الآجام . وانسدلت ذيول القتام انسدال جنح الظلام حتى لم يكد أن (١) يرى الناظر يده، والفارس عنانه . فتقدّموا فوجا بعد فوج الى المصاع والقراع، وأقبلوا كالأمواج المتلاطمة للدفاع . فلما رأى ذلك جوذرز رفع عموده وحمل فى ألف فارس من الآساد المذكورين والأنجاد المشهورين على صفوف البربر، فشق قلبهم وبدد شملهم . وكان الملك كيكاوس وراءه يضرب يمينا وشمالا ، ويطردهم كالغضنفر يسوق آجالا . فتفرّقت جموع البربر وأضحوا كأن لم يكن منهم فارس ولا رامح . فخرج كل من كان فى مدينتهم من المشايخ والكهول وأطلقوا ألسنتهم بطلب الأمان مستعيذين بعفو السلطان، وجعلوا يعتذرون اليه، ويتضرعون بين يديه، ويبذلون له الطاعة ملتزمين أداء الخراج والجزية . فقبل الملك منهم ذلك، وفارق تلك الناحية، وسار حتى وصل الى نواحى المغرب وجانب جبل قاف، يتلقى الناس فى كل ذلك مواكبه مطيعين خاضعين . فلما رأى سلوكهم سبيل الطاعة

= وليس بعيد أن تكون هذه الغزوة البحرية بقية محرّفة من مسير دارا الأوّل فى البحر من الهند الى إيران أو مسير اسكندر المقدونى، ممزوجة ببقايا محرّفة من أعمال الفرس فى بلاد اليمن (٢) .

ومما يجدر بالعناية اختلاف مؤرّخى الفرس والعرب فى نهاية هذه الحرب . فالأوّلون — كما فى الشاهنامه — يروون أن رستم قهر ملك اليمن، وأطلق كاوس قسرا . والآخرون يقولون : إن الصلح كان بين رستم وملك اليمن على أن يطلق كاوس، ثم لا يتعرّض لليمن مرة أخرى (٣) .

ثم هذه القصة ذكرت فى بعض نسخ الشاهنامه بعد هذا العنوان : "أعمال كاوس بأرض البربر وقصص أخرى : حرب هاماوران" . وفى بعض النسخ "طواف كاوس فى العالم، ومحاربته ملوك هاماوران ومصر والبربر" . وفى أثناء القصة هذه العناوين :

(١) خطبة كاوس سودابه بنت ملك هاماوران . (٢) أسر ملك هاماوران كاوس . (٣) إغارة أفراسياب على بلاد إيران . (٤) رسالة رستم الى ملك هاماوران . (٥) محاربة رستم ثلاثة الملوك، وتخليص كاوس من الأسر . (٦) رسالة كاوس الى قيصر الروم وأفراسياب . (٧) تعمير كاوس العالم .

وقد ذكر المترجم بعد قصة هاماوران بغير فصل، قصة أخرى لها فى الشاهنامه عنوانان :

(١) إضلال إبليس كاوس، وصعود كاوس الى السماء . (٢) إرجاع رستم كاوس .

---

(١) ك : لم يكد يرى (٢) أنظر المقدّمة . (٣) فارس نامه ص ٤٢ ، والطبرى ج ١ ص ٢٦٤

وتوسلهم الى إرادته بالخضوع والضراعة صرف عنهم عنانه، وأقبل فى عساكره الى زابلستان قاصدا ضيافة رستم بن دستان. وأقام فيها شهرا من الزمان يشتغل يوما باللهو والطرب ويوما بالصيد والطرد.

قال : ثم لم يمض إلا قليل حتى امتدّت يد التزلزل الى قواعد ذلك العلم الفرد، ونبت القتاد على أرجاء حديقة الورد، وعاد جناح دولتـه مهيضا . وإن وراء كل يفاع حضيضا . واذا استوت الشمس جنحت للزوال ولا بد من النقصان بعـد الكمال (ا) وذلك أنه خرج رجل من العرب أصيل[1] يسمى دُربيس (ب) من نواحى الشام ومصر، ورفع راية وخلع ربقة الطاعة لكيكاوس، وأعرض عن خدمته، وادّعى الأمر لنفسه. فلما بلغ كيكاوس أنه ظهر له شريك ينازعه فى السلطنة أمر بضرب الكوسات، وارتحل عن نيم روز. فجاشت السيوف فى أغمادها، واستعدّت الجيوش والعساكر واحتشدت. ثم قادها من البر الى البحر، وأعد من السفن والزواريق ما يفوت العـدّ والحصر. ثم ركب البحر فى جميع عساكره. وإنمـا حاد عن طريق البر لبعده. فإنه كان مسافة ألف فرسخ. فسار فى البحر حتى وصل الى مدينة من يسارها مصر، ومن يمينها البربر، وقدّامها البحر (ح). وكانت هذه المدينة تسمى هاماوران. فى كل صوب منها عسكر عظيم. فحين بلغهم إقبال كيكاوس وخروجه عن البحر اجتمعوا وصاروا يدا واحدة فبلغوا عددا طبقوا[2] الأرض حتى أثاروا السباع عن أخياسها، والظباء عن كناسها، وكادوا يضيقون مجال العقبان فى جوّ السماء، ومسبح الحيتان فى قعر المـاء. وأقبل كذلك كيكاوس بجنوده وجموعه فخيل أن طلاع الأرض مطبق بالجواشن والدروع، وأن السماء لكثرة الأسنة تنثر أجرام النجوم. فتزاحف الفريقان، وبرز جُرجين وفرهاذ وطوس من أحد جناحى عسكر كيكاوُس، وبرز شيذوش وجيوْ وفولاذ (د) من الجناح الآخر فأشرعوا الأسنة، وأرخوا الأعنـة، وطفقوا يقارعون بالدبابيس الحاطمة والعمد القاصمة. وتقدّم كيكاوس من القلب الى المعترك فاحمر البأس وحمى الوطيس. فلما رأى ملك هاماوران قوّة الايرانية ألقى السلاح وطلب الأمان، وتقبل خراجا ثقيلا، والتزم أن ينفذ الى الملك كيكاوس أسلحته وخيله وتاجه وتخته، على أن يخلى كيكاوس

(ا) فى حاشية الأصل فى هذا الموضع : وما أحسن قول ابن نباتة فى هذا المعنى :

فطلاب الغايات لا تقصدوه ❊ أوّل النقص آخر الازدياد

(ب) لا يذكر اسم الثائر فى الشاهنامه.

(ح) فى الشاه : «حتى توسط ثلاث ممالك، فكانت مصر على يساره وبربر على يمينه، وأمامه هاماوران». ثم فى نسخة مول وترجمة ورنر : «والبحر فى الوسط الى الجهة التى يقصدها». وفى نسخة تبريز «وطريقه» بدل «والبحر».

(د) فى نسخ الشاه التى بيدى : بهرام، كركين، طوس. ثم فرهاد، شيذوش، جيو.

(١) ك، طا : أصيل من العرب. (٢) ك : طبق.

بينه و بين بلاده ولا يطأها بخيله . فقبل الملك ذلك منه وصالحه . فذكر ذاكر فى حضرته أن له خلف الستر بنتا أحسن قدا من السرو، ذات شعر كالمسك، تظهر كأنها جنة زاهرة، وتبدو كأنها شمس باهرة . وقيل له : إنها تصلح أن تكون قرينة للملك . فمالت اليها نفس كيكاوس . فأمر رجلا كافيا من أعيان حضرته أن يمضى الى ملك هاماوران، ويخطب اليه ابنته، ويقول له : إن أكابر الملوك يرغبون فى مصاهرتنا ويتوسلون الى مواصلتنا . وكل من لا يلتجئ الى ظلال دولتنا من الملوك فلن يمكنه الاستقرار على سرير الملك . وأنا الآن مريد مواصلتك من أجل أنه بلغنى أن وراء ستورك بنتا تليق بتختنا ، لطهارة أصلها وتحليها بالخلال الحميدة والأخلاق المرضية . وعلى الجملة من وجد ختنا مثل ابن قباذ فقد اعتصم بخير ملجأ وملاذ . قال فمضى السفير الى حضرة ملك هاماوران . فلما دخل عليه افتتح الكلام وأقرأه من الملك السلام، وأدّى ما تحمله من الرسالة . فأطرق متفكرا وقال فيما بينه[1] وبين نفسه : إن كيكاوس وإن كان ملك البر والبحر فما لى على وجه الأرض غير هذه البنت . وهى أعز علىّ من روحى . وإن[2] امتنعت لم أطق مقاومته ومنازعته . ثم أقبل على الرسول وقال إن الملك يريد أن يأخذ منى شيئين ما لهما ثالث ؛ فإنى بالمال قوى الظهر، وبهذه المخدّرة منشرح الصدر . وما يبقى علىّ بعد هذين شىء . ولكن لا أخالف أمره، وسأنفذ ما يريد الى خدمة تخته . فدعا بابنته (أ) وكانت تسمى سوذابه، وذكر لها حال كيكاوس . ثم قال لها : إنه قد نفذ إلىّ رسولا، وكتب الىّ كتابا يخطبك فيه ، ويريد أن ينغص بذلك عيشى ، ويسلبنى نومى وقرارى . فماذا ترين وما رأيك فى هذا الأمر ؟ فقالت له إن كان ولا بد فاعلم أنك لا ترى خيرا منه ختنا . فلا تحرجن صدرك بالهم، ولا تقابل هذا السرور بالغم . فلما رأى ميلها الى ذلك اشتغل بتجهيزها ورتب ثلثمائة وصيفة وأربعين عمارية ، وألف بغل، وألف فرس[3] وجمل محملة ديباجا وذهبا وأنفذها الى حضرة الملك كيكاوس . (٣٣) فبهت حين رآها لما شاهد من كمالها وجمالها . ثم إن ملك هاماوران تمكن منه الهم لما جرى عليه من كيكاوس فشرع فى الاحتيال عليه، وأرسل اليه بعد أسبوع مضى من تجهيزه ابنته[4] يستضيفه ويقول له : إن رأى الملك أن يشرف عبده ، ويصير الى هاماوران، وينوّرها بجمال طلعته . وهو فى ذلك يضمر خلاف ما يظهر، ويريد أن يزيل احتكام[5] الغير عليه ويعود اليه الحكم فى بلده وولده . ففطنت ابنته سوذابه لحيلة أبيها وقالت لزوجها كيكاوس : ليس من الرأى مصيرك اليه . فإنهم يريدون أن يتمكنوا منك بهذا الطريق فتصير المأدبة مندبة . فلم يصغ الى قولها وأجاب دعوة

(أ) فى الغرر : أن اسمها سعدى وتسمى بالفارسية سوذانه . انظر ص ٥٨

(١) ك، طا : فى نفسه . (٢) فى الأصل فان امتنعت . والتصحيح من ك، طا . (٣) ك : وألف جمل .

(٤) ك : ابنته اليه . (٥) ك : أحكام .

أبيها، قال : وكانت لأبيها مدينــة تسمى شاهه . وهى أحسن بلاده وأطيب ممالكه . وكانت دار ملكه . فأمر أن تزين وتزخرف لمقدم كيكاوس . فلما دخلها ترجل له ملك هاماوران فى جميع أمرائه وقواده، ونثرت(١) عليه اللآلى والجواهر . قال : ودخل القصر وجلس على تخت من الذهب نصب له فيــه . وقد استطاب المدينــة فبقى هناك شهرا وملك هاماوران يجدّ فى خدمته، حتى وثق به الايرانيون واطمأنوا اليه . وكانت بينه وبين البربر مواطأة . وذلك أنه استدعاهم قبل ذلك وخمر الغدر والمكر . فبيناهم ليــلة كذلك إذا هم بأصوات الكوسات والبوقات، وبعساكر البربر قد هجمت عليهم بغتة فقبضوا على كيكاوس، ومن أصحابه على جوذرز وجيوو طوس . وكانت لملك هاماوران فى قلة جبل قلعة حصينة تسامى الهواء، وتصافح السماء . فنفذ كيكاوس وأصحابه الى تلك القلعة وسجنهم بها، ووكل بهم مائة ألف (أ) من أعيان الشجعان وأسود الفرسان . وأمر فنهبت(٢) خيم كيكاوس وأخذ جميع ما فيها من الأموال والذخائر، وفرّق على عسكره . ثم نفذ عمارية مجللة مع فوجين من المخدّرات وذوات (ب) الخدر(٣) ليحملن سوذابه ويردُدْنها الى مستقرّها من بيته . فلما قدمن عليها ورأتهن لطمت ومزقت ما عليها من الثياب الخسروانيــة، وجعلت تبكى وتقول : هلا أخذوه وقت الحرب إذ هو يمزق قلوبهم بالطعن والضرب! ولست أريد(٤) فراقه وإن كان تراب اللحد مسكنه وقراره . فأنهوا مقالتها الى أبيها . فتقدّم بإنفاذها الى القلعــة وإيداعها مع زوجها فى بيت واحد . قال : فاستفاضت الأخبار بغدر ملك هاماوران، وقبضــه على كيكاوس، وخلو تخت السلطنة عن سلطان . وانتهى الخبر بذلك الى أفراسياب فتوجه فى عسكر عظيم الى إيران، واستولى عليها، وتفرّق الايرانيون، وتبدّد شملهم . ثم إن الفتنة ثارت بين أفراسياب والعرب فقاتلهم ثلاثة أشهر حتى طارت رءوس كثيرة بسبب التــاج والتخت . ثم كانت الغلبــة لأفراسياب فتمكن من بلاد إيران § والتجأ

---

§ هــذه حادثة فذة يروى فيها قتال بين التورانيين والعرب فى هــذا العهد . وكان التورانيون اذ ذاك يحتلون إيران، فكانت إغارة العرب عليها مثيرة للحرب بينهما .

وهى الحادثة الوحيدة التى يؤيد فيها أفراسيابَ المجدُ الإلهى، الذى هو منحة الايرانيين الإلهية، فيُخرج العرب من ايران . وفى الأبستاق : "ذلك المجد الذى حمله فرنكرسيان التورانى حينما قتل الخبيث زينكو"(٥) . وفى بُنْدَهِش : "كان جنى اسمه زينكو فى عينه سم، جاء من أرض العرب ليحكم إيران شهر، وكان يقتل من نظر اليه بعينه الشريرة . فدعا الايرانيون فرَسياف الى بلادهم فقتل زينكو هذا"(٦) .

(أ) فى الشاه : ألف فقط . (ب) كذلك فى نسخ الترجمة . وفى الشاه « فوجين من المحجبات » .

(١) لك : نثر . (٢) لك : بنهب . (٣) لك، طا : الخدور . (٤) لك، طا : بمريدة

(٥) أفستا، ج ٢ ص ٣٠٧ (٦) ورنر (Warner) ج ٢ ص ٨١

أكثر الايرانيين الى زابلستان، واستغاثوا بصاحبها رستم بن دستان، وقالوا: إنك ملاذنا في كل مكروه، وملجؤنا عند كل محذور. وإنا وإن فقدنا كيكاوس فانا نتلهف على خراب تلك البلاد ومصيرها مطمع النمور والآساد. وقد كانت مستقرّ الملوك والسلاطين فصارت منقلب الذئاب والثعابين. فبكى رستم عند ذلك وأذرى دموعه، وقال: إنى مع عسكرى على[1] عزيمة الانتقام للملك كيكاوس، وقد تأهبنا لذلك. فاذا فرغت من أمر كيكاوس تشمرت لاستخلاص ممالك إيران من مخالب الترك، ونفيتهم عنها واسترجعتها منهم.

ذكر ما جرى بين رستم وملك هاماوران

قال: ولما أتى الخبر رستم بن دستان بما جرى على كيكاوس أرسل اليه رسولا، ورسولا آخر الى ملك هاماوران، وكتب اليه كتابا مشحونا بالإنذار والوعيد، ويقول فيه: إنك خرجت كمينا على ملك إيران، وجعلت مصاهرته طريقا الى نقض ما كان بينك وبينه من المواثيق والأيمان. والآن إن أطلقته فقد خلصت من ناب الثعبان. وإن أصررت على اعتقاله فاستعدّ للقتال. فلما أتاه الرسول وقرأ الكتاب، ووقف على الرسالة كان جوابه أن قال: ولعل كيكاوس لا يعُدّ بعد هذا خطاه على الأرض. وأما أنا فمقبل عليك فى عساكرى للقاء والقتال، ولست أنسج معك إلا على هذا المنوال. فعاد الرسول الى رستم بمقالة ملك هاماوران فاستعد. وحاد عن طريق البر لبعده وسار بالعساكر الى البحر فقطع البحر بالسفن والزواريق فى جنوده وعساكره الى حدود هاماوران فخرجوا وبسطوا أيديهم فى القتل والنهب، ولم يسلكوا معهم سوى سبل الحرب. فوقع الاضطراب والهيج فى تلك البلاد، وأسرع القتل فى أهل ذلك السواد. فاضطرّ ملك هاماوران الى اللقاء ولم يبق له زمان تلبث وتمكث. فخرج فى عساكره فاستحال عليه[2] النهار ليلا مظلما، ورأى من كل جانب جيشا عرمرما. فرفع عند ذلك رستم جرزه، وثور رخشه، وباشر الحرب بنفسه. فلما رأوا قوة أعضاده وشدّة جلاده وطراده طارت من الوجل قلوبهم، وتفرّقت جموعهم. فانهزم الملك ودخل هاماوران، وقعد مع صاحب رأيه يستشيره. ثم نفذ رسولا الى صاحب مصر، ورسولا آخر الى صاحب البربر وكتب الى كل واحد منهما كتابا يتضرع فيه اليه ويقول: إن بلادنا من بلادكم قريبة، ونحن مشتركون فى الخير والشر، ومتقاسمون للفرح والترح. فإن أنتم عاونتمونى على رستم وعاضدتمونى لم يكن علينا منه

(١) لك: فى.
(٢) لك، طا: النهار عليه.

بأس . وإن أعرضتم عن ذلك فإنه سوف يتخطانا اليكم، وتطول يده عليكم. فلما أتاهما الكتاب وعلما بمجيء رستم فى عساكره الى تلك البلاد انزعجا وأقبلا فى جنودهما وعساكرهما الى ملك هاماوران . فاجتمعوا وبرزوا للقاء فى جمع مطبق للفضاء . فأرسل عند ذلك رستم الى كيكاوس يقول له فى السر : قد اجتمع ثلاثة ملوك فى عساكر ثلاثة أقاليم . وإنى إن لقيتهم لم أدع منهم إلا قليلا . لكنى أخاف أن يلحقك فى ذلك شر . واذا مسّك محذور فما أصنع بممالك البربر؟ فأجابه كيكاوس وقال[1] : لا تفكر فى ذلك ولا تهتم به، واستعد لحربهم، ولا تدع منهم على وجه الأرض أحدا . فعبى رستم من الغد عساكره . وتزاحف الجمعان فحث رستم أصحابه على القتال، وقال : لو كانوا فى ألف ونحن فى مائة لم يكن علينا بأس . فإن الكثرة لاتغنى فى الحرب شيئا . وقامت الحرب على ساق حتى سالت الأودية بالدماء وتدحرجت الرءوس كالأكر فى الصحراء . فحرّك رستم رخشه، وعاف (٣٤)
قتل رعاع العسكر، وصمد لأحد الملوك الثلاثة فرمى بالوهق فى حلقه، واختطفه عن سرجه، ورماه الى الأرض . فبادر اليه بهرام وربط يديه . واستؤسر معه ستون أميرا . وقبض أيضا على ملك البربر وعلى أربعين من قواده . فطلب حينئذ ملك هاماوران الأمان على أن يطلق كيكاوس وسائر من معه من الأكابر والملوك . واستقر[2] الأمر بينهم على ذلك وتراضوا به .

ذكر الخبر عن خلاص كيكاوس من معتقله وما جرى بعد ذلك

قال : ولما أطلق ملك هاماوران كيكاوس وأصحابه حمل اليه رستم ما أفاء الله[3] عليه من أموال أولئك الملوك الثلاثة وذخائرهم وأسلحتهم . فجلس كيكاوس على تخته ونفذ الى سوذابه تختا مرصعا بالجواهر مجللا بالوشائع على فرس بلجام ذهب عليه إكاف (ا) أعواده من المندل الرطب، مزين بألوان الجواهر. وأمرها بالمصير اليه. ثم برز فى العساكر وخيم على ظاهر البلد وعددهم يزيد على ثلثمائة ألف فارس . واجتمع عليه مائة ألف من هاماوران ومصر. وانضم اليه أيضا جمع عظيم من عساكر البربر. ثم أرسل الى قيصر ملك الروم يأمره أن يسير فى آساد رجاله وأعيان قواده الى إيران لمقاتلة

(ا) الصواب : سرج . وليس فى الشاه : "إكاف" فى هذا الموضع . وفى ترجمة ورنر (Warner) أن الهودج من العود الرطب . ولفظ الشاه يحتمل هذا وذاك .

(١) ك : وقال له . (٢) ك : فاستقر . (٣) ك، طا : تعالى .

أفراسياب، حتى يتلاحق هو به . فلما وقف قيصر على الرسالة § وعلم بصنيع رستم ببلاد مصر والبربر وملوكها نفذ فارسا جريًا الى كيكاوس، وكتب اليه كتابا مشحونا بما يرضيه من الكلام . وقال فيه : إنا عبيد الملك نذعن لطاعته، ونبادر الى امتثال أوامره . وكنا لما قصد أفراسياب ممالك الملك قد انزعجنا لذلك، وطارت عقولنا فبادرنا الى لقائه وقتاله، وجرت بيننا وقعة قتل منا ومنهم فيها خلق كثير . والآن حين جاءتنا البشرى بانتظام أحوال الدولة الشاهنشهية وعلو راياتها المنصورة تأهبنا فى عساكرنا منتظرين وصول الخبر بانفصال الملك من تلك الجهة لنشرع الأسنة فى نحور أعدائه، ونبادر الى نصرته . فلما وصل الرسول بكتابه الى كيكاوس ووقف عليه ارتضى كلامه، واستحسن جوابه . فكتب حينئذ الى أفراسياب يأمره بالخروج عن ممالك إيران ويقول له : لاتتعد طورك وارجع القهقرى وراءك . فإن ممالك توران كافية لك . فكف يدك عن الفضول . والأليق بك أن تحفظ روحك وتسلك سبيل الخدمة . ألا تعلم أن العالم تحت حكمنا، وإيران مأوانا وسرير ملكنا ؟ والنمر وإن كان شديد الباس فلا يبلغ قدره أن يتوغل على السباع فى الأخياس . قال: فلما وقف أفراسياب على كتابه اغتاظ وهاج، وأجابه عن كتابه يعيب عليه ما كتب به إليه . وقال : لو كنت مستحقا لملك إيران لم تقصد بلاد مازندران . وهأنا قد جئت مسارعا الى القتال رافعا رايات الإقبال . فعبى عند ذلك كيكاوس عسكره وأقبل مسرعا . وفعل أفراسياب مثل ذلك، وقال: ليس يستحق ملك إيران وتوران

---

§ ليس فى ترجمة ورنر (Warner) ذكر قيصر الروم بل يبدأ الفصل بعنوان "إرسال كاوس رسالة الى أفراسياب" فيقول "لما علم العرب بما صنع رستم بمصر والبربر وملكهما أرسلوا فارسا الى كاوس وكتبوا كتابا الخ .

وفى نسخة مول (Mohl) عنوان الفصل : "إرسال كاوس الى قيصر الروم وأفراسياب" وأول الفصل خمسة أبيات عن الرسالة الى قيصر. ثم : "لما سارت الأخبار بما صنع رستم فى هاماوران وسمع فرسان الصحراء أرسلوا فارسا الى كاوس وكتبوا كتابا الخ" .

وفى نسخة تبريز فى الفصل عنوانان : الأول : "كتاب كاوس الى ملك الروم وتلقى جوابه" . والثانى "كتاب كاوس الى أفراسياب" ولكن سياق الكلام لايدل على أن كاوس تلقى كتابا من قيصر بل يوافق مافى النسختين المذكورتين .

ومقتضى هذا أن قول المترجم هنا "فلما وقف قيصر على الرسالة وعلم بصنيع رستم الخ لايوافق ما فى الشاه . فالكتاب المذكور هنا ليس من قيصر بل من العرب أو فرسان الصحراء .

غيرى . فإنى أنتمى الى أفريدون وتور ، وأستحق(١) ذلك بالإرث أوّلا وبالقوّة والتغلب ثانيا . وإنى قد قاتلت العرب وهزمتهم وانتزعت تلك الممالك من أيديهم . فوصل كيكاوس من ناحية البربر ، وتلقاه أفراسياب . فقامت الحرب بينهم على ساق ، فأسرع القتل فى عساكر أفراسياب حتى أتى على أكثرهم . فانهزم الباقون الى عسكر خوزستان . وركب منها أفراسياب فى الفل من أصحابه وعاد الى توران مهيضا مفلولا . ورجع كيكاوس الى بلاد فارس فجدّد رسم السلطنة ، ومهد قواعد العدل والاحسان ، وبسط ظلال الأمن والأمان . فنفذ الى كل صوب واحدا من أمرائه ، ورتب فى كل واحدة من مدن خراسان الأربع ، وهى مرو ونيسابور وبلخ وهراة ، عسكرا . فزالت الفتن ، وطابت الدنيا ، وأطاعه الجن والإنس ، وأذعن له الملوك أرباب التخوت والتيجان فى جميع الأقاليم . وكان يرى كل ذلك من آثار رجولية رستم بن دستان وبسالته . فولاه بهلوانية العالم . ثم إنه استسخر الجن فى العمارة حتى بلغ منهم المجهود ، فأمرهم بنقر الجبال ونحت الأحجار . وبنوا له موضعين واسعين فى جبل ألبُرز ونحتوا فيهما من الأحجار أوارىّ الدواب ، وعملوا لها سوارى من الرخام ، وسموها بالفولاذ . وأمرهم أيضا فعملوا له من الزجاج المرصع بالزبرجد مجلسين برسم الأكل والنوم . وعملوا بيتين من الفضة برسم السلاح ، وقصرا من الذهب عاليا فى طول مائة وعشرين ذراعا § وكان موضع هذه

---

§ فى دنيكرد : أن كيكاوس بنى سبع دور على جبل ألبرز ، واحدة من الذهب ، واثنتان من الفضة ، واثنتان من الحديد ، واثنتان من البلور(٢) .

وفى الطبرى : أنه أمر الشياطين فبنوا له مدينة طولها ثمانمائة فرسخ ، وأمرهم فضربوا عليها سورا من صفر ، وسورا من شبه ، وسورا من نحاس ، وسورا من فخار ، وسورا من فضة ، وسورا من ذهب . وكانت الشياطين تنقلها ما بين السماء والأرض ، وما فيها من الدواب والخزائن ، والأموال والناس .

وهذا يشبه أساطير سليمان بن داود . ويقول الطبرى : فزعم بعض أهل العلم بأخبار المتقدمين أن الشياطين الذين كانوا سخروا له إنما كانوا يطيعونه عن أمر سليمان بن داود إياهم بطاعته(٣) " . ويقول الثعالبى : " وبنى ببابل الصرح الرفيع المشتمل على بيوت الحجر والحديد والصفر والنحاس والرصاص والفضة والذهب(٤) " .

---

(١) لك ، طا : فاستحق . (٢) ورنر (Warner) ج ٢ ص ٨١ (٣) الطبرى ، ج ١ ص ٢٦٤
(٤) الغرر : ص ١٦٥

الأبنية معتدل الهواء لا يظهر أثر صيف فيه ولا شتاء . وكان جميع فصوله فى طيبة فصل الربيع . ولا يزال الورد يتفتق فى رياضه، والأزاهير تتهلل فى جناته . واستراح الخلق فى تلك الأيام من العناء والتعب إلا الجن . فانهم كانوا يقاسون من المشقة والعناء جهد البلاء . قال : فجلس إبليس يوما خيث يخفى على كيكاوس، وجمع الجن فقال لهم : إنكم صرتم من يد كيكاوس فى تعب عظيم و بلاء شديد . وأريد منكم واحدا خفيف اليد عارفا بدقائق الحيل ليضل كيكاوس ويصدّه عن سبيل الحق . فلم يتجاسر أحد منهم على مجاوبته عن ذلك خوفا من كيكاوس سوى واحد منهم . فانه قال : أنا أقوم بهذا الأمر . فتصوّر بصورة غلام فصيح يصلح لخدمة الملوك، ولزم باب كيكاوس حتى خرج يوما للصيد . فدنا منه وقبل الأرض بين يديه، وناوله باقة ورد، وقال : إنك بهذه السلطنة والجلالة تستحق أن تكون السماء تحتك والفلك تحتك . وما زال هذا الشيطان يستدرجه ويغويه حتى تمكن من دماغه ، ومناه الصعود الى السماء (ا) . وقام ذلك بنفسه حتى نفذ الى أوكار العقبان فأخذ منها أفراخا وجعلوها فى بيوت، وربوها حتى ترعرعت، وصارت فى قوّة أشبال الأسود . فأمر فصنعوا تختا من العود القَمارىّ، وسمروه بمسامير من الذهب ، ونصبوا فى زوايا التخت وجوانبه الأربعة أربع حراب ، وعلقوا على كل واحدة فخذ حمل . ثم جاءوا بأربعة من تلك العقبان ، وربطوا (١) على أجنحتها ذلك التخت، وركبه كيكاوس . فلما رأت العقبان اللحم هششن إليه وارتفعن يطلبنه طائرات فى جو الهواء حتى بلغن أعنان السماء . ثم أدركهن الضعف حين ابتل بنضح العرق قوادمهنّ ، فانقلبن متنكسات (٢) ، فوقعن فى بعض الآجام من أرض آمل (ب) . وكيكاوس سالم لم يعطب . وكان قد ٣٥
سبق فى قضاء الله تعالى أن يخرج من ظهره سياوش § فانسأله فى أجله . قال : فلما استقرّ على الأرض قعد حزينا يقرع سن الندم . ثم انتهى (٣) الخبر بسلامته الى رستم وطوس وجيو فصاروا إليه . ولما حصلوا لديه أقبل عليه جوذرز يعنفه، وقال له : إن المارستان أولى بك من شارِستان (ح)

---

§ فى دينكَرد : أن نيريُوسَنك رسول أَرمُزد تهيأ لقتل كاوس فناداه روح كيخسرَو : لا ينبغى لك أن تقتله يا نيريُوسَنك . فإنك إن قتلت هذا الرجل لا يكن بعدُ من يدمر بلاد توران . فسيولد لهذا الرجل من يسمى سياوخش ، وسأولد لسياوخش أنا "خُسروى" لعلى ألجئ ملك توران الى الفرار ثم أقتل أبطال جيشه أجمعين (٤) .

(أ) انظر الاشارة الى هذا فى أفستا، ج ٢ ص ٢٤١ (ب) فى الغرر : أن كاوس سقط بسيراف .

(ح) مارستان : دار المرضى . وشارستان أو شهرستان : المدينة الكبيرة .

(١) ك : ورفعوا . (٢) ك : منكسات . (٣) ك : وانتهى . (٤) ترجمة ورنر (Warner) ج ٢ ص ٨١ نقلا عن "نصوص فهلوية" لوست (West) ج ٤ ص ٢٢٠ — ٢٢٣

مالك تعرض كل حين سريرك ومملكتك لأعدائك متبعا رأيك الفائل؟ وقد ألقيت بيدك الى التهلكة مرارا ثلاثا وأنجاك الله تعالى منها . فما أيقظك ذلك ، ولا اتعظت . وأوّل ذلك قصدك بلاد مازندران وما لاقيت فيها من الشدائد . ثم تهجمك على ضيافة عدوّك وما تم عليك من ذلك . ثم إنه لم يسلم أحد غير الله من منازعتك . ولما فرغت من أهل الأرض قصدت نحو السماء . فانظر كم وقعت ثم سلمت ، وأشفيت على الهلكة ثم نجوت . فكن سالكا لسبيل الملوك الماضين ، واقتد بهم فى عبودية مالك السماوات والأرضين ، ولا تعتصم إلا به ، ولا تعوّل إلا عليه . فاعترف عند ذلك كيكاوس على نفسه ، وصدق مقالته . ثم ركب العمارية وهو حليف أسف وقرين ندم . فخلا فى مكان معتكفا أربعين يوما ، يعفر خده فى التراب بين يدى الله عز وجل ، ويبكى ويستغفر ، ويسأله أن يتوب عليه . وبقى منكس الرأس فى المعتكف لا يخرج من فرط الحياء حتى مضى على ذلك زمان . فلما علم أن الله تعالى قد تاب عليه خرج وجلس على تخت المملكة . فأقبل الى خدمته ملوك الأقاليم طائعين ومذعنين . وعادت الأيام الى[1] ما كانت عليه فى الأوّل . واستراح الناس فى كنف العدل وظل الأمن وادعين ساكنين .

ذكر خروج رستم للصيد الى متصيد كان لأفراسياب والوقعة التى جرت بينهما فيه (أ)

قال صاحب الكتاب : سمعت أن رستم بن دستان عمل دعوة للملوك والأمراء فى موضع يسمى بردوند (ب) وكان فى هذا المكان قصور عالية وعنده بيت النار الذى عمله برزين (ح) فاجتمع فى هذه الدعوة من الملوك والقوّاد طوس وجوذرز وبهرام وجُرجين وجيو وكُستهم وزنكه وخرّاد وبرزين وكُرازه مع كل واحد منهم من الفرسان المقاتلة جمع عظيم . فاستراحوا زمانا الى المناضلة والمعاقرة والملاعبة بالصوالجة والأكر من مكاره الحرب وشدائدها . فاتفق أن جيو بن جوذرز قال يوما لرستم : إن رأيت[2] نركب للصيد ، ونستصحب الفهود والجوارح ، ونصير الى متصيد أفراسياب فنصطاد فى صحراء توران اصطيادا يبقى فى العالم ذكره أبد الدهر . فوافق ذلك رأى رستم فتواعدوا على ذلك وركبوا

(أ) عنوان هذا الفصل فى بعض نسخ الشاه : "حرب الأبطال السبعة" وفى بعضها : "خروج رستم والأبطال السبعة الى متصيد أفراسياب" . (ب) فى الشاه نوند . ونصها : بجائى بكانام أوبد "نوند" أى فى مكان كان اسمه "نوند" وأحسب المترجم قرأ : بجائى بكا نام أو "برنوند" أو "بردوند" . (ح) فى الشاه : "حيث تضىء اليوم نار برزين" . وهى إحدى نيران المجوس المشهور .

(١) ك : على . (٢) ك : أن نركب .

من ليلتهم مدلجين فى العساكر، واستصحبوا الفهود والبزاة . وساروا حتى وصلوا الى وادى الشهد . وكان هناك متصيد أفراسياب . ومن أحد جانبيه المـاء ومن جانبه(١) الآخر مدينة سرخس وباديتها (أ) وكان فى ذلك الموضع صيد كثير فأكبوا على الطرد والصيد حتى أخلوا المكان من السباع ، وأخافوا الطيور فى الهواء . فأقاموا على ذلك أسبوعا لا يفترون عن اللهو واللعب . فلمـا كان اليوم الثامن نبههم رستم على رأى رآه، وقال لهم : ماأشك أن الخبر قد انتهى الى أفراسياب بتوغلنا هذه المواضع. فلا بدّ من طليعة تكون أمامنا وتحفظ الطريق . حتى اذا أحس(٢) بعسكر أفراسياب أخبرتنا وأنذرتنا كيلا ينتهز الخصم منا فرصة . فتجرّد لذلك منهم كُرازه، واشتغل الباقون بما هم فيه من الصيد واللهو غير مفكرين فى عدوّهم . قال : وانتهى الخبر الى أفراسياب بحصولهم فى ذلك المتصيد ، فدعا أمراء جيشه وقوّاد عسكره، وفاوضهم فى أمر رستم والقوّاد السبعة الذين معه . وقال : لا بدّ لنا من أن نركض اليهم ونهجم عليهم . فإنا اذا قبضنا على أولئك الملوك السبعة ضاق الأمر على كيكاوس . وانتخب من عسكره ثلاثين ألفا من رجال الحرب، وأمرهم ألاّ(٣) يفتروا عن الركض وركب فيهم فأخذوا طريق البرية فى أهبة القتال . وأراد(٤) سدّ الطريق على رستم وأصحابه، وقطعه عليهم لئلا يفلت منهم أحد . فلمـا قربوا رأى كرازه الذى كان طليعتهم غبارا عظيما . فعلم بأنهم عسكر أفراسياب، فعطف عنانه الى مجتمع أصحابه، وأنذرهم بمجىء أفراسياب . وكان رستم حينئذ يشرب مع الأمراء. فقال له : ماهذا الفزع من عسكر أفراسياب ؟ إنهم لو زادوا على مائة ألف ولم يكن فى هذا الموضع غير واحد منا لكسرهم وهزمهم . فكيف وقد اجتمع هاهنا هؤلاء السباع السبعة الذين لا يثبت بين أيديهم أحد ؟ ثم أمر السقاة بادارة الكؤوس . ووضع على كفه بلبلة من السلاف البابلى ، وسمى كيكاوُس ، وقبل الأرض وشربها على اسمه . فقام الأمراء وقالوا ليس هذا وقت الشرب . وقال له جِيو : الرأى أن أركب وأتلقاهم، وأحفظ رأس القنطرة ، وأمانعهم ساعة حتى يلبس عساكرنا السلاح ويستعدّوا . فركب راكضا . ولما وصل الى القنطرة رأى أفراسياب وعسكره قد قطعوا المـاء الى هذا الجانب . فلبس رستم والأمراء أسلحتهم ، وثاروا فى وجوههم أمثال النمور . وخاض جيو غمرة الحرب كأنه ليث أضل طريقه . ولمـا رأى أفراسياب رستم امتلأ منه رعبا فتوقف ولم يقدم ، وجعل يسير وراء عسكره ناظرا فى الرأى والتدبير . فقتل خلق كثير من أصحابه، وظهر(٥)

(أ) الذى فى الشاه : أن الجبل فى جانب منه والنهر فى جانب آخر. وفى جهة أخرى مدينة سرخس والبادية . والنهر المذكور هنا ينبغى أن يكون نهر تجن (بفتحتين) الذى يتشعب من نهر هراة ويجرى الى الشمال مارا بمدينة سرخس .

(١) ك، كو، طا : الجانب. (٢) ك، كو: أحست . (٣) فى الأصل : أن لا .

(٤) ك، كو، طا : أرادوا (٥) ك، كو : طا : ظهرت .

عليهم آثار الدبرة . فقال عند ذلك لصاحب جيشه فيران، وهو عماد أمره ومتولى حله وعقده : ما لنا فى مقام الرأى والتدبير أمثال الآساد، وأراكم الآن فى معترك الحرب وملتحم القتال أمثال الثعالب ؟ فتقدّم أنت وابذل جهدك، واستعمل جدّك، ولك ممالك إيران . فتقدّم عند ذلك فيران وزحف فى عشرة آلاف من الآساد المذكورين، وقصد رستم وثار اليه كأنه النار . فاستشاط رستم لما رآه، وجاش كالبحر اللجىّ ووقع فى أصحابه يضرب يمينا وشمالا حتى قتل أكثرهم . فقال أفراسياب : إن دام هذا الحال الى المغرب لم يبق أحد من التورانية . فاستحضر رجلا من أصحابه يسمى ألكوس معروفا بالنجدة والشجاعة، وحثه على الجدّ فى القتال . فتقدّم فى اثنى عشر ألفا، وأصلاهم نار الحرب، وقصد أخا لرستم يسمى زواره، وهو يحسبه رستم، فاشتدّ بينهما القتال وتطاعنا حتى تقصفت رماحهما . ثم استل كل واحد منهما سيفه فتضاربا حتى انكسرت أسيافهما . (٣٦)
ثم تضاربا بالجرز فغلب ألكوس زواره بضربة ألقاه بها عن ظهر فرسه . فلما رأى رستم ما جرى على أخيه صاح على ألكوس صيحة عظيمة بلغت منه حتى ارتخت يده، وكل سيفه . ثم إنه أقبل على رستم فتعلق أحدهما بالآخر فطعنه رستم فى صدره طعنة اختطفه بها عن سرجه ورماه الى الأرض . وعند ذلك سل الأمراء السبعة أسيافهم، وجدوا فى القتال حتى كسروهم، وولوا مدبرين والأمراء فى أقفيتهم . وركض رستم خلف أفراسياب ليأخذه فلم يفلت منه إلا بجُرَيعة الذقن . وعاد الى توران خائبا مفلولا، ورجع الايرانيون مظفرين منصورين الى متصيدهم الذى كانوا فيه . وكتبوا(١) الى حضرة الملك كيكاوس بما جرى لهم فى صيدهم وحربهم . وزعموا أنه لم يقتل منهم أحد ولم يجر عليهم بأس سوى أن زواره وقع من الفرس ثم ركب سالما . وأقاموا بعد الوقعة أسبوعين فى موضعهم ذلك ثم ركبوا عائدين الى خدمة الملك كيكاوس سالمين غانمين .

قصة سهراب

قال صاحب الكتاب(أ) : نقل عن عالمهم العارف بتواريخ أيامهم أن رستم بن دستان أصبح ذات يوم مهموما حزينا، فعزم على الصيد، وشدّ عليه منطقته، وملأ من النشاب تركشه (ب) . وسار حتى

(أ) حذف المترجم هنا فاتحة الفصل التى تكلم فيها الفردوسى عن موت الشبان، وبين أن الموت عدل . وأنه سر لا سبيل الى معرفته . ثم أوصى بالرضا والتسليم . (ب) تركش : أصله فى الفارسية تيركش . أى وعاء السهم : كنانة . وقد يعرب : تركاش وتلكش . ويجمع على تراكيش . وجاء فى الشعر قول الحاجرى :

جعلت فدا الظبي الذى جاء لحظه ❊ الى سائر العشاق يحمل تركشا

وقول غيره . ظبي من الترك أغنته لواحظه ❊ عما حوته من النبل التراكيش

انظر فرهنگ شعورى وشفاء الغليل، وصبح الأعشى حـ ٧ ص ٣٠٩ .

(١) صل : كتب . والتصحيح من ك، كو .

وصل الى حدود توران، فرأى البرية مملوءة باليعافير . فتهلل وجهه واستبشر، وحرّك رخشه ورمى عدّة منها . ثم أوقد نارا ، وقلع شجرة كالسفود(١) ، وعلق عليها واحدا منها فشواه وأكله حتى أتى على آخره . واستلقى ونام، وأرسل فرسه يرعى فى روضة كانت هناك فاذا بسبعة أو ثمانية من التورانية عابرين على الطريق . فرأوا أثر حوافر الفرس ، فتبعوا الأثر الى واد هناك، فرأوا فرسا يرعى وليس عنده أحد، فأحاطوا به حتى أمسكوه. وقادوه الى بلد لهم هناك يسمى سِمنجان . فانتبه رستم فطلب(٢) الفرس ليركبه فلم يره . فاهتم لفقده ونهض مسرعا وجعل يدور فى طلبه حتى وقع الى تلك المدينة . وأخبر ملك هذه المدينة بمجىء رستم بن دستان، وأن فرسه قد ضاع منه فى متصيده . فاستقبله الملك وأمراؤه . وحين اجتمع به استخبره عن أمره، واستفظع الحال واستعظمه، وطيب قلبه . وقال: نحن فى هذه المدينة عبيدك، ونفوسنا وأموالنا بحكمك . فقال : إن فرسى غاب عنى فى هذا المرج ولم يكن عليه لجام ولا عذار . ولقد تتبعت أثره فوجدته قد انتهى الى هذه المدينة . فان طلبته ورددته علىّ التزمت بذلك المنة منك، وإلا ضربت رقابا(٣) كثيرة بسبب ذلك . فقال له صاحب سِمنجان : من يتجاسر على أن يمسك فرسك؟ فكن ضيفنا اليوم، ولا تحتد . فان الأمر لا يكون إلا كما تريد . فتبيت هذه الليلة طيب القلب، مقبلا على الطرب وملقيا عنك أسباب الهم والتعب، ثم إن فرسك لا تخفى آثار حوافره . فسر رستم بكلامه ، ورأى موافقته على ما دعاه اليه . فصار الى داره . وسر ملك سمنجان بإجابته له . فأنزله فى قصره ووقف بين يديه، وأحضر لديه الأمراء والأكابر من أهل بلده . وحضرت السقاة الصباح والمغانى الملاح ، واندفع(٤) فى الشرب . فلما ثمل وغلبه النوم أدخلوه الى موضع أعدّوه لمنامه . فنام وعند رأسه المسك وماء الورد . فلما مضت طائفة من الليل سمع حسا فاذا بباب المكان الذى هو فيه قد فتح ووصيفة قد دخلت وبيدها شمعة من العنبر فوضعتها عند رأسه، واذا بامرأة قد خرجت من وراء الستر كأنها فلقة قمر، متبرجة بين الحلىّ والحلل، ذات حاجبين كقوسين ، وغديرتين تضطربان كحبابين ، وكأنها من فرط اللطافة والملاحة صوّرت من روح . فلما رآها رستم بهت لما شاهده من حسنها وجمالها فقال لها من أنت ؟ وما اسمك ؟ وما الذى أخرجك فى ظلام هذا الليل ؟ فقالت أنا ابنة ملك سِمنجان . وما لى فوق الأرض شبيه ، ولا رأى أحد وجهى ولا سمع أحد حسى . وقد بلغتنى على لسان السمر أحوالك وأحاديث رجوليتك وشجاعتك . وذكرتْ ما اختص به رستم من الخلال الشريفة والأخلاق الحميدة . وقالت: وقد شغفنى حبك . وكنت طالبة للاجتماع بك . وقد قدّر الله تعالى مصيرك الى هاهنا . وعرضت

(١) كو : واتخذها سفودا . (٢) ك، كو، طا : وطلب . (٣) طا : ضربت رقاب .
(٤) طا : فاندفع .

نفسها عليه وقالت : أريد أن يرزقنى الله تعالى منك ولدا يكون مثلك فى قوتك ونجدتك . وأنا ضامنة أن أدوّخ سِمِنجان لك ، وأرد فرسك عليك . فعقد عليها رستم برضاها و بات معها تلك الليلة . فلما آذنت الشمس بالطلوع أعطاها خرزة كانت مشدودة على عضده ، وقال لها : إن رزقت أنثى فاربطيها فى قرونها ، وإن رزقت ابنا فشدّيها على عضده . وسيكون مثل سام بن نريمان يستنزل العقاب من الهواء ، ويسامى الشمس فى كبد السماء . قال : وطلع النهار وجاء الملك وخدمه ، واستخبره عن نومه ومبيته ، و بشره بوجدان فرسه . فتهلل وجه رستم من الفرح والسرور ، وقام ومسح ظهر الرخش وأسرجه وألجمه . وركب وخرج مسرورا منشرح الصدر من جهة ملك سِمِنجان حتى عاد الى أرض إيران . وكان لا يزال يحمده ويشكره . قال : ثم لما أتت على ابنة الملك تسعة أشهر ولدت ابنا كالقمر ليلة البدر كأنه رستم بن دستان أو سام بن نريمان . فسمته أمه سُهراب . وكان يشب فى شهر مايشب غيره فى سنة . ولما بلغ ثلاث سنين لم يكن هناك أحد يقاومه فى قوته وشجاعته . فجاء الى أمه وقال : مالى أطول من أقرانى قدا ، وأوسعهم صدرا ، وأشدّهم بأسا ؟ ومن أبى وجدى وما اسمهما ؟ فقالت أنت ابن رستم من شجرة دستان بن سام ونيرم (١) . وما استعلاؤك إلا لأن ذلك البيت أصلك . ومنذ خلق الله العالم ما ظهر فارس مثل أبيك . فقال عند ذلك سهراب ، مدلا بالانتساب الى ذلك البيت العظيم والأصل الكريم : لأجمعن عساكر عظيمة من الترك ، ولأزعجن كيكاوس عن سرير ملكه ، وأقلع آثار عقب طوس من إيران ، وأنقل التاج والتخت الى رستم ، وأعطف من أرض إيران الى بلاد توران ، وأنتزعها من يد أفراسياب . ومهما كان رستم لى أبا وكنت له ابنا فلا ينبغى أن يبقى على وجه الأرض صاحب تاج آخر . ومهما كان الشمس والقمر مشرقين فلن تظهر الكواكب للعين (أ) . قال فاجتمعت العساكر بعد ذلك على سهراب من كل جانب لجمعه بين الاصاله والبسالة . فانتهى الخبر الى أفراسياب بأن سهراب قد ألقى السفينة فى الماء ، وتصدّى لاكتساب المجد والسناء ، وأنه مع صغر سنه ، مولع بالسيف (٢) ومغرم بالضراب والطعان ، وأنه على عزم القتال لكيكاوس ، وأنه لا يبالى بأحد ، وقد اجتمع عليه عسكر عظيم . فلما وقف على ذلك أفراسياب ضحك وسر بذلك . فجهز اليه من أمرائه لمعاضدته هومان و بارمان فى اثنى عشر ألفا انتخبهم من عسكره ، وأوصاهما فى السر بأن يحتالا على سهراب ويحولا بينه و بين أن يعرف أباه رستم عند ٣٧
الملاقاة . وقال : لعله اذا التحم القتال أن (٣) يقتل ذلك الفارس المقدام على يدى هذا الشجاع الجسور ،

(أ) حذف المترجم هنا اختيار سهراب حصانا لنفسه . وقد فعل هنا ما فعل أبوه رستم فى اختيار رخش كما تقدم ولم يجد فرسا يحمله إلا مهرا من نسل رخش .

(١) كو : ابن نيرم . (٢) كو : والسنان . (٣) ك ، كو ، طا : أن (لا) .

فيسهل علينا عند ذلك الاستيلاء على ممالك إيران . واذا تم قتل رستم على يدى ابنه سهراب دبرنا عليه، قال: فمضى الأميران الى سهراب ومعهما هدايا أفراسياب اليه من التاج والتخت والخيل والبغال. وكتب اليه كتابا يقول فيه : إنك إذا أخذت أرض إيران استراح الخلق وسكتت الفتن . وليست المسافة بين المملكتين بعيدة . وماسمنجان(١) وإيران وتوران إلا خطة واحدة . فاجلس على التخت، وإنى ممدك بما تريد من العساكر . وليس فى أرض توران لهذين الأميرين ثالث . وقد نفذتهما اليك ليقيما على رسم الضيافة عندك، واذا نهضت للقتال كانا فى خدمتك وضيقا الأرض على عدوك .

قال: فلما وصل الكتاب والخلعة الى سهراب سار بالعساكر متوجها الى إيران . فانتهى الى قلعة تسمى سبيذدز . وكانت معقل الايرانيين . والمستحفظ بها رجل شجاع يسمى هجير(٢) . وكانت له أخت (ا) موصوفة بالفروسية والشجاعة، مذكورة بالجرأة والبسالة . فلما قرب سهراب من القلعة، ورأى هجير عسكره نزل من القلعة، وركب وسارع الى القتال، فتطاعن هو وسهراب، فطعنه سهراب بسنان رمحه فلم يعمل شيئا . ثم قلب رمحه وطعنه بزجه فألقاه من(٣) ظهر الفرس . وترجل عليه ليحتز رأسه فطلب الأمان من سهراب فآمنه على روحه . وبلغ الخبر الى القلعة بما جرى على هجير فلبست المرأة السلاح، ووارت قرونها تحت الزرد، ووضعت البيضة على رأسها، ونزلت من(٤) القلعة مثل الأسد على فرس كالريح المرسلة، وهى تقول أين آساد الرجال وأبناء القتال ؟ فلما رآها سهراب تبسم فلبس خفتانه وأقبل للقتال، فرشقته المرأة بالنشاب، فاحتد ورفع المجن، وركض اليها . فتنكبت قوسها وأشرعت الرمح نحو سهراب . فسل سيفه وقطع رمحها . فولت هاربة من بين يديه فركض سهراب فى أثرها . فلما قرب منها ألقت البيضة عن رأسها فانسدلت قرونها، وبان وجهها مستنيرا كالشمس . فعلم سهراب أن الفارس ليس من الرجال، وأنه من بنات الجمال . فقضى العجب من ذلك . ثم حل الوهق من سموط سرجه، فرماه اليها وحلقه عليها، واستأسرها، وقال: لا تطلبى منى الخلاص، فانه قلما وقع(٥) مثلك فى الحبالة . فلما حصلت فى قبضته احتالت عليه، وقالت: إن العسكر من الجانبين قد رأوا ما جرى بيننا من المبارزة والقتال . وسيعيبون عليك كونك تفرغ وسعك وتبذل جهدك فى مقاتلة امرأة . والأولى بنا إخفاء الأمر، وأنا اسلم القلعة(٦) . فلما رأى سهراب حسنها وجمالها شغف بها واغتر بكلامها . ثم قال لها : لا تحيدى عن هذا الرأى فإنك قد جربتنى فى الحرب . ولا تغترى بهذه القلعة فإنى قادر على أن أخربها وأسويها مع وجه الأرض .

(ا) اسمها فى الشاه : كرد آفريد (بضم الكاف وفتح الفاء) .

(١) كو: وماسمنجان وإيران إلا كنقطة واحدة . (٢) ك : نجير . (٣) ك : عن . (٤) ك، طا : عن .
(٥) ك، كو، طا : يقع . (٦) ك : القلعة اليك .

فعطفت عنانها، وسهراب معها، عائدة الى القلعة . فلما حصلت وراء الباب أغلقوه فى وجه سهراب . فأشرفت من السور ورأت سهراب على ظهر الفرس فقالت : يا ملك الترك والصين ! لم تعبت وتعنيت؟ فارجع القهقرى وراءك . ثم قالت على سبيل السخرية : إن الأتراك لا يطمعون فى مزاوجة الايرانية . وفتّك وما رزقتك . فلا تحزن نفسك على ما فاتك . وأراك لست من نسل الأتراك لما أرى عليك من روعة الأكابر وأبهة الملوك . وإنك وان كنت لا تلقى أحدا يساويك فى شدة بأسك وقوة أعضادك فإنه اذا تناهى الخبر الى الملك كيكاوس بخروجك نهض اليك مع رستم فلا تجد طاقة بمقاومتهما . والأصوب لك أن ترجع وراءك الى توران، وتحفظ روحك . ولا تركن الى شدّة شوكتك فان الثور اذا سمن فانما يأكل من جنبه (ا) . وربما يبحث[(1)] الحائن عن حتفه بظلفه . فلما سمع سهراب مقالتها صعب عليه وغاظه ذلك . وكان تحت القلعة موضع عليه اعتمادها وبه قوامها ، فأمر بتخريبه . وهجم الليل وحال بينه وبين أخذ القلعة . فرجع الى معسكره . وكتب كزدهم أحد من فى القلعة الى الملك كيكاوس يقول له : إنه قد خرج عسكر عظيم من الترك يقدمهم ملك لا يزيد سنه على أسبوعين (ب) . يطاول السرو قدّه ، ويبهر الشمس فى الجوزاء وجهه . اذ انتضى السيف المهند من خلل لم يبال ببحر ولا جبل . وقد تلقاه الفارس الشجاع هجير فما كان أسرع من رجع الطرف أن اختطفه من سرجه ، وأوثقه فى أسره . وقد رأيت من فرسان الأتراك كثيرا، ولم أر مثله فارسا جسورا . وإنه اذا أرخى فى مأقط الحرب العنان فليس يشبهه[(2)] غير سام بن نريمان . وإنه إن توانى الملك فى أمره ولم يستعدّ لحربه تفاقم أمره ، واستعضل خطبه . وختم الكتاب وأنفذه الى الحضرة . قال : ولما طلع النهار ركب سهراب فى عساكر توران . فلما انتهى الى باب القلعة صادفها خالية من المقاتلين قد هرب منها جميع من كان فيها منهم (ح) . فأذعن له من بقى فيها بالطاعة، وسلموا القلعة اليه . قال : ولما وصل الكتاب الى كيكاوس اهتم لذلك بخاس وأحضر أركان دولته وأكابر حضرته مثل طوس وجوذرز وجيو وكشواذ وغيرهم من الملوك والأمراء، وقرأ عليهم الكتاب فقضوا العجب مما فيه . ثم سارّهم وقال : إن هذا أمر يطول علينا . وسايلهم عن الرأى والتدبير . فاتفقوا جميعا على انفاذ جيو الى بلاد زابل لاستنهاض رستم واستدعائه .

(ا) هذه الجملة ترجمة هذه العبارة فى الشاه : " خورد گاو نادان ز پهلوى خويش " ومعناه : تأكل البقرة الحمقاء من جنبها . (ب) فى الشاه : لا تزيد سنواته على سبعتين . فزاد المترجم أسبوعان من السنين . (ح) فى الشاه : لم يجد فيها أحدا من الكبراء .

(١) ك : بحث . (٢) طا : يشبه .

ذكر كتاب كيكاوس الى رستم وما يتصل به

قال : فأمر بإحضار الكاتب ، وبأن يكتب الى رستم . فكتب كتابا صدّره بالثناء عليه ، وقال فيه لا زلت ملجأ وملاذا ، ولا كان غيرك فى العالم مستجارا . ثم قال فيه : إن الأكابر اجتمعوا بحضرتنا لما ورد به كتاب كَزْدَهَم ، فاتفقوا على إنفاذ الكتاب اليك على يد جِيو . فاذا وقفت على الكتاب فسر الينا فى عساكر زابلستان ، واستعدّ لمحاربة فارس توران . فليس أحد غيرك يصلح لملاقاته على ماحكاه كزدهم من حاله . ثم أقبل كيكاوس على جيو ، وأمره بالاستعجال والمبادرة ، وبألا يتلبث عند رستم ، بل إن وصل صباحا رجع مساء ، وان وصل مساء رجع صباحا . وأوعز اليه فى حث رستم على المبادرة ، وإعلامه بأن الحال لا يحتمل التأخير . فأخذ جيو الكتاب وركب وسار حتى وصل الى(١) زابلستان . واستقبله(٢) رستم ، فلما قرب منه ترجل له جيو ، فنزل(٣) رستم أيضا . ثم سأله عن الملك (٣٨)
كيكاوس وبلاده . ثم ركبا وذهب به رستم الى إيوانه فسلم اليه جيو الكتاب ، وأدّى ما تحمله من الرسالة . فلما قرأ رستم الكتاب قضى العجب من الحال المذكور ، ومن ظهور فارس من التورانية يشبه ساما . ثم قال : إن لى ابنا من ابنة ملك سِمِنجان وهو بُعد لم يتأهل(٤) لمغامسة الحروب ، لكنه عن قريب يبلغ الى ذلك . وقد نفذت الى أمه جواهر وأموالا ، وأتانى الخبر عنه بما يرجى بلوغه درجة الملوك . وها نحن ننهض بعد يوم الى حضرة الملك ، ونُرى فرسان إيران الطريق فيما دفعوا اليه . وقال : لعل سعادة جد الملك غير متيقظة فانه ليس هذا الأمر من الصعوبة على الصفة التى تذكرون . واشتغلوا بالشرب حتى ثملوا . ولما كان الغد(٥) زين المجالس ، واصطبحوا . وكذلك فعلوا فى اليوم الثالث غير مفكرين فى طلبة الملك كيكاوس وما أمرهم به . فلما كان اليوم الرابع قال جيو لرستم : إن كيكاوس سريع الغضب شرس الخلق . وليس يوافقه ما نحن فيه ، فإنه قد اشتغل قلبه بهذا المهم حتى هجر(٦) من أجله النوم وزايل(٧) القرار . فقال له رستم : لا يهمنك ذلك فإنه لم يبق على وجه الأرض من ينازعنا فى الملك . ثم أمر بإسراج فرسه المعروف بالرخش ، وضرب الكوسات ، وإعمال البوقات . وسار بالعساكر الى حضرة كيكاوس . فلما مثلوا بين يديه اطّرح الحياء ، وصاح على جيو ، وقال : من يكون رستم حتى يتوانى فى امتثال أمرى ، ويعرض صفحا عنى ؟ خذه الساعة واصلبه ، ولا تراجعنى فى أمره . فتحير جيو ، وتوقف . فاحتدّ كيكاوس وقال لطوس : خذهما واصلبهما معا . وقام من مجلسه مضطرما كالنار الموقدة . فأخذ طوس بيد رستم ليخرجه حتى تسكن ثائرة غضب الملك .

(١) ك : وصل زابلستان . (٢) طا : فاستقبله . (٣) ك : فنزل له . (٤) طا : لما يتأهل .
(٥) ك ، طا : من الغد . (٦) ك : لقد هجر . (٧) ك : وزال عنه القرار .

فاحتدّ رستم وقال لكيكاوس : خفض عليك ، ودع عنك هذه الحدّة . فكل واحد من أمورك أنحس من الآخر . وليس تليق بك الشهريارية والملك . وليكن صلبك لسهراب ، وإهانتك لعدوّك إن قدرت . ودفع طوسا ورماه الى الأرض ، وخرج غضبان ، وركب رخشه ، وقال : أنا الواهب[(١)] للتاج ، ومقدّم القوم . فلماذا يحرد عليّ كيكاوس ؟ ومن كيكاوس ؟ ومن طوس حتى يمدّ يده اليّ ؟ وأقبل على الإيرانيين ، وقال : دبروا أموركم ، واحفظوا أرواحكم فان سهراب قد جاء وإنه[(٢)] لا يخلي منكم صغيرا ولا كبيرا . وها أنا رائح ولا يرى وجهي أحد بعد هذا في أرض إيران . فاهتم من هنالك من الأمراء والقوّاد لما سمعوا من رستم على رءوس الأشهاد . فالتجأوا الى جوذرز ، وقالوا له : أنت الذي بلطفه[(٣)] يجبر الكسير ، وبرأيه يسهل العسير . فادخل على هذا الملك المجنون ، فانه لا يسمع غير كلامك ، فلعلك تستعطفه لرستم . فدخل جوذرز مسرعا على كيكاوس ، وقال : أي شيء عمل رستم حتى يخاطب بما اضطربت به المملكة ؟ وليس يعدّ من العقلاء من يكون له فارس مثل رستم فيطرده بالجفاء . فندم كيكاوس على ما بدر منه ، واعترف على نفسه ، وصدّق جوذرز فيما قال . وقال : لا بدّ للملك أن يكون وافر العقل متنكبا عن الحدّة والجهل . وقال له : اركب الآن مع الأكابر والأمراء خلف رستم وردّوه[(٤)] . فركب جوذرز ، وسار في جميع أمراء الحضرة حتى لحقوه . فاجتمعوا عليه ، وأطلقوا ألسنتهم بالثناء ، ودعوا له بالبقاء . وقالوا : إنك تعلم أن كيكاوس خفيف الرأس لا يستقيم كلامه عند الحدّة والغضب ، وأنه يحتدّ ثم يندم من ساعته فيرجع الى أحسن ما كان عليه قبل غضبه . واذا ضاق صدرك من الملك فأي جرم لسائر الايرانية ؟ والآن قد ندم كيكاوس على ما سبق منه حتى كاد أن يعض على يديه . فأجابهم رستم وقال : مالي حاجة الى كيكاوس . فان تختي السرج ، وتاجي البيضة ، ولباسي الجوشن ، ومركوبي الموت . وسواء عندي كيكاوس والتراب . وقد مللته وسئمته . ولست أفزع منه أبدا ، ولا أخاف غير الله أحدا . فقال له جوذرز : إن أهل المملكة وفرسان العسكر يحملون هذا على محمل آخر . فيقولون : إنما فعل رستم هذا لخوف دخله من هذا العدوّ . وقد تناجوا بشيء من هذا القبيل . وقال : إن كل شيء[(٥)] جرى فلا جاني له سوى سهراب . فلا تخالف الملك ولا توله ظهرك ، ولا تمح برجوعك صيتك الذي طبق الآفاق . واعلم أن العدوّ قد أخذ بالمخنق ، ولم يبق في الأمر متسع . فلا تنكس تخت السلطنة ، ولا تعفر تاجها . فلم يزل جوذرز يستعطف رستم ويسترضيه حتى لانت عريكته ، وقرت بعد الهدير شقشقته . فثنى عنانه عائدا الى حضرة الملك . ولما دخل عليه تلقاه وأخذ يعتذر اليه قائلا : إن الله تعالى خلقني شرس الأخلاق ، شكس الطباع . وليس ينبت الشجر إلا كما غرس . وقد امتلأ

(١) لك ، طا : الواهب التاج . (٢) لك : قد جاء ولا يخلي . (٣) لك : بلفظه . (٤) لك : وردّه .
(٥) طا : كل ما .

قلبي من هذا العدو، وجاش صدري بهجومه، فدعوتك لتكفيني شره . فلما أبطيت جرى ما صدر مني من الاحتداد . فقال رستم : العالملك، وكلنا عبيدك وخدمك . وما جئت إلا امتثالا لأوامرك، واقتفاء لمراسمك . فقال كيكاوس : اليوم خمر وغدا أمر . فهلم نطيب العيش ثم نرتب الجيش . فأمر فزين برسم الأنس مجلس شاهنشهى يتهلل إيوانه تهلل الربيع الناضر، وتطنّ أرجاؤه بأصوات العيدان والمزاهر . واصطفت حواليهم روقة الأقمار ، وأديرت عليهم كئوس العقار . وأقاموا على ذلك الى نصف الليل . فلما كان من الغد أمر كيكاوس فشدّت الكوسات على مناكب الفيلة، وفتحت الخزائن، وأفيضت الأرزاق على العبيد والخدم . وبرزوا وهم زهاء مائة ألف مدجج . فساروا حتى وصلوا الى قرب قلعة سبيذ . فصاح من كان على مرقبها منذرين بالعسكر . ولما علم سهراب بذلك صعد الى سور القلعة، وشاهد العسكر وجعل يريهم بإصبعه هومان أحد أمرائه . فلما رآهم هومان طار قلبه شعاعا، ووجم من الخوف حتى كان لا يستطيع خطابا ولا حوارا . فقال له سهراب : لا يهمنك ما ترى . فانه ليس فيهم من يقف قدامي، ويثبت دون عصفة حسامي . وانما هو سواد عظيم وسلاح كثير . ولأجعلن(١)، بسعادة الملك أفراسياب، صحراء المعركة كالبحر المتلاطم من دمائهم . ونزل عن القلعة غير مفكر بهم . وطلب من ساقيه جام خمر فشربه، وأمر فأخرجت سرادقاته فضربت في الصحراء قدام القلعة . فجللت الأرض بالخيم وامتلأت بالخيل والحشم . ولما غابت الشمس عن العيون وأغطش الليل جاء رستم كيكاوس(٢) واستأذنه أن(٣) يدخل معسكر الترك على سبيل التجسس . فأذن له فلبس قباء تركيا، ومضى حتى قرب من الحصار، فسمع لغط الأتراك وصياحهم على الشرب، ورأى سهراب كالسرو جالسا على تخته وبين يديه أمراؤه وقوّاده : مثل زند وهومان وبارمان، وحواليه مائة من فرسان الأتراك، وقُدّام تخته خمسون وصيفة يرقصن بالدستبند(ا) . فوقف ينظر اليهم من البعد (٣٩)
ويتأملهم وأحوالهم . فقام زند من عند سهراب، وخرج لحاجة . فرأى رجلا يطاول السرو قدا وطولا . ولم يكن قد رأى مثله في عسكرهم . فاستنكره وقال له بحدّة وانتهار : اظهر للضوء حتى نراك . فوكزه رستم بيده وكزة مات منها (ب) . ثم إن سهراب تفقد زندا بعد(٤) ساعة فأخبر بما جرى عليه . فوثب وأتى مصرع زند، ووقف عليه متعجبا مما جرى ، ودعا بالأمراء والفرسان ، وأمرهم أن يتحارسوا

(ا) الدستبند ضرب من الأساور ، ورقصة يمسك فيها بعض الراقصين بأيدى بعض ، ويضربون الأرض بأرجلهم ويدورون . والذى فى الشاه أن الجوارى كنّ أمامه بالدستبند ففهم المترجم أنهن كن يرقصن هذه الرقصة . (ب) فى الشاه : أن ژنده هذا خال سهراب ، وأن أم سهراب سألته أن يذهب مع ابنها ليريه أباه رستم . فقتل ژنده كان لابد منه لتتم فصول القصة .

(١) ك ، طا : فلا جعلن . (٢) ك : الى كيكاوس . (٣) ك ، طا : فى أن .

(٤) ك ، طا : بعد ذلك .

ولا يناموا . فقال : إن ساعدنى خالق الخلق أخذت غدا بثار هـذا القتيل . ثم عاد الى مكانه . ولما رجع رستم من معسكر الترك كان جيو تلك الليلة على اليزك(١) . فلما رآه من البعد استل سيفه، وجاء يقصده . فعرفه رستم وكلمه . فعرف جيو صوته فترجل له ، وسايله عن خروجه . فقص عليه القصة ، وحكى له قتله لزند التركى . ثم جاء الى حضرة كيكاوس، وحكى له صنيعه وما جرى . وباتوا ينظرون فى ترتيب(١) أمر القتال . فلما طلعت الشمس من الغد لبس سهراب لبوس الحرب ، وركب فأقبل، واختار نشزا من الأرض فعلاه ، وأشرف(٢) على عساكر إيران . واستحضر هجير الأسير، وقال : إنى مسايلك عن رجال عسكر إيران فلا تحيدن عن الصدق فى مقالتك ، فان ذلك ينجيك من حبالتك . واذا صدقتنى خلعت عليك، وأفضت كنوز النعم عليك . وإن لم تصدقنى بقيت على حالك أبدا مأسورا .

فقال هجير : إنى أصدقك فى كل ما تسألنى عنه . وكيف لا أصدق فى كلامى بين يديك، وأحيد عن الصواب لديك؟ فقال له : أخبرنى عن صاحب سرادق الديباج الملون الذى فيه خيمة من جلود النمور، وقدامه راية تلوح كالشمس المشرقة، على رأسها هلال من الذهب لها(٣) غلاف بنفسجى ، وقدامه مائة من الفيلة العظام، ومهد فيروزجى . وموضع ذلك من العسكر فى القلب . فقال : هو كيكاوس ملك إيران . فهو الذى يكون على بابه الفيلة والأسد . ثم قال له سهراب: وأرى فى الميمنة فرسانا كثيرة وفيلة وسرادقا أسود يحيط به العسكر، وقدامه راية منصوبة على(٤) صورة فيل، وعلى بابه فرسان فى أرجلهم مداسات ذهبية . فقال : ذاك لطوس بن نوذر . ثم قال : ولمن ذلك السرادق الأحمر الذى حواليه الفرسان(٥)، وقدامه راية عليها صورة أسد من الذهب قد ركب فيه جوهر يلوح ، ووراءها عسكر عظيم أصحاب رماح وجواشن . فقال : ذاك لجوذرز بن كشواذ . ثم قال : وأرى سرادقا أخضر، عنده جيش أرعن لجب ، وعليهم رجل طويل القامة يكاد وهو قاعد يطاول القيام، وهو يحيش كل ساعة، وعنده فرس على قدره قد علق من سموط سرجه وهق يكاد يمس الأرض ، وبين يديه فيول كثيرة، ورجال عليهم الجواشن ، ولا أرى رجلا فى قد هذا الرجل، ولا فرسا فى قد فرسه، وقدامه راية تشبه الثعبان، على رأسها صورة أسد من الذهب . فمن هـذا الرجل وما اسمه ؟ فقال هجير : ما أعرفه، ولا أعرف اسمه . ثم قال : إنى كنت فى القلعة، وبلغنى أنه جاء أمير كبير

(١) اليزك ربيئة الجيش الذى يرقب العدو .

(١) لك : ترتيب (لا) . (٢) لك، كو، طا : فأشرف . (٣) لك، طا : ولها .

(٤) كو : عليها صورة فيل . (٥) فى الأصل "حواليه من الفرسان" والتصحيح من لك، كو، طا .

من الصين، وانضم الى عسكر الملك كيكاوس . فيشبه أن يكون هـذا الرجل ذاك . فاغتم(١) عند ذلك حين لم يقف على أثر من أبيـه رستم . وقد كانت أمه أخبرته من صـفة أبيه رستم وأحواله بمـا قد شاهده . لكن لم يحصـل له ما يثق به قلبه . فأراد أن يتعرف من هجير فعساه يعثر من لسـانه على ما يسكن إليه قلبه . وقد حال بينه وبين ذلك ما كان مكتوبا على رأسه من القضاء المحتوم، والأمر المقدور . ثم سايله عن صاحب سرادق آخر وراية أخرى على رأسها صورة ذئب من الذهب . فقـال : هو جيو بن جوذرز الذى لهو(٢) أعلى قومه قدرا ، وأرحبهم صـدرا . ثم قال : إنى أرى من شرقى العسكر سرادقا أبيض من الديباج الرومى، وقدامه خيـالة كثيرة مصطفة ، ومعهم رجالة كثيرة أصحاب ترسة(٣) ورماح — فى أوصاف ذكرها المؤلف — فقال : ذاك لفرى بُرز بن الملك كيكاوس . ثم سايله عن سرادق آخر فقال : ذاك لرجل يسمى(٤) جُراز، وهو شجاع بطل . وكان سهراب يتطلب فى سؤاله أن يقع على علامة أبيه . وهجير يكاتمه ذلك ويخفيه لمـا يأتى ذكره . ثم عاود سهراب السؤال لمـا فى نفسه من السيد الذى كان مشوقا اليه، ومرفرفا بجناح قلبـه عليه . فسايله ثانيا عن السرادق الذى كان فى نفس الأمر سرادق أبيه رستم . وقال : قل لى لمن ذلك السرادق الأخضر ؟ ومن ذلك الرجل الطويل الذى هو عنده؟ فقال له عند ذلك هجير : إنى لست أعرف هـذا الرجل . فكيف أخبرك عنه ؟ فقال له سهراب : مالك قد ذكرت الكل ولم تذكر رستم؟ وكيف يخفى بين هذا العسكر من هو بهلوان العالم ؟ وقد أخبرت أنت أنه مقدم العسكر، وحافظ حوزة الملك . فقال له هجير : لعله عاد الى زابلستان . فإن هذا فصل الربيع، وأيام الشرب . فقال سهراب : ما هذا الكلام؟ واذا كان الملك قد حضر الحرب بنفسه فكيف يقعد عنه رستم وهو نظام أمره، ومعتمد حله وعقده، وبهلوان جيشه؟ وبعد فلست أتجاوز بك خطة واحدة . وهى إما أن تصدقنى الخبر عن رستم ولك على ذلك كنوز وأموال أعطيك إياها أولا تفعل فأقطع رأسك، وأريق دمك . فقال هجير : من سئم ملكه ، ومل تاجه وتخته تعرض لمحاربة رستم الذى يتنكب الفيل الهائج عن مصاولته، ويحجم الليث الكاشر عن مكافحته . فقال له سهراب : لقد شقى جوذرز حيث يدعوك ولدا وهذه(٥) جرأتك ورأيك وعقلك . وأين رأيت الرجال فى مقام الطعن والضرب ؟ وأين سمعت وقع سـنابك الخيل فى معترك الحرب ؟ حتى تصف رستم بمـا وصفت . وإنمـا تخشى النار حيث لاتكون البحار، وبطلوع طلائع الشمس تنتكس رايات الظلام . قال : وكان هجـير يقول فى نفسه إنى لو عرّفت هذا التركى الشديد البأس

(١) كو، فاغتم سهراب . (٢) لك، كو، طا : هو . (٣) لك : أترسة . (٤) فى الأصـل "كان يسمى" والتصحيح من لك، كو، طا . (٥) صل : وهذا جرأتك .

رستم لم يقصد إلا قصده . وأخشى أن ينكسر رستم بين يديه أو يقتله فلا يبقى فى جميع إيران من
يثبت له . فيبتز كيكاوس تاجه، ويسلبه تخته . والموت على الحفاظ خير من شماتة الأعداء . وإن
قتلنى لم يسود النهار، ولم تقم القيامة . واذا لم يسلم جوذرز مع السبعين المذكورين من أولاده فلا
سلمت ولا بقيت، واذا قلع السرو الباسق من البستان فلا نبتت شقائق النعمان . واحتد على سهراب
وقال : مالك تكثر السؤال عن رستم ؟ كأنك تطمع فى جانبه والأولى(١) بك ألا تطلب ملاقاته .
فإنك لا تطيق مقاومته . فأعرض عنه سهراب حين سمع كلامه الخشن، وجاء ولبس خفتانه،
ووضع على رأسه خُوذة تركية، وجاش الدم فى عروقه من الحدّة . فركب فرسه، وأخذ رمحه، (٤٠)
وأقبل الى المعترك كالفيل الهائج، وركض نحو سرادق كيكاوس فقوّضه برمحه . وتفرّق عنه من كان
هنالك من العسكر تفرّق اليعافير لصولة الضيغم الهصور . ولم يقدر أحد من شجعان ذلك العسكر على
مقاومته . فعظم ذلك على كيكاوس فأنفذ طوسا الى رستم ليخبره بصنيع سهراب، ويستنهضه اليه
ويستعجله . فمضى اليه طوس، وذكر له ذلك . فقال رستم : كل الملوك الذين رأيتهم كان لى منهم
يومان : يوم راحة ويوم تعب، سوى كيكاوس فإنه ليس لى من أيامه نصيب غير التعب والعناء .
ثم أمر بإسراج رخشه، وأمر عسكره بالركوب . وجعل جُرجين يقول له : عجّل، وهو يشدّ حزام فرسه
ويرتعد، وطوس يشد عليه معاقد جوشنه . وكل واحد منهما يستعجل الآخر . ولما سوى عليه
سلاحه وشد عليه منطقته ركب(٢) وأوصى أخاه زواره بألا يبرح مكانه، ويحفظ ما وراءه . فأقبل
الى الحرب، وحملوا لواءه معه . فلما رأى سهراب وشدّة أعضاده، وعظم صدره كأنه سام بن نريمان
قضى العجب . ثم قال لسهراب : هلم حتى نتنحى الى مكان خارج من الجمعين . فأجاب سهراب
مسرعا، وقال : نخرج الى موضع خال فنتبارز، ولا يكن معك أحد . ثم قال لرستم : كيف تقدر أن تقاومنى
أو تقف قدّامى وأنت وإن كنت طويل القامة، شديد الأعضاء، قوى الأكتاف فإن مرّ السنين قد
أثر فيك . فالتفت رستم اليه، ونظر الى قدّه وشمائله، وسرجه وركابه، وقال : رفقا يافتى رفقا . فكم
من وقعة شهدتها مع المشيب، وكم جحفل أرديتهم فى الحروب . وكم من جنى هلك على يدى . ولم
أنكسر قط فى حرب . وإن عشت فسوف تعرفنى . فقال له سهراب : إنى سائلك فاصدقنى ؛ إنى
أظنك رستم، وأحسبك من شجرة سام بن نيرم . فقال : ليس كذلك . فإن رستم هو البهلوان وأنا الغلام .
فقنط عند ذلك سهراب، وخاب رجاؤه، وأظلم نهاره، وتعجب من قول أمه وما أخبرته به من
صفة أبيه . ثم تناوشا الحرب وتطاعنا حتى انتثرت كعوب رماحهما . فاستل كل واحد منهما سيفه

(١) ك : والأولى أنك . (٢) صل : وركب

وتضاربا وكأن النار تمطر من سيوفهما . ولم يزالا حتى تكسرت سيوفهما . فمدا أيديهما الى عموديهما ، ورفعاهما وجعلا يتضاربان ويتقارعان حتى تمزقت الأدراع الموضونة على أكتافهما ، وتقطعت التجافيف على خيلهما . فضعفا ووقفت دوابهما ، وبقيا من العرق غريقين ، ومن العطش محترقين . فوقف الأب من جانب والابن من جانب آخر ينظر أحدهما الى الآخر . فياعجبا كيف انسدّت دونهما أبواب التعارف ، ولم تتحرك بينهما عروق التناسب ؟ والإبل مع غلظ أكبادها لتعطف على أولادها ، والطيور فى جوّ السماء والحيتان فى قعر الماء لا تنكر أولادها[١] وأفراخها والانسان من[٢] فرط حرصه يخفى عليه فلذة كبده ، ويستنكر قرّة عينه ، ولا ينزع الى ولده ! وقال رستم[٣] : لم أر قط قتالا بهذه الصفة . ولقد انقطع رجائى من رجوليتى ، وهان علىّ فى جنبه ما لقيت فى قتالى لملك الجن سبيذديو . ثم إنهما استراحا ساعة . ثم عادا الى القتال ، ورشق أحدهما الآخر فما ضر واحدا منهما شىء لمظاهرتهما بين الدروع والجواشن . فمدّ كل واحد منهما يده الى معقد منطقة صاحبه ، وجعل رستم الذى لو مدّ يده الى الجبل لاقتلع من حجارته يحتال ، وهو آخذ بمعاقد سهراب ، أن يحركه من ظهر فرسه . وسهراب كأنه لا خبر عنده من ذلك . ثم إن سهراب أخرج جرزه من حلقة سرجه ، ورفعه وأهوى به الى أكتاف رستم ، فتألم منه رستم . فضحك سهراب وقال : أيها الفارس كيف تثبت لصدمات الشجعان ؟ وإن الشيخ وإن كان عظيم القدّ شديد البأس فمستقبح منه عمل الشبان . ثم إن كل واحد منهما أدركه الضجر وتتاركا . فركض رستم صائلا على صف عسكر توران ، وفعل سهراب كفعله فحمل على صف عسكر إيران . فتفرّقت لحملته الفرسان . فالتفت رستم وتوهم أن مدّة كيكاوس قد همت بالانقضاء على يد سهراب . فرجع وصاح عليه صيحة . وقال : أيها المسعر السفاك ، إنه لم يتعرض بك[٤] ولا بدأ بقتالك أحد من الايرانيين حتى تتوسطهم ، وتعيث فيهم كما يعيث الذئب فى قطيع الغنم . فقال سهراب : وهكذا عسكر توران لم يبدءوك ، ثم إنك حملت عليهم . فبك اقتديت ، وعلى منوالك نسجت . فقال له رستم : قد أظلم الأفق ، وهجم الليل فليرجع كل واحد منا الى معسكره ثم نعود اذا أصبحنا . فرجعا فحكى سهراب لهومان ما جرى بينه وبين رستم . وكذلك رستم حكى لجيو ما جرى له فى يومه . ثم ركب رستم الى خدمة الملك كيكاوس . فلما دخل عليه أجلسه بجنبه ، واستخبره عما جرى له . فجعل رستم يحكى له عن سهراب ، ويذكر أنه قد أفرغ وسعه ، وبذل جهده فى أن يغلبه فلم يقدر عليه . وقال[٥] غدا احتال عليه بالمصارعة والله أعلم بالمنصور منا . ثم خرج من عنده ،

(١) ك ، طا : أفراخها وأولادها . (٢) كو : مع حرصه . (٣) ك : رستم فى نفسه .
(٤) ك ، كو : لك . (٥) ليس فى الأصل «قال» والتصحيح من ك .

وعاد الى مخيمه . فتلقاه أخوه زواره، واستخبره عن حاله فى يومه . فأمره بإحضار الطعام أولا . فطعم وأقبل عليه، وقال: إياك والتوانى، وعليك بالتيقظ، وانظر فاذا رأيتنى غدا قد ركبت باكرا الى المعترك لملاقاة هـذا التركى فاجمع عسكرى ، ومر بحمل تختى(١) ولوائى، ومداسى الذهبى ، وقف قدّام سرادقى وقت طلوع الشـمس . فإنى إن رزقت الظفر لم ألبث ساعة وعدت اليكم عاجلا . وإن كان الأمر على خلاف(٢) ذلك فلا تجزع علىّ ولا تغتم لذلك ، وإياكم أن تبقوا فى هذا الموقف ساعة واحدة ، وأن(٣) تطمعوا فى لقائهم وقتالهم ، ولكن عجلوا وارجعوا منطلقين الى زابلستان، وبادروا نحو دستان، وسلّ قلب أمىّ فليس يدوم أحد فى هذه الدار، ولا بدّ من التحوّل الى دار القرار . ولو زاد على الألف أيام عمرك فالى الموت مصير أمرك . وقد خلقنا للموت شبانا وشيبا ، ولن يبقى الجديدان خلقا ولا قشيبا . ثم توصى دستان ألا يخالف الملك، ولا يفارق طاعته، ولا يتوانى فيما يأمر به من قتال من يريد. فلما كان الغد(٤) لبس رستم سلاحه، وركب رخشه، وأقبل الى المعركة§.ولبس سهراب من ذلك الجانب أيضا سلاحه ، وركب وحضر ذلك المكان . فلما رأى رسـتم ضحك اليه ، وسايله عن مبيته حتى كأنهما باتا معا . وقال له فى جملة ما قال : كيف أمسيت وكيف أصبحت ؟ وماذا فى قلبك من أمر قتالنا؟ فإنى أرى أن نخلع الجوشن، ونطرح السيف، ونكف عن القتال، ونجلس ونشرب ، ونتعاهد بالله(٥) ألا يعاود أحدنا قتال صاحبه . فإن قلبى يميل كل الميل اليك، وإن وجهى ليغمره الحياء منك . فقال له رستم : إنك إن كنت من الشبان فلست من الصبيان، ولا ممن ينخدع بالحيلة والمكر . وقد حلبت الدهر أشطره، ولا بدّ لنا من بذل الجهد . ولا يكون منتهى الأمر وآخره(٦) إلا ما أراد الله . فترجلا وشدّ كل واحد منهما فرسه بحجر، وتشبث كل واحد منهما بصاحبه ٤١

§ حذف المترجم هنا قطعة خلاصتها أن سهراب بات فى معسكره يشرب على عزف المزاهر . وقال لهومان : إن هـذا الأسد (رسـتم) له قدّ لا يقصر عن قدّى، وقلب لا يبالى الحرب . وإنه ليشبهنى فى صـدره وكتفيه ، وعضديه . وكلما نظرت الى رجله فى الركاب خفق قلبى بحبه، وخجل وجهى منـه . وإنى لأجد فيه الأمارات التى وصفتها أمى . وأحسبه رسـتم الذى يقا ، فى الأبطال أكفاؤه . ولا ينبغى أن أحارب أبى .

فقال هومان : قد رأيت رسـتم كثيرا فى المعارك، وهذا الحصان يشـبه رخشه ولكن ليس له حافره ولا أثره .

(١) ك : لواى وتختى . (٢) ك، طا : بخلاف . (٣) ك، طا : أوأن

(٤) ك، طا : من الغد . (٥) ك، طا : الله تعالى . (٦) ك : وآخره (لا)

يتصارعان كأنهما أسدان يتصاولان، أو جبلان يتناطحان . ثم إن سهراب صرع رستم ، و بطحه وجلس على صدره كالأسد اذا افترس فريسة بخثم عليها وافترشها . واستل خنجرا ، وأراد أن يحتز رأسه . فلما رأى ذلك رستم احتال عليه وقال: ليس هذا من شأن المصارعة عندنا ، بل كل من ساجل شجاعا بالمصارعة فليس يبسط يده الى قتله فى الصرعة الأولى ، بل[1] حتى يصرعه ثانيا فحينئذ له ذلك . فاغتر سهراب بكلامه ، وقام عنه ، وخلى سبيله ، وجاء الى صحراء كانت بين يديه فيها غزلان كثيرة فاشتغل باصطيادها غير مفكر فى رستم ولا محتفل به . فركض اليه صاحبه هومان واستخبره عما جرى بينه و بين رستم . فأخبره بأنه صرعه ثم أطلقه لما قاله له . فقال : أيها الشاب الشجاع إنك قد اقتنصت هزبرا هصورا ثم خليت سبيله ، فكأنك قد[2] ملات الحياة وسئمت نفسك . وسترى ما يحدث عليك منه . ثم قطع رجاءه منه ، وعاد الى معسكره مهموما وهو يقول : من استصغر عدوّه ، و إن كان أسيرا ، فسيرى اليسير عسيرا .

قال: ولما تخلص رستم من يده قصد ماء جاريا هناك فشرب منه واغتسل وسجد يسأل الله تعالى أن ينصره على عدوّه ، وهو لا يعرف ما فى ضمن ذلك وما ينساق اليه . (ا) ثم عاد الى مكان المصارعة مصفر الوجه ، وجل القلب . وأقبل سهراب يركض فرسه ، وفى عضده وهق ، و بيده قوس . فلما رأى رستم ناداه وقال له : أيها المفلت من مخالب الضرغام! مالك قد أبطأت وتقاعست عن الإقدام ؟ (ب) وترجلا وشدا فرسيهما ، وتشمرا ثانيا للصارعة . وكلما غضبت على المرء السعادة لانت فى مساءته الحجارة . (ح) فصار سهراب بتلك الأعضاد القوية والمرافق الشديدة كأن القضاء قد قيده ، والشقاء قد صفده . فألقاه رستم على الأرض ، وجلس عليه ، وسل خنجره مسرعا وشق به نحره[3] . فتنفس سهراب وقال: أنا الذى جنيت هذا الشر على نفسى حين أريتك هذا الباب . ثم قال: إن أمى أخبرتنى بصفة أبى ، وحدّثتنى عن علامته . وما كان خروجى إلا لألقاه ، وأبصر وجهه . وهأنا قد حضرنى الموت قبل أن أراه ، و بحسرته أموت . وأنت فلو صرت حوتا فى قعر الماء أو حلت كوكبا فى جو السماء لم تفلت من أبى . وليأخذن بثارى منك اذا بلغه مصرعى هذا ، ويوشك أن

(ا) فى الشاه : أن الله كان منح رستم قوة تشقق الحجارة تحت قدميه حين يمشى . فسأل الله أن ينقص من قوته ليستطيع السير فى الطريق . فلما كر به أمر سهراب سأل الله أن يرد ما نقص من قوته فاستجاب له . (ب) فى الشاه : « أيها المفلت من مخالبى لماذا عدت الى منازلتى؟ » وهذا أقرب الى سياق القصة . (ح) فى الشاه : « كلما غضب الحظ المشئوم صار الحجر الصلب كالشمع » .

(١) لـ ، كو ، طا : بل (لا) . (٢) لـ : قد (لا) . (٣) فى حاشية الأصل فى هذا الموضع :

وائل بعضها يقتّل بعضا * لا يفل الحديد إلا الحديدا

يبلغه ذلك ولو على لسان واحد من هذا الجمع الكبير . قال : فلما سمع رستم مقالته هذه أظلم نهاره، وغشى عليه . ثم لما أفاق أقبل عليه برنين وحنين، وقال له : أخبرنى عما معك من علامات رستم — لا عاش ولا عد من نفره — فقال عند ذلك : إن كنت أنت رستم فإنما قتلتنى بسوء خلقك . وكم تعرفت اليك، وتملقت لك، فما تحرك عرقك ولا لان قلبك . فحل الآن معاقد جوشنى، وعرّ بدنى (١) . فإن أمى حين ودعتنى شدت على عضدى خرزة، وقالت : هذه تذكرة من أبيك، ولعلك تحتاج اليها . ففعل ذلك رستم . فلما رأى تلك الخرزة رستم (٢) فى عضده شق جيبه، وأخذ يضرب صدره، وينتف شعره، ويندب ولده . فقال سهراب : قتلت نفسك بيدك . وقد وقع المحذور، ومضى المقدور، وليس ينفعك هذا الجزع

قال : ولما زالت الشمس على الإيرانيين ولم يروا أثرا من رستم ركب جماعة من فرسانهم فى طلبه . فرأوا فى الصحراء فرسين ليس معهما أحد . فحسبوا أن رستم قتل فأسرعوا الى كيكاوس، وقالوا : خلت المملكة عن رستم . فاضطرب الايرانيون وضجوا وأخذوا فى البكاء والرنين . وأمر كيكاوس بإعمال البوقات، وضرب الكوسات . واستحضر طوسا . وقال لهم : طيروا هجينا حتى تؤتى بخبر سهراب . فإن كان رستم قد قتل فقد انقطع رجاؤنا من ايران لإعوازنا من يقاتل بعده هذا العدو . وليس من الصواب أن نتوقف فى مثل هذه الحالة، والأصوب أن نهجم عليهم، ونجعل الأمر حملة واحدة . قال : فلما سمع سهراب صياح الايرانيين وضجتهم قال لرستم : قد تغير الحال الآن بعسكر الترك بسبب ما جرى علىّ . فاجهد كل الجهد فى أن تصرف كيكاوس عن قتالهم . فإنهم من أجلى تجشموا المجيء الى هذه الديار . وكم أمنية كانت لهم معذوقة بأيامى، وكم حاجة كانوا يرتجون نجاحها فى حياتى . وقد خاب رجاؤهم، وأخفقت ظنونهم . فلا ينبغى أن ينالهم فى عودهم وانصرافهم محذور . فانشر عليهم جناح الأمان، وانظر اليهم بعين الرعاية والإحسان . فركب رستم وأقبل الى عسكر الايرانيين ودموعه جارية، وأنفاسه متصعدة، محترق (٣) القلب على ولده، وقد قتله بيده . فلما رآه الايرانيون ترجلوا وسجدوا شكر الله تعالى على رجوعه سالما . فلما شاهدوه ممزق الثياب مستعيض الرأس عن التاج بالتراب سايلوه عما به . فأخبرهم بحاله العجيبة، وقال لهم : إنه لم يبق لى الآن قلب ولا جسد ولا عقل ولا جلد . فلا تقاتلوا الأتراك فقد كفاهم ما جرى عليهم على يدى من الشر . وحضر أخوه زواره وقد شق على نفسه ثيابه (٤) . فأرسله الى هومان وقال : قد أغمد سيف القتال، وصرت أنت الآن حافظ عسكر الترك، وهذا زواره قد أمرناه بأن يصحبك حتى تبلغ أنت ومن معك الى حافة النهر .

---

(١) ك : يدى . (٢) ك، طا : رستم (لا) . (٣) ك : محرق . (٤) طا، ك، كو : ثيابه الخسروانية .

ثم رجع رستم الى مصرع ابنه ومعه الأكابر والأمراء، فاستل خنجرا وهمّ بقتل نفسه لفرط
ما أصابه من الجزع . فتعلقوا به وهم يضجون ويبكون . وقال له جوذَرز : لو قلبت الأرض ظهرا
لبطن، وأصبت نفسك بكل مكروه لم ينفعك ذلك شيئا . وسُهراب إن كان الله قد أنسأ فى أجله
(٤٣) فسيعافى وتبقيان معا . وان تكن الأخرى فهوّن عليك ، وانظر من ذا الذى قضى له بالبقاء فى دار
الفناء . وكلنا قنص المنون . غير أنا لاندرى متى يخرج علينا من الكمين[(١)] . فقال عند ذلك لجوذَرز :
تحمل عنى رسالة الى الملك ، امض اليه ، وأبلغه ما بليت به فى ولدى ، وقل : إن كنت ترعى حقوق
خدمتى ، ولا تنسى[(٢)] نصحى وطاعتى فأنفذ الىّ من خزانتك شربة من الدواء الذى يشفى الجرحى ، مع
جام من الشراب . فلعل سهراب يجد عليه الشفاء بسعادتك ، و يصير أحد العبيد الماثلين فى خدمتك .
فركب جوذرز وجاء الى الملك ، وأبلغه رسالة رستم . فقال له الملك : ألم تسمع قوله فى ذلك اليوم (ا) :
-ن كيكاوس؟ و إن كان هو الملك فمَن[(٣)] طوس؟ وامتنع من إسعافه بما طلب (ب) . و رجع[(٤)] جوذَرز
الى رستم ، وقال : إن خلق الملك السيئ شجرة مثمرة بالجفاء والخصومة . والأولى أن تركب بنفسك اليه
ليقضى حاجتك . فأمر رستم فبسطوا على جانب ذلك الوادى فرشا و بُسطا ، وحملوا سهراب ونوّموه عليه .
وركب متوجها نحو سرادق الملك . ولما توسط الطريق لحقه الخبر بموت سهراب فخر من الفرس ،
وحثا التراب على رأسه ، وجعل يبكى عليه و يندب و يقول : من[(٥)] الذى أصيب بمثل ما به أصبت ، ومن
الذى فجع بمثل ما به فجعت ؟ قتلت ولدى حين شاب رأسى وانقضى عمرى . ثم أمر بحمل سهراب الى
مخيمه ، و بإحراق سرداقه وخيمه وتخته وأسلحته وغير ذلك . ثم جاءه الملك كيكاوس و جميع الأكابر
والأمراء ، وجلسوا معه على التراب وأخذوا يعزونه ويسلونه . وكان من قول كيكاوُس له : إن مصير
الكل الى الفناء ، فمن واحد يتقدّم ، وآخر يتأخر . وقد كان من قضاء الله أن يزعجه من دياره حتى
تكون منيته على يدك . فقال له رستم عند ذلك : إن سهراب قد مضى . و بقى صاحبه هومان نازلا
فى هذه الصحراء ، ومعه جماعة من أمراء الترك وأكابر الصين . فلا يكن فى قلبك عليهم شىء . و زواره

(ا) يعنى يوم غضب كيكاوس على رستم وأمر بصلبه فخرج رستم الى زابلستان مغاضبا ، كما تقدم فى أثناء هذا الفصل .

(ب) يعجب القارئ من فعل كاوس هذا . ولكن فى الشاه بقية الكلام ، فكاوس يقول : أنا لا أضمر شرا لرستم . ولكن أخشى أن تزيد سطوته بحياة سهراب . وقد سمعت من رستم ما سمعت . وسمعت عن سهراب ، شرا من ذلك ؛ فقد قال : سأقتل الايرانيين وأصلب كاوس الخ .

(١) ك ، كو ، طا : المكمن . (٢) صل ، ك : تنس . (٣) صل : ومن . والتصحيح من ك ، طا .
(٤) ك : فرجع . (٥) ك ، طا : من ذا الذى .

يسير معهم بإذن الملك حتى يصلوا مأمنهم . فقال له كيكاوس : إنهم وإن خربوا ممالك إيران وكثرت إساءتهم الىّ فقد زال ما فى قلبى عليهم بسبب ما جرى عليك وتألمى لتألمك .

ثم ركب كيكاوس راجعا فى عسكره الى بلاد إيران(١) . وأقام رستم هناك حتى رجع أخوه زواره وأخبره بانصراف عسكر توران . ثم رجع إلى زابلستان . ولما سمع به أبوه دستان تلقاه فى جميع أهل سجستان . وحين وقعت عينه على تابوت سهراب نزل . وكان رستم يمشى بين يديه باكيا ممزق الثياب . فلما رآه الأكابر(٢) بتلك الصفة حلوا مناطقهم ومزقوا أثوابهم . ودخلوا بالتابوت الى ايوان رستم، ووضعوه بين أيديهم . ففتح رستم رأس التابوت، ونحّى عن سهراب أكفانه حتى رأى الحاضرون قدّه وقالبه، وشاهدوه كالأسد نائما فى الصندوق . ثم أطبقوا عليه التابوت وأوثقوه، ودفنوه وبنوا عليه تربة من حوافر الخيل (ا) . وقال رستم : إنى أعلم أنى لو حشوت قبره بالمسك، وبنيت تربته من(٣) الذهب والفضة فالى الفناء مصيره ولا يبقى شيء من ذلك على مر الدهور وكر العصور

§ [سماع أم سهراب بقتله

وتوران دوّت بهذا الخبر : بمصرع سُهرابها المنتظر
لمَلك سمنجان جاءوا سراعا فقدّ عليه الثياب التياعا
وأُخبرت الأم أن البطل بسيف أبيه أتاه الأجل
فمزقت الدرعَ أظفارُها فلاحت تلألؤ أبشارُها
تئن وتجأر جهد الحزين ويتنابها الغَشْى فى كل حين
تلُف أصابعها بالشَّعَر فتجتز من أصلهن الطرر
وتذرى على الخد دمع الدم وتبكو وتنهض فى المأتم
تعض على الكف فى يأسها وتذرو التراب على رأسها
تقول : بنىّ وروحى ! ترى بأية أرض طواك الثرى؟

(ا) كذا فى بعض نسخ الشاه . وفى بعضها : تربة مثل حافر الفرس .

(١) كو : فارس . (٢) صل : فلما رآه بتلك الصفة . والتصحيح من ك، طا . (٣) ك : بالذهب .

(§) حذف المترجم الفصل الأخير من قصة سهراب — الفصل الذى يصف حزن أمّه وتولهها حينما جاءها نعيه . وترجمته نظما جاهدا أن تكون الترجمة مرآة الأصل، والتزمت أن أترجم البيت بالبيت على بعد ما بين اللغتين . ويرى القارئ فيه مثالا من شعر الشاهنامه، معانيه وأوزانه وقوافيه .

منحت الطـريق طماح البصر   عن ابنى ورُستمَ أبغى الخبر
حسبتك جاوزت سهلا وصعبا   وطوّفت فى الأرض شرقا وغربا
وجئت أباك وحـمّ اللّـقى   فأسرعت نحوى تحث الخُطى
وما خلت أن الأب المسـعرا   يحطم فى صـدرك الخنجـرا
ألم يرحم القامـة الهائـلة   ووجهـك والوفـرة السائلة؟
وذاك الشطاطَ ـ أما يرحم؟ ـ   يمزقـه بالظُّـبى رسـتمَ!
رعيتك حتى كسيت الشـوارا   وضمك صـدرى الدجى والنهار
فكيف اكتسيت دما قانيـا   وبُدّلتَـه كفنا باليـا؟
مَن اليوم يؤنس صدرى؟ ومن   يقاسمنى الغـم يوم الحـزن؟
ومن ذا، مكانك، أدعو مجيبا؟   ومن ذا أبث الجوى والوجيبا؟
فواهًا لجسـم ووجه منـيرْ   وعينين ـ فى الترب بعد القصورْ!
أليثَ الحفاظ! نشـدت الأبا   فلاقيته الجـدث المجـدبا
وفاجأك اليأس دون الأمـل   وأضـواك تحت الرغام الأجل
ألا ـ قبل أن يصلت الخنجرا   ويمنحه صـدرك المسـفرا ـ
أريت أباك فذكرته   أمارا من الأم أصـغرتَه!
عقـدت عليـك أمار الأب   لماذا بحـدتَ؟ ولم تُكذَب
تركت لأمـك ذل الأسـيرْ   وحز الهمـوم وحر الزفـيرْ
فهلا صحبتُـك يوم السـفر   فأصبحتَ فى العالمين السـمرْ!
إذًا راءنى رسـتم فادّكر   وبلّغتَ مما تروم الوطـر
وما أشرع الرمح يـوم الردى   ومزق صـدرك طعنَ العـدا



تقـول وتخمش جسما جميـلا   وتلطم بالكف خدا أسـيلا
أطالت بكاء ابنهـا والنحيبـا   فأجرت من الناس دمعا سكوبا
وخرت على الأرض جمرا خمـد   كأن بهـا دمها قـد جمـد
وعادت ترجّـع تحنانهـا   وتذكى على الابن أحزانها



وجاءت الى تاجه تلتدم ... دم القلب فى دمعها ينسجم
فناحت على تاجه والسُرر ... تقول : أيا غصن ملك كسر!
وجاءت الى طِرفه الطائر ... الى زينة الزمن الناضر
فلزت الى رأسه صدرها ... يرى الناس فى عجب أمرها
تقبل جبهته جهدها ... وتحنو لحافره خدها
وجاءت لحلته فى كمد ... تعانقها كابنها المفتقد
دم الجفن فى الترب كالعندم ... تَقَلّب فوق الثرى والدم
وجاءت الى السيف والمقمعة ... حليفيه فى حومة المعمعة
وجاءت الى درعه والشليل(١) ... الى القوس والسمهرىّ الطويل
وبالترس جاءت ولجم الذهب ... تصك بها رأسها المستلب
ووهقٍ ثمانين بالأذرع ... تغل به جيدها لا تعى
وبالخوذ جاءت وبالجوشن ... تُهيب بليث الوغى المِطعَن
وثارت تجرد مِن سيفه ... تجز السبيبة من طِرفه



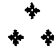
ونال المساكين ذخر الغنى ... نضارا وخيلا وكل القِنى
وغلقت القصر بابا فبابا ... وسوّت ذرى تخته والترابا
تجلل أبوابه بالسوادْ ... وتذرو عليه تراب الحدادْ
وعطلت الدار مغنى السرورْ ... وكان الى الحرب منها المسيرْ
وجللها الحزن زرق الثيابْ ... تضرجها بالعقيق المذابْ



ومُدت لها سنة فى العمر ... لنوح الليالى وندب النهُر
وأسلمت الروح مما بها ... فطارت تحن لسهرابها

---

(١) الشليل : غلالة تلبس تحت الدرع .



كذا قال بهرام رب اللسن : بأهـــل المقـابر لا تكلفن
فان الحيـاة متاع قليـــل فعجل وأعدد ليـوم الرحيل
لك النوبة اليوم بعد الأب توقـــع نهايتهـا وارقب
هو السر عيّت به الأحقُب لختـام مفتاحــه تطلب؟
هو البـاب لم يفتتحه أحد فلا تضع العمر فى ذا الكبَد
ولكنّ حكم القضـاء مضى بذلك رب القضـاء قضى
فلا يَعلق القلب دار الزوال فان التمتـــع فيهـا محال



عن القصـــة الآن أصرف عزمى حديث سِياوَخش، من بعد همى]

ذكر ولادة سِياوَخش بن كيكاوُس وابتداء أمره §

قال صاحب الكتّاب : حكى أن طوس بن نوذر وجيو بن جوذَرز ركبا يوما فى جماعة من الفرسان متصيدين فانتهوا الى غيضة فيها صيد كثير، فاقتحموها بالفهود والجوارح من جوانبها كلها،

---

§ سِـــياوَخش

يسمى سـيَاوخش وسـياوُش، ويذكرهما فى الشاهنامه . واسمه فى الأبسـتاق سـياوَشرانه أو سياوَشران . وسياوَش فى الفارسـية ضرب من الطير . وخونِ سياوُش أو سـياوُشان، أى دم سياوش، نبت اسمه بالعربية دم الأخوين[١] .

وقد ذكرته الأبستاق فى عداد الصدّيقين : " نعبد روح الملك المقدس سـياوَشرانه " . وذكر فى عداد الملوك الكيانيين باسم كَفى سـياوَشران . وذكر فى مواضـع أخرى ثأر كيخسرو له من أفراسياب[٢] . وضرب فى موضع آخر مثلا للجمال والبراءة من العيب[٣] . =

(١) أفستا، وفرهنگ شعورى، والقاموس المحيط . (٢) أفستاج، ٢ ص ٢٢٢ و٣٠٣ و١١٤ و١٥٥
(٣) = ص ٣٢٦

فأصابوا صيدا كثيرا . وقد كان ذلك المكان قريبا من منازل الترك وخركاهاتهم[١] . فعرضت لهما بين أيديهما غيضة أخرى قريبة من حدود توران . فركضا اليها للاصطياد فيها، وجيو يسير قدام طوس، ومعه جماعة من غلمانه . فصادفا فيها جارية حسناء من أجمل البشر . فابتدراها مستبشرين بهـا . فقال لها جيو : من أنت ؟ وكيف حصلت فى هذه الغيضة ؟ وما الذى جاء بك اليهـا ؟ فقالت فيما أجابته به : إن أبى جاء البارحة سكران، ولما وقعت عينه علىّ سـل خنجره وأراد أن يقتلنى، فخليت بيتى وخرجت هاربة منه . وقصت عليه قصة حالها . وقالت فيما أخبرت به من حديثها أنها من أقارب كرسيوز ونسبى يتصل بالملك أفريذون . فقال لها جيو : وكيف خرجت راجلة بلا مركوب ولا دليل ؟ فقالت كنت راكبة فأُبدِع بى، وبقيت وذهب مركوبى . وكانت معى جواهر نفيسة وذهب كثير، وكنت متوجة بتاج من الذهب . وذكرت أن جميع ذلك أخذ منها فى موضع أشارت اليـه، وأنهم ضربوها بسـيف[٢] مصفح . قالت : وإن أبى اذا صحا من سكره سينفذ مسرعا فرسانه ورائى؟ وتبادر أمى أيضا فتلحقنى . ولايخلوننى أن أتجاوز هذا المكان . فشغف بها جيو وطوس وملكت قلوبهما وتنازعا فيها . وقال طوس : أنا وجدتها فتكون لى . وقال جيو : دع هذا الكلام

= تصف الشاهنامه بناء سياوخش مدينتى كنككدز، وسياوخش كرد، ولا تبين مكانيهما بيانا كافيا، ولكن يستطاع تبيين هذا بمراجعة كتب أخرى :

يقول البيرونى عن أهل خوارزم : " فكانوا يؤرخون بأول عمارتها . وقد كانت قبل الاسكندر بتسعمائة وثمانين سنة . ثم أخذوا بعد ذلك بتورّد سياوَخش بن كيكاوُس إياها، وتملُّك كيخسرو ونسله بها حين نقل اليها وسـير أمره على ملك الترك . وكان ذلك بعد عمارتهـا باثنتين وتسعين سنة . ثم اقتدوا بالفرس فى التأريخ بالقائم من ذرية كيخسرَو المسمى (؟) بالشاهية بها . حتى ملك آفريغ، وكان أحدهم، وكان يتطير به كما تشاءمت الفرس بيزدجرد الأثيم . وملك ابنه بعده . وبنى قصره على ظهر الفير فى سنة ستمائة وست عشرة للاسكندر فأرخوا به وبأولاده . وكان هذا الفير قلعة على طرف مدينة خوارزم مبنية من طين وابن، ثلاثة حصون بعضها فى بعض متوالية فى العلو . وفوق جميعها قصور الملوك كمثل غمدان باليمن ... ... وكان يرى هـذا الفير من مقدار عشرة أميال فأكثر . فخطمه جيحون وهـدمه وذهب به قطاعا كل عام حتى لم يبق منه شىء فى سـنة ألف وثلاثمائة وخمس للاسـكندر[٣] " . =

(١) الخركاه : الخيمة العظيمة . (٢) لفظ "بسيف" ساقط من الأصل . والتصحيح من طا .

(٣) الآثار الباقية ص ٣٥

فإنك تعلم أنى ركضت فى طلب الصيد وكنت أمامك فأنا الذى وجدتها . فطال بينهما الكلام حتى اختصما، وأفضى بهما الخصام الى العزم على قتل الجارية حسما لمادة الشر . فتوسط بينهما بعض الفرسان، وقال : الرأى أن تحمل الجارية الى حضرة الملك كيكاوس ليرى فيها رأيه ، ويخص بها من يرى منكما . فتراضيا بذلك، وأقبلا بها الى خدمة الملك كيكاوس . ولما رأى الجارية ضحك وعض على شفته كالمتعجب . وقال كيف تصاد الأقمار ذوات النهود بالبزاة والفهود ؟ وقال للإصبهبذين : قد كفيتما التعب والمؤونة . وإن مثل هذا الصيد لا يليق إلا بالملك . فأخذ الجارية واستأثر بها[1]، وأمر بها فأدخلت الى دار النساء، وأجلست على تخت، وزينت بالديباج الأصفر، ووشحت بالياقوت والفيروزج . ودخل عليها الملك فوجدها درة غير مثقوبة ، وياقوتة غير ممسوسة فجرى بينهما ما جرى ولم ينشب أن حملت الجارية .

ولما ولدت بُشّر[2] بأنها وضعت ولدا كأنه قمر أو صنم حسنا وجمالا . فأظهروا السرور به، وسماه أبوه سياوَخش . فنظر الملك فى طالعه فرأى أموره مضطربة . فاغتم لذلك والتجأ الى الله ٤٣

= فاذا قرنا هذا الى ما يقول الفردوسى عن مكان كنك دژ وبنائها وجدنا شبها بين البناءين . ثم كنك تذكر فى الأبستاق باسم كنغا العالى المقدّس — كما تقدّم فى فصل نوذر — ويقول دَرمستتَر أن كنغا مدينة بناها سياوخش فى أرض خوارزم[3] . فيؤخذ من هذا أن كنك التى وصفها الفردوسى هى حصن الفيرالذى ذكره البيرونى، وأن الفردوسى ومن أخذ عنهم كانوا يتخيلون حصن الفير حين يصفون مدينة كنك . ويؤخذ من رواية البيرونى المتقدّمة أن الحصن بقى يكافح غارات نهر جيحون الى زمن الفردوسى .

وتذكر مدينة كنك أيضا فى الأبستاق مقاما لخورشيد كيهر المحارب من أبناء زردُشت ، ولپشوتنو ابن الملك ڤشتاسب صاحب زردُشت . وپشوتنو أحد السبعة الخالدين فى رأى الزردشتيين[4] .

وسيأتى ذكر المدينة نفسها مقاما لأفراسياب فى الوقائع الآتية بينه وبين كيخُسرو .

وأما سياوَخش كرد فيظهر أنها كانت على جيحون قرب بلخ . وسيأتى بيان هذا . ثم ينسب الى سياوخش أيضا بناء مدينة سمرقند بعد أبيه كيكاوس[5] . =

(١) صل : استأثرها . والتصحيح من ك، طا . (٢) ك، كو، طا : بشر الملك . (٣) أفستا، ج ٢ ص ٦٧ حاشية . (٤) = ص ٢٠٤ حاشية، ٣٢٩ حاشية . (٥) أوراق أسيوية ص ١٥١

عز وجل، وفوّض أموره اليه . ثم مضى على ذلك زمان، وقدم رستم، وقال للملك : إن لك عبيدا كثيرة، ولكن لا يكون أحد منهم أشفق على سياوخش منى . وسأله أن يكفّله إياه . فسلمه اليه ليربيه[1] . فحمله رستم الى زابلستان، وعلمه الفروسية والرماية وجميع آداب الملوك فى الحرب، والصيد والطرد، وقيادة العساكر، والتكلم على الناس فى المجافل . وتعب فى ترشيحه وتربيته وتأديبه[2] تعبا كثيرا. لكن أثمر تعبه ذلك أن صار سياوخش[3]، لما تجمع فيه من آداب الملوك، وأخلاق السلاطين، كأنه لا نظير له فى العالم .

ولما ترعرع الشاب، وطال قدّه، واشتدت أعضاده، وصار يصطاد الأسود بين الغياض والآجام قال لرستم : إنى أريد المصير الى خدمة الملك كيكاوس حتى يرانى ويرى ما تحليت به من آدابك، وتزينت به من أخلاقك . فأعد له رستم ما يليق بمثله من أولاد الملوك، من الخيل والبغال ونفائس الأموال، وأعطاه خاتما وتختا وتاجا ومنطقة ومن غير ذلك[4] من الملابس والمفارش ما يناسب ذلك . وسرّحه على هذه الجملة بعد أن شيعه . وكان أهل كل مملكة يمر بهم ينثرون الذهب والجوهر

= وقصة سياوخش الى أن ولد ابنه كيخسرو وترعرع وأقام مع أمه فى مدينة أبيه (سياوُش كِرد) ٢٧٧٠ بيتا يتكلم الشاعر بعدها عن رجوع كيخسرو الى ايران . والقصة فى الشاهنامه تتضمن هذه العناوين : —

(١) فاتحة القصة . (٢) حكاية أم سياوُش . (٣) ولادة سياوُش . (٤) رجوع سياوُش من زابلستان . (٥) وفاة أم سياوُش . (٦) عشق سودابه إياه . (٧) مجيئه الى سودابه . (٨) مجيئه الى دار النساء مرة أخرى . (٩) خَدع سودابه كاوس . (١٠) احتيال سودابه والمرأة الساحرة . (١١) سؤال كاوس عن أمر الجنينين . (١٢) امتحان سياوش بالنار . (١٣) شفاعة سياوش عند أبيه ليعفو عن سودابه . (١٤) سماع كاوس بمجىء أفراسياب . (١٥) سياوش يقود الجيش . (١٦) كتاب سِياوُش بالفتح الى كاوُس . (١٧) جواب كاوس . (١٨) رؤيا أفراسياب وفزعه . (١٩) سؤال أفراسياب الموبذين عن تأويل الرؤيا . (٢٠) تشاور أفراسياب والملأ . (٢١) مجىء كرسيوز الى سياوُش . (٢٢) مصالحة سياوُش وأفراسياب . (٢٣) إرسال سياوُش رستم الى كاوُس . (٢٤) أداء رستم الرسالة الى كاوس . (٢٥) إرسال كاوس رستم الى سيستان . (٢٦) إجابة كاوس رسالة سياوش . (٢٧) مشاورة سياوش بهرام وزنكه . (٢٨) ذهاب زنكه الى أفراسياب . (٢٩) كتاب=

(١) طا، ك : ليربيه ويؤدبه . (٢) ك : وتأديبه وتربيته . (٣) كو : سياوش . (٤) كر صل : وغير ذلك . والتصحيح من ك، طا .

تحت حوافر خيله ، و يعقدون لمقدمه الآذينات(١) وهى القباب التى تنصب وتعقد فى أفراح الملوك . ولما بلغ الخبر كيكاوس بمقدمه أمر طوسا وجيوا فركبا فى العساكر والفيلة لاستقباله ، فتلقوه ودخلوا به الى دار الملك . واصطفت له فى طريقه من كل جانب ثلثمائة وصيفة بأيديهن المجامر . ونثرت علية نثارات تكاثر زهر الكواكب ، فى تلك المواكب . وحين دخل على أبيه و رآه جالسا على تخت من العاج ، معتصبا بتاج من الياقوت أهوى الى الأرض ساجدا ، و بقى يناجى الأرض ساعة . ثم رفع رأسه واستدناه فعانقه ، وسايله عن رستم ، وأقعده بجنبه على ذلك التخت . وجعل يبتهل الى الله تعالى و يتضرع اليه ، و يشكره على أياديه فى ولده . ثم أمر الإيرانيين بالتشمير فى خدمته . وأخذوا معه فى اللهو واللعب ، والقصف والطرب أسبوعا كاملا . ثم أمر ففتحت أبواب الخزائن ، وأفيضت عليه الأموال والكنوز والذخائر . وأعطاه كل شىء يليق بالملوك من الخيل والسلاح وغيرهما ما خلا التاج فانه لم يكن مستحقه حينئذ لصغر سنه . وأقام سبع سنين يربيه . ثم أعطاه التاج فى السنة الثامنة ، وكتب له المنشور على بعض الممالك ، على عادة الملوك السالفة .

= أفراسياب الى سياوش . (٣٠) ترك سياوش الجيش لبهرام . (٣١) رؤية سياوش أفراسياب . (٣٢) إظهار سياوش مناقبه عند أفراسياب . (٣٣) ذهاب أفراسياب وسياوش للصيد . (٣٤) تزويج پيران ابنته من سياوش . (٣٥) تكليم پيران سياوش فى أمر فرنكيس . (٣٦) تكليم پيران أفراسياب . (٣٧) بناء سياوش بفرنكيس . (٣٨) تولية أفراسياب سياوش على بعض الأقاليم . (٣٩) بناء سياوش كنك دِز . (٤٠) إخبار سياوش پيران عن المستقبل . (٤١) إرسال أفراسياب پيران الى الولايات . (٤٢) بناء سياوش «سياوش كِرد» . (٤٣) مجىء پيران الى سياوش كِرد . (٤٤) إرسال أفراسياب كرسيوز الى سياوش . (٤٥) ولادة فرود بن سياوش . (٤٦) سياوش يلعب بالكرة . (٤٧) رجوع كرسيوز الى أفراسياب و إيقاعه بسياوش . (٤٧) مجىء كرسيوز الى سياوش مرة أخرى . (٤٨) رسالة سياوش الى أفراسياب . (٤٩) مجىء أفراسياب لحرب سياوش . (٥٠) رؤيا سياوش . (٥١) وصية سياوش فرنكيس . (٥٢) أسر أفراسياب سياوش . (٥٣) تضرع فرنكيس الى أفراسياب . (٥٤) قتل سياوش بيد كروى . (٥٥) إطلاق أفراسياب فرنكيس . (٥٦) مولد كيخسرو . (٥٧) تسليم پيران كيخسرو الى الرعاة . (٥٨) إحضار پيران كيخسرو الى أفراسياب . (٥٩) رجوع كيخسرو الى سياوش كرد .

(١) الذى فى نسخ الشاه التى بيدى أن الناس زينوا البلاد . وكلمة آذينات هنا جمع "آذين" وهى فى الفارسية الزينة .

ذكر عشق سوذابه زوجة كيكاوس لسياوخش المذكور وقصتهما (أ)

قال : ولما رأت سوذابه محاسن سياوخش ، وكمال جماله عشقته حتى خرج من يدها زمام اختيارها ، وبخعت بنومها وقرارها . فأرسلت الى سياوخش تلتمس منه الدخول الى دار أبيه ، والحضور لزيارة ذوات قرابته . فقال سياوخش فى جوابها : إنه لاسبيل الى ذلك . ولست ممن ينخدع بمكرك واحتيالك . فدخلت سوذابه على كيكاوس ، وأطلقت لسانها بالدعاء له والثناء عليه ، وقالت : أيها الملك لا تمنع سياوخش عن الدخول الى ما وراء الحجاب ، فإن أخواته قد اشتقن الى لقائه ، ولا صبر لهن عن الاكتحال بجماله . و إنه اذا دخل الينا(١) حملناه على رءوسنا ، ونثرنا تحت قدمه أرواحنا ونفوسنا . فدعا كيكاوس بولده(٢) سياوخش ، وقال : إن لك وراء الستر أخوات يشتقن اليك ، وسوذابه لك مثل أمك . فإن الأجانب اذا سمعوا(٣) بذكرك هشوا الى لقائك . فكيف من كان دمه ممتزجا بدمك ورحمه متصلة برحمك ؟ فادخل عليهن وفرحهن بذلك . فلما قال له أبوه هذه المقالة تعجب من كلامه ، وأفكر فى نفسه ساعة . ثم قال(٤) ، بعد أن علم أنه إذا دخل حجرة النساء بلى من سوذابه بكل بلية : إن الملك أهّلنى للتاج والتخت ، وعقد لى على إقليم من الأقاليم فينبغى أن يجمع لى الموابذة والأكابر الذين حنكتهم التجارب ونجذتهم النوائب حتى أتعلم منهم مطاردة الأقران فى حالتى(٥) الكفاح والطعان ، وآخذ عنهم مراسم الملوك حالة الجلوس للناس على تخت السلطنة ، وآيين(٦) القعود فى مجالس الأنس والخلوة . وإذا كان كذلك فما أصنع فى حجرة النساء ؟ وماذا يعلمننى من محاسن الآداب ؟ فسر الملك لما أشعر(٧) به من كلامه من الرأى والعقل ، واستحسن ذلك منه ، وقال له : ولكن لا يدخلن قلبك من ذلك شىء ، وادخل إلى أخواتك وسوذابه التى هى بمنزلة أمك . فقال سياوخش عند ذلك : أبكر غدا إلى خدمة الملك ، ثم أمتثل ما يأمر به . وخدم وخرج .

قال : وكان على باب حجرة النساء رجل موصوف بالعقل الكامل ، والرأى الثاقب يسمى هِرزبذ(٨) وهو يتولى حجبة النساء . وكانت بيده مفاتيح حجراتهن . فدعاه كيكاوس ، وقال : إذا اطلعت الشمس غدا فانطلق إلى خدمة سياوخش ، وانظر ما يقوله ، وأشر على سوذابه أن(٩) تنثر عند دخوله النثارات ، وكذلك أشر على أخواته وسائر الجوارى بنثر الزَّبَرجد والعِقيان ، والمسك والزعفران . قال : ولما

(أ) حذف المترجم هنا فصلا قصيرا ، يقص فيه الفردوسى عن موت أم سياوخش و حزنه عليها .

(١) ك ، كو ، طا : علينا . (٢) ك : ولده . (٣) صل ، طا : سمعن . (٤) ك : وقال .

(٥) كو : حالة . (٦) آيين فى الفارسية : الآداب المتواضع عليها . (٧) كو : لما أشعر به كلامه .

(٨) فى الشاه : هيربد . (٩) ك ، طا : بأن .

أصبح سياوخش ركب إلى خدمة الملك ، ودخل عليه وسجد له فأكرمه الملك ، وجعل يسارّه . فلما فرغ من محادثته دعا بهرزبذ، وأشار(١) إلى سياوخش بأن ينهض معه إلى دار النساء . فقام وهو يرتعد خوفا مما يعرفه من كيدهن ومكرهن . ثم تجاوز الستر فتلقته الوصائف ينثرن الذهب والمسك والزبرجد والعنبر تحت قدمه . ورأى أرض المكان مفروشة بالديباج ، وسماءه مزينة باللؤلؤ الشاهى . ورأى وصائف بأيديهن أقداح العِقيان، وقيانا مكللات بأكاليل الزبرجد والمرجان . وكأنّ تلك الساحة جنة من الجنان محتوية على الحوريات الملاح ، والوصائف الصباح . ولما توسط الإيوان رأى تختا من الذهب مرصعا بالفيروزج والزبرجد ، وعليه سوذابه معتصبة بالتاج كأنها الشمس الطالعة ، وعلى رأسها وصائف قد اصطففن كأنهن أشجار سرو على حافات حديقة ورد . ولما وقعت عينها على (٤٤)
سياوخش نزلت من التخت فاستقبلته ، ثم خدمته وعانقته وأخذت تقبل عينه وتشم خدّه زمانا طويلا . وجعلت تدعو له وتثنى عليه . فعلم سياوخش أن ذلك ليس كمحبة الأمهات والأولاد(٢)، وأنها على غير طريقة السداد . فانصرف عنها ودخل حجرة أخواته فأكرمنه وأجلسنه على تخت من الذهب . ومكث عندهن ساعة ثم خرج وجاء إلى أبيه . فسايله عما رآه فقال : إن الله عز وجل لم يمنعك شيئا من المحاسن، وجعلك أكثر من الملوك السالفة روعة وجلالا، وأوفرهم كنوزا وأموالا . فسر الملك بما قال . وأمر فزين المجلس، وقعدوا يشربون على أصوات القيان، وأغاريد المسمعات الحسان . ولما ثمل كيكاوس قام ودخل إلى دار النساء، وسايل سوذابه عن سياوخش وما تفرست فيه . فأثنت عليه ، ووصفته بخلاله الحميدة، وسيره المرضية . وذكرت له أنها راغبة فى تزويجه إحدى بناتها (أ) دون بنات أعمامه . فوافق ذلك رأى الملك .

ولما كان من الغد جاء سياوخش إلى خدمة أبيه فسارّه فى شئ . ثم قال له بعد المسارّة : إنى أتمنى على الله عز وجل أن يكون لك ولد تسر به كما أسر أنا بك . وقد فهمت من كلام الموابذة وأصحاب النجوم أنه سيخرج من ظهرك ملك يطبّق الشرق والغرب صيته، ويملأ الحزن والسهل ذكره . فاختر واحدة من بنات عميك كى بشين وكى آرش ، ومخدراتهما وغيرهن من ربات الجمال . فقال : أنا عبدك . ومن أشرت بها علىّ(٣) امتثلت أمرك ، ولم أخالف رأيك . ولا ينبغى أن تسمع سوذابه من ذلك بشئ فإنها لا ترضى به . ولست أريد أن يكون لى معها كلام، ولا اليها دخول .

(أ) لا يعجبن القارئ من اقتراح سواذبه تزويج سياوخش من إحدى بناتها أى إحدى أخواته . فالأمر مباح بل مستحسن فى شريعة المجوس .

(١) ك، طا : على . (٢) ك، طا : للأولاد . (٣) ك، طا : علىّ منهن .

فتبسم الملك عند ذلك وهو لا يشعر بما انطوى عليه التبن من الماء ، وتضمره سوذابه من الداء . وقال : لا بأس عليك فإن الأمر موكول إلى اختيارك . ولا يكون حديثها معك إلا عن صفاء المحبة وخلوص الشفقة . قال : فخرج سياوخش وهو وجل من مكر سوذابه . وعلم أن إشارة أبيه عليه بالترويج (١) صادرة عن سوذابه مكرا وخبثا .

ثم إنها جلست من الغد على تختها ، واعتصبت بتاجها ، وأمرت المخدرات أن يبرزن من كِللهن متزينات فى حليهن وحللهن . وأمرت هِرزَبذ الموكل بحفظهن بالمصير الى سياوخش واستدعائه . فحضر ودخل فقامت له وأجلسته على تخت الذهب ، وقعدت الى جانبه . ثم قالت له : انظر الى هذه الشموس الطالعة والأقمار الزاهرة ، وأعلمنى بمن يقع اختيارك عليها منهن . فتأملهن زمانا ثم انصرفن الى حجرهن ، وكل واحدة (٢) ترجوه وتحسبه فى بختها . ثم قالت له سوذابه : مالك لا تعرب عن مقصودك ومرامك ، وتخبرنى بمن وافقك منهن ؟ فلم يجبها (٣) سياوخش وسكت متحيرا فى أمره ، وقال فى نفسه : لأن أندب على نفسى وأبكى عليها خير من أن أتزوج من بنت العدو . وغير خاف ما صنع أبوها دربيس(١) ملك هاماوران بأكابر إيران . وسوذابه من بناته وهى ، لا محالة ، لاتريد بنا الخير ، ولا تضمر لنا إلا الشر . ولما رأت سوذابه سياوخش ساكتا لا يجيبها أماطت عن وجهها نقاب القصب ، وقالت (٤) : من كانت الشمس فى حجره فلا عجب ألا يرفع بغيرها طرفا . تشير بذلك الى نفسها . وقالت : إن قبلت منى ما أقول ، وعاهدتنى على ذلك زوجتك من بناتى بنتا تقوم بخدمتك كما تقوم الأمة . حتى إذا فارق الملك هذه الدنيا تكون أنت القائم علىّ ، والكافل بأمرى ، والذائد للشر عنى . وهأنا بين يديك ، وكل ما تريد منى فأنت ممكن منه . ثم اطّرحت قناع الخفر ، وأخذت برأس سياوخش وقبلت وجهه . فتورّست وجناته وجلاً بعد أن توردت خجلا ، واستعاذ بالله من الشيطان ، وقال فى نفسه : كيف أدنو من السم القاتل ، وأقابل بغير الوفاء إحسان الوالد ؟ وأخاف إن جابهتها بالرد ، وخاشنتها فى القول ، أن تحتال علىّ بسحرها فتفسد قلب الملك علىّ . فالأولى أن ألاينها ، وأجانب مخاشنتها . فقال لها : إنك ، مع ما خصصت به من الجمال الرائع والحسن البارع ، لست تصلحين لغير الملك . وأما أنا فتكفينى ابنتك . وأعاهدك على ألا أعدل

(١) ليس فى نسخ الشاه التى بيدى تسمية ملك هاماوران . والكتب الأخرى تسميه ذا الأذعار ، أو شمر — كما تقدم فى فصل هاماوران .

(١) ك ، طا : بالتزوج . (٢) ك ، كو ، طا : واحدة منهن . (٣) ك : يجبها شيئا وسكت .

(٤) ك ، طا : قالت له .

الى غيرها . فصممى على هذا عزمك ، وخاطبى الملك فيه . وأما ما ذكرت من ميلك الىّ فانك يا ملكة النساء ! عندى بمنزلة الأم . فينبغى ألا يخرج هذا الكلام من تحت[1] الستر ، ولا يطلع أحد على هذا السر . قال : فلما[2] دخل عليها كيكاوس بشّرته بوقوع اختيار سياوخش على ابنتها . فسر الملك بذلك ، وأمر ففتح[3] أبواب الكنوز والذخائر ، وأعدّ لسياوخش من كل جنس منها كثيرا[4] ، وأضاف الى ذلك الطوق والتاج والخاتم والسوار ، فى جملة ما يصلح للملوك . ففرحت سوذابه بذلك ، وتزينت من الغد ، وجلست على التخت ، ودعت سياوخش . وقالت له : إن الملك قد أعد لك ما لم تسمع به أذن ، ولم تقع عليه عين . ثم باحت بسرها ، وصرحت فى مراودته عن نفسه ، وقالت : إنى لم أزل عاشقة لك منذ رأيتك . حتى لقد أظلم علىّ النهار ، وفارقنى النوم والقرار . وقد مضى بى على ذلك سبع سنين . فإن أنت طاوعتنى على ما أريد منك أضعفت لك هذه الكنوز والأموال . وإن أبيت سعيت فى تغيير رأى الملك فيك ، وصرف قلبه عنك ، وانتزاع الملك من يدك . فقال لها سياوخش : حاشا لله أن أذرّى فى طاعة النفس روحى فى الهواء ، وأجانب سبيل الرجولية والذكاء ، وأقابل صنيع الأب بغير الوفاء . وأنت زوجة الملك ، وشمس العشيرة ، ولا يليق بك التعرّض لهذه التهمة والريبة . فاغتمت عند ذلك واغتاظت فشقت ثيابها ، وخمشت وجهها ، وصاحت صيحة طن بها الايوان ، وسمعها الملك فى مكانه . فنزل عن تخته ، وأتاها فتلقته وهى تبكى . وقالت : إن سياوخش راودنى ، وقال : لا أريد سواك من النساء . ولما أبيت قابلنى بهذا الجفاء ، فمزّق ثيابى ، وألقى التاج من[5] رأسى . فأطرق الملك ، واشتد غضبه ، وقال : إن صح هذا عنه فالواجب أن يقطع رأسه . ثم أمر بإخراج جميع من كان فى الايوان . وجلس وحده ودعا بسياوخس وسوذابه . ثم أقبل على سياوخس وقال : إنى سائلك فاصدقنى فى مقالك ، وأخبرنى بالصحة ٤٥
عن حالك . فقص عليه القصة كما جرت . فتصدّت سوذابه لمعارضته ، وكذبته ، وقالت : إنما عرضت عليه ما أشار اليه الملك فى قضية الازدواج ، وذكرتُ له ما أعدّ[6] له من الكنوز والأموال والذخائر والجواهر ، وقلت له : إنى أضعفها لك من عندى إن تزوّجت بابنتى . فأبى ، وقال : مالى حاجة فى المال ، ولا فى بنتك ، ولست أريد سواك . ومدّ يده إلىّ ، وتعلق بى حتى مزق ثيابى علىّ . وأنا حاملة من الملك ، وأخاف أن أسقط الحمل لما نالنى منه . فأفكر[7] الملك ، وقال فى نفسه : ليس هذا مقام العجلة والمعاجلة بالعقوبة . والواجب التثبت فى هذا[8] الأمر ، وإلجام النفس بشكيمة العقل

---

(١) كو : من خلف . (٢) ك ، كو : ولما . (٣) ك ، كو : بفتح . (٤) ك ، طا : كنزا .
(٥) طا : عن رأسى . (٦) ك : ما أعده . (٧) ك : فأنكر الملك ذلك وقال . (٨) ك ، كو : فى مثل هذا الأمر .

حتى يتبين المصلح من المفسد ، والبرىء من المجرم . فأخذ يشم يد سياوخش وأعضاده وثيابه ، فلم يجدها قد عبقت بأثر الطيب الذى كان على سوذابه وثيابها . فاهتم عند ذلك ، وقال : ينبغى أن تقتل هذه المرأة ، ويمثل بها . ثم ذكر أباها ملك هاماوزان ، وتخوّف ما ينشأ من الفتن بسبب هلاكها . فأمسك عن قتلها ، لذلك ولأمور أخر : أولها أنه ذكر أيام اعتقاله فى قلعة هاماوران ، وما ثبت لهذه المرأة فيها عليه من حقوق الخدمة . والثانى أن حبها كان آخذا بمجامع عقله[١] ، ومتمكنا من سويداء قلبه . والثالث أنه كان له منها أولاد صغار ، واستصعب تربيتهم بعدها[٢] . وعلم براءة ساحة سياوخش ، وطهارة ذيله ، فقال له : لا بأس عليك . وأسبل[٣] الستر على هذا الأمر حتى لا ينشر بين الخلق .

ولما علمت سوذابه أن كلامها لم يقع من الملك موضع[٤] القبول التجأت الى إعمال الحيلة . فدعت امرأة ساحرة كانت فى دارها ، وهى حاملة . وقالت لها : إنى أفضى اليك بسر فاحلفى لى على أنك لاتبوحين به لأحد . فاقترحت عليها حينئذ أن تسقط ما فى بطنها لتجعله ذريعة الى إثبات صدقها عند الملك ، واستبقاء لماء وجهها لديه . فوافقتها المرأة على ذلك . فشربت تلك الليلة دواء فأسقطت به سقطين على أقبح ما يكون من الصور ، حتى كأنهما من أولاد الجن . فدعت بطشت من الذهب ، وطرحتهما فيه ، وأمرت الساحرة[٥] بالاختفاء ، واضطجعت فى فراشها ، ورفعت صياحها بالرنين والأنين حتى اجتمع عليها جميع من كان هناك من الحرائر والإماء . وسمع الملك صياحها فى مكانه فاستيقظ فزعا ، وسأل عن الحال فأخبر بحال سوذابه . ولما أصبح جاء اليها وشاهدها على حالتها تلك ، ورأى السقطين فى طشت الذهب . فبكت وقالت : الآن قد برح الخفاء ، وكشف الأمر . وقد أخبرتك بما أصابنى من يد ابنك فلم تصدّقنى ، وملت الى قوله . فاغتم الملك عند ذلك ، وشك فى الأمر ، وأفكر فى نفسه ، وقال : كيف السبيل الى الكشف عن جلية الحال ؟ ولا يمكن التغافل فى هذه القضية . ثم جلس على التخت ، وأحضر المنجمين ، والوزراء ، وأصحاب الرأى والمشورة . وشرع يحدّثهم عن ملك هاماوران ، وعن حال ابنته سوذابه . وأتبع ذلك بحديث السقطين ، وأمر بإحضار الطشت حتى شاهدوهما[٦] . وأمرهم بالبحث والكشف عن حالها . فامتثلوا ذلك ونظروا فى زيجاتهم واصطرلاباتهم . ولما كان بعد أسبوع أتوا الملك ، وقالوا : إنهما لم يخرجا عن ظهر الملك ، ولا نزلا من رحم سوذابه . ثم ذكروا علامة الساحرة

(١) صل : قلبه . والتصحيح من كو . (٢) صل : تربيتها . والتصحيح من لـ . (٣) كو : فأسبل .
(٤) كو : موقع . (٥) لـ ، كو ، طا : السحارة . (٦) لـ : حتى يشاهدوهما .

التى أسقطتهما ، وقاموا . فسكت الملك على ذلك . ولما كان بعد أسبوع استغاثت سوذابه عند الملك ، وطلبت بدم السقطين . وأمر الملك الحرس[١] بتطلب الساحرة ، وتتبعها فى البلد . فنقبوا حتى عثروا عليها ، وجاءوا بها الى الملك . فسايلها عن الحال جامعا بين الإعذار والإنذار . فلم يكن عندها سوى الإصرار على الإنكار . فأمر بأن تخرج الى ظاهر البلد ، ويشدّد عليها فان استمرّت على ما كانت عليه من الإنكار نشرت نصفين بالمنشار . فلما أخرجوها وهدّدوها عرّضت ببعض ما جرى خوفا من القتل . فأخبر الملك بذلك فسكت عليه ، وأحضر سوذابه ، وذكر لها كلام المنجمين فى أمر السقطين ، وأنهما من تلك المرأة الساحرة . فقالت : إن المنجمين يفزعون من سياوخش ورُستَم ، فلا يتجاسرون أن يقولوا سوى ذلك . وهل يقول المنجم الا ما يوافق هوى رستم ؟ وأخذت تبكى وتقول : إن رضيت بهذا وسكت عليه فإنى مفوّضة أمرى الى الله عز وجل ، ومؤخرة المطالبة بدمهما الى يوم القيامة . فاغتم الملك حتى بكى . ثم قال : لابد من البحث عن هذا الأمر . فأحضر العلماء والموابذة وفاوضهم فى القضية . فقال أحدهم : إن أردت أن ينكشف الغطاء عن وجه هذا الخطب الفادح[٢] فالطريق أن يخوض أحد الخصمين النار حتى يخرج منها § فان كان بريئا فليس يصيبه مكروهها . فدعا بسوذابه ، وقال لها : إن النار تفصل بينك وبين سياوَخش . فقالت : إنى ، صادقة . وسقوط الجنينين يدل على ذلك . فعلى سياوخش الدلالة على براءة ساحته . فرضى سياوخش بذلك .

---

§ فى الأبستاق (الكاثا) : — « أيها الروح الطيب أُهرامزدا ! أنت تقضى بالنار بين الخصوم أيهم أتقى وأطهر . وكثير ممن يرونها يؤمنون بقانونك[٣] » .

وفى أيام شابور الثانى قدّم آذرباد نفسه للمحنة ليفحم مجادليه ، فصب النحاس المذاب على صدره ولم يمسه ضر[٤] .

واعتبر هذا بما يرويه ابن هشام وغيره عن النار التى كان يحتكم اليها أهل اليمن ، والتى احتكم اليها الحبران اليهوديان حينما قدما مع تبع أسعد أبى كرب ودعَوا الناس الى اليهودية . فلما حاكمهما القوم الى النار دخلها الحبران فلم تحرقهما[٥] .

ولا يزال الأعراب فى مصر وغيرها يحتكمون الى نار يسمونها البشعة .

(١) ك ، طا : الحراس . (٢) ك ، طا : الفادح (لا) . (٣) أفستا ، مقدمة XLVII

(٤) = XLVI . (٥) ابن هشام ، ج ١ ص ٢٥ .

وأمر الملك وزيره فأمر السار بان فأنفذ من الإبل مائة عير(١) فحملت حطبا كثيرا فكوموه فى الصحراء على هيئة جبلين عظيمين . فأمر الملك الموبذ فأفرغ القِطر المذاب (ا) على تلك الأحطاب . وجاءوا بمائتى وقاذ، فطرحوا النار فيها حتى التهبت ، وخيلت أن الأرض مملوءة بالنار ، والجو مشحون بالأنوار . فماج الناس واجتمعوا عليها متوجعين على سياوخش يبكون على شبابه الناضر ، وجماله الباهر . فجاء سياوخش راكبا على فرس أدهم ، وعلى رأسه بيضة من الذهب ، وقد لبس ثياب البياض منثورا عليها الكافور ، كما يعمل بالحنوط فى الكفن . ولما قرب من أبيه ترجل وقبل الأرض ، فنظر الى وجهه وقد غمره الحياء فقال له : لا بأس عليك فإنى إن كنت بريئا فسوف ترانى وقد خرجت سالما . وإن كنت مذنبا فان يحفظنى الله . وسوف أعبر بقوة الله(٢) تعالى على هذه النار . فاضطرب الناس حينئذ وضجوا بالبكاء والنحيب . وصعدت سوذابه الى(٣) إيوانها تنظر متى يحترق سياوخش . فركض سياوخش فرسه ، وخاض تلك النار المسعرة(٤) ، وداسها بحوافر فرسه(٥) حتى قطعها وخرج منها سالما لم يصبه شئ . فصاح الناس عند ذلك ، واستبشروا . فعظم ذلك على سوذابه حتى جعلت تنتف شعرها وتخمش خدها . وأقبل سياوخش الى أبيه . فلما دنا منه نزل اليه وعانقه ، واعتذر اليه ، وأخذ يثنى عليه ويصفه بنقاء الجيب وطهارة الذيل . واجتمعا فى مجلس الأنس على الشرب والطرب الى تمام ثلاثة أيام . ثم جلس على تخته ، ودعا بسوذابه ، وخاطبها بالوعيد وأنواع التهديد . ثم أمر بالآخرة بصلبها . فبادروا الى إخراجها من سترها على جملة الخزى والهوان . فضجت الإماء من وراء الستور يبكين عليها . فرق الملك عند ذلك لها واصفر لونه ، لكنه أخفى ذلك ولم ينطق به . فعلم سياوخش أنه سيلحقه الندم على ذلك من فعله ، وتفرس ميله الى العفو عنها والإغضاء عن خطيئتها . فوثب قائما وتشفع اليه ، واستوهبها منه . فقبل شفاعته فيها ، وعفا عنها وردها(٦) الى حجابها . قال : ثم بعد زمان مضى على ذلك تزايد شعف كيكاوس بها حتى صار لا يصبر ساعة(٧) عن لقائها . وعاودت المكر والحيلة فى إفساد قلب الملك على ولده جريا منها على مقتضى فساد طينتها ودخل نحلتها . وسيأتى ما أفضى اليه حالها من بعد إن شاء الله تعالى .

(ا) فى الشاه : النفط الأسود . وهو أقرب الى المقصود .

(١) كو : بعير . (٢) ك ، طا : الله عز وجل . (٣) ك : على سطح إيوانها .

(٤) ك ، طا : المستعرة . (٥) صل ، ك : خيله . (٦) ك ، كو ، طا : وأمر بردها

(٧) ك : ساعة (لا) .

ذكر الخبر عن قصد أفراسياب لإيران ، وانتداب سِياوَخش لقتاله

قال : ثم بلغ كيكاوس أن أفراسياب جمع واحتشد ، وتجهز واستعد مصمما على قصد ممالك إيران . فأخذه من ذلك المقيم المقعد . فجمع من كان بحضرته من الأمراء والقوّاد ، وشاورهم فى الأمر . وذكر أفراسياب ، وقال : كأنّ الله تعالى لم يخلقه من العناصر الأربعة بل خمر طينته من جنس وراء طينة الانسان . وكم حلف لنا بالأيمان المغلظة والمواثيق[1] المبرمة ثم نكث عن كثب تلك الايمان والعهود ! فلا بد لى فى هذه النوبة من مناهضته بنفسى لحسم شره وكف عاديته . وإن لم أبادره بذلك هجم علينا كالسهم الصارد فخرب هذه الديار ، ونهب هذه البلاد . فقال له الموابذة : إنك أيها الملك قد أسلمت ملكك للهلكة مرتين بما تتعاطاه من الحدّة والعجلة . والأصوب ألا تفارق مكانك ، ولا تباشر الحرب بنفسك ، وتجرّد لذلك من ترتضيه من أصحابك ممن يقوم مقامك ، ويسدّ مكانك . فقال عند ذلك : ما أرى فى هذه الحضرة من يقاوم أفراسياب ، ويقدر على مدافعته وممانعته . فسمع ذلك سِياوَخش فرأى أن يكون هو المتولى لذلك ، وأن يسأل الملك تقليده أمره فعساه أن يتخلص بسببه عما يقاسيه من حيل سوذابه ومكايدتها[2] ويحصل له مع ذلك صيت عظيم ، وذكر رفيع ، بما يسهل الله على يده من كفاية شر أفراسياب ، ودفع معرته .

فلما أصبح جاء الى خدمة أبيه ، وسأله أن يوليه ذلك ، وهو لا يشعر بما جرى به قلم التقدير فى اللوح المحفوظ ، وما قضى عليه من الهُلك فى ديار الترك . فوافق ذلك رأى الملك فأجابه اليه ، ومكنه من الأموال[3] والذخائر ، وأطلق يده فى الكنوز والدفائن . ودعا برستم ، وضمه اليه ، وأمره بالنهوض معه . فامتثل وأعدّ واستعدّ . فضربت الكوسات والطبول ، وخرج سياوخش فى جيوش تكاثر الرمال ، وفيول تطاول الجبال . ونزل على ظاهر البلد فخرج معه كيكاوُس وشيعه مرحلتين ، ثم عانقه وودعه . وكان الله عز وجل قدجعل ذلك آخر عهده بولده . وكم من سفرة أسفرت عن حسرة ، ومسير أفضى الى أمر عسير . ثم[4] عاد كيكاوس الى مستقره ، وسار سياوخش ، ومعه رستم ، حتى وصل الى زابلستان ، وأقام شهرا فى ضيافة دستان . ثم قاد جحافله ، وساق عساكره ، بعد أن انضم اليه جمع كثير من عساكر الهند وزابُل ، حتى وصل الى هراة . فاستجاش منها رجالة كثيرة ، وضمهم الى زنكه بن شاوران ، وهو أحد الإصبهبَذين من أصحابه . فسار الى طالقان[5] ومرو الروذ ، ورحل منها الى بلخ ، وقد قاربها من جهة أفراسياب أخوه كرِسيوَز وسِبَهرم و بارمان فى جمع كثير كانوا

(١) كو : وعاهدنا بالمواثيق . (٢) طا ، ك ، كو : ومكايدها . (٣) ك : من الذخائر والأموال .
(٤) ك ، طا : قال ثم . (٥) ك : الطالقان .

مقدّمة عساكر(١) الترك . فبلغهم الخبر بوصول عساكر إيران فأثاروا هجينا الى أفراسياب، وأعلموه بمجىء عسكر عظيم من إيران مقدّمهم سياوخش، وبهلوانهم (١) رستم، واستعجلوه فى اللحاق بهم . فلم يصبر سياوخش، وسار كالريح العاصف، والليث القاصف، واضطرهم الى القتال، فالتقوا على باب مدينة بلخ، وتناوشوا الحرب يومين متواليين . ولما كان اليوم الثالث أهبّ الله تعالى لسياوخش ريح الظفر والنصر، فانهزمت الأتراك وولوا مدبرين، وآبتدروا الى عبور جيحون فارّين . فدخل سياوخش الى بلخ وكتب الى أبيه بما قيض الله له من الفتح، وشرح له فى كتابه جميع ماجرى، وأخبره أن كرسيوز وأصحابه انهزموا وعبروا الماء، وساروا نحو ترمذ، وأن أفراسياب نازل فى السغد . وآستأذنه فى عبور جيحون لقتاله .

فلما وصل الكتاب الى كيكاوس كاد يطير فرحا وسرورا، وسجد لله تعالى وشكره على مايسره له من النصر العزيز والفتح القريب . وأجابه عن كتابه وقال له فى جملة ما كتب : إذ ظفرت وملكت عنان النصر فعليك بالتثبت والتؤدة . وإياك أن(٢) تعجل فيتمكن التبدّد والانتشار من شملك، ويظهر الفشل فى خيلك ورَجْلك . وكن على حذر من أفراسياب فإن الرجل صاحب مكر وحيلة وبأس ونجدة . وأوصاه بالحزم والتيقظ فى كتابه . ثم ختمه ونفذه اليه .

فلما وصل الكتاب الى سياوخش تلقاه بالتبجيل والإعظام، وقبل الأرض لمورده . ولما قرأه ابتهج وآستبشر، وأقام حيث كان من بلخ امتثالا لأمر أبيه . قال : فجاء كرسيوز الى أفراسياب وأخبره بالوقعة وما جرى فيها، وأنهم أحجموا عن سياوخش لكثرة عدده وعدده . فلما أخبره بذلك استشاط ونظر اليه نظرة كادت تزهق روحه، وصاح عليه، وأمر بإخراجه من عنده . ودعا بأكابر حضرته وأعيان أصحابه، وجلس فى مجلس الأنس، واندفع معهم فى الشرب الى أن غربت الشمس، واستولى عليهم السكر . فنام أفراسياب وتفرّق من كان عنده .

ذكر الرؤيا التى رآها أفراسياب فى ليلته هذه

قال : ولما خالط(٣) الكرى أجفان أفراسياب، وخاض غمرة النوم، وتصرم قِطْع من الليل ارتعد على فراشه ارتعاد من أخذته حمى نافضة . فصاح وهو نائم صيحه عظيمة . فوثب من كان حوله(٤) من الإماء والوصائف . وبلغ الخبر أخاه كرسيوز فجاء عجلا، ورآه على الأرض متمرغا فى التراب،

(أ) البهلوان : البطل وقائد الجيش .

(١) ك، كو، طا : عسكر . (٢) ك، كو، طا : وأن . (٣) ك : خاط . (٤) ك : حواليه .

فاعتنقه وضمه الى صدره، وسايله عما أصابه . فقال لاتسألني عن شيء، واصبر عليّ ساعة حتى ترجع نفسي اليّ . فلما سرى عنه بعد ساعة عاد الى تخته وجلس عليه ، ووضعت الشموع بين يديه ، وهو يرتعد، كما كان، كأنه قصبة فى مهب ريح عاصف . فعاود أخوه سؤاله عما نزل به فقال : رأيت فى المنام برّية مغبرة مملوءة بالأفاعى والحيات، مشحونة الجوّ بالعقبان. ثم رأيت الأرض يابسة مقشعرة حتى كأن السماء لم ترشها قط بقطرة ماء . ورأيت سرادقى مضروبا فى ناحية من تلك الأرض وقد أحدقت به جنود كثيرة . فبينا أنا كذلك إذ ثارت ريح نكباء زعزع فنكست رايتى، ورمت سرادقى . ثم رأيت فى كل جانب من تلك الأرض أنهارا تتدفق بالدماء . ورأيت ألفا أو أكثر من أصحابى قد ضربت رقابهم . ورأيت عسكرا عظيما فى أسلحتهم خرجوا من نواحى إيران ومع كل واحد منهم رأس ، وعلى رأس رمحه رأس آخر . فركض اليّ منهم نحو مائه ألف مدججين، فأثارونى من تختى ومكانى، وأزعجونى من مستقرى ، وكتفوا يدى . فجعلت ألتفت يمينا وشمالا فلا(١) أرى أحدا أعرفه من أصحابى . ثم حملونى الى كيكاوُس فرأيته جالسا على تخت رفيع وكأن سنه غير زائد عن أسبوعين (أ) ثم لما رآنى مقيدا بين يديه زأر زئيرا عظيما كالسحاب المرعد . ثم ضربنى ووسطنى بنصفين . فصحت من الوجع والألم فانتبهت مذعورا كما رأيتنى . فقال له كرسيوز : إن هذا المنام لايدل لك إلا على الفرح والسرور، وحصول المطالب والمقاصد، وانتكاس راية عدوّك، وتزلزل قواعد ملكه . فلا يهتمن الملك بسببه . ثم جمع أفراسياب الموابذة والمعبرين والعلماء والمنجمين، وقال : إنى أفضى اليكم بسر من أسرارى . فليكن مطويا فى تضاعيف كتمانكم، بعيدا قصيا عن مدارج أنفاسكم، وإن أفشاه أحد منكم فرّقت بين أرواحكم وأجسادكم . ثم لاطفهم وآنسهم ، وأجزل عطاءهم، وأخبرهم بما رآه فى المنام . فقال له موبذ منهم، وكان أفصحهم لسانا وأحسنهم بيانا : أيها الملك إنها رؤيا هائلة ، ولا أتجاسر أن أعبرها لك حتى تعطينى الأمان . فأمنه ، فقال : إن حارب الملك سياوخش اغبرت الآفاق ، واختبط العالم، ولم يسلم أحد من الترك وإن كان الظفر للملك(٢) وإن قتل سياوخش . فإنه يتألب عند ذلك الإيرانيون للانتقام وطلب الثار، فلا ينجو منهم الملك ولو صار طيرا فى جوّ السماء أو حوتا فى قعر الماء (ب) . فاهتم عند ذلك أفراسياب ، وعلاه الوجوم ، واعتورته الهموم . فدعا

(أ) فى الشاه : أن كاوس كان جالسا على التخت ، وبجانبه صبى وجهه كالقمر لاتتجاوز سنينه سبعتين . أى لا يتجاوز عمره أربع عشرة سنة .

(ب) فى الغرر : أن المعبرين قالوا : « إنه يدل على هلاك الترك، إما على يد سياوُش وإما من أجله » انظر ص ١٩١

(١) لك ، كو ، طا : ولا أرى . (٢) كو : للملك وقتل سياوخش .

بأخيه كرسيوز وأخبره بالحال . ثم قال : الأصوب أن أقرع باب الصلح مع سياوخش ، وألاطفه بالحمول والأموال ، وأفرج له عن بعض البلاد . فلعل الله يصرف عنى شر ما رأيت .

ولما أصبح من الغد حضرت الأكابر والأمراء ، على رسمهم فى الخدمة . فجلس فى مجلسه وجمعهم بين يديه ثم قال لهم : كأن الله عز وجل لم يجعل حظى من الملك غير الحروب وعنائها . وكم من ملك رفيع الذكر عظيم القدر قد قتلتُ ! وكم من بلد مريع وقصر منيع خربت ! ومهما كان الملك ظالما كان محروما من الخيرات مدفوعا عن الحسنات . ومتى كان ظالما انقطع التناسل بين الوحوش والطيور ، وقلت الألبان فى الأخلاف والضروع ، ونشّت المياه فى المنابع والعيون ، ولم تسمح نوافج المسك بالأرج ، ولا مثمرات الأشجار بالثمر . وقد مللت الحروب ، وكرهت الشرور . والرأى أن نراجع ألبابنا وعقولنا ، ونديل الراحة من عنائنا وهمومنا . وقد ملكنى الله تعالى من الأرض صفوتها ، وأعطانى منها سهمين ، وجعل الملوك تحت أمرى وفى طاعتى . حتى يؤدّون إلىّ فى كل سنة أموالا وافرة ، وإتاوات ثقيلة . ثم قال[١] : وإن وافقتمونى على هذا الرأى أرسلت الى رستم ليتوسط بينى وبين سياوخش ، ويرأب[٢] صدع الخلاف بالمعاهدة ، ويلم[٣] شعث الحال بالموادعة . فاستصوبوا رأيه وكلامه وتراضوا بذلك . فأشار[٤] على أخيه كرسيوز بالإعداد والاستعداد للسير ، فأرسله[٥] فى مائتى فارس الى سياوخش وأصحبه من الهدايا والتحف خيولا كثيرة ، وسيوفا هُندُوانية ، وتاجا مرصعا باللآلئ الشاهية ، ومائة حمل من المفارش الصينية ، ومائتين من الغلمان والوصائف . وأمره أن يقول لسياوخش : إنا لم نتوجه نحو هذه الديار لمحاربة ولا منازعة ، وإنما صرنا الى السغد وهى من ممالكنا القديمة . وقد أنفذت الآن كرسيوز اليك حتى يحسم مادة الخلاف ، ويستأصل شأفة الفتن ، ويعلمك أنا قد رضينا بقسمة الممالك على ما قسمه الملك أفريدون بين أولاده الكبار . فعسى أن يستريح العالم من الهرج والمرج ، ونستريح نحن من الكد والجهد . وتكاتب بذلك الملك كيكاوس ، وتعرضه على رأيه . فلعله تلين عريكته وتسمح بهذا الصلح قَرونته رعاية لمصلحة الخلائق ، وطلبا لسكون نابض الفتنة فى المغارب والمشارق . قال : وأصحبه جملة من الهدايا والتحف من الأجناس المذكورة برسم رستم . ثم سرحه . ولما وصل الى شاطئ جيحون أنفذ من اختاره من أصحابه الى الملك سياوخش فقطع الماء ووصل فى يوم واحد الى بلخ ، فحضر باب الملك ، وأنهى[٦] بوصول كرسيوز رسولا .

(١) ك ، طا : قال لهم . (٢و٣) ك : نرأب ونلم . (٤) صل : أشاروا . والتصحيح من ك ، طا ، كو .

(٥) ك : وأرسله . (٦) ك ، كو ، طا : وأنهى اليه .

ذكر مقدم كرسيوز على سياوخش

قال : ولما انتهى كرسيوز الى باب سياوخش رفعت الحجب دونه فدخل رقبل الأرض . فقام له سياوخش وأكرمه ، وأقعده عند تخته ، وسايله عن أفراسياب . ثم قدّم تلك الحمول والتحف فوقعت منه موقع القبول . ثم أصغى اليه حتى أدّى الرسالة ، فقال له(ا) تستريح أسبوعا ثم نجيب عن رسالتك . فإنه لا بد من إعمال الفكر فى هـذا الأمر ، ومشاورة أصحاب الرأى والعقل . ثم أمر بإنزاله فى دار مزخرفة ، وأدر عليـه الأنزال ، ورتب له الخوانسلارية (ب) والخدم . ثم خلا رستم
٤٨ بسياوخش وأخذا يتفكران فى السبب الذى أوجب صدور تلك الرسالة عن أفراسياب . فساء ظن رستم واستنكر مجىء كرسيوز[١] بنفسه رسـولا . فبث طلائع العسـكر فى نواحى المملكة جريا على مقتضى الحزم ، وأخذا بالحيطة فى الأمر . ثم قال سياوخش لرستم : لا بد من امتحان أفراسياب فإنى أخاف أنه يضرب الطبل تحت الكساء (ج) ، ويسر الحسو تحت[٢] الارتغاء فليلتمس منه أن ينفذ الينا مائة نفس من ذوى قرابتـه[٣] ، ونجعلهم عندنا رهينة . فان أجابنا الى ذلك نفذنا حينئـذ أمينا ناصحا[٤] الى حضرة الملك كيكاوس ليجتهد فى انتزاع السخيمة من قلبه ، واقتلاع مادة الخلاف من رأسه . فعسى أن يقع الاتفاق على الصـلح ، ويستحكم عقـده . فاستصوب رستم رأيه وقال : لا ينبغى أن تكون مسالمته إلا على هذا الشرط . وحضر كرسيوز من الغد حضرة سياوخش ، فأكرمه ولاطفه ، ثم قال له : إنى تفكرت البارحة فى أمرك ، فاستقرت آراؤنا أن نختار[٥] السلم والموادعة ، ونطهر قلوبنا من التحاقد والمباغضة . فإن رأيت نفذتَ الى أفراسياب وقلت له : إن كنت لا تخفى تحت الشهد سما ذُعافا ولا تضمر تحت[٦] موادعتك مكرا وخلافا فنفذ الينا مائة نفس ممن يعرفهم رستم ممن تأشب بهم غابك ، وتداخلت أنسابهم وأنسابك . ليكونوا رهائن عندنا ولنستدل بذلك على صدقك فيما دعوتنـا اليـه . وأفرج لنا أيضا عن بلاد هى بيدك الآن من ممالك إيران ، فسلمها الينا وانتزح منها الى ممالك توران . فبهذا يلتئم الأمر ، وينشعب الصدع ، وأنفذ عند ذلك الى الملك كيكاوس عسى أن يصرف العساكر عن لقائكم ، ويسترجعها عن قتالكم . فنفذ كرسيوز فى الحال شخصا الى أفراسياب ، وأمره أن يعلمه بوصوله الى حضرة سياوخش وأدائه الرسالة ، وإجابته الى ما التمس على الشرط المذكور .

(ا) فى الشاه أن القائل رستم . (ب) خوانسلار مركّب من « خوان » أى المائدة ، و « سالار » أى القيم والمتولى . ويلفظ : خانسلار . (ج) هذا مثل فارسى معناه إظهار الانسان غير ما يُسر .

(١) صل : رستم . والتصحيح من طا . (٢) طا : فى الارتغاء . (٣) ك : ذوى رأيه .

(٤) ك : الى حضرة الملك كيكاوس أمينا ناصحا . (٥) طا : على أن نختار . (٦) ك ، كو ، طا : مع موادعتك .

فلما أنهى ذلك الى أفراسياب عظم عليه، وقال فى نفسه: إن نفذت مائة نفس ممن ذكرهم رستم وهت مُنّتي وضعفت قوّتى . وإن لم أنفذ تصوّرت عنـد سياوخش بصورة الكاذب، ولم يصدّقنى فيما دعوته اليه . ثم قال : الأولى أن أجيبهم الى ماطلبوا، وأسعفهم بما اقترحوا ، لعل ذلك يصرف عنى شر ما رأيت . واتبـاع العقل أولى من اقتفاء الجهل . فعدّ مائة من قرائبه[1] على الوصف الذى وصف رستم ، ونفـذهم الى بلخ ، وارتحل عن السُغد، وأخلاها لسياوخش مع بخارى وسمرقنـد والشاش واسفيجاب وما ينضاف اليها، وسار حتى نزل على ما يسمى كنك (ا) . ولمـا بلغ الخبر رستم بإخلائه البـلاد قال لسياوخش : رجوع كرسيَوز الآن أصوب وأولى . فخلع عليـه خلعة تليق به وسرّحه . فعاد الى أخيه أفراسياب .

ثم جلس سياوخش معتصبا بالتاج، وشاور بعض أصحاب الرأى فى[2] دهاة حضرته . وقال: أريد من يذهب الى الملك كيكاوس ويكلمه فى مصالحة أفراسياب . فقال رستم: من ذا الذى يتجاسر على أن يتكلم فى هـذا المعنى بين يدى كيكاوس ؟ فإنه بعـدُ على حاله التى كان عليها من الحدة والطيش والنزق والبطش . غير أنى لو صرت اليه وخاطبته فى ذلك لرجوت استنزاله من[3] غلوائه . فسر بذلك سِياوخش، وجلس معه يفاوضه ويشاوره[4]. ثم دعا بكاتبه وأمره فكتب الى كيكاوس كتابا يقول فيه بعد الثناء على الله تعالى، والدعاء لكيكاس : إنى وصلت الى بلخ مسرورا، ودخلتها مظفرا منصورا. ولمـا علم أفراسياب بمكانى تكدر فى إنائه صفو الزلال، وأحس بالداء العضال، فأرسل أخاه يلتمس من الملك الأمان، وتزحزح عما كان استولى عليه من البلاد المضافة الى ممالك إيران مجتزيا بما كان لهم فى سالف الزمان من نواحى توران، على أن لا يقرب بعد هذا من حدود إيران، ولا يدوس ترابها . وقد نفـذ إلىّ مائة نفس نص عليهم رستم من أقربائه رهائن . فإن رأى الملك أن يجيبه الى ما سأل فعل . فركب رستم وسار الى حضرة الملك كيكاوس .

وأما كرسيوَز فإنه لمـا وصل الى أخيه أفراسياب ذكر ما جرى عنـد سياوخش، ووصف له ما اختص به من روعة الشكل، وبهاء المنظر، وأبهة السلطنة . فتبسم أفراسياب[5] وقال: الاحتيال خير من الاغتيال . إنى لمـا فزعت من ذلك المنام ونظرت فى عاقبة الأمر التجأت الى بذل الرغائب، وسمحت بإخراج الذخائر حتى أدركت ما طلبت، وبلغت ما قصدت، وصار الأمر كما أردت .

(ا) فى الغرر : « بهشت كنك » . أى جنة كنك .

(١) لئ: قرابته . (٢) طا: من دهاة . (٣) لئ : عن . (٤) كو : ذكر كتاب سياوخش الى كيكاوس على يد رستم فى معنى الصلح قال : (٥) صل، لئ : اسفنديار . وهو غلط .

وأما رستم فإنه لما وصل الى حضرة كيكاوس ودخل عليه عانقه، وسايله عن حال ولده، وعن السبب الذى أوجب قدومه عليه . فافتتح رستم بالحديث عن سياوخش، ثم دفع اليه كتابه . ولما وقف عليه اصفر لونه وقال لرستم : أحسب أن سياوخش شاب غر لم تصبه المكاره، ولم تعضه النوائب . ألست أنت الجُذَيل المحكك والعُذَيق المُرَجَّب[1]، ومن يتعلم الملوك منه الآداب؟ أنسيت ما عمل معنا أفراسياب، وما تقدّم له من الاساءات حتى لقد سلبنا القرار، وابتزنا الراحة والأمن؟ ولكن الغلط كان منى حيث لم أنهض لقتاله ، وقبلت قول من ردّنى عن لقائه . وإنه لما أشرفتم على الظفر به خدعكم بالهدايا والتحف حتى صدّكم عن قصده . ومن أين يبالى هو بمائه نفس يسلمهم اليكم من أراذل الأتراك الذين لا يعرفون أسماء آبائهم، ولا يُعرف مصارف انتمائهم؟ وسواء عنده هؤلاء الرهائن وهذا الماء الجارى فى النهر . فان أنتم لم تهتدوا بعقولكم إلى سبيل صلاحكم فهأنا لا أملّ الحرب، ولا أسأمه . وسأبعث[2] وآمره بأن يوقد نارا عظيمة، ويحرق بها جميع تلك الهدايا، ويقيد الرهائن وينفذهم إلىّ حتى أقتلهم . وآمره أن ينهض غير متلبث ويهجم على أفراسياب فى مخيّمه، ويضع فيهم السيف، ويوسعهم القتل والأسر . فطفق رستم يذكره ما سبق من أمره لسياوخش بدخول بلخ وثباته بها ، وألا يبادى العدوّ بالحرب، وينظر ما يحدث ويكون . وقال : إن أفراسياب ابتدأه بطلب الصلح فلم يستجز سياوخش مقابلته بالحرب . وليس يحسن فى الأحدوثة أيها الملك أن ينتشر عن سياوخش أنه أخفر الذمة ، وغدر بالرهائن . فاستشاط كيكاوس من رستم عند ذلك، وقال : إنه ليخطر ببالى أنك أشرت على سياوخش بهذا الرأى إيثارا منك للدعة، وركونا ٤٩
الى الرفاهية غير متفكر فيما يعود بحفظ أبهة التخت ، ورفعة التاج . فالزم الآن أنت مكانك حتى ينهض طوس بهذا الأمر . وإن كان سياوخش يخلع ربقة طاعتى، ولا يمتثل أمرى فإن طوسا يتسلم منه العساكر، ويرجع هو على أعقابه مع خواصه وأصحابه . فاحتد عند ذلك رستم وقام وخرج غضبان . فأمر الملك طوسا أن[3] يستعدّ للسير، ويجرّ العساكر لقتال أفراسياب .

ذكر رسالة كيكاوس الى سياوخش

قال: فدعا كيكاوس بكاتبه، وأجلسه بين يديه، وأمره أن يكتب كتابا الى سياوخش ينطق فيه بلسان الموجدة والغضب . فكتب الكاتب، بعد أن حمد الله تعالى، يخاطب سياوخش بما معناه : أيها الشاب ! إن ثقل مرادى على قلبك، ودارت سنة الصهباء[4] فى رأسك فتذكر صنيع هذا العدوّ

(١) ك، صل : مجرب . (٢) كو : سأبعث الى سياوخش . (٣) ك، طا : بأن
(٤) كو : سنة الصبي . وهو موافق للشاه .

فى إيران وممالكها، ثم تشمر لمحاربته، ولا ترق ماء وجهك بالتقصير،(١) ولا تخدعن بأكاذيبه وأباطيله. فطالما مرت بى خُدَعه وحِيَله ثم لم أحفل بها، ولم أنخدع لشىء منها. ولم يكن قد جرى بينى وبينك للصلح ذكر. فقد أعرضت اذًا عما ألقيته اليك سكونا منك الى مخالطة الغلمان الصباح،(أ) وركونا الى اللعب والمزاح، وهربا من معاناة الحرب والكفاح. فاذا أتاك طوس فأنفذ إلىّ فى الحال الأتراك الرهائن، وتأهب لحرب عدوك. وإن كنت تحنو على أفراسياب، وتكره أن تنسب الى نقض العهد فسلم العسكر الى طوس، وأقبل الينا. فلست من رجال الحفاظ وأبناء القتال. قال: ثم أثاروا هجينا يحمل الكتاب الى سياوخش.

ولما وصل(٢) الكتاب وقرأه ضاق صدره، وامتلأ بالهم قلبه. فدعا بالرسول، واستخبره عما جرى. فحكى له جميع ما دار بين كيكاوس ورستم، وأخبره بإنفاده لطوس مكان رستم. فوجم سياوخش لما حزنه(٣) من تنكر أبيه عليه، وما يخشى من عاقبة ذلك. وقال فى نفسه: كيف أنفذ مائة نفس من أولاد الأمراء الكبار وأقارب مثل هذا الملك الى كيكاوس مع علمى بأنه اذا وقعت عينه عليهم لم يبق منهم أحدا؟ وماذا يكون عذرى عند الله غدا؟ ثم إنى إن قاتلت أفراسياب بعد ما سبق منى من المواثيق والأيمان ذكرت فى الآفاق بنقض العهد، ووصفت بالجهالة والغدر. وإن سلمت العسكر الى طوس، ورجعت ناكصا على عقبى لم آمن بائقة كيكاوس، وبادرة غضبه، وكنت عرضة لما ترصدنى به سوذابه من الغوائل، وتقصدنى به من المكاره. فأحضر زنكه بن شاوَران، وبهرام بن جوذَرز، وخلا بهما، وقال: لست أدرى ماذا يجرى على رأسى، فقد تغير رأى الملك، وحال عما كان لى عليه من ذلك الحنو. وكان ذلك من آثار خديعة سوذابه ومكرها(٤) حتى صار مما تُقبّح صورتى عليه كالسم للنقيع والموت الذريع. وكنت قد آثرت مقاساة هذه الحروب، والبعد عن تلك الممالك طلبا للتخلص من شرها ومكرها. ثم ذكر ما عاناه من محاربة عسكر أفراسياب وإجلائهم عن تلك البلاد، وأنه لم يصالحه إلا بعد إشارة المرابذة أصحاب(٥) الرأى بذلك فيه. ثم أمر زنكه بن شاوران بأن يستصحب الرهائن والتحف، ويصير الى أفراسياب ويردّها عليه، وينهى اليه ماجرى عليه بسبب ذلك. وقال لبهرام بن جُوذَرز: إنى مسلم اليك هذه العساكر، وخارج الى بعض

(أ) الذى فى الشاه «تلهو» مع ذوات (أو ذوى) الوجوه الجميلة. فكلمة «خوبرويان» المستعملة فى هذا الصدد لا تدل على أكثر من هذا. بل المتبادر منها النساء.

(١) ك، كو، طا: بالتقصير فى أمره. (٢) ك، كو، طا: وصل اليه. (٣) ك: حزبه.

(٤) ك، طا: تنكرها. (٥) ك: وأصحاب.

الأطراف ناجيا بنفسى من نكاية كيكاوس . فاذا قدم طوس فسلم العسكر اليه . فاهتم بهرام لذلك، وبكى زنكه بن شاوران، ولعن تراب هاماوران . وقال بهرام : ليس هذا من الرأى، وليس لك بدّ من أبيك . فاكتب اليه كتابا تسأله فيه أن يرد عليك رستم . فان أمرك بعد ذلك بقتال[1] فامتثل أمره ، ولا تطول عليك كلاما هو فى نفسه قصير . ولا تعجل فإنك بالتثبت والتؤدة جدير . ولا غضاضة عليك فى الضراعة الى أبيك، والتطامن له . فاعتذر اليه ونفذ[2] الرهائن فانه لم يأمرك فى كتابه بغير قتال أفراسياب وأصحابه . والى الآن لم يجر شيء لا يمكن تلافيه . فتشمر لما أمرك به حتى نتشمر له ، ونبذل الجهد فيه، ونضيق الأرض على العدوّ . ولا تؤذين قلبك، ولا تضيقن صدرك، ولا تكدرن علينا ما صفا من أيامك بعد أن[3] طاولت الأقران وظفرت بمرامك ، ولا تبك عليك عين التاج والتخت ، ولا تفجع بالشجر الخسروانى حديقة المُلك . فلم يصغ الى كلام ناصحيه لما كتب على رأسه من تقارب الأجل . فقال : إن كان رأيكما مخالفا لرأيى فانى أنهض بنفسى، وأحمل الرهائن الى أفراسياب . فقال عند ذلك زنكه بن شاوران : نحن عبيدك المخلصون نفديك بأرواحنا ونفوسنا ، ولا نخالفك الى الممات . فقال له : فاذهب الى أفراسياب، واذكر له ما نالنا بسببه وسبب انقيادنا لموافقته . وأعلمه أنى لم أنقض عهده وإن كان قد خرج من يدى من أجله تاجى وتختى . وسله أن يفتح لى طريقا حتى أعبر على بلاده ، وأطلب طرفا من الأرض أسكنه لأتخلص من كيكاوس، وأستريح من سوء خلقه، وفساد طبعه .

فسار زنكه بن شاوران فى مائة فارس، واستصحب الرهائن . ولما دخل بلاد توران استقبله بعض عظمائها . وسار حتى دخل على أفراسياب . فلما رآه وثب اليه واعتنقه وأكرمه ، وأجلسه على تخته . فسلم اليه كتاب سياوخش . فلما وقف عليه اهتم لذلك وتحير . ثم أمر بإنزاله فى موضع يليق بمثله ، واستحضر بيران قائد جيشه، وبهلوان عسكره، والمتولى لحله وعقده . فخلا به وذكر له سوء خلق كيكاوس، وحكى له ما أجاب به سياوخش من الكلام الخشن الصادر عن الحفيظة والغضب، وذكر له قدوم زنكه بن شاوران، وما التمسه سياوخش . واستشاره فى ذلك فقال بيران : رأيك أصوب، وفكرك أثقب . والذى عندى أن كل من يكون من ملوك الأرض فى هذا الزمان موصوفا بالفضل والإحسان فينبغى ألا يدخر عن سياوخش شيئا . فانى سمعت أنه من أعلى الملوك قدرا، وأوفرهم عقلا . وله الشرف بنفسه وأصله . وقد استكمل أسباب السيادة والسعادة . ولو لم يكن فيه سوى (٥٥) أنه احترز عن قتل الذين عنده من أكابر هذه الحضرة ، وتمرد على أبيه بذلك[4] حتى أخرجه[5] الأمر

(١) ك، كو، طا : بقتال أفراسياب (٢) ك، طا : ونفذ اليه . (٣) ك : بعد ما .
(٤) ك : بذلك (لا) . (٥) ك، كو، طا : أحوجه .

الى ترك التاج والتخت لكفاه ذلك شرفا . و إنما فعل ذلك كله رعاية لذمامك، ومحافظة على الوفاء لك. فان رأى الملك أجاب عن كتابه بالإلطاف والاستعطاف، وتلق أمله بالإسعاف، ومكنه من هذا الإقليم، وزوّجه بإحدى كرائمه . فلعله يستوطن هذه الديار، و يستقرّ فى هذه المملكة . ولو لم يفعل ذلك ورجع إلى أبيه كان الملك مشكورا على ما أسدى اليه من الجميل . فقال أفراسياب : إن كلامك غير حائد عن سنن السداد غير أنه(١) من ربى شبل الأسد الهصور أنحى عليه، إذا طلع نابه، بالمحذور . فقال فيران : ولكن سياوخش لمّا لم يرض من أبيه بالغدر، ولم يغض على مادعاه اليه من الشر فلن يتجنب طريق الوفاء، ولا يقابل صنيع من يحسن اليـه بالجفاء . ثم إن كيكاوس قد طعن فى السن، ولا بد له من الموت . ولا يخفى أن سياوخش وارث أرضـه، ومالك تاجه وتختـه . فإذا كان تحت يدك كنت ملك الجانبين، وصاحب الدولتين . فوافق ذلك مرأيه فدعا بكاتبه وأمره فكتب إلى سياوخش كتابا حمد الله تعـالى فيه وأثنى عليه . ثم أتبع ذلك بالدعاء لسياوخش، وتقريظه بحسن العهـد، ولزوم الوفاء، ومجانبة إخفار الذمام . ثم قال : قد وقفت على ماتحمّله زنكه بن شاوران من الرسالة فضقت ذرعا بما صدر عن كيكاوس . وهذه الممالك لك وبحكمك . فإن أردت الشهرياريّة(٢) فهى بين يديك . وإن أردت الأموال والذخائر فإن مقاليدها ملقاة اليـك، وجميع أهل هـذه المملكه يسـجدون لك ويقبـلون التراب لديك . وأنا بالأشواق إلى لقائك، وأنت عنـدى بمنزلة الولد، وأنا لك كالوالد . بل والد يكون لك كالعبد فى خدمتك . وما أشرت اليـه من عبورك علينا صائرا(٣) الى إقليم آخر فهذا شئ نُعيّر به، وقد أغناك الله عنه . فإن هذه الممالك والكنوز والذخائر مسلمة اليك(٤) . فتقيم فى أرضنا ما أحببت، وترجع، إذا صالحت أباك، اليـه إذا أردت، كما اشتهيت . وقد جعلت لله علىّ أن أبذل جهدى فى خدمتك، وأفرغ وسعى فى مناصحتك، ولا أهمّ بالإساءة اليـك . ثم ختم الكتاب، ودفعه الى زنكه بن شاوران، وخلع عليه، وسرّحه الى سياوخش .

فلما وصل اليه، وقرأ الكتاب، ووقف على ما فيه سره من وجه وساءه من آخر حين اضطر الى مصادقة العدو الكاشح، ويستنبط(٥) المـاء من السعير اللافح . قال : ثم كتب الى كيكاوس كتاب شكاية أبثّه فيه نفثات صدره، وأطلعه على حرازات قلبـه، وذكر ما قاساه من مكايد سوذابه ومكرها، وما ابتلى به من سببها من ورود النار التى سبق ذكرها . وقال : ثم انى آثرت مغامسة الحرب والموت، والدخول الى فم الثعبان حتى ملكت عنـان الظفر، وملأت العالم بالأمن والعـدل، واستراح الخلق

(١) ك، كو، طا : انه قيل . (٢) الشهريارية : الملك . (٣) ك : سائرا . (٤) ك : مسلمة لك
(٥) ك، طا : ولا يستنبط . كو : ولأن يستنبط .

فى المملكتين بحسم مادة الشر، وإصلاح ذات البين ، فلم يرض الملك ذلك ، فحلّ جميع ما عقدت ، ونكث ما أبرمت . وكأنه كان قد كره لقائى ، وسئم مقاربتى له . فوافقتُه على ما أراد من ذلك . فلا زال هو ممتعا بالسرور والفرح فقد متعت أنا بالهموم والترح ، وخضت غمرة الخطوب . والله أعلم بما هو مكتوب علىّ ومنساق إلىّ . ثم سلم التاج والتخت والخيل والخول والخزائن وغيرها الى بهرام بن جوذرز . وقال : إذا قدم طوس فسلمها اليه . واختار من عسكره ثلثمائة (١) من المشهورين المذكورين ، وما احتاج اليه من الجواهر والذهب والفضة وغير ذلك (٢) ، واستصحب مائة فرس بآلات الذهب ، ومائة وصيف ووصيفة بمناطق الذهب ، والأكاليل المرصعة باللؤلؤ والزبرجد . ثم دعا بأعيان عسكره وأكابر حضرته ، وقال : إنه قد وصل (٣) بيران من حضرة أفراسياب رسولا ، وقد عبر الماء . وأنا خارج لاستقباله . فالزموا مكانكم وولوا (٤) بهرام وجوهكم ، ولا تعدلوا عن رأيه . فسجدوا له ورجعوا مذعنين لأمره ، وخاضعين لحكمه .

ذكر مسير سياوخش الى بلاد تركستان

قال : فركب سياوخش ، وعبر جيحون حزين القلب غزير الدمع . وسار حتى وصل الى ترمذ وقد أعدّوا له الأنزال والتحف والهدايا والمبارّ فى كل منزل منها الى الشاش . فسار حتى نزل بقفجاق (٥) . وأقام بها أسبوعا (أ) فاستقبله بيران فى جملة من أقاربه وأصحابه ، وقدّم اليه أربعة أفيال بتخوت الذهب والفيروزج ، ومائة فرس بعدّة الذهب . ولما بدا علمه ابتدره سياوخش وعانقه ، وسايله عن أفراسياب . فلاطفه بيران وطفق يشكر الله تعالى على ما قيّض له من لقائه . ثم قال : إن أولادى وقرابتى كلهم عبيدك ومماليكك ، لا يعدلون عن أمرك . وأنا لو قبلتنى لشددت وسطى ، مع شيخوختى وكبر سنى ، فى العبودية لك ، ووقفت ماثلا بين يديك . ثم انصرفا معا وأرجاء تلك المدينة تطن بأصوات المعازف والمزاهر لقدوم سياوخش . فبينا هو كذلك إذ تذكر أرض زابلستان أيام مقامه بها فى ضيافة رستم بن دستان ، وذكر رياضها الممسّكة ، وجناتها المزخرفة ، فنثر عقد الدموع ، وشب نار الحزن بين الضلوع . وأخفى ذلك من بيران ، ففطن له ولاطفه حتى طاب قلبه . ثم قال لبيران : إن عاهدتنى وثقت بك ، وعلمت أنك لا تخفر الذمه ، فإن كنت تستصوب مقامى عند

(أ) حذف المترجم هنا أبياتا تبين عما فعله الايرانيون بعد رحيل سياوش . وخلاصتها أن طوسا قدم فأخبرها فعل سياوش فسارع بالجيش الى كاوس . ولما أخبر الملك بما فعل ابنه حزن وتحير وتجنب الحرب بعد ذلك .

(١) ك ، كو ، طا : ثلثمائة فارس . (٢) ك ، طا : وغيرها . (٣) ك ، طا : حضر .

(٤) ك ، طا : نحو بهرام . (٥) صل : غجغاج .

أفراسياب فأخبرنى بذلك حتى لا يلحقنى ندم فى قدومى عليه . وإن كان الأمر بخلاف ذلك فأعلمنى أيضا حتى أتجاوز هذه الديار الى غيرها ، ودلنى على إقليم آخر ألجأ اليه ، وأتحصن فيه . فقال له بيران : بعد أن فارقت أرض إيران فلا تعدل عن أفراسياب . فإنه وإن انتشر فى الآفاق ذكره بالسوء فهو
فى الباطن على خلاف ذلك . وهو رجل متألّه صاحب رأى وعقل ، ولا يقدم على أذية أحد بغير جرم . (٥١)
وأنا قريبه ، وصاحب رأيه ، وبهلوان جيشه . وفى هذه البلاد مائة ألف فارس كلهم تحت حكمى وفى ربقه طاعتى . ولى اثنا عشر ألفا من أقاربى مهما دعت الحاجة اليهم اجتمعوا إلىّ واحتفوا بى وأنا بهم فى غناء عن أفراسياب . وقد جعلتهم كلهم فداء لك إن عزمت على الإقامة فى هذه الديار . وقد ضمنت لله تعالى ألا تصاب بمكروه إلا أن يظهر منك معاداة أو تصدر منك جريمة يتوجه بذلك عليك مجازاة . فانقاد سياوخش لكلامه ، وركن اليه ، واعتمد عليه حتى صار بيران والدا وهو ولدا . وارتحلا وسارا حتى وصلا الى مستقر أفراسياب من مدينة كَنْك . فشدّ[(١)] وسطه عاجلا ، وخرج فى استقباله راجلا . فلما رآه سياوخش ترجل له ، وبادر اليه فتعانقا ، وطفق كل واحد منهما يقبل وجه صاحبه . ثم أخذ أفراسيابُ بيده ، ودخل به الى إيوانه ، وأجلسه معه على تخته ، وأخذ ينظر اليه ، ويجيل طرفه فى محاسنه وشمائله ، ويقول لبيران : إنى لأعجب من كيكاوس كيف يصبر عن مثل هذا الولد . فإنى منذ وقعت عينى عليه لا أستطيع أن أنظر إلا اليه . وقد بهتّ لجماله وكماله . ثم أمر أن يفرش له إيوان اختاره من أجله ، بالمفارش المنسوجة بالذهب ، وينصب فيه تخت من الذهب مغشّى بالديباج الصينى . وأشار بمصيره اليه للاستراحة . ثم لما مدّوا السماط حضر ، وقعدا يتفاوضان ويتلاطفان . ثم لما فرغوا من الطعام جلسوا للشرب الى أن غربت الشمس . فقام سياوخش وعاد الى إيوانه . وأمر أفراسياب ابنه شيذه بأن يبكر فى صبيحة الغد مع أقاربه وأكابر حضرته الى خدمة سياوخش ، ويقوموا بشرائط خدمته ، ويحملوا اليه هدايا وتحفا ونثارات . ففعلوا ذلك . ونفذ أيضا اليه من جهته تحفا كثيرة وهدايا جليلة . فمضى على ذلك أسبوع .

ثم ساله دخول الميدان ، وملاعبته إياه بالكرة والصولجان . فأجابه الى ذلك (ا) . وكان قد اجتمع جميع أمراء توران فى ذلك الميدان . فأظهر فى يومه ذلك من الآداب الشهنشاهيّة والحركات السلطانية فى المراماة والمناضلة واللعب بالكرة ما أعجب الحاضرين ، وآنق الناظرين . فسر بذلك

(ا) لم يبين المترجم هنا أن سياوخش امتنع عن ملاعبة أفراسياب إجلالا له وتأدبا حتى أقسم عليه برأس الملك كاوس .

(١) كو : فشد أفراسياب .

أفراسياب، وأظهر به الفرح والسرور، وعاد به الى مجلسه، وقعد معه على الطعام . وهيأ له فى ذلك اليوم خلعة رائقه وأموالا وافرة وتحفا كثيرة، وأمر بحمل الكل الى إيوانه الموسوم به .

قال : وأخذ حب سياوخش بمجامع قلب أفراسياب حتى كان لا يصبر عنه ساعة، وحتى كان يسلى به ويفرح بلقائه، وصار له بذلك شغل شاغل عن ابنه جِهن وأخيه كرسيوز وغيرهما . فجعل لا يلتفت اليهم، ويؤثر سياوخش فى السر والخلوة عليهم، حتى مضت على ذلك سنة كاملة . فاتفق أن بيران اجتمع يوما[(١)] بسياوخش، وتجاذبا أطراف الأحاديث فقال له بيران : كأنى أراك فى هذه البلاد على أوفاز، ولا تركن اليها إلا ركون مجتاز[(٢)] . وإن أفراسياب من فرط حنوه عليك ومحبته لك كأنه لا يرى الدنيا إلا بعينك، ولا يحب الحياة إلا لأجلك . وأنت اليوم ملك إيران وتوران ، وخلف الملوك فى هذا الزمان . فوطن نفسك على الاستقرار فى هذه الديار . ثم إنك رجل وحيد لا أخ لك ولا أخت ولا زوجة ولا ولد . فاطلب صاحبة تصلح لك ، ولا تهتم بأمر إيران . فإن تلك الممالك بعد موت كيكاوس لا تكون إلا لك . واعلم أن وراء ستور الملك ثلاث بنات كالأقمار الطالعة وكذلك وراء حجاب أخيه كرسيوز ثلاث أخر قد جمعن بين الأصالة والنجابة . ووراء سترى أيضا أربع صغار هُنّ إماء لك[(٣)] . ولكن الأصوب لك ألا تعدل عن أفراسياب § وله بنت تدعى فرى كيس[(٤)] هى أكبر أولاده، وأجمل نساء زمانها . وهى موصوفة بالخلال المرضية والخصال الحميدة . فإن خطبتها الى أبيها ووصلها بك ازداد قدرك، وترقت منزلتك . فان[(٥)] رسمت كنت أنا المكلم لأفراسياب فى ذلك،

---

§ فى الشاه : أن پيران قال لسياوخش، بعد أن ذكر له بناته : إن جريرة كبراهن، وليس لها فى الجمال ضريب . فإن رأيت كانت أمتك وخادمك . فشكره سياوخش وقال : جريرة أحب إلىّ ، تسر بها نفسى ، وتقر بها عينى . وقد قلدتنى منّة لا أستطيع إيفاءها ما حييت . ثم تزوّج سياوخش جريرة بنت پيران . وبعد حين عرض پيران على سياوخش أن يتزوّج فرنكيس بنت أفراسياب ليزداد مكانة فى توران . ثم خطبها الى أفراسياب — الى آخر ما ذكره المترجم هنا . وسيجد القارئ فى فصل كيخسرو الآتى ذكر "فرود" بن سياوخش من جريرة بنت پيران . ولا أدرى لماذا حذف المترجم هنا زواج جريرة وهو محتاج اليه فى سياق القصة من بعد . ولعل هذا سهو فى القراءة كان من تشابه الأمرين؛ فخطبة جريرة وخطبة فرنكيس كلاهما تنتهى بتشمر پيران لإعداد العدّة للزفاف، وتفويضه الأمر لامرأته كلشهر لتتولى تجهيز العروس .

(١) ك، طا : ذات يوم . (٢) كلمة "مجتاز" ليست فى الأصل . والاستدراك من ك .

(٣) ك، كو، طا : لك إماء . (٤) فى الشاه : فرنكيس وفى الغرر كسيفرى . (٥) ك : وان .

والقائم بأمر هـذه الوصلة . فقال سياوخش : اذا لم يكن لى بدّ من هجران ديار ايران ، ولا بقى لى سبيل الى النظر الى وجه الملك كيكاوس ورستم الذى هو ربانى ، وبهرام وزنكه بن شاوران فاشرع فى هذا الأمر ، وتول أنت تدبيره . فقـام بيران ودخل على أفراسياب ، ووقف على رأسه . فقـال أفراسياب : ألك حاجة حتى أطلت المقـام اليوم ؟ فقـال له عند ذلك : أرسلنى سياوخش اليـك فى رسالة ، وأريد عرضها عليـك . ثم أخبره بالأمر ، وخطب اليـه فرى كيس لسياوخش . فتغير من ذلك أفراسـياب ، وقال : إنه قال لى رجل عاقل : أيها المربى لشـبل الضرغام ! لا تتعب فإنه يعود عليك بالإرغام . إنك تتعنى وتربيه ، ثم تحرم ما تأمله فيه . وأيضا فإن بعض المنجمين كان قد أخبرنى بأن[1] زوال ملك توران يكون على يد حافد لى . وفى هذا ما يفهم منه ذلك فإن من يولد ما بين هاتين الشجرتين يملك جميع الأرض ، ولا يبقى أحدا من أهل توران . ومالى أغرس بيـدى شجرة تكون أوراقها صابا وعلقا ، وحملها ذعافا مسمما؟ فقال له بيران : أيها الملك ! لا تهتمن ، ولا تحفل بقول المنجمين . فإن من يولد من صلب سـياوخش لا يكون إلا مثـله متحليا بالسكون والعقل . وسيتفرع من هاتين[2] الشجرتين غصن يطاول الكيوان[3] ويجمع بين ملك إيران وتوران . ولعله يأمن به الإقليمان وأهلهـما . وإن كان الله قد قدّر شيئا غير ذلك فالكائن لا محاله سيكون . ولم يزل به حتى أجاب الى ذلك ، وقال : قد فوضت الأمر الى رأيك فافعل فيه ما تريد . فسجد له بيران وشكره ، ورجع الى سياوخش ، وذكر له ما جرى بينه وبين أفراسياب . وجلسا يشربان الى أن ثملا . ورجع بيران الى منزله .

ولمـا أصبح ركب الى قصر سياوخش فدخل عليه ، وقال : أعدّ أسباب الضيافة لأبنـة الملك أفراسياب . فإن رسمت شـددت وسطى وقمت بذلك كما يجب . فقال له سياوخش : الأمر لك ، ومالى أحد سواك فافعل كما رأيت . فانصرف بيران نحو منزله ، وسـلم مفتاح خزانته[4] الى زوجتـه كُل شهر ، وكانت ذات رأى وعقل . فاختارت له ألف ثوب منسوج بالذهب ، وأخرجت له أطباقا من الزبرجد ، وجامات من الفيروزج ، وملأتها بنوافج المسك والعود الرطب ، مع إكليلين مرصعين بالجواهر الشاهية ، وسوارين وقرطين وطوق ، ومن المفارش ستين حملا ، الى غير ذلك من النفائس والغرائب ، مع ثلثمائة وصـيف بقلانس الذهب ، ومائتى وصيفة على يد كل واحدة جام من الذهب مملوء من المسـك والزعفران . ثم جاءت مع أخواتها فى مائة نفس من قرابتها بعمارات[5] الذهب المجللة (٥٣)

(١) ك ، كو : أن . (٢) صل : هذين . والتصحيح من ك . (٣) ك : كيوان . (٤) ك ، كو : خزائنه
(٥) طا : بعماريات .

بالديباج، ومعها عشرة آلاف دينار برسم النثار . ودخلت على فرى كيس، وقبلت الأرض بين يديها، وقالت : قد ازدوجت الشمس والقمر . فلتنهض الملكة الى قصر الملك . فرجعت بها الى إيوان سياوخش . فقامت فى ذلك العرس سوق اللهو واللعب فى تلك الخطة سبعة أيام . ونفذ بعد ذلك اليه أفراسياب هدايا كثيرة من الدينار والدرهم، والخيل والنعم، والملبوس والمفروش . وكتب له منشورا من ذلك الحد الى الصين(١) .

وأذن له أفراسياب بعد سنة كاملة أن يسير الى تلك الديار . فرحل وسار بزوجته فرى كيس . وصحبه بيران وارتحل معه وصاروا الى خُتَن ، وكانت مملكة بيران . وأقاموا هنالك أياما ثم قدم رسول(٢) أفراسياب على بيران يستنهضه الى بعض الممالك ، ويأمره بجر العساكر اليه . فامتثل ذلك بيران وفارقه § وانتقل سياوخش الى موضع آخر أشار عليه به أفراسياب، فبنى(٣) مدينة جعل عرضها وطولها فرسخين، وأحدث فيها قصورا عالية، وبنى فيها أبنية مرتفعة، وزخرف المدينة حتى صارت كبعض الجنان . وعمل إيوانا عظيما، وأمر فصوّروا فى أحد جانبيه صورة كيكاوس قاعدا على تخته، وبين يديه رستم(٤) وجوذرز وغيرهم من الأكابر، وعلى(٥) الجانب الآخر أفراسياب وكرسيوز وبيران، وعمل فى(٦) جوانب المدينة قبابا كادت تمس السماء علوا وسمى المدينة سِياوخش كِرد(٧) .

§ فى الشاه : أن سياوخش سار من خُتَن الى مملكته التى أعطاه أفراسياب ، واختار مكانا بين الماء والجبل، وبنى مدينة عظيمة سماها كنكدِز أى قلعة كنك — وقد أطنب الفردوسى فى وصفها وافتتح قصتها بموعظة بليغة فى تقلب الأحداث . ثم سأل سياوخش المنجمين فأخبروه بما قدر له من المصائب . وأخبرهو پيران . ثم جاء رسول من أفراسياب يأمر پيران بسوق الجيش الى حدود الهند . وجاء رسول آخر الى سياوخش يعرض عليه الذهاب الى مكان آخر — الى آخر ما ذكره المترجم عن بناء مدينة سياوُش كِرد .

وأظن المترجم اقتصر على حديث إحدى المدينتين إيجازا . وسياوخش كرد ذكرها المستوفى فى نزهة القلوب، بعد سمرقند ولم يبين موقعها . ويقول ياقوت : "وخش بلدة من نواحى بلخ من خُتَّلان . وهى كورة متصلة بخُتَّل حتى تجعلان كورة واحدة . وهى على نهر جيحون . وهى كورة واسعة الخيرات طيبة الهواء . وبها منازل الملوك ونعم واسعة" .

ويقول : "ووخشان قرية على فرسخين من بلخ" .

(١) ك، طا : بحر الصين . (٢) صل : قدم أفراسياب . وفى ك، كو، طا : ورد رسول أفراسياب .
(٣) طا، ك : فبنى فيه . (٤) ك : رستم وزال وجوذرز . (٥) طا : وصوروا على الجانب .
(٦) ك : جميع جوانب . (٧) اسمها فى الغرر : سياوناباذ .

قال : ولما رجع بيران من الجهة التى كان توجه اليها استفزه الشوق الى سياوخش فلم يتمالك أن جاء الى تلك المدينة . فاستقبله سياوخش فترجل كل واحد منهما للآخر وتعانقا وركبا وطافا بتلك المدينة . ولما أبصر بيران تلك القصور العالية والميادين الفسيحة والبساتين الأنيقة أثنى على سياوخش، ودعا له بطول البقاء ودوام العز والسناء . ثم لما انتهى الى الإيوان انفتل الى قصر فرى كيس فاستقبلته ، وأمرت فنثرت عليه نثارات كثيرة ، وخرج من عندها وجلس هو وسياوخش فى مجلس الأنس واندفعوا فى الشرب واللعب والطرب . وأقاموا على ذلك أسبوعا . ثم قدّم لسياوخش برسم عُراضة القادم تحفا كثيرة وهدايا جليلة .

ثم فارقهم وسار الى حضرة أفراسياب . فلما دخل عليه أخبره بخبره فى الجهة التى سيره اليها وانتهى بهما الحديث الى ذكر سياوخش، وسأله الملك عن حاله وحال المدينة التى أنشأها، وقصورها التى بناها فأخبره بيران بما رآه من حالها ، ووصفها له . ثم ذكر قصر فرى كيس وأماكنها الرفيعة ومساكنها المنيعة ، وأتبع ذلك بالدعاء لهم وتمتع البعض[(١)] بالبعض . ففرح أفراسياب بما حدّثه به حين أثمر غصن رجائه، وترعرع غرس أمله .

ثم حكى لأخيه كرسيوز ما حكاه له بيران، وقال له : قد وطّن سياوخش نفسه على الإقامة بتوران، وصار لا يخطر بقلبه ذكر إيران، ثم أمره بالمصير الى سياوخش مستصحبا له ولفرى كيس الهدايا والتحف، وأمره بأن يوفيه حقوق الخدمة، ويلحظه بعين العظمة فتوجه اليه[(٢)] فى ألف فارس . فلما بلغه الخبر بقدومه ركب لاستقباله فى جنوده ورجاله ، وصار به الى الإيوان (أ) ودخل به من الغد على فرى كيس، فتلقته بالنثارات الكثيرة والخدم الوفيرة . فلما رأى كرسيوز جلالة سياوخش، وفخامة قدره اعتوره الحسد فجاش قلبه ودماغه حتى اصفر لونه، وتغيرت حاله . وقال فى نفسه : أفى سنة يصير سياوخش هكذا صاحب تاج وتخت، ومالك أمر ونهى بحيث لا يلتفت إلى أحد ؟ فأخفى ذلك فى نفسه ، وجعل يتلوى على غيظه وحقده . قال : فنصبوا فى القصر تختين، فجلس كرسيوز على أحدهما، وجلس سياوخش على الآخر . وجاء[(٣)] بالمغانى المحسنات، والجوارى المسمعات، وباتوا ليلتهم على جملة الأنس والسرور، والطرب والحبور . ولما أصبحوا ركب سياوخش إلى الميدان . وجاء كرسيوز فلعبا ساعة بالكرة والصولجان، ثم عدلا الى المطاعنة والمناضلة . وكانت

(أ) فى الشاه هنا أن رسولا جاء الى سياوخش حينئذ يبشره بغلام من جريرة بنت بيران، سماه جدّه "فرود"، وأن كرسيوز قال حين سمع هذا : "قد صار بيران قرين الملك" .

(١) كو : بعضهم ببعض . (٢) ك : اليه (لا) . (٣) ك، كو، طا : وجاءوا .

غلبة سياوخش ظاهرة فى الكل وزائدة للغيظ والعداوة فى قلب كرسيوز . فقال له أيها الملك ! مالك فى توران ولا إيران نظير يساجلك فى آدابك، ويجاريك فى طعانك وضرابك . فهلم نماسك بمناطقنا لننظر أينا يقتلع صاحبه من مقعده . فامتنع من ذلك سياوخش وقال : أنا لك مطيع فى كل ما تشير به علىّ إلا فى هـذه القضية . فان أردت ذلك وكان لا بدّ[(١)] لك منه فاختر من رجالك واحدا موصوفا بالقوّة والشجاعة حتى أمتثل أمرك، وأتبع رأيك . فضحك عند ذلك كرسيوز، واستحسن كلامه وأقبل[(٢)] على أصحابه، وقال : من يتقدّم لمبارزة سياوخش . فأجابه رجل من أصحابه يسمى كروزره (أ) وقال أنا القمن بمبارزته فتصدّى هو لذلك وفارس آخر[(٣)] . فأخذ سياوخش بمنطقة أحدهما، واختطفه من السرج، ورماه إلى الأرض، وأقبل على الآخر واختطفه من سرجه، وصار فى يده كالخشف الضعيف فى براثن الأسد الغريف . وجاء به الى كرسيوز فنزل، وهو يضحك، وجلس الى جنبه على تخت من الذهب كانوا نصبوه له فى الميدان . ثم رجعوا وجلسوا أسبوعا آخر[(٤)] على اللهو والشرب .

ثم إن كرسيوز ودّعه وفارقه بأصحابه راجعا الى حضرة أخيه أفراسياب . ولما توسطوا الطريق تجاذبوا أطراف الحديث فيما جرى يوم الميدان مع سياوخش، وكرسيوز مغتاظ مما أصاب صاحبيه على يد سياوخش من الخزى والهوان، حين تصدّيا لمقاواته فى الميدان . فلما قدموا على أفراسياب استخبرهم عن أحوال سياوخش فقال له كرسيوز : أيها الملك ! إنه قد تغير عما كان عليه، ٥٣
وقد تكررت الرسل اليه من أبيه كيكاوس فى السر . وكذلك تأتيه الرسائل من أطراف الروم والصين . وهو لا يشرب الآن إلا على اسم كيكاوس . وقد اجتمعت الآن عليه عساكر كثيرة[(٥)]، وهو لا شك قاصدك عن قريب . وقال : لو لم يطلع تور على الشر من إيرج لم يكن يفتك به فى الزمان الغابر . وكيف تقدر أن تجمع بين إقليمين أحدهما كالنار والآخر كالماء بهذه المزاوجة ؟ ورأيت الأصوب عرض هذه[(٦)] الحال عليك، ولم أستجز إخفاها عنك . فاضطرب قلب أفراسياب من كلامه، واهتم من أجله . ولم يزل كرسيوز يتردّد اليه بالأكاذيب المموّهة، والأباطيل المزخرفة فى تقبيح صورة سياوخش عنده متمحلا عليه بما لا أصل له حتى غبر على ذلك زمان . فاستحضره يوما وخلا به، وخاض معه فى حديث سياوخش . ثم أمره بأن يمضى اليه، ويبلغه سلامه، ويصف الى لقائه أشواقه، ويستقدمه مع فرى كيس . فسار كرسيوز حتى اذا قرب من مستقرّه أرسل اليه يقسم عليه

(أ) اسمه فى الشاه : كروى زره (بكسر الياء والزاى والراء الثانية) أى كرو بن زره .

(١) صل : ولا بد لك منه . (٢) لك : فأقبل . (٣) لك، كو، طا : يسمى دمور .

(٤) لك : عكوفا على اللهو . (٥) لك : عظيمة . (٦) لك : هذا .

بنعمة أفراسياب، وحياة كيكاوس ألا يتجشم الخروج الى استقباله[(١)] وتلقيه، ولا يجاوز تخته . فوصل الرسول الى سياوخش وأدّى[(٢)] اليه رسالته، فاستشعر واهتم وغمر قلبه الفكر فى غائلة ذلك الكلام . فلما وصل كرسيوز بادر وخرج من الايوان حتى التقاه . فبلغه رسالة أفراسياب . فارتاح لها وأظهر السرور بها ، وقابل الأمر بالامتثال والانقياد . وقال : هأنا لا أحيد عن طاعته ، وأشدّ عنانى بعنانك حتى نعاود حضرته معا . ولكن نستريح ثلاثة أيام فى هذا الايوان الذهبى ثم نعزم .

فلما سمع كرسيوز كلام سياوخش ضاق صدره ، وقال[(٣)] : إن جاء معى مبادرا كما قال افتضحت عند أفراسياب ، ولم ينجع فيه ماقلته، وصار كلامى عنده هباء منثورا . فلا بدّ أن أحتال وألوى عنانه عن المضى الى أفراسياب . قال : فسكت ساعة ولم يجبه بشىء . ثم تباكى وجرت دموعه حتى علاه الشهيق . فرق له سياوخش، وقال له[(٤)] : أيها الأخ ما الذى أصابك؟ وماذا حدث ؟ إن يكن قد تغير رأى الملك عليك فأخبرنى حتى أمضى الى حضرته، وأصلح بينه وبينك، وأزيل الوحشة . وإن يكن قد ظهر لك عدو فهأنا كالأسد[(٥)] بين يديك؛ حرب لمن حاربك، سلم لمن سالمك . فقال كرسيوز: ليس من هذا شىء . ولكن خطر بقلبى الساعة ما أصاب إيرج من بائقة تور، ومكره . وهذا الملك قد تغير رأيه فى حقك . وليس يضمر لك إلا السوء . وهو الذى قتل أخاه إغريرث . فكن منه على حذر، ولا تركن اليه . وأنت تعلم محبتى ونصحى لك . ولذلك لم أستجز إخفاء ذلك عنك . ولست أرى من الصواب أن تمضى اليه، فتعرض نفسك للهلاك . والرأى أن تكتب جواب كتابه، وتتمسك فى تأخرك ببعض المعاذير . فانى أنوب عنك وأسعى فى إطفاء نائرته، ودفع معرّته عنك[(٦)] . فان رأيته قد صلح قلبه لك أعلمتك ذلك حتى ترد عليه . وإن يكن غير ذلك أخبرتك حتى تدبر أمرك، وتخرج من بعض الأطراف الى موضع تأمن فيه على روحك . فقال سياوخش : لست بعادل عن رأيك فافعل ما ترى ، واشفع الى الملك فعساه يعود الى ما كان عليه .

فاستحضر الكاتب، وكتب اليه كتابا يدعو له فيه، ويثنى عليه ، ويعتذر اليه فى تأخره عنه، ويذكر أنه عرض لصاحبته فرى كيس عارض منعه عن المبادرة الى حضرته ، ولعل ذلك العارض يزول عن قريب فيسارع[(٧)] للامتثال لأمره، والمثول فى خدمته . وختم الكتاب ، ودفعه الى كرسيوز فركب من وقته يركض عجلا لا يستريح ليلا ولا نهارا حتى وصل الى أخيه أفراسياب فى ثلاثة أيام .

(١) ك : لاستقباله . (٢) ك، طا : وأدّى الرسالة . (٣) ك، طا : وقال فى نفسه .
(٤) ك، كو : له (لا) . (٥) ك : الأسد . (٦) صل : منك . والتصحيح من ك
(٧) ك، كو، طا : الى الامتثال .

فسايله عن حاله ، وعن السبب فى استعجاله . فقال : إنى لم أستصوب التمكث لما شاهدت من صورة الحال ؛ اعلم أن سياوخس لم يلتفت إلىّ ثلاثة أيام ، ولم يستقبلنى . ولما دخلت عليه أقعدنى على(١) ركبتى دون تخته ، ولم يقرأ كتابك ، ولا أصغى الى رسالتك . وقد تواصل(٢) اليه الكتب من ايران ، واجتمعت عليه عساكر كثيرة من الروم والصين . فإن أخذت معه فى طريق التأنى والتوّدة تفاقم شره وأعضل داؤه فيصعب تداركه وتلافيه .

ذكر مسير أفراسياب لقتل سياوخش ، وما جرى عليه من ذلك

قال : ولما سمع أفراسياب كلام أخيه تجدّد حقده القديم ، وثار داؤه الدفين ، ولم يحبه من فرط الغضب بشىء ، وأمر عسكره بالرحيل ، وخرج من دار ملكه بمدينة كنك عازما على الفتك بسياوخش .

نعم ولما فارق كرسيوز سياوخش جاءته زوجته فرى كيس ، وقالت : مالك قد تغير لونك واصفر وجهك ؟ فقال : إنه قد تكدر مائى بتوران . فإن(٣) كان الأمر على ما يقول كرسيوز فلا مكان لى من هذه الدائرة سوى المركز . فاضطربت فرى كيس ، واشتعلت النار فى جوانحها ، وأذرت دمعها ، ونتفت شعرها ، ودقت صدرها ، وقالت(٤) : أيها الملك فما تصنع ؟ وبمن تستجير ؟ فأما ايران فلا سبيل لك الى الرجوع اليها . وليس لك إلا العزيمة على المصير الى الروم . وطفقت تبكى وتلعن أفراسياب . فبقى سياوخش معها ثلاث ليال حليفى رنين وبكاء . فبينما(٥) سياوخش عندها فى الليلة الرابعة اذ انزعج واضطرب وشهق . فسايلته عن حاله فقال : رأيت فى المنام بحرا من الماء ، وجبلا من النار ، قدّامهما أفراسياب . ولما وقعت عينه علىّ قطّب ، واضطرم غيظا . فهالنى ذلك ، وخفت منه حتى كان منى ما رأيت . فقالت : لا تهتمن لذلك فهو خير لك وشر لأعدائك . قال : فاستدعى سياوخش عند ذلك أصحابه ، وقعد على باب إيوانه ساعة ، وفرّق الطلائع حوالى المدينة . فلما كان بعد ثلثى الليل جاءه فارس فأخبره بظهور عسكر أفراسياب من جانب مدينة كنك . وجاءه فارس آخر من عند كرسيوز يخبره بأنه كلم أفراسياب فى حقه فلم يرد عليه جوابا ، وها هو قد جاء كالنار الموقدة . فدبّر أمرك ، وخلص روحك . ولم يفطن سياوخش لمكايد كرسيوز المحتال ، وظنه صادق المقال . فقالت له فرى كيس : أيها(٦) الملك ما عليك منا . اركب فرسا عدّاء لعله ينجو بك من شر أفراسياب ، ولا تأمن فى هذه الأرض على نفسك . فقال لها : ما رأيته فى المنام واقع ، وحياتى قد نفدت ، و وفاتى قد دنت ،

(١) ك : على كرسى . (٢) ك : تواصلت . (٣) طا : وإن . (٤) طا : قالت له
(٥) ك : فبينا . (٦) ك : أيها الملك (لا) .

وكذا عادة الدهر، يضع ما يرفع، ويهدم ما يبنى ويشيد . ولا بدّ من الموت وإن مرت على المرء الشهور والأعوام، وامتدّت به الليالى والأيام . وزعم صاحب الكتاب أنه قال لها : إنك حاملة من خمسة أشهر. وستقومين عن ملك مشهور . فسميه كيخسرو[١]، واسكنى اليه، وتسلى به عنى . وأما أنا فسوف تقطع رأسى بغير جرم، ويراق دمى بلا ذنب . فأغادر على التراب طريحا بلا تابوت ولا كفن، غريبا نازحا عن الأهل والوطن . ثم يأتيك حرس أفراسياب، ويخرجونك حافية حاسرة . فيجىء بيران فيستوهبك من أبيك، فيشفعه فيك، ويؤمنك على نفسك، و[٢]يسلمك اليه . فيحملك الى قصره فتلدين مؤنس قلبك، ويثمر غصن أملك . ويأتى من أرض إيران رجل يحتال فى أمرك، ويحملك مع ولدك الى إيران، فيتسنم سرير الملك، وينتشر ذكره فى الشرق والغرب، ويأتى بعساكر إيران الى هذه الديار للانتقام لى والطلب بثأرى . ويجوس رستم خلالها بحوافر رخشه، ويزلزلها ببأسه وبطشه . ولا يزال فيها السيف .

ثم ودع فرى كيس، وقال : أنا على الذهاب . فوطنى نفسك على ما ذكرت لك، ولا تطمعى بعد هذا فى الراحة والدعة . ثم خرج من الايوان حليفا للإعوال والإرنان (أ) ومضى نحو[٣] روابط خيوله العراب، فقرب منه فرسه الأدهم الذى[٤] يسمى بهزاد، فضم[٥] رأسه اليه، وساره فى أذنه، ونعى اليه نفسه، وعزّاه، وأمره بالتوحش وألا ينقاد لأحد بعده، ولا يمكن من ظهره غير كيخسرو حين يأتى طالبا لثأره . ثم عرقب خيوله المشهورة، وركب مع أصحابه الإيرانيين آخذا فى طريق إيران .

فلما سار مقدار نصف فرسخ لحقه أفراسياب فى عسكره[٦] فرأى سياوخش لابسا درعه، وأصحابه يحذون حذوه فى ذلك . فقال فى نفسه: إن كرسيوز قد صدقنى فيما أخبرنى به عن حال سياوخش . فاصطف الايرانيون، وتأهبوا للقتال، وقالوا: قد أيسنا[٧] من أرواحنا فلا بدّ أن نبلى عذرا، ونثبت فى مستنقع القتال حتى نقتل. فمنعهم سياوخش وقال : إن كان قد قدّر قتلى على أيدى هؤلاء الأشرار فلن ينفع الحذر من القدر. وما هذا بيوم قتال، وانما هو يوم تفويض واستسلام. فتعرّض لأفراسياب

(أ) فى الشاه : "بكى وانتحب وخرج من الايوان مغموما شاحبا" فالإعوال والإرنان فى قول المترجم كانا قبل خروجه الى الناس . وليس يعقل أن يخرج أمير كهذا على الناس باكيا بكاء الأطفال .

(١) فى الغرر : كيخسره . (٢) ك : ثم إنه يسلمك . (٣) ك، نو، طا : مرابط .
(٤) ك، طا : كان يسمى . (٥) كو : فزعم صاحب الكتاب انه ضم الخ . (٦) ك، كو، طا : عساكره .
(٧) طا : انا قد أيسنا .

وقال: أيها الملك العاقل! ماذا حدث وأوجب مجيئك فى أهبة الحرب؟ وكيف تقدم على قتلى بغير جرم وذنب فتثير نائم الفتن، وتشمل العالم بالمحن؟ فعارضه كرسيوز المنافق، وقال: كيف يسمع منك هذا الكلام وقد استقبلت الملك فى صورة المنابذ، وأهبة المحارب. فأمر أفراسياب(١) عسكره بوضع السيف فيهم، يعنى أصحاب سياوخش، فاشتعلت بينهم نار الحرب فى ذلك الفضاء، وتواردوا حياض الموت توارد الإبل الهيم مشارع الماء. وكان الايرانيون زهاء ألف فارس فقتلوا خلقا كثيرا من الأتراك حتى صار الأمر إمرا، وغمرتهم أمواج الفناء غمرا. وجرح سياوخش فى عدّة مواضع من بدنه، وفارق ظهر فرسه، وقاتل ساعة راجلا. ثم أسروه وأتاه المعروف بكروزره، فشدّ يديه، ووضع غلا على عنقه. فساروا بالشاب الغرير(٢) راجلا(٣)، ولم يراقبوا الله فيه آجلا ولا عاجلا، وتوجهوا نحو مدينته التى بناها. فأمر به أفراسياب أن يعدلوا به عن الطريق الى سفح بعض الجبال، ويقطعوا هناك رأسه. فاجتمع عليه عند ذلك عسكره يقولون: أيها الملك! بأى جرم تقتل من يبكى عليه التاج والتخت، وينقلب بقتله الشرق والغرب؟ وكان كرسيوز يستعجله ويحرّضه على الفراغ منه. وكان فى العسكر أخ لبيران يسمى بيلسم موصوف بالعقل والذكاء، فقال لأفراسياب: أيها الملك إن العجلة من الشيطان، وإن الندامة داء الأرواح والأبدان. من استعمل الرفق، وجانب الخرق لن تزل به قدم، ولا يعتريه ندم. وليس من الصواب أن تبادر بقتل من هو تحت قدرتك، وفى رق سطوتك. فالرأى(٤) أن تتركه تحت القد والأسر حتى تسكن نائرة سخطك، وتأمن غائلة غضبك، ثم ترى فيه رأيك. وعلى الجملة فليس من المصلحة أن تقتل ملكا يكون رستم قد رباه، ويكون كيكاوس أباه، فيهيجا(٥) لطلب ثاره، ويجتهدا لنيل أوتاره. ومن ذا الذى يقدر أن يثبت لفرسان ايران وأمرائهم المذكورين وآسادهم المشهورين، اذا سلوا سيف الانتقام، وتقحموا غمرات الموت الزؤام؟ مثل جوذرز وجُرجين وطوس وفرهاذو ورستم بن دستان، وفرى بُرز بن كيكاوس. ولعل بيران يقدم فتسمع من كلامه ما عساه يصرفك عن هذا الرأى. فقال عند ذلك كرسيوز: أيها الملك لا تصغ الى كلام الشبان، ولا تغتر بمقالهم، وامض لما رأيت. وإن لم تفعل، واستبقيت سياوخش فارقتك ونجوت بنفسى الى زاوية من زوايا الأرض آمن فيها على نفسى. فانك إن آمنته خفنا معرته، ولم نأمن مغبته. وتقدّم دمور، وكُرو وقالا: أيها الملك! مالك تتردّد فى قتل عدوك، ولا تقبل قول أخيك وتعلم أنه لا رأس لايران سوى هذا الذى حصل فى يدك؟ ولو(٦) لم نتعرّض له فى الابتداء لكان الصواب أن تستبقيه.

(١) ك، كو، طا: عند ذلك أفراسياب. (٢) طا: العزيز. (٣) ك، طا: ذليلا راجلا.
(٤) طا: والرأى. (٥) صل: فيهيجان، ويجتهدان. (٦) ك، كو، طا: ولو أنك لم.

وأما الآن بعد أن جرى ما جرى، وأفنيت أصحابه أجمعين، وأصبته فى نفسه فالأولى أن تفرغ منه. فقال لهما أفراسياب : إنى لم أر منه ذنبا يوجب قتله، ولكن أخاف، على ما يقول المنجم، شره. وإطلاقه الآن أضرّ علىّ من قتله. مع أن قتله داء أجتره إلىّ. فبينا هو فى ذلك اذ جاءته ابنته فرى كيس مضرجة الوجنات بنجيع العبرات. فأجهشت اليه بالبكاء والعويل، وقالت: أيها الملك! إن سياوخش هاجر من أجلك أباه، وترك من رباه، وفارق دياره، وباعد أشياعه وأنصاره، واتخذك ملاذا ومفزعا. فما الذى صيرك بإراقة دمه مولعا؟ أما تعلم أن من يقتل أرباب التيجان لا يمتع بتاجه وتخته إلا قليلا من الزمان؟ فلا تجعل نفسك عرضة لسوء المقال، بقول كرسيوز المحتال. فيدعى عليك طول عمرك، ويختم لك بالنار فى آخر أمرك. ولقد بلغك ما أصاب الضحاك بسبب ظلمه وسفكه الدماء، على يدى أفريذون، وما أصاب تورا وسلما بظلمهما، على يدى منوجهر. أما تعلم أن كيكاوس قاعد على تخته، ورستم قابض على قائم سيفه؟ فما بالك تظلم نفسك، ولا تراجع رأيك (٥٥) وعقلك؟ فنظرت عند ذلك الى وجه صاحبها سياوخش وحاله، فطارت نفسها شَعاعا، وكادت نيران زفراتها تنشر شعاعا، وصاحت بالويل والحرب. فاحترق عليها قلب أبيها، لكنه تجلد واستولت عليه القسوة فأمر بها فحبست فى بيت مظلم. والتفت كرسيوز الى صاحبه كُرو، فعمد الى سياوخش[1]، وجعل يسوقه بالإهانة والإذلال وأخو بيران يمشى خلفه باكيا. فالتفت اليه وودعه، وقال: اقرَ بيران عنى السلام، وقل له ما كان ظنى بك أن تخفر الذمام. قال: فعدلوا به عن الطريق الى الصحراء، فأضجعه كروزره على التراب، وذبحه بخنجر تناوله من كرسيوز فى طشت من الذهب. قال صاحب الكتاب: وإنهم[2] لما سكبوا دمه نبت منه النبت المعروف الذى يسميه العجم بخون سِياوُشان. وهو الذى يسمى فى بلاد العرب دم الأخوين. وهو الى الآن يجلب الى أطراف البلاد من ذلك المكان.

قال: ولما فرغ أفراسياب[3] من أمره ألقى عليه النوم، وغمرته غمراته حتى نام نومة عبّود أو كاد. وهبت إعصار ثار منها عجاج أظلمت منه الآفاق حتى كان أحدهم لا يرى فيه صاحبه. ثم إن فرى كيس لما علمت بأن سياوخش قد قتل قطعت قرونها وخمشت خدودها، ورفعت صوتها بالبكاء والعويل، وأخذت تلعن أباها أفراسياب رافعة صوتها بلعنه حتى سمعه. فأمر أن تبرز من الحجاب، وتبطح وتضرب بالعصى حتى تسقط ما فى بطنها. فمشى بيلسم الى أخويه لهّاك وفرشيذ،

(١) ك، كو، طا: وأخذ بأذنه وجعل يسوقه. (٢) ك: وانهم (لا). (٣) كلمة «أفراسياب» ليست في الأصل. والزيادة من ك، كو، طا.

وقال : الرأى أن نركب الى بيران ونعلمه الحال . فركبوا وأغذّوا السير حتى وصلو الى بيران فى أقرب أوان ، وأخبروه بما جرى على سياوخش . فغشى عليه ، وخر من تحته . ولما أفاق مزق ثيابه ، وبكى . فقال له بيلسم[(١)] : وإنه يريد أن يزداد داء على داء ، وينكأ قرحا على قرح . وذلك[(٢)] أنه أمر بإخراج فرى كيس من خدرها ، وضربها حتى تسقط ما فى بطنها . فركب بيران من فوره ، وطرد حتى وصل الى باب أفراسياب بعد يومين . فصادف فرى كيس فى أيدى الحرس وقد سلوا الخناجر عليها يريدون قتلها ، والقيامة بسبب ذلك على الخلق قائمة ، وهم يضجون ويبكون . فلما وقعت عين فرى كيس على بيران أجهشت اليه فسقط بيران من فرسه ، ومزق ثيابه ، وأمر الحرس بالكف عنها والإمساك عن قتلها ساعة حتى يخاطب أفراسياب فى أمرها . فبادر اليه حتى دخل عليه فقال : أيها الملك ! ماذا[(٣)] الذى صدر منك وفى أى شىء قتلت سياوخش ؟ وطفق يعنفه ويوبخه حتى انتهى الى حديث فرى كيس وقال : إن كان غرض الملك فى قتلها ألا يظهر منها ولد ينسب[(٤)] الى سياوخش فانى أحملها الى منزلى ، فاذا وضعت حملت اليك ما وضعت ، فترى فيه رأيك . فوهبها أفراسياب له . فخرج وخلصها من أيدى الحرس ، وحملها معه الى خُتَن ، فدخل بها الى إيوانه ، وأمر زوجته كُل شهر بأن تقوم على رأسها ، وتخدمها كما تخدم الأمة لمولاتها .

ذكر ولادة كيخُسرَو

قال : وبينما بيران نائم فى بعض الليالى اذ رأى فى نومه شمعة قد أشعلت من نور الشمس ، وسياوخش عندها وبيده سيف مسلول وهو يقول : ارفع رأسك من النوم ، وانظر الى ما يصير اليه حال الدنيا . فهذا العيد المبارك قد حضر ، والليلة ليلة ضيافة كيخسرو . ففزع بيران واستيقظ ، وقال لزوجته كُل شهر : قومى وادخلى على فرى كيس ، وانظرى . فقد رأيت مناما عجيبا . وقص عليها رؤياه . فقامت ودخلت عليها فصادفتها قد وضعت وبشرت بيران بما رأت ، ودعته الى الدخول عليها والنظر الى ولدها الذى لم ير مثله . فقام . ولما أبصره امتلأ سرورا ، ونثر عليه نثارات كثيرة ، وبهت لما شاهد من حسن قده ، وكمال خلقه . فجعل يبكى على سياوخش ، ويدعو على أفراسياب . ثم خرج وقال : لا أمكن الملك من هذا الصبى وإن نالنى بكل مكروه ، وقصدنى بكل محذور .

(١) طا : أخوه بيلسم . (٢) لك ، كو ، طا : وذاك . (٣) لك ، كو ، طا : ما هذا .
(٤) طا : ينتسب .

قال : ولما(١) أصبح بكر سائرا الى حضرة أفراسياب . فلما وصل دخل ، وانتظر خلو المجلس وتفرق القوم . ثم دنا من التخت وقال : أيها الملك ! قد زيد فى عدد عبيدك عبد كأنه صورة العقل . لا يشبهه أحد على بسيط الأرض . يشرق من مهده إشراق الهلال الزاهر . ولو عاش تور لقرت به عينه . وكأنه أفريذون قدّا ورواء وشكلا وبهاء . فسر بذلك أفراسياب حتى كأن الله انتزع(٢) ما كان فى قلبه من العداوة والبغضاء ، وتنفس متلهفا على سياوخش ، وقارعا سن الندم على ما سبق منه اليه . وقال لبيران : إنى قد بلغنى عن هذا القادم الجديد عجائب كثيرة . وقد ذكروا أنه يظهر من نسل تور وكيقُباذ ملك يستولى على جميع ممالك توران وايران . وأرى أنه هذا المولود . والمقدور لا محالة كائن ، ولا يؤثر فيه هم وفكر ، والآن فلا تربّ هذا المولود بين ظهرانى الناس ، ولكن سلمه الى بعض الرعاة ليربيه فى الجبال . حتى لا يفطن لما بينى وبينه من القرابة ، ولا يعلم ما وقع بينى وبين أبيه من العداوة .

فخرج بيران ممتلئا فرحا وسرورا حيث جرى الأمر على وفق مراده . فطفق يحمد الله تعالى على ذلك ويشكره . ثم استدعى رعاة كانوا يرعون النعم فى جبل هناك ، وسلم الصبى اليهم . وقال : ليكن هـذا عندكم بمنزلة أرواحكم من الأشباح ، مصونا من كل شىء حتى من الريح والتراب . فتسلموه ونشأ بينهـم . فلما أتت عليه سـبع سنين من عمره تحرّك منه العرق الشاهنشاهى ، وسما به الطبع الخُسَروانى ، فعمد الى عود فاتخذ منـه قوسا ، وعمل لها وترا من أمعاء الغنم ، وأخذ نشابا بلا ريش ولا نصل ، وجعل يتبع الصيد فى الصحراء ويتصيد . وكان ذلك دأبه حتى استكمل من العمر عشر سنين فصار يصطاد الخنازير والذئاب والنمور والسباع . وكان لا يعجبه غير ذلك . فخاف(٣) الرعاة عليه وجاءوا الى بيران يشتكون ، وقالوا : إنه كان فى الأوّل يصطاد الغزلان واليعافير فصار يصطاد الذئاب والخنازير . وهو الآن لا يتبع فى صيده إلا الأُسد والسراحين . وإنا نخاف عليه من ذلك ونخشى (٥٦)
أن يصيبه مكروه فنتعرّض لسخطك . فضحك بيران عند ذلك ، واستفزه الشوق اليه ، فركب الى الجبـل الذى هو فيه ، فأتوه به . فلما وقعت عينه على بيران بادر(٤) وقبل يده . فنظر بيران فى وجهه فرقّ له واعتنقه وضمه الى صدره ساعة . فقال له كيخسرو : أيها الملك ! كيف تعانق ابن راع يرعى الغنم ، ولا تعافه ؟ ودعا له . فازداد بيران له حبا حتى كاد يحترق قلبه عليـه فقال : يا أيمن الأولاد ، ويا سلالة الملوك الأمجاد ! ما أنت من أولاد الرعاة بل أنت سيد السادات . فاستحضر له الثياب الخسروانية ، والمراكب السلطانية فأركبه ورجع به الى إيوانه ، وجعله فى حجره يربيه ويكفله . حتى مضت على ذلك سنون .

(١) ك ، كو : فلما أصبح . (٢) ك ، كو : قد انتزع . (٣) طا : خافت . (٤) ك : بادره

فبينا هو ذات ليلة قاعد فى إيوانه إذ أرسل اليه أفراسياب يدعوه الى حضرته . فلما حصل عنده أخذ معه فى أنواع من الحديث ثم قال : كيف يليق أن يكون سبط أفريذون راعيا بين الرعاة؟ فانظر فان كان لا يذكر شيئا مما جرى من قبل فلا ينبغى أن يترك على حاله بين الرعاة فى رءوس الجبال . ومهما صدر منه ما نكره قتلناه واسترحنا منه . فقال بيران : أيها الملك! إنه صبى صغير لاحس عنده ولا عقل له ،ولا خبر عنده من الأحوال التى مضت، وكأنه شبه المجنون . فأمر بإحضاره . فامتنع بيران . ثم استحلفه على ألا يصيبه بمكروه فحلف له على ذلك . فرجع بيران الى إيوانه ، وأحضر كيخسرو ، وقال له : اذا دخلت على الملك ففرغ من العقل دماغك ، وأخل من الأدب نفسك . فاذا سألك عن شىء فلا تجبه إلا عن ضدّه وتجانن عنده، وعدّ نفسك أجنبية من كل معقول حتى تخلص منه . ثم خرج به حتى قدم على أفراسياب . فلما رآه تعجب منه وجعل يتأمل قدّه وقالبه وشكله وشمائله ، فتغير لونه . فبقى ساعة ينظر اليه ثم قال(١) : أيها الراعى الجديد! كيف ينقضى عليك الليل والنهار؟ ولماذا تدور خلف الغنم؟ فقال : ليس عندنا صيد ولا نشاب ولا قوس . ثم سايله عن معلّمه، وفاوضه فى الخير والشر وتصاريف الدهر فقال : أينما كان النمر مزق قلب الرجل الجرىء . ثم سايله عن أبيه وأمه وعن إيران وتوران فقال : الكلب لا يغلب الأسدْ . فضحك أفراسياب ، وأقبل على بيران ، وقال : كأنه لا قلب له ، فإنى اذا سألته عن الرأس أجابنى عن الذنب . وكأنه لا يقع منه محذور . وطالب الثأر لا تكون هذه صفته . فسلمه الى أمه ، وسرحهما الى مدينة سياوخش كرد ، ولا تمكن أحدا يعلمه الشر من أين(٢) يدور حواليه . فخرج بيران مسرور القلب بسلامة كيخسرو الى إيوانه ، وطفق يحمد الله(٣) ويشكره على ما جرى فى ذلك المجلس . ثم أطلق له من خزائنه جملة من الذهب والفضة والخيل والأسلحة والمفارش والملابس ، وسرحه الى مدينة سياوخش كرد . فدخل المدينة مع أمه فرى كيس ، فاجتمع عليهما الناس يبكون على سياوخش ، ويشكرون الله تعالى إذ أخرج من تلك الجرثومة الكريمة غصنا نضيرا ، وجعل خلَف ذلك القمر هلالا منيرا .

هذا منتهى الخبر عن مقتل سياوخش وما اتصل به . والآن نشرع فى ذكر نهوض الايرانيه لطلب الثأر ، وتخليصهم لكيخسرو عن تلك الديار ، وما يتعلق بذلك إن شاء الله تعالى .

(١) طا : قال له . (٢) ك ، كو ، طا : من أن يدور . (٣) ك ، كو : تعالى

ذكر الخبر عن اطلاع كيكاوُس على قتل ابنه سِياوَخش، وما جرى بعد ذلك

قال : ثم انتهى الخبر الى كيكاوس بمقتل ابنه سياوخش فنزل عن التخت وجلس على الأرض، وشق عليه الثياب، ووضع على رأسه التراب، وحضرته الإصبهبَذية والأمراء حفاة فى ثياب السواد وزىّ الحداد، تسيل أحداقهم بسيول الدموع، وتتضرم زفراتهم بين أحناء الضلوع . وانتهى الخبر بذلك الى رستم بن دستان وأبيه . فأما رستم فغشى عليه وخر صعقا . وأما أبوه فانه جعل ينتف شعره، ويضرب نحره، كأنه فجع بالروح . وصار كالغرق بين[1] دمعه المسفوح . فقعد[2] فى المأتم أسبوعا . فلما كان اليوم الثامن ركب رستم فى عساكره، وسار الى حضرة كيكاوس فدخل عليه حافيا قد نثر التراب على رأسه، ومزق الثياب على بدنه . وقال : أيها الملك ! قد حصدت ما زرعه سوء تدبيرك، واجتنيت ماأثمرته شراسة خلقك . وإن عشق سوذابه قد أزال تاج العقل من[3] رأسك، ومكن سكر الغفلة من دماغك حتى افضى بك ذلك الى أن عرضت سياوخش للهلاك الى أن استباحت الأعداء دمه . والموت خير من طاعة النساء، ومتابعة الهوى، وجعل يندب سياوخش ويتلهف على شمائله، وينوح على فضائله، ويحلف ليطلبن بثأره، ولينتقمن له من أعدائه (ولحظ كيكاوس عند ذلك رستم ودموعه جارية على خده)[4] فبكى ولم يحر جوابا عما قال . فقام رستم واقتحم على سوذابه، وألقاها من تختها، وجرها بقرونها حتى أخرجها من خدرها فوسطها فى الطريق بنصفين، وأقبل كالأسد الغضبان حتى جلس على باب الايوان . واجتمع[5] عليه أهل إيران، وقعدوا معه للعزاء يبكون ويضجون الى تمام أسبوع .

ثم أمر بضرب الكوسات والبوقات . فحضر جوذَرز وطوس وفرهاد وشيدوش فى جميع الإصبهبَذين والقوّاد والأمراء والأجناد . وحضر فرى بُرز بن كيكاوُس . فلما اجتمعوا تكلم عليهم رستم وقال لهم : لا تستصغروا هذا الأمر، وتشمروا للطلب بثار سِياوَخش فانى قد وطنت نفسى على أن أتوغل بلاد أفراسياب، وأجعل نفسى وقفا على الحرب حتى آخذ بثار سياوخش أو أقتل كما قتل . فوافقوه على ذلك . وجمعوا العساكر وتأهبوا للمسير . فاختار رستم اثنى[6] عشر ألف فارس، وضمهم الى ابنه فرامَرز، وجعلهم مقدّمة للعساكر . فتقدّم أمامهم حتى وصل الى اسفيجاب . وكان عليها من جهة أفراسياب ملك يسمى ورازاذ . وكان من أعيان ملوك الترك . فلما سمع بهم ركب

(١) لـ : من دمعه . (٢) كو : فقعدا . (٣) لـ ، كو : عن رأسك
(٤) مابين القوسين من لـ ، كو ، طا . (٥) لـ ، كو ، طا : فاجتمع . (٦) لـ ، صل : اثنا عشر

فى ثلاثين ألف فارس من أصحابه ، وتلقى فرامرز وسايله عن اسمه ، وقال : كيف تجاسرت أن تطأ هـذه الأرض ؟ فأبرق وأرعد وهدّد وأوعد ، وقال : أنا فرامَرز بن رُستَم . وها هو ورائى يتلظى كالنار متشمرا للانتقام ودرك الثار . فتصاف العسكران عند ذلك ، وقامت الحرب على ساق فقتل ٥٧ فُرامرز ورازاذ ، وانهزم عسكره . فكان أوّل قتيل اعتدّ به فى ثار سياوخش . ثم أمر بإحراق مدينة اسفيجاب ونهبها ففعلوا ذلك . وتناهى الخبر الى أفراسياب فأخذه المقيم المقعد ، فأعدّ واستعدّ ، وجمع العساكر ، وقدم ابنه سرجه[1] فى عشرة آلاف فارس . فسار طليعة لهم ، واستقبل فرامرز . فلما التقى الفريقان جرى بينهم قتال عظيم ، فبارز سرجه فرامرز فأبلى وأفرغ وسعه . فلما رأى أنه لا طاقة له بفرامرز عطف عنانه وتأخر . فأتبعه فرامرز كالريح العاصف ، والعقاب الخاطف ، فاستلب سَرْجَه من سَرجه ، وقبض عليه أسيرا ، وعاد به الى معسكره . وبدت فى تلك الحالة أعلام رستم مقبلة متواصلة . فاستقبله ابنه البهلوان الجديد ، والفارس[2] البطل الجليد ، وبين يديه أسيره سرجه . (فلما رآه أبوه سرّ به وبلقائه وارتاح لما رأى من آثار بلائه ، ونظر الى الشاب المأسور فرآه ذا زور كزور الهزبر وقدّ كقدّ السرو ووجه[3]) كالقمر ليلة البدر قد توشح عارضاه بخط من الشعر الرقيق كالكافور المغروز بالمسك السحيق . فأمر بقتله . فرق له طوس ، وراجع رستم فى أمره . فأبى وأشار أن يؤخذ به الى الصحراء ، ويضجع على التراب ، ويذبح فى طست ، حسب ما فعلوه بسياوخش حذو النعل بالنعل . ففعل به ذلك .

وبلغ الخبر بقتله الى أفراسياب فمزق ثوبه وبكى . ثم أمر عسكره بالجد والتشمير ، وحرضهم على الثبات والصدق فى لقاء الايرانيين . فأصمّوا مسامع الأرض بأصوات الطبول ، وتشذروا صهوات الخيول ، وتقدّموا كجبال الحديد ، كأنما يشققون الأرض بالإرعاد والوعيد . فسمع بذلك رستم فتلقاه بصفوفه المرصوفة[4] وجموعه الموصوفة[5] يخفق عليهم لواؤه المنصور ، ودرفش كابيان الميمون . فاحمر البأس وحمى الوطيس . فقال بيلسم أخو بيران عند ملتحم القتال لأفراسياب : أنا أبارز اليوم رستم ، ولا أبالى ببأسه وبطشه ، وآتيك برأسه ورخشه . فقال : إن فعلت ذلك زوجتك ابنتى ، وملكتك ثلثى ممالك توران . فانتهره أخوه بيران ، وقال : لا تتعرّض للهلاك ، وأخذ يمنعه من ذلك . فلم يقبل من أخيه ، وخاض غمرة الموت فصاح بالايرانيين ، وقال : أين رستم الذى تزعمون أنه كالثعبان عند الضراب والطعان ؟ فلما سمع ذلك جيو استشاط متنمرا ، وانتزع الجرز من حلقة سرجه ، وبرز اليه ،

(١) اسمه فى الشاه : سَرخه . (٢) ك : الفارس (لا) . (٣) ما بين القوسين من ك ، كو ، طا .
(٤) ك ، كو : المرصوصة . (٥) ك : وجموعه المرصوفة الموصوفة .

وقال : إن رستم يأنف(١) من مبارزة تركى مثلك . فثار(٢) كل واحد منهما الى صاحبه فطعن جيوا طعنة أزالت قدميه عن ركابيه . فتصدّى له فرامرز وضرب رمحه بسيفه فقطه . وجعلا يتقاتلان ويتصاولان . فنظر رستم اليهما من بعيد فأمر العساكر ألا يتحرّكوا من موقفهم . وأشرع(٣) رمحه، وركض رخشه، وأقبل على بيلسم فطعنه طعنة اختطفه بها من(٤) ظهر الفرس، وجدّله قتيلا . فانكسر قلب أفراسياب عند ذلك ثم اقتحم بنفسه غمرة الحرب . فتلاطمت الصفوف، وتشاجرت الرماح(٥) والسيوف، وتتابعت الحملات على طوس فى الميمنة حتى تزلزل قدمه، وأحجم عسكره، وانكشف جمعه . ثم أقبل أفراسياب على رستم فى القلب يتابع الحملات عليه، فطعن رستم فى خاصرته طعنة كادت أن تأتى عليه غير أنه لم ينفذ سنان رمحه فيه لمكان منطقته . فثار عند ذلك رستم وشدّ عليه وطعنه طعنة أذرته(٦) عن ظهر فرسه . وهم رستم أن يأخذه بمعاقد منطقته، فلحقه هومان أحد أمراء الترك، فضرب رستم فيما بين كتفيه بعمود كان معه . فنجا أفراسياب، وركب فرسا آخر . فسر أصحابه عند ذلك بسلامته، ووضعوا الرماح على أكتافهم، وولوا هاربين . فأتبعهم رستم ثلاث فراسخ ثم رجع بظفره الى معسكره . وهرب أفراسياب حتى لم يطلع أحد على خبره .

ذكر استيلاء رستم على بلاد الترك وسلطنته بها

قال : فركب(٧) فى جميع من كان معه من الايرانيين، وسار حتى انتهى الى بحر الصين . وجلس على تخت أفراسياب، واستولى على خزائنه(٨) وأمواله وكنوزه وذخائره . فأعطى طوسا تختا من العاج، وكتب له منشورا على ممالك الشاش، وأوصى اليه بالاحسان الى من دخل تحت الطاعة من الرعية، ووضع السيف فيمن يظهر من الأعداء . ونفذ الى جوذرز تختا من الذهب مع طوق وقرطين، وعقد له على اسفيجاب والسغد . ونفذ الى فرى برز بن كيكاوس جملة من الجواهر والنفائس، وقال له : أنت أخو سياوخش فشدّ وسطك لطلب الثار، ولا تركن الى السكون والقرار . قال : واستفاضت الأخبار فى جميع ممالك توران بجلوس رستم على سرير الملك، وقيامه مقام أفراسياب . فانثالوا على حضرته بالهدايا والتحف . فتلقاهم بعاطفة الأمان وشملهم بالعدل والاحسان

(١) ك، طا : ليأنف . (٢) ك : فبادر . (٣) صل : جرد رمحه . والتصحيح من ك، كو، طا .
(٤) ك، طا : عن ظهر . (٥) ك، طا : الأرماح . (٦) ك، كو : أردته . (٧) كو : ولما كان من الغد ركب رستم الخ . (٨) ك كو، طا : ذخائره وأمواله وكنوزه وخزائنه .

ثم أقبل على الصيد والطرد . ومكث على هذه الصفة فى تلك الديار سنين عدّة . فقال له أخوه زواره ذات يوم : إنا لم نقصد هذه البلاد إلا للأخذ بالثأر . فما بالنا لا نضع فيهم السيف، ونسلط عليهم يد الأسر والنهب؟ فحرّك من أخيه قلبا ساكنا، ونفرّ منه طيرا واقعا، ووافقه على هذا الرأى. فشنوا الغارات على أهل تلك الممالك ، وسلطوا عليها أيدى الفساد والإبادة حتى محوا منها آثار العمارة . وما تركوا من حدود توران الى حدود الروم وسقلاب مدينة إلا أحرقوها، ولا ضيعة إلا خربوها ونهبوها ،وقتلوا كل من وجدوا فيها من الكهول والشبان ،وسبوا من عداهم من النساء والصبيان فضج من بقى من أهل تلك الديار، وقصدوا رستم، وقالوا : إنا برآء من أفراسياب ، ولسنا نريده أبدا . ولا نعرف أين توجه . وأنت بعد أن تمكنت[١] من هذه الديار وأهلها فانظر بعين الرأفة والرحمة الينا ، وكف يد القتل والنهب عنا . فأقصر عند ذلك عنهم ، ورحل وساق عساكره حتى نزل فى بلد سماه من تلك البلاد . وجمع عنده الأمراء والقوّاد والإصبهبذية، وقال : إن كيكاوُس قاعد وحده على التخت ، وليس على بابه أحد من الأمراء والأكابر . ولا نأمن مكر أفراسياب ، وأن يخرج من بعض الأطراف ويقصده فلا يجد من يدفعه ، ويقع محذور لا يطاق . ونحن فقد أدركنا ثأرنا، والرأى أن نعاود حضرة ذلك الملك الكبير . فاستصوبوا ما رآه . فأمر بجمع السبايا وضبطها. فبلغ عدد من كان منهم[٢] من قرائب[٣] أفراسياب اثنى[٤] عشر ألفا ،فضلا عمن صاروا جزر الرماح والسيوف
(٥٨) وطعم الوحوش والطيور . وأوقروا الفيلة بنفائس الجواهر ونوافج المسك ، وانصرفوا راجعين . فلما وصلوا الى نيم روز تلقاهم دستان ، وأقام رستم هنالك . ورحل طوس وجوذرز وسائر الإصبهبذيه والأمراء والقوّاد طالبين حضرة كيكاوس فوصلوها سالمين غانمين .

قال : ولما رجع الإيرانيون وخلت منهم بلاد الترك ظهر أفراسياب من أقصى المشرق فصادف قصوره رمادا تذروه الرياح ، ومساكنه معطلة تأوى إليها الوحوش والسباع . فجمع من أصحابه وأهل مملكته ،ممن أفلتوا من مخالب المنون، جماعات مجمعة وأوشابا[٥] مختلفة. فاستأنف[٦] الأمر، وجعل يستعد ويحتشد الى أن كثف سواده، وكثرت عدده وعتاده. وحرضهم على الاهتمام للانتقام، وقال : لا تنكسرنّ قلوبكم باستيلائهم على ديارنا هذه المرة . فانى سوف أجزيهم كيل الصاع بالصاع ، وانتقم منهم بحز الكفاح وصدق المصاع . فكان يعيث فى أطراف ممالك إيران ، ويفسد فيها على عادته الذميمة وسيرته القبيحة . على ما سيأتى إن شاء الله .

(١) لك كو، طا : مكنت . (٢) لك : معهم . (٣) لك : قرابة . (٤) لك، صل : اثنا عشر.
(٥) طا : أوباشا . (٦) لك، لو : واستأنف .

ذكر رؤيا جوذرز وإنفاذه جيوا الى بلاد تركستان لطلب كيخُسرَو، وتخليصه (١) له

قال : وكان جوذرز بن كشواذ ذات ليلة نائما إذ رأى فى منامه سحابا كثير الماء، فى أعنان السماء . وفيه ملك يناديه ويقول له : أرعنى سمعك ؛ اعلم أن فى بلاد توران ملكا مذكور الاسم يسمى كيخسرو . وهو ابن سياوخش، ينتمى من جهة أبيه الى كيقباذ، ومن جهة أمّه الى تور بن أفريذون . وأنه اذا قدم إيران نال كل ما أراد، وشد وسطه لطلب ثار أبيه، ثم لا يفتر حتى يملك بلاد الترك عنوة وغلابا، فتصير من وطأته خرابا يبابا . ولا يخلص إليه غير جيو من أهل إيران وأكابرها . فانتبه جوذرز مسرور القلب منشرح الصدر .

ولما أصبح جلس على تخته، ودعا بولده جيو، فقرظه ومدحه، وقص عليه رؤياه، وحرضه على المسير الى بلاد الترك لطلب وارث الملك . فتلقى جيو أمر أبيه بالسمع والطاعة . ولما كان (٢) الغد شدّ عليه سلاحه، وركب فرسا، فدخل على أبيه، وقال : يا بهلوان العالم! يكفينى هذا الوهق وهذا الفرس . فانه لا يمكن الدخول الى تلك الديار بأكثر منهما . وهأنا (٣) قد عزمت . وسوف أعود، بسعادتك، بقلب مسرور وسعى مشكور . وخرج وهو يبكى ويتوجع . ومضى حتى دخل بلاد الترك . فتوغلها وحيدا كالعلم الفرد، والأسد الورد . وكان كلما رأى واحدا من أهلها خاطبه بالتركية، وسايله عن كيخُسرَو . فان قال « لا أعرفه » طير رأسه، ووارى بالتراب شخصه حتى لا يعلم أحد خبره، ثم مضى لشأنه . ومكث كذلك يدور فى بلاد توران راجيا للوقوع على أثر (٤) كيخُسرَو حتى أتت عليه سبع سنين، لم يضع فيها ساعة سلاحه، ولا أراح يوما فرسه، ولا يأكل غير لحوم الوحش، ولا يلبس غير جلودها، يسير بين الجبال والشعاب بعيدا عن الأحباب والأصحاب، حليفا للوجوم أسيرا للهموم . وكأنما تكلم على لسانه مترجم الكتاب الفتح بن على، حيث باح بشكوى الاغتراب حين شطت داره، وامتدّت أسفاره، حيث قال فى كلمة (٥) له :

فياصاح استمع أبثك (٦) شكوى نزيع لا يرى يوما قرارا
بعيد الدار من أعلام جىّ تغرب يركب الخطط الغمارا
فيوما بين وحش الريف ضيفا ويوما عند ذئب القاع جارا

(١) ك : وتحصيله له . (٢) ك، طا : من الغد . (٣) ك، طا : هأنذا . (٤) ك، طا : أثر من .
(٥) كو : كتبها الى والده أبى الحسن البندارى رحمه الله بأصبهان . (٦) ك : أنبيك .

تكالفه خطوب الدهر حتى كأن لديه للأيام ثارا
وتغزوه بجيش بعد جيش وها هو يوسع الكل انكسارا
بصولة نافض عن لبدتيه حكت أظفاره الأسل الحرارا
وسطوة رابض فى ظل بأس يشق به على الفلك الصدارا

وكما عاد جيو بلدىّ هذا العبد إصبهانَ، بعد أن طالت سفرته، وتمادت غربته، مقرون السعى بالنجاح، فائزا بالمعلّى من القداح فكذلك هو يرجو أن يثنى عنانه، ويعاود أوطانه، صاعد الجد، وارى الزند، بسعادة مولانا السلطان الملك المعظم، سيد ملوك العرب والعجم — لا زال ممتعا بالبقاء، متلفعا بملابس المجد والسناء آمين .

نعم فانتهى جيو ذات يوم الى مرج كثير النبات معشب الجنبات، فخلع لجام فرسه، وأرسله يرعى، وقعد متفكرا فى حاله وما يعانيه من وعثاء سفره، وقال فى نفسه : كأن كيخُسرَو لم يولد، وإن كان قد ولد فقد مات وفات . فبينما هو كذلك متحيرا واليأس آخذ بمخنق أمله، والندم قارع سن عمله إذ تراءى له من البعيد شخص كالقمر الطالع والسرو الباسق، بيده جام من الرحيق، وفى رأسه طاقات من نوار الأرض وأزاهيرها، يترقرق فى وجهه ماء السعادة وتلوح فيه آثار السيادة، كأنه معتصب بتاج السلطنة وقاعد على تخت المملكة . فقال جيو فى نفسه : يشبه أن يكون هذا مقصودى ومن أنا باذل فى طلبه مجهودى . ثم إنه لما وقعت عينه على جيو أقبل اليه وهو يضحك . فتلقاه جيو، وقال : أيها المُلْك[1] الشهريار الكبير! ما أشك أنك كيخسرو بن سياوخش . فقال : وأنا ما أشك أيضا أنك جيو بن جوذرز . فقال : أيها الملك! من أخبرك عن جوذرز؟ ومن أين تعرف جيوا؟ فقال : أخبرتنى بذلك أمى عن أبى سياوخش . فانه حين أوصى اليها أخبرها بأنك تقدم من نواحى إيران، وتستصحبنى اليها . فقال جيو : أيها الملك! وما الذى معك من علامة الكيانية؟ فكشف عن جسمه، وأراه شامة سوداء فى عضده كنقطة من المسك على عمود من الكافور . وتلك علامة صحة[2] النسب واتصاله بكيقباذ . فلما رآها أكب عليها يقبله ويبكى . ثم سايله عن إيران وعن الملك كيكاوس وعن جوذرز وعن رستم بن دستان . وخرجا معا من ذلك المرج . وطفق كيخسرو يسايل جيوا عن حاله وما[3] تحمله فى مدّة سبع سنين من سفره، وعن مطعمه ومشربه . فأخبره عن منام جوذرز وخروجه بسبب ذلك، وأخبره بضعف كيكاوس بالكبر، وانكساره بمقتل

(١) ك، كو، طا : الملك (لا) . (٢) ك : صحة (لا) . (٣) صل : و بما تحمله . والتصحيح من طا .

سياوخش . وعرّفه خراب ممالك إيران، وما ظهر فيها من العيث والفساد . فأثر ذلك فى قلبه حتى ظهر على وجهه . فقال له : أما أنت فقد تعنيت عناء شديدا ، وتعبا كبيرا . وستجنى ثمرة ذلك، وتلقى جزاءه . فركب فرس جيو وهو يمشى بين يديه راجلا ، وفى يده سيف مسلول يطير به رأس كل من لقى . وانتهيا الى[1] سياوخش كرد فدخلاها ، وأخبرا فرى كيس[2] بالحال . واجتمعوا (٥٩)
يتشاورون فصمموا العزم على الهرب . وقالت فرى كيس : إن لم نبادر على الفور فاتتنا الفرصة ، وضاق بنا الأمر، واطلع أفراسياب على الحال، فلا يبقى منا أحدا . وأخرجت سرج فرس سياوخش المسمى بهزاد الذى أوصاه بالتوحش، كما سبق . وأشارت عليه أن يخرج هو وجيو به الى مرج قريب ذكرت أن ذلك الفرس يرعى فيه، وأنه اذا رأى هذا السرج عرفه ووقف . فأمرت كيخسرو أن يسعى اليه عند ذلك، ويمسح غرته ويلاطفه، ويسرجه ويلجمه، ثم يركبه . فصار الى ذلك المرج، وجرى الأمر على ما ذكرت، وعاد بالفرس الى أمه . ففتحت باب كنز[3] لسياوخش مملوء بالجواهر والنفائس، والأسلحة والعدد . وقالت لجيو : ارفع من هذا الكنز ما اشتهيت من الجواهر والنفائس . فاختار جيو درعا كانت لسياوخش . وحملوا من ذلك ما استطاعوا . وأوثقوا باب الكنز . ثم ركب كيخسرو وأمه فرى كيس وجيو، وخرجوا من المدينة ، وأخذوا فى طريق إيران يسوقون كالريح العاصف والبرق الخاطف . فلم ينكتم أمرهم على أهل المدينة ساعة واحدة فأنهوا الحال الى بيران . فاهتم من أجل ذلك واضطرب ، وأركب أمراءه : بولاذ وكلباذ ونستيهن فى ثلثمائة فارس من أعيان العسكر، وأمرهم بالركض فى آثار القوم والقبض عليهم . فركبوا يطردون خيلهم، ويقصون أثرهم حتى قربوا منهم . فرآهم جيو من بعيد فركب وخلى صاحبيه، وكانا نائمين، وتلقاهم غير مفكر فيهم، فوقع فيهم كما يقع الأسد الضارى فى قطيع[4] من الغنم، فجرى بينه وبينهم مقتلة عظيمة، وقتل أكثرهم، فرجعوا خائبين، وعاد جيو الى مكانه سالما ، وحدّث بما جرى كيخسرو وأمه، فحمداه ودعوا له . ثم ركبوا وعدلوا عن الجادة الى طريق غامض ، وساروا طردا وركضا .

قال : ولما رجع أمراء بيران اليه استخبرهم عن حالهم وعن الهارب الذين ساروا فى طلبهم ، فشرع كلباذ يحكى ما جرى عليهم . فغضب بيران وصاح عليهم ، وجعل يعض على يديه ، فركب فى طلبهم فى ألف فارس ، وحرضهم على الجدّ، وقال[5] : لو حصل كيخسرو وجيو فى إيران لصارت نساؤها كالأسود، ثم لا يتركون من ديارنا نجما ولا شجرا، ولا يبقون لها عينا ولا أثرا . وسار فى أثرهم،

(١) ك : مدينة سياوخش . (٢) كو : فرنكيس . (٣) ك ، كو ، طا : كنز كان
(٤) ك : قطيع الغنم . (٥) صل : كان . والتصحيح من كو ، ك .

ولم يزل يطرد و يسوق حتى وصل الى واد عميق كثير المـاء، فتفرق العسكر فى طلب المخاض . وقد كان جيو مع صاحبيه قد عبروا فى تلك الساعة، ونام هو وكيخسرو، وقعدت فرى كيس على الرصد تحفظ الطريق . فلمـا رأت أن الطلب قـد أدركهم أيقظت النائمين . فقام جيو ولبس الدرع . وقال له كيخسرو : لا بد أن أركب معك، ونقاتل القوم جميعا . فمنعه جيو وأشار عليه بأن يصـعد مع أمه الى جبل هناك يشرفان منه على العسكر . وقال : ليس فى إيران من يصلح للملك غيرك . فلا ينبغى أن تعرض نفسك للمحذور . وأما أنا فإن قتلت فلأبى(١) ثمانية وسبعون ابنا كل واحد منهـم مثلى، ويقع خلفا عنى . ثم ركب وتلقاهم الى شط النهر . فلما رآه بيران من ذلك الجانب صاح عليه، وجعل يشـتمه، وقال : أتحسب أنك تدخل وحدك هـذه الممالك ثم تنجو بنفسك . ولو كنت من الحديد فلست إلا رجلا واحدا . وستحيط بك الفرسان فيمزقون هذه الدرع عليك شققا، و يفرقون أوصالك فرقا . فقال له جيو : أيها الفارس المقدام ! إن كنت رجلا واحدا وأنت فى ألف فاعبر هذا المـاء، وانظر كيف تكون العاقبة . فغضب(٢) وخاض المـاء حتى قطعه . فاحتال عليه جيو، بعد أن قاتله ساعة، فولاه ظهـره وهرب مستجرا له حتى بعـده عن أصحابه . ثم كر فتقاتلا قتالا عظيما، فولى منـه بيران منهزما، فاتبعه، وحل وهقا كان معه وحلقه عليـه، فأوثقه ورماه الى الأرض واستأسره(٣)، وقيد يديه و رجليه، وطرحه الى التراب(٤) فى تلك الصحراء . وأخذ سلاحه فلبسه، وركب فرسه، وأخذ رمحه، ورجع عائدا الى شط النهر، فعبر المـاء وهم يظنون أنه بيران . فلما خرج اليهم سل سيفه وقاتلهم حتى هزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا . ثم رجع وعبر المـاء، وجاء الى بيران، وأراد أن يقطع رأسـه فجره على التراب مقيدا الى أن انتهى به الى كيخسرو وأمه، وقال : اغتر سياوخش بقول هذا الخبيث حتى توغل تلك الديار، وأصابه ما أصابه . فلا بد من قتله . فطرح عنـد ذلك بيران نفسه بين يدى كيخُسرَو، وقبل الأرض، وقال : أيها الملك ! ليس بخاف عليك ما انطويت عليه من خلوص عبوديتك وصـدق موالاتك، وما تحملته فى كف عاديه أفراسـياب عنك . فالآن جزائى على ذلك تخليصى(٥) من يد هـذا الثعبان . وكان جيو يراقب كيخُسرَو و ينتظـر ما يأمره به . فبكت فرى كيس، وذكرت لجيو ما عمل بيران فى حقها من حسن الدفاع عنها حين هم أفراسـياب بقتلها . وتشفعت اليـه فى بابه . فقال لها جيو : إنى حلفت بالأيمان المغلظة أنى اذا ظفـرت به خضبت الأرض بدمـه . فقال كيخُسرَو : تجرح أذنه بالخنجر حتى يقطر على الأرض دمـه،

(١) كو، لك : فان لأبى ثمانية وسبعين . (٢) لك، كو، طا : فغضب بيران . (٣) لك، طا : وأسره
(٤) كو، لك، طا : على التراب . (٥) لك : خلاصى .

ولا تحنث(١) فى يمينك . ففعل جيو ذلك . ثم تشفع(٢) بكيخسرو اليـه فى أن يرد فرسه عليه . فقال: لا أردّه عليك إلا بعد أن أشدّ يديك وأعقد عليها عقدا ، وتحلف ألا يحلها أحد غير زوجتك كلشهر . فحلف له على ذلك . فربط يديه ، وأركبه فرسه ، وخلى سبيله . فرجع وعبر الماء عائدا نحو مدينته وأصحابه .

وكان أفراسياب قد اطلع على الحال ، وركب فى عسكر كثيف ، وطار بجناح الركض فى الأثر . فلما وصل الى الموضع الذى قاتل فيه جيو كلباذ وأصحابه رأى ذلك الفضاء مفروشا بجثث القتلى . فقال : من دخل هذه البلاد ، وقدر على كيخسرو ، وخلص اليه ؟ وطفق يشتم بيران ، ويفيل رأيه ويسفه عقله حين منعه من قتل كيخسرو وقتل أمه . فقال سپهرم : إنه كان(٣) جيو بن جوذرز ليس معه أحد . وطلع فى الحال عسكر بيران راجعين ، فظن أفراسياب أنه قد ظفر بجيو ، فتلقاه مسرعا . فلما دنا رآه مخضوب الوجه بالدم ، مربوط اليدين مكتفا ، قد أثخنه الضرب . فاستخبره أفراسياب عن حاله فحكى له ما جرى عليه . فاغتاظ أفراسياب من ذلك ، وصاح على بيران ، وأمر بإبعاده ، ومضى لوجهه جادا فى الطلب ، وحث هومان ومن معه على السير الحثيث ، وقال : هذا من آثار صحة كلام الأولين حيث قالوا : إنه يظهر من نسل كيقباذ وتور ملك يخرب جميع بلاد توران ، بعد تملكه لها واستيلائه عليها .



قال صاحب الكتاب : وأما جيو فانه وصل مع من معه الى شاطىء جيحون ، فالتمس ممن كان هنالك مرصدا لأخذ الباج على المراكب(٤) أن يعبرهم فى بعض السفن . فامتنع عليه ، وقال : لا أعبركم إلا بواحد من أربع ؛ إما أن تعطينى درعك أو هذا الفرس ، يعنى بهزاذ ، أو هذه الجارية ، يعنى فرى كيس ، أو الغلام ، يعنى كيخسرو ، وأصر على ذلك . وكان جيو خائفا من لحاق الطلب به ، فقال لكيخسرو: إن كنت ولد سياوخش فخض هذا الماء واقطعه الى ذلك الجانب كما فعل من قبل أفريذون حين عبر على دجلة الزوراء . فقال كيخسرو : الرأى ما تقول . فنزل وسجد لله تعالى ، وتضرع اليه ، وقال : أنت الحافظ فى البر والبحر ، وأنت المستعان فى السراء والضراء . ثم ركب الأدهم ، واعترض به الماء . (ب) ووافقه جيو وفرى كيس فقطعوا

(أ) الباج معرب باژ وهو بالفارسية الجزية ، والمكس . (ب) هذا يذكرنا بما فعل البطل جلال الدين خوارزمشاه حين حاربه المغول على ضفاف السند ، فلما غلب على أمره ، بعد أن قاتل قتال الأبطال ، أقحم فرسه ضفة النهر من مكان عال ، وقطع النهر على ظهر الحصان والمغول معجبون به متعجبون من أمره .

(١) لـ ، كو ، طا : فلا تحنث . (٢) كو : تشفع بيران . (٣) كو : كان (لا) . (٤) لـ : المركب .

تلك الأمواج المتلاطمة حتى خرجوا من ذلك الجانب سالمين . فاغتسل كيخسرو، وسجد شكرا لله تعالى على سلامته . فقضى الملاحون العجب مما رأوا منهم ، وجعلوا يتفاوضون الحديث فيه فيما بينهم . فبينما هم كذلك إذ وصل أفراسياب فزعق(١) على صاحب الرصد ، وقال : كيف كان عبور هذا الجنيّ على هذا الماء؟ فقال : أيها الملك إن أبى كان صاحب الباج على هذا الماء، ولما مات خلفته أنا . فلم نشاهد أحدا خاض هذا الماء فقطعه الى ذلك الجانب . لا سيما فى فصل الربيع عند تزايد الماء ، واشتداد الهواء . وقد عبر هؤلاء الثلاثة خائضين . وكأن الهواء حملهم، والى ذلك الجانب أوصلهم، فاستحضر السفن والمراكب، وعزم على العبور . فمنعه هومان، وقال : لا تعجل، واعلم أنك إن عبرت بهذا العسكر الى أرض ايران فانما تلقى نفسك فى أفواه الثعابين، ولهوات الأسود . والدنيا من هاهنا الى أقصى المشرق لك وتحت حكمك . فاشتغل بحفظها، ولا تشغل سرك بسبب أهل ايران . فانه لا ضير عليك منهم . فرجع عند ذلك خائبا خاسرا يعض على يده ، ويكاد ينفطر من غيظه .

ذكر مقدم كيخسرو إلى إيران، واحتفال أهلها له واستبشارهم به وما يتصل بذلك

قال : ولما وصل كيخسرو وجيو الى خراسان طيّر جيو الرسل الى الأطراف بقدوم كيخسرو، فاختار فارسا وأمره أن يسير الى أصبهان، ويبشر أباه جوذرز بن كشواذ بطلوع صبح ما ارتجاه، وحصول مقصوده ومناه . فلما أتاه الرسول، وناوله الكتاب، وأدّى اليه الرسالة وثب قائما، ووضعه على رأسه، ونثر عليه الجواهر، وطيّر الكتب الى كيكاوس يخبره بذلك . وانثالت الإصبهبذية والأمراء الى أصبهان من كل صوب لتلقى كيخسرو واستقباله . فأمر جوذرز بتزيين قصره الكبير، وفرشه الديباج(٢) والحرير . ووضع فيه تختا من الذهب مرصعا بالجواهر . وأعدّ لكيخسرو كل ما يحتاج اليه من تاج وتخت وسوار وطوق، الى غير ذلك من الخيل والبغال ونحوها . وزينوا البلد وعقد والآذينات فى جميع نواحيه . وخرجوا لاستقباله ، وأبعدوا حتى لقوه على ثمانين فرسخا . فلما وقعت عيونهم عليه ترجلوا وسجدوا له . ولما وقعت عين جوذرز عليه تنفس الصعداء وتبادرت عبراته، ثم بعد إقامة مراسم الخدمة عزاه عن أبيه سياوخش، ودعا له بطول البقاء ودوام المجد والسناء . ثم عطف على ولده جيو، وقبل ما بين عينيه، وشكر سعيه . وساروا فى خدمة كيخسرو حتى دخل أصبهان، ونزل فى القصر الذى أعدّ له . وأقام أسبوعا ثم خرج مع(٣) جوذرز وغيره من الأكابر والأمراء ممن كان هناك، وتوجهوا نحو اصطخر . فلما قربوا منها تلقاهم الإصبهبذية والأكابر بالخيول المجللة بالديباج

---

(١) صل : زعق أفراسياب . والتصحيح من ك، كو، طا . (٢) ك، طا، كو : بالديباج . (٣) طا : معه

قد ضمخت أعرافها بالمسك والزعفران، وعلقت عليها قلائد الياقوت والمرجان . فدخلها وأرجاء المدينة تطن بضرب البشائر، وأصوات القيان على أصوات(١) المعازف والمزاهر . وكان الناس يخاطبونه بما عبر عنه الشاعر وقال :

طلوع هداه الينا المغيب ويوم تمزق عنه الخطوب
اليه تمج النفوس الصدور وفيه تهنى العيون القلوب
قدمت قدوم رقاق السحاب م تخط والربع ربع جديب
وما ضحك الدهر إلا إليك م مذ بان فى حاجبيه القطوب(٢)

قال : ولما دخل كيخسرو على كيكاوس قام ونزل له عن تخته واعتنقه وقبل وجهه . فسجد له كيخسرو وقبل الأرض بين يديه . ثم سايله عن حاله وما قاساه فى حالتى حله وترحاله. فأخذ يخبره عن جميع ما جرى عليه، ثم ذكر جيوا وأطنب فى مدحه، وشكره ووصفه بحسن البلاء وصدق المناصحة . ثم قام وخرج إلى قصر كان لكشواذ أبى جوذرز قد هيئ(٣) وزين له . فحضر على بابه جميع الإصبهبذية والأمراء، وسلموا عليه بالسلطنة، ووفوا له مراسم(٤) الطاعة والخدمة . ولم يأب ذلك غير طوس بن نوذر، وهو صاحب الكوس والمداس الذهبى، وحافظ الدرفش الجاويانى، فكان يتعصب لفرى بُرز بن كيكاوس . فغضب جوذرز من ذلك واحتد، وأرسل اليه جيو وأمره أن يقول له : إن جميع الأكابر خضعوا لكيخسرو وأذعنوا له . فما بالك لا تدخل تحت ربقة الطاعة، وتتقاعد عن الخدمة؟ فبادر إلى خدمة ملك ما وطئ إيران أكرم منه عنصرا، ولا أنفس جوهرا، ولا أيمن قدما ومقدما . ومهما لم توافق على ذلك فليس بينى وبينك غير السيف . فلما أتاه جيو وأدى الرسالة قال : اعلم أننى أنتمى الى الملك المبارك منوجهر . وليس على باب كيكاوس، بعد رستم ابن دستان، أجل قدرا ولا أفخم شأنا منى . وأنا لا أرضى بأن يكون الملك لكيخسرو مع وجود فرى بُرز بن كيكاوس، واستعداده للملك واستحقاقه للسلطنة بالحسب الظاهر والنسب الزاهر. وكيف يجوز أن يكون الحافد وارث التاج والتخت مع وجود الابن؟ ونحن لا نرضى ملكا من نسل أفراسياب وشجرة بشَنج. وأنَّى يجوّز العقل استرعاء الذئب على قطيع الغنم. وهذا أمر شنيع لا أوافقكم عليه. فرجع جيو الى أبيه بجوابه فغضب والتهب . وكان له ثمانية وسبعون ابنا فركبوا فى اثنى عشر ألفا، وخرجوا لمحاربة طوس. وركب طوس فى أصحابه ورجاله وخيوله وأفياله. فلما اصطف الفريقان راجع طوس (٦١)

(١) طا : أوتار . (٢) صل : الخطوب . لـ : الشجوب . طا الشحوب . (٣) لـ : وقد
(٤) لـ، كو، طا : ببراسم .

نفسه، وقال: إن جرى بيننا حرب لم يخل من قتل، وتداعى(١) ذلك الى فتن لا يؤسى جرحها ولا يجبر وهنها أبد الدهر. فنفّذ الى كيكاوس بأن يتدارك الأمر ويتلافى الخلل. فأرسل كيكاوس الى جوذرز يستكفه ويستدعيه الى الحضور بين يديه. فحضر جوذرز، وحضر طوس، وتكلم كل واحد منهما بما فى نفسه. فقال: لا سبيل إلى أن أوثر بالملك منهما إلا من كان الفاتح لقلعة بهمَن التى هى بنواحى أردبيل من بلاد آذر بيجان§. فليقصداها وليحاصراها. فمن أجرى الله فتحها على يده فهو صاحب التاج(٢) والمخصوص بالسلطنة والملك. فركب طوس فى عساكره، وسار بين يدى فرى بُرْز الى تلك القلعة. وكانت قلعة حصينة شرفاتها فى أعنان السماء، ولا طريق اليها من شىء من نواحيها(٣)، تحرسها الشياطين. فلما وصلوا اليها ركب طوس وطاف حوالى القلعة. فلما دنا منها التهبت الأرض التهاب النار فصارت الأسلحة كالحدائد المحماة تذوب تحتها أبدان الكماة. فلما لم يجد اليها سبيلا، وعجزوا عنها رجعوا القهقرى بعد أن أقاموا أسبوعا. فلما بلغ ذلك جوذرز استعد وسار مع كيخسرو حتى وصلوا الى القلعة. فكتب كيخسرو كتابا الى سكانها من الشياطين، وهدّدهم وأوعدهم، وأمرهم بالإفراج عنها والخروج منها. وأمر فربطوا الكتاب على رأس رمح، ودفعه الى جيو، وأمره أن يحمل ذلك الرمح وينصبه فى حائط(٤) القلعة على اسم الله تعالى ويرجع. ففعل جيو ذلك. فلما انصرف غاب ذلك الكتاب فثار غبار عظيم من القلعة، ورجف سورها رجفة عظيمة سمع لها صوت كصوت السحاب الراعد. فثار منها عجاج أسود أظلمت به الآفاق. فركب كيخسرو عند ذلك، وأمر العسكر أن يرشقوا

§ آذربَيجان كثيرة الجبال أرضها بركانيــة كثيرة الزلازل وقد خربت الزلازل كثيرا من مدائنها وقــراها.

وكانت — كما يقول ياقوت — «بلاد فتنة وحروب ماخلت قط منها فلذلك أكثر مدنها خراب وقراها يباب».

وكأنه لكثرة نيرانها الطبيعية اتخذ الفرس القدماء فيها بيوتا للنار عظيمة. ومن أجل هذا شاع بين المؤلفين أن اسمها محرّف من «آذربايكان» أو «آذرآبادكان» أى حافظ النار.

ثم مدينة أردبيل يطل عليها جبل عظيم اسمه سبلان يبقى الثلج عليه صيفا وشتاء(٥)

وفى هذا ما يفسر بعض التفسير قصة قلعة بهمن.

(١) ك: ويتداعى. (٢) ك: التاج والتخت. (٣) ك، كو، طا: من جوانبها.
(٤) ك: على حائط. (٥) معجم البلدان لياقوت، وقاموس الأعلام، ودائرة المعارف الاسلامية.

القلعة بالنشاب . ففعلوا حتى صار جوّها كالجراد[١] المنتشر لكثرة ما رموا . فهلك من الجن خلق عظيم[٢] ثم انجلى ذلك الظلام والغبار. فصعد كيخسرو مع جوذرز إلى القلعة وأخذوها . و بنى فيها للنار بيتا عظيما وقبة عالية ومبانى رفيعة ، وأسكنها الموابذة والهرابذة وأصحاب النجوم وأرباب العلوم. ثم رجع بعد أن أقام بها سنة كاملة . ولما قرب من أصبهان تلقته الإصبهبذية والأكابر وسائر الأمراء. ثم تلقاه عمه فرى بُرز بن كيكاوُس ، وآستقبله طوس ، وآستصحب الكوس والمداس الذهبى والدرفش الجاو يانى ، وقبل الأرض بين يديه ، وقال : يسلم الملك هذه المراتب إلى من يختار من العبيد والخدم . وأخذ يعتذر عما سبق منه . فقبل الملك عذره وأكرمه[٣] ، وقال : إن هذه مرتبة لا تليق بأحد سواك» . فردّها عليه . فتوجه[٤] سائرا إلى فارس إلى خدمة كيكاوس . فلما وصل[٥] تلقاه كيكاوس منشرح الصدر مسرورا . ولما دخل دار الملك أخذ كيكاوس بيده ، وأجلسه على تخت الملك . وأمر الخازن فجاء بالتاج الكيانى فقبّله ، ووضعه بيده على رأسه . ثم لما أقعده فى موضعه من سرير الملك تحوّل[٦] من التخت إلى الكرسى . وأمر فنثروا عليه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت . فأقبلت الأمراء والأكابر ، وحيوه بتحية الملوك . فهذا مبدأ سلطنة كيخسرو . وسيأتى ذكر آثاره ووقائعه من بعد إن شاء الله تعالى .

١٣ — ذكر نوبة ملك الملك كيخسرو وما جرى فى أيامه من الوقائع وكانت مدّة ملكه ستين سنة §

قال : ولما تسنم كيخسرو سرير الجلالة ، واعتصب بتاج السلطنة بسط على الناس ظل العدل والإحسان ، واستأصل شأفة الظلم والعدوان ، وتبادرت الناس سراعا الى طاعته ، وتصافقوا على مشايعة

---

§ ١٣ — كيخسرو

هو ثالث الملوك الكيانيين ، والثالث عشر من ملوك الشاهنامه . وهو بقية من المقدّسين فى الدين الآرىّ القديم . وهو آخر الملوك الذين تشترك فيهم أساطير الأبستاق الايرانية والفيدا الهندية ؛ هو فى الفيدا سُشراوَس ، وفى الأبستاق كَفى هُسَروه .

ويذكر فى الأبستاق كثيرا ، و يشاد بسجاياه ومآثره : =

(١) ك ، كو ، طا : كأنه مملوء بالجراد المنتشر . (٢) ك ، كو : كثير . (٣) ك ، كو : وأبقاه
(٤) ك ، وتوجه . (٥) صل : فلما تلقاه . والتصحيح من ك ، كو . (٦) ك ، كو ، طا : تحول هو

دولته . فعمر كل خراب ، وفرّج عن كل مكروب[1] ، ودرّت بيمنه بعد الانقطاع بركات السماء[2] ، ودارت رحى الأفلاك بديم الأنداء ، وتحلى عطف البسيطة بوشائع الأزهار بعد ما كان عاطلا ، ودب ماء النضارة فى عروق الأشجار وكنّ ذوابلا . فكان يروق القلوب ، ويعجب العيون ، ويزهر[3] على التخت بجمشيذ وأفريدون .

ولما جلس على التخت فرّق الرسل إلى أطراف البلاد . فلما وصل إلى نيم روز الرسولُ المنفذ إليها ركب رستم وابنه فرامرز وأبوه دستان فى جميع أكابر كابل ، وأقبلوا فى الجم الغفير والعدد الكثير نحو الحضرة . فأنتهى الخبر بمجيئهم إليه فسر بقدوم رستم فأمر طوسا وجوذرز وجيوا بالخروج للاستقبال وتلقيه بالإعظام والإجلال . فاستقبلوه على مسيرة يومين ثم رجعوا فى خدمته إلى حضرة الملك . فلما وقعت عين كيخسرو على رستم نزل عن التخت ، واغرورقت بالماء عيناه حين رأى من كفل أباه ورباه ، فوضع رستم جبهته على الأرض . فأثنى على رستم . ثم ضم رأس دستان الى صدره وعانقه وأكرمه . وأجلسهما على مراتبهما عنده . ثم أخذ رستم معه فى الحديث ، وجعل يدعو له بالبقاء ودوام المجد والعلاء حتى مدّوا السماط . ولما طعموا قاموا . ثم لما كان من الغد ركب الملك برسم

= ففيها — «نعبد روح الملك المقدّس هُسَروه»[4] . وفيها أن هسروه المقدام الذى جمع الأمم الآرية أمة واحدة قرّب لبعض الأرواح قربانا وراء بحيرة كائكسته العميقة ذات الماء الملح ، ودعاه أن يؤيده حتى يصير الملك المطاع فى البلاد كلها ، بلاد الشياطين و بلاد الإنس ، الخ[5] . وأنه قرّب الى روح آخر وسأله أن يرعاه حتى يقتل السفاح التورانى فرنكرسيان (أفراسياب) وراء بحيرة كائكسته ينتقم لأبيه سياوخش ولأغريرث (أخى أفراسياب)[6] . وفى فصل آخر أن المجد الملكىّ الرائع تجسد فى كفى هُسَروه لأجل الشطاط والقوة والنصر والعلاء القاهر ، ولأجل طاعة الشرع والاعتزاز به ، ولأجل استئصال أعدائه بضربة واحدة . ولأجل العافية ، ونسل تقى طيب حكيم يرأس المحافل ، ولمُلك مجيد وحياة طويلة . فصار الملك هسروه سيد الشعب . ولم يستطع أن يمرّ خلال الغابة ذلك السفاحُ الذى كان يحادّه على صهوة الفرس . وعلا السيد هسروه على الناس جميعا . وقيد فرنكرسيان وكرسوزده (أفراسياب وأخاه كرسيوز) لينتقم لأبيه ولأغريرث[7] . وفى الأبستاق كذلك أن هسروه برِّئ من المرض والموت[8] . =

(١) صل : فرج كل . والتصحيح من كو ، ك ، طا . (٢) ك ، طا : بركات السماء بعد الانقطاع .
(٣) ك : يزهو . (٤) أفستا ، ج ٢ ص ٢٢٢ (٥) = ص ٦٦ (٦) = ص ١١٥ و ٢٧٨
(٧) = ص ٣٠٣ (٨) = ص ٣٢٧

الصيد ومعه الملوك والإصبهبذية، وجعل خروجه ذلك لمطالعة المملكة فطاف فى جميع بلاد إيران . فكان اذا مر ببلد خراب أمر بإعادته الى العمارة وإفراغ الأموال عليه من الخزانة . فلم يمرّ بمدينة إلا وضع فيها تخته وأقام بها يطالع أحوالها ويزيل اختلالها . فاذا فرغ منها تحوّل[1] لمدينة أخرى حتى أتى على الكل . ولما أتى نواحى آذربيجان دخل بيت النار الذى هناك فزاره . ثم عادوا الى بلاد فارس الى حضرة كيكاوس، وأقاموا عنده مشتغلين بأسباب اللهو ودواعى الطرب . ثم إن كيكاوس جلس ذات يوم مع كيخسرو ورستم ودستان وجاذبهم أطراف الأحاديث[2] من كل نوع حتى أفاضوا فى حديث أفراسياب، وما صنع بسياوخش، وذكر كيكاوس آثار نكاياته فى ممالك إيران من القتل والنهب وتخريب البلاد ، والسعى فيها بالفساد . ثم أقبل على كيخسرو وقال[3] : أنت اليوم أعلى الملوك قدرا ، وأثقبهم زندا ، وأعلاهم جدا . وأنا آخذ عليك العهد على أن تكون حربا لأفراسياب تقاتله (٢٦٢
وتطلب بثأر أبيك منه، ولا تميل إليه لموضع قرابة أمك منه، ولا تنخدع له بما يبذل من الرغائب، ويسمح به من الخزائن والذخائر . فحالفه كيخسرو على ذلك . وكتبوا كتاب اليمين باللسان الفهلوى، وأثبتوا فيه شهادة رستم ودستان ومن حضر من أكابر الأمراء وأعيان الحضرة . وسلم كيكاوس الكتاب

= ويسميه الطبرى كيخسرونه . وفى الآثار الباقية أن كيخسرو هو كورش وأنه يلقب همايون[4] .

ويذكر فى الأبستاق بحيرة اسمها بحيرة هسروه تقرب اليها القرابين، وهى على خمسين فرسخا من بحيرة كائكستة (أُرمية[5]) .

ثم قصة ولاد كيخسرو فى توران، وتربيته بين الرعاة خوفا عليه من جدّه لأمه أفراسياب، وإشفاق جدّه من زوال ملكه على يده، وقتل الجد بيد حافده فى النهاية — تشبه كل الشبه ما يرويه هردوت عن ولادة كورش وما كان بينه وبين جدّه لأمه استياجس ملك ميديا . وقد تقدّم أن البيرونى يزعم أن كيخسرو هو كورش ومؤرخو الفرس والترك فى هذا العصر يوافقون البيرونى[6] .

ومما يعزى الى كيخسرو أنه سنّ للفرس الاغتسال فى عيد تيرماه ومن آثاره — بزعمهم — نار ماجُشنَسف وبيت للنار يسمى ديركوشيد بين العراق وفارس، ومدينة أردبيل ، ومدينة بكن فى الصين[7] . =

(١) لك، كو، طا : تحوّل الى . (٢) لك ، لو : أطراف الحديث . (٣) لك ، كو : وقال أ ت . طا : وقال وأنت . صل : قال (لا) (٤) الطبرى، ج ١ ص ٢٦٣ ، والبيرونى، ص ١٠٤ و ١١١ (٥) أفستا، ج ٢ ص ٧ و ١٥ و ٣٠٠ حاشية . (٦) انظر المقدمة فى الكلام عن الكيانيين والاكمينيين . (٧) الآثار الباقية ص ٢٢١ ، والنزهة، ص ٢٨١ و ١٩٩ و ٢٤٣

الى رستم . ثم مدّوا السماط وطعموا . ثم اشتغلوا بالشرب واستماع الغناء أسبوعا من الزمان . وبعد ذلك اغتسل الملك كيخسرو ودخل متعبدا لهم وجعل طول ليله يتضرع الى الله تعالى ويبتهل ويعفر خدّه فى التراب ويستنصره على أفراسياب ويستعين به عليه . فقطع ليلته تلك بالسجود لله تعالى والدعاء . ولما أصبح جلس على تخته، واصطف على رأسه جميع الملوك والأمراء فأقبل عليهم وقال: يا وجوه الدولة ويا أعيان الحضرة ويامعاشر الفرسان وأصحاب السيف والسنان ! اعلموا أنى قد[1] طفت جميع ممالك إيران فما وجدت أحدا مسرورا، ولا رأيت بلدا معمورا ، ورأيت الناس قد حالفوا الهم والاكتئاب لما أصابهم من نكايات أفراسياب . وقد وترنى قبل الناس بأعظم الفجائع ورمانى بأنفذ سهام الرزايا والمصائب . وقد صممت العزيمة على الطلب بثار الأب . فان كنتم أعوانى المحبين وأنصارى المخلصين ، وعاونتمونى مشمرين ، وبذلتم وسعكم فى ذلك جادين ومجتهدين أدركت المقصود ، وبلغت المأمول . وكل دم يراق بيننا فأفراسياب متقلده . وكل من يقتل منكم فالجنة

= وعهد كيخسرو أطول عهود الشاهنامه ، يستغرق أكثر من خمس الكتاب وهو سبعة أقسام : خمسة منها تقص من أنباء الحرب المستمرة بين إيران وتوران، واثنان فيهما قصتان منفصلتان ولكنهما تنتهيان بحرب بين الأمتين أيضا :

(١) إرسال الجيش يقوده طوس إلى حرب أفراسياب . ويتخلل هذا الفصل فاجعة فرود أخى كيخسرو التى يراها القارئ فيما يأتى . وانتهى هذا الفصل بهزيمة الايرانيين .

(٢ و٣) حرب كاموس الكشانى وخاقان الصين . وفى هذا الطور يقود الحرب رستم وتدور الدائرة على أعداء إيران .

(٤) حرب رستم وأكوان الجنىّ .

(٥) قصة منيژه بنت أفراسياب وبيژن بن جيو بن جوذرز .

(٦) حرب الاثنى عشر رُخا .

(٧) الحرب الكبرى بين الملكين كيخسرو وأفراسياب .

وفى هذه الوقائع يبلغ الجلاد بين الأمتين أشدّه . ويزاد على الثارات القديمة ثار بنى جوذرز السبعين الذى قتلوا فى المعارك الأولى . وينهزم الايرانيون أول الأمر ثم ينتصرون، ثم يسيّر الايرانيون أربعة =

(١) ك : قد (لا) .

مأواه ومنقلبه . فما قولكم فى هذا ؟ فوضعوا جباههم على الأرض، وقالوا : أيها الملك! إن أرواحنا وأبداننا منقادة لطاعتك . وإنما ولدنا للحرب والقتال وبذل الروح للانتقام يوم النزال . فلما سمع ذلك الكلام[(١)] من رستم وجوذرز وطوس وغيرهم من الأمراء والأكابر تورّدت وجناته، وتهللت أسرته، وأثنى عليهم ودعا لهم . قال : فأمر كاتب الجيش بإثبات أسماء المقدّمين من الملوك، ومن فى جملتهم من الاصبهبذية والأمراء وأعيان الفرسان، وآحاد المفردين وسائر من يشتمل عليهم جرائد كتّاب الجيوش . فلما فعلوا ذلك فتح أبواب الخزائن فأعطاهم[(٢)] العطايا الوافرة، وخلع عليهم الخلَع الرائعة، وأمرهم بأن يستعدّوا للخروج الى العدوّ . ثم بعد ذلك ارتفعت أصوات الكوسات من الميدان صبيحة يوم من تلك الأيام فجاءوا بفيل على ظهره تخت منصوب من الفيروزج . فعلاه الملك كيخسرو معتصبا بتاج من الذهب المرصع بالياقوت . وخرج الى الصحراء وفى يده جام فيه خرزة متى حركها الملك[(٣)] ركب العسكر أجمعون حتى لا يبقى منهم على وجه الأرض أحد . فوقف وأمر بالعرض، فكان أوّل من عبر فرى برز بن كيكاوس . وهو مقدّم على مائة إصبهبَذ وعشرة، من أقارب أبيه . فعرضوا على الملك فى أتم آلة وأكمل عدّة . ثم تلاه جوذرز بن كشواذ، وهو مقدّم على ثمانية وسبعين إصبهبذا من أولاده وأحفاده . على ميمنته ولده رُهّام، وعلى ميسرته جيو، وعلى رأس كل واحد منهم لواء يخفق، ويتبعه عسكر عظيم . ثم عرض كُستَهم بن كزدَهم، وهو مقدم على ثلاثة وسبعين إصبهبذا من أولاد أبيه رماة

= جيوش ويلاقى الجيشُ الأعظم يقوده جوذرز، جيشَ توران يقوده پيران، ويبارز أحد عشر بطلا إيرانيا مثلهم من توران . فيُقتل التورانيون جميعا إلا قاتل سياوخش فيبقى ليقتله كيخسرو انتقاما لأبيه . ثم يتبارز القائدان پيران وجوذرز فيقتل پيران الذى قاد حرب التورانيين فى أطوارها كلها . ولا يبقى إلا أفراسياب فيقدم كيخسرو ويلتقى الملكان فى وقائع عديدة يظفر فيها كلها كيخسرو فيهرب أفراسياب ثم يؤخذ فيقتل .

فيرى القارئ أن القصة فى هذا العهد قد هُيئت للختام فى أطوار مختلفة .

وسأبين فى مقدمة الفصل الآتى كيف تغير ميدان القصة وأبطالها تغيرا تاما بعد كيخسرو .

وأبطال هذا الطور، بعد رستم بطل الأبطال، أسرة جوذرز ثم طوس بن الملك نوذر وفريبرز ابن الملك كيكاوس[(٤)] . =

(١) ك : الكلام (لا) . (٢) ك : وأعطاهم . (٣) ك، طا : الملك فيه

(٤) انظر المقدّمة : أبطال الشاهنامه .

الحدق، وأصحاب الدبابيس والعمد . ثم أشكش[(١)] صاحب الرأى والشهامة والنجدة والبسالة فى عسكر مجر شاكى السلاح . ثم تلاه جُرازه فى أصحابه وعساكره . ثم جاء من بعده زنكه بن شاوران فى عساكر بغداد . وكان كلما مر منهم مقدم وقف نخدم ، وأثنى الملك عليه ودعا له . وكان آخر القوم عبورا فرامرز بن رستم مقدم عساكر قشمير وكابل ونيم روز . فارتاح له الملك وبشّ، ووهب له جميع بلاد الهند من حدّ قنّوج الى حدّ ممالك دستان . ثم أوصاه ووعظه ونصحه لحداثة سنه . وأمره بالإحسان الى من يتولاهم، وسلوك سبيل المعدلة معهم، وبسط جناح الرأفة عليهم . فترجل وقبل الأرض ومر فى طريقه الى ممالكه خاصة . وشيعه أبوه رستم نحو فرسخين وودعه ، وعاود حضرة الملك . قال : فنزل الملك كيخسرو عن الفيل، وركب فرسا وأقبل الى سرادق ضرب له[(٢)] . وجاء رستم وجلس يشرب معه .

= والقسم الأوّل من عهد كيخسرو ١٧٠٠ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) فاتحة القصة. (٢) تحية الملك كيخسرو. (٣) طواف كيخسرو بالمملكة. (٤) كيخسرو يعاهد كاوس على الانتقام من أفراسياب . (٥) إحصاء كيخسرو الأبطال . (٦) كيخسرو يقسم الكنوز على الأبطال . (٧) إرساله رستم الى الهند . (٨) تعبئة كيخسرو الجيش . (٩) بدء قصة فرود بن سياوش . (١٠) ذهاب طوس إلى تركستان . (١١) علم فرود بمقدم طوس . (١٢) ذهاب فرود وتخوار (تخار) لرؤية العسكر . (١٣) مجىء بهرام الى فرود على الجبل . (١٤) رجوع بهرام إلى طوس . (١٥) مقتل ريونيز بيد فرود . (١٦) مقتل زراسپ بيد فرود. (١٧) حرب طوس وفرود. (١٨) حرب كيو وفرود . (١٩) حرب بيژن وفرود . (٢٠) مقتل فرود . (٢١) قتل جريرة نفسها . (٢٢) سوق طوس الجيش إلى كاسه رود (نهر كاسه) ومقتل پلاشان بيد بيژن . (٢٣) ماقاساه الايرانيون من البرد . (٢٤) أخذ بهرام كبوده . (٢٥) حرب الايرانيين وتژاو . (٢٦) علم أفراسياب بمقدم طوس وجيشه . (٢٧) تبييت پيران الايرانيين . (٢٨) استرجاع كيخسرو طوسا . (٢٩) فريبرز يسأل پيران المهادنة . (٣٠) هزيمة الايرانيين أمام التورانيين . (٣١) رجوع بهرام الى المعترك يبحث عن سوطه . (٣٢) مقتل بهرام بيد تژاو . (٣٣) قتل كيو تژاو انتقاما لبهرام . (٣٤) رجوع الايرانيين إلى كيخسرو .

(١) فى الشاه : أشكش . (٢) ك ، طا : ضرب له فى الصحراء .

ذكر إنفاذ كيخسرو طوسا الى قتال أفراسياب ، ووقعة فروذ بن سياوخش

قال : ولما كان من الغد ركب طوس فى جميع من فى جملته من الإصبهبذية والأمراء، وخرج الى الصحراء بالدرفش الجاويانى ، ومعه الأكابر من ذرية الملك نوذر أصحاب الأطواق والمراتب العالية . فجاءوا بجبال مائرة وبحار سائرة حتى دنوا من سرادق الملك كيخسرو . فاستحضر الأكابر والسادات، وأمرهم بمتابعة طوس، وطاعته واتباع رأيه، والجرى تحت أمره ونهيه . ثم أقبل على طوس، وأوصاه بأن يحسن الى الرعية والزرّاعين وأرباب الحرف الذين لا يخشى شرهم . ثم أمره بأن يعدل، فى طريقه الى توران، عن الطريق المفضى الى القلعة التى تسمى كلات . وقال له : إنه كان لسياوخش ابن من بعض بنات بيران يشبه أباه . وهو شاب يشبهنى فى السن والمنظر . وهو صاحب شوكة وقوة . وهو يسكن مع أمه هذه القلعة ومعه عسكر عظيم . وهو كالأجنبي من الايرانيين لا يعرف منهم أحدا . فلا ينبغى أن تسلك ذلك الطريق كيلا تقع فى محذور . والرأى أن تسلك طريق البرية . فقال طوس : لا أحيد عن أمرك وعما تشير به . ثم رجع الملك مع رستم الى إيوانه . وسار طوس متوجها نحو توران مقدما على جميع العساكر ، مالكا بأمر الملك كيخسرو لزمام الأمر ، والحل والعقد ، والإبرام والنقض . فانتهى أوائل العسكر الى موضع يتشعب منه الطريقان المذكوران . فوقفوا حتى يصل طوس فينظروا ما الذى يسلكه منهما فيتبعوه . فلما وصل طوس قال لجوذرز : الصواب ألا نسلك طريق البرية مع هذا الحرّ وقلة الماء ، ومع طوله وبعده . بل نسلك طريق جرم وكلات فإنى قد رأيت هذا الطريق، وفيه بلاد عامرة، ومياه كثيرة عذبة ، ومراع معشبة . ولم أر فيه ما يتعب سوى مصاعد ومهابط لا يخلو أكثر الطرق منها . فالأولى أن نعدل عن البرّية الى هذا الطريق الآخر . فوافقه جوذرز على ذلك، وساروا فيه . قال : فوصل الخبر الى صاحب كلات، وهو فروذ بن سياوخش، بمجىء عساكر ايران فضاق صدره، وأمر بجمع المواشى والدواب من الصحراء الى حريم القلعة ، والاستعداد للأمر . فأغلق باب القلعة وجاء الى أمه، وكانت تسمى جريرة، فأخبرها بمجىء طوس فى عساكر ايران، وتخوفه منهم . واستشارها فقالت : إن أخاك هو ملك ايران . وأنت وهو من اب واحد . وانما نفذ هذا العسكر للطلب بثأر أبيك . فينبغى أن تشمر عن ساق الجد، وتنحاز اليهم . وتتوغل معهم بلاد أفراسياب فتكون أول من يطلب بثأر أبيك . فاذا قدم هذا العسكر فأبصر من المقدم عليهم ، ثم استدعه الى ضيافتك، واخلع عليهم، وأحسن اليهم . فقال : إنى لا أعرفهم، ولا بد ممن يتوسط بينى وبينهم . فقالت: ٦٣

اذا بدا غبار العسكر فخذ معك تخوار[(١)] — وهو أحد فرسان تلك القلعة — وخلّف عسكرك وراءك . فإن تخوار يعرف الإيرانيين . وسايل عن بهرام بن جوذرز وزنكه بن شاوران فإنهما كانا رفيقى أبيك » . فاستصحب تخوار، وجاء الى شعفة من شعفات ذلك الجبل ووقفا[(٢)] يشرفان على العسكر . فأخذ يسأل تخوار عن علامة كل واحد من الايرانيين ، وهو يخبره ويصف له . قال : فلما دخل طوس بين الجبلين بالخيل والحشم والفيلة والأعلام طمح بصره[(٣)] فرأى على قلة تلك الشعفة الشماء فارسين يشرفان على العسكر واقفين لا يبرحان من مكانهما ولا يفزعان . فقال لمن معه : من يصعد اليهما ويأتيني بخبرهما ؟ فانتدب لذلك بهرام بن جوذرز ، فتوقل الجبل . فلما قرب استخبر فروذ تخوارَ عنه . فقال : أرى أنه من الجوذرزيين . وحين دنا منهما صاح عليهما ، وقال : من أنتما ؟ أما تسمعان أصوات الطبول والكوسات ؟ أما تفزعان من هذا العدد الكبير ؟ فقال له فروذ : أيها الفارس المقدام ! مالك بدأتنا بالخصومة[(٤)] قبل أن تسمع ما يوجب ذلك؟ لا تفاتحنا بالكلام الموحش. فانك لست تفضلنى بشيء من الشجاعة والبسالة والصورة والقالب. وأنا أريد سؤالك عن شيء[(٥)] فان أجبتني[(٦)] سررتنى به . فقال بهرام : سل عما بدا لك . فقال له : من المقدّم على هذا العسكر؟ ومن فيه من السادة والأكابر؟ فقال : المقدّم طوس بن نوذر . وفيه من الأكابر جوذرز بن كشواذ. وفلان وفلان وعدّهم عليه . فقال : ما لك لا تذكر بهرام؟ فإنى لا أرتاح من الجوذرزيين إلا له . فقال : أنا[(٧)] الفارس البطل . من أين تعرف بهرام ؟ فقال : إنّ أمى أخبرتنى عنه ، فقالت : سل عن بهرام وزنكه بن شاوران فإنهما رضيعا سياوخش أبيك . فقال بهرام : أنت فروذ ثمرة ذلك الشجر الخسروانى ؟ فقال : نعم ! أنا فروذ بن سياوخش . فقال : أرنى العلامة الكيانية . فكشف له عن عضده فرأى شامة كأنها نقط عنبر تلوح على الورد الأحمر . فعلم أنه من الجرثومة الكريمة . فأثنى عليه وسجد[(٨)] له ثم صعد اليه . فنزل فروذ عن فرسه، وجلس معه على الحجارة . فقال : لو عاد سياوخش حيا لم أفرح بلقائه كما فرحت بلقائك . وإنى لم أصعد إلى شعفة هذا الجبل إلا لأستخبر عن مقدّم العسكر وعمن معه من الأمراء فأضيفهم وأفرغ وسعى فى خدمتهم، وأقرّ عينى بلقائهم . واذا استراحوا عندى أسبوعا ، وساروا لوجهتهم سرت معهم ، وكنت أوّلهم باذلا جهدى وطاقتى فى الأمر الذى أنا أحق به منهم ، وهو الطلب بثأر سياوخش أبى، وقاتلت أفراسياب وأصحابه قتالا يضرب به

(١) يلفظ : تخار . (٢) ك، طا : ووقفا عليها . (٣) طا : ببصره . (٤) ك، طا : بالخشونة .
(٥) ك، طا، كو : شيء فى نفسى . (٦) ك : أجبتنى عنه . (٧) طا، كو: فقال أيها الفارس .
(٨) ك : ونزل فسجد .

المثل فى الآفاق . فقال له بهرام: أنا أقوم بهذه الخدمة، وأمضى الى طوس وأستدعيه إلى ضيافتك، وأبذل فى ذلك جهـدى حتى لو احتجت أن أقبل يده مستشفعا[1] اليه فعلت . ولكن ينبغى أن يعلم الملك أن طوسا إنسان يستبد برأيه، ولا يسمع قول أحد، ولا ينجع فيه مقالة ناصح. وهو، على ذلك، صاحب أيد وقوة وأموال كثيرة ؛ ولا يلتفت الى الملك كيخسرو ذلك الالتفات ، ولم يرض بخدمته حتى نابذه جوذرز وعزم على قتاله . وهو يقول : أنا ابن نوذر بن منوجهر . وأنا أحق بالملك » . ومع ذلك كله أرجو ألا يمتنع مما أشير به عليه فى هذا الأمر . ومهما أجاب الى ذلك فإنى سأصعد بنفسى اليك، وأستصحبك الى المعسكر . وإن يكن غير ذلك ، وسلك معك سبيل العنف، وصعد اليك غيرى فلا ينبغى أن تركن اليه وتمكنه من التقرب منك . ثم أعطى بهرام جرزا[2] كان معه وعليه نصاب من الفيروزج مركب فى الذهب . وقال : إذا صعد الينا طوس وحصل بيننا الائتلاف خدمتك بهدايا كثيرة من خيل وجواهر وخلع وأسلحة» . فانصرف من عنده بهرام، وانحدر من الجبل، وجاء الى طوس وأخبره بأنه فروذ بن سياوخش، وأنه أراه العلامة الكيانية . فأغلظ له طوس وجاوبه بالعنف ، وقال : ألم أقل لك لا تفاوضه فى شئ ولا تخاطبه إلا بالسيف والسنان ؟ ولكنك فزعت منه وجبنت عنه ، وجئت تتمسك بهذه المعاذير» . ثم أقبل على أصحابه، وقال : من يصعد الى ذلك[3] الجبل فيأتينى برأس ذلك التركى ؟ فانتدب لذلك ريو الشجاع ختن طوس على ابنتـه ، فتوقل فى الجبل . فلما صعد ورآه فروذ استشاط وتميز[4] حين لم يرجع اليه بهرام . فأخرج من تركشه[5] نشابة ورماه بها ، فأصابت رأسه فانقلب عن ظهر فرسه وخر[6] ميتا . فلما رأى ذلك طوس احتدم غيظا وثار فصاح بابنه زرسب ، وكان مقدم النوذريين، وأمره بأن يصعد اليـه . فتوقل وصعد . فلما رآه فروذ سدد نحوه نشابة أخرى فوضعها فى جوفه ، فانقلب عن ظهر فرسه ووقع ميتا. قال : فوقع الضجيج لمقتله فى العسكر، وثار طوس كالأسد المحرج حيث قتل ابنه وختنه، فركب بقلب جريح، ودمع غزير، وترقى الجبل[7]. فلما رآه تخوار قال لفروذ : إنه طوس بن نوزر، ولست تقدر على مقاومته؛ فارجع بنا حتى نصعد القلعة ونغلق بابها . فإنك بعد أن قتلت ابنه وختنه لم يبق لك مطمع فى الصلح معه . فغضب فروذ عليه، وقال : بعد أن اضطررت الى المنابذة فلا أبالى بطوس ولا بغيره . وكان الواجب عليك أن تقوى قلبى ، وتعاوننى عليـه ، لا أن تخوفنى وتخذلنى عنـه فى مثل هذا المقام . ثم سدد نشابة الى نحر فرسه فأثبتها فيه، فوقع الفرس، وبقى طوس راجلا . فصاح عليه أهل القلعة

(١) طا : متشفعا . (٢) الجرز : المقمعة . (٣) ك، طا ، كو: هذا الجبل .

(٤) ك، طا ، كو : تمر . (٥) كو : جفيرته. (٦) ك : وقع ميتا . (٧) ك، كو : فى الجبل .

من أعلاها ونعروا فى قفاه حتى انحدر . ثم صعد اليه جيو بن جوذرز فقال تخوار : إنه البهلوان
٦٤ الذى كتف جدك بيران حين جاء فى طلب أخيك، وخلصه من بلاد توران، وخاض به نهر جيحون.
وعليه الآن سلاح سياوخش فلا يؤثر فيه شئ . فارم فرسه بنشابة أخرى حتى يرجع وراءه مثلما رجع
طوس . فرمى فرسه بنشابة تقطر منها، وبقى جيو راجلا . فعاد منحدرا كفعل طوس . فلما رأى
بيژن ما حل بأبيه جيوجن واستفزه الغضب، واستعار فرسا من كستهم، وأخذ من أبيه درع سياوخش
ولبسها، وتوقل فى الجبل كالعقاب الغارث . فعين فروذ على فرسه ورماه بنشابة أقصدته . فترجل
بيژن، وصاح عليه، وقال : اصبر ساعة حتى ترى قتال الأسود . فتناول المجن، ورفعه على رأسه،
وتوقل اليه . فلما صعد الجبل سل سيفه، وأقبل عليه . فانهزم عنه وولى نحو القلعة فتبعه حتى عرقب
بسيفه فرسه . فترجل فروذ والتجأ الى القلعة فدخلها . ورجع بيژن وانحدر[1] الى المعسكر . فلما كان
من الغد ركب طوس، ونزل فروذ فى عساكره فتناوشوا الحرب من أول النهار الى وقت الزوال .
فقتل أكثر أصحاب فروذ، وبقى هو وحده فى المعركة . فالتفت فلم[2] ير وراءه أحدا . فعطف عنانه،
وأحجم الى الحصن . فخرج بيژن ورهام عليه من الكمين . فرفع الجرز على بيژن . فضرب رهام
كتفه ضربة أبانت إحدى يديه . وبقى كذلك على ظهر الفرس يقاتل ويدفع عن نفسه بيد واحدة .
حتى صعد وعاد الى القلعة . فدخل إيوانه ورمى بنفسه على التخت صريعا فلم ينشب أن مات .
فصعد[3] الوصائف الى شرفات القلعة، ورمين بأنفسهن الى أسفلها . وأحرقت أمه جميع ما كان
فى القلعة من الأموال والأسلحة، وأخذت خنجرا، ودخلت مرابط خيله[4] العراب فشقت
به خواصرهن . ثم[5] جاءت ووضعت خدها على خد ولدها الشاب ثم شقت صدرها بخنجرها، ولحقت
بابنها . ودخل الايرانيون[6] القلعة وتملكوها، وأخذوا فى الأسر والنهب . فجاء بهرام الى إيوان فروذ
فرآه طريحا على التخت، ورأى أمه قد ألقت[7] نفسها عليه ميتة . فقعد عند رأسهما يبكى ويتوجع .
فجاء طوس وجوذرز وزنكه بن شاوران، وقعدوا عند رأسه يبكون . وجعل طوس يقرع سن الندم
بعد أن زلت به القدم . فقال جوذرز : إنك قد ضيعت بالحدة والنزق هذا الشاب وذريته
فى أدراج الرياح، وفجعت نفسك بابنك زرسب الذى كان نزهة الألحاظ، وراحة الأرواح .

(١) صل : انحدروا . (٢) صل : ولم . والتصحيح من ك، كو . (٣) ك، طا، كو : فصعدت .
(٤) ك، طا : خيوله . (٥) ك : فجاءت . (٦) ك، طا : الى القلعة . (٧) ك : ألقت عليه بنفسها .



فرود بن سياوخش يرمي زرسب بن طوس فيقتله

[منقولة من كتاب (النقش الفارسي) لباسيل كري Persian Painting. Basil Gray]

ثم حنطوه وكفنوه، وعملوا له ناووسا على رأس ذلك الجبل ووضعوه فيه§ ثم بعد ثلاثة أيام رحل طوس قاصدا قصد تركستان . فساق عساكره حتى وصل الى كاسروذ[1] فعسكر هنالك . فخرج من توران فارس يسمى بلاشان ليتعرّف أحوال العسكر ويقف على عددهم[2] فينهى خبرهم الى أفراسياب . فتلقاه بيژن بن جيو وقتله . وبلغ الخبر أفراسياب بعبور الايرانيين كاسروذ فاستدعى بيران، وفاوضه وشاوره فى أمر كيخسرو؛ فيما[3] فعله من إنفاذ العساكر طالبا بدم أبيه فقال : لابدّ أن نتلقى الأمر بالحزم وتشمر عن ساق الجدّ قبل أن يجلّ[4] الخطب ويفدح الأمر . وأمره بالاحتشاد وجمع العساكر . فقام بذلك بيران، وجدّ فى الإعداد والاستعداد . قال صاحب الكتاب : ثم إن الشتاء كشر فى وجوه الايرانيين نابه، وحرش بهم كلابه، فثارت عليهم ريح باردة تقلصت منها الشفاه، وتشققت الوجوه والجباه، ونشأت سحابة طبقت السماء فنثرت عليهم ثلجا عظيما انسدّت به المخارم والشعاب، وتسطحت فيه الكهوف والهضاب . فهلك منهم تحت ذلك الثلج خلق عظيم ودواب كثيرة، وقل عندهم الطعام . فارتحلوا من منزلهم ذلك . وكان أفراسياب قد عمل فى الطريق الذى هم سالكوه سدا من الحطب كجبل عظيم حتى تنقطع به الطريق بين ايران وذلك الجانب . وكان كيخسرو قد أمر جيوا بإحراق تلك الأحطاب المكوّمة حتى ينفتح لهم الطريق الى توران . فركب جيو فى ذلك البرد المفرط والهواء الشديد الى ذلك السدّ، فرمى فيه النار فتمكنت منه حتى أحرقت[5] تلك الأحطاب العظيمة، وانهارت فى الأرض . فلم يمكن العسكر عبور من حر تلك النار ولفحها حتى انقضت عليهم ثلاثة أسابيع . فعبر طوس بالعساكر

§ يذكر القارئ أن طوسا هو ابن الملك نوذر، وأن الايرانيين عدلوا عنه وعن أخيه كستهم بعد موت أبيهما، واختاروا زوّ بن طهماسپ ملكا عليهم[6] . ويذكر كذلك أن طوسا — كما تقدّم فى هذا الفصل — كان يؤيد فريبرز ابن الملك كيكاوس، ويرى أنه أحق بخلافة كيكاوس من كيخسرو حفيده، مستنكرا أن يُعدل عن الابن الى الحفيد . وهى حجة يحتج بها مثل طوس ممن حرموا وراثة أبيهم .

ففى سخط طوس ما يفسر للقارئ مخالفته أمر الملك كيخسرو وسلوكه طريق كلات التى نهاه الملك عن سلوكها، وإقدامه على الوقائع التى انتهت بقتل فروذ أخى الملك . وقد أدرك الفردوسى هذا وأشار اليه فى مقدّمة قصة فروذ التى حذفها المترجم .

(١) كو : وادى كاس . (٢) لك، طا : وعَدَدِهم . (٣) لك، طا : وفيما فعله .
(٤) لك : يجل الأمر ويفدح الخطب . (٥) لك : احترقت . (٦) انظر المتن، ص ٩١

آخذا فى طريق جيو كرد(١) . ولما انتهى اليها نزل عليها، وخيم فى صحرائها، وفرق الطلائع حواليها . وكان صاحب جيوكرد أميرا من الأتراك يسمى ثراو(٢) . فلما بلغه الخبر بإقبال عساكر إيران نفذ فارسا من أصحابه يسمى كبوذه ليطلع على أحوالهم . فصادفه بهرام بن جوذرز، وكان على الطليعة، وقبض عليه، وقطع رأسه، وعلقه من سموط سرجه، وعاد الى المعسكر . فلما أبطأ رجوع كبوذه الى ثراو علم بمقتله، فركب فى عساكره وتقدّم للقاء الايرانيين . فتلقاه جيو بن جوذرز فى جماعة من الأمراء فناداه وسأله عن اسمه . ثم قال له : يا فارس الهيجاء ويا مسعر الحرب ! كيف تجاسرت على أن أقبلت(٣) بهذا العدد القليل الى حربنا ؟ فقال : أنا صاحب القلب الجرىء والبأس الشديد . وإن أصلى كان من إيران غير أنى اليوم مرزبان (أ) هذا الإقليم . وأنا مفزع الأكابر وختن الملك أفراسياب . فقال له جيو : لا تبح بهذا فإنه يضع من قدرك، ويسفه لأجله رأيك . لأنك اذا كنت صاحب ما ذكرت من المراتب العالية فأين الجيش اللهام ؟ وأين الرايات والأعلام ؟ فقال : لا تنظر الى قلة هذا العسكر، وانظر الى فتكات جرزى اذا استويت على ظهر فرسى . وإنى سأقيم اليوم بسيفى عليكم القيامة، وأوردكم موارد الخزى والندامة . فاغتاظ بيژن بن جيو، وأنكر على أبيه مفاتحة(٤) الكلام . وأشار بمناجزته القتال . فثار بعضهم الى بعض، وقامت الحرب منهم(٥) على ساق . فجرى بينهم قتال عظيم قتل فيه أكثر أصحاب ثراو، فولى مدبرا . فانقض فى أثره بيژن كالشهاب الثاقب المرسل على الشيطان الخاطف، فطعنه طعنة كادت أن تأتى عليه، فتبعه وخطف من رأسه تاجا كان أفراسياب قد توّجه به . فانتهى الى باب قلعته والعسكر فى أثره . فنزلت اليه زوجته، وكانت تسمى اسبنوى، وكانت أحسن نساء زمانها . فارتدفها واستفزه الخوف فخرج هاربا يركض راكبا طريق توران لينجو بروحه . فما كان إلا قليل حتى وقف به فرسه . فأنزل الجارية وخلاها . وكان بيژن يطرد خلفه كأنه ثعبان صائل . فلما انتهى الى الجارية ارتدفها، وعاد بها الى المعسكر . وأخذوا تلك الناحية وخربوها . قال : فمضى ثراو على حالته تلك لا يستقر ليلا ولا نهارا حتى وصل الى حضرة أفراسياب، وأخبره بما جرى على أصحابه من القتل والأسر، وعلى قلاعه وضياعه من الإخراب والنهب . فاهتم لذلك أفراسياب واغتم . وأقبل على بيران بن ويسه يعنفه وينسبه الى التكاسل فى جمع العساكر والاستعداد للحادث الكارث . ٦٥

(أ) المرزبان : والى الثغر . مركب من مرز أى الثغر، وبان أى الحافظ أو القيم .

(١) هى فى الشاه : كروكرد . (٢) هو فى الشاه : تژاو . (٣) ك ، طا، كو : أسهلت

(٤) ك ، طا، كو : مفاتحته . (٥) ك ، كو : بينهم .

ذكر تبييت بيران للايرانيين وكبسه إياهم

قال : فوثب بيران وخرج وطيّر رسله وبثهم فى الأطراف . فاجتمع اليه عسكر عظيم ، فوفر عليهم أرزاقهم وعطاياهم ، ورتبهم وعبّاهم ، وركض بهم ركضة واحدة فى طرق غامضة ومجاهل خافية متوجها نحو جيوكرد . فالتقته الجواسيس وأصحاب الأخبار . وأعلموه بأن الايرانيين قد استولى عليهم الشرب حتى إنهم يواصلون بين الصبوح والغبوق ، لا يفيقون ساعة من النهار ، وأنهم بما هم فيه ، فى شغل شاغل عن التحرز من عدوّهم والتيقظ[1] لأمر القتال ؛ لا تخرج لهم طليعة لا فى الليل الدامس ولا فى النهار الشامس . فاستدعى بيران أمراءه ، وقال : إنه قل ما توجد مثل هذه الفرصة . فانتهزوها وشمروا عن ساق الجدّ ، واهتبلوا غرة القوم . فاختار منهم ثلاثين ألف فارس ، وسار بهم فى كتيبة خرساء بلا صوت ولا جلب ولا كوس ولا جرس . فوقعوا على خيل الايرانيين فى بعض المروج فاستاقوها ، وقتلوا كل من كان عليها من الجوبانية (١) والمستحفظين . وكان بين مكانهم ذاك وبين القوم سبعة فراسخ . فساروا فلما جنّ الليل هجموا عليهم فى الخيم وهم سكارى نيام ، سوى جيو ، فإنه كان مستيقظا فوثب . وكان على باب خيمته فرس مجفف[2] ، فخرج وهو يقع ويقوم من أثر السكر ، فعلا ذلك الفرس ، وجاء الى أبيه جوذرز ، وكان صاحيا ، فأنذره ، وجاء الى سرادق طوس فأعلمه بالحال ، ورجع الى خيمة ولده بيژن فأيقظه من نومه . فأطلت عليهم سحابة نحس تجيش بأسود تصرف الأعنة ، وترسل صواعق السيوف والأسنة . فما برح فيهم السيف يعمل سحابة الليل الى مطلع الفجر . فلما أضاء النهار اجتمع طوس وجوذرز وسائر من أفلت ، فاصطفوا مع قلتهم صفا سخيفا ، ووقفوا ساعة ثم ولوا الأدبار منهزمين ، وفرّوا منخذلين ، ورجعوا على أعقابهم نحو كاسروذ ، والتجأوا الى جبل هناك . وكانت سيوف الأتراك فى أقفيتهم الى سفح الجبل . فأعيت دواب الترك لمكان طردهم من تلك المسافة البعيدة فى تلك المدّة القريبة ، فعادوا من سفح ذلك الجبل . فصعد طوس بمن أفلت معه . وأمنوا وتفقد بعضهم بعضا فعدم أكثر الايرانيين . فأخذوا فى الضجيج والعويل ؛ يبكى الابن على الأب والأب على الابن . وبقى جوذرز يبكى على أولاده وأحفاده ؛ لم يبق لهم كوس ولا علم ولا خيل ولا حشم ولا سرادقات ولا خيم . ثم تحصنوا فى ذلك الجبل ، وقالوا : لا بد من إنهاء الحال الى الملك كيخسرو . فاختاروا منهم رجلا مذكورا ونفذوه اليه . فلما وصل الرسول الى الملك كيخسرو وأخبره بما جرى على الجيش جاش صدره هما وامتلأ قلبه غما . وقد كان موجع القلب بما جرى على

---

(١) الجوبان : فى الفارسية الراعى ، و يقال أيضا : شُبان . وقد استعمل المترجم هنا الجوبانية بمعنى الرعاة .

(١) ك : والتيقظ لأمر القتال (لا) . (٢) كو : فرس للنوبة مجفف .

أخيه فروذ فزاده هذا الخبر ألما على ألم، ونكأ منه قرحا على قرح . فأطلق لسانه فى طوس وجعل يلعنه . فكتب الى عمه فرى بُرز كتابا يقول فيه : إنى نفذت طوسا وأمرته ألا يسلك طريق كلات وجرم فخالف أمرى، وفجعنى بأخى . ثم لما غمز يده فى الحرب اختار اللهو والراحة والسكر والخلاعة حتى تم على العسكر ما تم . فاذا وقفت على كتابى هذا فانتزع (١) منه الكوس والمداس الذهبى والدرفش الجاويانى، وتسلم أنت ذلك، وتولّ سالارية (ا) العسكر، وسيّر الىّ طوسا، وتحرز عن الشرب واللهو، وإياك والطيش والنزق فى الحرب وأشباهها (٢) . واجعل على مقدّمتك جيو بن جوذرز، واستعن برأيه فى كل أمر (٣) . فلما جاء الكتاب الى عمه فرى برز دعا بطوس، وجمع مجمعا عظيما، وقرأ الكتاب عليهم . فتلقى طوس الأمر بالسمع والطاعة، وسلم تلك المراتب الى فرى برز، وركب فى أصحابه النوذريين راجعا الى حضرة الملك كيخسرو . فلما وصل دخل عليه فقبل الأرض بين يديه، ووقف ماثلا فى الخدمة فلم يلتفت اليه الملك، وأخذ يسفه عقله، ويفيل رأيه، ويعدّ عليه مساويه . ثم قال : لولا هذه اللحية البيضاء، وانتسابك الى مِنوجِهر لأمرت بضرب رقبتك . ثم طرده من عنده، وأمر بتقييده وحبسه .

ذكر ما جرى على الايرانيين من الكسرة الثانية

قال : فلبس فرى بُرز تاج السالارية، وقعد مقعد طوس، وقام مقامه فى الأمر والنهى والحل والعقد . فلم الشعث، وضم النشر، وأعدّ واستعد . وأرسل الى بيران يأخذ منه موعدا للقتال . (ب) فلما كان يوم الميعاد رتب عساكره، وعبى ميامنه ومياسره ؛ فجعل جيو على الميمنة فأشكش (٤) على الميسرة، ووقف بالدرفش الجاويانى مع من فى جملته من الإصبهبَذية فى القلب . وأقبل بيران فى صفوفه وأشياعه وجنوده كأنهم السباع الضارية . فلما تراءى الجمعان، والتقت الفئتان أمر فرى بُرز بأن يرشقوهم رشقة واحدة بسهام تفوّقها يد الحمام، ويريشها بالموت الزؤام . فتقدّم جيو مع الجوذرزيين وحمل عليهم حملة قتل فيها تسعمائة نفس من أقارب هومان (٥) ففلوا حدّهم . ثم تابعت الأتراك الحملات على جيو وأصحابه فلم يغنوا شيئا . ثم انقلبوا الى القلب، وحملوا بأجمعهم على فرى بُرز حملة أزعجته عن مقامه . فولى مدبرا والتجأ الى سفح الجبل . وبقى جوذرز وجيو وأصحابهما

(ا) السالارية : منصب السالار . وهو قائد الجيش كالسردار . (ب) الذى فى الشاه أنه أرسل اليه يسأله المهادنة شهرا فأجابه بيران الى ما سأل .

(١) طا، كو: فاستدع به وانتزع الخ . (٢) طا، كو: وأسبابها . (٣) لك، أمورك . (٤) طا: وأشكس .
(٥) لك، طا : فثبت لهم من عسكر الترك لهاك وهومان ففلوا .

فى المعركة . فالتفت جوذرز فلم ير الدرفش الجاويانى، فثنى عنانه، وهم بالإحجام . فمنعه ولده جيو . فوقفوا فانضم اليهم زنكه بن شاوران وكُستهم وجماعة من مقدّمى الايرانيين . فتحالفوا بالايمان المغلظة على ألا يبرحوا . فثبتوا وعضوا على الصبر . فلما حمى الوطيس واحمر البأس صاح جوذرز فى ملتحم القتال بحافده بيژن، وأمره بالمضى الى فريبُرز واسترجاعه الى المعركة، وأنه إن أبى الرجوع أخذ منه الدرفش وردّه الى القلب فعسى أن تجتمع عليه(١) العسكر، وتتقوى برؤيته قلوبهم . فلما أتاه بيژن امتنع من الرجوع ومن إنفاد العَلم أيضا . فغضب بيژن واستشاط وسل سيفه وضرب الدرفش فقطعه بنصفين، وأخذ أحد النصفين وأقبل به الى المعترك (ا) . فلما رآه بيران مع بيژن أمر أصحابه بقصده واستلابه من يده . فأدركه الايرانيون وحالوا بينهم وبينه، واحتفوا بالدرفش وأحاطوا به، واستأنفوا قتالا آخر وزحفوا الى(٢) العدوّ . فقتل ريو بن كيكاوس، وهو أصغر بنيه، فهوى الى الأرض صريعا (٦٦) وتعفر تاجه . فصاح جيو وقال : احفظوا تاجه(٣) لا يأخذوه . فبادره بهرام بن جوذرز واختطف بسنانه(٤) ذلك التاج وحماه من الأتراك . ثم كثرت حملات الترك على الايرانيين، وقتل منهم خلق عظيم حتى لم يبق من ثمانية وسبعين إصبهبذا من أولاد جوذرز غير ثمانية أنفس، وقتل الباقون . فأحجم الايرانيون وولوا هاربين وانحازوا الى ذلك الجبل (ولقى كستهم بيژن راجلا قد قتل فرسه فارتدفه الى سفح الجبل) . (ب) وانصرف بيران مع أصحابه الى مضاربهم بالظفر والسرور . وانصرف فريبُرز وأصحابه بالدبرة والثبور . نعم وضاع لبهرام بن جوذرز سوط فى تلك المعركة فحملته الحمية الجاهلية على أن لبس سلاحه، وركب يريد الرجوع الى المعركة فى طلب السوط . فمنعه أبوه وتعلق به، وخاطبه أخوه جيو فى ذلك أيضا فلم يسمع منهما، وقال : كيف يجوز فى طريقة أهل الحفاظ أن أترك سوطى الذى عليه اسمى حتى يقع فى يد بيران أو غيره من أصحابه ولست أغضى على هذه السبة ولا أتقلد هذا العار؟ فعاد الى المعترك وأخذ يدور فى تلك الصحراء يطلب السوط حتى عثر عليه فنزل لأخذه . فسمع حصانه صهيل حجرة فعار(٥) طالبا لها فعدا خلفه على رجله حتى لحقه، بعد أن صارا

(ا) هذا يلائم ما عرفه القارئ فى آخر فصل كيكاوس من إباء جوذرز مبايعة فريبُرز وتأييده المرشح الثانى كيخسرو . فالعداوة بين جوذرز وفريبرز بينة . (ب) ما بين القوسين من ك، طا، كو . وفى الشاه أن بيژن هو الذى ارتدف كستهم . وهذه الجملة لم تأت عفوا، فصداقة بيژن وكستهم يذكرها الشاعر مرارا فى هذا الفصل .

(١) ك : اليه . (٢) ك، طا : على العدوّ . (٣) ك، كو : تاجه من العدوّ .

(٤) صل : ببنانه . والتصحيح من ك، طا : كو . (٥) صل : عاد . والتصحيح من طا .

غريقين فى العرق مجهودين من التعب فاستوى عليه فلم يتحرّك تحته . ووقف لا يبرح مكانه . فأخذه الضجر وضربه بسيف كان معه فعرقبه ورجع راجلا الى المعترك فى طلب أخ له كان صادفه حيا بين القتلى . فأحس به بعض أصحاب البزك(١) فأعلم به بيران فنفذ ابنه روئين، وأمره بأن يأسره . فوقف بهرام يذب عن نفسه ويقاتلهم حتى قتل منهم جماعة . فرجع ابن بيران وجاء ثراو(٢) أحد أمرائهم المذكورين فأحدق ومن معه به . فقاتلهم وتتابعت الضربات من كل جانب عليه فضرب ثراو كتفه بسيف كان معه فأبان يده وخر صريعا :

ومن يغر بالأعداء لابد أنه سياق بهم من مصرع الموت مصرعا

قال : فلما تأخر رجوع بهرام الى أصحابه ركب أخوه جيو مع ابنه بيژن ورجعا الى المعترك فى طلبه فصادفاه صريعا مجدّلا يتغرغر بحشاشته . فلما أحس بأخيه جيو أفاق إفاقة ، وقال : لا يطالب بدمى غير ثراو . فهو الذى أبان يدى ، وجدّل بهذا العراء جسدى . فكاد جيو أن يتمزق جزعا ويتفطر أسفا على ذلك الأسد المقدام(٣) والفارس الهمام . فحلف ألا يفارق السيف يمينه ، والبيضة رأسه وجبينه حتى يشفى بقتل قاتله غليله . فركب وكمن الى أن دخل الليل . فجاء ثراو على البزك . فرصده حتى اذا تمكن منه ألقى عليه الوهق ، واجتره اليه ، وأسره وكتفه وجاء به الى مصرع بهرام فاحتز رأسه عنده . وفاضت نفس بهرام بعده . قال : ولما أصبح من اجتمع من المفلولين قعدوا يتشاورون فقالوا : إنه بعد أن غضبت علينا السعادة ، وقتل منا هؤلاء السادة ، وطالت علينا يد الأتراك بالإهلاك فالمقام هاهنا علينا حرام . والرأى أن نرجع القهقرى وراءنا ونعاود حضرة الملك كيخسرو ، وننظر ماذا يقتضيه رأيه ، ونعمل بما يخرج به أمره . فرجعوا الى كاسَروذ قاصدين قصد الحضرة . وعلم بيران بانصرافهم وعودهم الى بلادهم فجاء الى معسكرهم فرأى خيما مضروبة وأموالا موفورة وخزائن متروكة ففرّقها على عسكره . ونفذ فارسا الى أفراسياب يبشره بما تيسر له من الفتح . وركب فى أثره الى حضرته . فلما ورد عليه أكرمه وشكر سعيه ، وأنعم عليه بخلعة تشتمل على التاج والتخت ، وبغيرها من الخيل والغلمان والوصائف . وأوصاه بالتيقظ فى الأمر والتحرز من الخصم ، وأن يكون على حذر من رستم ولا يأمن شره .

(١) البزك : الحرس . (٢) طا . والشاه : تزاو . (٣) صل : المقام . والتصحيح من ك

ذكر وقعة كاموس الكشانى §

قال: ورجع الايرانيون الى حضرة الملك كيخسرو، ودخلوا عليه خافضى الأحداق ناكسى الرءوس والأعناق. فاغتاظ الملك عليهم وتنمر وقال: « لولا الحياء من الله لأمرت بصلب ألف منكم مع طوس الذى خالف أمرى وأفقدنى أخى، حتى سرى شؤم فعله الى الجوذرزيين حتى حصدهم السيف ». وبقى ساعة بعد محاسن أخيه فروذ، ويتوجع له ويبكى عليه. ثم طردهم من عنده، وتقدّم الى الحجاب بألا تمكنهم بعد ذلك من الدخول عليه. فخرجوا وجاءوا الى رستم وتضرعوا اليه، وقالوا له: «هذا الأمر كان شيئا قد كتب الله علينا وجرى به سابق القضاء. ومن كان منا يعرف

---

§ الظاهر أن البلد الذى ينسب اليه كاموس هو كشانية فى بلاد السغد (١). وقد يعجب القارئ أن تسمى قصة الوقائع الآتية باسم كاموس الكشانى وهو لا يصرّف أعظم حوادثها. وذلك أن المترجم وصل قصة كاموس بقصة خاقان الصين وجعل لهما عنوانا واحدا. والشاهنامه يفصلهما ويصرح الشاعر قبل الشروع فى قصة الخاقان أن قصة كاموس انتهت. وأنه سيشرع فى قصص الخاقان. على أن الشاعر يقول فى آخر قصة الخاقان أيضا أنه أنهى قصة كاموس. وأحسب كلمة « كاموس » وضعت غلطا مكان « خاقان » ولعل هذا دعا المترجم الى اعتبار القصتين قصة واحدة. وسنّى له هذا أن الحوادث متصلة، وكاموس والخاقان كانا معا فى جيش واحد.

ثم الوقائع التى كانت بين طوس والتورانيين قبل مجىء كاموس والخاقان مددا لتوران ومجىء رستم لإنجاد جيش إيران — هذه الوقائع أعظم من أن تذكر فى القصة مقدّمة لحرب كاموس. فاذا ضممنا الى هذا أن هذه الوقائع تشبه الوقائع التى تقدّمت فصلَ « قصة كاموس » لم نبعد أن تكون حربا واحدة رويت روايتين مختلفتين ووصلت إحداهما بطائفة من الحوادث والأخرى بطائفة غيرها. ونظمهما الشاعر كما وجدهما. وأوجه الشبه بين ما ذكر من الوقائع أن الإيرانيين يُهزمون فى الأولى والثانية وتمطر عليهم السماء بردا ويعتصمون بالجبال، وأن أحد العدوّين يبيّت الآخر فيهما وأن طوسا هو قائدهما. ويؤكد هذا أنه يبعد أن يرسل كيخسرو طوسا لقيادة الجيش بعد أن عزله وحبسه لسوء سيرته وقتله فرود أخا كيخسرو.

فاذا فصلنا قصة كاموس من قصة الخاقان، ثم حذفنا من الأولى الوقائع التى يظن أنها مكررة كان عنوان « قصة كاموس » على قدر حوادثها. =

(١) انظر معجم البلدان لياقوت

فروذ أو يعلم نسبه من سياوخش حتى[1] لا يتعرّض له ؟ و إنه لما قتل ابن طوس وختنه احترق قلبه فكان منه ما كان . والآن فقد[2] وقع المحذور ، ومضى المقدور » . وسألوا رستم الشفاعة فيهم . فدخل على الملك ، وكلمه فى حقهم ، واعتذر لهم اليه حتى رضى عنهم . ثم عاوده فى حق طوس ، وتشفع اليه فيه حتى أطلقه . فحضر بين يدى الملك مع جوذرز وغيره من الأمراء ، ودعا للملك واعتذر اليه واعترف لديه بذنوبه . ثم قال : « إن أمر الملك استأنفت الأمر ، ورجعت الى توران ، وأفرغت[3] وسعى ، وبذلت مجهودى حتى أدرك الثار ، وأخرب تلك الديار » . فأعجب الملك ذلك ، وشاور رستم فيه ، وطالت مفاوضتهم فى ذلك وتراجعهم حتى استقرت آراؤهم على أن يولى طوسا سالارية العسكر ، ويعود ثانيا الى قتال توران . فأطلق للعسكر أرزاقهم وخلع عليهم وأعطاهم ، واختار لخروجهم يوما مباركا . فبرز طوس وخيم بالصحراء ، واجتمعت اليه الإصبهبذية فى جموع ضاق بهم الفضاء ، ولم يأت عليهم الإحصاء[4] . وخرج الملك فشيعهم وجهزهم ثم رجع . فساروا الى أن وصلوا الى وادى

= ثم قصة كاموس فى الشاهنامه ١٥٩٥ بيتا تتقسمها العناوين الآتية[5] :

(١) فاتحة القصة . (٢) كيخسرو يوبخ طوسا . (٣) عفو كيخسرو عن الإيرانيين . (٤) إرسال كيخسرو طوسا الى توران . [(٥) رسالة پيران الى عسكر إيران .] (٦) إمداد أفراسياب پيران . [(٧) قتل طوس أرژنك . (٨) قتال هومان وطوس] . (٩) قتال الإيرانيين والتورانيين مرة أخرى . [(١٠) التورانيون يسحرون جيش إيران] . (١١) ذهاب الإيرانيين الى جبل هماون . (١٢) إحاطة جيش توران بجبل هماون . (١٣) تعقب پيران الايرانيين الى جبل هماون . (١٤) الايرانيون يبيتون العدو . (١٥) علم كيخسرو بما أصاب جيشه . [(١٦) تزوج فريبرز فرنكيس أم كيخسرو .] (١٧) طوس يرى سياوش فى المنام . (١٨) إرسال أفراسياب الخاقان وكاموس لنجدة پيران . (١٩) مجىء الخاقان الى جبل هماون . (٢٠) ائتمار الايرانيين فيما بينهم . (٢١) علم كودرز بأن رستم قادم . (٢٢) ذهاب خاقان الصين لرؤية جيش إيران . (٢٣) بلوغ فريبرز جبل هماون . (٢٤) تشاور پيران وخاقان الصين . (٢٥) مقاتلة طوس وكيوكاموس . (٢٦) مجىء رستم الى الايرانيين . (٢٧) ترتيب الايرانيين والتورانيين الجيوش . (٢٨) قتال رستم وأشكبوس . (٢٩) سؤال پيران عن قدوم رستم . (٣٠) ترتيب الجيوش للقتال . (٣١) قتل كاموس ألوا . (٣٢) قتل رستم كاموس .

(١) صل : حتى (لا) . والتصحيح من لك ، كو . (٢) كو : قد . (٣) لك ، كو : فأفرغت
(٤) لك ، طا : الحصر والاحصاء . (٥) ما بين الأقواس محذوف من البر :

الشهد § . فركب بيران فى عساكر الترك حتى شارفهم . فلما وقف على حالهم أرسل الى أفراسياب، وسأله أن يمدّه بمن يقدر على حشده من الجيوش . فأنفذ اليه بعد عشرة أيام عسكرا عظيما . فقوى به قلب بيران، واشتدّ أزره، وأقبل حتى نزل بحذاء الايرانيين. فجرت بينهم وقائع كثيرة عظيمة فى أيام متوالية . وكانت آثار الدبرة تظهر فى كل يوم على الايرانيين . فنفذ طوس فارسا الى الملك كيخسرو، وأنهى اليه الحال ، وسأله أن يمدّه برستم ومن يقدر عليه من الجنود . ثم إنهم ضاق بهم الأرض ، وكثر فيهم القتل، وظهر فيهم الفشل، (١) فقعدوا ذات يوم يتشاورون فاتفقت آراؤهم على أن يرجعوا وراءهم الى جبل عظيم هناك يسمى هماون فيتحصنوا به، حتى اذا أمنوا واطمأنوا نظروا فى أمورهم، ودبروا ما يرجع بمصالح أحوالهم وشؤونهم . فركبوا عند غروب الشمس قاصدين ذلك الجبل ، (٦٧) وقدّموا بين أيديهم الثقل ، وساقوا(١) طردا وركضا حتى وصلوا الى الجبل فنزلوا وتحصنوا به . وقال طوس لجيو بن جوذرز : استرح ساعة وتناول شيئا ، وانظر من يخرج الى اليزك ويكون طليعة . فان العدوّ وراءنا لا يتأخر عن طلبنا . فركبت الطلائع وتفرّقوا فى سفح الجبل(٢) وعلى فوهات الطرق . ولما أصبحوا جاءهم النذير بأن طلائع العدوّ قد طلعت . فركب طوس فى العسكر فاصطفوا فى سفح الجبل . فأتاهم هومان فى جموع من الترك، واصطفوا بحذائهم، ووقف يعنف طوسا ويعيره(٣) بالفرار والاعتصار(٤) بالحصار . وردّ فارسا يستعجل بيران فى اللحاق به . فوصل بيران فى جميع عساكره عند غروب الشمس فنزلوا أمام الجبل حتى أصبحوا . ففرق بيران العساكر، ووكلهم بحفظ الطرق عليهم، وسدّ المسالك اليهم . فأحدقوا بذلك الجبل، وقطعوا عنهم المادة والميرة . وكانوا ينزلون ويقاتلون العدوّ، والحرب بينهم سجال .

---

§ فى الشاه : أن طوسا حين بلغ وادى الشهد كتب الى پيران يخبره، وأن پيران أرسل الى طوس يذكر أياديه على كيخسرو وأمه ، وحزنه على سياوخش ، ويلوم الملك كيخسرو على إرسال الجيوش لحربه . فأرسل طوس اليه يقترح أن يهجر توران الى ايران لينال إحسان الملك . فأظهر بيران أنه سيفعل . ثم كتب إلى أفراسياب يخبره بقدوم جيش إيران، ويستمده .

(١) فى الشاه : أن بيران قائد توران دعا ساحرا اسمه بازو، وأمره أن يصعد الجبل فيثير بالسحر على الايرانيين ريحا باردة تنثر عليهم البرد . ففعل، وكان هـذا من أسباب هزيمة الايرانيين . و فى كتاب البلدان أن عنـد الأتراك حصاة يستمطرون بها ما شاءوا من مطر وثلج . ص ٣٠٩

(١) ك : وساروا . (٢) ك : الجبل على . (٣) ك : ويعيبه . (٤) ك : الاعتضاد

ذكر اطلاع الملك كيخسرو على حال الايرانيين

قال : ثم أتى الملك كيخسرو الخبر بما جرى على طوس وأصحابه ، وما انتهى اليه حالهم . فعظم عليه ذلك ، وأخذه المقيم المقعد ، وفزع على ملكه . فنفذ جماعة من الموابذة والأكابر الى رستم يستدعيه . فلما حضر شرح له حال طوس وما جرى عليه وعلى الجوذرزيين[١] . ثم قال : إنى أفزع على هذه الدولة المتطاولة الأيام من الزوال والانصرام . وقد امتلأ قلبى عليها ذعرا وأوجست فى نفسى خيفة . وما ربى[٢] التاج والتخت من الأول إلا أنت ، وبك فاضت عليهما السعادة والبخت . وما[٣] يخفى على العالمين وقائعك وأيامك وما فعلت بسعالى مازندران ، وشياطين كركساران . والآن فقد جاء كتاب طوس ، وهو يستصرخ بك مستغيثا ، ويستنجدك مستجيرا . وهو على شفير هار مشرف على يأس وبوار » . وكأنما عن هذه الحالة عبر مترجم الكتاب الفتح بن على[٤] حيث قال :

أغث منه بنصرك ذا صراخ حزين القلب أدمعه سجام
أراه اليوم وافى مستجيرا اليك . وإنه وجب الذمام
مريض قد قضى أو كاد لما تولى طبعه علل جسام
وليس سواك فى الدنيا طبيب يعالجه لينحسم السقام
فان أدركته لطفا وإلا على أطلال كاظمة السلام

فقال له رستم : لا يخفى على علم الملك أنى من اليوم الذى اعتصب[٥] كيقباذ فيه بتاج السلطنة الى هذا اليوم لم أضع المغفر عن رأسى ، ولا استراح عن أوزار الحرب ظهرى ، ولا أجممت عن مطاعنة الأعداء ومضاربتهم ساعدى ويدى . والآن فأنت ذو الدولة الجديدة والسعادة العتيدة ، وأنا أتلق أمرك بالامتثال ، وأقابل حكمك بالطاعة والانقياد » . فأمر الملك بفتح الخزائن ، ومزق الخازن رءوس البدر والأكياس (وأفرغ الدنانير[٦]) والدراهم على الأجناد ، بعد أن سلم مفاتيحها الى رستم ، وأطلق فيها يده . ثم قال له : ينبغى أن يسرع البهلوان جادّا كالريح العاصف ، لا يقيم فواق ناقة ولا يستريح روحة راكب . وليستصحب مائة ألف من آساد الأجناد والفرسان الأنجاد . وليجعل فرى برز على مقدّمته » . فقبل رستم الأرض ، وخرج من عند الملك . وبرز الى الصحراء

(١) ك : وقال . (٢) هذه الكلمة غير واضحة فى الأصل . وهى فى كو : رجا . والتصحيح من طا : ومن الشاه .
(٣) ك : ولا . (٤) كو : « الفقيه العالم قوام الدين » بدل «الفتح بن على» . (٥) ك ، طا : اعتصب فيه
(٦) ما بين القوسين من ك ، طا .

فأفاض على عسكره العطايا وأطلق أرزاقهم . وقدّم فرى بزر بين يديه . وأشار عليه (بأن يعجل اللحاق بطوس وبأن يمنعه من العجلة فى أمره ويشير عليه)[١] بالتثبت والمدافعة وبأن لا يناجز بيران ، ويسلك معه سبيل الخديعة والمكر حتى يلحق به فيمن معه على الأثر كالسيل المتلاطم . فسار فرى برز . وسار فى أثره رستم ، وشيعه الملك فرسخين ثم عاد وهو يستنجز الله فى نصره الميعاد .

(أ) ذكر رؤيا رآها طوس

قال : ونام طوس ذات ليلة بعد أن أقض من المهم مضجعه ، واستعرت بنار الغصص أضلاعه . فرأى فى منامه كأن شمعة مشتعلة منبثة الأشعة قد طلعت من ماء ، والى جنبها[٢] تخت من العاج ، وسياوخش قاعد عليه معتصبا بالتاج . فأقبل الى طوس فضحك اليه وقال : الزم هذا المكان . وأشر على الايرانيين بالثبات والصبر . فإن النصر قريب . ولا تهتم بمقتل الجوذرزيين فإن ها هنا حديقة ورد ، وهم معى فيها نشرب الرحيق ، ونواصل الصبوح والغبوق » . فانتبه مسرورا ، وقص رؤياه على جوذرز ثم قال : لا أشك أن رستم يلحقنا . وما من يوم إلا وأتوقع وصوله فيه[٣] . وهو واصل » . ثم أمر بدق الكوسات على ذلك الجبل . فركب الفرسان وتأهبوا للحرب ورفعوا علم الدرفش الميمون . وركب بيران من ذلك الجانب ، وتقدّم فى عساكره . ووقف كل واحد من الفريقين بإزاء الآخرين . ولم يتقدّم أحد من الطائفتين لمبارزة ولا محاربة . فاستعجل هومان بيران فى أن يناوشهم الحرب . فقال له : لا تحتد وتأنّ وتجنب النزق والعجلة فى محاربة القوم . فإنا قد سددنا عليهم الطرق ، ومنعنا عنهم[٤] الميرة . وعن قليل يضطرون الى النزول الينا ، ويستأسرون لنا » . فاعتمدوا على ذلك ورجعوا الى مضاربهم . ولما أصبحوا طلعت الشمس من برج السرطان ووصل الى بيران رسول أفراسياب يبشره بوصول الأمداد لإنجاده متواصلين ؛ منهم خاقان[٥] ملك الصين فى عساكر لا تقلهم الأرض ، ومنهم بهلوان من أهل ما وراء النهر يسمى كاموس الكشانى . وهو فارس ما تمخضت أم الشجاعة بمثله . فى جمع سماهم صاحب الكتاب . وحكى أن أفراسياب ما ترك من باب اسفيجاب الى حدود الروم فارسا إلا أتى به[٦] . قال : فبشر بيران أصحابه ، وقال لهم : قد

(أ) فى الشاه ، قبل هذا الفصل ، فصل ذكر فيه الشاعر تزوج فريبرز بن كيكاوس أم الملك كيخسرو . وكأن هذا الزواج كان لإزالة ما بين الملك وعمه من الوحشة التى كانت من تنافسهما على الملك . وكأن تولية فريبرز قيادة الجيش بعد عزل طوس — كما تقدم — كانت ممهدة لهذا .

(١) ما بين القوسين من ك ، طا . (٢) ك ، كو : جانبها . (٣) ك ، طا : فيه (لا) .

(٤) ك ، طا : ومنعناهم . (٥) كو : خاقان الصين . (٦) لفظ «به» من ك ، كو .

فاز قد حكم وورى زندكم . وما بقى عليكم من العناء غير قليل . وستضعون أوزار الحرب عن قريب . وسأفرغ غدا عن[(١)] هؤلاء المخذولين الذين اعتصموا بهذا الجبل . ثم أقسم العسكر ثلاثة أقسام ؛ فقسم أسيره الى بلخ حتى يحتووا عليها ، وقسم أنفذه الى بلاد زابل حتى يتملكوها ، وأنهض فى القسم الثالث الى بلاد ايران فأخربها وأملك تاجها وتختها وأقتل رجالها وأسبي ذراريها ونساءها . ثم أوصى هومان وأصحابه بحفظ الطرق ، والنزول على مخارم ذلك الجبـل حتى لا ينتهز الايرانيون فى النجاة بأنفسهم فرصـة ، ولا يهربوا ليلا . وركب بيران للقـاء ملك الصين وكاموس الكشانى . فرأى الخيم والسرادقات طلاع ذلك الفضـاء ، ورأى الرماح والأعلام متشاجرة ما بين الأرض والسماء . ودخل على الخاقان فلما وقع نظره عليه قبـل الأرض . فاعتنقه الخـاقان وأكرمه وأجلسه بين يديه ، وسايله عن عسكر ايران وعددهم وعددهم ورؤسائهم وأمرائهم . ثم عزم بيران على النهوض . فأجلسه وقال : تستريح عندنا هـذه[(٢)] الليلة » . فبات بيران عنـده يشرب معه . قال : وأشرف طوس من الجبـل ٦٨ صباح اليوم المذكور على معسكر الاتراك فرآهم خافتين ساكنين ، فاهتم بسبب ذلك وفزع ، وقال : لا يخلو حالهم من أحد الأمرين[(٣)] : إما أن يكون قـد[(٤)] أتاهم خبر سوء فأصم صداهم ، وإما أن يكون قد جاءهم[(٥)] مدد فاشتغلوا بمقدمهم عن الحرب . فإن كان هذا هو الواقع ، والعياذ بالله ، ولم يغثنا رستم فقد انقضت أيامنا وانصرمت أعمارنا ، وسيهجمون علينا هجوم السيل ، وسيدوسوننا بسنابك الخيل (قال : فقام جوذرز من وسط القوم وصعد الى رأس الجبل[(٦)]) وأقعد الديدبان فى أعلاه ينظر ويرقب . فلما كان بعـد زوال الشمس رأى الأرض من ناحية توران تموج بالرماح والأعلام ، وتمور بالخيـل والفيلة . فصرخ واستغاث وسمعه جوذرز فصار وجهه كالقار[(٧)] من فرط الحذار فقال : الساعة أدبرت عنا السـعادات والدول ، وانقطع عن الحياة رجاؤنا والأمل . قد كان حولى من أولادى وأحفادى عسكر ، فلم يبق منهم فى الطلب بثار سياوخش عين ولا أثر . فياليت أمى لم تلدنى » ووقع عليه البكاء والعويل . ثم أمر بإسراج فرسه عازما على أن يودع من بقى من أولاده ، ويستسلم للهلاك . وتفرقت الأمراء والإصبهبذية فى سفح ذلك الجبل . وقعدوا حلقا حلقا ، قد علتهم الهموم والكآبة ، يوصى بعضهـم الى بعض ، ويودع أحدهم الآخر ، حين انقطعت عن البقاء أطماعهم وخاب فى الحيـاة رجاؤهم .

(١) ك . من . (٢) ك : هذه (لا) . (٣) ك : أمرين . (٤) ك : قد (لا) .
(٥) ك : أتاهم . (٦) ما بين القوسين من ك ، طا . (٧) اصل : كالنار . والتصحيح من ك ، طا ، كو ، والشاه .

فبينا هم كذلك إذ جاءهم الديدبان يبشرهم بطلوع الرايات والأعلام وظهورها من ناحية ايران . فكادوا يطيرون عند ذلك فرحا وسرورا ، وكانوا أذل من الثعالب فصاروا(١) ضراغم ونمورا . واشتعلت نيرانهم ، وأورقت بعد الذبول أغصانهم . فصاح طوس بأعيان العسكر ووجوه الجيش ، وأمرهم بأن(٢) يستشعروا القوة على عدوهم . فعمهم السرور والفرح ، وكثرت بينهم التهانى والبشائر فى يومهم ذلك . فأفاضوا على الديدبان الخلع ، ونثروا عليه الذهب والفضة . وأمر طوس بركوب اليزك لحفظ الطرق .

قال : ولما طلعت الشمس فى ثالث ذلك اليوم عبى الخاقان عساكره ، وقال لبيران : نستعد(٣) للحرب ونجرّب(٤) الايرانيين ونبصر طرائقهم . فقال بيران : نحن كلنا تبع للملك منقادون لأمره ، فليفعل ما يريد . فأمر بدق الكوسات ، وجاءوا بخمسة من الفيلة وأسرجوها بسروج على أقدارها ، مرصعة بالزبرجد ، وغشوها بالديباج(٥) المذهب . وعلاها الفيالون بالأكاليل الموشحة باللؤلؤ والياقوت ، والأطواق(٦) . وركب فى عسكر عادت(٧) تشتعل بأسلحتهم الآفاق ، وتقمر بأشعتها الأحداق . وجاءوا حتى صافوا طوسا فى جموعه وصفوفه . ثم قال الخاقان لبيران : ما ترى الآن ؟ فقال : أيها الملك ! قد(٨) طويت مراحل بعيدة ، وتحملت تعبا ومشاق كثيرة . وقد أبصرت العدو . والرأى أن ينصرف الملك ويستريح هو وعسكره ثلاثة أيام . ثم يجعل العسكر قسمين ؛ فيحارب العدو من أول النهار الى وقت الزوال أحد القسمين ، ويقاتلهم القسم الآخر بعد الزوال . فانه عند ذلك يضيق عليهم الأمر فنهجم عليهم فنقتل البعض ونستأثر(٩) البعض» . فأنكر ذلك كاموس الكشانى وقال : ما هذا التوانى والتمهل؟ وما بالنا لا نناجزهم مع قلة عددهم وضعفهم؟ والأصوب أن نصدمهم صدمة واحدة ، ونفرغ منهم ، ثم نقود العساكر الى بلاد ايران فنتملكها قهرا ، ونخطبها قسرا . فقال خاقان(١٠) : الرأى ما رآه كاموس . فاستعدوا الليلة ، وينبغى أن يكون جميع العساكر وقت تبلج الإصباح حاضرين فى هذا الفضاء . فاتفقوا على هذا الرأى ، وانتقضوا من ذلك الموقف . وباتوا ليلتهم فى الإعداد والاستعداد .

قال : فجاء الديدبان صبيحة الغد الى جوذرز ، وبشره بقرب العسكر الواصل من ناحية ايران . فركب جوذرز ، وقصد قصد الغبار الذى طلع من طريقهم . فلما خالطه رأى فرسان أهل ايران

(١) لك ، طا ، كو : فعادوا . (٢) لك : أن . (٣) طا ، كو : نستعد اليوم . (٤) لك ، طا : ونجرّب أنفسنا مع الايرانيين . (٥) لك : بديباج . (٦) لك ، طا ، كو : والأطواق والقرطة . (٧) لك ، طا ، كو : كادت . (٨) لك ، كو : انك قد . (٩) لك : ونأسر . (١٠) كو : الخاقان .

مقبلين ، و رأى فرى برز بن كيكاوس[١] قدام العسكر . فترجل له وتعانقا فعزاه[٢] فرى برز عن أولاده (١) وسايله[٣] . فبكى جوذرز وذكر له ما هم فيه من الضيق والشدة والخوف من العدو . وشرح له كثرتهم وغلبتهم . وقال : إن جميع عساكر طوس بالنسبة اليهم كشعرة بيضاء فى جلد بقرة سوداء ، وكأنهم ما خلوا من بلاد الصين وسقلاب والهند والروم ذا روح إلا وقد أتوا به إلينا . ثم سايله وقال : متى يصل رستم ؟ فقال : إنه لا يبطئ ، ولعله يصل الليلة . ثم قال لجوذرز : فما أصنع الآن ؟ وأين أنزل بهذا العسكر؟ وأين أقصد بهم؟ فقال جوذرز : فما الذى قاله رستم لك ، وبماذا أشار عليك ؟ فانه لا محيد عن أمره ، ولا معدل عن رأيه . فقال : إن رستم لم يأذن لى فى الحرب ، وقد أمر طوسا بالصبر الى أن تطلع راياته» . ثم توجه بمن معه من العسكر نحو الجبل الذى عليه طوس وأصحابه . فلما رأى ديدبان التورانية ورباياهم العسكر الذى جاء من صوب ايران ، وانضوى الى أصحاب طوس أخبروا بيران بوصول المدد من صوب ايران . فعظم ذلك عليه ، وركب مذعورا الى الخاقان ، وأعلمه بأن طوسا قد جاءه مدد من عساكر ايران ، وأنه بعد لا يعرف مقدار عددهم ولا من المقدم عليهم . فقال له كاموس : قلدك أفراسياب سالارية جيشه ، وسير تحت رايتك جميع عسكره ، فما الذى كان بك حتى أقمت فى هذه الناحيه خمسة أشهر تدور من جانب الى جانب لا تناجز عدوك . ولا تجد فى قتاله ؟ والآن حين امتلأت الأرض بالعساكر وأنجدك الخاقان والمنشور[٤] وغيرهما من ملوك الأطراف ووجوه الأمجاد والأنجاد فاصبر ولا تقلق حتى يفتح ما أغلقته من الأمر . واعلم أنه لو اجتمع جميع عساكر كابل وزابل وخرجت وحدى اليهم ما وقفوا قدامى ساعة . وقد فزعت من رستم وعسكر سجستان . وأنا فلست أفكر فيهم ، ولا أبالى بهم . »

ولما كان من الغد ركب كاموس فى عساكره الى فضاء المعترك ، وركب طوس من الجانب الآخر فتناوشوا الحرب من أول النهار الى آخره . ولما جنحت الشمس للغروب رجع كلا الفريقين الى مضاربهم . (٦٩)

وكان جوذرز فوق الجبل فجاءه الديدبان فى ناشئة الليل ، وأعلمه بظهور جمع عظيم بين أيديهم الشموع المتقدة والمشاعل المشتعلة ، وذكر أنه لا يشك فى أنهم مواكب رستم قد وصل . فركب جوذرز ونزل من الجبل . فلما بدا له علم رستم ركض فرسه نحوه . وحين رأى وجهه ترجل وخدم .

(أ) أولاد كوذرز قتلوا فى معركة قائدها فرى برز — كما تقدم فى هذا الفصل — فما تعزية فرى برز الآن ؟ . انظر مقدمة الفصل فى الكلام عن اللبس فى هذه الوقائع .

(١) ك : ابن كيكاوس (لا) . (٢) ك ، طا : وعزاه . (٣) كو : عن حاله . (٤) فى الشاه : المنشور .

ونزل رستم أيضا فتعانقا وانتحبا . وجعل جوذرز يدعو له ، ويظهر السرور بمقدمه ، ويقول : إنك أنفع للايرانيين من التاج والتخت ، وخير لهم من الأم والأب . وقد كنا قبل مجيئك كالحيتان على اليبس . فنحمد الله على أن وصلنا بخدمتك ، وأقر أعيننا بطلعتك . وفى نظرى اليك من الفرح ما يهوّن علىّ قتل الأولاد والأحفاد» . وبلغ الخبر طوسا وجيوا وغيرهما من الملوك والأمراء ، فركبوا فى جنح الليل لتلقيه . فلما رأوه نزلوا وخدموا له ، وأجهشوا اليه بالبكاء والعويل على من قتل منهم من السادة والكبراء فبكى رستم عند ذلك ، ثم أقبل[1] عليهم يعزيهم ويعظهم . وساروا جميعا نحو الجبل . ونصب سرادقه ، ونزلت عساكر نيم روز عنده . فدخل السرادق وقعد على التخت ، وقعد جوذرز وجيو الى جانبه ، وقعد طوس من الجانب الآخر ، واصطف سائر الأمراء والاصبهبذية قياما على رأسه[2] .

قال : وأخذوا طول ليلتهم يحدّثونه عن عساكر توران ، وعن الذين أنجدوهم مثل خاقان الصين وكاموس الكشانى ومنشور[3] وغيرهما من ملوك تلك الأقاليم ، ويذكرون ما كانوا عليه من الخطر ومشارفة الهلاك قبل وصوله . ثم حمدوا[4] الله على خلاصهم به من ذلك ونجاتهم بمقدمه . ثم خرجوا من عنده .

ولما أصبحوا ارتفعت أصوات الكوسات من الجانبين ، وركب الخاقان وعبى عساكره ، وجعل كاموس على الميمنة وبيران على الميسرة ، ووقف فى القلب . فلما رأى رستم ذلك أمر بتسوية الصفوف ، فجعل جوذرز على الميمنة وفرى برز على الميسرة ، وأمر طوسا بالوقوف فى القلب . وقال لهم : إن الرخش قد تعب فى هذا الطريق . فانى قد كنت أسير عليه فى كل يوم مسيرة يومين من غير أن أريحه وأجمه . وأنا أخشى عليه بسبب ذلك . فصابروا العدوّ هذا اليوم ودافعوهم» . ثم رجع الى الجبل حتى صعده فأشرف على عساكر الترك . فلما رأى وفور جمعهم وكثرتهم نزل ورجع الى أصحابه ، وأشار عليهم بدق الكوسات والزحف على[5] العدوّ . فتحرّك طوس من موضعه ، وزحف كل واحد من الجمعين الى الآخر . فقاتلوا[6] فى ذلك اليوم قتالا عظيما . وكان كاموس يحرّض أصحابه ويأمرهم ببذل الوسع فى القتال . فتقدّم فارس منهم يسمى اسكبوس[7] وطلب المبارزة فتصدّى له

(١) ك : وأقبل . (٢) فى كو فى هذا الموضع : وكأنما عناه الرضى حيث يقول :

أخو الحرب ذاق الرائعات وذقنه ... ونال ونالتـــه القنا والفوارس
كأن ملوك الأرض حول سريره ... بغاث وقوف والقطامى جالس
اذا رمقوه فالجفون كواسر ... على غير داء ، والرءوس نواكس

(٣) فى الشاه : منشور . (٤) لفظ الجلالة من كو ، وحاشية طا . (٥) طا ، كو : الى العدوّ .
(٦) ك ، طا : فتقاتلوا . (٧) فى الشاه : اشكبوس .

رهام (بن جوذرز فتطاعنا ساعة فهرب منه رهام)[١] وأراد طوس أن يخرج من الصف لمبارزته . فمنعه رستم من ذلك ، وقال : الزم مكانك » . و برز اليه بنفسه وهو راجل ، و بيده قوسه ، وقد غرز فى وسطه سهاما عدّة . فلما رآه اسكبوس ضحك متعجبا منه حين تصدّى لمبارزته راجلا . فسدّد رستم نشابة الى نحر فرسه فرماه بها ، فتقطر منه الفرس على جنبه ، و بقى يقاتل راجلا . فرماه رستم بنشابة أخرى فخر صريعا لوجهه . وانكسرت قلوب الأتراك بسبب ذلك . و رجع كلا الفريقين الى مواضعهم[٢] ، فقطعوا ليلهم فى حديث الحرب متعجبين من قتل راجل لمثل[٣] ذلك الفارس ، وهم لا يدرون أنه رستم .

ولم يزالوا فى تهيئة أسباب الحرب حتى أصبحوا . فدعا الخاقان بكاموس وقال : لا ينبغى أن يكون قتالكم اليوم مثل قتالكم بالأمس » . وحثهم و حرضهم على الجد والاجتهاد و إفراغ الوسع والطاقة . وأما رستم فانه قال لأصحابه : إنى قد أنعلت الرخش ، وأباشر القتال[٤] بنفسى فى هذ اليوم . ثم ظاهر بين درع وجوشن ، ولبس فوقها[٥] عدّة أخرى من جلد الببر . (أ) و ركب وحرض أصحابه . و ركب الخاقان ، وعبى عساكره على تعبيته بالأمس . وزحف الايرانيون اليهم على تعبيتهم . فكان أوّل من تقدّم كاموس الكشانى فى مثل هيجان الفيل القطم ، وصاح وقال : أين ذلك الراجل[٦] الذى بارز بين الصفين بالأمس . فعلم طوس وجيو وأصحابهما أنهم لا طاقة لهم بمقاومته . فلم يتعرّض منهم أحد . وكان فى أصحاب رستم الزابليين فارس يسمى ألواذ قد أفنى عمره فى معالجة الحروب ، وتعلم من رستم الفروسية وطرائق القتال . فتقدّم لمبارزته ، فما كان إلا قليلا حتى طعنه كاموس طعنة اختطفه بها عن ظهر فرسه ، و رماه الى الأرض قتيلا . فلما رأى رستم ذلك اغتاظ وتمزق[٧] ، ثم تقدّم اليه وفى إحدى يديه الجرز وفى الأخرى الوهق . فقال له كاموس : ما هذا الشهيق والتغيظ؟ وما هذا الإدلال بهذا الحبل ؟ فقال رستم : إن السبع الجائع اذا ظفر بالصيد زأر ، وأما هذا الحبل فستخبرك عنه رقبتك . فثوّر كاموس فرسه ، وضرب بسيفه رقبة الرخش ضربة عظيمة فلم تؤثر فيه غير قطع التجفاف . فحلق رستم عند ذلك عليه الوهق ، وأعلقه فى وسطه ، واجتره اليه ، وثوّر رخشه فأخذ الكشانى أسيرا ، و رماه من ظهر فرسه الى الأرض صريعا لليدين والفم . ثم ترجل عليه وكتفه

(أ) فى الشاه : "الدرع تحت والجوشن فى الوسط وجلد الببر (ببر بيان) فوق" وجلد الببر جُنة عرف رستم بلبسها فى الحرب .

(١) ما بين القوسين من ك ، طا ، كو . (٢) ك : مواطنهم . (٣) ك : لذلك الفارس .

(٤) ك : الحرب . (٥) كو : فوقهما . (٦) صل : الرجل . والتصحيح من الشاه ، طا ، كو .

(٧) ك ، طا ، كو : فلما رأى رستم ذلك اغتاظ وتنمر وشهق ثم .



رستم يرمى اسكبوس التورانى فيقتله ، بعد أن رمى فرسه فقتله

[من الشاهنامه — طبع تبريز سنة ١٢٧٥]

وعاد به الى أصحابه، وأباحهم دمه ، فأخذته السيوف يمنة ويسرة حتى تناثرت أوصاله وأجزاؤه ، وتطايرت أعضاؤه وأشلاؤه § .

فأظلم النهار لمقتله فى عيون الأتراك فأتوا الخاقان، وأخبروه بمقتل كاموس . فعظم ذلك عليه حتى تغير لونه . فدعا بهومان وأمره بأن يخرج من الصف ويسايل عن هذا الفارس وعن اسمه ومولده . فخاف فغير لباسه ، وركب فرسا غير الذى كان عليه ، وخرج من الصف، وقرب من رستم فمدحه وقرظه ووصف قوته وشوكته . ثم سأله عن اسمه ومولده . فقال له : ما الذى دعاك الى هذا السؤال وما مرادك منه ؟ ولماذا دنوت منى تلاينني فى الكلام وتلاطفنى فى الخطاب ؟ فان كان الغرض طلب الصلح وإطفاء نائرة الفتنة فسلموا الينا قاتل سياوخش ومن سعى فى دمه ، وقتلة الجوذرزيين مع الخزائن والخيل التى جاء بها سياوخش الى بلادكم . فإن فعلتم ذلك صالحناكم وأمسكنا عن محاربتكم . وإن أردت أن اسمى لك[1] المطلوبين فأولهم كرسيوز الذى كان قادح زند الفتنة وموقد

§ تنتهى هنا قصة كاموس الكشانى فى الشاهنامه ، ويصرح الفردوسى بانتهائها وأنه سيقص بعدها نبأ خاقان الصين ثم يبدأ القصة بعنوان «قصة رستم وخاقان الصين» . وقصة الخاقان فى الشاهنامه ١٥٢٥ بيتا فيها العناوين الآتية وما بين القوسين محذوف فى الترجمة :

(١) علم الخاقان بمقتل كاموس . (٢) [مقاتلة چنكش ورستم] . (٣) إرسال الخاقان هومان الى رستم . (٤) ائتمار پيران وهومان والخاقان . (٥) مجىء پيران الى رستم . (٦) تشاور التورانيين فى حرب الايرانيين . (٧) خطاب رستم عسكره . (٨) ترتيب الجيوش الايرانية والتورانية . (٩) توبيخ رستم پيران . (١٠) بدء القتال . (١١) قتال شنكل ورستم وهرب شنكل . (١٢) حرب رستم وساوه . (١٣) قتل رستم كهار الكهانى . (١٤) أسر الخاقان . (١٥) هزيمة جيش توران . (١٦) تقسيم رستم الغنائم . (١٧) كتاب رستم الى كيخسرو . (١٨) جواب كتاب رستم . (١٩) علم أفراسياب بما أصاب جيشه . (٢٠) حرب رستم وكافور آكل البشر . (٢١) علم أفراسياب بقدوم رستم . (٢٢) كتاب أفراسياب الى پولاد وند . (٢٣) مقاتلة پولاد وند كيوا وطوسا . (٢٤) قتال رستم وپولاد وند . (٢٥) صراع رستم وپولاد وند . (٢٦) هرب أفراسياب من رستم . (٢٧) رجوع رستم الى الملك . (٢٨) رجوع رستم الى سيستان .

(١) ك، طا : لكم .

نارها، وكُروِى زِرِه الذى أراق دم سياوخش بيده، وسعى اليه بقدمه، ثم المنافقون من أولاد ويسه؛ وهم هومان وكلباذ ولُهاك وفرشيد ونستيهن . فمتى أحضرتم عندى هؤلاء مقرّنين فى الأصفاد أغلقت باب قتالكم . وإن أبيتم أن تفعلوا أعدت عليكم الداء القديم، وألقحت الحرب العقيم . وقد جربتمونى فى هذه المعركة، وشاهدتم آثار سطوتى وبأسى . فعد الى أصحابك، واحفظ ما ذكرت لك، ونفذ إلىّ بيران فإن قلبى يميل اليه من بينكم، من حيث إنه لم يحزن على سياوخش منكم سواه، وليس فى أهل توران صاحب رأى وتؤدة مثله . فرجع هومان منخوب القلب مغضوض الطرف الى (٧٠) أخيه بيران . وقال له : قد اعتاص أمرنا، وأعضل داؤنا . فان هذا الفارس هو رستم الزابلى . وقد دنوت منه وكلمته . وهو يطلب[(١)] الاجتماع بك ويدعوك من بين جميع هذا العسكر . فامض اليه وانظر ما يقول . فمضى بيران الى الخاقان بجناح مهيض وقلب كسير، وقال أيها الملك : تأن فى الأمر، واعلم أن حالنا غير الحال التى كنا عليها من قبل . فإن هذا الفارس المقدام الذى قتل كاموس هو رستم ابن دستان الذى يستوى عنده قتال ملء هذا الفضاء من الرجال وقتال رجل واحد . وهو الذى ربى سياوخش . وقد جاء يطلب بثاره طلب الأب الشفيق . وقد أرسل يطلبنى وهأنا أمضى اليه لأسمع ما يقول . فقال له الخاقان : امض اليه، وجامله فى الخطاب، ولاينه فى المقال . فإن صالح على ما يبذل[(٢)] له فأجبه، والتزم له هدايا وافرة وأموالا كثيرة . وإن أراد غير ذلك فدعه وانصرف حتى نشمر عن ساعد الجدّ، ونبذل الوسع فى قتالهم، ونضيق عليهم . ولا تبال برستم ولا تهتم . فإن معنا بكل فارس معه ثلثمائة فارس . وسأكفيك شره[(٣)] .

فبرز بيران من الصف، ودنا من رستم، وقال : بلغنى أنك دعوتنى فبادرت الى خدمتك . فما حاجتك؟ ومن أنت وما اسمك؟ فقال : أنا رستم بن دستان مرزبان زابلستان . فترجل بيران وقبل الأرض . فأقرأه رستم سلام الملك كيخسرو وأمه فرى كيس . فأخذ[(٤)] بيران يدعو له ويثنى عليه . ثم سايله عن أبيه زال بن سام وأخيه زواره وابنه فرامرز . وقال له بعد ذلك : إن كان لا يطول على البهلوان، ولا يثقل عليه شكوت اليه حالنا فعل النافث المصدور، والمحرج المهموم . ثم شرع يحكى له حنوّه على سياوخش، وإشفاقه عليه، ثم ما بلى به من فقده وجزعه من بعده . وحكى له قصد أفراسياب لقتل ابنته فرى كيس، وكيفية سعيه فى تخليصها منه . ثم أتبع ذلك بذكر ما أبلاه[(٥)] به من تكليفه النهوض

(١) كو : وهو يطلب قاتل سياوخش، والساعى فى دمه وقتلة الجوذرزيين، وعدّنى فى الأوّل منهم . ولا أراه يعطف إلا عليك وهو يطلب الاجتماع بك الخ . (٢) طا : مال يبذل . (٣) كو : ذكر اجتماع بيران برستم وما جرى بعد ذلك، كما فى الشاه . (٤) لـ : وأخذ . (٥) كلمة « به » من لـ، طا، كو .

بأعباء الحروب، والتصدّى لفوادح الخطوب . حتى لا يستريح[١] من بلوى الحروب[٢] ساعة ، ولا ينفك من مقارعة الخصوم لحظة ، وأنه لولا طول أذياله ، وكثرة عياله ، وانتشابه فى تلك البلاد بسبب علائقه[٣] وأقاربه لتحوّل عنها الى غيرها ، وأن ذلك هو السبب المانع له من مخالفة أفراسياب فيما يستنهضه (فيه)[٤] من مكاره الأمور، وأن الضرورة تحمله على امتثال أوامره من تحت القرط فى حالتى الرضا والسخط . ثم حلف بروح سياوخش أن الموت أحب اليه مما هو فيه من معاناة الحروب وملابسة أسبابها . وهذان (ا) الجمعان المتقابلان الآن إن حق بينهما القتال ارتفع فى هذه الصحراء جبل من جثث أقوام حشروا الى هذه المعركة من جميع الأطراف سفكت دماؤهم فى سبب سياوخش وهم برآء من دمه؛ لا ذنب[٥] لهم ولا جرم ينسب اليهم . والصلح خير ؛ فلا تضيق فيه الأمر وهوّن الخطب . فإنك بعواقب الأمور أعلم وبالرأى والتدبير أبصر . فلما سمع رستم ذلك شكر بيران وأثنى عليه ومدحه بالعقل والسداد . ثم قال : إن الصلح لا يتم بيننا إلا بأمرين :[٦] أن تنفذوا قتلة سياوخش، ومن سعى فى دمه الى حضرة الملك كيخسرو . والثانى أن تقصده أنت بنفسك، وتنهض معنا الى بابه . فأفكر بيران فيما قال، وقال فى نفسه هذا شئ لا سبيل اليه . فقال لرستم : أعود وأعرض ما أشار به البهلوان على الخاقان والمنشور وغيرهما من الملوك الأكابر، وأنهى ذلك الى أفراسياب . ثم فارقه ورجع الى أصحابه، فحكى لهم ما قاله رستم . وطفق يعيب أفراسياب ويذمه بسوء فعله حين قبل نمائم أصحاب الأغراض ، وقتل سياوخش بمقالات حسدته، فغرس بذلك شجرة للعداوة فى قلوب الإيرانيين . ثم ركب الى الخاقان ليبلغه ما سمعه من رستم . فلما دخل سرادقه رأى أكابر أصحاب كاموس قد اجتمعوا عنده وهم يقولون : لسنا نرضى بهذه الهضيمة . ولا بد أن نرحض عنا ما لحقنا من العار ونستنجد البربر والهند وغيرهما ونشفى صدورنا، وننتقم لكاموس . فقعد بيران عند الخاقان، وحكى له ما جرى بينه وبين رستم . ثم قال : الرأى أن نجمع الموابذة والأكابر، ونتشاور فى هذا الأمر المشكل والداء المعضل . فلعلنا ننجو بأرواحنا مما دهمنا . فضاق صدر الخاقان لما أخبره به بيران، وخامر ضميره الخوف، وقال : فما الرأى عندك وما التدبير ؟ وبماذا تأمر وتشير ؟ فداخلهما فى الحديث شنكُل الهندى، وهو ملك الهند، وكان حاضرا عنده، فقال : إن بيران فزع[٧] من رستم حين فعل بكاموس ما فعل» . وقوى قلب

(ا) هذا قول پيران لرستم ، كما فى الشاه . فقد غير المترجم أسلوب الكلام من الإخبار عن كلام بيران الى نقل كلام بيران نفسه .

(١) لك، طا : ليس يستريح . (٢) لك ، طا : الخطوب . (٣) لك : عياله .

(٤) ما بين القوسين من لك : طا، كو . (٥) لك : ولا ذنب . (٦) كو : أحدهما أن .

(٧) لك، طا، كو : قد فزع .

الخاقان وشجعه، وأبى إلا أن يصليهم نار الحرب. وزعم أنه ينفرد بكسر رستم، ويفل حدّه، ويطفى وقده، وقال : ما بالكم قد ضاقت عليكم الأرض خوفا من هذا السِجزى؟ وأخذ يصغر أمر رستم، ويحقره فى أعين الحاضرين . حتى عادت اليهم نفوسهم، وقويت قلوبهم . فقاموا من ذلك المجلس مجتمعين(١) على اختيار القتال، وصدق اللقاء . وأما رستم فإنه جمع أكابر من معه مثل طوس وجوذرز وأقرانهما . وسرد عليهم ما جرى بينه وبين بيران . ثم قال لهم : إن فعلوا ما أشرت به عليهم، والتمسته منهم من إنفاذ قتلة سياوخش أجمعين الى خدمة الملك كيخسرو، ووفود بيران بنفسه عليه، وتقبّل الخراج الثقيل، والتزام الحمالات الكثيرة فالواجب أن نجيبهم الى الصلح ، ونغمد سيف الخلاف ، ونكف أيدينا عن سفك الدماء . فقال جوذرز : أيها البهلوان ! لا يغرّنك بيران بأكاذيبه المموّهة ، وأباطيله المزخرفة . فإن حديثه باطل، وهو عن حلية الصدق عاطل . وسوف تراه غدا عند إشراق الشمس قدام العسكر يسوّى الصفوف ويرتبها ، ويشرع الأسنة فى صدورنا ويسددها . ولا شك أنه حين رأى صنيعك بكاموس كبشهم المغوار وقائد الفيلق الجرّار امتلأ خوفا وذعرا، فجاء يتبصبص لديك لينفّق مخاريقه عليك . فقال عند ذلك رستم : نحن أوّلا ندخل معه فى باب الصلح وحسن الظن، ولا نبتدئ بإراقة الدماء . فان عدل هو عن مقاله أريناه جزاء فعاله . ثم قال : إن الليل قد انتصف، فينبغى أن نشرب ساعة، ونروّح أرواحنا لحظة، ثم نعود إلى ما كنا عليه من الاشتغال بتدبير الحرب وأسبابه . ثم إنه قال لهم وهم يشربون: إنى سأحمل غدا ذلك الجرز الذى كان يقاتل به جدّى سام بن نريمان فى وقائع مازندران، فأرفعه على عاتقى(٢)، وأخوض به غمرة الهيجاء، وأضعضع صفوفهم المرصوصة فى أسرع من رجع الطرف ؛ ثم أستبيح سرادقات خاقان الصين ، وأسلبه تاجه وتخته وفيلته وخيله . ثم قاموا الى أماكنهم وخيلهم . ولما أصبحوا من الغد ، وارتفع النهار ارتفعت أصوات الكوسات من باب سرادق طوس ، وركبت العساكر فزحفوا إلى المعترك على تعبئتهم التى كانوا عليها بالأمس . وتقدّم رستم من بين(٣) يدى صفوف أصحابه كالأسد الذى أصحر من غابه . وعبى الخاقان عساكره؛ فجعل على الميمنة ملكا من ملوكهم يسمى كُندُر وعلى الميسرة أميرا آخر يسمى كهار ، ووقف فى القلب بفيلته وجنوده وأعلامه وبنوده . وكان بيران قدام الصفوف فجاء الى شنكل الهندى، وقال له : ينبغى أن تفى بوعدك ، وتتحلى بالصدق فى قولك . فقال : لست براجع عن قولى . وسأبرز الى هذا الفارس المقدام فأغربل جسده بنوافذ السهام ، فأنتقم لكاموس منه، وأفجع الإيرانيين به . وقسم العسكر أقساما ثلاثة؛ فجعل فى الميمنة ثلاثين ألفا،

(٧١)

---

(١) طا، كو: مجمعين . (٢) صل : عاتقه . والتصحيح من ك، كو . (٣) طا : رستم بين يدى .

وفى الميسرة ثلاثين ألفا وجعل مع القسم الثالث الفيلة العظام كأنها أركان رضوى أو هضاب شمام. ثم جعل يجول بين الصفين كأنه قطعة سحاب، وفى كفه سيف كأنه جذوة شهاب، فأعجب ذلك بيران وسُرّ به، وارتجى الظفر. ثم تقدّم ودنا من رستم وقال: قد أبلغت كلامك الى الخاقان وغيره من الملوك، فذكروا أنهم يتقبلون من الأموال والحمالات أضعاف ما فى حسابك. وأما إنفاذ الجناة اليك فذلك شىء لا سبيل اليه. فإنهم أقارب أفراسياب وخواصه. والقبض عليهم على الوجه الذى أشرت اليه شىء لا يجول فى خاطر. فاغتاظ رستم عند ذلك، وخاشنه فى خطابه. ثم أمر الايرانيين بالجد فى القتال. فاستعروا كالنار الموقدة. وتصدّى شنكل للبارزة وقال: أين ذلك الرجل السجزىّ؟ فسمع رستم صوته فأسرع نحوه، وأشرع فى نحره رمحه، وطعنه طعنة أذرته(١) عن ظهر فرسه. فقام ونجا بنفسه والتجأ الى أصحابه، وقال: إن هذا الرجل ليس بانسان، وما له فى الرجولية ثان. ومن ذا الذى يطيق مقاومته، ويستطيع مدافعته؟ فقال له الخاقان: إن كلامك الساعة لا يشبه كلامك بالغداة. فأمر عساكره أن يحملوا بجملتهم حملة واحدة على الايرانيين. فانقضت الصفوف وتلاطمت الحتوف واختلطت الأرماح والسيوف. فحمل رستم على القلب حملة عظيمة قتل فيها خلق(٢). ثم عدل الى الميسرة فطحنها طحنا. وتصدّى له فارس من أقارب كاموس يسمى ساوه فعلاه رستم بالجرز فأهلكه. ثم انصرف نحو الميمنة فتصدّى له كهار، وبارزه فتقاتلا قتالا عظيما. ثم طعنه رستم طعنة أخرجت روحه، وخر من فرسه ميتا. فأرسل رستم الى طوس يأمره أن(٣) ينفذ اليه ألف فارس من نخب الإيرانيين. فلما حضروا حلف بحياة الملك كيخسرو أنه إن تخلف منهم واحد عنه لم يعامله إلا بالصلب والقتل. فصدم بهم الخاقان ومن معه صدمة واحدة، وحملوا عليهم حملة صادقة. فلما رأى الخاقان صعوبة الأمر عليه أرسل اليه فارسا يستكفه، ويطلب اليه الصلح. فأبى ذلك رستم، وحمل عليهم حملة ثانية شق بها صفوف الأتراك حتى وصل الى الفيل الأبيض الذى كان عليه الخاقان. فرمى بالوهق على الخاقان فأعلقه به ونكسه من(٤) ظهر الفيل. فبادره أصحاب رستم، وكتفوه وانصرفوا به أسيرا ذليلا. فاستباحوا تلك الفيلة المجللة بالجواهر واليواقيت المغشاة بالوشائع والدبابيج.

قال: ولما رأى بيران أصحابه قد تفرّقوا أيدى سبا، وصادف شعاع دولته باخ وخبا ولى هاربا. فأدبر من بقى من الأتراك، وتفرّقوا كعقود خانها النظام، منهزمين لا يلوى أحد منهم على صاحبه. فرجع رستم والظفر يسير فى مواكبه، والإقبال يحتف بكواكبه. وأمر أمراءه وأصحابه بأن يسجدوا شكرا لله

(١) ك، كو: أردته. (٢) ك، طا، كو: خلق كثير. (٣) ك، طا، كو: بان
(٤) ك: عن ظهر.

عز وجل على ما أتاح لهم من النصر العزيز والفتح المبين . ولما أصبحوا من ليلتهم تلك رأوا سرادقات الترك وخيمهم قائمة لا داعى بها ولا مجيب ، فوقع فيها الإيرانيون ينتهبونها . فقال رستم لطوس : قد كان فى هذا العسكر عدّة من ملوك الأقاليم وأصحاب الأطراف . وكانت معهم خزائن وأموال وافرة . والرأى ضبطها والاحتياط عليها حتى ننفذ الى الملك كيخسرو ما يصلح له منها فركب طوس وأمر العسكر فجمعوا من الذهب والفضة والجواهر والأثواب والأسلحة وغيرها أكواما كادت تضاهى الجبال الفارعة . فجاء رستم وشاهدها فقضى العجب منها . وأمر الكاتب فكتب كتاب الفتح الى الملك كيخسرو وختم الكتاب ودفعه الى فرى برز ليحمله الى ايران مع الملوك المأسورة والفيلة المغنومة ، ومع ألف جمل محمل من صفايا الغنائم . فخرج فرى برز بذلك كله . وشيعه رستم وطوس وجوذرز وجيو وودعوه . ثم إن رستم رحل فيمن معه من العساكر قاصدا قصد أفراسياب فرأى مقدار مرحلتين من الأرض مسودا من قتلى العدوّ، مملوءا[1] بالأعلام المنكسة والأرماح المقصدة والأسياف المكسرة . ثم أفضوا بعد مراحل قطعوها الى رياض معشبة وغياض متأشبة ، وينابيع متفجرة ، فاستطابوا هواءها ، واستعذبوا ماءها ، ونزلوا فيها . فأمر رستم بقسمة بقايا الغنيمة على العسكر ، فانتاشت أحوالهم . وأقاموا فى ذلك المنزل مستريحين من العناء والتعب مشتغلين باللهو واللعب والعيش والطرب . وانثالت عليهم رسل الأطراف بالهدايا والتحف والمبار واللطف . وأما فرى بُرز فإنه لما دنا من حضرة الملك كيخسرو ركب لاستقباله ، وأمر بضرب البشائر . ولما وقعت عين فرى برز عليه ترجل وقبل الأرض . فأكرمه الملك وسايله عن رستم وساير المتقدّمين[2] ، فنظر الى المأسورين بين يديه من أولى القوّة والبأس الشديد، ورأى الفيلة والغنائم . فسر بذلك وثنى عنانه ، وعدل عن الطريق ونزل ورفع التاج عن رأسه وسجد شكرا لله تعالى على أن أناله ما تمناه ويسر عليه النصر العزيز والفتح القريب . وجعل يدعو لرستم ويسأل الله تعالى ألا يفجعه به ، ويمتعه ببقائه . ولما عاد الى إيوانه أمر بالإجابة عن كتابه . ثم أعدّ له خلعة رائقة تشتمل على التاج والتخت والطوق والسوار والمنطقة المرصعة ، الى مائة وصيف وعشرة أفراس بسروج الذهب ، الى غير ذلك من الطرائف والنفائس . وخلع أيضا على سائر أكابر العسكر . وأنفذ الجميع على يدى فرى برز بعد أن خلع عليه . وأمره بالعود اليهم وأن يشير على رستم بألا يفتر عن طلب أفراسياب ليلا ولا نهارا فلعله يظفر به ويحسم بأخذه مادة الشر .

(١) ك، طا، كو : ومملوءا . (٢) ك، كو : المقدّمين

ذكر ما دبره أفراسياب عند اطلاعه على ما جرى على أصحابه ٧٢٣

قال : فأتى الخبر أفراسياب بأن رستم وصل من ايران مدد الطوس وأصحابه ، وأن الحرب تمادت بينهم و بين الخاقان أربعين يوما ولاء ، و بأنه قتل كاموس(١) وأسر الخاقان ، وأفنى القتل جميع من حضر تلك الوقعة من أصحابه وأنه لم ينج منهم فارس ينتفع به فى قتال . فعظم عليه ذلك ، وأخذه مابعد وما قرب . فأحضر أكابر حضرته وأعيان دولته ، وأعلمهم بالحال ، وشاورهم فى أمره ، وسايلهم عن الرأى والتدبير . وقال لهم : إن بقى رستم مقدما على عساكر ايران ، وتوغل بهم هذه البلاد لم يبق فيها نبتا ولا شجرا ، ولم يترك منهم عينا ولا أثرا . فقالوا : أيها الملك ! إن كان الخاقان(٢) كسر وأسر فما أصاب من عندك مكروه ، ولا حزبهم محذور . والرأى أن تشمر عن ساق الجدّ وتبذل الوسع فى دفع هذا العدوّ ، ولا تجعل للخوف طريقا الى قلبك » وشجعوه وحرضوه . فاستدعى عند ذلك جميع وجوه أمرائه وأعيان فرسانه ، ووصلهم وأعطاهم حتى أرضاهم . فاجتمع له(٣) عسكر عظيم . وأما رستم فإنه جاءته خلع الملك كيخسرو على يدى فرى برز ، وسائر ما صحبه من أنواع الكرامات وأجناس التحف والمبرات ، ففرح بها وسر . ورحل من منزله حتى وصل الى السُّغد فأقام بها أسبوعين . ثم ارتحل منها وصادف فى طريقه على مرحلة من السغد قلعة حصينة عليها ملك يسمى الكافور(٤) . وكان من عادته أكل لحوم بنى آدم ، ويذبح له المراهقون من الصبيان الصباح الملاح ، ويتخذ(٥) من لحومهم أنواع الأطعمة . فسير رستم كُستَهم الى قتاله فى ثلاثة آلاف من الإيرانيين ، فسار اليها . ونزل الكافور من قلعته ، وصافّه . فجرى بين الفئتين قتال عظيم قتل فيه خلق كثير من الإيرانيين . فاستغاث كستهم برستم فأغاثه بنفسه . فلما جاء ورأى كثرة من قتل من الإيرانيين ، ورأى الكافور كالأسد الصائل لا يقف بين يديه أحد ، صمد له وضربه بعامود كان معه فولى هاربا الى القلعة فدخلها ، وأغلقوا بابها ، وأقاموا يذبون عنها من وراء السور . وكانت هذه القلعة من بناء أفريدون . وكان قد عمل عليها طلسمات تمنع من نصب المجانيق عليها . وكانت مملوءة بالذخائر والعدد . فنزل(٦) رستم وأمر أصحابه فأحدقوا بها يرشقونها بنوافذ السهام . وأقعدوا النقابين فى أصول قواعدها ومبانيها ، فعلقوها من جميع جوانبها على الخشب . ثم رمى فيها النفط والنار فانهدت أبراج

(١) ك : كاموس الكشانى . (٢) ك ، طا ، كو : قد كسر . (٣) ك : اليه .
(٤) هو فى الشاه : كافور بغير الألف واللام . (٥) ك ، طا : يتخذ له . (٦) ك : أمر (لا)

القلعة وتساقطت . فتملكوها ونهبوا ما كان فيها وقتلوا جميع مستحفظيها § . ولما فرغ رستم من ذلك نفذ جيو بن جوذرز فى عشرة آلاف من نخب الفرسان الى ديار الخُتَن لاستباحة أموالهم وشن الغارة عليهم . فسار اليها فى ركضة واحدة ، وعاد بعد ثلاثة أيام بمغانم وسبايا كثيرة . وأقاموا على اجتماعهم فى تلك الصحراء ثم رحلوا قاصدين قصد أفراسياب . فبلغه أن رستم قد خرّب بلاد توران ، وأنه قد قرب من دار ملكه ، فالتوى على نفسه غيظا وحنقا ، وملك الذعر عنان قلبه ، واضطرب الأمر عليه ، وقال لمن حضر : إنى قد رأيت رستم وقتاله وجربته كثيرا ، فمن يقدر على مقاومته ؟ وعهدى به على باب الرى وهو بعد طفل غرير قد أخذ بمعاقد منطقتى واختطفنى عن ظهر الفرس . فقال له عند ذلك أصحابه : أيها الملك ! لا تجبن عن رستم ولا تفكر فيه . فإنك تقدر على[1] أن تطبق السماء على الأرض . وعندك الأموال والعدّة والرجال . فلا تستشعر الخوف من رجل واحد ، واستعد للقائه فى أصحابك ورجالك . فأمرهم عند ذلك بالإعداد والاستعداد . وأخذ فى تهيئة أسباب الحرب . ودعا برجل من أصحابه يسمى فرغار ، وكان جُذَيلا محكّكا وعُذَيقا مُرجّبا ، قد نجذته التجارب ونيبته النوائب ، وأمره بالمسير الى معسكر رستم والتجسس عليهم والرجوع اليه بأحوالهم . فامتثل الرجل أمره . ثم دعا أفراسياب بابنه شيذه ، وقال له : إنى خائف من رستم . وقد عزمت على أن أنفذ خزائنى وذخائرى وعددى بأجمعها الى وادى الماس ، ثم أحاربهم هذه

---

§ لما عبر اسكندر المقدونى نهر جيحون ، وفتح سمرقند وجاس خلال ما وراء النهر اعترضته قلعة حصينة عالية ، هزئ حماتها بجيش اسكندر ، وقالوا : انما ينال هذه القلعة رجال ذوو أجنحة . وجعل اسكندر جُعلا عظيما لمن يبادر الى تسلق القلعة . فسارع جماعة من الشجعان ودقوا فى الصخور أوتادا من الحديد حتى أشرفوا على القلعة ومكنوا للاستيلاء عليها .

فكأن قلعة كافور الموصوفة فى الشاه هى القلعة التى فتحها اسكندر . والشاه تصف هزء حماتها بجيش الايرانيين كما هزئوا بجيش اسكندر من قبل .

وأكل لحم البشر كان معروفا فى قبائل الشمال الوحشية ، كما يفهم من هيرودت . فعلى أعالى نهر الدنيبر كانت تقيم قبائل أندروفكو الذين يظن أنهم من أصل فينىّ . وكان منهم أكلة لحوم البشر حتى القرون الوسطى . وفى شرقى بحر قزوين أقامت قبيلة مسكاته وفى الشمال منهم جنوبى جبال أرال قبيلة إسّدون ، وكلتا القبيلتين كانت تأكل لحم البشر .

---

(١) ك ، كو : على (لا)

الكرّة وأجرب السعادة. فان ظفرت فقد حصل المراد، و إن كانت الأخرى وظفر رستم لم أقم هاهنا، وعبرتُ الى ذلك الجانب من بحر الصين، وخليت بينه و بين هذه الممالك . فاستصوب رأيه شيذه وقال: إنك لا تحتاج الى أحد يعرّفك بعواقب الأمور. وقد تقلبت بنا الأحوال وضعضعتنا الحوادث حتى استخذى بيران وهومان وغيرهما من الأكابر والملوك فاستولى عليهم الانكسار، وتمكن من قلوبهم الرعب والحذار . » ثم لما أمسوا جاءهم فرغار فعرّفهم بأحوال عساكر العدوّ وكثرتهم وقوتهم . فلما وقف على ذلك جلس مع أصحابه يحاريهم حديث المصاف . فقال له بيران : أما نحن فلا بد لنا من بذل الجهد و إفراغ الوسع دون الأهل والولد . فأمره أفراسياب بأن يقود العساكر الى وجه العدوّ . فخرج بيران بالفيلة والأعلام، وسار فى جيشه اللهام . فشيعه أفراسياب وجهزه ثم عاد الى إيوانه ، وخلا بأصحاب رأيه وخلصائه، وأمر الكاتب فكتب الى جنيّ يسمى بولاذوند كتاب استصراخ واستغاثة يذكر له فيه ما جرى على الخاقان وغيره من ملوك سقلاب والصين، ويعرفه بقصد رستم له فى عساكر كالجبال السائرة والبحار الثائرة[1]، وأنه يبذل له إن أغاثه وأنجح مرامه ودفع عنه عدوّه، نصف تلك الممالك والخزائن . وختم الكتاب ودفعه الى ابنه شيذه ليحمله اليه . فسار شيذه كالبرق الخاطف حتى أوصل الكتاب الى بولاذ الجنيّ، وسرد عليه أحوال رستم . فأحضر بولاذ أصحابه ، وذكر لهم ما كتب به اليه أفراسياب . وحشد جنوده، ونزل من الجبل وعبر الماء الذى هنالك . ولما اتصل بأفراسياب اجتمع به، ووصف له رستم وقوته، وشدّة شوكته، وعتاده وعدّته . فساءه ذلك وأهمّه، وقال : ينبغى ألا نعجل بالحرب . فإن هذا الرجل إن كان ذلك الرجل الذى فتح مازندران ، وشق خاصرة سبيذديو وقتل كولاذ فكيف أطيق مقاومته أو أستطيع محاربته؟ ولكن أحتال عليه يوم القتال فأحبسه فى وسط العجاج، فتحرّش به رجالك ٧٣
فلعلنا نغلبه بالحيلة . و إلا فما نقدر عليه » . فسر[2] بذلك أفراسياب ، وقعد معه يشرب . ولما تمكن الشراب منه قال : أنا الذى نغصت الحياة على أفريذون والضحاك وجمشيذ . وسوف أقطع أوصال هذا الزابلى بالحسام المشرفى ، وأفل حدّه وأكف شره . ثم لما كان الغد ضربت الطبول ودقت الكوسات على باب أفراسياب فركبت العساكر واصطفت، وأشرعوا الرماح وسلوا السيوف، والجنى يقدمهم بيده الوهق . فجاء رستم راكبا رخشه مظاهرا بين جننه. فاصطف الجمعان وتقابلا . فحمل رستم على الميمنة وقتل منها خلقا كثيرا . فحل بولاذ وهقه، وتعرّض لطوس فأخذه بمعاقد منطقته واختطفه عن ظهر فرسه ورماه الى الأرض . فلما رأى جيو ذلك أقبل اليه فحلّق بولاذ عليه الوهق

(١) لك : الزاخرة . (٢) لك ، طا ، كو : قال فسر بذلك .

فأعلقه به . فابتـدر بيژن ورُهّام الجنىّ ليأخذاه ، فثوّر فرسه ومدّ يده اليهما ورماهما الى الأرض . وأقبل نحو علم الدِرَفش الجاويانى حتى وصـل اليه فوسّطه بسـيفه نصفين . فلما سمع رستم ما حل[(١)] بهؤلاء الأكابر الأربعـة من ذلك الشيطان المـارد، وأنهم ما تخلصوا من يده إلا بحشاشات قاربت الانصرام ، ومهجات شارفت الحمام ، بعد أن صارت خيولهم كالقنافذ من كثرة ما أصابها من السهام النوافذ ـ هاله ذلك وأرعد منه ،وتوجه مع ذلك قاصدا قصد الجنىّ . فلما رآه كالجبل المنيع ذل كالثعلب بين يدى الأسـد الأغلب ، فضاق ذرعا بأمره فالتجأ الى الله تعـالى، وأخذ فى قتاله . فتقاتلا زمانا ثم عدلا الى المصارعة فغلبه رستم وحمله وضرب به الأرض ، وركب وهو يظن أنه قد هلك . فلما أحس بولاذ بركوب رستم وثب وركب كالنار نحو أفراسياب حتى انتهى اليه ، ووقع على الأرض مغشيا عليـه ، وبقى كذلك زمانا طويلا . ولمـا أفاق وثب وركب وقدّم بين يديه أصحـابه ورجع بهم هاربا . فقال عنـد ذلك بيران لأفراسياب : إنه لم يبق لك وراءك أحد . وقد هرب بولاذ وأصحابه . وليس وقوفك فى هذا الموقف من الصواب . نخل عسكرك وأعلامك على حالهـا ، وانج بروحك مع جماعة من خواصك . فان قبالتنا مائة ألف فارس شاكى السـلاح ، والساعة يحدقون بنا من جهتى السهل والجبل . » فانهزم أفراسـياب ، كما أشار عليه بيران ، وتوجه نحو بحر الصـين ليعبر الى ذلك الجـانب . وأمر رسـتم عند هرب بولاذ بأصحابه[(٢)]، باعتزال عوامل الرماح ، ومكافحة العدوّ بالعمد والصفاح . فانقضّوا عليهم كالشواهين والصقور اذا انقضت على بغاث الطيور ، ووقعوا فيهم كعواصف الرياح على أسراب الجراد . فاعتصم بعضهم بالفرار ، والتجأ البعض الى ظل الأمان ، بعد أن غودر طلاع ذلك الفضاء مملوءا بأشـلاء القتلى وأعضائهم وعددهم . وأمر رسـتم بالإمساك عن القتل . ثم جمع الغنائم وما انجلت عنه الوقعة من الجواهر والنفائس . وأنفذ البعض الى الملك كيخسرو ، وفرّق الباقى على العسكر . وبث أصحابه فى طلب أفراسياب ، وأمرهم باقتفاء أثره . وأقام زمانا فلمـا لم يعثر منه على أثر ولم يقف منه على خبر عزم على معاودة حضرة الملك كيخسرو . فارتحل من بلاد توران طالبا بلاد إيران بما أفاء الله عليه من الخيل والأسلحة وسائر الأجناس والأنواع من صنوف الأموال . فلما أتى الملك كيخسرو الخبر بقدومه اسـتعد لاستقباله ، فأمر بإخراج الفيلة وتزيينها بالديباج والحرير ، وتضميخها بالمسك والعبير ، وركب بنفسه وخرج[(٣)] لاستقباله . ولمـا وقعت عين رستم على تاج الملك ترجل وسجد له . فعانقه الملك وصافحه ، وأخذ بيـده يلاطفه طول طريقه ويسايله . وكان طوس وجوذرز وجيو وغيرهم من الأكابر يسيرون وراءهما . فلما قرب الملك من

(١) ك : بما حل . (٢) ك ، طا ، كو : أصحابه . (٣) ك : وخرج (لا)

دار الملك نثرت الجواهر على موكبه ، ونثر على العسكر المسك والعنبر والذهب والفضة . فدخل الملك بهم الى إيوانه فقعدوا بين يديه ، وشرع فى الحديث مع رستم يسايله عما لاقاه من العدوّ وعما كابده من بولاذ الجنى فى مقاتلته ومصارعته ، وساير ما قاساه وعاناه . فاعترض جوذرز فى الحديث فطفق[1] يصف رستم وحسن بلائه وكمال غنائه وما تحمله من أعباء تلك الوقائع . ثم قعدوا فى مجلس الشرب مستمتعين باستماع الغناء ، وواصلوا ذلك مدّة أسبوع . ثم استأذن رستم فى الرجوع الى زابلستان للقاء أبيه زال بن سام . فأمر الملك بإفاضة الخلع عليه وحمل رغائب الهدايا والتحف اليه . ولما خرج رستم شيعه الملك مرحلتين ثم انصرف . وهذا منتهى القصة المنسوبة الى كاموس الكشانى[2] .

ذكر قصة رستم مع أكوان الجنىّ §

قال صاحب الكتاب : اسمع هذه القصة وإن كنت لاتصدّق ناقلها ولا تتلقى بالقبول قائلها . ولكن ينبغى للعاقل أن يغوص بنظر الفكر فى معانيها ولا يسفه رأى راويها وحاكيها . ثم قال : حكى أن الملك كيخسرو كان يوما من الأيام قاعدا على تخته فى الإيوان وقد حضره الأكابر والإصبهبذية مثل رستم وطوس وجوذرز وجيو وغيرهم من أكابر تلك الحضرة وأركان الدولة . فجاء[3] بعد مضى ساعة من النهار الى الدركاه رأس الجوبانية ، وشكا أنه قد ظهر فى مراعى الخيل يعفور كأنه أسد

§ يظن الأستاذ نولوكه أن "أكوان" محرّف عن "أكومان" وإذًا يحتمل أن أكوان هو أَكِم مأنو[4] . ومعناه الفكر السيئ ، أحد الأرواح الشريرة الستة التى تمثل فيها صفات أهرمن ، ونحن نجد فى الشاهنامه أن كيخسرو ، حين ندب رستم لقتال أكوان ، أوصاه بالتيقظ والحذر منه مخافة أن يكون أهرمن المنتقم .

ثم قصة أكوان فى الشاه ٢٣٧ بيتا فيها العناوين الآتية :

(١) فاتحة القصة . (٢) دعاء خسرو رستم لحرب أكوان الجنى . (٣) طلب رستم الجنى . (٤) رمى أكوان الجنى رستم فى البحر . (٥) مجىء أفراسياب لرؤية خيله ، وقتل رستم أكوان الجنى . (٦) رجوع رستم الى ايران .

(١) ك ، طا ، كو : وطفق . (٢) ك ، طا : والحمد لله رب العالمين
(٣) صل : بجاءه . والتصحيح من ك ، طا : (٤) الحماسة الايرانية ص ١٨

هصور، ذهبي اللون كأنه خلق من نور الشهاب أو لطخ بالعسجد المذاب ، يمتـد سائلا من كاهله الى منقطع ذنبه خط أسود كالمسك السحيق،ململم الكفل كالحصان الأشكل . وقد أغرى بالخيل يمزق كواهلها و يعيث فيها ويفسد . فعلم الملك أنه ليس حمـار وحش فإن العير لا يبلغ فى القوة الى ذلك الحد . فأشار على رستم (١) بأن يتحمل الصـداع فى ذلك ويتجشم الاهتمام بكفاية شره ودفع معرته . وأوصاه بالتحفظ من شره . فقال رسـتم : إن عبيد الملك اذا تحصنوا بسـعادته لم يفزعوا من جن ولا إنس . فركب وخرج الى تلك الصحراء فمكث ثلاثة أيام يدور فى مروجها ومراعيها و يطلب ذلك العير فلا يجـده . ولمـا كان اليوم الرابع ظهر له . فلمـا رأى رستم عبر عليه مارًا فى سرعة الريح . فثوّر الرخش فى أثره طامعا فى اصطياده وحمـله حيا إلى حضرة الملك من غير أن يصيبه بجراحة . فحل الوهق وعدّى[1] خلفه ليرميه عليه . فاختفى عند ذلك من[2] عين رسـتم . فعلم (٧٤)
أنه ليس بوحش ووقع فى قلبه أنه أكوان الجنىّ . ثم رآه قد ظهـر فى آخر الصحراء . فوتّر قوسـه وتوجه اليه . فلما قرب منه ورأى أنه أغرق فى نزع القوس اختفى عنه . وبقى يركض خلفه ثلاثة أيام بلياليهن فغلبه النوم واحتاج الى الطعام والشراب . فتبدى له روضة معشبة ذات أرض خوّارة وعين خرّارة . فنزل وخلع لجام فرسه، وحط عنه سرجه، وأرسله يرعى . وفرش اللبد على حافة المـاء واتكأ ساعة فأخذه النوم . فأتاه الجنىّ ولمـا رآه نائما فى سلاحه لم يجسر على الدنو منه . فقوّر الأرض من حواليه ، ورفعه فى الهواء . فاستيقظ رسـتم وندم على نومه وتركه التحرّز والتيقظ . ولمـا تحرّك وانتبه قال له الجنى : أيما أحب اليك : أن أرميك بين الجبال والصحراء أو أقذف بك فى وسـط المـاء ؟ فأفكر رستم، وقال فى نفسه : إن طرحنى فى الجبال والمواضع الوعرة تطايرت أوصالى وتقطعت أعضائى. والمـاء أسلم. لكن إن قلت له اقذفنى فى البحر يخالفنى ولا يرمينى إلا على الجبال وفى المخارم والشعاب . » وعلم أنه يعمل بضد ما يختاره فى ذلك. فاحتال عليه، وقال : تطرحنى على الجبال وفى الغياض والآجام يرى[3] الببر والأسد براثنى و يشاهدا آثار شدّتى وقوّتى. فقال له الجنى: وأنت بعدُ طالب لأن تذكر بالشدّة والشجاعة؟ لأرمينك[4] فى مكان لاترى فيه حيا ولا ميتا . فرماه فى البحر.

---

(١). فى الشاه : أن الملك لم يجد فى الحاضرين من ينتدب لقتال أكوان فأرسل الى رستم فى زابلستان فجاء الخ .

(١) ك، كو : وعدا . (٢) ك : عن . (٣) ك، طا ، كو : حتى يرى .

(٤) صل : ولأرمينك . والتصحيح من طا، كو .



أكوان الجنى يحمل رستم والأرض التى هو نائم عليها

[من الشاهنامه — طبع تبريز سنة ١٢٧٥]

قال : فلما وقع فى البحر قصدته التماسيح وسباع البحر ليأخذوه . فاستل بيمينه السيف وجعل يذب عن نفسه ، ويسبح باليد اليسرى والرجلين حتى وصل الى الساحل . فخرج ونزع جُنّته وسلاحه ونشرها على الأرض لتنشف . واغتسل وسجد شكرا لله تعالى حين نجاه من الخطب العظيم . ثم لبس سلاحه وعاد إلى العين التى كان قد نام عندها ، فحمل السرج واللجام واقتفى أثر الرخش حتى صادفه فأسرجه وألجمه ثم ركبه . وكان ذلك المكان الذى وقع عليه(١) الرخش من مراعى خيل أفراسياب . فساق منها خيلا كثيرا، وقتل من كان عليها من الجوبانية والحرس . قال : وكان أفراسياب قد خرج فى ذلك اليوم ليشاهد الخيل فأعلم بذلك . فاتبع رستم فى خِف من عدده وعدّة من فيلته . فأدركه فتقاتلا قتالا عظيما، وقتل أكثر أصحاب أفراسياب . فانهزم وخلى أربعة أفيال فساقها رستم ورجع بها إلى المكان الذى كان قد نام فيه، على ماذكرناه . فجعل يطلب أكوان الجنى وينظر يمينا وشمالا . فظهر له وقال : أما تسأم من القتل والقتال ؟ أبعد أن خلصت من التماسيح وشدائد البحر عدت تطلب القتال ؟ فحمل عليه عند ذلك ورمى عليه بالوهق فأعلقه به ، وأسره وقطع رأسه وعلقه من سموط سرجه، وكان عظيما كأنه رأس فيل، وله أنياب كأنها حراب.ثم أقبل راجعا . وأُنهى الى الملك كيخسرو ذلك، وقيل : إن رستم خرج لصيد حمار الوحش فعاد يصيد الانس والجن وأسراب الخيول والفيول . فتعجب من ذلك وركب وأمر العسكر بالركوب لتلقيه . فاستقبلوه بالكوسات والدبادب، واجتمعوا فى الميدان يلعبون ويتطاردون . ثم دخلوا الايوان وأقبلوا على القصف والعزف يتعاطون كئوس الأرجوان على الورد والريحان الى تمام أسبوعين . ثم خلع الملك عليه خلعة تشتمل على أصناف(٢) الكرامات والمبرات . فاستأذن فى زيارة أبيه دستان بن سام ، وقال : سوف أعود وأشدّ وسطى للطلب بثار سياوخش . فانا لا نرضى فى الإنتقام له بنهب الخيول(٣) والخيم وقتل الخول والحشم من ممالك أفراسياب . » فأذن له ، فركب ، بعد أن شيعه الملك وودعه، متوجها نحو زابلستان . قال صاحب الكتاب : وإذا(٤) فرغت من قصة أكوان فاستمع لقصة بيژن بن جيو وما جرى عليه وما انتهى أمره اليه .

(١) طا ، كو : اليه . (٢) ك ، طا ، كو : جميع أصناف . (٣) طا : الخيل
(٤) ك : واذ فرغت .

مبـــدأ القصـــة §

قال : لله ليلة سوداء ذات جناح أحم كأنه طلى بالمداد أو لبس ثوب الحداد . لايرى فيه بهرام ولا كيوان ولا عطارد ، وكأن النجوم فيهـا مثل العيون رواقد . قد توارى قمرها بالمحاق، وقطعت ظلمتها أشواط الأحداق . وقد ألقت على الأرض بالجران، ووقف الفلك فيها عن الدوران . لاحس فيها ولا همس، كأن الأحياء فيها حالفوا الموت . فاستولى علىّ السهاد ، ونبا بى الوساد . فصحت بالغـلام وقلت : قد طال الظلام، وشرد عن عينى المنام . فقم وأشعل الشمعة وهيئ المجلس وأحضر الشراب واستنطق الجنك والرباب . فقام والنعاس يرنق فى عينيـه، والترف يميـل بعطفيه . وجاء بشمعة كالذهب على رأسها تاج من اللهب . ثم جاء برحيق، ورمان كصرر عقيق، وسفرجل كأنه سرر حبيب، وأترج كأنه يفوح عن مسك سحيق وعنبر فتيق . فقعد بين يدىّ ينقر الجنك و يترنم، ويسقينى المدام ويزمزم . ثم قال : إن كنت لا تنام فأصغ الىّ حتى أقرأ عليـك من الكتاب الفلهوى قصة لتنظمها . وكان يقرأ وأنا أنظم . ولما نظمت الحكاية قلت أرع سمعك الىّ .

واستمع شرح قصـة خضت منهـا فى فنون غريبـة الألوان
وحديث كالدر ألفت منـه بين نظم الياقوت والمرجان

---

§ إحدى قصص العشق الطويلة فى الشاهنامه ، وهى ثلاث قصص . هذه، وقصة زال وروذابة التى تقدّمت، والثالثة قصة كُشتاسب وكتايون بنت ملك الروم، الآتية .

ويرى مول وورنر أن هذه القصة مما نظم الشاعر فى صباه، ولهما أدلة على هـذا سأعرض لهـا فى المقدمة (١) .

وقد حذف المترجم أمرا له خطر فى القصة وهو القرابة بين بيژن ورستم، والصهر بين أسرتى رستم وكوذرز. فبيژن ابن بنت رستم، وامرأة رستم أم ابنه فرامرز هى أخت كيو أى بنت جوذرز وعمة بيژن . ويكثر فى الشعر الفارسى الرمز الى حبس بيژن فى البئر .

وقصة بيژن ومنيژه ١٣٨٧ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) فاتحة القصة . (٢) الارمانيون يستغيثون خسرو . (٣) ذهاب بيژن لقتل الخنازير . (٤) كُركين يغش بيژن . (٥) ذهاب بيژن لرؤية منيژه بنت أفراسياب . (٦) مجىء بيژن =

(١) أنظر المقدمة : نظم الشاه

والحكاية أن الملك كيخسرو كان ذات يوم قاعدا بين خواصه وأصحابه فى مجلس الأنس إذ جاء الحاجب وذكر أن على الباب جماعة من أهل أرمان يتظلمون . وأرمان ناحية بين مملكة إيران وتوران . فأذن لهم الملك فى الدخول فدخلوا ودعوا له وقالوا : أيها الملك ! إن بلدنا على رأس ممالك توران، ونحن قوم ضعفاء . وكانت لنا غيضة شجراء كثيرة الثمار والزروع، وكنا نعيش بما يحصل منها من الزرع والثمر . والآن فقد ظهر فيها من ذكور الخنازير وفحولها ما أفسد معاشنا وأهلك دوابنا، وعاث فى الناحية (٧٥)
جميعها حتى أتلف أشجارها وأهلك زروعها . فأغثنا يا صاحب التاج والتخت ومالك الأمر والنهى ! فرقّ عليهم الملك والتفت إلى أصحابه، وقال : من يكفينا هذا المهم، ويستأصل شأفة هذه الخنازير، ويحسم مادة شرها عن هؤلاء المساكين ؟ فأمر الخازن فجاء بطبق مملوء من ألوان الجواهر . وأمر بإحضار عشرة أفراس بآلات الذهب . ثم قال : إن هذا لمن ينتدب لهذا الأمر . فقال بيژن بن جيو : أنا أقوم به . فسر الملك بذلك، وأمره بالخروج إلى تلك الناحية، وأمر گُرجين بن ميلاد أن يسير فى صحبتـه، بسبب أن بيژن لم يكن قد وطئ تلك الديار، وهو جاهل بمخارمها وطرقها وشعابها . فركب بيژن واستصحب الفهود والبزاة وسار يصطاد فى الطريق الى[1] تلك الغيضة . فقعد مع گُرجين يشربان ثم قال له : تشمر حتى نتوغل الغيضة ونقتل الخنازير . فقال له گُرجين : أنت الذى أخذت الجواهر والذهب، والتزمت هذا الأمر . فانفرد بهذه الحرب . فاستشاط بيژن ووثب وتدجج بسلاحه

=الى خيمة منيژه . (٧) منيژه تحمل بيژن الى قصرها . (٨) حمل كرسيوز بيژن الى أفراسياب . (٩) پيران يسأل أفراسياب الإبقاء على بيژن . (١٠) إلقاء أفراسياب بيژن فى السجن . (١١) رجوع گرگين الى ايران وكذبه على بيژن . (١٢) إحضار كيوگرگين الى خسرو . (١٣) رؤية خسرو بيژن فى الكأس الذى يرى العالم . (١٤) كتابة خسرو رسالة الى رستم . (١٥) گيو يحمل رسالة خسرو إلى رستم . (١٦) احتفاء رستم بگيو . (١٧) مجىء رستم الى خسرو . (١٨) مأدبة خسرو للأبطال . (١٩) شفاعة رستم لگرگين عند الملك . (٢٠) تعبئة رستم عسكره . (٢١) ذهاب رستم الى مدينة خُتَن عند پيران . (٢٢) حضور منيژه عند رستم . (٢٣) علم بيژن بمجىء رستم . (٢٤) إخراج رستم بيژن من البئر . (٢٥) رستم يغير ليلا على ايوان أفراسياب . (٢٦) مجىء أفراسياب لحرب رستم . (٢٧) انهزام أفراسياب أمام الإيرانيين . (٢٨) رجوع رستم الى خسرو . (٢٩) خسرو يأدب القوم .

(١) طا، كو : الى أن وصل الى تلك الغيضة .

ودخل الغيضة . فأحدقت به الخنازير، وهى كالفيلة الهائجة توسط بأنيابها الأشجار، وتقطعها . فوثب واحد منها عليه ومزق درعه . فرماه بمزراق كان معه فأصاب دماغه وخرّ ميتا كأنه خباء مقوّض . ففزع بذلك باقى الخنازير ووقع بيژن فيها وقتل(١) منها كثيرا ، وقلع من أنيابهن جملة ليحملها الى الملك . فركب جرجين ودخل الغيضة خلفه حتى انتهى اليه . فلما رأى ما أبلاه فى قتل(٢) تلك السباع عظم عليه صنيعه، وحسده عليه حتى حمله الحسد على قصد اغتياله . ثم إنه أخذ يستحسن فعله ويمدحه ويثنى عليه ويصفه بالقوّة والشجاعة والجرأة والشهامة . ثم خرجا من الغيضة وقعدا معا يتحدّثان ويتفاكهان ، والحسد فى قلب جُرجين يعمل عمله . فقال لبيژن : إن على مسافة يومين من هذا المكان مروجا ورياضا يناصى البهار بها الأقحوان، ويعانق فيها النرجس الضيْمَران . ومن وصفها كيت كيت . وجعل يصفها ويذكر طيب هوائها وعذوبة مائها حتى جعلها فى عينه كبعض الجنان . ثم ذكر له أن ابنة أفراسياب التى تسمى منيژة تخرج فى كل سنة فى فصل الربيع الى تلك الرياض مع الجوارى الملاح والمغانى الصباح، فتضرب خيمها فى أرجائها ، وتقوم مستمتعة بطيبها . قال : وإنى(٣) وصلت اليها مرارا مع رستَم وطوس وكُستَهم وجيو وغيرهم من الأكابر . وكم سبينا عنها من أقمار الترك وشموسها . فإن رأيت أن نصير اليها ونسبى منها صفايا نهديها الى حضرة الملك فافعل . فأخذ قوله بقلب بيژن ومنعه الترف وغيرة الشباب عن التفطن لما أضمره جُرجين من الداء الدفين . وكان مع ذلك شابا مولعا بالنساء شديد الميل الى مفاكهتهن . فأجابه الى ما دعاه اليه وأقام فى مكانه مشتغلا باللهو والطرب والصيد والطرد الى أن علم جرجين بوصول ابنة أفراسياب الى ذلك المكان. فأشار حينئذ عليه بالركوب . فسارا يومين فلما قربا من المكان قال بيژن لجرجين : أنا أتقدّمك وأبصر من نزل فى المكان ثم أرجع وأعلمك . ولبس ثياب الوشى وتمنطق بمنطقة الذهب ووضع على رأسه تاجا كان يلبسه فى مجالس الأنس، فتوجه نحو المكان كالقمر الأزهر . فلما انتهى اليه رأى شجرة سرو بقرب خيمة ابنة أفراسياب، فنزل فى ظلها . فلحظته من خيمها(٤) فرأت منه قمرا منيرا وشابا نضيرا وملكا كبيرا فبهتت بجماله وبهائه وكماله . فعشقته فى الوقت وقالت لدايتها : اذهبى وانظرى من ذلك القاعد تحت ظل تلك الشجرة ، وسليه المجىء الى ضيافتنا والنزول فى خيمتنا ، وقولى : إنك بحسنك فتنت القلوب ، وملكت العيون . فجاءته المرأة وخدمت وقبلت الأرض بين يديه، وسايلته عن اسمه وعن حاله ، وبلغته الرسالة . فقال لها : أنا بيژن بن جيو . وقد خرجت الى هذه الناحية لصيد السباع ، فسمعتُ بحضور الملكة فى هذا المكان فحضرت لأقر

(١) ك : فقتل . (٢) ك : قتل (لا) . (٣) طا ، كو : قد وصلت . (٤) طا ، كو : خيمتها .

عيني بلقائها . وأنت اذا جمعت بيني و بينها وهبت لك هذا التاج والمنطقة . فرجعت الى صاحبتها وأبلغتها مقالته وأطلعتها على ما أسره اليها . فكادت تطير فرحا وسرورا ، وردّتها فى الحال اليه تسأله الحضور . فقام من تحت السرو يمشي[1] ميال الأعطاف ، و يتخايل فى ملابس الأفواف . فلما قرب من خيمتها تلقته وعانقته وجعلت تضمه اليها وتتشممه . ثم حلت منطقته ونزعت خفه ونفضت عنه غبار الطريق وغسلت أطرافه بالمسك وماء الورد . وأحضروا الطعام ثم فرشوا المجلس بالديباج والحرير واستحضرت الملاهي والمعازف وقعدت تشرب معه . وأقام معها وهي تزداد كل يوم له حبا ، الى أن انقضت مدّة مقامها فى تلك الصحراء وهمت بالارتحال . فأمرت بعض جواريها فطرحت فى الشراب دواء مرقدا ، وسقته بيژن فنام نومة عبّود . فأمرت بحمله فى مهد . وأرخيت[2] عليه الستور ، وضاجعته وارتحلت به . ووصلت السير[3] والسرى حتى وصلت الى مدينة أبيها أفراسياب . فدخلتها ليلا ، وأدخلت بيژن الى قصرها ، وأمرت فأخلى له موضع ، وجعلت على فراشه وتحته الكافور حتى انتبه وأفاق من رقدته . فأصاب[4] نفسه فى حجر ابنة أفراسياب فى بيت أبيها . فانزعج من ذلك واضطرب قلبه وقطع رجاءه عن الحياة ، وعلم أن جرجين كاده ومكر به ، فأخذ يدعو الله عليه و يتظلم منه اليه . فقالت له ابنة الملك : لا تشغلن قلبك ولا تضيقن صدرك ، فإن الخطوب تنوب الرجال ؛ فيوما مع البيض النواعم و يوما مع البيض الصوارم . ثم أحضرت المغاني والملاهي ، وأخذت تشرب على وجهه . فاستراب البواب بعد يوم بحالها فتجسس عليها حتى تحقق حقيقة الأمر . ففزع على نفسه من أفراسياب إن لم يعلمه ذلك . فدخل عليه وقال : إن ابنتك قد جاءت بزوج من إيران . وحكى له الحكاية . فغاظه ذلك وارتعد غضبا وقال : إن أبا البنت لمنحوس الطالع والبخت ، وإن كان صاحب التاج والتخت . واستدعى السالار المعروف بقراخان ، وقال : أشر عليّ برأيك فى هذه الخبيثة . فقال :
الرأى أن تستكشف حتى تطلع على حقيقة الحال ثم ترى رأيك . فالتفت الى أخيه كرسيوز وقال : ٧٦
انظر مالقينا من إيران ، وما نلقاه من بعد . اذهب بجماعة من فرسانك ووكلهم بباب القصر . ثم فتش القصر وأمسك من تجد وقيده واحمله اليّ . فمضى كرسيوز بأصحابه ، وأحدقوا بالقصر ، ودخل هو ووقف على باب الحجرة التي فيها بنت أخيه وتسمع فلم يسمع غير نقر الأوتار من وراء الأستار ، وأصوات المسمعات ، وقول اشرب وهات . فقلع الباب ودخل فرأى بيژن كالسرو الباسق حواليه ثلثمائة وصيفة كالقمر الشارق . فلما وقع عين بيژن على كرسيوز قال فى نفسه : كيف أقاتل بلا سلاح؟

(١) ك ، طا ، كو : من تحت السرو كالسرو . (٢) ك ، وأرخت . (٣) ك طا : كو : السير بالسرى
(٤) ك ، طا ، كو : فصادف .

فضرب يده الى خفه، واستل منــه خنجرا كان لا يفارقه، و وثب ووقف على الباب، وقال : أنا بيژن بن جيو . وأنت تعلم رجوليتى، وتعرف أهل بيتى وعشيرتى . ولا تقدر أن تصل الىّ إلا بعد أن أقتــل منكم خلقا كثيرا . فاسلك معى طريق الفتوة واحلف لى على أنك تحملنى الى حضرة الملك وتشفع فىّ اليــه وتستوهبه دمى . فأجابه الى ذلك وحلف له . فلما أمكنه من نفســه كتفه وحمله الى حضرة أفراسياب . فأمر بأن ينصب جذع على باب إيوانه ويصلب عليه . وهو[1] يبكى و يتضرع الى الله عز وجل . فلما خرجوا به من الإيوان الى الميــدان وأخذوا فى نصب الجــذع لصلبه طلع بيران قاصدا الى حضرة الملك . فلما دخل الميدان رأى الأتراك يلغطون و يموج بعضهم فى بعض، ورأى هناك جذعا منصوبا وعليه حبل متدل . فسأل فأعلم بالحال، فأسرع الى بيژن و وقف عليــه ورق لشبابه الناضر وجماله الباهر، فاســتخبره عن حاله وعن السبب الذى أوقعه فى تلك المحنــة . فشرح له قصته من أولها الى آخرها . فدخل على الملك وخدم واقفا عند تخته حتى[2] خلا المجلس فتقدم اليــه ولاطفه فى الكلام . ثم قال : أيهــا الملك ! لا يخفى عليك ما أصابنا بسبب دم سياوخش . ونحن الى الآن فى عقابيله، ولم نتخلص من مكروهه . فلا تضاعف العداوة والشحناء فى قلوب الايرانيين بقتل بيژن بل استبقه واحبسه فى قعر مظلمة لا يخرج منها الى الممات . » ولم يزل به حتى لانت عريكته، وأسمح لمــا أشار به قرونتــه، وقال لأخيه كرسيوز : غله بأغلال ثقيلة وقيده بقيود وثيقة، وألقــه فى بئر مظلمة لا يسقط فيها ضوء شمس ولا قمر . ثم اجترّ بالفيلة الحجر الذى استخرجه أكوان الجنىّ من بحر الصين، وسدّ به رأس البئر، واتركه فيها الى أن يموت . واذا فرغت من ذلك فادخل على منيژه التى سوّدت وجهى بين الملوك وهتكت سترى بين الخلق، فانتهب خزائنها وأطلق أيدى أصحابك فيها، ثم جرّها وأخرجها الى الصحراء فاتركها عند مطمورة صاحبها لتلازمها ذليلة مهينة . » فبادر كرسيوز الى امتثال ما أمره به الملك، وأثقل بيژن بالأغلال والقيود والسلاسل من الرأس الى القدم، وطرحه فى الجب، وغطى رأسه بذلك الحجر، ودخل على ابنة أخيه، ونهب جميع ما عنــدها واستلبها تاجها وزينتها، وجرّها بقرونها[3]، وأخرجها من المدينــة، كما أمره أخوه . فجاءت الى رأس البئر التى فيها بيژن . وكانت فى الحجر ثقبة تدخل فيها اليد . فكانت تدور طول نهارها تسأل على الأبواب والدكاكين، وترجع بما تجمعه من الكسر الى رأس الجب، وترميها الى بيژن، وتبيت عنده على رأس الجب تبكى . ولم يزل ذلك دأبها الى أن فرج الله عنهما، على ما سيأتى ذكره .

(١) كو : بجروه وهو . (٢) لk، طا، كو : الى أن . (٣) طا، كو : من تحتها بفرونها .

قال : وأما جُرجين فإنه لما أبطأ عليه بيژن ندم على ما فعل، وعض على يديه أسفا، ومضى خلفه يطلبه بجعل يدور فى تلك المروج والغياض فرأى فرسه متقطع اللجام منكّس السرج يرعى فى بعض الأودية . فعلم أن بيژن قد وقع فى بلية لا ينجو منها . فرجع بالفرس قارعا سنّ الندم منكس الرأس من الهم والأسف ، وعاد الى خيمته . ثم ارتجع عائدا نحو إيران . وحين علم الملك كيخسرو برجوعه أطلع جيوًا على حال ولده . فتلقاه والها شبه المجنون . وحين وقع عينه على جُرجين ورأى فرس ابنه ولم يره عليه خرّ من فرسه مغشيا عليه، وجعل يمزق ثوبه وينتف شعره ويندب ولده الذى لم يكن له غيره . ثم أقبل على جُرجين يسائله عن ابنه وعن حاله، ويسأله أين فقده، وما الذى أصابه، وكيف حصل على فرسه ؟ فتمحل وقال : إنا لما وصلنا الى غيضة أرمان قاتلنا الخنازير وأفنيناها وقطعنا رءوسها ، واقتلعنا بالمسامير أنيابها . ولما فرغنا من ذلك عطفنا الأعنة ورجعنا نصطاد فى الطريق . فتصدّى لنا حمار وحش من صفته كيت وكيت — وأطال صاحب الكتاب نفسه فى وصفه — فخلّق بيژن عليه الوهق وأعلقه به وعدّى الفرس خلفه، وجعل يركض معه ، فثار عجاج عظيم غيبهما عن عينى . فركضت خلفه أطلبه فلم أقف له على أثر . وصادفت فرسه[(١)] مقطوع العنان منكوس السرج . فانخلع فؤادى من الهم والحزن ، وبقيت أدور فى تلك الصحراء . فلما أيست منه أقبلت راجعا . » فلما سمع مقالته علم أن كلامه غير مستقيم . فتنفس الصعداء وهمّ بقتله فراجع عقله وكف عنه يده فصاح عليه وشتمه وقال : ما بقى من حياتك إلا مقدار ما تدخل فيه على الملك ثم إنى قاطع رأسك بهذا الخنجر . ودخل على الملك[(٢)] وأخبره بحال ابنه وتظلم اليه من يد جُرجين . فعظم على الملك فقد بيژن حتى تغير لونه حين حدّثه[(٣)] وذرفت عينه . وقال لجيو : لا يضيق صدرك فان ابنك فى قيد الحياة . وكن على ثقة من نجاته وخلاصه . فإن الموابذة والعلماء أخبرونى أنى أقود العساكر الى توران طالبا بثار أبى سِياوخش، ويكون معى بيژن يقاتل الترك بين يدى . » فسلّاه بذلك . وخرج ووصل جرجين ودخل على الملك فقبل الأرض ثم[(٤)] وضع عند التخت أنياب الخنازير، ودعا له . فسايله الملك عن طريقه وعن كيفية حال بيژن . ففزع جرجين وتتعتع فى كلامه، وجعل يسرد عليه ما تمحله . فصاح عليه الملك وطرده وقال : لولا خوفى من قبح الأحدوثة لأمرت بضرب رقبتك . وأمر بتقييده وحبسه . ثم قال لجيو . سأبث الخيل فى الأطراف، وأبحث عن حال بيژن . واذا دخل شهر

(١) ك : الفرس . (٢) ك ، طا ، كو : على الملك ودعا له . (٣) طا : حدّثه به
(٤) ك : ووضع

هرمز§ رفعت الجام الذى تُرى فيه الكائنات فى الأقاليم السبعة، وأفتش فيه عن بيژن. فإنى إذا نظرت فيه لا يخفى علىّ شىء، فأعلمك بموضعه وحاله.» وكان هذا الجام قد وضع على شكل عجيب، وفيه صور البروج الاثنى(١) عشر والسيارات السبع. وكان الملك اذا نظر فيه اطلع على حوادث الوقت أجمع. قال: ولما دخل شهر هرمز جاء جيو الى خدمة الملك. فلبس ثياب البِذْلة(٢) ودخل بيت العبادة ووقف يتضرع  ويبتهل ويدعو الله عز وجل. ثم خرج الى إيوانه وأخذ الجام ينظر فيه ويطالع أحوال الأقاليم. فلما انتهى فى نظره الى إقليم كركساران رأى بيژن مقيدا بالسلاسل والأغلال محبوسا فى مطمورة، ورأى منيژة على رأسها(٣) تقوم بأمره. فالتفت الى جيو وضحك وقال: طيب قلبك فان ابنك فى الحياة، وهو محبوس فى بئر فى أرض توران، لكنه فى ضيق وشدّة، وهو يبكى طول الليل والنهار ويتمنى الموت متبرما بحالته تلك على ماهو فيه، وقد أيس من النجاة. فمن ينهض الآن بكشف هذا الخطب الفادح فيسعى فى خلاصه ويتلافى حشاشته؟ ثم قال: ومن يطيق ذلك سوى رستم بن دستان؟ والرأى أن أكتب اليه كتابا أستدعيه فيه، تحمله أنت اليه. واذا حضر تشاورنا فى الأمر، ونظرنا فى كيفية التدبير فى خلاص الشاب.» فاستحضر الكاتب وأمره فكتب الى رستم كتابا يدعو له فيه ويمدحه ويذكر اعتضاده به واستظهاره بمكانه وأنه المفزع والمستجار فى السراء والضراء والشدّة والرخاء. ثم ذكر الجوذرزيين وما ثبت لهم فى الدولة القاهرة من الحقوق المؤكدة والوسائل الممهدة، وأن الواجب الاهتمام بما يرجع

---

§ ليس فى الشهور الفارسية القديمة ما يسمى شهر هرمزد. والذى فى الشاه أن كيخسرو قال لكيو: «انتظر حتى يحل شهر فروردين، حين تزدهى الشمس المعبودة، وتتبرج الحدائق فى حلل الورد، وتنثر الريح الأزهار على الرءوس ... فأدعو هرمزد». والفردوسى يفتتح الفصل الذى يقص عن اطلاع كيخسرو فى الجام، بقوله: «فلما حل النوروز». والنوروز فى شهر فروردين أوّل الشهور الفارسية. ويوم هرمزد اسم اليوم الأول من كل شهر. ولست أدرى كيف ترجم المترجم على هذا النسق.

وهذا الجام يذكر كثيرا فى الشعر الفارسى باسم جام جم أى جام جمشيد.

وفى نزهة القلوب(٤) أن فى حدود جنبدق بئرا فيها حمام كثير، ولا يعرف أحد غورها. ويهبط فيها الهابط أكثر من ٥٠٠ ذراع ثم لا يستطيع المزيد لشدة البرد. وتقول العامة أن كيخسرو وضع فى هذه البئر الكأس التى كان يرى فيها العالم.

(١) صل: اثنا عشر. (٢) فى الشاه: لبس قباء روميا. (٣) لـ: على رأسه. (٤) انظر: ص ٢٨٠

بصالح (١) أمورهم وحفظ قلوبهم . ثم ذكر حال بيژن وما حل به فى بلاد توران ، وأنه ليس بخاف مانزل بجيو بسببه من الفجيعة والمصيبة . وقد جاءك ملتجئا اليك مستصرخا بك . فاذا قرأت كتابى هـذا فتجشم الحضور بالحضرة لننظر فى هذا الأمر ونبحث عن وجه التدبير فى تخليصه . فتناول جيو الكتاب وسار فى جماعة من أقاربه وإخوته ، وتوجه إلى زابلستان يسـير ليله ونهاره حتى شارف حدود زابل . فأُعلم دسـتان بن سام بطلوع جماعة من ناحية إيران يحثون دوابهم جادين فى السير . فركب وتلقاهم ، ورأى جيوا يركض أمام القوم لهفان حزينا . فقال فى نفسه : إنه قد تجدّد حادث أحوج الملك إلى إنفاذ جيو الى هذه البلاد . فلما تلاقيا سايله دستان عن الملك والأكابر والأمراء فبلغه سلام الكل ، ثم شكا اليه بثه وما أصيب به فى ولده ، وبكى . وسايله عن رستم فقال : إنه ركب للصيد ، والساعة يعود . فأنزله فى إيوانه ، ووفاه شرائط خدمته . ولمـا أحس برجوع رستم تلقاه فى الطريق فترجل له وقبل الأرض وآثار اللهف والحزن على وجهه ظاهرة . فارتاع رستم لذلك فنزل له وآعتنقه . ثم سايله عن الملك وأحوال المملكة ثم عن جوذرز وطوس وكَرْدَهَم وسابور و بيژن وفرهاد و جميع الأكابر والسادة . وحين انتهى إلى ذكر (ا) بيژن وقع عليه البكاء والرنين ثم قال : إن كل من سألت عنه مشمول بالصحة والعافية وهم يقرءون عليك السلام غير أنى فقدت بيژن وأصبت به مع كبر سنى بعد ما نال آل جوذرز من عين السوء . وقد بحثت عنه فلم أعثر له على خبر حتى دخل شهر هرمزد . (ب) فإن الملك دخل بيت النار وتضرع إلى الله عز وجل فى أمره ونظر فى الجام فرآه فيه أسيرا فى أرض توران . فلما وقف على ذلك أرسلنى الى حضرتك . وهأنا قد (٢) جئتك لهفان مملوء القلب بالرجاء لك ، اذ لم أر أحدا أرجوه لكشف هذا الملم سواك» . وكان يتكلم وعيناه تسيلان بالدموع ، وسلم الكتاب الى رستم فاغرورقت عيناه بالبكاء فقال له : لا تهتم فانى لا أحط السرج عن الرخش حتى آخذ بيد بيژن وأضعها فى يدك ، بقوّة الله تعالى وسـعادة الملك . ثم دخل به إلى ايوانه ففتح الكتاب وقرأه ثم أقبل على جيو وقال : قد وقفت على الحال وفرحت بمقدمك علىّ ولكن لم أكن أشتهى أن تكون على مابك من الجزع والحزن . وأنا أبذل وسعى فى هذا المعنى من أجل هذا الكتاب . ثم أقاموا ثلاثة أيام . ولمـا كان اليوم الرابع اختار رستم مائة فارس من الأسود الزابلية ، وركب مع جيو الى حضرة الملك . فلما قربوا منها سبقه جيو إلى الملك وأعلمه بوصوله فسر وابتهج بمسارعته الى امتثال أمره ،

(ا) العبارة هنا ركيكة . فان المتكلم رستم والباكى كيو . وعبارة الشاه : فلمـا سمع اسم جيو بكى الخ .

(ب) الذى فى الشاه : أن الملك تضرع الى الله فى عيد الكيانيّين — هرمزد فروَردين . أى يوم هرمزد من شهر فروَردين . وهو اليوم الأوّل يوم النوروز .

(١) طا ، كو : صلاح . (٢) ك : لهفان القلب مملوءا .

وأشار على طوس وجوذرز وفرهاد وغيرهم من الملوك والأكابر بالركوب لاستقباله وتوفية شرائط خدمته . فتلقوه بالكوسات والأعلام والإجلال والإعظام . فلما دخل رستم على الملك خر ساجدا فرفع رأسه ومثل بين يديه واقفا يدعو ويثنى . والملك أيضا واقف يصغى الى كلامه . فلما فرغ أخذ بيده واستدناه وأقبل عليه يشكره ويثنى عليه . ثم سايله عن أخيه زواره وأبيه دستان وابنه فرامرز فقبل رستم الأرض وقال : مشمولون بالصحة والسلامة بسعادتك . وطوبى لمن يجرى ذكره على لسان الملك . ثم أمر باستحضار جوذرز وطوس . وفُتح باب البستان وقد هيئ للملك فيه مجلس يروق العيون، وقد فرش بالزرابى الخسروانية والوشائع الأرجوانية، ونقل اليه تحت الملك وتاجه، ونصب فى المجلس شجرة تظل عليه أصلها من الفضة وأغصانها من الذهب، قد تهدّلت منها شماريخ من اللؤلؤ والياقوت، ولها أوراق من الزبرجد، وعليها بازات (ا) على شكل الأترج والسفرجل مجوّفة محشوّة بالمسك السحيق معجونا بسلاف الرحيق، وهى مثقوبة بثُقَب ينتثر منها المسك والعنبر اذا ضربها الهواء على رءوس الحاضرين . فجاء الملك ولبس التاج وجلس على التخت مع رستم فى ظل الشجرة، واصطفت الوصائف والسقاة على رءوسهم الأكاليل المرصعة وعليهم الملابس المذهبة، بالأطواق والأقراط، كالأقمار الطالعة والشموس المشرقة، فى حجورهم المزاهر، وفى أيديهم المعازف، تشرق فى أكفهم الأقداح وتقهقه فى أوجههم الراح .

وكأن مترجم الكتاب ألمّ بوصفها(1) حيث قال فى صفة مجلس مولانا السلطان الملك المعظم ملك ملوك العرب والعجم، ضاعف الله جلاله وأدام ظلاله، فى كلمة طويلة منها :

واذا تبدى فى مجالس أنسه	كالماء فيه عذوبة وصفاء
فى القصر من جنات غوطة طالعا	تُجلى عليه القهوة الصهباء
فكأنه كيخُسروٌ فى تاجه	تبدو عليه روعة وسناء
وأمامه من رأيه الجام الذى	بانت له(2) فى نوره الأشياء
فتلوح فى إيوانه مصطفة	قدّامه الأملاك والأمراء
كالبدر فى كبد السماء وحوله	زهر جلاها من سناه ضياء

(ا) فى نسخ الترجمة بازات . وأقرب معانيها أن تكون جمع بازى بمعنى لعبة . وفى الشاه : « كل ثمرها من الأترج والسفرجل . » والثمر بالفارسية بار . فلعل المترجم أبقى الكلمة وجمعها على بارات، وحرفها الناسخ .

(1) ك، طا، كو : بصفتها . (2) صل : به . والتصحيح من ك، طا، كو .



في مجلس تذكى الرحيقُ حريقَه (١) فيه فيعبق بالأريج هواء
ورنين (٢) أوتار ورجع كراين تصغى اليه الصخرة الصماء
من لم ير الفردوس غضانا ضرا فليحضرن فالجنتان سواء

قال : فأقبل الملك على رستم، وقال : أيها البهلوان! أنت لنا كالجُنة، بك نتوقى كل شر، وبك نستجير فى كل خطب، ولم تبرح أنت فى تعب وعناء قياما بمصالح هذه الدولة واهتماما بمناجح هذه المملكة . وقد علمتَ حسن بلاء الجوذرزيين فى طاعتنا، وبذلهم الأنفس فيما يسنح من مهماتنا، ولا سيما جيوًا فإنه على انفراده هو الساعى فى الأمر الذى عرف واشتهر، (ا) وأنهم لم يصابوا بمثل هذه المصيبة قط . (ب) فدبّر الآن هذا الأمر، وانظر كيف المخلص منه . فإنه لا يقدر على تخليص بيژن من توران غيرك . وهذه العساكر والأموال بين يديك، فاحتكم فيها بما ترى . » نخدم رستم وقال : أيها الملك! إن أمى ما ولدتنى إلا لطاعتك، وتحمل المكاره فيما هو سبب راحتك . وهأنذا أشدّ وسطى فى امتثال أمرك، ولا أسلك إلا سبيل خدمتك، ولو أمطر الهواء علىّ نارا، وتحوّلت الأشفار فى عينى شفارا . » فشكره عند ذلك الأمراء والأكابر ودعوا له . ثم اندفعوا فيما جلسوا له من اللهو والطرب . قال : وبلغ جُرجين قدوم رستم فأرسل اليه يتخضع له ويتضرع، وقال : قد جرى علىّ قلم القضاء فى هذه الواقعة بالمحنة والشقاء . وأنا أضع نفسى على النار بين يدى الملك فلعلنى يشملنى عفوه ويسعنى لطفه وحلمه . وسأله أن يتشفع فيه الى الملك حتى يصحبه الى بلاد توران ليتوسل به الى بيژن كى يقيله العثرة ويغفر له تلك الزلة . فأرسل اليه رستم يعنفه ويعيره على صنيعه، ويقول له : بعد ما أبديته من الاعتذار والاعتراف أنا أتشفع فيك الى الملك، وأسعى فى خلاصك . ولكن ينبغى أن تعلم أنه إن خلص بيژن فقد خلصت، وإلا فأنا أوّل من يأخذ بثاره منك . فدخل على الملك وسأله الإفراج عنه، ولم يزل به حتى أجابه الى ذلك . ثم إن رستم تشمر للأمر وتجرّد له، وقال : إنه لا سبيل لنا الى خلاص بيژن بالقتل والقتال . وإنما الطريق فيه إعمال المكر والاحتيال . ودخل خزانة الملك وأخرج من الجواهر والثياب (٣) والذهب والفضة ما أوفر به مائة جمل ومائة بغل . واختار

(ا) هو إحضار كيخسرو وأمه من بلاد توران كما تقدّم .

(ب) تقدّم أن سبعين بطلا من أبناء جوذرز قتلوا فى وقائع كيخسرو (ص ٢١٣ متن) فكيف يقال هنا أن الجوذرزيين لم يصابوا بمثل هذه المصيبة؟ انظر المقدمة فى جمع الشاه .

(١) صل : رحيقه . والتصحيح من لك، طا . (٢) كو : ورنين أوتار اذا هى زمزمت الخ .

(٣) صل : والثياب الذهب . والتصحيح من طا .

من العسكر ألف فارس من المفردين وسبعة من المقدّمين مثل جُرجين وزنكه وكُستهم وزواره وفرهاد ورُهّام وأشكش . وارتحل بهم رستم وسار حتى قرب من حدود توران . فأشار على العسكر بأن يلازموا ذلك المكان واستصحب منهم الأمراء السبعة فألقوا مناطقهم وخلعوا يلامقهم وتزيوا بزى التجار، فلبسوا الجوخ وملابس الصوف. وأمر بتعليق الأجراس على الدواب، وسار فى هيئة القوافل حتى وصل الى مدينة بيران. وأخذ جاما مرصعا بالجواهر وأهداه الى بيران مع فرسين مجللين بالديباج والحرير، فدخل عليه فأكرمه وسأله عن مقدمه . فقال : قدمت الى بلدة الملك للتجارة، وقد صحبنى جواهر وثياب أريد أن أبيعها فى ظل جاهك، وأتعوّض عنها بسعادتك بعوض أعود به . ثم رجع من عنده ونزل فى الخان وفتح دكانا . فكان كل يوم يقوم على باب دكانه سوق يجتمع فيها الخلائق ويبايعونه ويشارونه .

فسمعت بخبره منيژة صاحبة بيژن فجاءت تعدو حتى وقفت على دكانه، ودعت له ، وقالت : أخبرنى عن ايران وعن الملك وعن البهلوان، وهل بلغهم أن بيژن أسيرفى قعر مطمورة مظلمة؟ ففزع رستم وطردها وصاح عليها وقال : تنحى فإنى لا أعرف أحدا ممن ذكرت ولا دخلت بلادهم قط . فبكت المرأة وقالت : كيف يليق بمثلك هذا الجفاء؟ فأمر رستم غلامه فقدّم اليها طعاما . وقعدت تأكل ، وجعل رستم يسايلها ويقول : مالك وللسؤال عن ملوك ايران ؟ فبكت وقالت : فى قصتى طول، وأنت ملول . فحكت له جميع ما جرى، وقصت عليه قصة بيژن، ووصفت له حاله وما هو فيه من الشدّة . ثم قالت له : إن دخلت الى تلك البلاد فاطلب جيو بن جوذرز ، وقل له : إن ابنك محبوس فى مكان سقفه حجر وأرضه حديد . فإن كنت تغيثه فعجّل فقد تفاقم الأمر . فأمر رستم لها بطعام، وأخذ دجاجة مشوية ودفن فى جوفها خاتمه ، وعليه اسمه ، فدفعها اليها . فعادت بما أخذت من الطعام ملفوفا فى مئزر، وجاءت الى رأس البئر وألقته الى بيژن . فلما رأى الخاتم ورأى عليه اسم رستم استبشر فضحك حتى سمعت منه قهقهته . فسايلته عن ذلك فكتمها الحال. فجعلت تبكى ولم تزل به حتى أعلمها، وقال لها : ارجعى اليه وقولى له : أنت(١) صاحب الرخش أم لا؟ فعادت اليه وآثار الفرح عليها لائحة . فلما رآها رستم علم أن بيژن قد أفضى اليها بالسر . فأبلغته رسالة بيژن فقال لها : قولى له : إنه صاحب الرخش ، فأبشر بالفرج . ثم أمرها بأن تجمع حطبا عند رأس البئر فاذا دخل الليل وأظلم الجو أوقدت النار حتى يهتدى رستم بضوئها الى المكان . فرجعت وعملت ما أمرها به رستم، فلبس سلاحه وركب فى رفقائه السبعة الأمراء، وقصدوا النار

(١) ك ، طا : أأنت .

حتى أتوها . فنزل السبعة على الحجر ليـديروه من رأس البئر فلم يقدروا . فنزل رستم فنحّاه وحده . ثم اطلع فى البئر، وقال لبيژن : إنى قد تحملت بسببك مشاق وكربا، وأنا أتشفع اليك فى جُرجين أن تصفح عنه . وإن لم تفعل تركتك على حالك وانصرفت . فشفعه فيه وعفا عنه[1] . فدلّى اليه الوهق واستخرجه من البئر فنحّى عنـه بيده القيود والسلاسل . وحملوه وصاحبته الى منزلهم الذى كانوا به نازلين . ثم حمّل الجمال والبغال ووجهها نحو الطريق مع اشكس، ونفذ منيژه معهم . ولبس رستم سلاحه وتدجج مظاهرا بين جُنَنه ، وركب معه بيژن وأصحابه الآخرون فاستلوا أسيافهم وهجموا على باب أفراسياب، وقتلوا كل من كان عليه من الحرس ، وصاح البهلوان وقال : أنا رستم بن دستان، وقد أخرجت بيژن . ورفعوا الأصوات . فهرب أفراسياب من ايوانه الذى كان فيـه فدخلوا اليه ونهبوا ما وجدوا فيـه . ثم ركبوا وساروا خلف الجمال والأثقـال، وأغذّوا السير طردا وركضا حتى اتصلوا بالفوارس الألف الذين أمرهم رستم بملازمة المكان الذى عينه لهم . فأمر[2] رستم بأن يتأهبـوا للقتال، وقال : إن أفراسياب لا شك يجمع عسكره ويتبع آثارنا . فكونوا على أهبة لئلا يهتبل مناغرة .
قال : ولمـا أصبح أفراسـياب اجتمع على بابه الأمراء والملوك، وقالوا : كيف نغضى على هـذه (٧٩)
السبة، ونتقاعد عن هذه المكيدة التى كادنا بها الايرانيون؟ فركب أفراسياب فى عسكر عظيم خلفهم . فبينا رستم فى منزله ومنيژه قاعدة فى خيمة ضربت لهـا إذ جاءه النذير بظهور العسكر . فسير الأحمال والأثقال فى صحبة منيژه، وركب وأمر العسكر فتدججوا وركبوا . فلما قرب أفراسياب ورأى العسكر أمر أصحابه فاصطفوا، فوقف هومان فى الميمنة، وبيران فى الميسرة، ووقف شيذه وكرسيوز فى القلب، وبقى هو بنفسه يدور ويرتب . فتلاقوا وجرى بينهم قتال عظيم تدرج فيه كثير من رءوس أصحاب أفراسياب ، وتتابعت عليهم حملات رسـتم حتى ولوا منهزمين وعادوا وراءهم مخذولين مفلولين ، بعد أن أسر منهم ألف فارس، ونهب ما كان معهم من صامت وناطق . وارتحل رستم عائدا الى حضرة الملك . ولمـا أتاه البشير برجوعه سالمـا ظافرا أمر بضرب البشائر، وركب طوس وجوذرز وجيو ، وخرجوا بالدِرَفش الكبير على أحد جانبيه النمور المسلسلة وأسود السباع، وعلى الجانب الآخر الفوارس المدججة وأسود الرجال . فلما بدا لهم رسـتم ترجلوا ومشوا اليه ، فنزل لهم رستم فتصافحوا وتعانقوا . ثم قال له جوذرز : أيها البهلوان! إنك قد استعبدت عشيرتنا، وملكت رقهم بصنيعك . ودعا له . ثم ركبوا جميعا . ولمـا قربوا من دار الملك تلقاه الملك كيخسرو فنزل رستم وعفر له خدّه فى التراب ، فاعتنقه الملك . فأخذ رستم بيد بيژن وقدّمه الى الملك، وسلمه اليه محافظة منه على ما سـبق من

(١) صل : عنه . والتصحيح من لك، كو، طا . (٢) لك، طا : فأمرهم

وعده بجيو بذلك . فشكره الملك ودعا له وأثنى عليه، وقال : ما أعلى جدّ الايرانيين وأرفع شأنهم وأحمى حريمهم ما دمت بهلوانهم ! وطوبى لزال إذ كان مثلك له خلفا وولدا ! وأنا أعلاهم جدا وأوراهم زندا حيث أصبحت خادما لتختى وحاميا لحوزتى . ثم قال لجيو : إن أمرك لمستقيم عند الله سبحانه وتعالى حيث يسر رجوع ولدك اليك . فدعا جيو له ولرستم ثم جلسو فى ايوان الملك . فمدّوا السماط فطعموا ثم اشتغلوا بالشرب . ولما كان من الغد دخل عليه رستم واستأذنه فى الرجوع الى بلاده فأمر له الملك بخلعة منسوجة بالجواهر وجام مملوء من اليواقيت واللآلئ ، ومائة فرس ومائة بغل ، ومائة وصيف بالمناطق الذهبية ، ومائة وصيفة بالأكاليل المرصعة . فلبس الخلعة وقبّل الأرض بين يدى الملك ، وارتحل بتلك التحف الى سجستان . وخلع أيضا على الأكابر الذين خرجوا معه على اختلاف مقاديرهم . ثم استحضر بيژن فجعل يحدّثه بما جرى عليه ويصف ما كان فيه من الشدّة والضيق . ففرق الملك لابنة أفراسياب ، وأمر الخازن فجاء بمائة ثوب منسوج بالذهب ، وعشر بِدَر وتاج من الذهب ، وقال لبيژن : احملها الى ابنة أفراسياب : وعاشرها بالمعروف ولا تخاشنها ولا تجف عليها ، وعيشا معا فى راحة وسرور ، وغبطة وحبور ، ووعظه ونصحه .

ذكر الوقعة المعروفة بيازده رُخ §

قال صاحب الكتاب : لما انهزم ملك الترك من تلك الوقعة ، يعنى وقعة فولاذ السابق ذكره (١) امتد الى الخُلَّخ . فجلس يوما فى إيوانه وعنده أخوه كرسيوز وولده شيذه وقراخان ، فشرع يحدّثهم بما جرى له مع الايرانيين ويذكر ما أصابه منهم . وقال : إن من عهد منوجهر لم يكن لهم يد على

§ تسمى هذه القصة فى نسخ الشاهنامه التى عندى « حرب دوازده رخ » أى حرب الاثنى عشر رخا . ويسميها المترجم « حرب يازده رخ » أى حرب الأحد عشر رخا . وعدد المبارزين يرجّح تسمية المترجم فهم أحد عشر فقط ، إلا أن تحسب مقاتلة كستهم مع لهاك وفرشيد .

و « رُخ » معناه الخد والوجه ، ويطلق على بعض أحجار الشطرنج (القلعة) وعلى طائر خرافى كالعنقاء ، وفى المعنيين الأخيرين محتمل لتسمية هذه الحرب .

وهى قصة شائعة يكلف بها الايرانيون لما فيها من البطولة وظفر أبطال إيران . ويتبين للقارئ أن القاص مقبل على ختام هذا الطور العظيم من حروب الشاهنامه ، فهو يقتل أبطال توران =

(١) سبق ذكر بولادوند الجنى فى قصة الخاقان ورستم .

هذه البلاد . والآن فقد استأسد النقد، واستنسر البغاث حتى بلغ بهم الأمر الى أن غزونا فى عقر دارنا[١] . ونحن إن تغاضينا عن هذا ولم نتلاف الخلل لم يبق من هذه الممالك عين ولا أثر . والرأى أن نستنفر أهل هذه الممالك، ونجمع ألوف ألوف من آساد الحروب، ونقاتلهم من كل صوب وأوب . فاستصوب قوله الحاضرون[٢] . فأحضر الكاتب وكتب الى بغبور ملك الصين يستنجده، وكذلك إلى سائر ملوك الأطراف . فاجتمع عليه عسكر ضاق عنهم نطاق الحصر. وفتح أبواب الخزائن التى كانت ملوك الترك من عهد تور بن أفريدون يجمعونها، وأخذ فى تفريقها عليهم ليلا ونهارا . فلما انتظمت أحوالهم وأعدّوا واستعدوا اختار منهم خمسين ألف فارس، وجعل عليهم ابنه شيذه، وجهزهم الى خوارزم . وضم خمسين ألفا آخرين الى بيران، ووجهه الى ايران، وأمره ببسط اليد فى القتل والنهب وألا يقرع مع أحد باب الصلح، ولا يخاطبهم إلا بلسان السيف . فانتهى الخبر الى الملك كيخسرو بأن أفراسياب يريد العبور على جيحون فى ثلثمائة ألف فارس قاصدين قصد ايران . فاستحضر أعيان الحضرة وأركان الدولة مثل دستان ورستم وجوذرز وجيو وشيدوش وفرهاد ورُهَّام وبيژن وكزدهم وكُستهم وجُرجين وزنكه بن شاوران، وأخبرهم بذلك، وقال : اذا استعد العدو

= حتى القائد الأكبر پيران، ويقتل قاتل سياوخش الذى كان قتله مثار هذه الحروب، ويصر على أن ينصر كل مبارز إيرانى على قرنه التورانى لتكون خاتمة مجيدة تمحو ما كان من هزيمة الايرانيين فى بعض الوقائع .

ثم حرب يازده رُخ فيها ٢٤٥٥ بيت تتقسمها هذه العناوين :

(١) فاتحة القصة . (٢) أفراسياب يجمع عسكره . (٣) خسرو يرسل كودرز لحرب التورانيين . (٤) كيو يحمل رسالة من كودرز الى پيران . (٥) مجىء كيو الى پيران فى ويسه كِرد . (٦) مصافة الجيشين . (٧) بيژن يذهب الى كيو ويلح فى بدء الحرب . (٨) هومان يستأذن پيران فى القتال . (٩) هومان يتحدّى رُهّام . (١٠) هومان يتحدّى فرى برُز . (١١) هومان يتحدّى كودرز . (١٢) بيژن يسمع بما فعل هومان . (١٣) كيو يعطى درع سياوخش بيژن . (١٤) هومان يأتى لقتال بيژن . (١٥) هومان يقتل بيد بيژن . (١٦) نستيهن يبيت الايرانيين فيُقتل . (١٧) كودرز يستمد خسرو . (١٨) جواب خسرو عن كتاب كودرز . (١٩) خسرو يعبئ الجيش . (٢٠) پيران يكتب الى كودرز =

(١) لك، طا : و بيتونا فى مقر عزنا . (٢) كو : فاستصوب قوله ذلك الأكابر والموابذة وقالوا : الرأى أن نعبر جيحون ونعسكر بآمل الشط ونواصل الركضات عليهم فشكرهم الملك على ذلك وأحضر الكاتب الخ .

فالواجب أن نستعد نحن أيضا . فأمر بدق الكوسات و إخراج الخيم والسرادقات . وركب الفيل وخرج وضرب بالخرزة فى الجام إشعارا بالنفير العام . فبرزت العساكر أجمعون . ونادى مناديه بألا يتخلف من يطيق أن يمسك عنانا و يحمل سيفا وسنانا . وبث الرسل الى الروم[1] والهند والعرب وقال : من لم يحضر بعد أربعين يوما باب سرادق الملك لم ير إلا ما يكره . فانثالت عليهم العساكر من جميع الأطراف واجتمعت بجحافل ضاق بهم البر والبحر، ولم يحط بهم العد والحصر، ممن ينطبق عليهم صفة الطائى حيث يقول :

ومقاتلين اذا انتموا لم يخزهم ... فى نصرك الأخوال والأعمام
سفع الدءوب وجوههم فكأنهم ... وأبوهم سام، أبوهم حام
تخذوا الحديد من الحديد معاقلا ... سكانها الأرواح والأجسام
مسترسلين الى المنون كأنما ... بين الحتوف و بينهم أرحام
آساد غيل مخدرات مالها ... إلا الصوارم والقنا آجام

ففتح أبواب الخزائن وأطلق لهم العطايا وأدر عليهم الأرزاق . ثم قسم العسكر أربعة أقسام؛ فجعل رستم على ثلاثين ألفا، وأمره أن يسلك طريق سجستان، ويتوغل ببلاد الهند الى غزنة فيفتحها، 

= آبن كشواذ . (٢١) جواب كودرز لكتاب پيران . (٢٢) پيران يستصرخ أفراسياب . (٢٣) جواب أفراسياب لكتاب پيران . (٢٤) حرب الايرانيين والتورانيين عامة . (٢٥) قتال كيو و پيران، وإعياء فرس كيو . (٢٦) كودرز و پيران يتفقان على حرب الأحد عشر رخا . (٢٧) پيران يكلم أبطاله . (٢٨) اختيار كودرز و پيران المبارزين لحرب الأحد عشر رخا . (٢٩) فريبرز يحارب كلباد . (٣٠) كيو وكروى . (٣١) كرازه وسيامك . (٣٢) فروهل وزنكله . (٣٣) رهام و بارمان . (٣٤) بيژن وروئين . (٣٥) هجير وسپهرم . (٣٦) زنكه بن شاوران وأوخاست . (٣٧) كركين وأندريمان . (٣٨) برته وكهرم . (٣٩) كودرز و پيران . (٤٠) رجوع كودرز الى الايرانيين . (٤١) لهاك وفرشيدورد يبكيان پيران . (٤٢) لهاك وفرشيدورد يهربان الى توران . (٤٣) كستهم يتبعهما . (٤٤) بيژن يلحق كستهم . (٤٥) كستهم يقتل لهاك وفرشيدورد . (٤٦) بيژن يرى كستهم فى البرية . (٤٧) خسرو يبنى مقبرة لپيران وغيره من رؤساء توران ويقتل كروى بن زره . (٤٨) التورانيون يستأمنون خسرو . (٤٩) رجوع بيژن وكستهم

(١) ك : فى الروم

و يرتب ابنه فرامرز فيها، ويدخل الى بلاد أفراسياب من ذلك الجانب. وأعطى لهُراسب ممالك ألان، وأمره أن يجمع عساكرها، ويدخل من ذلك الطريق الى توران . وجعل أشكس على ثلاثين ألفا آخرين، وسيرهم تحت رايته الى خوارزم لملاقاة شيذه بن أفراسياب . وجعل على القسم الرابع جوذرز ابن كشواذ وضم إليه أعظم العساكر مع جماعة كثيرة من الاصبهبذية، وهم جُرجين وزنكه بن شاوران وكستهم وزواره وفرى بُرز بن كيكاوس وفرهاد وجيو وبرازه ورُهّام . وأوصى جوذرز بألا يتحامل على من لا يتصدّى لقتاله، ولا يتعرّض بمكروه لمن يبذل له السمع والطاعة، واذا وصل الى حدود توران يستعمل الرفق والتؤدة، ويتجنب الطيش والنزق، ولا يعمل مثل ما عمل طوس فى الوقعة السابقة، وينفذ أوّلا الى بيران، جريا(١) على مقتضى ما يوجبه حاله من الشفقة والحنو، من يعظه وينصحه ويخاطبه بالإعذار والإنذار . وأوصاه أيضا أن يراقب الله تعالى فى جميع أموره، ويستعمل العدل والإنصاف مع كل أحد . فقال جوذرز : أيها الملك المظفر! لا أعدل عما تأمر به وتراه . ثم ارتفعت أصوات الكوسات من باب سرادق جوذرز، وارتحل العساكر بين أيديهم ستون فيلا . فأمر الملك بنصب أربعة تخوت من الذهب على ظهور أربعة أفيال . وأمر جوذرز بالجلوس على واحد منها . ثم سار فى عساكره راكبا طريق خراسان . ولما وصل الى زيبد(٢) من نواحى بلخ أرسل ولده جيوا الى بيران مع عشرة من أمراء إيران، فى ألف فارس، وأمره أن يبلغه حنو الملك وعاطفته عليه، ويشير عليه بأن يغتنم السلامة، ولا يلقى بيده الى التهلكة، ويتجاوز الى مملكة الملك كيخسرو ملتجئا الى ظل أمانه وتاركا معاداة الايرانيين، فى رسالة طويلة ذكرها صاحب الكتاب. فإن أجاب فهو المراد، وإن أبى فليأخذ أهبته للحرب، وليستعد للقتال . قال : فركب جيو من باب بلخ وسار حتى وصل الى واشجرد(٣)، وكان بيران قد عبر الماء وخيم بهذه المدينة. فلما وصل اليه جيو وأدّى الرسالة أنهى ذلك الى أفراسياب فأمدّه بأربعين ألف فارس، وعزم عليه بملاقاة جوذرز ومناجزته . فردّ جيوا الى جوذرز وقال : إن الملك قد أمرنى بالقتال، ولا يمكننى مخالفته . وأما ما ذكرت من الدخول فى طاعة الملك كيخسرو فاعلم أن الموت أحب الىّ من ذلك. وحين انصرف جيو ساق بيران عساكره، وأقبل حتى خيم فى موضع يقال له كنابذ(٤) .

ولما وصل جيو الى أبيه وأعلمه بالحال استعد ونزل من الجبل وخيم فى الصحراء، وجعل الجبل خلف ظهره . ووصل بيران فى عساكر الترك فنزل قريبا منهم . ولما أصبحوا عبى جوذرز

(١) طا : جريا على ما يوجبه حاله . (٢) فى الشاه : ريبد . (٣) فى الشاه : ويسه كرد أى مدينة ويسه . وهو أبو بيران، كما يعلم القارئ . (٤) فى الشاه : كنابد .

عساكره، وكان على يمينه الجبل وعلى يساره الماء . وكان نزوله فى ذلك الموضع من علامات[١] الظفر ومخايل السعادة . فأمر الرجالة الذين كانوا معه فاصطفوا قدّام الخيالة ، ورتب خلفهم الفرسان (أصحاب[٢] الرماح ومن خلفهم الرجالة الباقين أصحاب القسى ورماة الحدق ومن خلفهم الفرسان) . أصحاب الخناجر والسيوف، وأوقف وراء الكل الفيلةَ المجففة كأنها الجبال الباذخة . ونصب العلم الأكبر المسمى دِرفش جاوِيان . وكان الملك كيخسرو قد دفع هذا العلم اليه يومئذ . وزعموا أن هذا العلم لم يكن دفعه أحد من الملوك الى أحد من القوّاد قبل ذلك اليوم ، وإنما كانوا يجعلونه فى أيدى أولاد الملوك اذا وجهوهم فى الأمور العظام . قال : فرتب فرى بُرز على الميمنة مع برازه وزواره، وجعل رُهّام مع كَرْدَهَم وكُستهَم على الميسرة، وأمر جيوا بأن يحفظ ظهر العسكر مع جُرجين وزنكه فى ألفى فارس، ووكل بحفظ الجبل ثلثمائة فارس مع علم ، ووكل بحفظ الوادى من الجانب الآخر مثل ذلك، وجعل على رأس الجبل ديدبانا حديد النظر يراعى الطريق ليلا ونهارا. فجاء جوذرز ووقف فى موضعه فى القلب[٣] عند العلم الأكبر ، وأوقف قدّامه فرهاذ، ووراء ظهره شيدوش، وعلى يمينه هجير، وعلى يساره كتماره . فصار كأنه فى حصن من الحديد .

فجاء بيران ونظر الى تلك الصفوف المرصوصة ورأى تلك التعبية الموصوفة فى مثل ذلك المكان الصعب بين الماء والجبل فعظم عليه ذلك ، إذ لم ير موضعا واسعا يتمكن فيه عساكره من الاجتماع على عدوّهم والاستدارة عليهم من ورائهم . فرجع فرتب صفوفه وعبى جموعه؛ فجعل أخاه هومان مع ثلاثين ألفا من نخب العسكر فى القلب ، ورتب أُخواست[٤] وأندريمان مع ثلاثين ألفا فى الميمنة،وجعل لهاك وفرشيذ فى ثلاثين ألفا على الميسرة وأمر زنكاله وكلباذ أن يحفظا ظهر العسكر فى عشرة آلاف (فارس ، وأمر روئين أن يكمن مع عشرة آلاف[٥]) آخرين، وفرق الطلائع على جانبى الجبل والماء. فرأى جوذرز من الرأى ألا يزايل ذلك الموقف ولا بقدر خطوة. لأنه لو تحرك من ذلك المكان لأتاهم روئين بأصحابه من وراء ظهورهم. وكان الديدبان كلما رأى فارسا من الايرانيين فارق مكانه من الصف رفع صوته فيفطن لذلك جوذرز فينهى. فبقوا ثلاثة أيام بلياليهن لا يتجاسر أحد من الجانبين أن يتحرك من مكانه من الصف ، أو يخرج. وكان بيران مترصدا أن يضجر جوذرز فيتحرك من مكانه فينتهز الفرصة بعسكره، ويدخل عليه من وراء ظهره. فلما تصابر الفريقان هذه الأيام من غير قتال ضجر بيژن فأتى أباه جيوا شبه المجنون يكاد يطبق السماء على الأرض، فقال له : مالك واقفا قد تحيرت لا تناجز العدوّ،

(١) لك، طا، كو : أمارات . (٢) ما بين القوس من لك، طا ، والشاه . (٣) طا ، كو : من القلب .
(٤) تلفظ : أخاست . (٥) ما بين القوسين من طا ، كو ، والشاه .

وهذه خمسة أيام قد مضت علينا واقفين؟ فالى متى نصبر ونقف؟ وقد قيل: إنه ليس بعد رستم فى جميع الايرانيين بهلوان مثل جوذرز . فما باله قد أحجم هذا الإحجام ؟ ولا أشك أنه قد جبن ونخب قلبه منذ رجع من الوقعة التى قتل فيها أولاده، فصار لذلك يبطئ فى اللقاء ولا يجترئ على مكاره الهيجاء. ولا أتعجب منه تعجبى منك إذ أنت صابر على هذه الحالة لا تبارح مكانك ، مع قوة باسك وشدة مراسك . فتقدم وناجزهم فى هذا الصحو والهواء الطيب قبل هجوم الشتاء وتتابع الأنداء وإلا فأعطنى ثلاثين ألف فارس أنتخبهم من العسكر حتى أبدد شملهم وأفرق جمعهم . فضحك جيو من كلامه (٨١) وسر بما أشعر به من شهامته، ودل عليه من تسعره فى الحرب وتوقده، فشكر الله تعالى حين أنعم عليه بولد مثله ، فقال له : لا تنكر على جدك فإنه أعرف بالأمور وأبصر بعواقب الحروب . وكل من حلب الدهر أشطره، وذاق حلوه ومره لا يحتاج الى أن يعرف المسالك ، ويرشد الى المناهج . وهو يريد بفعله هذا أن يستجر العدو حتى يتمكن من ظهره ويدخل عليه أصحابه من ورائه . وأيضا فانه يراعى أحكام النجوم ويترصد أن تقع الحرب فى ساعة سعد. قال: ثم جاء هومان من ذلك الجانب الى بيران وقال له : ما بالنا قد بقينا سبعة أيام تحت السلاح لا نلق العدو وقد أكثب الصيد ؟ فأطلعنا على ما تقصد، وأخبرنا بما تضمر . فإن كنت على عزم القتال فدونك فأقدم، وإن كنت هممت بالانخذال فأحجم . فإن الخلق يضحكون مما نحن فيه، وليس هذا العسكر إلا ذلك العسكر الذين قاتلناهم وقتلناهم حتى كدنا أن نفنيهم . وليس رستم بهلوانهم حتى نفكر فيه. فإن كنت تتحرج من سفك الدماء وتتجنب عن مقابلة الأعداء فمكنى من الأمر حتى أناجزهم . فقال له بيران : خفض عليك واعلم أن جوذرز سيد الايرانيين وأشجعهم وأدهاهم، وهو موتور منذ فجع بأولاده الذين قتلناهم فى تلك الوقعة، وهو ما دام فى جسده عرق يتحرك فليس يسكن عن الحركة فى طلب الثأر . ثم إنه كما تراه وقف(١) بين هذين السدين ، وليس لنا طريق الى ما نريد منهم ، والرأى أن نصبر فلعلهم يبدءون بالقتال ويخرجون من المضيق فنحيط بهم من ورائهم ، وعند ذلك يسهل الأمر ويقرب النصر . فقال له هومان : إن من عادتك أن تحنو على وتكفنى من القتال والملاقاة، ولا بد(٢) من المبارزة، وإنى اذا كان الغد ركبت وتقدمت اليهم . فلما أصبح ركب وتقدم الى صفوف الايرانيين فطلب المبارزة فلم يتعرض له أحد من أمراء إيران ، وقالوا : إن البهلوان لم يأذن لنا ونحن لا نخرج من الصف إلا بأمره . فلما دار على الميمنة والميسرة ولم يتعرض له أحد أقبل الى القلب ، وقرب من موقف جوذرز ، وصاح به وقال : أيها البهلوان المقدم ! إنى قد سمعت جميع رسالتك الى بيران على لسان ولدك جيو،

(١) لـ ، كو : واقف . (٢) طا ، كو : ولا بد لى من المبارزة .

ووقفت على اقتراحك لقتالنا. فما بدا لك الان حتى قعدت خلف هذا الجبل كأنك صيد قد فزع من صولة السبع ؟ فقال جوذرز فى نفسه : لو أمرت أحدا بمبارزته لم يخل من أحد أمرين : إما أن يقتل هومان فيضعف قلب بيران فيتأخر من مكانه ويتحصن بالجبل فيصعب علينا عند ذلك قتاله ويطول بنا الأمر، أو يقتله هومان فينكسر بذلك قلوب عسكرنا . ثم قال لهومان : أما علمت أن الأسد الضارى يأنف أن يلطخ براثنه بدم الثعلب ؟ فقال هومان : هيهات هيهات ما فيكم فارس يطيق مقاومتى أو يستطيع مبارزتى. فضحك وثنى عنانه منصرفا وعثر[1] فى رجوعه على جماعة من حرس الإيرانيين، فرماهم وقتل منهم أربعة أنفس، ورجع الى موضعه . فعظم ذلك على جوذرز وانتهى الخبر الى بيژن فوثب وركب الى أبيه فشكا اليه جدّه فى تقاعده وتوانيه . فقال له : لا تحتد ولا تنكر عليه فهو أعلم، وبالرأى والتدبير أبصر. فركض مغتاظا وأتى جدّه واستأذنه فى مبارزة هومان فأذن له . فأخذ من أبيه سلاح سياوخش بعد مشاجرات ومراجعات كثيرة جرت بينهما، فتدجج وركب واستصحب ترجمانا يعرف لسان[2] الترك، وأقبل نحو العدو . ولما دنا منهم أمر الترجمان بأن يصيح بهومان، ويعلمه بمجىء بيژن لمقاتلته ومبارزته . فأجابه بإيعاد وإرعاد . وكان قد قرب الليل فقال: قد دخلت فى حماية الليل وأمانه، فانصرف الآن الى غد . فانصرف بيژن .

فلما أصبح هومان لبس سلاحه وركب واستصحب ترجمانه وتقدّم فركب[3] بيژن وقد ظاهر بين جُنَنه، واستصحب ترجمانه، فتلقاه[4] . فقال هومان : لسنا نتقاتل إلا فى موضع لا يشرف علينا فيه أحد من العسكرين . فقال له بيژن : اختر أى موضع تريد . فركض وتبعه بيژن فأبعد[5] حتى أتيا فضاء خاليا كأنه لم يطأه أحد . فتعاهدا على أن من يغلب منهما لا يتعرّض لترجمان صاحبه بسوء . ثم ترجلا وأوثق كل واحد منهما حزام فرسه وزرّر عليه درعه . ثم ركبا وأخذا القوس وتراميا حتى لم يبق معهما سهام[6] . ثم تطاعنا حتى تقصفت رماحهما . واستراحا ساعة ثم تناولا الدرق وتضاربا بالسيوف، ولم يزالا يتضاربان حتى تكسرت سيوفهما . ثم جذب كل واحد منهما عموده وتضاربا حتى أثخن كل واحد منهما صاحبه . ثم تشبث كل واحد منهما بالآخر وتماسكا حتى تقطعت من شدّة قوّتهما سيور ركابيهما . فترجلا وسلما فرسيهما الى الترجمانين وتصارعا كجبلين تناطحا وسبعين[7] تصاولا . فكادا يغرقان فى العرق ويحترقان من العطش . فتوافقا على أن ينصرفا الى الماء ويبردا

(١) ك، كو : وعبر .
(٢) صل : لسان التركى ك : بلسان التركى . والتصحيح من طا .
(٣) ك : وركب .
(٤) صل : وتقدّم . والتصحيح من طا .
(٥) طا : فأبعدا
(٦) ك، طا، كو : سهم .
(٧) ك : أو أسدين طا : أو سبعين .

غليل عطشهما[١] . فصارا الى المنهـل وشربا فسجد بيژن وتضرع الى الله تعالى وسأله أن ينصره . ثم
رجعا الى معتركهما وعادا الى المصارعة، ولم يزالا حتى تمكن منه بيژن فضرب بيده اليسرى الى رقبته
و بيده اليمنى الى فخذه فألقاه الى الأرض، واستل الخنجر وذبحه فى الحال . ثم سجد شكرا لله تعـالى[٢]
ثم رفع رأسـه وقال : قد تشفيت لسياوَخش ولسـبعين نفسا من أعمـامى . ثم علق رأسه من
سموط سرجه فأعظمه الترجمانان عنـد ذلك فسجدا له . ثم أفكر فى كيفيـة عوده الى أصحـابه ونظر
فاذا ليس له طـريق إلا على الأتراك . فاحتال فلبس سـلاح هومان وركـب فرسه[٣] ونصب
علمه وجنّب فرس نفسه، ونكس رايته ، وأقبل عائدا . فلما رآه الأتراك ضربوا البشائر وحسبوا أن
الغالب هومان . فلما دنا منهم عدل نحو أصحابه ونكس راية هومان ونصب رايتـه . ورجع ترجمان
هومان نحو أصحابه فأخبرهم بالحال . قال : وأقبل بيژن الى فريقه وأبوه متردّد بين اليأس والأمل .
فلما رآه الديدبان رفع صـوته و بشر القوم بسلامته ورجوعه ظافرا . فتلقاه أبوه واعتنقه ، بعـد أن
سجد شكرا لله تعالى، وأقبل به الى أبيه جوذرز وكاد أن يطير فرحا وسرورا، فأمر الخازن فجاء بخلعة ٨٢
منسوجة بالذهب موشحة بالجوهر وتاج ومنطقة ، وخلعها عليه ودعا له وشكر سعيه . ولـما علم بيران
بقتل أخيـه ضاقت عليه الأرض بمـا رحبت وطفق يبكى عليـه فأرسل الى أخيه الآخر نستيهَن
وقال له : ما أجدرك الآن[٤] أن تطلب بثار أخيك ، وتبيت العدو . فاختار عشرة ألف من الفرسان
الموصوفين وركبوا ليـلا[٥] يريدون أن يكبسوا الايرانيين . فلمـا شارفوهم وقت السحر أحس بهـم
الديدبان فأنذر بهم فأمر جوذرز بيژن أن يلقاهم فى ألف فارس . ولمـا التقوا أمر بيژن أصحـابه بأن
يرشقوهم بالسهام فوقعت نشابة فى فرس نستيهَن فبادره بيژن وضرب رأسه بعموده فقتـله ، فوضعوا
السيف فى أصحابه حتى قتلوا أكثرهم . وانهزم الباقون فأتبعوهم الى معسكر بيران . وحين وقف بيران
على قتل أخيـه الآخر بكى وشق ثيابه واحتدت به الحمية فأمر بضرب الكوسات والزحف . فتلاقى
الجمعان ودام بينهما القتال من طلوع الشمس الى غروبها .

ولمـا جن الليـل رجع كل واحد من الفريقين الى منازلهم فقال جوذرز : لا أشـك أن بيران ينفذ الى أفراسياب و يعلمه بالحال، و يستنجده . فينبغى لى أيضا أن أنهى الحال الى الملك كيخسرو أخذا بالحزم . فأمر الكاتب فكتب الى الملك كيخسرو[٦] كتابا يذكر فيه إنفاده جيوا بالرسالة الى بيران وجواب بيران له ، وأخبره بمـا جرى على هومان ونستيهن و بحسن بلاء بيژن، وذكر أن أفراسياب

(١) صل : عطشيهما . والتصحيح من ك، طا، كو. (٢) ك : الله عز وجل. (٣) ك، طا : هومان ونصب الخ .
(٤) ك، طا : بأن . (٥) ك، طا، كو : وركضوا يريدون . (٦) ك، طا، كو : كيخسرو(لا) .

قد قرب من جيحون، وقال : إنه لو عبر المـاء واتصل ببيران لم يمكنى مقاومته إلا أن يتجشم الملك الحضور بنفسـه . وان لم يفعل ذلك فسوف يأتى الخبر حضرة الملك بمـا يعمل العبد معه . وسأله فى الكتاب أن يخبره بحال رستم ولهراسب وأشكس، وما صار اليه أمرهم فيما وجهوا له . ودعا ابنه هجير وسلّم اليه الكتاب، وأمره أن يسير به الى الملك عجلا . فركب وتوجه نحو الحضرة فى جماعة من خواصه . وسار[١] ليلا ونهارا حتى وصل بعد سبعة أيام فسلم اليه الكتاب وأدّى الرسالة . ففرح الملك بما أتاه[٢] من خبر الظفر بهومان ونستيهن، وأمر فحشوا فاه الياقوت[٣]، ونثروا عليه الذهب حتى غمره . ثم خلع عليـه وعلى أصحابه، وكتب الى جوذرز جواب كتابه، وذكر فيـه أن قرب أفراسياب من جيحون ليس ممـا[٤] توهمته بل لأنه استشعر من عساكرنا الثلاثة التى نفذناها للتوغل[٥] عليه من أطراف مملكته . وأما ما تشوّقت اليـه من الوقوف على أحوالهم فاعلم أن رستم قد استولى على جميع ممـالك قشمير وكابل وغيرهما . وأما أشكس فانه هزم شيذه بن أفراسياب وكسره، وتغلب على خوارزم وتلك الأطراف . وأما لهراسب فقد أطاعه جميع أهل ألان الى أقصى الخزر، واستوسقت له تلك النواحى . وها نحن قد أمددناك بطوس (ا) ، وسيرناه اليك فى عساكره على طريق دهستان . ثم بعد ذلك نجشم مواكبنا النهوض نحوك، ونطلع عليك براياتنا وفيلتنا المنصورة . ومع ذلك فلا تتقاعد عن قتال بيران، وناجزه . وأرجو أن تظفر به وتفرغ منه قبل وصولنا . ثم ختم الكتاب بالسلام عليه عن الملك كيكاوس وعن طوس، وختمه وسلمه الى هجير، وردّه الى أبيـه . ثم أمر طوسا بالارتحال بفيلتـه وجنوده وسلوكه على طريق دهستان الى خوارزم (ب) . ثم استعدّ الملك وأعدّ، وسار بنفسه فى عشرة آلاف من الفرسان الخاصـة . قال : ولمـا وصل كتاب الملك الى جوذرز فرح به وابتهج فأحضر الأمراء والأكابر، وأمر فقرئ عليهم . ثم فرّق الأسلحة والأموال عليهم، وأمرهم بالتأهب والركوب لقتال العدوّ . فركبوا وأخذوا مصافهم، ونظر اليهم جوذرز فأعجبه ما رآه من كثرتهم وهيئتهم وقال : لم ير من عهد جمشيذ مثل هذا الجمع بهذه الزينة وهذه الهيئة . وسأبلغ بهم بقـوّة الله وسعادة الملك الى أقصى الصين .

(ا ، ب) كودرز يقاتل عند بلخ فكيف يسير طوس اليه على طريق دهستان ذاهبا الى خوارزم؟ عبارة الشاه: وسيّرنا طوسا ليستولى على دهستان وجرجان الخ فلم يكن طوس ذاهبا لإمداد كودرز .

(١) ك : فسار . (٢) ك، طا : أتاه به . (٣) ك، طا : بالياقوت .

(٤) ك، طا : لمـا توهمته . (٥) ك : لتتوغل عليه .

ذكر مكاتبة جرت بين جوذرز وبيران

قال : ولما بلغ ذلك بيران خاف ورعب ، والتجأ الى استعمال الحيلة والخديعة ، وشاور وزيره واستورى زناد رأيه فيما يكف به حدّ جوذرز . فأشار عليه بأن يكتب الى جوذرز كتاب استعطاف. فكتب اليه يستدرجه مفتتحا كتابه بحمد الله والثناء[١] والاستعاذة[٢] من الشيطان المارد . وذكر أنه يسأل الله تعالى فى السر والعلانية أن يرفع العداوة من بين هاتين الطائفتين فقال : وأنت أيها البهلوان ! إن أردت أن تملأ الدنيا بالفتن والمحن فقد أدركت ما أردت ؛ انظركم قتلت من أصحابى، وأفنيت من رجالى . والى متى تقطع رءوس الأحياء فى ثار ميت قد بلى تحت التراب؟ ألم يأن لك أن ترق وتلين وتستريح من القتل والقتال ؟ أما تعلم أن من اشتعل رأسه شيبا فسفك الدماء منه أكثر عيبا ؟ وأنا أخاف إن التقى هذان الجمعان مرة أخرى ألّا يبقى على وجه الأرض أحد منهم فتستقر هذه العداوة بين الجنسين أبد الدهر، ثم الله أعلم بعاقبة الأمر وبالمخصوص[٣] بالظفر والنصر . فإن كان الحامل[٤] على هذه الفتن ما احتوينا عليه من البلاد الايرانية فأعلمنى لأكتب الى الملك أفراسياب وأستأذنه فى إعادة قسمة الممالك الى ما كان فى عهد منوجهر، فيفرج[٥] لك من هذا الحدّ الى باب السغد ، وفى الحدّ الآخر نمكن رستم من جميع بلاد الهند الى آخر السند، ومن الحد الثالث نسلم الى لهراسب جميع ممالك ألّان[٦] والخزر الى جبل قاف، وكذلك أعمل فى الحدّ الذى توجه اليه أشكس. وإذا فرغت من ذلك عاهدتك بالأيمان المغلظة والمواثيق المبرمة على أن نكف اليد عن تخريب البلاد وقتل العباد، وأنفذ الى الملك كيخسرو جميع ما يريد من الأموال والذخائر، وأرهنه الرهائن من الأولاد[٧] والأعزة . ولا ينبغى أن يتوهم الايرانيون أن دخولى فى هذا الباب صدر عن جبن وفشل. فانه غير ٨٣ خاف أنى أكثر منك رجالا ، وأوفر أموالا ، وأشجع قلبا وأرحب صدرا . ولكن قلبى يحترق على هذا الجمع، وليس غرضى إلا حقن الدماء وحسم مادة العداوة والبغضاء خوفا من خالق الأرض والسماء . وإن أبيت إلا المضى فى الغلواء فاختر جماعة من رءوس الايرانيين المشهورين بالشجاعة والبسالة ،وأختار أنا مثلهم[٨] من التورانيين الذين هم عندك محبوسون حتى يبارز بعضهم بعضا . ونتبارز أنا وأنت أيضا حتى يسلم برآء الفريقين من معرّة هذه الفتن. وذلك بشرط ألا يتعرّض الغالب منا لمن خلف المغلوب من عساكره . وإن لم تجب الى هذا أيضا فافعل ما تشاء واعلم أن كل دم يسفك فأنت المتقلد

(١) طا : والثناء عليه . (٢) ك، طا : والاستعاذة به . (٣) صل : الخصوص : والتصحيح من ك، طا
(٤) ك، طا : الحامل لك . (٥) ك : لنفرج . (٦) ك : اللان .
(٧) ك : الأولاد الأعزة. (٨) لفظ «مثلهم» من ك، طا .

لإثمه . حتى[١] ختم الكتاب ودعا بولده روئين، وأرسله إلى جوذرز . فلما قدم عليــه تلقاه وأكرمه ، فسلم اليه الكتاب فقرئ عليه . فتعجب الحاضرون من كلام بيران وما تضمنه من التمويه والتصرف فى وجوه الاحتيال والخديعة . فأمر بإنزاله وإقامة شرائط خدمته . وأشار عليه بأن يقيم عنده أسبوعا حتى (ينظر فيما)[٢] يجيب به عن كتابه . ثم استدعى الكاتب وأمر[٣] فكتب الى بيران وافتتح الكتاب بحمد الله والثناء عليــه . ثم قال فيه : إنى قرأت كتابك من أوّله الى آخره ، وعلمت ما فيــه ، واطلعت على ما أدرجته فى مطاويه . وبلّغنى روئين رسالاتك التى شافهته بها . ثم إنى ما رأيت كلامك إلا كسراب يخدع الظمآن، وما أنا ممن يخدع بذلك . وما نفّذت اليك ولدى جيوا فى الأوّل إلا طلبا لحقن الدماء، وإغمادا لسيوف الفتنة . فأبيت إلا الشر . وكان من الواجب أن تدرك أوّلا ما أدركته آخرا حتى لا يجرى عليك ما جرى، ولكن شراسة خلقك وخبث ضميرك لا يخليانك أن تجرى على قضيات العقول . وليس بمستنكر منك ذلك فإنكم جبلتم على طباع الشر من عهد تور بن أفريدون القاطع رحم أخيه إيرج . وقد ظهرت آثار تلك الطبيعة على أفراسياب من أيام نوذر بن منوجهر فإنه أباح دمه . ثم ارتكب فى أيام كيقباذ من العظائم ما ارتكب، وهــلم جرا الى أيام الملك كيكاوس التى تعاطى فيها ما عرف واشتهر من تخريب البلاد الايرانية، وقتل رجالها، واستباحة أموالها، وما ختم به آخر الأمر من قتل سياوخش الذى أورث هذا الخطب العظيم» . ثم قال فيه : وأما ما ذكرت من أنه يستقبح من المشايخ سـفك الدماء ويستعظم فاعلم أن الله تعالى إنمـا أنسأ لى فى الأجل، ومكننى من الحيل والحول حتى أنتقم منكم لسياوخش ولأولادى السبعين الذين أرقتم دماءهم . ومهما لم أسع فى ذلك فأنا لله عاص ، ولأمره مخالف . وأما ما جنحت اليــه من السلم فليس الأمر فيه الىّ فإنى لم أومر إلا بالحرب والقتال ، فإن كنت ترجو عاطفة الملك كيخسرو فنفذ اليه ولدك أو أخاك أو من ترى من الرهائن فإن الطريق الى ايران مفتوح . وما ذكرت من تسليم البــلاد والإفراج عنها لعبيد الملك فقد أراحك الله من ذلك . ولعلك لم تقف على أن لُهراسب قد أخذ جميع ممالك الخزر وما يصاقبها من النواحى والبلاد، وأن رستم دوّخ جميع بلاد الهنــد واستأسر[٤] ملكيها، ونفذه مقيدا الى حضرة الملك، وأن أشكس كسر شيذه بن أفراسياب حتى لم يفلت منه إلا بجُرَيْعَة الذقن، وأنه تغلب على خوارزم ودهستان وما والاهما . وأما من هذا الجانب فهأنذا آخذ بمخنقك، وقد ذقت مرارة بأسى، وشاهدت آثار صولتى . واذا تحرّكت من مكانك واجترأت على ملاقاتى أرحتك من هذه المقالات، وخلصتك

(١) ك : ثم ختم . (٢) مابين القوسين من ك ، كو ، طا . (٣) ك : وأمره
(٤) ك ، طا : وأسر .

من هذا الصداع بقوة الله وسعادة الملك . ثم اعلم أنه لا سبيل الى انصراف هذه العساكر التى هى مائة ألف فارس أو يزيدون، من غير تلاق وحرب، لمجرّد رقيتك وخديعتك . ولا طريق[1] الى مصالحتى ومعاهدتى . فإنك لم تعاهد أحدا إلا نقضت عهده وميثاقه . فلا غرّ الله أحدا بمذهبك ودينك . فإنه لم يهلك سياوخش إلا اغتراره بيمينك . وأما ما ذكرت من اختيار المبارزين والاكتفاء بملاقاتهم عن تلاقى سائر العسكرين فإن الملك لم يأذن لى فى ذلك، وليس يرضاه منى . والرأى أن نقتتل قتالا عاما، فإن لم يظفر أحد الفريقين بالآخر عدلت حينئذ الى ماذكرت . وبعد فإنك إن كنت[2] تريد بهذه المماطلة والمدافعة أن تستمد أفراسياب أو تصلح ما تشعث من أحوالك، أو تداوى المجروحين من أصحابك فإنى أمهلك الى أى وقت شئت . وإنما قلت ذلك حتى لا تبقى لك حجة، ولئلا تقول غافصتنى واهتبلت غرتى » . ولما تم الكتاب أحضر أصحابه فأمر الكاتب فقرأه عليهم فاستحسنوه . ثم خلع على روئين ووهبه عدّة وخيلا، وأطلق لأصحابه جملة، وردّه بالكتاب الى أبيه . فلما أتاه ودفع اليه الكتاب وقرأه عظم عليه جواب جوذرز، ولم يطلع عليه أحدا، وقال لأصحابه : إن جوذرز يأبى إلا البغى والطغيان، ومجانبة مايقتضيه الرأى والعقل، وهو مصر على الطلب بثأر أولاده . فإذا كان هو كذلك فما بالنا نحن لا نطلب بثأر هومان ونستهين ؟ فالواجب أن نشمر للأمر، ونفرغ وسعنا فى قتالهم . ثم أرسل الى أفراسياب، وأنهى اليه ما جرى بينه وبين جوذرز، وأخبره بمقتل هومان ونستهين، وعرّفه كثرة عساكر العدوّ وقوتهم وشوكتهم، وأن الخبر قد أتاه بأن الملك كيخسرو عزم على إمدادهم بنفسه . وذكر أنه إن طلعت عليه راياته فلا طاقة له بالوقوف بين يديه إلا أن يطلع الملك أفراسياب فى عساكره، ويباشر الأمر بنفسه . فأتاه جواب أفراسياب يعزيه عن أخويه، ويسليه بأن الحروب لم تزل بين الرجال سجالا، وأنها تستصعب مرة وتسعف أخرى . فلا يهمنك ما جرى . وأما الخبر عن مقدم كيخسرو بنفسه فهو إرجاف بلا حقيقة، وإنما نفذ طوسا على طريق دهستان . وأنا عازم على عبور جيحون والاجتماع بك . وإذا فعلت ذلك لم أبق منهم عينا ولا أثرا، ولم أخلّ من بلادهم حجرا ولا مدرا . وقد أمددتك الآن بعشرة آلاف من آساد الترك الذين كل واحد منهم يغنى غناء عشرة من الايرانيين، فإذا وصلوا اليك فلا تقعد ساعة وناجزهم . وإن تحصنوا بالجبل فدوّخه بحوافر الخيل، وإذا ظفرت فلا تبق ولا تذر منهم أحدا، واحصدهم حصدا .

قال : ولما وقف بيران على ذلك استحضر أمراءه وأصحابه، وحثهم على القتال، فتدججوا وركبوا والتقى الفريقان، ودامت الحرب بينهم من طلوع الشمس الى غروبها . وكانت وقعة عظيمة

(١) لك، طا، كو : ولا طريق لك . (٢) لك، كو : وبعد فان كنت

قتل فيها[١] كثير من الجانبين، وبارز فيها جيو مع بيران وكاد يقتله أو يستأسره لكنه ساخت قوائم فرسه (٨٤)
فوقف[٢] في مكانه . فقال له ولده بيژن : إنى سمعت الملك كيخسرو يذكر أن بيران لا يقتله إلا جوذرز فلا تصدّع نفسك وارجع » . قال : ولم يظهر لأحد العسكرين غلبة على الآخر فى هذا اليوم فانصرف كل واحد منهم الى مكانهم .

ولما كان الغد ركبوا وعادوا الى المعترك فأقام جوذرز كُستهم فى موضعه من القلب، ورتب جماعة فى الميمنة وجماعة فى الميسرة، وتقدّم لمبارزة بيران بعد أن أوصى كُستهم أن يحفظ العسكر ويتيقظ فى ذلك وبأن يثبت إن قتله بيران، ويتأنى حتى يلحقه الملك كيخسرو . وأما بيران فإنه أقام أخويه فرشيذ ولُهاك مقامه فى القلب، وأوصى اليهما بالحزم والتيقظ، وأنه إن أصيب هو ينصرفان بالعسكر ويبادران عبور جيحون . فالتقى[٣] هو وجوذرز وطال بينهما الحديث .

ذكر مبارزة الإصبهبذين من الفريقين

قال : فاستقر الرأى بينهما على أن يختار كل واحد منهما عشرة من المبارزين، ويبعدوا عن المعركة الى موضع لا يراهم الديدبان . ففعلا ذلك وعدلا الى مكان بين تلين، أحدهما يلى الايرانيين، والآخر يلى الأتراك، وشارطا أن كل من غلب من الجماعة قرنه انحاز وصعد الى التل الذى يلى أصحابه، ويهبط منه اليهم . قال : فتبارزوا وتقاتلوا واشتغل كل واحد منهم بقرنه وجرى بينهم قتال عظيم لم يسمع بمثله، وكانت الدبرة على الأتراك . وكان أوّل المبارزين فرى بُرز بن كيكاوس وقرنه كلباذ بن ويسه ؛ فضربه ضربة قدّت منكبه الى خاصرته، فوقع الى الأرض ميتا . فنزل اليه وشدّه بالوهق على فرسه، وأخذ نحو التل راجعا . وكان الثانى جيو بن جوذرز وقرنه من الأتراك كروزره الذى أخذ بلحية سياوخش وذبحه ؛ فجرى بينهما قتال عظيم، ثم إن جيوا ضرب رأسه ضربة دوّخته حتى لم يبق عنده دفاع عن نفسه، فمدّ اليه يده ورماه الى الأرض، ثم نزل وكتفه، وقدّمه بين يديه، وأخذ نحو التل . وأما المبارزان ثالثا فكان برازه من الايرانيين وسيامك من التورانيين فغلبه برازه وقتله، ونزل وشدّه على ظهر فرسه، وصعد به نحو التل رافعا صوته بما تسنى له من الغلبة . والمبارز الرابع من الايرانيين رجل يسمى فروهل . وكان أرمى أهل عسكره، وقرنه من التورانيين فارس اسمه زنكُله ؛ فرشقه فروهل فأصاب فخذه بنشابة مرق من ظهر فرسه فكبا به، ووقع الى الأرض ومات . فنزل واحتز رأسه وشدّه بسموط سرجه، وصعد الى التل رافعا بالظفر عقيرته . وأما الخامس وهو رُهّام

(١) لك، طا، كو : خلق كثير . (٢) لك، طا : ووقف به . (٣) لفظ «فالتقى» من لك .

ابن جوذرز فانه بارز بارمان ؛ فتراميا حتى نفذت سهامهما ، ثم تضاربا وتطاعنا فأصابه رُهام بطعنة فى فخذه أذرته(١) عن ظهر فرسه ، فقام وهرب فتبعه وطعنه فى ظهره بطعنة نفذت الى كبده ، فوقع . فترجل عليه وشدّه على فرسه ، ورجع به صاعدا الى التل رافعا صوته فرحا وسرورا . وأما السادس وهو بيژن بن جيو وقرنه روئين بن بيران فإنهما تصاولا حتى أصابه بيژن بعمود زهقت منه روحه وهو على ظهر فرسه ، فوقع الى الأرض منغصا بشبابه الناضر وجماله الزاهر ، فنزل عليه بيژن وحمله على فرسه وصعد به الى التل مُدلّا ببأسه ورافعا صوته . وأما السابع وهو هجير بن جوذرز فإنه بارز فارسا من أقارب أفراسياب يسمى سِبَهرم ، وكان من الأعيان المذكورين فى عساكر الترك ؛ فتضاربا زمانا طويلا بالسيوف ، ثم إن هجير ذكر الملك كيخسرو وسماه ، وحمل بسعادته عليه فأصابه بضربة وقع منها الى الأرض صريعا لليدين وللفم . فترجل وحمله على فرسه وصعد راجعا . وأما الثامن وهو زنكه بن شاوران فإنه بارز أميرا منهم يسمى أُخَواست(٢) . فتضاربا زمانا طويلا حتى وقفت بهما دوابهما من كثرة القِراع وشدّة المِصاع ، وغلبهما العطش حتى استكف كل واحد منهما صاحبه ريثما ينقع غلته بشربة ماء . فلما شربا وعادا الى القتال غلبه زنكه وقتله وربطه على فرسه ورجع به نحو التل . وأما التاسع فهو جُرجين بن ميلاد ، وكان قرنه من التورانيين فارس يسمى أندريمان ؛ فراماه حتى أصابه بسهم خاط مجنّه على رأسه ، وأعقبه بنشابة أخرى نخر من الفرس . فترجل(٣) واحتز رأسه وعلّقه من سموط سرجه ، وركب وجنّب فرس قتيله ، وعاد نحو أصحابه . والعاشر من الايرانيين فارس يسمى برنه(٤) وقرنه من التورانيين فارس يسمى كُهرم فتضاربا حتى علاه برنه بسيفه فقده بنصفين فنزل وحمله على فرسه وعاد(٥) نحو التل .

ذكر مبارزة جوذرز وبيران وقتل جوذرز له

قال : فزحف البهلوانان أحدهما الى صاحبه وتقاتلا زمانا طويلا تارة بالسيوف وأخرى بالرماح ، ومرّة بالخناجر وأخرى بالعمد ، حتى كَلّ كُل واحد منهما وملّ ، فتراميا فأصاب جوذرز فرس بيران بنشابة خرقت التجفاف ومرقت فيه ، فانقلب على بيران فانكسرت يمنى يديه ، فتقلب فى التراب ثم وثب وعدا هاربا نحو جبل هناك فارتقى فيه وهو يرجو ألا يتبعه جوذرز . فنظر اليه جوذرز فأذرى دمعه ، واستشعر الخشية من تصاريف الأيام علما منه بأن الدنيا غدّارة دأبها الجفاء

(١) لك ، طا ، كو : أردته . (٢) يلفظ : اخاست . (٣) لك : فترجل عليه .
(٤) فى الشاه ، كو : برته . (٥) لك ، طا : وعاد به .

وعادتها الغـدر وقلة الوفاء ، فصاح به وقال : أيها البهلوان المذكور ! مالك تفرّ بين يدىّ راجلا ؟ أما زعمت أنك لا ترى لنفسك مساجلا ؟ أين ذلك الفيلق الجرّار ؟ ما بالك لا يغيثك منهم أحد؟ أين عدّتك وشوكتك وأين بطشك وقوتك ؟ لقد أدبرت السعادة عنك، وانكسفت شمس أفراسياب بمـا حدث بك . واذا بلغ بك الحال الى هذا فينبغى لك أن تسأل الأمان حتى أحملك حيا الى الملك (٨٥)
كيخسرو فإنك شـيخ مثلى أشـيب الرأس ، وقد رق قلبى عليـك، ولست أريد قتلك . فقال : حاشاى من هـذا ومن أن أذل لأحد من الأنام . إنى لم أولد إلا للحمام ، فلا أحب أن أموت إلا ميتة الكرام . فترجل جوذرز ، ورفع الترس فوق رأسه، وصعد اليه، فرماه بيران بمزراق كان معـه فأصاب عضد جوذرز ، ومرق منـه . فاستشاط جوذرز عند ذلك ورماه بمزراق فى ظهره فنفـذ الى كبده، ففار الدم من فمـه ، ووقع الى الأرض يتغوغر بحشاشـته حتى قضى نحبه . فصعد اليه جوذرز وغرف من دمه غرفة وتشربها تشفيا لسياوخش ولأولاده السبعين . وهمّ بأن يحتز رأسـه فأدركته رقة منعته من ذلك . فتركه وغرز علمه عند رأسه ليحمى وجهه عن حر الشمس، وركب وعاد الى عسكره والدم يفيض من عضده فيضا . قال : وكان الإيرانيون قد فزعوا حين أبطأ جوذرز، وتوهموا أنه قتل بجزعوا وجعلوا يبكون . فبيناهم كذلك اذ تراءى علمه من بعيـد ، ففرحوا وضربوا البشائر . فلما قرب منهم حسبوا أن بيران أعجزه فانصرف عنه، حتى حكى لهم عند وصوله ما جرى له مع بيران فأشار الى مصرعه بإصبعه، وأمر ابنـه رُهّام بأن يذهب الى ذلك المكان، ويحمله بعـدّته وجنّته على فرسه ، ويأتى به الى المعسكر . ففعل ذلك وجاء به مربوطا على فرسه . فأثنى الإيرانيون عند ذلك على جوذرز وشكروه . ثم قال لهم : إنى لمـا توهمت أن أفراسياب يعبر المـاء نفذت الى الملك كيخسرو وسألته اللحاق بنا، ولست أشك أنه يصل عن قريب . فخلوا هؤلاء القتلى مربوطين على ظهور الخيل حتى يصل الملك ويراهم على هذه الهيئة . فبيناهم كذلك اذ صاح الديدبان من ذروة الجبل وبشرهم بطلوع مواكب الملك كيخسرو وظهور راياته . فاستبشروا وضربوا البشائر . وسيأتى ذكر مقدمه من بعد إن شاء الله تعالى .

ذكر اطلاع فرشيذ ولُهاك على مقتل بيران وما جرى عليهما بعد ذلك

قال : فجـاء ديدبان التورانيين الى فرشيذ ولهـاك وأخبرهما بصعود المبارزين من عسكر إيران الى التـل الذى يليهم، وأنهم ظفروا بالتورانيين وقتلوهم ، وأعلمهما(١) أيضا بطلوع عسكر عظيم مقبل من صوب إيران . قال : فصعدا الى مربأ الديدبان فشاهدا بأعينهما ما أخبرهما به من طلوع العسكر،

(١) صل : أعلمهم . والتصحيح من ك

وتحقق عندهما قتل أخيهما بيران ومن كان معه، فوقع فيهما البكاء والعويل، واجتمع اليهما الأمراء والوجوه فقالا لهم : إن المحذور قد وقع . وأنتم مخيرون بين ثلاث : إما أن تولوا الأدبار منهزمين، و إما أن تستأمنوا اليهم أذلة صاغرين ، و إما أن تقاتلوا عدوّكم مشمرين عن ساق الجد أجمعين ، وتكونوا منتظرين لوصول المدد من أفراسياب، فإن بيران كان قد أرسل اليه واستمدّه ، وسيصل المدد عن قريب » . فقالوا : اذا ذهب الراعى تفرّق القطيع . وحينئذ فلا يجدى ما تذكران، ولا عار[1] فى طلب الأمان . وبعد أن جرى ما جرى فسواء عندنا أفراسياب وهذا التراب . فإنه لو كان له شفقة علينا لأغاثنا بنفسه كما أغاث كيخسرو أصحابه » . فعلما عند ذلك أنه فشا فيهم الفشل ، واستولى على قلوبهم الخوف والوجل، فاختارا عشرة من أعيان الفرسان، وسارا فيهم قاصدين حضرة أفراسياب، فصادفوا فى طريقهم جماعة من طلائع الإيرانيين، فاعترضوهم وجرى بينهم قتال عظيم فقتل سبعة أنفس من الإيرانيين والعشرة الذين كانوا معهما من الترك، وخلصا وحدهما وأخذا فى طريق توران . فرآهما الديدبان فأعلم جوذرز بأن فارسين قد ركبا طريق توران يُغذّان السير طردا وركضا . فقال جوذرز : إنهما لا يكونان إلا لهاك وفرشيذ يريدان اللحاق بأفراسياب . ومتى سلما حتى يصلا الى توران تضررنا بذلك » . فالتفت الى أصحابه وقال : من يكسب اسما رفيعا وصيتا جليلا فيلحق بهما ويخنى عليهما؟ فما أجابه غير كُستهم فإنه قال : أيها البهلوان! إنك لما خرجت الى المبارزة أقمتنى مقام نفسك فى العسكر فلم يحصل لى من الاسم ما حصل لغيرى . فانى اذًا أنتدب لهذا الأمر . فضحك جوذرز، وسرّ بقوله ومدحه وأثنى عليه ، واستعجله ، وقال له : تأهب . ودعا له بالظفر فوثب كستهم ، ولبس درعه وركب وودع من رأى هناك من أصحابه ، واقتفى أثرهما يطرد كالريح العاصف . فبلغ ذلك بيژن بن جيو فأتى جدّه وأنكر عليه إنفاذه لكستهم وحده إلى فارسين مثلهما فى قوتهما وشجاعتهما ، فندم جوذرز وقال : من يرافق كستهم ويعينه عليهما ؟ فقال بيژن : أنا ، ولا يتولى ذلك غيرى . فان قلبى يرق عليه وأستحى[2] منه اذا تخلفت عنه » . فمنعه جدّه من ذلك ، فأبى إلا المضىّ ، وقال : إن لم تأذن لى قطعت رأسى بهذا الخنجر » . فأذن له عند ذلك . فركب وطار بجناح الركض خلف كستهم . فلما بلغ أباه جيوا صنيعه ذلك تبعه حتى لحقه ، وثنى بالعنف عنانه، وقال : كم تعذبنى وتؤذى قلبى، وكم تلقى بيدك الى التهلكة ! وجعل يوبخه ويقرّعه، وهو يأبى إلا الاستمرار فى طريقه . وقال لأبيه : إنه لا يليق بك أن تنسى ما ثبت له على من الحقوق،

(١) طا : ولا عار علينا . (٢) لك : وانى أستحى

وكأنك نسيت ما أسداه إلىّ من الجميل فى وقعة لاون (ا) . فلا أفارقه اذا فى سراء ولا ضراء . فقال له عند ذلك : وأنا أيضا آتى معك . فقال : لا كان أبدا انتداب ثلاثة منا لتركيين قد أشرفا على الموت . وحلف وأقسم عليه بحياة الملك ورأسه وحياة البهلوان أن يرجع و يدعه وشأنه . فأجابه إلى ذلك ورجع . ومضى لسبيله وانطلق . قال : وقطع الفارسان المطلوبان سبعة فراسخ فى أقرب زمان ، وانتهيا الى غيضة فيها ماء، فرميا عدّة من الغزلان وشويا من لحومها، وطعما . فنام أحدهما على حافة الماء، وقعد الآخر ينظر . فوصل كستهم الى ذلك المكان ، وأحس فرسه بحاسة الشم بفرسيهما فصهل فجاوبه فرس لهاك، فأحس بالشر، وأيقظ أخاه، وقال له : عجّل فقد لحقنا الطلب . فركبا وخرجا الى فضاء بين أيديهما فتراءى لهما كستهم ، فوقفا ساعة وتبصراه فلم يريا خلفه أحدا . فقالا : إنه رجل واحد، ولا ينبغى أن نهرب، بل نثبت له . وليس يمكن أن ينجو منا إلا أن يدركنا الشقاء فيظفره بنا . ولما قرب كستهم صاح عليهما صياحا شديدا،ورشقهما بالسهام فأصاب فرشيذ بنشابة وقع منها إلى الأرض ومات فى الحال . فلما رأى أخوه ذلك حمل عليه وتقاتلا قتالا عظيما، وجرح كستهم جراحات، ثم إنه مع ما به من الجراحات، ضرب لهاك بسيفه ضربة أطارت رأسه . وانتهى بقتلهما أمر الترك، وخمد جمرهم، وصاروا رمادا تذروه الرياح . قال : وبقى كستهم على ظهر فرسه مثخنا بالجراحات وكاد أن يتلف لكنه تماسك وساق حتى انتهى الى ماء وظلّ فنزل وشرب من ذلك الماء، وشدّ فرسه بشجرة، ورمى بنفسه الى الأرض وجعل يتمرّغ فى التراب ويسأل الله تعالى أن يحرّك له قلب بيژن بن جيو أو قلب[1] غيره من الايرانيين حتى يلحقه ويحمله إلى المعسكر حيا أو ميتا ، ويحمل رءوس الفارسين الى حضرة الملك حتى يعلم أنه لم يمت إلا عن بلاء حسن . وبقى طول ليلته يئن ويتقلب فى التراب متململا من فرط الوجع . ولما أصبح وصل بيژن الى ذلك المكان، وأخذ يدور حوالى ذلك المرج يطلب كستهم كالناشد اضالته . فرأى فرسه منكس السرج مقطع اللجام ، فجعل ينتحب ويبكى ويندبه . واتبع أثر الفرس فانتهى اليه فوجده مقطع الجوشن ممزق البدن مضرجا بالدم معفرا فى التراب . فنزل ونزع عنه سلاحه وقباءه، فرأى بدنه قد اصفر من نزف الدم، فوضع خدّه على تلك الجراحات وهو يبكى. فتحرّك كستهم عند ذلك، وتنفس الصعداء، وقال : أيها الحبيب الناصح ! لا تحمل على نفسك كل هذا فإنه أشدّ علىّ مما أنا فيه . واستر جراح رأسى بالترك(ب) ، واجتهد فى حملى الى حضرة الملك. فإن قصارى بغيتى وغاية أمنيتى أن (٨٦)

(ا) هى الوقعة التى هزم فيها الايرانيون، وقتل أولاد كودرز وكان قائدها فريبرز بن كيكاوس . انظر ص ٢١٣ متن .

(ب) ترك : الخوذة أو القلنسوة .

(١) صل : وقلب . والتصحيح من طا .

أتزوّد منه بنظرة ، وأقرّ عيني بطلعته ولو لحظة . واذا مت بعد ذلك مت وليس فى قلبى حسرة . فإنى لم أولد إلا للموت . ومن أدرك أمله فكأنه لم يمت . وأيضا تجتهد فلعلك تستطيع أن تحمل هذين العدوّين اللذين أهلكهما الله على يدى الى المعسكر . وإن لم تقدر فاحمل رءوسهما وعدّتهما حتى تعرضها على الملك ليعلم أنى ما هلكت فى غير شىء» . وأشار له الى الموضع الذى قتلهما فيه ، وأراه مصرعهما . ولما فرغ من ذلك اعتقل لسانه فاضطرب بيژن على رأسه ساعة ثم وثب بيژن وجاء بفرسه ، وحل حزامه ولببه ، وأخذ لبده وفرشه تحته ، ومزق أذيال قرطقه ولف خرقها على مواضع جراحاته . وركب وأصعد فرأى فرسان الأتراك متفرّقين فى الطريق فأسر منهم تركيا ، وأعطاه الأمان . وصار الى مصرع القتيلين فرأى فرسيهما واقفين عندهما ، فأمر التركى فحملهما على فرسيهما وشدّهما ، وجاء الى كستهم فأركبه على فرسه وأردفه التركى يمسكه ، وأقبل به يسوقه رهوا رهوا رجاء أن يوصله الى الملك و به رمق .

ذكر وصول الملك كيخسرو واتصاله بعساكره وما جرى بعد ذلك

قال : فوصل الملك كيخسرو فاستقبله الايرانيون ودعوا له وأثنوا عليه ووصفوه بالفضل[١] والعلم والقوّة والشجاعة وغيرها من الفضائل . ووقف زمانا على ظهر الفرس حتى رآه جميع العسكر . ودعا لهم وأثنى عليهم وشكر سعيهم . فجاء جوذرز من بعد ومعه المبارزون العشرة الذين ذكرنا قصتهم . فلما دنا من الملك نزل وسجد له ثم رفع رأسه ودعا وأثنى عليه ، فأراه القتلى المذكورين ، ونسب كل واحد منهم[٢] الى قاتله . وجاء جيو بن جوذرز بقرنه الذى أسره وهو كرو قاتل سياوخش ، فنزل الملك فى الحال وكشف رأسه وجعل يشكر الله تعالى على أن ظفره به ، ويحمده وهو واقف على رجله . فشكر جوذرز وأصحابه ومدحهم ، وقال : أنتم الآن شركائى فى الملك والمملكة . ثم نظر الى القتلى فلما وقع[٣] عينه على پيران بكى وفاضت دموعه لما سلف له اليه من الإحسان ، وتوجع لمصابه وتحرّق عليه كالجمر فى التهابه . وضرب له وهو يبكى مثلا فقال : إن الشقاوة ثعبان يلتهم الأسد ، ولا ينجو بالرجولية منه أحد . إن هذا طول عمره كان يعتنى بأمرى ويتحمل المشاق والمكاره من أجلى ، وكان موجع القلب فى وقعة أبى . ثم ملك الشيطان قياده ، وأغواه حتى أنساه رشاده . وكم وعظته ونصحته فما نجعت فيه موعظة ولا نفعته نصيحة . وكنا أردنا أن نجازيه بغير هذا حتى أعددنا له

(١) لـ : بالعلم والفضل . (٢) لـ : منهم (لا) . (٣) لـ : وقعت

التاج والتخت . والان فقد سبق السيف العذل ، وبهذا جرى قلم التقدير[(١)] فى الأزل . ثم أمر فحشوا دماغه بالمسك والكافور ، وكفنوه فى الديباج والحرير ، ووضعوه على تخت فى ناووس بنوه له . ونظر الى قاتل أبيه فرأى له وجها مشوّها وشعرا مفزعا كأنه غول . فقال : ما أدرى أى ذنب أذنب كيكاوس حتى سلط الله مثل هذا الشيطان على ولده سياوخش ؟ ثم أمر فخلعوا مفاصله ثم قطعوا رأسه ورموه الى الماء . وبقى الملك أياما فى ذلك المكان يدبر أمر العسكر فخلع على الأمراء ، على اختلاف مراتبهم ، وأحسن اليهم على تفاوت طبقاتهم . ووهب لجوذرز ممالك أصبهان ، وأعطاه بها تخت السلطنة وتاجها . وأرسل عسكر بيران الى الملك كيخسرو رسولا يذكر أنهم يطلبون الأمان ويتنصلون من إساءتهم فى إقدامهم على مقاتلة جوذرز ، ويذكرون أنهم اضطرّوا الى ذلك وحملهم عليه الخوف من معرّة أفراسياب على أولادهم وأهاليهم . فآمنهم الملك على أرواحهم ، وقال : من أراد منكم أن يقيم فى خدمتنا فليقم ، ومن أراد أن يلحق بأفراسياب فليلحق . فجاءوا وحلفوا بالأيمان المغلظة أنهم لا ينزعون أيديهم عن طاعته ما عاشوا . ففرّقهم فى أطراف ممالكه ، ونفذ كل طائفة الى ناحية منها ، وقسم على عسكره ما أفاء الله عليه من المغانم . قال : ثم إن الديدبان أخبر بطلوع فارسين مع ثلاثة أفراس وعليهما ثلاث جثث . واذا بيژن قد طلع على الهيئة التى سبق ذكرها فسجد
٨٧ للملك . فسايله عن حاله فأخبره بحال كُستهم وقتله لفرشيذ ولهاك ، وقال : إن أمنيته أن ينظر الى وجه الملك نظرة . فأمر بإحضاره ، فأحضر ، فتوجع له الملك وعظم عليه ما نزل به ، وكان من الألم بحيث يتوهم أنه لم يبق فيه نفس . فلما تنسم ريح قرب الملك فكأنه أحس بأدنى إفاقة . فنظر الى الملك فأذرى دمعه . وكان مع الملك خرزة قدورثها من الملوك السالفة من جم الى أوشهنج الى طهمورث(أ) . فشدّها على عضد كستهم ، ومسح مواضع جرحه بيده المباركة ، ورتب عنده الأطباء الذين كانوا فى صحبته من بغداد الى الروم والهند وسائر البلاد . فبرأ كستهم بعد أسبوعين ، فجاءوا به الى حضرة الملك ففرح بعافيته ، وحمد الله وأثنى عليه ، وقال : إن الله تعالى أجرى أمورى على السداد ، وقضى لى بحصول المراد ، ولم يرنّق على موارد نعمة هذا الظفر بموت كستهم . وليس هذا كله إلا من فضله الواسع ولطفه الشامل[(٢)] .

(أ) نسق هذه الأسماء الثلاثة لا يوافق التاريخ المعروف — كما يفهم مما تقدّم .

(١) ك : قلم القدر . (٢) ك : تجزت قصة الوقعة المعروفة بوقعة يازده رخ .

ذكر وقائع الملك كيخسرو وشرح فتوحه ومقاماته التى شهدها بنفسه §

قال مترجم الكتاب : لما انتهيت الى هذه الترجمة رأيت الفردوسى قد افتتحها بأبيات نظمها فى الثناء على من عمل له كتابه ، وهو السلطان أبو القسم محمود بن سبكتكين ، يصف فيها مفاخره ، ويأثر مآثره . فرأيت أنا من توجت أسماء الملوك فى كتابى باسمه ، ونشرت معالمهم برسمه ، مولانا السلطان الملك المعظم ملك[1] العرب والعجم ، أبا الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، أعلى الله شأنه وخلد سلطانه ، أحق بالحمد والثناء من محمود ، وأحرى بالتقدم على كل ذى طالع مسعود ، لما فضله الله تعالى به عليه وعلى غيره من ملوك الأرض من خصوصية علمه الذى طمس صوى الضلال ، وأنار منار الاسلام ، وأقام بالناس على المحجة البيضاء فى أحكام الحلال والحرام ، ثم لجلالة دوحته العلياء التى تهدلت من أغصانها قطوف السعادة ، وتوشجت عروقها فى أرض العز وتفرعت أفنانها فى سماء السيادة . فلم يبق قطر من أقطار ممالك الاسلام إلا وتظله من هذه الدوحة الكريمة شعبة سرادق ظلها ممتد ظليل ، وللخلائق فى سوابغ أفيائها وكنف رخائها ملجأ ومقيل . ثم لروعة سلطانه وفخامة شانه ، وما شمل العالمين فى أيامه الزاهرة من فضله وإحسانه ، وما حصل لهم من انطمأنينة فى جنبة أمنه وأمانه . حتى إن الراكب لو سار فى أطراف ممالك هذا البيت الكريم التى هى

---

§ بهذا الفصل تنتهى الملاحم العديدة التى بدأت أيام أفريدون بقتل ايرج ، وأرثها قتل سياوخش بعد . والنهاية ، كما يرى القارئ ، أن يظفر كيخسرو وجده كيكاوس بأفراسياب نفسه فيقتل هو وأخوه كرسيوز الذى أسر من قبل فى وقائع الملك كيخسرو . وبهذا يتغير سير الوقائع فى الشاهنامه ، كما يبين بعد فى فصل لهراسب .

ثم هذا الفصل ٣٢٠٠ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) مدح السلطان محمود . (٢) خسرو يعبئ جيوشه لحرب أفراسياب . (٣) أفراسياب يعلم بمقتل بيران وأن كيخسرو يستعد له . (٤) خسرو يسمع أن أفراسياب قادم لحربه . (٥) شيذه يأتى الى أبيه أفراسياب . (٦) أفراسياب يرسل رسولا الى خسرو . (٧) خسرو يجيب أفراسياب . (٨) خسرو يبارز شيذه بن أفراسياب . (٩) شيذه يقتل بيد خسرو . (١٠) التقاء الجيشين . (١١) هرب أفراسياب . (١٢) خسرو يخبر كاوس بالنصر . (١٣) أفراسياب يذهب الى كنككبهشت (جنة كنك) . (١٤) خسرو يعبر جيحون . =

---

(١) لك ، طا : ملك ملوك

مسيرة سنة أو كادت لما تنفس الصعداء ، ولم ير إلا النعيم والرخاء؛ سياسة حبس بها خوادر الآساد فى الأخياس والأجم ولا كعوانس المخدّرات فى الأستار والكلل ، وهيبة كادت النار ترتدع بهـا عن التشبث بذيل الكبريت، وينزجر الهواء عن استباحة أرج المسك الفتيت، وتواضعا لله تعالى فى ترفع أرغم آناف الأكاسرة المـاضين، وكرما أدنى ثمـار أياديه لجناتها الدانين والقاصين، ومعـدلة رفعت عن العالم اسم المظلوم والظالم، ورأفة تزق فيها البزاة أفراخ الحمائم. ثم لا خفاء على كل ذى بصر و بصيرة أن ما اختص به هذا السلطان، خلد الله ملكه، من فضله الزاهر، وأصله الطاهر، وعدله الظاهر فضائل هن(١) قواعد السـلطنة ومبانى الملك والمملكة ، ولم يرزقها محمود على ما نطقت به ألسـنة التواريخ . فلو عاش الفردوسى وأدرك أيام هذه الدولة القاهرة لود أن تكون مدائحه عليها موقوفة، والى ذكر محاسنها مصروفة، ولاعتذر اعتذار أبى نواس بقوله :

اذا نحن أثنينا عليك بصالح فأنت كما نثنى وفوق الذى نثنى
وإن جرت الألفاظ يوما بمدحة لغـيرك إنسانا فأنت الذى نعنى

وقد أثبتُّ فى هذا المكان، اقتداء بالفردوسى، قصيدة كنت نظمتها فى مولانا السلطان ، أعز الله أنصاره، وضاعف اقتـداره ، وأنشدتها فى حضرته العالية فى ذى الحجة سـنة عشرين وستمائة .

= (١٥) خسرو يواقع أفراسـياب المرة الثانية . (١٦) أفراسياب يعتصم بجنة كنك . (١٧) أفراسياب يستنجد فغفور الصين . (١٨) خسرو ينزل على جنـة كنك . (١٩) جهن يأتى رسولا من أفراسياب الى خسرو . (٢٠) خسرو يجيب جهنا . (٢١) خسرو يحارب أفراسياب ويأخذ جنة كنك . (٢٢) هرب أفراسياب من جنة كنك . (٢٣) خسرو يؤمّن أسرة أفراسياب . (٢٤) خسرو ينصح الإيرانيين . (٢٥) كتاب الفتح من خسرو الى كاوس . (٢٦) خسرو يسمع بقدوم أفراسياب وجيوش فغفور . (٢٧) رسالة من أفراسياب الى خسرو . (٢٨) حرب الإيرانيـين والتورانيين . (٢٩) أفراسياب يبيت الإيرانيين فيهُزم . (٣٠) فغفور الصين يرسل الى خسرو . (٣١) أفراسياب يعبر البحر . (٣٢) خسرو يرسل الأسرى والمغانم وكتابا الى كاوس . (٣٣) جواب كاوس الى خسرو . (٣٤) رسالة خسرو الى فغفور الصين، وملك مُكران . (٣٥) خسرو يحارب ملك مكران فيقتـله . (٣٦) خسرو يجتاز البحر . (٣٧) خسرو يبلغ كنك دژ. (٣٨) خسرو يرجع من كنك دژ الى سياوخش كرد. =

(١) صل : من قواعد . والتصحيح من لك، طا

وهى تشتمل على ذكر بعض سيره وطرف من مفاخره . ليقف عليه الناظر فى هذا الكتاب ولا يستعظم ما يمرّ به عن الملوك الماضين والسلاطين الأوّلين . والقصيدة هذه :

خضعت لرفعة قدرك الجوزاء وتقاصرت عن فضلك الدأماء
سدت الملوك جلالة فهم الربى فينا وأنت الذروة الشماء
بشعاع دولتك المنيرة فى الورى ظهروا وزايلهم بذاك خفاء
لولا بهور الشمس مشرقة السنا ما كان يظهر فى الهواء هباء
ما إن أقل الأرضُ مثلك مالكا بين الأنام ولم تظل سماء
فاذا انتطقت تقلقلت أسد الشرى واذا نطقت تبلبل الفصحاء
لما دجا للجهل ليل مطبق فوق الورى وتمادت الظلماء
حتى لو ان الشمس فيها أشرقت خبطت كما قد تخبط العشواء
أدركتهم بصباح فضل ساطع فاضت على الدنيا به الأضواء
ونشرتهم بعد الممات وإنما أنفاس عيسى دأبها الإحياء
لله منك أشم منتجع الذرى فى راحتيه المنع والإعطاء
كرم ولطف صورا فتمثلا بشرا(1) عليه رونق وبهاء

=(٣٩) خسرو يرجع الى إيران. (٤٠) خسرو يرجع الى جدّه. (٤١) أفراسياب يؤسر بيد هوم من نسل أفريدون. (٤٢) أفراسياب يخلص من هوم . (٤٣) كاوس وخسرو يجيئان الى هوم. (٤٤) أفراسياب يؤسر مرة أخرى و يقتل هو وكرسيوز. (٤٥) كاوس وخسرو يرجعان الى ولاية فارس . (٤٦) موت كاوس . (٤٧) خسرو يضيق بالحياة . (٤٨) الملأ يسألون لماذا احتجب خسرو . (٤٩) الإيرانيون يدعون زالا ورستم . (٥٠) خسرو يرى سروش (ملَك) فى المنام . (٥١) زال يعظ خسرو . (٥٢) خسرو يجيب زالا . (٥٣) زال يوبخ خسرو . (٥٤) جواب خسرو واعتذار زال . (٥٥) خسرو يعظ الايرانيين . (٥٦) خسرو يوصى الى كودرز . (٥٧) زال يسأل خسرو منشورا لرستم . (٥٨) خسرو يعطى كيوا منشورا . (٥٩) منشور طوس . (٦٠) خسرو يستخلف لهراسب . (٦١) خسرو يودّع جواريه . (٦٢) ذهاب خسرو الى الجبل واختفاؤه فى البرد. (٦٣) البرد يهلك الأبطال . (٦٤) علم لُهراسپ باختفاء خسرو .

(١) صل : بشر . والتصحيح من طا



وُصفت مهابته فألهبت اللظى ذكرت لطافته فسال الماء
فى الطائعين وفى العصاة جميعهم نظراته السراء والضراء
للآملين على خزائن جوده فى كل يوم غارة شعواء
تشفى مخايل بشره غلل المنى فلقاؤه للرملين ثراء
ويرى له فى بسطه باع الندى من كل أنملة يد بيضاء
أما العلوم فهن طوع قياده قد راض ريّضها عليه ذكاء
جاراه فيها السابقون فأقصروا عن شأوه فهم لديه بطاء
فاذا انتدى يوم الندىّ وأحدقت ببساطه العلماء والحكماء
يلقون بحرا ساكنا وهم له متطامنون كأنهم أحساء
فاذا طما غمروا لديه كما اختفى فى زأرة الأسد الهصور ثغاء
واذا هدا قاموا بملء صدورهم حكما بها فقهوا(١) وضاق إناء
وكذا الخضم اذا طغا متلاطما سال الجداول وهى منه ملاء
ملك له يومان يشمل فيهما أهل البسيطة راحة وعناء
فاذا بدا يوم اللقاء رأيته أسدا وآساد العرين ظباء
سيان آلاف لديه وواحد فهم الجراد وبأسه النكباء
صمصامه فى كفه متجرّدا برق جلته مزنة وطفاء
إن أرعدت يوم النزال تدفقت منها على أرض العدوّ دماء
واذا تجلى فى مجالس أنسه كالماء فيه عذوبة وصفاء
فكأنه كيخسروٌ فى تاجه تبدو عليه روعة وبهاء
وأمامه من رأيه الجام الذى بانت له فى نوره الأشياء
فى مجلس يذكى الرحيق حريقه(٢) فيه فيعبق بالأريج هواء
بالقصر من جنات غوطة طالعا تجلى عليه القهوة الصهباء
ورنين أوتار ورجع كراين تصغى اليها الصخرة الصماء
من لم ير الفردوس غضا ناضرا فليحضرن فالجنتان سواء
فتراه فى الايوان تشرق وُقّفا قدامه الأملاك والأمراء

(١) ك، طا، كو : فهقوا . (٢) صل : رحيقه والتصحيح من ك، طا

كالبدر فى كبد السماء وحوله زهر جلاها من سناه ضياء
فهم الحواريون وهو بفضله عيسى . فعاشوا ما يشاء وشاءوا
مُتّعت يا ملك الملوك بجمهم بل متعوا بك ما أقام حِراء
فهم كأجساد وأنت حياتهم لهم بملكك لا يزال بقاء
فتملّ هذا العيد وابق مخلدا يسمو بذكرك رفعة وعلاء
واذبح عداك مضحيا بهم فهم بقر اذا ما خالفوك وشاء
واعطف لعبند ماله متمسّك إلا رجاؤك واليد السحاء
استغرقت خدماتكم أنفاسه ومدائح يعنى بها وثناء
جهد المقل لمكثر من أنعم ما إن يحيط بوصفها البلغاء

[مدح السلطان(١) محمود

لله درّ الملك الكبير ، الذى يزهى به التاج والخاتم والسرير . صاحب الصيت الذائع وخزائن الذهب ، وحليف الدرع والسيف والنصب . الذى تئن كنوزه من فيض العطاء ، ويظل مجده وجدّه فى علاء . وجنده من البحر الى البحر يجول ، والعالم فى ظل من تاجه ظليل . لم يبق فى معادن الأرض ذهب ، إلا قرأ منشور جوده فذهب . يسلب العدوّ ويمنح الصديق ، والله له نعم الناصر والرفيق . هو فى المآدب متلاف معطاء ، وفى الهيجاء حمّال الأعباء . وقد أثمرت به غصون العقل والدين ، وسبق ظنُّه العقول الى اليقين ... ... قوىّ حشر الجند أفواجا ، فلم تجد الريح بينهم أدراجا . يتبع عسكره سبعمائة فيل ، والله مولاه وجبريل . يسوم الجزية كل أمير ، وكل ملك نابه وبطل كبير . فإن لم يعطوا صاغرين الخراج ، أعطوا الممالك والكنوز والسرير والتاج . من ذا الذى يستطيع أن يأبق عن عهده ، أو يصدف عن أمره ؟ ملك أضاء به سرير العالم ، وجبل فى الدرع يوم التصادم . « أبو القاسم » الملك الشجاع الأصيد ، الذى يغلب على العير براثن الأسد . ملك العالم "محمود" مسعر الهيجاء ، وناثر رءوس الأبطال على الغبراء .

فراش مبسوط على الزمان ، لا يطويه الحدثان . مكان السرير من ذلك البساط الممهد ، مجلس "الفضل بن أحمد" ، الذى نشر فى المملكة الطمأنينة ، وأوحى الى الكبراء العقل والسكينة . ماظفرت

(١) أثبت هنا ترجمة القطعة التى حذفها المترجم . وقد حذفت قليلا منها ايجازا . وترجمتها مسجوعة لتقارب الأصل بعض المقاربة . وقد التزمت أن أترجم كل شطرين بسجعتين .

الملوك بمثله وزيرا، حزما وجودا ودينا ورأيا منيرا . طاهر اليد فصيح اللسان، مخلص لله وللسلطان. لقد كشف عنى الغم والحزن، ذلك الوزير العادل رب الفِطن .

نظمت هذا الكتاب المبين، عجبا من أحاديث الغابرين . ليكون عونى فى الكبر، ويمدّنى بالمال والمجد والصيت الأغر . فما رأيت ملكا معطاء، على سرير الملك وضاء . فتنظرت أن يظهر جواد مفضال، لا تضرب دون نواله الأقفال . حفيظ على الدين أمين وبالتاج وسرير العاج قمين . قوىّ على جلاد الأبطال، عالم بخبايا الأحوال . فقضيت من عمرى خمسا وستين وأنا فى الفاقة والنصب رهين . وحينما علت على الستين خمس، ترنحت كالثمل تحت الستين والخمس . وعاد الوجه المورّد كالهشيم، وكالكافور هذا المسك البهيم . وأنحى المشيب على قدّى فناء، وغاض فى النرجستين الضياء . وحينما كنت فى الثامنة والخمسين ، وبى بقية على رغم السنين ، سمعت ضجيجا دوّت به الأرجاء، أن الرءوس والأجسام فارقها الشقاء . وحىّ فريدون ذو القلب السليم، وخضع الزمان والأرض لعبودية الملك الكريم . فسخر العالم بالعدل والجود ، وطأطأت له الملوك الصيد . وتلألأت آثاره بكل مكان ، خلد الله ملكه وسعيه على مر الزمان . فلما وعت أذنى هذا الدعاء، صمّت بعدُ عن كل نداء . فوصلت باسمه هذا الكتاب، — يسر الله له فى العلياء كل صعاب — ليأخذ بيدى فى الكبر، رب السيف والعرش والتاج الأغر . وأسأل الخالق العظيم ، أن يمدّ لى فى الحياة غير سقيم، حتى أتم الكتاب، باسم الملك رفيع الجناب . ثم الجسم بعد ذلك فى التراب يغور، والروح السارية الى المعدن الطاهر تسير ... ...

"محمود" ملك العالم يرفعنى فى الدنيا عن الحاجات، ويحانى بين الكبراء رفيع الدرجات .... عبودية أقدّمها أيها الملك، تبقى لى الذكرى ما دار الفلك . كل بناء يناله الدمار، بوهج الشمس وسيل الأمطار . ولكنى وطدت قصرا عظيم الخطر، يهزأ بعصفات الريح والمطر . تمرّ على هذا الكتاب السنين، ويتلوه كل حكيم فطين . فيحمدون الملك الكبير — لا أخلى الله منه التاج والسرير . وتلك مآثره عليه مثنيات، وملء العالم آثاره الناطقات ... ...

ثم أعود الى كتاب الماضين ، وأوصّل القول من أنباء الصادقين . وأقص من غير الزمان، وحسبي معلما كر الحدثان . وقد عرضتُ قصة كيخسرو العظيم، فاستمع منى السحر المقيم . بهذه القصة أمطر الدرر ، وأنبت الشقائق فى الحجر . نظمت الآن هذا النظام . إذ ملكت من قبل روح الكلام .

إيه أيها البصير بالتجارب، ومن أحلت وأمرّت له النوائب! واهًا لهذه القبة سريعة الدوران، التى تطلع كل يوم على القلب بجديد الأحزان. حظ واحدٍ منها شراب وعسل، والرفاهية والدلال ونيل الأمل. وحظ آخر همّ ونصب وملال، وضيق الصدر فى دار الزوال. وآخر يضرب فى يهماء الجدّ، يهبط تارة ويصعد. ذلك نصيبنا من الزمان وأفلاكه، وأكثر من نضرة ورده وخز أشواكه. ومن أوفى على الستين، فهو باليأس قمين. ولا يجوز السبعين غير قليل، وتلك تجارب العمر الطويل. وإن جاوزها فهو شر له، حياة جديرة بالبكاء، ويله. ولو أن شبكة الستين شبكة صائد، لخلص منها الحازم الجاهد (١). أين المفرّ من الفلك الدوّار. ومن خالق الشمس والقمر، القهار. والملك المسلط يجهد ويجدّ، وينتقم ويكنز ويعدّ. ولابد أن يرحل إلى الدار الآخرة، ويخلف سعيه فى الحياة البائرة. فخذ من سيرة كيخسرو العبر، وجدّد بالذكرى ما درس وغبر. فقد انتقم لأبيه من جدّه، بمكره وحربه وحشده. قتل جدّه ثم لم يخلد بعده، ولا أطاع الزمان حله وعقده. كذلك دأب دار الفناء، فاربأ بنفسك من هذا العناء].

(ب) والآن نعود الى ترجمة الكتاب ونقل ما حكاه الفردوسى. قال:

ثم عزم الملك كيخسرو على المسير بنفسه فى طلب أفراسياب، فتسنم الفيل على تخت من الفيروزج قد وضع على ظهره، وحرك الخرزة فى الجام إشعارا بالنفير العام. فخرم المقام على جميع الملوك فى جميع الأطراف. فنفروا وأقبلوا الى خدمته. وكتب الى رُستم ولُهراسب وأشكس يأمرهم بالمبادرة الى الخدمة فاجتمع عليه عساكر البر والبحر. فركب وطاف فى العسكر حتى علم حال كل واحد من الملوك والأمراء، ومقادير حظوظهم من العدّة والعتاد. ثم انتخب ثلاثين ألف فارس يعضون على الزُّبَر، ويفلقون بالأسياف مفارق الحجر، وأمرهم بأن يكونوا معه فى القلب لا يزايلونه مستعدين للضرب. ورتب على أحد جانبيه طوس بن نوذر مع جماعة من أصحاب الأطراف، وجعل على الجانب الآخر أولاد الملوك الذين ينتسبون الى كيقباذ، وأمر بيژن بن جيو ورُهّام بن جوذرز بأن يحفظا ظهره مع جرجين بن ميلاد فى عساكر الرىّ. ثم سلم الميمنة الى رستم، وضم اليه جميع عساكر زابلستان وممالك دستان، وجعل جوذرز بن كشواذ على الميسرة مع ولديه هجير وفرهاد فى عساكر تفوت العدّ والحصر. وأمر فنصبوا على ظهور الفيلة صناديق وشحنوها برماة الحسبان (ج) ووكل بحماية كل فيل ثلثمائة فارس. وأمر زنكه بن شاوران مقدم عساكر بغداد بأن يخرج جماعة من فرسان الكرخ الرماة

(١) فى الفارسية كلمة شست تدل على الستين وعلى الشبكة. فهذا زين للشاعر أن يقرن الستين بالشبكة.

(ب) هذا كلام المترجم.

(ج) يريد المترجم بكلمة «رماة الحسبان» أنهم يرمون الظنون فلا يخطئونها. والعبارة ليست فى الشاه.

عن الجرخ ليركبوا ظهور الفيلة ، ويتقدّموا أمام الجيش . وضم ثلاثين ألف فارس الى فرى برز بن كيكاوس مع جماعة من رماة الكرخ ، ورتبهم على اليسار . وأمر كل واحد منهم أن يحفظ(١) مقامه من الموقف . وضم الى جيو بن جوذرز عساكر عظيمة . وجمع بين زواره وقارن ورتبهما فى أصحابهما قدّام العسكر . وفرق الطلائع ، وبث الجواسيس . وأمر طوسا بأن يطوف على العسكر جميعهم ، ويأمرهم بكف أيديهم عن الظلم ، ويقول : إن من احتاج الى شيء من المأكول والملبوس فلا يطلبن إلا من أصحاب الأرزاق المرتبين فى ديوان الملك . ثم أوقر بالطعام عجلا كثيرة تجرّها آلاف من الجواميس أمام العسكر ، وجعلها مسبلة لكل من يحتاج الى الطعام من رجالة العسكر وغيرهم من المحتاجين .

ثم أنه لما فرغ من ذلك كله رحل وجعل يسير بهم رهوا رهوا على تؤدة وسكينة . وأما أفراسياب فإنه كان نازلا فى موضع يسمى بالفهلوية كُندُز وبالفارسية بيكند (ا) وكانت هذه المدينة مما بناه أفريدون فى الزمان الأول (ب) ، قال وكان فى ألفى ألف فارس ، وهو يريد اللحاق ببيران وإمداده . فبينا هو ذات ليلة فى ذلك المكان إذ وصل فارس وقت السحر فأنهى اليه ما جرى على بيران وأصحابه ، وتلاه بعد جماعة من الجرحى(٢) المنهزمين فقصوا عليه القصة ، وسردوا له حديث ما جرى على بيران (٨٩)
وأخويه فرشيذ ولهاك وسائر من قتل من الأمراء والقوّاد ، وأعلموه بوصول كيخسرو فى عساكره ، واستئمان عسكر بيران اليه . فأظلمت الدنيا فى عين أفراسياب حين سمع ذلك ، ونزل من التخت وضرب بتاجه على الأرض ، وبكى وانتحب ، وضج عسكره لما ورد عليهم من الرزء العظيم . ثم خلا بأقاربه ، وجلس يبكى ويندب قتلاه ، ثم حلف بأيمان مغلظة ألا يقرّ حتى يطلب بثأر أصحابه من كيخسرو ، وينتقم منه . فبينا هو كذلك إذ جاءه النذير بأن الملك كيخسرو قد عزم على عبور جيحون فى عساكره العظيمة الهائلة . فجمع الأمراء والقوّاد وفاوضهم فى معنى الذى جرى على بيران وأخويه فرشيذ ولهاك ، وحرضهم على الانتقام وإفراغ الوسع فى طلب الثأر . ففتح أبواب الخزائن ، وأطلق لهم الأرزاق ، وأدرّ عليهم العطايا والصلات ، وأمر بإحضار جميع ما كان له من الخيول السائمة

(ا) بيكند مدينة بين بخارى ونهر جيحون ، على ٤٤ ك م الى الجنوب الغربى من بخارى . ويعلم القارئ أن موقعة يازده رخ الماضية كانت فى نواحى بلخ . فكيف بقى أفراسياب بعيدا عن جيشه فى هذه الحرب الطاحنة ، لاهيا فى بيكند ؟ .

(ب) فى الشاه : أن أفريدون كان جعل فيها بيتا للنار ، وكتب على جدرانها كتاب زندواستا بالذهب . وهذا من أغلاط الشاه . وأين كتاب الزند من عهد أفريدون ؟

(١) فى الأصل : طا أن يحفظوا . والتصحيح من ك ، كو . (٢) ك : الجرحى والمنهزمين .

فى المروج والرياض ففرّقها على العسكر . ثم اختار عشرة آلاف من الفرسان وسيرهم الى بلخ، وكان عليهـا من جهة الايرانيـين كُستَهم بن نوذر . واختار ثلاثين ألف فارس آخرين وأمرهم بأن يعبروا و يقفوا فى وجه العدوّ حتى لايهتبلوا الغرة و ينتهزوا الفرصة فيعبروا المـاء ليلا . وجهز الى كل جانب عسـكرا ، واحتال من كل نوع ، واحتاط من كل وجه . لكن الله تعـالى قضى بهلاكه حين جار واعتدى ، وأفسد فى الأرض وعتا . وقضاؤه الغالب لامردّ له . قال : وقعد ذات يوم مع وزرائه وتشاوروا فاسـتقرّت آراؤهم على أن يعبر بنفسه جيحون . فدعا بأكبر أولاده قراخان، وسـلم اليه نصف عسـكره، وسيّره الى بخارا ليكون قريبا منه اذا عبر فيواصـل إمداده بالميرة والرجال ، وركب فى النصف الآخر . حتى اذا انتهى الى شاطئ جيحون ألقى آلافا من السـفن والزواريق على وجه المـاء فعبر بمن معه فى مقدار أسـبوع ، فخيم على(١) صحراء آمل الشـط ، فرتب عساكره وعبى ميامنه ومياسره ؛ فضم الى ابنه بشَنك ، وكان يلقب لحسن وجهه شيذه التى هى الشمس، مائة ألف فارس (وأضاف الى ابن له آخر يسمى جهنا مائة ألف فارس(٢)) فجعل الأوّل على الميمنة والثانى على الميسرة ، ورتب مائة ألف فى القلب، وجعل أخاه كرسيوز مع أربعين ألف فارس من فرسان الصين على الفيلة، وجعل ابنا له آخر على ألوف من الفرسان وأمره بحفظ ظهر العسكر، ورتب الباقين من الملوك والأمراء من أقاربه وأصحابه على الساقة والجناحين ، وبث الطلائع والجواسيس .

ولمـا انتهى خبره الى الملك كيخسرو ركب فى جموعه وسار فى مثل البحار المـائجة والجبال المائرة، وجعـل يحل ويرحل(٣) حتى نزل قريبا من أفراسياب . فركب يوما مع رستم وطوس وجوذرز وجيو وجماعة من الفرسان ، وأتى قريبا من مخيم جدّه فنظر الى سـواده وكثرة جحافله ، وتدبرهم وتأملهم حتى اطلع على أحوالهم . فرجع الى معسكره وأمر فحفروا حول المعسكر خندقا وطرحوا فيها(٤) المـاء . وبقى الفريقان يومين وليلتين مصطفين متقابلين لا يقـدم منهم أحد على الآخر، وكل واحد من الملكين قد استحضر المنجمين بزيجاتهم واصطرلاباتهم ينتظرون ساعة سعد للقتـال . ولمـا تطاول وقوفهم على هذه الحالة جاء شيذه أباه ، وقال : أيها الملك ! إنك كنت قد اتخذت سياوخش ولدا لاتؤثر عليه أحدا، ولم تزل تحسن اليه وترفرف بجناح الحنو عليه الى أن صح عندك أنه يريد أن ينتزك التاج والتخت(٥) فتداركت بقتله الأمر. وهذا المشوم ابنه الذى جاء لقتالك أحسنت اليه أيضا وربيته حتى قوى جناحه واشـتدّت قوادمه طـار من توران الى ايران، ثم نسى ما عامله به بيران مـن الحنو

(١) لك : فى صحراء .　(٢) ما بين القوسين من لك ، طا ، كو .　(٣) لك : ويرتحل .
(٤) لك ، كو : فيه .　(٥) كذا فى نسخ الترجمة . و ينبغى أن تكون حتى اذا .

والشفقة عليه ، ولمـا تمكن منه قتله القتلة الشنيعة . وها هو أقبل(١) عامدا لقتال جدّه ليس يريد ملكه وإنمـا يريد نفسه وقطع رحمه بإراقه دمه . لا جرم لا تطول مدّته ، وسيهجم عليه أجله . وأنت فلا تفكرن فى الإيرانيين ، وضع فيهم السيف ، ولا تنتظر فى قتالهم حكم المنجمين ، فالسيف أصدق أنباء من الكتب ، ورجوم الأسنة أمضى أحكاما من السبعة الشهب . وإن أذنت لى أمرت العساكر المرتبين معى فى الميمنة فرشـقوهم بالسهام الصوائب ، ودلفوا اليهم بالسيوف القواضب حتى لا يبقى منهم أحد» . فقال له أبوه : لا تعجل ولا تطش . فإنك تعلم ما كان يستظهر به بيران من الشهامة والصرامة والجرأة والبسالة ، ثم إنه قتل بالأمس ، وقد انكسرت قلوب عساكرنا بسبب ذلك . فالرأى أن نصبر حتى يفتحوا أعينهم ويشاهدوا العدوّ مرة بعد أخرى بحيث تقل هيبتهم فى عيونهم ، وتزول الروعة من صدورهم ، ويرى الايرانيون أيضا كثرة عساكرنا . ثم بعد ذلك نلقاهم ويبرز اليهم المبارزون منا ونقاتلهم » . فقال له : إن كان هكذا فأنا أوّل المبـارزين . وسأبارز كيخسرو ، ولن يسلم منى مهما بارزنى » . فقال أبوه : إن كيخسرو لا يخرج الى مبارزتك ، وإن خرج فلا ينبغى أن يبارزه أحد سواى . فان غيرى لا يقدر على مقاومته» . فقال له شيذه : لا كان يوم تخرج بنفسك الى مبارزة العدوّ وبين يديك خمسة بنين(٢) كالأسود الحواطم والسيول الهواجم .

ذكر رسالة أفراسياب الى كيخسرو على لسان شيذه ومبارزتهما وقتل(٣) شيذه وانهزام أفراسياب

ثم إن أفراسياب حمّل(٤) ابنه هذا رسالة الى كيخسرو ، وأمره بأن يعيّره أوّلا ويقبح عليه صنيعه ، ثم يقول : إن كنت قـد جنيت فى قتل سياوخش فما ذنب بيران وأخويه حتى يستوجبوا ما جرى عليهم من القتل الشنيع ؟ واعلم أنك مهما نسبتنى الى الشر والغدر وعيرتنى بهما فانما تعير نفسك . لأنك شعبة منى وغصن من دوحتى . فكِل قتالى وهذا الأمر الى كيكاوس وجوذرز . فان الحافد لا يحسن به أن يقاتل الجدّ . واعلم أنى لست أقول ما قلته مخافة منك ، فانى أكثر منك عسـكرا ، وأوفر عتادا وعدّة ، بل تحرّجا من قتـل من يكون بريّا من الفريقين . وإن كنت تأنف من الانصراف دون لقائى ، وترى ذلك عارا فصالحنى وعاهدنى لأكون لك فى ممالك توارن كالأب ، ويكون أولادى ٩٠
لك كالأخوة ، وأفرج لك عما فى أيدينا من ممالك ايران ، وأنفذ اليك ما يفوت العدّ والحصر من الخزائن والذخائر والخيل والأسلحة . وفى ذلك حسم مادة هذه الفتن . وإن كنت تأبى ذلك وتلقى الى الشيطان قيادك ، وتصر على إرادة القتال فابرز الىّ وحدك لأبرز اليك وحدى ونتلاقى ؛ فان قتلتنى

(١) ك ، كو : قد أقبل . (٢) صل : خمس بنين . (٣) ك : ومقتل . (٤) ك : قد حمل .

فالدنيا أمامك، وعساكرى عساكرك، وأولادى أقاربك . وإن قتلتك فأمراؤك إخوانى، وأصحابك أصحابى أبسط عليهم ظلال الأمان وأتلقاهم بالعطف والإحسان . وإن كرهت مبارزتى فهذا ولدى شيذه يبارزك على الصفة المذكورة . وإن كنت لا ترى ذلك أيضا فموعدنا للقتال غدا عند تبلج الإصباح. يتبارز المبارزون من الجانبين، وبعد غد يكون القتال العام حتى نبصر لمن يكون الظفر، وعلى أى جانب يميل القدر» فاستصحب(١) شيذه ألف فارس وأقبل حتى اذا قرب لقى بعض أصحابه بعض طلايع الايرانيين فتقاتلوا فاستكفهم شيذه ثم صاح ببعض المتقدّمين من الطلائع وقال : بلغوا كيخسرو أنه قد وصل رجل مذكور اسمه شيذه ومعه رسالة اليه من جدّه أفراسياب . فتسارعوا الى إعلام الملك بذلك . فاستحيي الملك من مشافهته وقال : هو خالى . فأنفذَ قارن اليه وأمره بأن يبلغه سلامه، ويسمع رسالته، ويعلمه بها . ففعل قارن ذلك، وعاد بما سمعه منه من الرسالة وعرضه على الملك . فتبسم وقال : إن أفراسياب قد قرع سن الندم على عبور جيحون وهو يريد(٢) أن ينفلت من حبالتنا بالحيلة والخديعة فجاء يفزعنا بكثرة جنوده وجموعه، وأرى أن أخرج اليه بنفسى فأبارزه» . فمنعه أصحابه من ذلك وقالوا : لا ينبغى أن يغتر الملك بكلام هذا الساحر ويتخدع لاحتياله ويلقى(٣) بنفسه الى التهلكة . وأما مبارزة شيذه فإنك إن قتلته فغاية ما فيه أن ينقص فارس من الترك، وإن أصيب الملك، وحاشاه، من ذلك بمكروه فمن يسدّ مكانه من الكيانية ؟ ومن يتحلى بتاج الملك ويتسنم سرير السلطنة ؟ فعند ذلك فلا يبقى من ممالك إيران عين ولا أثر، ويأتى القتل والأسر على أهلها فلا يبقى منهم أحد. بل الرأى أن تجيبهم الى الصلح وتقبل منهم ما يبذلون من الخزائن والأموال، وتسترد منهم البلاد التى كانت لنا» . فاستصوب جميعهم هذا الرأى، وتراضوا به إلا رستم فإنه لم يوافقهم على ذلك، وأبى أن يكون غير السيف فيصلا . فسكت الملك ساعة ثم قال : ليس من الرأى أن نرجع من وجهنا هذا الى إيران غير موفين بما أبرمناه من العهود والمواثيق فى(٤) الأخذ بثار سياوخش . واذا فعلنا ذلك فبأى ناظر نبصر وجه كيكاوس، وبأى شىء نعتذر اليه ؟ وما لكم قد ضعف قلوبكم؟ وفيم اصفرت وجوهكم بقول تركى خدّاع جاءنا يزعم أنه يطلب مبارزتنا ؟ ثم قال : إن شيذه هذا فارس شجاع قد ألبسه أبوه سلاحا من السحر والشر والحيلة والمكر ليس يطيق أحد منكم مقاومته ومبارزته، ولا يؤثر سلاحكم فى عدته وجنته . وليس أحد غيرى يتمكن من الوقوف قدّامه، ولا ينبغى أن يكون قرن حافد أفريدون غير ابن كيقباد . وإنى اذا بارزته فجعت به أباه أفراسياب كما فجع هو كيكاوس بسياوخش» . ثم أمر قارن بأن يبلغ شيذه جواب رسالة أبيه، وقال

(١) طا : قال فاستصحب . (٢) صل : وقد يريد . والتصحيح من لك، كو، طا . (٣) لك، كو، طا : فيلقى
(٤) لك : من الأخذ .

له : قل له ليقول لأفراسياب إن المطال بالحرب قد طال، وما هـذا من عادة الرجال فى القتال . ولا حاجة بنا الى أموال جمعتموها من الظلم والعدوان، واكتسبتموها من البغى والطغيان . على أنها مع رجالك وتختك وتاجك صائرة الىّ إن ساعدتنى السعادة . وأما ما ذكرت من مبارزتى لشيذه فهو غدا ضيفى عند الصباح، وسيرى آثار سطوتى عند الكفاح . واذا ظفرت به يكون ما أمرت به من تبارز المبارزين من الجانبين على الخصوص ثم يكون بعده القتال بين الجمعين على العموم . فامتثل قارن الأمر، وبلغ شيذه ذلك فعاد الى أبيه فبلغه جواب كيخسرو . فعظم عليه وانزعج له وتذكر المنام الذى كان قد رآه فيما مضى من الزمان، على ما سبق ذكره فى موضعه[1]، وأمر شيذه بأن يمسك عن القتال يومين وبألا يبارز كيخسرو، فلم يطعه . ولما أصبح لبس عدّته وركب ودفع علمه الى فارس آخر، وأقبل حتى دنا من عسكر إيران . فلما أعلم الملك كيخسرو بذلك ظاهر بين جُنَنه وركب ودفع علمه الى رُهّام بن جوذرز، وأمر عساكره بحفظ مواقفهم وملازمة مواضعهم، وركل فرسه بِهزاد، وبرز الى قرنه . فتوافقا على أن يعدلا عن الطريق ويتحازا الى مكان بعيد من الصفين، وتحالفا على أن الغالب منهما لا يتعرض لحامل راية صاحبه بسوء، وذهبا الى موضع خال فى سفح جبل فتطاعنا الى أن استوى النهار، وتقصفت رماحهما فعدلا الى العمد وتضاربا بها زمانا طويلا . ثم ان شيذه لما قاسى شدّة مراسه وذاق مرارة باسه وشاهد قوة بطشه دمعت عينه وخاب ظنه وعلم أن فى طينة الرجل قوى إلهية وأن معه سعادة سماوية . فداخله الرعب[2] . وقد عطش فرسه حتى كاد يتلف . فاحتال وقال : أيها الملك إن الرجال كثيرا يتطاعنون ويتضاربون . وإنما أريد أن نترجل حتى نتصارع . فقال الملك : إنى لم أسمع أن أحدا من الملوك الكيانية قاتل راجلا[3] . ولكن اذا كانت نفسك تميل الى ذلك فلا أخالفك» . فنزل بعد أن منعه رهام، وسلم فرسه اليه . ونزل شيذه، وتصارعا كأنهما فيلان يتصاولان أو جبلان يتناطحان . ثم غلبه كيخسرو وأخذه ورماه الى الأرض حتى تناثر فقار ظهره، فاستل خنجره وشق صدره ثم رق له فتنفس الصعداء . وعاد وركب[4] موجع القلب، وقال لرهام : إن هذا الفارس الخفيف الرأس كان خالى، فأشفقوا عليه، واعملوا له ناووسا على آيين الملوك» . فبادر حامل راية شيذه الى الملك وسجد له وسأله الأمان فآمنه، وقال : بلغ الى أفراسياب ما جرى على ولده .

(٩١) وكان أمراء الأتراك ينتظرون رجوع شيذه فأتاهم ناعيا له فشق أفراسياب عند ذلك الثياب، وأخذ يذرف من محاجره الدماء، وينتف لحيته البيضاء . ولما كان الغد اصطف الفريقان فخرج قارن

(١) أنظر المتن ص ١٦٣ (٢) صل : تداخل . والتصحيح من ك، كو، طا . (٣) صل : رجلا . والتصحيح من طا .
(٤) ك : فركب .

وكُستهم من الايرانيين وخرج جهن بن أفراسياب من ذلك الجانب فتناوشوا الحرب من أوّل النهار إلى وقت الغروب، ولم يتحرّك الملكان من موضعهما . ولما غابت الشمس رجع كلا الفريقين الى مضاربهم وباتوا طول ليلهم فى تدبير الحرب .

ولما طلعت الشمس من اليوم الثالث، وكان طلوعها من برج الثور، التقى الجمعان جمع، وكانت وقعة لم يسمع أن مثلها كان على وجه الأرض . ثم أن الدبرة وقعت على التورانيين، وكثر فيهم القتل . ولما ألقت الشمس يدها فى كافر جاء كرسيوز أخاه أفراسياب فصادفه قد خاض غمرة الحرب بنفسه، فاستكفه . فانصرف بمن معه الى مخيمه، واحتال للهرب من ذلك المكان، وأمر مناديه أن يقول : إنما ننصرف لهجوم الظلام، وسترون صنيعنا بكم فى غد . ولما أظلم الليل أركب عشرة آلاف من الفرسان على رسم الطليعة وقال: اذا علمتم منى بعبور الماء فبادروا العبور ورائى . ثم ركب فى أصحابه ومن بقى من أولاده وخواصه وعبر جيحون . وتتابعت خلفه بقايا العسكر .

ولما طلع الصبح جاء البشير الى الملك كيخسرو بانهزام أفراسياب وتخليته الخيم قائمة بحالها، والأثقال باقية فى مكانها . فجلس على التخت معتصبا بالتاج، ودخل عليه الملوك والأمراء يهنئونه بالفتح (والنصر. فأمر بانهاء الحال الى كيكاوس فكتبوا اليه كتاب الفتح[1]) وذكروا فيه ما جرى على التورانيين من القتل والأسر، وأنهم قد عبروا الماء منهزمين، وأدبروا على إقبالهم نادمين .

وأما أفراسياب فإنه اتصل بابنه قراخان فتشاوروا[2] . واتفقت آراؤهم على أن يرجعوا وراءهم وينزلوا من وراء الشاش فى موضع حصين . حتى اذا أتاهم كيخسرو قاتلوهم على[3] قوة ومنعة . ففعلوا ذلك وساروا الى مدينة يقال لها كُل زرّيون فأقام بها أفراسياب ثلاثة أيام حتى استراح من وعثاء السفر وما لاقاه من المشاق والتعب . ثم رحل وسار الى[4] أن نزل فى جنة كنك § التى هى دار ملكه ومستقر تخته وأقام بها الى أن هجم عليه كيخسرو وعلى ما نذكره .

---

§ تقدّم أن سياوخش بنى كنك دِز أى قلعة كنك . ويظهر أنها جنة كنك المذكورة فى هذا الفصل . ووصف الشاعر الثانية يقارب وصفه الأولى .

وأما كنك دز الآتى ذكرها فى هذا الفصل والتى وصفها الشاعر وراء البحر فلا تشبه كنك دز الموصوفة فى فصل سياوخش . ولعل الشاعر لفق قصتين مختلفتين بعض الاختلاف فذكر جنة كنك ثم كنك دز أى قلعة كنك[5] .

(١) ما بين القوسين من ك، كو، طا . (٢) ك : فتشاوروا . (٣) ك، كو، طا : عن . ك : قاتلوه
(٤) ك : حتى نزل . (٥) انظر حاشية ص ١٥١ و ١٥٢

ذكر عبور الملك كيخسرو الى ما وراء جيحون وما تيسر له من الفتوح بعد ذلك

قال : فعبر كيخسرو جيحون بعساكره مع كثرتها، وسار . ولم يكن يخلو كل منزل ينزله من طائفة من التورانيين يلقونه ويسألونه الأمان ويتابعونه[1] . ولما وصل الى السغد أطاعه أهلها، ونزل بها وأقام فيها شهرا، ونظر فى أحوال عساكره وتفقدهم، وفرّق عليهم أموالا كثيرة وأعطاهم عطايا وافرة. ثم ارتحل منها مشرئبا نحو أفراسياب وقاصدا قصده، وأمر أصحابه بأن يكفوا يد العدوان عن كل من يتلقاهم بالطاعة من أهل تلك البلدان، وأن يقتلوا من يقاتلهم منها . فامتثلوا أمره، وكانوا يقصدون[2] القلاع والمدن فما كان منها يمتنع أهلها عليهم سلطوا عليهم يد القتل والنهب، وعليها يد الخراب والهدم . وقطع مسافة مائة فرسخ وذلك دأبهم وصنيعهم، حتى انتهى الى مدينة كُل زرّيون فتأهب أفراسياب عند ذلك للقائه وخرج بعساكره . وزحف اليه الملك كيخسرو بجموعه وجنوده فالتقوا وقامت الحرب بينهم على ساق، وجرت وقعة عظيمة . فلما احمر البأس تنحى الملك ونزل، ونحى التاج عن رأسه وخر ساجدا يدعو الله تعالى ويبتهل اليه ويسأله النصر على عدوّه، فثارت ريح عاصف تحثو (التراب فى وجوه[3] التورانيين حتى ملأت عيونهم . وكان أفراسياب اذا رأى واحدا من أصحابه قد انصرف (من المصاف)[4] ضرب رقبته . وتتابعت عليهم عصفات الهواء الى أن جنّ الليل وقد قتل من الترك خلق وأسر خلق . فانحاز كل واحد من الفريقين ونزلوا فى مضاربهم وأوقدوا النيران وجعلوا يتصايحون ويشغبون ويدقون الكوسات والطبول . قال : وكان الملك كيخسرو قد نفذ من كل زرّيون رستم لقتال قراخان بن أفراسياب، وكستهمّ لقتال بعض أمرائه . فورد فى هذه الليلة البشير بخبر[5] ظفر رستم وأنه لم يفلت من ذلك العسكر غير قراخان وحده . وانتهى الخبر أيضا الى أفراسياب بما جرى على ولده فركب فى جنح الليل وترك مضاربه وخيمه على حالها وهرب .

فلما قرب من دار ملكه شاور بعض وزرائه فى نزوله فأشار عليه بأن يدخل المدينة ويتحصن بها، وقال : إن لك مثل هذه المدينة التى طولها ثمانية فراسخ فى عرض أربعة فراسخ، وهى مملوءة بالعدد والأموال والأسلحة، وعليها سور لا يقدر العقاب أن يعلوه ، يرى من شرفاتها الراجل من مسيرة عشرين فرسخا ، وفيها ذخائر كثيرة ومياه غزيرة فلا تعدل عنها . فاستصوب رأيهم ودخلها .

(١) ك : ويبايعونه . (٢) لفظ «يقصدون» من ك، كو، طا . (٣ و ٤) مابين القوسين من ك، لو، طا .
(٥) ك، طا : يخبر بظفر .

وكان له فيها قصر رفيع يكاد يمس السماء علوا ، وفيه إيوان شاهى . بجلس فيه وأذن للناس إذنا عاما بالدخول . ففتح أبواب الخزائن وفرّق على الناس أموالا[(١)] ، وأمرهم بالإعداد والاستعداد . وجعل الطلائع والحفظة على طرق البلد . وكتب الى بغبور ملك الصين يستنجده ويستنصره ويسأله أن يمدّه بنفسه، وإن لم يمكنه ذلك فبعساكره . ثم نصب العرادات والمجانيق على أبراج[(٢)] المدينة وشحنها بالرماة وآلات الحصار، وأمر فعملوا كفوفا محجنة من الحديد فشدّها على رءوس رماح طوال ورتب لها قوما يجترون بها من يقرب من السور . ثم جلس يشرب غير مفكر فى عدوّه .

قال : ثم وصل الملك كيخسرو فى عساكره فرأى مدينة حصينة متصلة من أحد جانبيها بجبل ليس اليه طريق ومتحصنة من الجانب الآخر بواد عميق وماء كثير . فخيم على ظاهرها فنزل رستم على الجانب الأيمن من المدينة، ونزل فرى برز بن كيكاوس على يسارها ، ونزل جوذرز على جانب[(٣)] من
(٩٢) المدينة . ولما جنّ الليل قامت القيامة من خفق الطبول ونعرات الحرس من جميع أطراف البلد . وحين أصبح الملك كيخسرو ركب وطاف فى[(٤)] العسكر وقال لرستم : إن أفراسياب قد فرق الرسل فى الأطراف يستنجد الملوك ، وقعد متحصنا بهذه المدينة . والرأى أن نجدّ ونجهد[(٥)] حتى نفرغ من أمره وأخذ بلده قبل وصول مدده . وظلوا سحابة يومهم ذلك يجيلون الآراء ويتشاورون . ولما كان الغد فتح باب المدينة وخرج جهن بن أفراسياب رسولا الى الملك كيخسرو . فلما قرب من باب سرادقه وأعلم الملك بمجيئه أمر منوشان أحد أصبهبذيته فخرج اليه وأخذ بيده ودخل به . فلما قرب من خدمة الملك حياه وسجد ثم رفع رأسه ودعا له ، وهنأه بمقدمه الى تلك الممالك . ثم قال : إن معى رسالة من أبى فإن أذن الملك أوصلتها الى مسامعه الكريمة . فأمر الملك فنصبوا له بين يدى تخته سريرا من الذهب وجلس عليه، فقال : إن أفراسياب يقول : الحمد لله الذى أعلى راية ولدنا الذى ينتمى بأبيه الى كيقباذ ومن أمه الى تور ، وأدخل فى طاعته ملوك الأرض أجمعين ، وملكه نواصيهم شرقا وغربا وبعدا وقربا . ثم إنى متعجب مما أوقعنى فيه الشيطان حين غير رأيى فى ابن كيكاوس بعد حنوّى وشفقتى عليه، حتى جرى ما جرى من هلاكه على[(٦)] يدى . وأنا من ذلك جريح القلب سليب النوم . وما أنا قتلته ولكنّ الشيطان قتله . وليس[(٧)] ينفع الندم بعد أن زلت القدم . وأنت الآن ملك عاقل متأله . فانظر كم خرب فى هذه الوقائع من البلاد ؟ وكم قتل فيها من العباد ؟ حتى

(١) ك، طا : أموالا كثيرة . (٢) ك : على أبراج سور . (٣) ك، كو، طا : على جانب آخر ولما الخ .
(٤) ك، كو، طا : على . (٥) ك، كو: نجتهد . (٦) صل : على ذلك . والتصحيح من كو ، طا ، ك .
(٧) صل : وليس أن . والتصحيح من ك ، طا .

لم يبق فى هـذه المملكة الفسيحة ضيعة معمورة ولا بلدة مسكونة . فلا[(١)] تغفل عن تصاريف الزمان وبوائق الحدثان. والحظ حصولك فى هذا الفضاء وسعته، وحصولنا فى ضيق هذا الحصار وشدّته . ثم اعلم أنى مستقر فى هـذه المدينة وهى جَنّتى ، وقد شـيدتها حتى صارت دون الخطوب جُنتى ، وهى دار ملكى ومسـتقر سرير سلطنتى ، وفيها زرعى وحصادى وعدّتى وعتادى . وأما أنت فنازل تحت السماء فى هذه الصحراء . وزمان الصيف قد انقضى . وغدا يهجم الشتاء وتتتابع الأنداء حتى تجمد الاكف على الرماح ومقابض الصفاح . وإن كنت تخال أنك تأخذ ممـالك الصين ، وتطبق السماء على الأرض، وتقبض علىّ وتأسرنى فهـذا خيال محال . فإنه اذا التقت حلقتا البطان واشـتدّ[(٢)] الأمر حلّقت شهابا فى أعنـان السماء ، وركبت بحر كيال[(٣)] ، وعبرت الى القلعة المعروفة بكنك دِز ، وخليت بينك وبين هذه الممـالك . حتى اذا علمت أن السعادة قد أقبلت علىّ والزمان قد اعتذر الىّ نزلت وحشدت جنـود البر والبحر ، وانتقمت منك . وإن أنت أخرجت الخلاف من راسك ، وأقصرت عن شماسك فتحت لك أبواب الخزائن التى ضنّ بها تور على إيرج، وألقيت اليك مقاليدها، ثم كنت لك فى كل حادث عونا وظهيرا ، ولم أسمك إلا ملكا كبيرا . وإن لم تقبل ما ذكرت فافعل ما تشاء . قال : فلما فرغ جهن من أداء الرسالة تبسم الملك كيخسرو وقال له : قل لأفراسياب : أما شكرك على انتظام أحوال مملكتنا واتساق أسباب دولتنا فإن ذلك من فضـل الله الذى آتانا ذلك منى وموحدا ، وإنا لنرجو فوق ذلك مصعدا . ثم إنك ذو بيان سحار ولسان غرّار ، مع أنك غير طاهر القلب ، ولا ناصح الجيب . وكل من كان يتحلى بمكارم الخلال فينبغى أن يكون الفعال منـه أحسن من المقال . ولم يستطع أفريدون أن يصير نجما فى السماء ولا أن يعلو شـبرا فى الهواء . وأنت تزعم أنك تصير فى السماء نجما ، وتطير فى الجوّ سعيا ، ولست تستحى من هذا الكلام . وليس يخفى على الناقد البصير والعالم الخبير هذه الأقاويل المموّهة والأكاذيب المزخرفة . ثم ذكر صنيعه بأمّه بعـد قتل أبيه سياوخش من ضربهـا بالسياط طلبا لأن تسقط وهى حامل به ، مع غير ذلك مما سبق ذكره . وذكر أيضا تسليمه الى الرعاة مع ما اتصـل به من سوء معاملته إياه ، على ما سبق شرحه . ثم قال : ولم تزل من عهد منوجهر الى هذه الغاية سيئ الظن خبيث الباطن وقد ورثت[(٤)] هذا الخبث من تور . فقتلت الملك نوذر وقتلت أخاك إغريرث . وأما حوالتك فعلك بسياوخش على تسويل الشيطان وتغريره فإن الضحاك وجمشيذ لمـا أيسا من الحياة تعللا أيضا بهذه العلة فلم ينفعهما ذلك

(١) ك ، طا : ولا تغفل . (٢) طا : واشتدّ بى الأمر . (٣) ك : كهاك
(٤) ك : قد ورثت .

(ولم تنصرف عنهما بوائق الزمان باعترافهما بطاعة الشيطان[١]) وكيف أصدق مقالك وأنا ذاكر أفعالك؟ ثم إنه ليس بيني و بينك إلا السيف . والسلام .

قال: وخلع على جهن وأعطاه تاجا مرصعا بالجواهر وأعطاه قرطين وسوارين، ورده الى أبيه . فلما وقف أفراسياب على جواب الرسالة احتد واحتدم وأمر العساكر بالإعداد فكانوا طول ليلتهم فى أخذ الأهبة للقتال . ولما طلع الصبح دقت الكوسات والطبول فركب الملك كيخسرو وأمر رستم وكُستهم وجوذرز فركبوا من الجهات التى تليهم، فعملوا خندقا حوالى معسكرهم خوفا من البيات واهتبال الأتراك الغرة فيهم . فطاف الملك حول المدينة، وأمر فنصبوا على كل باب من أبوابها مائتى عرّادة ومائتى منجنيق، ووكّل بكل واحد منها جماعة من المقاتلين ، ورتب مائتى فيل لنقل الأعواد والأخشاب ، ورتب على كل باب مائتى رام من الرماة عن الجرخ . ثم إن النقابين تمكنوا من السور فعلقوا الأبراج من جوانب المدينة. وتنحى الملك[٢] الى ناحية من الصحراء، ونزل وسجد لله تعالى وسأله أن ينصره ويخذل عدوّه ويسهل عليه الفتح ويعجل له الظفر. ثم عاد ولبس جوشنه، وأمر الأمراء الموكلين بجوانب المدينة بصدق اللقاء وإفراغ الوسع فى الكفاح. وأمر بإفراغ النفط على الأخشاب التى علق عليها الأبراج وطرح النار فيها، وبإعمال المجانيق والعرادات معا على توافق وترادف. فانهدم ركن من أركان المدينة ، وحصلت به ثلمة فبادرها رستم بأصحابه . وبلغ الخبر بذلك الى أفراسياب فأرسل الى تلك الثلمة معظم عسكره وأمدّ كيخسرو رستم بالرجالة الكثيرة ثم بالفرسان. فجرت عند ذلك وقعة عظيمة. فصعد رستم فى الثلمة الى السور، ونكس راية سوداء كانت عليه من رايات أفراسياب، ونصب عليه علم الملك كيخسرو، وأسر جهن بن أفراسياب وكرسيوز أخاه . وهما البهلوانان اللذان كان جدّ التورانيين بهما صاعدا، وجمرهم واقدا . فدخل الايرانيون الى المدينة وبسطوا فى أهلها يد الأسر والقتل والغارة والنهب . فارتفع بها ضجيج الرجال وصياح النساء ، وجعلت الفيلة تدوسهم بأخفافها وتخطفهم بخراطيمها وأنيابها . فصعد أفراسياب فوق قصره وأشرف على المدينة، وشاهد ما جرى[٣] فيها فنزل وبكى على مسكنه ، وودّعه وخرج من باب سرّ فيه تحت الإيوان الى الصحراء فى جماعة من أصحابه وخواصه . ومضى ولم يعرف له خبر، ولا وقف منه على أثر. ثم صعد كيخسرو فى الحال الى ذلك القصر المنيع، ودخل الى الإيوان الرفيع وجلس على تخت جدّه بسعادة جدّه، ونقب عن أفراسياب ، وسأل أخاه كرسيوز وابنه جهنا عن مهربه ليغذ فى أثره فلم يخبر بشىء من ٩٣

(١) ما بين القوسين من ك ، كو، طا .
(٢) ك ، كو ، طا : الملك كيخسرو
(٣) ك، طا : ما يجرى .

ذلك.فاستدعى المرابذة والثقات، وجعلهم على خزائن أفراسياب، وأمرهم بحفظ مستودعاتها، وأوصاهم بألا يخلّوا أحدا يقرب من أبواب حجره، ولا أن يسمع أحد صوت أحد من حرمه. وأنفذ من يحتاط على خيله، وأمر الحفظة بضبط أسبابه ومخلفاته . وأمر بألا يتعرض لأقربائه بسوء ولا يصابوا بمكروه، فعلَ من ملك فأسجح، وقدر فأعتق، وأسر فأطلق . فقال الإيرانيون بعضهم لبعض : كأن كيخسرو جاء الى ضيافة أبيه، ونزل بين أهله وذويه . فما باله لا يضع فيهم سيف الانتقام، ولا يدير عليهم كأس الحمام ؟ ولا يهدم القصر والايوان، ولا يطرح فى مساكن عدوه النيران ؟ وشاع هذا الكلام فاستدعى وجوه العسكر وعقلاءهم وقال : لا يجوز استعمال العنف والشدة فى كل موطن . والعدل أولى بنا فى طلب الثار، وحقيق بنا طلب حسن الأحدوثة عند الاقتدار . فإن الذكر الجميل خير ما يخلفه المرء فى هذه الدنيا الفانية . ثم أمر فى السر بدخول حرم أفراسياب عليه . فدخلت عليه زوجته، وكانت ملكة نساء توران، ومعها بناتها الأبكار كأنهن الأقمار، وعلى رءوسهن أكاليل الياقوت، وبأيديهن أطباق من الذهب مملوءة بالمسك والعنبر، وهن نواكس الأبصار خواضع الأعناق هيبة له . فتقدّمت الملكة وسجدت له وأجهشت بالبكاء وانتحبت وقالت : أيها الملك! ارحم من لم يعوّد غير الترف والدلال، ولم يتقلص قط عنه ظل الشرف والجلال . ما أحسن ما كان يكون لو قدمت الى ممالك توران وأنت غير موتور ولم يكن سياوخش مقتولا، ولكن قضى الله أمرا كان مفعولا . وإن أفراسياب لم يترك للصلح موضعا . وقد أراق بسوء صنيعه ماء وجهه فليس يستطيع أن ينظر اليك . وكم نصحته فما نفع، ووعظته فما ارتدع . والله شاهد لى أنى بكيت بين يديه غير مرة من أجل سياوخش . وكذلك ولدى جهن أسيرك وقريبك . وكم قرعنا مسامعه بالتخويف والإنذار فى معناه فتولى وأعرض حتى أتاه مثل هذا اليوم فقلب ملكه ظهرا لبطن، وعكس عليه كل أمر » . ولم تزل تتضرع اليه وتخضع له وتلطف فى كلامها حتى رق لها الملك ومن حضر من الأمراء . فأمّنهن وصرفهن الى خدورهن وأحسن اليهن . وأمر العساكر بأن يكفوا أيديهم عن القتل والأسر والنهب، وألا يتعرّضوا لأهل بيت أفراسياب . ثم أمر بأن يفرق عليهم جميع ما حصل من المغانم وذخائر الملوك التورانية عامة، سوى خزائن أفراسياب خاصة، فإنها كانت صفية الملك من المغنم . وانثال على حضرته أمراء الترك من جميع النواحى والأطراف باذلين السمع والطاعة، منسلكين فى سلك الخضوع والضراعة . فقبلهم وحقق آمالهم . ثم أقطع أصبهبذيته وأمراءه بلاد توران، وأعطى كل واحد منهم ناحية منها . وأقام فى جنة كنك ملكا مطاعا، وأضحى[1] ملوك تلك

(١) طا : وقد أضحى .

الأقاليم له أتباعا وأشياعا . فكتب الى كيكاوس كتابا بالفتح، وأنهى اليه ما يسر الله له من النصر، وقيض لعدوّه من الخذلان والخزى .

ولم يزل مقيما بهذه المدينة مواصلا بين أسباب اللهو والطرب إلى أن طلعت طلائع الربيع الناضر، وتصرمت مدّة الشتاء الباسر . وكان قد فرق العيون والجواسيس فى جميع الأطراف ليؤتى بخبر أفراسياب . فجاءه(١) الخبر بدخوله إلى خُتَن و بلاد الصين، وأنه استنجد الخاقان وبغبور، وأنه مقبل فى الطِّم والرِّم وجموع كالليل المدلهم، فتراجع إليه من عساكره جميع من كان قد استأمن إلى الملك كيخسرو . فتجهز الملك عند ذلك للقائه، وأخرج الطلائع، ورتب العساكر . وأمر جوذرز ابن كشواذ وولده فرهاذ وغيرهما(٢) بالتيقظ والتشمر . وخرج من كنك وسار بعساكره حتى نزل على مرحلتين من مخيم أفراسياب فأقام أسبوعا يعدّ ويستعد . ثم إن أفراسياب زحف إليه . وأتاه الخبر بذلك فصف عساكره على أحسن ترتيب وتعبية . ووصل أفراسياب وصف صفوفه بإزائه . ثم أرسل الى كيخسرو رسولين برسالة تشتمل على التماس المصالحة والمسالمة والإمساك عن إراقة الدماء، على أنواع من الأموال كثيرة يبذلها له(٣) . والتمس على تقدير عدم الإجابة الى ذلك أن يخرج اليه كيخسرو بنفسه فيبارزه على الصفة المعتادة فى التبارز فى كلام طويل . فلم يجنح الملك كيخسرو الى السلم، وأبى إلا الحرب، وعزم على إجابته الى ما التمس من مبارزته بنفسه، فمنعه رستم من ذلك وقال : لو كانت الملوك تبارز بعضهم بعضا، و يقاتل أحدهم خصمه بنفسه لم يكن بهم حاجة الى جمع العساكر وجر الجحافل . فردّ اليه فى الجواب أن عندنا من يصلح لمبارزتك ومقاومتك غيرى وهو إما رستم بن دستان أو جيو بن جوذرز . فمن اخترت مبارزته منهما فهو بين يديك . فلما سمع أفراسياب ذلك الجواب عظم عليه، واضطر الى الحرب . فتزاحف الفريقان، والتحم القتال بينهم من أوّل النهار الى وقت الغروب، ثم رجع كل واحد من الفريقين الى مخيمهم . واستدعى الملك كيخسرو رستم وطوسا وجوذرز وجيوًا وقال : إن أفراسياب يبيتنا الليلة فاكمنوا له، فأمر رستم بأن يركب فى جمع كثيف ويكمن فى ناحية السهل، وأمر طوسا أيضا بأن يكمن فى جمع آخر فى ناحية الجبل، وأمر العسكر فحفروا فيما يلى التورانيين ٩٤
حفيرة وجعلوا فيها الماء، وأمر الحرس بألّا يوقدوا النيران ولا يرفعوا أصواتهم تلك الليلة . وركب ووقف بنفسه مع الفيلة والعساكر من وراء الحفيرة . فلما أظلم الليل نفذ أفراسياب جواسيسه فرجعوا(٤) وأخبروه بأنهم لم يروا للايرانيين حسا، ولم يسمعوا لهم همسا . كأنهم شربوا طول نهارهم

(١) ك : بجاء الخبر . (٢) صل : وغيرهم . (٣) ك : له (لا)
(٤) ك ، كو ، طا : فرجعوا اليه .

المدام حتى حالفوا ليلهم المنام . فارتاح لما سمع واستحضر رءوس الأجناد، وذكر لهم ما ابتلى به من الإيرانيين وتسلطهم عليه ، وقال : الرأى أن نهتبل الليلة غرتهم وندوسهم بحوافر الخيل ، ونبيتهم عند ركوب الصباح أعجاز الليل . فاختار منهم خمسين ألف فارس ممن نجذتهم الحروب وضرستهم الخطوب ، ووجههم لذلك . فلما قربوا من معسكر الايرانيين خرج عليهم رستم من أحد الجانبين، وخرج اليهم طوس من الجانب الآخر ، وتلقاهم الملك بالفيلة فيمن معه . فوضعوا فيهم السيف فلم يسمع غير صليل الصوارم فوق الجماجم ، وشهيق اللهاذم فى الصدور واللهازم . حتى لم يفلت منهم من العشرة إلا واحد . فانزعج أفراسياب واضطرب ، وقال لأصحابه : الرأى أن نزحف اليهم ونصدمهم صدمة واحدة فإما مُلك وإما هُلك . فارتفعت أصوات الكوسات والطبول من الجانبين، والتقى الجمعان، والتحم القتال فى مسافة ثلاثة فراسخ . قال : فتلاطمت أمواج الدماء فى ذلك الفضاء . فثارت ريح عاصف لم يسمع بمثلها فكانت تحفر التراب وترميه فى وجوه التورانيين وتستلب لشدّتها البيض من رءوسهم . فعند ذلك حمل الملك كيخسرو مع رستم حملة صادقة أدرجت أكثرهم تحت القتل والأسر . فقطع أفراسياب عند ذلك رجاءه ، وثنى عنانه مع ألف فارس من أقاربه وخواصه ، وترك بقية عسكره بين أشداق المنون . وأخذ فى بعض عوادل الطرق سالكا طريق البرّية . ثم إن بقايا التورانيين لما فقدوا الراية السوداء من القلب ، وعلموا بهرب أفراسياب طلبوا الأمان من الملك كيخسرو ، ورموا الأسلحة . فعطف عليهم وآمنهم وأحسن اليهم . ورجع الى مخيمه فاعتزل من المعسكر ، وخلا بنفسه فى مكان خال ، ومثل قائما بين يدى ربه عزوجل يحمده ويدعوه ويشكره على ما أسدى اليه وأنعم به عليه ، من أول الليل الى أن طلعت الشمس . ثم رجع الى المعسكر ، وأمر بدفن من قتل من الايرانيين وجمع الغنائم وتفريقها على العسكر . ورجع الى مدينة كنك فأقام بها (١) . فجاءته رسل بغبور ملك الصين بالهدايا والتحف مستأمنا معتذرا عما صدر منه من إمداد أفراسياب ، ومتنصلا عن ذلك . فقبل الملك هداياه وآمنه وقال للرسول : قل لبغبور لا ترق ماء وجهك عندنا ، ولا تمكن أفراسياب من الاعتضاد بك والالتجاء اليك . فرجع الرسول الى بغبور وبلغه ما قال ، فأنفذ الى أفراسياب وقال له : تباعد عن ممالك الصين ، ولا تقربن هذا الإقليم . فخاب عند ذلك ظنه ، وهام على وجهه الى أن وصل الى جبل اسبروز ، ورجع (٢) منه سائرا

(١) طا : فأقام بجاءته . (٢) لك ، طا : فرجع .

حتى وصل الى بحر زره § فركب السفن بمن معه وتوجه راكبا لجة البوار ، تسوق مراكبه دبور الإدبار الى أن حصل فى قلعة كنك دِز فاستلقى فيها آمنا ، وأقام بها ساكنا . وقال : إذا أحسست من طالعى بسعادة عبرت وحشدت وطلبت بثأرى . قال : ولما علم كيخسرو بذلك قال لأصحابه : إن العدوّ قد عبر الماء وحصل فى مأمن ، ولا بدّ لنا من أن نشحن بلاد الصين وبلاد مُكران بالعساكر ، ونركب البحر ونتبع أثره ونقصد قصده . فساء الأمراء ذلك واهتموا من أجله ، وقالوا : كيف يمكن العبور بهذا العسكر العظيم على بحر لا يقطع على تقدير السلامة ، فى ستة أشهر ؟ فصار كل واحد منهم يقول شيئا . فأقبل عليهم رستم وقال : أيها السادات الأكابر ! لا ينبغى أن تؤثروا[1] الراحة فيضيع سعيكم وينتعش العدوّ فيعظم الخطب . وحثهم ووعظهم . فقاموا فى حضرة الملك وقالوا : نحن كلنا عبيدك المخلصون ولأوامرك فى البر والبحر ممتثلون . ففرح الملك وشكرهم وأثنى عليهم وأحسن اليهم ، وعزم على الرحيل ، كما سيأتى ان شاء الله تعالى .

---

§ تقدّم أن جن مازاندران أسروا كيكاوس عند جبل اسبروز فهو اذا أحد جبال مازندران[2] ومن الأنهار التى تصب فى بحر قزوين نهر اسبيذروذ . ولعل "اسبروز" محرّفة عن "اسبيذروذ"[3] فالبحر الذى يسمى هنا بحر زره ينبغى أن يكون بحر قزوين . وقد سماه أفراسياب فى هذا الفصل بحر كيماك[4] . ويقول المسعودى عن بحر قزوين : « ومما يصب الى هذا البحر من الأنهار العظام المشهورة نهر أرتيش الأسود ونهر أرتيش الأبيض . وهما عظيمان يزيد كل واحد منهما على دجلة والفرات . وبين مصبيهما نحو من عشرة أيام . وعليهما مشتى ومصيف الكيماكية والغزية من الترك » . وهذا يرجح أن بحر كيماك هو بحر قزوين أو نهر يصب فيه .

وتسميته هنا بحر زره وهم من القصاص ، ظنوه اسم بحر بعينه . و"زره" فى اللغة القديمة معناه بحر .

ثم يجد القارئ فى فرار أفراسياب وتعقب كيخسرو إياه خلطا جغرافيا كالذى تقدّم فى طواف كيكاوس ومسيره الى اليمن (هاماوران[5]) .

(١) صل : تؤثر . والتصحيح من ك ، طا . (٢) انظر المتن ص ١١٣ (٣) التنبيه والاشراف ص ٦٢
(٤) المتن ص ٢٨٤ (٥) المتن ص ١١٩

ذكر إنفاذ الملك كيخسرو جيوا بالأسارى والغنائم إلى خدمة كيكاوس، ودخوله الى الصين وبلاد مُكران، وركوبه البحر خلف أفراسياب

قال: وأمر الملك ففتحوا أبواب خزائن أفراسياب فأوقر ألف جمل من الذهب والفضة والجواهر والثياب . وأدخلوا عشرة آلاف ثور تحت العجَل وأوقروها بآلات الحرب . وأمر بإخراج مخدّرات أفراسياب جميعهنّ فى جنح الليـل بالعماريات والمهود الى الميـدان، وتجهيز مائة نفس من الأكابر الصّيد من أقارب أفراسياب ومائة نفس من أكابر أهل تلك الأقاليم من الذين كانوا رهائن عنده . ثم أمر بإخراج ولده جهن وأخيه كرسيوز بقيودهما، وحملهما فى المهود. وسلمهم جميعهم الى جيو بن جوذرز بن كشواذ وأمره أن يستصحب عشرة آلاف فارس ويسـير بهم وبجميع ما سـبق ذكره الى حضرة الملك كيكاوس . وكتب اليه كتابا ذكر فيه محاصرته لمدينة كنك، ومدّة الحصار، وكيفية الأخذ، وهرب أفراسياب، وأنه على جر الجحافل الى بلاد الصين ثم المصير منها الى بلاد مكران ليركب منها نحو كيماك ويتطلب أفراسياب حتى يظفر به . فسار جيـو على الجملة المذكورة . ولما وصل[١] الى حضرة كيكاوس وثب وتلقاه ومسح وجهه بيـده، وسايله عن أحوال ولده . فسرد عليـه جيوا جميع ما جرى له ثم[٢] أدخل الأسارى عليه . فأمر بإدخال المخدّرات الى ما وراء الستور . وأمر بأن يرتب لجهن بن أفراسياب موضع يليق به ليجعل محبسا له . نفعلوا ذلك ورتبوا له خدما يخدمونه . وأودعوا كرسيوز مطمورة مظلمة . وفرّق تلك المغانم على الفقراء والمحتاجين، وسألهم أن يدعوا للملك كيخسرو ويشكروه . ثم أمر بأن يكتب الى أطراف البلاد بفتح ممالك توران وجلوس الملك كيخسرو على سرير السلطنـة بها . ثم خلع على جيو وردّه الى الملك كيخسرو بجواب كتابه . فرجع جيـو الى حضرته وهو بعد بمدينـة كنك، ففرح بكتاب جدّه وجلس فى مجلس الأنس مع الملوك والأمراء ثلاثة أيام . ولما كان اليوم الرابع فرّق السلاح على العسكر، وخرج من المدينـة متوجها نحو الصين، وأقام كُستهم بن نوذر فى عسكر عظيم هناك . وسار الى أن وصل الى المدينـة التى بناها أبوه سياوخش فدخل بسـتانا كان له وجعل يتوجع ويبكى[٣] (فجاء الى الموضع الذى أفرغ فيـه دم سياوخش فطفق يبكى[٤]) ويتضرع الى الله تعالى ويسأله أن يمكنه من أفراسياب حتى يقتله ويفرغ دمه على الأرض على تلك الهيئة .

(١) ك : ولما حضر . (٢) ك : وأدخل عليه الأسارى . (٣) ك، طا : يبكى ويتوجع عليه
(٤) ما بين القوسين من ك، كو، طا .



الملك كيكاوس يستقبل كيو بن كودرز، وقد أرسله كيخسرو بشيرا بانتصاره فى توران .

[منقولة من كتاب مارتين رقم ٦٥ — عن نسخة من الشاهنامه كتبت للسلطان مرزا على الجيلانى، فى القرن التاسع الهجرى]

ثم أرسل رسلا الى الخاقان وبغبور وصاحب مُكران وغيرهم من ملوك تلك الأطراف، وأمرهم أن يبذلوا له الطاعة ويتلقوا مواكبه اذا قدم الى بلادهم، ويهيئوا لعساكره الأنزال فى المنازل. فقابلوا أمثلته بالامتثال، وتلقوا رسله بالإعظام والإجلال، وأظهروا السرور والابتهاج بملكه وسلطانه سوى صاحب مكران. فإنه استخف بالرسول وقال له: قل لصاحبك إن كنت تريد أن يفتح لك الطريق فمبذول لك ذلك. وإن كان فى نفسك قصد دار ملكنا ومقرّ عزنا فليس بيننا وبينك غير السيف. فلما رجع الرسول وأخبر الملك بذلك ساق العساكر وسار الى ختن. فاستقبله الخاقان وبغبور فى جميع أكابر الصين وقد ملأوا المنازل بالأنزال والتحف، فلما استأنس بغبور استضاف الملك فأجابه ودخل الى قصره فنثر عليه ثلاثين ألف دينار صينى. وأقام الملك ثلاثة أشهر هناك وبغبور وأكابر الصين قائمون بشرائط خدمته. ولم يكن يخلو يوم من أن يخدمه بهدية مستجدّة وتحفة مستطرفة. فلما استهل الشهر الرابع ترك رستم هناك وساق العساكر قاصدا قصد مكران. فلما قرب منها نفذ اليها رسولا بالإعذار والإنذار، فلم يجب صاحبها الى الطاعة. فقصده وسار اليها فوجد جميع ممالك التيز ومكران مملوءة من العساكر، فقاتلهم وقتل صاحب مكران مع ألفى فارس، وأسر منه ألفا ومائة وأربعين أميرا. وانهزم الباقون، وتركوا من المغانم والخيل والأسلحة والفيلة ما يفوت العدّ والحصر. فأتى الملك البلد، وبسط فى أهله يد القتل والنهب، وأحرقوا(١) الدور والقصور، وخربوا الحصون والسور، وسبوا الإناث وقتلوا الذكور. ثم اجتمعت عُبّاد تلك المدينة ومشايخها، واستغاثوا الى الملك وقالوا: نحن قوم ضعفاء لا جرم لنا، ولم نزل مظلومين. فإن تعطف الملك علينا فإنما يرحم قوما مساكين. فآمنهم الملك وكف عنهم يد القتل والأسر. وأقام سنة، واستحضر الصناع، واستعمل سفنا وزواريق كثيرة وأشار على أشكس بأن يقيم فى ذلك الإقليم، ويستقل فيه بالتدبير. وساق الجحافل وسار الى أن وصل الى ساحل البحر، فأمر بحمل طعام سنة كاملة. واعتزل هو الى موضع وسجد لله تعالى وتضرع اليه وقال: أنت مالك الثريا والثرى، والحافظ برا وبحرا. احفظنى وعساكرى وتاجى وتختى. وكان هذا البحر اذا سارت فيه السفينة ستة أشهر ردّتها الرياح المختلفة وألقتها الى موضع يسميه الملاحون فم الأسد، فيتعذر خلاصها منه. فجرت سفنه ومراكبه بسعادته على هدو وسكون من الماء والهواء. وشاهدوا فى البحر عجائب كثيرة كالأسود والثيران وإنس الماء بالشعور المتهدلة كالحبال متسربلين بالأصواف والأشعار لبعضهم رءوس كرءوس الجواميس ويدان من خلف ورجلان من قدّام. وآخرون رءوسهم كرءوس

---

(١) طا: فأحرقوا.

التماسيح، وأبدانهم كأبدان النمور، وأرجلهم كأرجل حُمُر الوحش. فكانوا يقضون العجب، ويسبحون خالقها ويقدّسون رازقها. فقطعوا هذا البحر الهائل فى سبعة أشهر. ولما خرج الملك الى البر رأى بلادا عامرة على ترتيب بلاد الصين وناسا لسانهم كلسان أهل مكران. فقلد تلك الممالك جيوًّا، وتركه فيها وسار، وأرسل الى جميع بلاد ذلك الإقليم فكانوا يتلقونه بالسمع والطاعة، ويلقونه بالخضوع والضراعة. فاستخبرهم عن أفراسياب فأعلموه بتحصنه بقلعة كنك، وأن بينه وبين تلك القلعة مائة فرسخ. فسار الملك قاصدا قصده. ولما اطلع أفراسياب على عبور كيخسرو بحر كيماك أسرّ الخبر فى نفسه، ولم يُعلم بذلك أحدا من أصحابه. ولما جنه الليل ترك أصحابه ورجاله، واتخذ الليل جملا وهرب ممتلئ القلب هما وأسفا. فلما وصل الملك الى القلعة المعمورة، ورأى تلك الأراضى العامرة، والبساتين الناضرة، والحدائق الزاهرة، والعيون المتفجرة، والأزاهير المتفتقة استطابها واستطاب ماءها وهواءها، وأقام فيها. وفرّق العساكر فى طلب أفراسياب فلم يقفوا له على خبر ولم يعثروا منه على أثر. غير أنهم وجدوا خلقا كثيرا من أصحابه المتخلفين عنه فقتلوهم. وأقام الملك بها سنة من الزمان مستروحا الى طيب ذلك المكان. فاجتمع عليه أمراؤه وأصحابه وقالوا: طال مقام الملك فى هذه البلاد. والرأى أن نرجع الى ممالكنا أخذا بالحزم، وجريا على مقتضى الاحتياط. فان كيكاوس قد طعن فى السن، واستولى عليه الضعف، وحضرته خالية عن الرجال والأموال، وقد خفى حال أفراسياب عنا، فلو حشد جمعا وقصد تلك الممالك لم يكن هناك من يقاومه ويمانعه، فتشتدّ شوكته ويعلو أمره، ويضيع عند ذلك سعينا فى هذه المدة المديدة. فاستصوب الملك كلامهم وعزم على الرجوع. فاختار من تلك[1] المدينة رجلا صلح للرياسة والسياسة فخلع عليه، وفوّض أمور تلك الممالك اليه، وأوصاه بالعدل والاحسان ومجانبة الظلم والعدوان. ثم ارتحل منها راجعا وراءه. فلما قرب من بلاد الساحل تلقاه جيو بن جوذرز فأكرمه الملك وأخبره بما رأى فى تلك القلعة. ثم أمر بإعداد (٩٦)
السفن والزواريق فركب البحر فى عساكره، وعبر سالما الى هذا الجانب فى سبعة أشهر. فلما خرج سجد لله تعالى وشكره وحمده، ثم خلع على الملاحين وأعطاهم أموالا وافرة، وسلك طريق البرية متوجها الى مكران. فلما قرب منها تلقاه أشكس فى جميع أكابر المدينة بالتحف والهدايا الكثيرة. ثم اختار من أكابر مكران رجلا مترشحا للملك متحليا بالخلال الحميدة والسير المرضية فخلع عليه وولاه تلك الممالك. واستصحب أشكس، وأقبل الى أن قرب من بلاد الصين فاستقبله رستم بن دستان فعانقه الملك وأكرمه، وجعل يخبره بما رأى من عجائب البحر. فأقام بالصين فى ضيافة رستم أسبوعا. ثم ارتحل

(١) طا: من أكابر تلك

بعساكره حتى وصل الى مدينة سياوخش كرد فجاء الى مصب دم أبيه، وطفق يبكى ويتوجع وينثر على رأسه التراب ويضرب صدره ويلطم وجهه . ووضع رستم خدّه على ذلك التراب أيضا، وجعل يبكى . فقال كيخسرو وهو يبكى : أيها الشهريار ! إنك قد خلفتنى فى هـذه الدنيا ولم أزل فى العناء والتعب للطلب بثأرك حتى نكست راية أفراسياب، وأزعجته عن سرير ملكه . ولست أقرّ حتى أظفر به واقتص منه » .

ثم انصرف الى الموضع الذى كان فيه كنز سياوخش، وكانت أمه قد أخبرته به، ففتح بابه وأطلق منه أرزاق العسكر، وأعطى رستم منـه مائتى بدرة، ووهب لجيو أيضا مالا كثيرا . فأقام بهذه المدينة أسبوعين ثم ارتحل منها . وعلم كستهم بن نوذر بمقدمه فاستقبله على الرسم، وقابله الملك بالإكرام والاحترام . وجاء حتى نزل فى جنة كنك . وكان لا يزال ينقب عن أفراسياب ليلا ونهارا، وهو لا يقف على شىء من حاله . فاغتسل ذات ليلة وأخذ كتاب الزند معه، وخلا بنفسه فى مكان خال، ولم يزل طول ليلته ساجدا لله تعالى يبكى ويتضرع اليه سبحانه ويقول : إن هذا العبد الضعيف(١) الموجع القلب والروح طاف الدنيا فسلك رمالها وقفارها، وقطع جبالها وبحارها طالبا لأفراسياب الذى أنت تعلم أنه سالك غير طريق السداد، وسافك بغير الحق دماء العباد . وأنت تعلم أننى لا أقدر عليه إلا بحولك وقوتك . فمكنى منه . وإن كنت عنه راضيا، وأنت تعلم ولا أعلم، فاصرفنى عنه، وأطف من قلبى نائرة عداوته وقف بى على(٢) سواء الطريق والنهج القويم . ثم انه أقام سنة مريحا نفسه من تحمل أوزار الحرب ومتباعدا عن شواغل القلب .

ذكر انصراف الملك كيخسرو من بلاد توران وعوده الى ايران وما تعقب ذلك من ظفره بأفراسياب

ثم إنه اشتاق الى لقاء كيكاوس فسلم الى كستهم بن نوذر تلك الممالك من بخغار الى منتهى ساحل(٣) الصين، وضم اليه عساكر كثيرة، وأوصاه بالتيقظ والتحرز، وأمره بتفريق أصحاب الأخبار فى أطراف بلاد مُكران والصين وغيرها من البـلاد . وأمرهم بالبحث عن أفراسياب . وأمر بشد العجَل على أربعين ألف ثور، وأن تحمـل عليها الأثقال والغنائم من الذهب والجوهر والمسك والعنبر والملابس والمفارش والأسلحة والعُدد وسائر ما يجلب من أرض مُكران والصـين، الى غير ذلك من الخيـل والجوارى والغلمان . فقـدّم كل ذلك بين يديه، وسار فى عساكر تجلل وجه الأرض،

(١) لك : الضعيف (لا) . (٢) لك، كو : وصل عن . (٣) طا : بحر الصين

وكانوا من الكثرة بحيث اذا ارتحلت الساقة من منزل نزلت المقـدّمة فى المنزل الآخر . ولمـا انتهى الى السغد أقام فيها أسبوعا . وارتحـل منها الى بخارا فدخل بيت النـار الذى بناه تور بن أفريذون هناك، فأعطى الموابذة ذهبا كثيرا، ونثر على النـار جواهر . وارتحل منها الى بلخ وأقام فيها شهرا . ثم ارتحل منها بعـد أن ترك فيها إصبهبذا وعسكرا، وكذلك فعل فى البلاد الأخر المذكورة ، فوصـل الى الطالقان ومرو الروز فاستقبله الأكابر ينثرون على مواكبـه المسك والزعفران واللؤلؤ والمرجان . وأقبل منها بفيلته وعساكره الى نيسابور فأقام بها وفرّق فيها أموالا كثيرة على فقرائها . وارتحل منها فى الأسبوع الثانى متوجها الى الرىّ حتى وصل اليها وأقام[1] بها أسبوعين مستمرا على عادته فى الإحسان والإنعام على الفقراء والمحتاجين . ثم أقبل منها الى بغداد، ونفذ النجابين الى كيكاوس بأرض فارس فأظهر بمقدمـه الفرح والسرور، وأمر بضرب البشائر ونصب القباب على الطرق وتجليلها بالديباج والحرير . ثم خرج كيكاوس عنـد مقدمه لاستقباله . ولمـا وقعت عين كيخسرو على جدّه ركض اليـه فتعانقا وبكيا من الفرح فدعا له كيكاوس وأثنى عليـه وقال له فيما قال : إنه من عهد جمشيذ ثم من عهد أفريذون من بعدُ لم تر العيون صاحب تاج وتخت مثلك . فقال له كيخسرو : هل[2] أنا الا شعبة من دوحتك ؟ وهل حصلت هـذه الفتوح إلا بسعادتك ؟ ثم إن كيكاوس أمر فنثروا عليـه الياقوت والذهب حتى غمر النثار قوائم التخت . ثم تحوّلوا للطعام الى إيوان مذهب، وجعل يحدث جدّه بمـا جرى له فى البر والبحر والحزن والسهل . ثم لمـا رفع السماط أحضروا الشراب واستنطقوا الجنك والرباب . وأقاموا على ذلك أسبوعا . ثم فتح كيكاوس أبواب كنوزه، ورتب الخلع للأمراء والملوك الذين كانوا فى خدمة كيخسرو فأفاض على كل واحد منهم ما يليق به من الخلع الفاخرة والتحف الوافرة . ثم أذن لهم فى الإنصراف الى بلادهم . وبعـد ذلك تفرّغ لعسكره الخاص فأطلق لهم أرزاق سنة، وأدرّ عليهم العطايا والصلات .

وخلا الملك كيخسرو ذات يوم بجدّه وقال له : إن هـذا الظالم قد خفى أثره بعد تحمل المشاق العظيمة فى طلبه، وإنه إن عاد الى كَنْك وأقام بها ولو ساعة واحدة ثابت اليه عساكره، وقوى أمره وعلا كعبه فنحتاج الى استئناف قتاله والنهوض الى بلاده . فقال له كيكاوس : الرأى أن أركب أنا وأنت معا ونصير الى بيت نار آذرگُشَسب — وهو بيت نار بأذربيجان — فنبتهل الى الله تعالى ونتضرع اليه ٩٧
فلعله يهدينا الى الموضع الذى هو فيه . فلبسا ثياب البياض، وركبا وسارا الى ذلك المتعبد بقلوب مملوءة من الخوف والرجاء . فلما دخلا بيت النـار جعلا يبكيان ويتضرعان الى ربهما، ويسألانه، وينثران

(١) طا : فأقام . (٢) ك، طا : وهل أنا .

الجواهر على الموابذة . وأقاما أسبوعا فى بيت النار . وزعم صاحب الكتاب أنهم لم يكونوا يعبدون النار وإنما يعبدون الله عز وجل والنار لهم كالقبلة . قال : وأقاموا فى أذربيجان شهرا حتى أظفرهم الله تعالى بأفراسياب .

وكان من خبره أنه لما جرى عليه ما جرى هام على وجهه يجول فى البلاد وهو ممتلئ خوفا ورعبا؛ ولم يكن يأمن على نفسه ساعة، وكان يطلب موضعا يأمن فيه على روحه . فجاء الى بردعة . § وكان فى بعض جبالها المنقطعة مغارة لم يدخلها أحد، ولم يطأها قط قدم ، بعيدة عن العمرانات قريبة من البحر . وهذه المغارة تسمى هنك أفراسياب فنقل اليها من المأكول ما يقوته ، وتوارى فيها . وكان فى ذلك الزمان رجل من أولاد أفريذون عابد منقطع إلى الله تعالى يسمى هوماً ، وله فى ذلك الجبل متعبد فى بعض الكهوف يخلو فيه ويعبد الله عز وجل . فسمع ذات ليلة صوت نائح فى جنح الليل ينوح باللسان التركى على نفسه ويندبها ويقول مخاطبا لنفسه : يا سيدا ساد الأكابر عزا وشرفا! ويا ملكا حكم على جميع الملوك نافذا فى الشرق والغرب حكمه، وماضيا فى الصين والترك أمره ! أين تاجك وتختك؟ وأين خيلك ورجلك؟ وأين تلك الرجولية والبسالة؟ وأين تلك الروعة والجلالة؟ كيف انتهت بك الحال الى أن تعوّضت من جميع الممالك مغارة مظلمة تواريت فيها هاربا من بوائق الزمان وطوارق الحدثان ؟ فلما سمع هوم العابد ذلك قال فى نفسه : إن هذا الصوت لا يكون غير صوت أفراسياب . فقام وتشمر وخلع العباء الذى كان به متخللا، وحل زنارا كان فى وسطه، وتتبّع الصوت حتى دخل المغارة فهجم على أفراسياب، وكتف يديه بزناره، وشدّ وثاقه، وأخرجه من المغارة يسوقه مهينا ذليلا بعد أن كان مهيبا جليلا . قال صاحب الكتاب : وما أجدر كل من كان صاحب ملك وجلالة أن يقضى العجب من هذه الحالة ، فلا يؤثر غير حسن الأحدوثة فى الدنيا الفانية ودولها المستعارة . قال فلما رأى أفراسياب إرهاقه إياه وعنفه به قال له : أيها العابد ! ماذا تريد من رجل اختفى(١) فى مغارة ضيقة ؟ فقال له لا ترق دماء الملوك والسادات وأنت فى غنى

§ بردعة بلد فى أرّان كان مصرا كبيرا . وعلى تسعة فراسخ منها بلدة اسمها كنجة أو جنزة(٢) وقد تقدّم أن أفراسياب هرب الى كنك دژ أى قلعة كنك . وقلت أنها تشبه أن تكون فى بحر قزوين(٣) . فقدوم أفراسياب الى بردعة بعد فراره من كنك يؤيد ما ظننت عن موقع كنك، ويحمل على الظن أن كنك هى كنجة أو جنزة . وهى من مدن أرّان . وأرّان فى الشمال الغربى من آذربيجان يفصلهما نهر الرس . وهى من إرمينية .

(١) لك، كو، طا : اختفى من الخلق . (٢) معجم البلدان . (٣) المتن ص .

عن سكنى الكهوف والمغارات . من ذا الذى قتل من ملوك العالم أخاه، وبارز الله بالعداوة وناواه ؟ ألست قاتل أغريرَث الناصح، وسافك دم نوذر الراجح، وقاطع رحم سياوَخش الصالح ؟ فقال : بهذا جرت علىّ أقلام قضاء الله فى الأزل . ومن المعصوم فى هـذه الدنيا الغدارة من الزلل؟ فارحم عاجزا ظلم نفسه كثيرا، واعطف على من كان ملكا كبيرا فصار هكذا بين يديك أسيرا . وإن كنت لا تمن عليه بالإطلاق فخل عليه(١) قليلا من هذا الوثاق . فرق له هوم ونفّس قليـلا من خناقه، وأرخى يسيرا من وثاقه . وكان يسير به على ساحل البحر المعروف بخَنجَست(ا) . فاهتبل أفراسـياب غرة من هوم حين أحس بأنه قـد رق له وتحنن عليـه ، ورمى بنفسه فى البحر واختفى من(٢) عين هـوم . واتفق أن جوذرز بن كشواذ وولده جيـوًا خرجا خلف الملك كيخسرو فوصلا إلى ذلك الساحل . فرأى جوذرز العابد بيده حبل وهو يمشى على ساحل البحر متلهفا وعلى ما فاته متأسفا . فقال : كأن هذا صياد قد صادف أعجوبة من عجائب البحر . فصاح به وقال : مالى أراك مهموما ؟ أظهر لى أمرك، وبح إلىّ بسرك . فدنا منـه وحكا له الحكاية فقضى جوذرز العجب من ذلك وسار إلى حضرة الملك كيخسرو وسرد عليه الحديث . فركب الملك كيخسرو وجاء مع جوذرز إلى ساحل البحر حيث كان هوم فاستخبره عمـا جرى له فأعلمه بالحال . فبقى الملك على الساحل مع العابد زمانا طويلا . ثم إن هومًا لم يزل يحتال على أفراسـياب بكل حيـلة حتى تمكن منـه فى البحر، وأسره واجترّه إلى الساحل فسـلمه إلى أصحاب الملك كيخسرو . ثم تغيب عن أعينهم حتى كأنه طار مع الريح فى الهواء . § فجاء الملك مجرّدا للسيف ممتلئا من الغيظ . فلمـا رآه أفراسياب قال : إنى رأيت هذا

---

§ نقلت آنفا طرفا مما تذكره الأبستاق عن كيخسرو وظفره بأفراسياب وراء بحيرة أرمية(٣) . وأنقل هنا نصوصا تبين عن أصل هذه الأسطورة أسطورة أفراسياب فى المغارة وظفر هوم به الخ .

"قرّب اليها (الى أردفى سورا أناهتا) السـفاح التورانىّ فرنكرَسيان قربانا فى كهفـه تحت الأرض بمائة حصان وألف ثور، وعشرة آلاف حمل .

سألهـا نعمة قائلا : امنحينى هذه، أيتها الخيرى أردفى الخ . لعلى أظفر بهذا المجد الذى يموج فى لجة بحر فورو كشا، والذى هو للأمة الآرية من ولد منهم ومن لم يولد، وللمقـدّس زرتشترا(٤)" .

والبحر المذكور هنا متصل ببحيرة هسروه التى هى على خمسين فرسخا من بحيرة أرمية(٤) . =

(ا) هى بحيرة كاتْكسته، التى سبق ذكرها . وقد حُرف اسمها فى الشاه من چيچست الى خنجست (أفستا، ج ٢ ص٦٦) .

(١) لك، كو، طا : عليه (لا) . (٢) لك : عن عين . (٣) المتن ص ٢٠٠ حاشية .

(٤) أفستا، ج ٢ ص ٦٤، ٣٠٠، المتن ص ٢٠١ حا .

اليوم فى المنام، والآن تحقق و إن تطاول[١] مدى الأيام . ثم صاح بحافده وقال : أيها الخبيث الحقود ! لا تقـدم[٢] على قتل جدّك . فقال له كيخسرو : يا سيئ الظن ، ويا مسـتحق التعنيف واللوم ! أما قتلت أخاك أغريرث الذى لم يسـفك دما قط ؟ أما ضربت رقبـة نوذر الذى كان عن الملوك خلفا ؟ أما قطعت وريدى سـياوخش الذى بلغ السماء عزا وشرفا ؟ إن هـذا يوم الجزاء وستسق بالكأس التى[٣] سقيت بها هؤلاء . فقال له : أيها الملك ! إن الكائن قد كان، وحين الحائن قد حان. اصبر علىّ مقدار ما أنظر إلى وجه أمك ثم امض لأمرك . فبادره الملك وضرب رقبته بالسيف . فذاق وبال أمره وحاق به سوء عمله . فلا تكن أيها العاقل لباب الشر مفتاحا . ومن كان من الملوك مخصوصا بعناية الحق فلن يحمله الغضب على أكثر من القيد والحبس . ومهما صار سفاكا للدماء فلا محالة من يَرَ يوما يُرَ به .

= ويتبين من هذا أن كهف أفراسياب لم يكن ملجأ آوى اليه خوفا من كيخسرو كما فى الشاهنامه، بل كان مقرّ ملك يقرّب القرابين العظيمة طمعا فى الظفر بمجد الآريين. ولذلك نجد فى الروايات القديمة أن هذا الكهف كان قصرا تحت الأرض جدرانه من الحديد، وله مائة عمود، وارتفاعه ألف قامة[٤].

وأما هوم العابد الذى أمسك أفراسياب فتقول عنه الأبستاق : "قرب اليها هؤما قربانا — هؤما المنعش، الشافى، الجميل، الملكىّ ... ... وسألها نعمة أن امنحينى هـذه أيتها الخيرى درفاسپه ! لعلى أغل السفاح التورانىّ فرنكرسيان، ولعلى أجره مغلولا ولعلى آتى به مغلولا إلى الملك هُسَرَوه . لعل الملك هسروه يقتله وراء بحيرة كائكسته العميقة المالحة ليثأر لأبيه سياوشرانه الرجل ولأغرَيْرَثه شبه الرجل[٥]" .

وتفسير هذا أن هوما اسم إله فى عبادة الطبيعة القديمة . وقد صار عنـد الإيرانيين القدماء اسم شراب مقـدّس يقرب إلى الآلهة ، واسم الروح المسيطر عليه، واليـه يعزى إهلاك الشياطين لأنه أقوى عنصر فى القرابين التى يتوسـل بها إلى إهلاكهم . فانظر كيف صار هؤما الذى فى الأساطير القديمة العابد هومًا فى الشاهنامه .

ثم محاولة أفراسياب الفرار وارتماؤه فى البحر الخ بقية محرّفة ممـا فى الأبستاق . ففيها أن أفراسياب حاول مرارا أن يظفر بمجـد الآريين الذى يموج فى البحر ، فتجرّد من ثيابه وألقى بنفسه فى المـاء ولكنه رجع خائبـا[٦] .

(١) لك، طا : طال . (٢) لك، كو، طا : لم تقدّم . (٣) صل : الذى . والتصحيح من لك، طا .

(٤) أفستا، ج ٢ ص ٦٤، ٣٠٠، المتن ص ٢٠١ حا . (٥) أفستا، ج ٢ ص ١١٤ (٦) = ص ٣٠٠

قال : ولما فرغ من أفراسياب أحضر كرسيوز ، وأشار إلى السياف فوسطه بالسيف نصفين ، ورمى بجثته على جثة أخيه. ثم انصرف من الساحل نحو بيت النار المذكور، وطفق يزمزم حول النار، وينثر الذهب على اللهب ، ويشكر الله تعالى ويحمده . وأقام فيه يوما وليلة ثم أمر الخازن فخلع على المَوابذة والهرابذة خلعا رائقة ، وأفاض عليهم أموالا كثيرة . وأمر أيضا بتفريق خزانة أخرى على فقراء البلدة والمحتاجين . ثم جلس على التخت ، وأمر بإنفاذ الكتب إلى مشارق الأرض ومغاربها باستئصاله لشأفة الفتنة ، وجبّه لسنامها وغاربها . ثم دخل إلى إيوان كان له عند بيت النار ، وأقام فيه مع جدّه كيكاوس أربعين يوما لا يفيقان سكرا وطربا ، ولا يفتران من تفريق الأموال (٩٨) شكرا وكرما . ثم عادا فى أكابر الدولة إلى بلاد فارس . وكان كيخسرو كلما مر بمدينة تلقاه السُّؤال وأهل الحاجة فأغناهم عن خزائنه . ولم يزل ذلك دأبه حتى استقرّ فى دار ملكه ومقرّ عزه .

ذكر وفاة الملك كيكاوس

قال : ولما بلغ كيكاوس نهاية وطره فى إدراك ثار ولده جعل(١) يناجى ربه ويدعوه ويحمده ويثنى عليه ويشكره . وكأنما ألم الشاعر بحاله فى ذلك حيث يقول :

ياذا المعارج كم سألتك نعمة فمنحتها لى بالذّنوب الأوفر
أى العوارف منك أشكر فضله ؟ عجز المقل وزاد طَوْل المكثر :
أكفايتى ما قد حذرت وقوعه أم ما كفيت من الذى لم أحذر

ثم قال : إلهى ! أما إذ بلغ عمرى الى مائة وخمسين سنة، واشتعل رأسى شيبا، وعاد مسك عارضى كافورا بعد أن بلّغتنى نهاية الآمال ، وقيضت لى مثل كيخسرو ولدا تسنم ذروة الجلال ، وجلل طلاع الأرض بالإحسان والإفضال فانقلنى الى جوارك الكريم وجنابك العزيز.» فلم يمض عليه إلا قليل من الزمان حتى قضى نحبه ولقى ربه . فعقد الملك كيخسرو له مأتما ونزل من التخت وجلس على التراب . وحضر عنده جميع الملوك والقواد فى ملابس الحداد وثياب السواد . وأمر ببناء قبة عظيمة عالية فى السماء وجعلها له ناووسا ، وكفنوه بالثياب الديبقية والدبابيج الرومية بعد أن ذروا فيها المسك والكافور والدّبق . ووضعوه على تخت من الساج(٢) وسدّوا عليه باب التربة . وجلس الملك أربعين يوما لعزائه ثم عاود التاج والتخت بعد انقضائه ، وجلس على تخت(٣) العاج معتصبا بالتاج ، واصطف على رأسه جميع الملوك والأكابر ، ونثروا على تاجه أطباقا من الذهب والجواهر . وهنّوه

(١) ك : خرّ . (٢) صل : تخت الديباج . والتصحيح من ك ، طا ، كو . (٣) كو ، طا ، ك : بخت من العاج .

باجتماع الملك الطارد والتالد . وأقام هذا الملك على تخت السلطنة ينهى ويأمر ، ويعطى ويمنع حتى استوفى ستين سنة من ملكه . ولما استوى شمس حاله ، وتسنم ذروة كماله آذنه داعى الرحيل بارتحاله .

ذكر انقضاء مدّة الملك كيخسرو وخاتمة أمره

قال : ثم استولى على الملك كيخسرو الفكر فى حاله وتقلُّب غِيَر الدهر به ، فجعل يقول فى نفسه : إنى قد طفت جميع المسالك والممالك ، وسخرت جميع ملوك الشرق والغرب ، ودخلت تحت حكمى ممالك البر والبحر ، وقضيت أوطارى وأدركت ثارى فلا ينبغى أن يملك العجب مقادى ، ويستولى علىّ شيطان الطغيان فأصير مثل الضحاك وجمشيذ وأفراسياب وكيكاوس . فالأولى أن أبتهل الى الله تعالى وأتضرع اليه فلعله يحولنى الى دار القرار ، وينقلنى الى جوار الأخيار » . فأمر حاجب بابه ألا يمكن أحدا من الدخول عليه . فأغلق الباب ، وحل الملك منطقته ، ولبث ثياب البياض . ودخل متعبدا له وجعل يناجى ربه ويستودعه دينه ونفسه ، ويسأله أن يرزقه قربه . فبقى أسبوعا قائما بين يدى ربه ليلا ونهارا يدعوه سرا وجهارا . فخرج فى اليوم الثامن وقد ظهر عليه أثر الضعف من العبادة فجلس على تخته وأمر الحجاب برفع الحجاب . فدخل عليه الملوك والأكابر خاضعين له وضارعين . وهم طوس وجوذرز وجيو وبيژن وجُرجين ورُهّام . فلما رأوا وجه الملك سجدوا . ثم رفعوا رءوسهم ودعوا له وأثنوا عليه وقالوا : أيها الملك ! إنك قد ملكت الأرض وأهلكت العدوّ فما من ملك إلا وهو فى رق حكمك ، وما من مدينة إلا وهى تحت أمرك ، وما ندرى من أى وجهة دخل على قلبك الفكر ، وقبض من عنان نشاطك الهم والحزن ، وهذا أوان تمتعك بالملك والمملكة وسرورك بالعز والسلطنة؟ فإن كان قد صدر منا ما أوجب تغير خاطر الملك فليعلمنا لنسعى فى إزالته ونعتذر . وإن كان له عدوّ كاشح فلا يخفيه عنا حتى نجتهد بأموالنا وأنفسنا فى إبادته واستئصال شأفته . فقال الملك : أيها الأكابر ! إنه لم يظهر لى عدوّ ، ولا صدر من واحد منكم جرم . فاستمتعوا برغد عيشكم وطيب حياتكم . وأنا فإن لى الى الله تعالى حاجة قد عرضتها عليه وأقمت فى استنجازها أسبوعا بين يديه ، فابتهلوا اليه وسلوه فلعله يقضيها ويستجيب دعائى فيها » . فصرفهم بهذا الكلام وأمر حاجبه ثانيا أن يغلق الباب ويسبل الحجاب ولا يفتح اليه طريقا لأحد ، سواء كان من الأقارب أو كان من الأجانب . ودخل متعبده ، وخلا بنفسه يدعو الله تعالى ويتضرع اليه . فمضى عليه أسبوع آخر . وكان الملوك والأمراء يجتمعون على بابه ويضجون من طول احتجابه وامتناعه عن الظهور لأصحابه . فخلا طوس بجوذرز وخاضا فى حديث الملك كيخسرو ، وذكرا ما استولى عليه من الضجر والسآمة ، وأخذا[1] يجيلان

(١) طا : فأخذا .

الآراء فى ذلك فاتفقا على إنفاذ جيو الى زابلستان ، وإعلام رستم ودستان بحال الملك واستنهاضهما الى حضرته ليكلماه ويصرفاه عما هو عليه . فسار جيو الى زابلستان، وأخبر رستم بما دهاهم من حال الملك . فاهتم رستم وذكر الحال لأبيه ففرّقا الرسل فى أطراف ممالكهما وجمعا الموابذة والمنجمين ، واستصحباهم الى ايران . قال : ولما مضى على احتجاب الملك أسبوع أمر فى اليوم الثامن فرفعت الحجب ، وأذن فى الدخول عليه فدخل عليه الملوك والأمراء فأكرمهم وأنزل كل واحد منهم منزلته فى الخدمة . فما قعد منهم واحد . وقالوا : أيها الملك الكبير ! إنا نصحاؤك وعبيدك فأعرب لنا عما انطوى عليه ضميرك ، وأى جرم صدر منا حتى سدّ علينا الطريق اليك ومنعنا من
(٩٩) المثول بين يديك ؟ لقد طال هذا الانقباض وأظلم علينا لأجله النهار . ولأى معنى لا يبوح لنا الملك بسره ، ولا يستقدح آراءنا فى أمره حتى لو اعتراه ذلك من بحر استنزفناه أو من جبل نسفناه ؟ وإن كان يحتاج فى إزالته الى مال فنحن كلنا حفظة أمواله وذخائره وخزنة كنوزه ورغائبه . واذا علمنا بالحال أنفقنا جميعها فى سبيل مراضيه حتى نفرج عن الملك ما هو فيه . فقال لهم : إنه ليس بى شىء مما تذكرون . ولكن فى نفسى أمنية أرجو أن أبلغها من الله عز وجل . وهأنا أسأله ذلك طول[1] الليل والنهار . وسأبرزها لكم عند قضائها من مضيق الكتمان الى فضاء الإظهار . فارجعوا الآن ولا تحملوا على قلوبكم كل هذا الاضطراب والقلق » . فخرجوا وأمر بإسبال الحجب ، وعاد الى عبادة الله تعالى وبقى خمسة أسابيع[2] بين يدى الله عز وجل يبكى ويتضرع ويسأل الله تعالى أن يمكن له فى جواره وينقله الى دار قراره . فغفا غفوة ذات ليلة وقت الفجر[3] ورأى فى المنام كأن ملكا نزل عليه وقال له فى أذنه : أيها الملك السعيد ! انك قد أعطيت ما سألت فتجهز الى جوار الله الكريم ، ولا تقم فى هذه الدنيا الكدرة ، وفرق الأموال على المحتاجين والفقراء والمساكين ، واعهد الى ملك عادل يقوم مقامك من السلطنة ، واعلم أنه لم يبق من مقامك إلا القليل » . فانتبه الملك وهو غريق فى عرقه فسجد باكيا بين يدى الله عز وجل يشكره على قضاء وطره وإنجاز أمله . فنحّى التاج عن رأسه وخلع السوار ولبس ثوبا[4] جديدا وجلس على التخت . فوصل رستم وأبوه فى خلق من الموابذة والهرابذة فاستقبله الايرانيون . ولما لقى طوس رستم أجهش اليه بالبكاء ، وذكر له ما اعترى الملك من تغيره عن الحالة المعهودة . فأقبلوا الى بابه فرفعت الحجب . ولما رأى الملك رستم وزالا بادرهما بالمصافحة والمعانقة ، وتهلل مستبشرا الى من كان معهما من الموابذة والهرابذة ،

(١) ك ، كو ، طا : طوال . (٢) ك ، كو ، طا : قائما بين . (٣) التبست الكلمة على كاتب الأصل فكتب « الجر » وكتب فى الحاشية « كأنه السحر » . والتصحيح من ك ، طا . وفى كو : السحر . والشاه : وقت طلوع القمر .

(٤) صل : الطوق جديدا . طا ، ك : الطوق حديدا . والتصحيح من الشاه ، كو .

ورتب كل واحد منهم فى منزلته . فأثنى عليه زال وقال : أيها الملك! إنه بلغنا أنك حجبت الملوك واعتزلت وآثرت الخلوة وانزويت فبادرت حضرتك بعد أن جمعت موابذة تلك البلاد ومنجميها لأقف على حال الملك وما انطوى عليه حتى أسعى فى إزالة وحشته وإعادة أنسه . فقال له الملك : أيها الشيخ الجليل ! اعلم أنى مثلت بين يدى الله عز وجل خمسة أسابيع أدعوه وأتضرع اليه وأسأله أن يغفر ماسلف من ذنبى وينوّر قلبى وينقلنى من هذه الدنيا الغرّارة الى جواره الكريم قبل أن أعدل عن سنن السداد، ويزيغنى الشيطان عن لَقَم الرشاد مثل من سبق من الملوك . والآن قد قضيتُ حاجتى وأجيبت دعوتى . وقد غفوت البارحة فجاءنى الملَك وقال : تجهز فقد حان الرحيل . وقد انقضت مدّتى وبلغتُ أمدى . فاهتم عند ذلك الجماعة وضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وتنفس زالٌ الصعداء لما سمع من كلامه فقال : إن هذا الرجل قد اختلط عقله وفسد رأيه . وانى من أوّل عمرى الى يومى هذا لم أر أحدا من الملوك تكلم بمثل هذا الكلام . وكأن الشيطان قد استحوذ عليه . وينبغى لنا ألا نرضى له بمثل ما سمعنا من كلامه » . فقالوا له : أنت لساننا فحاوِره بما تستصوبه فلعله لا يزيغ عن المنهج اللاحب ، ويعاود ما كان عليه من رسم السلطنه وآيين الملك » . فقام زال وقال : أيها الملك العادل! اسمع كلام الشيخ الطاعن فى السن العالم بتصاريف الدهر، ولا تستوحش مما يخاطبك به من مرّ الحق ومكروه الصدق ؛ اعلم أنك من أحد طرفيك تنتمى الى أفراسياب الذى كان لا يرى غير السحر فى المنام ، ومن الطرف الآخر الى كيكاوس الذى كان معروفا بشراسة الخلق بين الأنام . وهو الذى ملك ما بين الخافقين واستولى على ممالك المشرقين فأراد أن يصعد الى السماء . وكم وعظته ونصحته فلم يقبل من ذلك شيئا حتى فعل ما فعل ولقى ما لقى كما عُرف . وأما أنت فقد نهضت فى مائة ألف مقاتل شاكى السلاح كالأُسْد الجياع عند الكفاح فصففتهم وعبيتهم فى صحراء خوارزم ثم خرجت وحدك وبارزت شيذه بن أفراسياب وترجلت لمصارعته . ولو أعطى الغلبة وظفر[1] بك لم يبق من إيران عين ولا أثر، ولم يسلم من رجالها ونسائها أحد . فخلصك الله تعالى من يده، وأظفرك به . ثم قتلت الذى كنت تخاف معرته وتخشى بائقته — يعنى أفراسياب — فكان وقت رفاهيتك واستمتاعك بالملك والمملكة وتفرّغك للجلوس على تخت السلطنة . فقلبت الأمر على الايرانيين بما هو أصعب وللشر أجلب ، فطويت طريق الحق والسداد ، وملت إلى الزيغ والفساد . والله عز وجل لا يستحسن منك ما أنت عليه ، ولست تنتفع بما أنت فيه . وإن استمررت على هذه الحالة وأصررت على ما أنت عليه من الجهالة والضلالة لم يدر أحد حولك ،

(١) طا : والظفر .

ولم يسمع فى خير ولا شر قولك . هذه نصيحتى . فإن قبلت فقد أفلحت ، وإن لم تقبل سلبت التاج والتخت » . فقال الإيرانيون : إنا موافقون لهـذا الشيخ فيما يقول ، ولا يخفى ما تقتضيه العقول . فأطرق كيخسرو عند ذلك ساعة وجعل يتفكر فى نفسه وقال : إن خاشنته فى الجواب لم يكن حسنا عند الله[1] ولم آمن موجدة رستم . فالأولى أن ألاطفه ولا أكسر قلبه . ثم أقبل على الحاضرين وقال : قد سمعت كلام دستان وها أنا أحلف بخالق الزمان والمكان أنى لست فى طاعة الشيطان ، ولست أميـل إلا إلى طاعة الرحمن . وقد أبصرت بنور قلبى المنور ذلك العـالم ، وتحصنت بعقلى عن المكاره » . فأقبـل على زال وقال : وأنت فلا تحتدّ ولا تجاوز فى كلامك الحدّ . أما ما زعمت من أنه لم يولد ذو عقل بتوران فإنى من الشجرة الكيانية : سلالة سياوخش وحافد كيكاوس . وأنتسب من جهة الأم إلى أفراسياب حافد أفريذون . ولا عار فى الانتساب اليه . واعلم أن تقريع الملوك ينشأ من البطل والفضول . وبعـد أن أدركت ثارى فى أبى ، وبلغت من عدوّى نهاية أربى فلا حاجة لى فى هـذه الدنيا التى إن طال فيهـا أملى وتراخى أجلى وامتدّت فيها مدّة ملكى خشيت
(١٠٠) على نفسى[2] من الزيغ واتباع هوى النفس مثل من سبق من الملوك كالضحاك وجمشيذ وتور بن أفريذون الذين سفكوا الدماء وخربوا الديار . وأما ما أنكرت من الإقدام على مبارزة شيذه فإنما باشرت بنفسى ذلك لأنى لم أر فى جميع الإيرانيين من يقوم بمقاومته ويقدر على مطاولتـه . ثم إنى قد سئمت التاج والتخت والأمر والنهى ووقفت بين يدى ربى فى هذه الأسابيع الخمسة ، أتضرع اليه وأسأله أن يخلص روحى من هذه الأرض المكدرة حتى استجاب الله تعـالى دعوتى وحقق أملى . وأنت تزعم أن الشيطان قد نصب لك الحبالة وأمال قلبك إلى الزيغ والضلالة . فلا[3] أدرى بأى المكاره والأسواء نجازى على ذلك يوم الجزاء ؟ » فأظلمت الدنيا عند ذلك فى عين دستان ووثب قائمـا واعترف بذنبه واعتذر وسأله[4] الصفح والعفو . فقبل الملك معذرته وأوسع ذنبه صفحا وعفوا . ثم أشار عليه بأن يبرز مع رستم وطوس وجوذرز وجيـو وجميع الملوك والأمراء والقوّاد بالسرادقات والخيم ، ويخيموا فى الصحراء ، ويخرجوا[5] معهم الألوية والأعلام فامتثلوا أمره فى ذلك . ثم خرج فجلس فى سرادقه على تخت من الذهب وعلى أحد جانبيـه زال ورستم وعلى الجـانب الآخر طوس وجوذرز[6] ورهام وسابور وجرجين قد طأطأوا الأعناق مطرقين . فتكلم عليهم ووعظهم ونصحهم وقال لهم : اعلموا

(١) ك، طا : الله عز وجل . (٢) ك : نفسى فيها . (٣) ك : فما أدرى .

(٤) ك : العفو والصفح . (٥) صل ، ك ، طا : بالألوية . ومقتضى السياق هنا . وفى الشاه : حذف الباء .

(٦) ك ، طا : جوذرز مع جيو ورهام . كو : وجيو ورهام .

أنه لا بد لنا من مفارقة دار الفناء . فما بالنا نتحمل بسببها كل هذا التعب والعناء ؟ فاستشعروا الخوف من خالق الأرض والسماء :

أين الأكاسرة الجبابرة الأولى — كنزوا الكنوز فما بقين ولا بقوا؟
من كل من ضاق الفضاء بجيشه — حتى ثوى فحواه لحدّ ضيق

وكم من ملك كفر وطغى ، ولوى رأسه عن طاعة ربه وعتا . وهل أنا الا واحد منهم ؟ ومن أجل ذلك قلعت قلبي من هذه الدار[١] الفانية ، وأعرضت نفسي عن الملك والسلطنة . وسأفرق على الايرانيين جميع ما أملك من صامت وناطق ، وأقسم أقاليم العالم بين الملوك أولى التخوت والمناطق . فإني قد صممت عزمي على الرواح ، وفرغت قلبي من عالم المساء والصباح .

فلما سمعوا ذلك تحيروا في أمره ونسبوه الى الجنون . وبعد أسبوع جلس متبذلا لهم على التخت ، وأوصى وقسم الممالك وكان ذلك لأمره فذلك[٢] :

ذكر إيصائه الى جوذرز ، وكيفية قسمة الممالك على الأكابر ، وعهده الى لُهراسب الى آخر أمره

ولما[٣] عزم على المفارقة والارتحال فتح باب كنز من كنوزه ، وسلمه الى جوذرز بن كشواذ ، وأوصى اليه بإنفاقه في عمارة الخانات[٤] والقناطر والمعابر التي خربت في عهد أفراسياب ، وأن ينفق منه على الأيتام والأرامل وأهل التجمل الذين تحيفت أحوالهم السنون وهم من السؤال يستحيون ، وأن يديم ذلك عليهم ولا يقطعه عنهم . وسلم اليه كنزا آخر يسمى باذاوَر ، وكان مملوءا من الجواهر والأكاليل والحلى ، وأمره أن يصرفها الى عمارة الآبار والقنى المطموسة في أقطار الممالك(ا) وأمره أن يفتح باب الكنز المعروف بالعروس الذى كنزه كيكاوس في مدينة السوس[٥] ، ويقسمها على رستم وأبيه وجيو . ثم سلم ثيابه وأسلحته الى رستم . وأعطى خيله ورعيله طوس بن نوذر . ووهب بستانه ومجلسه لجوذرز بن كشواذ . ووهب سرادقه وخيمه ودوابه المربوطة عنده لفرى بُرز بن كيكاوس . وسلم الى بيژن بن جيو طوقا مرصعا وخاتمين من الياقوت مكتوبا عليهما اسمه ، وقال : خذ أنت هذه تذكرة .

(ا) فى الشاه : الى عمارة المدن الخربة ، وبيوت النار المعطلة ، والشيوخ الذى لم يدخروا مالا لشيخوختهم ، والآبار المطمورة . (١) ك ، كو : الدنيا . (٢) كو : بذلك والسلام . (٣) طا ، كو : قال ولما عزم . (٤) ك ، طا ، كو : الخانات والمصانع . (٥) فى الشاه : مدينة طوس .

ثم قال للايرانيين : سلونى ما تريدون فقد قارب وقت انفضاض المجلس . فرفعوا أصواتهم بالبكاء والعويل لمفارقة ذلك الملك الجليل . فوثب دستان وقبل الأرض ووقف ماثلا بين يديه وقال : أنت تعلم أيها الملك صنيع رستم مع الايرانيين، وحسن بلائه فى حالتى السراء والضراء، والشدّة والرخاء . ومن ذلك نهوضه الى مازندران وقتله لملك الجن وتخليصه لكيكاوس وجوذرز وطوس، وقتله لولده سُهراب فى طاعة كيكاوس ثم ما فعل فى وقعة كاموس، الى غير ذلك من مقاماته المشهورة ووقائعه[1] المذكورة فى خدمة هذه الدولة القاهرة . فماذا يكون بعدك لهذا الولى[2] الناصح ؟ فقال : ان آثاره فى خدمة هذا البيت أكثر من أن يحيط بها الوصف أو يفصح عنها اللسان و يعرب عنها البيان . فأمر فكتبوا له عهدا بسالاريّة رستم، و بأن يكون هو المقدّم فى جميع العالم، وأن يكون له ممالك نيم روز بحذافيرها وسائر ما يضاف اليها و يعدّ من نواحيها . وأمر لكل واحد من الموابذة الذين استصحبهم زال بتحف فاخرة وصلات وافرة .

ثم قام جوذرز وقال : إنى من عهد منوجهر الى هذا العهد المبارك لم أحل من وسطى نطاق العبودية، ولم أقصر يوما واحدا فى الخدمة . وكان حولى ثمانية وسبعون ولدا فلم يبق منهم غير هؤلاء الثمانية وقتل الباقون تحت الراية المنصورة . ثم لولدى جيو من الحقوق ما يعرفه الملك، من دخوله الى بلاد الترك وتقلبه سبع سنين فى أطرافها حتى فعل ما فعل، ثم ما[3] اتفق له بعد رجوعه الى ايران من الخدم المرضية كما عرف واشتهر . فهو يتوقع ملاحظة بعين العناية . فقال الملك : إن أفعاله أكثر من أن تذكر . وأمر بأن يعقد له على ممالك قُم و إصبهان، وكتب له منشورا بذلك . ثم قال للحاضرين : اعلموا أن جيوا تذكرتى عندكم، و وديعتى بين أظهركم . فلا تخالفوه فيما يأمر، واتبعوه فيما يأتى و يذر» . فقعد جوذرز .

وقام طوس وقبل الأرض وقال : أيها الملك ! أنا المنتمى الى أفريذون من بين هؤلاء الأكابر، ولم أزل مشدود الوسط فى خدمة الايرانيين . وذكر مقاماته و وقائعه ثم قال : فماذا يكون لى بعد الملك ؟ فمدحه كيخسرو وأثنى عليه وعقد له على جميع ممالك خراسان، وأقرّه فى مرتبته من سالارية الدِّرفش الجاوِيانى والمداس الذهبى .

ولم يبق أحد غير لُهراسب فأمر الملك بيژن بن جيو بأن يحضره . فلما دخل عليه وثب قائما له وأثنى عليه . ثم نزل من التخت وأخذ التاج عن رأسه و وضعه على رأس لهراسب وأقعده فى مكانه من السرير وهناه بالسلطنة وقال : إنى قد سلمت إليك تاج الملك فلا تحرك لسانك إلا بالعدل .

(١) ك، طا : ووقعاته . (٢) صل : والى . والتصحيح من طا، كو . (٣) ك : وما اتفق .

فإنك به تكون منصورا مسرورا . ولا تجعل للشيطان الى قلبك سبيلا إن أردت أن يكون حظك من الملك موفورا . واتبع الحق[١] ولا تؤذ الخلق، وكن حافظا للسانك .

فصعب على الايرانيين عهده الى لُهراسب واختياره للملك دونهم . فقام زال وأنكر عليه ذلك فى كلام من جملته أن قال : إن لهراسب قدم ولم يكن له إلا فرس واحد، فنفّذه الملك الى قتال ألان، وأعطاه السالارية والكوس والعلم . فكيف بلغ به الحال الى أن أهلته لولاية العهد، وتركت هؤلاء الأكابر الذين ينتمون الى الشجرة الخُسروانية والدوحة الكيانية ؟ وكيف نخاطب بالسلطنة من لا نعرف نسبه ولا حسبه ؟ (ا) فكثر لغط الايرانيين ووافقوا زالا فيما قال . فلما سكتوا قال الملك لزال : لا تعجل ولا تحتد . فإن من قال غير الصواب تعرّض للعذاب . وإن الله تعالى إذا خص أحدا بالسعادة وجعله مستحقا للسيادة حباه بالدين والحياء، والروعة والبهاء، وجمع له بين المعدلة والأصالة، والسماحة والبسالة . والله شاهد على لسانى أن هذه الخصال الحميدة والسير المرضية مجموعة فى لهراسب . وهو حافد أوشَهنج الملك الطاهر الذيل الناصح الجيب . وهو الذى يقطع دابر السحرة من وجه الأرض، ويظهر الطريق الى الله عز وجل، ويرجع به الى الزمان شبابه الناضر . ويخلفه فى ذلك بعده ولده الطاهر . فحيوه بتحية الملوك، ولا تخالفوا موعظتى الصادرة عن الشفقة والخلوص . فإن من يخالف وصيتى كان سعيه هباء منثورا وكان بربه كفورا، ولن يزال مدّة حياته مروّعا مذعورا» . فندم زال على ما قال، وقام وخاطب لهراسب بالسلطنة، ودعا للملك وقال : من ذا يعرف انتساب لهراسب الى أوشَهنج لولا الملك؟ واعتذر اليه وسأله الصفح والعفو . فقام عند ذلك الملوك والأكابر، وحيوه بتحية الملوك، ونثروا على تاجه الجواهر . ثم قام الملك وقال : شاعكم السلام أيها الكرام . فعانق كل واحد منهم وودعهم ، وهم يبكون ويضجون ، وكأنهم بلسان حالهم يقولون :

وداعك مثل وداع الحياة   وفقدك مثل افتقاد الديَم
عليك السلام فكم من وفاء   نفارق منك وكم من كرم

ثم ركب إلى إيوانه وودّع جواريه ونساءه . واستحضر لهراسب وأوصاه بهنّ وأمره بمراعاتهن واحترامهنّ والقيام بكفالتهنّ . وأن يقرّهنّ فى الدار التى كنّ بها حينئذ . وقال : عليك ألا تخجل إذا لقيتنى وسياوخش عند تحوّلك من هذه الدار إلى مستقرّ الأبرار . فتقبل لهراسب وصيته . ثم خرج

(ا) يذكر لهراسب لأوّل مرة فى الشاه فى موقعة يازده رخ السابقة حين يوليه الملك كيخسرو قيادة جيش الى بلاد اللان

(١) ك طا ، كو : العقل .

وركب وطاف على الإيرانيين وعزاهم عن نفسه ووعظهم ونصحهم . ثم أمر لهراسب بالانصراف عنه والعود إلى تخت الملك وقال : إياك أن تزرع فى الدنيا غير الخير . ومتى رأيت أن نفسك قد رغبت فى الراحة ، وزهدت فى الملك والمال فاعلم أن وقتك قد انتهى فلا تعدل عن العدل والإنصاف ، وخلص نفسك عن المكاره والأسواء . فنزل لهراسب وقبل الأرض وودّعه .

وسار الملك ، وصحبه رءوس الإيرانيين مثل دستان ورستم وجوذرز وجيو وبيژن وكُستَهم وفرى بُرز وطوس ، وسار إلى أن صعد إلى جبل فأقاموا عليه أسبوعا . وخرج فى أثره[1] نساء الإيرانيين ورجالها زهاء مائة ألف نفس يبكون ويضجون[2] حتى طنّ بصياحهم وعويلهم السهل والجبل . ثم بعد أسبوع أشار الملك على الأكابر والسادات بالانصراف من ذلك المكان ، وقال : إن أمامنا طريقا صعبا لا ماء فيه ولا عشب . فانصرف دستان ورستم وجوذرز ولم ينصرف عنه الباقون . فسار الملك وساروا معه حتى وصلوا إلى ماء فنزلوا هناك . وقال لهم الملك : إذا طلعت الشمس غدا حان وقت المفارقة . فباتوا ليلتهم عند العين . ولما كان فى الثلث الأخير من الليل قام الملك ودخل العين واغتسل . ثم ودّعهم وقال : إن الثلج غدا يسدّ عليكم الطريق فلا تهتدون إلى الرجوع إلى إيران .

ولما طلعت الشمس ركب الملك وغاب عن أعينهم فهاموا على وجوههم فى تلك الجبال والرمال يطلبونه ويبكون عليه . فلما لم يروا منه أثرا عادوا إلى تلك العين فنزلوا ساعة ، وقالوا : نستريح ثم نرتحل راجعين . وجعلوا يتعجبون من الحالة التى شاهدوها ، ويقولون : لم نسمع قط بأن أحدا فى حالة حياته ينتقل إلى جوار الله الكريم . وبقوا على تلك الحالة يبكون ويتأسفون ثم تناولوا شيئا كان معهم وناموا ساعة . فتغيمت السماء ، واشتد الهواء ، ومطروا ثلجا غابت فيه من كثرته رماحهم القائمة . وبقوا يضطربون تحت الثلج حتى هلكوا أجمعين § .

---

§ قصة انقباض كيخسرو واعتزاله وإصعاده فى الجبل وارتفاعه إلى السماء حيا تشبه قصة فى الحماسة الهندية العظيمة (المهابهارته) حيث يعتزم يُدهشترا أن يعتزل الملك ، ويقتدى به إخوته ويودّعهم الرجال والنساء ثم يرجع المودّعون ، ويستمر السائحون فى رحلتهم حتى تعترضهم صحراء عظيمة فيهلكون فى رمالها ما عدا يدهشترا . فيسير قدما لا يلتفت الى شىء ، ومن ورائه كلبه ، حتى يدخل السماء حيا[3] .

(١) طا ، كو : من نساء . (٢) لك : ويصيحون . (٣) ورنر (Warner) ج ٤ ص ١٣٨

وأما زال ورستم وجوذرز فانهم أقاموا ثلاثة أيام على ذلك الجبل الذى ذكرنا مفارقة الملك إياهم عليه، يبكون وينتحبون . ولما طلعت الشمس عن(١) اليوم الرابع، وانكشف الغيم وصحا الجو قالوا : قد طال مكثنا ها هنا ، وان كان الملك قد هلك فما بال من كانوا معه لم يعودوا ؟ فأقاموا أسبوعا آخر فأيسوا منهم، وأخذوا فى البكاء والعويل ، وطفق جوذرز يضرب نحره وينتف شعره ويقول : من لى مالقيت من ذرية كيكاوس ؟ قد كان حولى من أولادى عسكر فقتل أكثرهم بسبب الطلب بثأر سياوخش ، وقد أصاب هؤلاء الباقين مع هذا الآخر ما أصابهم . وجعل ينوح عليهم ويندبهم . فأخذ زال يعزيه ويسليه . ثم رجعوا .

ولما علم لهراسب بحالهم ورجوعهم جلس على تخته فدخل عليه الأكابر والأمراء . فقال : يا قوّاد العسكر ! إنكم قد سمعتم مواعظ الملك السعيد كيخسرو ووصاياه . فمن يكن منكم بولايتى غير مسرور ولا ممتثل لأوامر الملك فإنى بكل ما أمرنى به قائم، ولجميع مراسمه ممتثل. وأنتم فلا تخالفوه أيضا ولا تخفوا من حالكم منى شيئا . فإن من نبذ وصية الملوك وراء ظهره يكون مخالفا لله فى سره وجهره . فقال دستان : إن الملك قد سماك لهذا الأمر، وقبلتُ وصيته ولست براجع عن ذلك ١٠٢ ولا رستم . فالآن أنت المتبوع ونحن التابعون، والآمر ونحن المطيعون . فأثنى عليه لهراسب وقال : إن الملك قد عقد لكم على نيم روز، فالآن كل ما قدرتم على أخذه واستضافته اليها فقد سلطتكم عليه . وأقبل على جوذرز وقال : ماذا تقول أيها البهلوان ؟ فقال ماذا أقول وأنا رجل وحيد ؟ فذكر أولاده بهرام وجيوا وبيژن ، ومزق ثيابه ، وبقى ساعة يندبهم وينوح عليهم . ثم أفاق وقال : أنا موافق لدستان فيما قال وممتثل لأمر الملك كيخسرو فيما دبر واختار . أنت الملك ونحن كلنا لك أتباع وأشياع » . فأثنى على لهراسب سائر من حضر من الأمراء والقوّاد، وخدموه ثم انصرفوا . وانشرح صدره بما استتب له من ذلك الأمر لكنه أخر التتوّج بتاج السلطنة الى يوم المِهرجان اقتداء بأفريذون .

وهذا آخر الحديث عن ملك كيخسرو وسلطانه . ونتبعه بذكر نوبة لهراسب ووقائعه ان شاء الله تعالى، بسعادة مولانا السلطان الملك المعظم، ملك ملوك العرب والعجم أبى الفتح عيسى بن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب لا زال تاج الملك منورا ببهائه وجماله ، وسرير السلطنة مزينا بروعته وجلاله ما تعاقب الملوان وتناوب الجديدان .

---

(١) كو : من .

ذكر نوبة لهراسب وما جرى فى عهده . وكانت مدّة ملكه مائة وعشرين سنة §

قال صاحب الكتاب[١] : ولما كان يوم المهرجان تسنّم لهراسب سرير الملك، واعتصب بتاج السلطنة فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال : أيها الحاضرون ! استشعروا الخوف من الله المنزه القاهر الذى أجرى البحار، ونصب الجبال، ورفع السماء، وجعلنا فى الأرض ذات الطول والعرض كنمال دارجة على كرة فى مقعر الفلك . ثم وعظهم ونصحهم ووعدهم من نفسه ببسط جناح الرأفة عليهم، ومد يد الإحسان إليهم . فأثنى عليه الحاضرون وخدموه . وبقى لهراسب على سرير الملك

رأى القارئ آنفا أن الملاحم المتمادية ختمت بقتل أبطال التورانيين ثم قتل أفراسياب وأخيه، وأن أبطال ايران الذين أبقتهم الحرب أهلكهم البَرد حين خرجوا يشيعون كيخسرو ، ما عدا زالا ورستم وجوذرز . ويعيش رستم وأبوه ليعاديا الملوك لا لينصراهم كما عهدناهما فيما مضى . وهكذا تختم القصة هذا العهد لتفتح عهدا جديدا يبدؤه الملك لهراسب . وقد عرفنا أن الايرانيين لم يستحسنوا أوّل الأمر اختيار لهراسب للملك قائلين أنه رجل مجهول النسب فأخبرهم كيخسرو أنه من نسل أوشهنج . فهذا فارق آخر بين العهدين .

وسنرى أن باعث الحرب يتغير وميادينها . ثم يزيد ما بين العهدين من تخالف أن العهد الآتى فى الشاهنامه يشتمل على ألف بيت نظمها الدقيقى قبل أن يشرع الفردوسى فى نظم الكتاب .

ويذكر لهراسب فى الأبستاق باسم أُرْوَت أسپه[٢] ويسمى فى بعض الكتب كيلهراسب، ويلقب البلخى . ونسبه فى فارس نامه : لهراسب بن فنوخى بن كيمنش بن كيفاشين بن كيابنه بن كيقباد . وفى الآثار الباقية أن كيمنش ابن كيقباد[٣] .

(١) فى حاشية الأصل، لك فى هذا الموضع : ذكر المسعودى فى تاريخه أن بخت نصر الذى فتح بيت المقدس ووطئ الشام وسبى بنى اسرائيل كان أحد مرازبة لهراسب هذا . والمرزبان عبارة عن صاحب ربع المملكة . وكان قد دخل المغرب أيضا ودوّخ البلاد . وأهل التواريخ والقصاص يغلون فى أخباره . وأصحاب الزيجات يجعلونه ملكا برأسه . وليس كذلك انما هو مرزبان والله أعلم . وقد أرّخ بطليموس صاحب المجسطى من عهد بخت نصر مرزبان المغرب .

(٢) ج ٢ ص ٧٨ (٣) انظر فارس نامه ص ١٤، والطبرى ج ١، وحمزة ص ٢٧، والآثار، ص ١٠٤

ينهى ويأمر ويعطى ويمنع حتى تمهدت له بذكائه وعقله قواعد السلطنة ، وأشرقت بأنوار معدلته أطراف المملكة ، وفرّق الرسل الى الصين والهند والى جميع أطراف الأرض فبذلوا له السمع والطاعة.

ثم سار الى بلخ وبنى بها شهرستانا ، وأنشأ بها(١) متعبدات وبيوت نار ، وعمل فيها بيت نار خاصة يعرف بآذر برزين . ولهذه النار فيما بينهم الذكر الرفيع والصيت الجليل . وكان له من بنت كيكاوس ابنان كأنهما قمران يتأهل كل واحد منهما للتاج والتخت والأمر والنهى ، لما فيهما من المروءة والشجاعة والجرأة والبسالة . وكان أحدهما يسمى كُشتاسب والآخر زرير . فاتفق أن لهراسب قعد ذات يوم فى مجلس أنسه بفارس وحضر كشتاسپ . ولما دار عليه الكأس وتمكن منه السكر قام وقبل الأرض بين يدى أبيه ، وقال : أنت تعلم أنه بعد رستم بن دستان ليس على وجه الأرض من يساجلنى فى الشجاعة ويطاولنى فى البسالة . وأنا أريد أن تسمينى للسلطنة ، وتعهد

= ويروى أن بختنصر — وكان ابن عم لهراسب ، أو ابن كيو بن جوذرز — كان إصبهبذ العراق من قبَل لُهراسب ، وأن لهراسب أوّل من وضع ديوان الجند وجعل للمرازبة سررا وحلاهم بالأسورة . واتخذ السرادقات(٣) .

ومن آثاره مدينة بلخ أو سورها ، والأنبار التى بناها ليحبس بها الأسرى الذى أتى بهم بخت نصر من بيت المقدس(٤) .

ثم قصة لهراسب فى الشاهنامه ٩١٦ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) بناء لهراسپ بيت نار ببلخ . (٢) ذهاب كشتاسپ مغاضبا لهراسپ . (٣) رجوع كشتاسپ مع زرير . (٤) ذهاب كشتاسپ الى بلاد الروم . (٥) بلوغه بلاد الروم . (٦) دهقان يضيف كشتاسپ . (٧) قصة كتايون بنت قيصر . (٨) إعطاء قيصر كتايون لكشتاسپ . (٩) ميرين يخطب بنت قيصر الأخرى . (١٠) كشتاسپ يقتل الذئب . (١١) أهرن يخطب بنت الملك الثالثة . (١٢) قتل كشتاسپ التنين ، وإعطاء قيصر ابنته الى أهرن . (١٣) كشتاسپ يظهر مزاياه فى الميدان . (١٤) رسالة قيصر الى إلياس وطلب الخراج منه . (١٥) حرب كشتاسپ وإلياس ومقتل إلياس . (١٦) قيصر يطلب من لهراسپ خراج ايران . (١٧) زرير يحمل رسالة لهراسپ الى قيصر . (١٨) رجوع كشتاسپ مع زرير الى ايران ، وإعطاء لهراسپ إياه تخت ايران .

(١) كو ، طا : فيها . (٢) لئ ، طا ، كو : زرير . (٣) حمزة والأخبار الطوال ومروج الذهب والطبرى الخ . (٤) حمزة ص ٣٧ ونزهة ١٥٥

الىّ حسب صنيع الملك كيخسرو بك . وأكون مع ذلك متصفا بعبوديتك وملازما لخدمتك . فقال له أبوه : إنك بعد فى ريعان الحداثة وغرة الشبيبة . فدع طلب هذه المرتبة ، ولا تقل إلا ما يستحسنه العقل ويقتضيه الذكاء . فعظم ذلك عليه . وكان له ثلثمائة فارس فركب فيهم وقت المساء، وفارق خدمة أبيه متوجها الى حضرة ملك الهند. وزعم أنه جاءه منه كتاب يستدعيه. ولما أصبح أبوه وقف على حاله ، واهتم لصنيعه ،وأحضر نصحاءه وأصحاب رأيه ، وفاوضهم فى أمر ولده ، وشكا إليهم صنيعه ، وقال : ربيته حتى شب وترعرع ، ولما دنا وقت الانتفاع بمكانه بادر الفرار ونغص علىّ العيش والقرار» . فدعا بولده الآخر زرير ونفذه فى ألف فارس على طريق الهند ، ونفذ كُستَهم فى جمع على طريق الروم ، ونفذ برازه[1] على طريق الصين ، وأمر كل واحد منهم بالجدّ فى طلبه واسترجاعه قبل أن يصل إلى مهربه .

قال : فسار كشتاسب الجافى حتى وصل الى أطراف كابُل فرأى رياضا معشبة وغياضا متأشبة وأنهارا جارية وصيدا كثيرا فنزل فيها واشتغل بالشرب فى ليله ثم أدلج بالبزاة والفهود والجوارح فى طلب الصيد . فلحقه أخوه فى ذلك المكان . ولما رأى وجهه ترجل وقبل الأرض ، وأجهش اليه بالبكاء ، وتعانقا[2] ورجعا الى المخيم فقعدوا فيه وتناوشوا أطراف الحديث ؛ فقال له أخوه المذكور : أيها الأمير الكبير ! إن الموابذة والمنجمين فى أرض إيران يخبرون بسعادتك وعلو جدك ، وأنك تبلغ مرتبة الملك كيخسرو. واذا دخلت الى بلاد الهند احتجت الى خدمة ملكها الذى لايعبد إلهك وليس على دينك . فأفكر فى أمرك ، وانظر كيف يقتضى العقل هذا ، وهل يحسن بمثلك أن يدخل تحت طاعة ملك الهند ؟ هذا مع أنك[3] لك الحنى عند أبيك ، والعتبى بعد تأبيك . ولا ندرى من أى جهة[4] تكرهته وملته . فقال : إن وجوهنا لا ماء لها عند أبينا ، وهو شرس الخلق ولا يميل إلا الى الكاوسية ومن ينتسب الى تلك الجرثومة ، وليس لى ولا لك عنده مكانة ، وهو لا يرشحنا إلا للعبودية والخدمة . ولكنى أرجع من أجلك ، فإن جعل لى تاج مملكة إيران وقفت فى خدمته على القدم ، وخدمته خدمة الوثنى للصنم . وإن لم يفعل ذلك فارقت بابه ، وهجرت جنابه ، وسرت إلى موضع لا يهتدى اليه » . ثم رجع مع أخيه . فلما بلغ أباه رجوعه ركب لاستقباله فترجل لأبيه وقبل الأرض . فعانقه أبوه ولاطفه ودعا له . ثم عاد به الى إيوانه . وأقام عنده زمانا لا يصل إلى مراده منه ، ويرى أكثر اعتنائه بأمر الكاوسيين . فكان يتقلب على جمر الهموم ويتجرع مرارة

(١) ك : براره . (٢) ك ، طا ، كو : فتعانقا . (٣) ك ، طا ، كو : مع أن لك .
(٤) ك : من أى وجه .



الغصص . فعزم على مفارقته وقال فى نفسه : إن استصحبت عسكرى علم بى وأنفذ خلفى وردّنى . فركب وحده ذات ليلة وحمل معه من الجواهر ما أراد، وتوجه قاصدا إلى بلاد الروم .

ذكر مسير كُشتاسب إلى بلاد الروم، وما جرى عليه(١)

قال : ولما أصبح أبوه واطلع على حاله أحضر زرير، واستدعى الموابذة ، وذكر لهم حال كشتاسب . فقال له أحدهم : فرق العسكر فى طلبه فاذا ردّوه اليك فلا تبخل عليه واعهد اليه . فهو يستحق ذلك بما فيه من الشهامة والصرامة » . ففرق الأكابر فى طلبه فطافوا فى أطراف المملكة فلم يقفوا له على خبر ولا عثروا منه على أثر فعادوا خائبين .

وأما كشتاسب فإنه سار حتى قرب من البحر . وكان الموكل بالسفن رجلا عاقلا يسمى هيشويَه فسأله مركبا يعبر فيه، وقال : أنا كاتب من أرض إيران ، وأريد الدخول إلى بلاد الروم . فقال : ما أرى(٢) شمائل الكتّاب . وما أراك ، لما أشاهد عليك من البهاء والأبهة، إلا من الملوك . ولا سبيل لك إلى العبور إلا بأن تصدقنى عن حالك أو تعطينى بعض ما معك » . فأرضاه بمال وهبه له وعبر . وكانت هناك مدينة بناها سلم بن أفريذون فى طول ثلاثة فراسخ، وهى مستقر سرير قيصر ملك الروم . فدخلها كشتاسب وبقى فيها مدّة مديدة حتى أنفق جميع ما كان معه ، وضاقت يده فدخل إلى ديوان قيصر وقال لبعض الأساقفة : إنى كاتب من أرض إيران . وسألهم أن يستكتبوه أو يستنيبوه فى بعض الأعمال . فنظروا الى أعضاده الشديدة، وتفرسوا فى شكله وقوّته، وقالوا : إن هذا يبكى قلم الحديد من مخافته، ويحترق القرطاس من مهابته، ولا يصلح له إلا فرس يعلوه وسلاح يعانيه » . ولم يقبلوه فرجع مهموما يتنفس الصعداء فصار نحو جوبان قيصر وسأله أن يستخدمه فلم يقبله أيضا، وقال : أنت رجل أجنبى ولا آمنك على الخيل . فتركه وصار إلى السار بان ، وسأله أن يقاطعه على خدمة الجمال . فقال : لا يليق بك أن تكون جمّالا . ولو دخلت الى دار قيصر ورآك لأغناك عن هذا . فاقصد بابه ولا تعدل عنه » . وعزم عليه فى ذلك .

فانصرف ودخل البلد وهو حزين كئيب فدخل سوق الحدّادين، وجلس على طرف دكان حدّاد يسمى بوراب فأطال القعود عنده . فاستعرض حاجته . فقال : إن رأيت أن تستعملنى فى تطريق الحديد فافعل . فإنى أقوم به وأغنى غناء حسنا . فأجابه الى ذلك ، وطرح فى النار بيضة من الحديد حتى اذا احمرت وصارت كوهج النار اجترّها ووضعها على السندان ، وأعطاه الفطّيس فلم يزد(٣) على

(١) طا : فيها عليه . (٢) كو، طا : ما أرى عليك . (٣) صل : فلم يزد أن . والتصحيح من ك، كو، طا

ان ضربها ضربة واحدة رض بها الحديدة وفلق السندان فطارت الحديدة شعاعا وتفرّقت فرقا . فطنّ السوق بحديثه ، واجتمع عليه خلق ففزع بوراب وقال : أيها الشاب ! إن السندان لا يطيق قوّتك ، وأنت لا تصلح لهذا العمل . فرمى الفِطّيس وخرج من دكانه وهو جائع لا يجد مطعما ولا يرجع الى مسكن ، وقد غلبه الهم والحزن . وقد وصف صاحب الكتاب حاله بما أعرب عنه الشاعر بقوله حيث يقول :

بلونا ما تجىء به الليالى ... فلا صبح يدوم ولا مساء
وأنضينا المدى طربا وهما ... فما بقى النعيم ولا الشقاء
اذا كان الأسى داء مقيما ... ففى حسن العزاء له شفاء
وما ينجى من الغمرات إلا ... طعان أو ضراب أو رِماء
سيُقطعك المثقف ما تمنى ... ويعطيك المهند ما تشاء

قال : فخرج من المدينة الى ضيعة قريبة منها كثيرة الماء والشجر . فتفيأ فى صحرائها بظل شجرة ، وأطرق يفكر فى حاله ويبكى . فمرّ به رجل من أهل تلك الضيعة حميد السيرة مرضى الخلق ، فرآه على تلك الحالة فاستخبره عما به ولاطفه فى استعلام حاله ، واستدعاه الى ضيافته . فسأله كشتاسب عن محتده وأصله . فقال له : أى غرض لك فى هذا السؤال ؟ فلم يجبه حتى أخبره بأصله (١) وأنه من ذرية أفريذون . فنهض معه عند ذلك الى منزله . وجعل يخدمه خدمة الأخ الشفيق . وبقى عنده على ذلك أشهرا من الزمان .

وكانت عادة قيصر فى ذلك الزمان أنه اذا أدركت إحدى بناته وحان حين تزويجها ألا يزوّجها إلا ممن تختار وتريد ؛ فتجلس فى إيوان ويجتمع إليها الأمراء والخواص والعوام . فمن وقع عليه نظرها ورضيته لنفسها أعطته باقة ريحان . فتزوّج حينئذ منه . وكانت للملك ثلاث بنات موصوفات بالجمال والأدب والعقل . فدخل وقت تزويج كبراهن وكانت تسمى كتايون . فرأت فى المنام أنه احتفل لها الناس على عادتهم فحضر رجل استنارت به الأرض كأنه قمر زاهر أو سرو ناضر غير أنه غريب كئيب ، فأعطته هى باقة ريحان وأعطاها هو باقة أخرى . فانتبهت ، ولما طلعت الشمس اجتمع الناس على عادتهم فتبرجت فى ستين جارية مع كل واحدة منهن باقة ورد وريحان فتأملت فى (٢) جميع الحاضرين فلم تقع عينها على أحد ترتضيه ، فانصرفوا . ولما كان الغد قال الذى نزل عنده كُشتاسب له : ما بالك قاعدا مهموما ؟ فقم واذهب وتفرّج على اجتماع الناس لعرس بنت الملك . فخرج معه

(١) لك : عن أصله . (٢) طا : تأملت جميع

وصار الى إيوان قيصر، وقد اجتمعوا اجتماعهم بالأمس . فقعد كشتاسب فى زاوية من المجلس . فتبرجت كتايون وطافت على الحاضرين، فلما انتهت الى كشتاسب أعطته ما معها من الورد والريحان. فارتفعت الأصوات وبادر الوزير إلى الملك وقال : إن كتايون اختارت من القوم رجلا رشيق القدّ صبيح الوجه قد أعطاه الله رونقا وبهاء ، وكساه أبهة وجلالا . غير أنا لا نعرفه ولا نعرف أصله ومحتده» . فعظم ذلك على قيصر وقال : لا عاشت البنت فإنها تجلب العار والشنار . كيف أزوّج بنتى من رجل خامل الذكر غير معروف بفخامة الأمر وجلالة القدر؟ والرأى أن نقطع رأس المختار والمختارة (١٠٤) من وراء الستارة . فأنكر الأسقف عليه ذلك وقال[1] : هذا طريق ما سلكه أحد من آبائك . فلا تسلك أنت فيه فإنه غير مبارك ولا مرضىّ عند الملوك . وصرفه عن رأيه ذلك واستقرّ الأمر على أن يزوّجها إياه . فزوّجها منه وقال لها : اخرجى معه ولا حلى لك عندى ولا حُلىّ ولا تاج ولا طوق ولا سوار . فقال لها كشتاسب : مالك لم تختارى واحدا من هؤلاء الملوك والأمراء حتى لا[2] يتغير فيك رأى الملك؟ ومالك اخترت رجلا غريبا مسكينا؟ فقالت له : إذا كنت قد رضيت بك مع هذه الحالة فمالك تكثر الفضول؟ فخرج. وطيب قلوبهما الدهخُداء[3] الذى كان أنزله فى منزله ، وأخلى لهما دارا ، وقام بخدمتهما ، وكانت مع كتايون جواهر لها قيمة فأعطته فصا من الياقوت فباعه بستة آلاف دينار . فاشترى منه ما احتاجا إليه من المفارش والملابس وغير ذلك . ومال كل واحد منهما الى صاحبه ، وأخذا يزجيان أوقاتهما § وكان الصيد والقنص معظم ما يشتغل به كشتاسب ، فلم يكن يفارقه القوس

---

§ عرفت هذه القصة منذ زمان الاسكندر المقدونى فى رواية تخالف ما فى الشاهنامه بعض المخالفة : نقل أثنوس عن چارس المتلينى[4] . وكان چارس فى حاشية الاسكندر، وكتب تاريخه فى عشرة كتب لم يبق منها إلا شذرات فى بعض الكتب — أن هستسپس وزريدرس كانا أخوين جميلين جدا حتى زعم الناس أنهما ابنا أفروديت . وكان هستسپس وهو أكبرهما ، ملك مديا . وكان زريدرس ملكا على الأرض التى فوق البحر القزوينى حتى نهر تنيس . وكان وراء هذا النهر منازل قوم اسمهم المراثى ، ولهم زعيم إسمه أُمَرتِس . وكان لهذا الزعيم بنت اسمها أُداتِس كانت أجمل نساء آسيا . رأت أداتس فى منامها زريدرس فشغفت به حبا ورآها هو فى منامه فهام بها . ولما خطبها الى أبيها أبى أن يزوجها منه إذ لم يكن له ابن، وكان يريد أن يزوّجها من بعض بطانته . وبعد حين جمع أكابر مملكته ليحتفلوا لتزويجها دون أن يُعرف ممن تزوّج . وبينما القوم فى لهوهم دعا أُمَرتِس =

(١) لفظ «قال» ليس فى الأصل . والتصحيح من لك، كو، طا . (٢) صل، لك، طا : لم يتغير . والتصحيح من كو .

(٣) لك : الدهخداه، وفى الشاه : كدخداى . (٤) Chares. Athenœus

والتركش . فخرج يوما على عادته الى الصيد فرجع ومعه عدّة من أنواع الصيد . فاتفق مروره على هيشويه المتولى للبحر الذى سبق ذكره فعرفه فتلقاه وأكرمه . فقدّم إليه كشتاسب ما معه من الصيد، وحصلت بينهما صداقة عظيمة ومودة أكيدة. وكان كل يوم إذا رجع من الصيد يحضر عنده ويقدّم له بعض ما اصطاده ، وإذ انصرف الى ضيعته قدّم بعض ما صحبه من الصيد الى صاحب الدار ، وفرّق الباقى على أهل الضيعة .

قال : وكان فى قوّاد قيصر أمير كبير من بيت كبير من الوجوه المشهورين . فخطب الى قيصر بنته فقال : إنى قد تركت ما سبق لنا فى هـذا من الرسم والآيين . ولست أزوج بنتى إلا ممن يفعل فعـلة عظيمة مذكورة؛ فيركب الى أجمة فاسقون(١) فإنّ فيهـا ذئبا أغبر فى ضراوة ثعبان وقوّة فيل — فى أوصاف ذكرها صاحب الكتاب منها أنه كان له قرن — فمن قتل هذا الشيطان أجبته الى ما يريد ، وصاهرته » . فضاقت الأرض على الأمير الخاطب بما رحبت ، فرجع الى إيوانه ، وخلا بنفسه ،

= ابنته وقال: يا أداتس ابنتى! نحن مجتمعون لزواجك فانظرى فمن راقك فى هذا الجمع فاملئى له كأسا ذهبية وناوليه . فنظرت فى الحاضرين ثم ارتدت باكية اذ لم تر بينهـم زريَدرِس، وكانت قد أنبأته بهذا الحفل . وكان هو معسكرا على نهر تنيس فترك جيشه مسارعا اليها ليس يصحبه إلا سائق عجلته . واجتاز النهر يطوى المسافات النائيــة لا يلوى على شىء حتى بلغ المدينة فترك العجلة والسائق وتقدّم الى المحفل فاذا أداتس بجانب المـائدة تبكى وتملأ الكأس متباطئة ترجو أن يحضر حبيبها قبـل أن تملأها . فاقترب منها وقال : هأنذا كما أمرت يا أداتس ! أنا زريدرس . فالتفتت فاذا رجل باهر الطلعة كالذى كانت تراه فى منامها فناولته الكأس . وحملها الى عربته وفرّ بها . وبعد قليل تفقدها أبوها فقال الخدم وهم يعرفون جلية الأمر : لا نعرف أين ذهبت .

ويقول المؤرّخ : إن قصة عشقهما شائعة بين الأسيويين ، وقد اتخذوا منها صورا فى معابدهم وقصورهم ودورهم . وكثير من الكبراء يسمون بناتهم أداتس .

ولايخفى على القارئ أن هِستَسِپس وزريَدرِس فى هذه القصة هما كُشتاسب وزرير اللذان فى الشاهنامه .

ثم اختيار المرأة زوجها على هـذه الشاكلة كان دأب الهند القدماء . وفى كتاب المهابهارته قصة تشبه هذه القصة(٢) .

(١) فى الشاه : فاسقون . (٢) انظر الشاهنامه : ترجمة ورنر (Warner) ج ٤ ص ٣١٤ وما بعدها .

وأخذ يطالع الكتب فرأى فى كلام بعض علمائهم المتقدّمين أنه يأتى فى الزمان الفلانى رجل من أهل إيران فيتيسر له ثلاثة أمور: أن يتزوّج بابنة قيصر، وأن يقتل فى أرض الروم سبعين قد عظمت أذيتهما للناس . وكان الرجل قد علم من حال كشتاسب اتصاله بكتايون بنت قيصر ومصاحبته لهيشويه ومصادقته له، فركب الى هيشويه، وذكر له حاله، وحكى له ماراه فى كتاب الفيلسوف . فقال له : إن هذا الرجل الذى وصفته لم يأتنى بالأمس، وهو يأتينى الساعة فلا تبرح . فأحضر(١) الشراب والمغانى . ولما دارت عليهم الكأس أربع دورات ظهر لهم كشتاسب من الطريق. فركب هيشويه مع ميرين، وهو الأمير المذكور، وتلقاه(٢) . ولما قربا منه ترجلا له وقبل هيشويه الأرض بين يديه . وعدلوا الى جانب(٣) وأحضروا الطعام والشراب، واندفعوا فى الأكل والشرب. ولما ثمل كشتاسب أقبل عليه هيشويه وقال: إن ميرين هذا رجل عاقل عالم منجم قد نظر فى كتب الفلاسفة، وهو عالم بأحوالهم . وهو مع هذه الخصال ينتسب الى سلم بن أفريذون، وعنده صمصامة سلم التى كانت لا تفارقه . وهو فارس مقدام . وقد أراد التشرف باتصاله بقيصر فخطب اليه ابنته، فزعم أنه لا يزوّجه إياها إلا بعد أن يقتل الذئب الذى من صفته كيت وكيت. فإن كفيته هذا المهم، وقتلت له هذا السبع كنت لك عبدا، وكان هذا الأمير لك نسيبا وحميا . فقال له كشتاسب : إن هذا أمر هين . فهاتوا فرسا قويا، وهاتوا سيف سلم الذى وصفتموه . فركب ميرين الى منزله، وأخرج فرسا أدهم، وحمل السيف مع درع وخوذة، واستصحب تحفا من الجواهر والثياب وغيرها . وجاء بذلك(٤) هيشويه . فلما جاء كشتاسب من منزله قدّم ذلك بين يديه فقبل الفرس والسيف، ووهب البقية لهيشويه . ثم لبس الخفتان وركب الفرس، وتوجه نحو الأجمة، وأمامه ميرين وهيشويه حتى دنوا من الأجمة المذكورة. فأراه هيشويه مربض السبع، ورجع مع ميرين القهقرى وراءهما، وقعدا يتلهفان على كشتاسب حيث ألقى بيده الى التهلكة . وأما كشتاسب فإنه نزل عند الغيضة وسجد لله تعالى واستنصره واستعانه . ثم ركب ودخل الأجمة فزأر زأرة كاد يتمزق من هولها وشدتها مرائر السباع التى هنالك . فلما رآه الذئب همهم كالسحاب الراعد، وأقبل اليه يشقق الأرض بأظافيره . فرشقه بسهام صائبة بجرحه . فربض مما ناله من ألم الجراح واستراح ساعة ثم حمل على كشتاسب وشق بقرنه بطن فرسه . فترجل كشتاسب وعلا رأسه بسيفه ففلق هامته حتى انتهى الى زوره، ووقع صريعا . وخرّ كشتاسب ساجدا لله عز وجل شكرا(٥) على ما أولاه. ثم قلع سنين من أسنان الذئب كأنهما حربتان مؤللتان، وكرّ راجعا راجلا الى صاحبيه . وكانا قد أقاما المأتم عليه . فلما تراءى لهما

(١) لك، طا : فأحضره. (٢) لك، طا : وتلقياه. (٣) طا، كو: الى جانب الماء. (٤) لك، طا : بذلك . كو : بذلك كله الى . (٥) كلمة "شكرا" ليست فى الأصل. وفى لك، طا : ساجدا لله تعالى شكرا على الخ .

من بعيد وثبا مبادرين اليه فعانقاه، واستخبراه عما جرى له، فأعلمها بما يسر له من قتل ذلك السبع، وأشار عليهما بدخول الغيضة ليشاهدا العجب. ففعلا ورجعا اليه وقد انشرحت صدورهما بذلك. فانصرفوا وقدّم ميرين تحفا كثيرة وهدايا وافرة لكشتاسب فلم يقبل منها إلا فرسا ركبه وعاد الى منزله. وبادر ميرين الى حضرة قيصر وقال: أيها الملك! قد كفيت أمر ذلك السبع العظيم. وقد قددته
(١٠٥) من مفرقه الى زوره بنصفين. ففرح له قيصر واستبشر وأمر بأن يخرج من الأجمة على العجل الى الميدان. فلما شاهده الملك صفق بيديه فرحا وسرورا. ثم أحضر الأسقف وزوّج ميرين ابنته. وأمر بتفريق الكتب الى بطارقة الروم يخبرهم بما تسنى لميرين من كفاية شر ذلك السبع الهائل والتنين الصائل.

قصة كشتاسب مع أهرن

قال: وكان فى بلاد الروم أمير آخر يسمى أهرن ذا بيت فى الشرف أصيل وعرق فى المجد عريق. فأرسل الى قيصر يخطب اليه ابنته التى بقيت عنده، ويقول: أنت تعلم أنى أشرف من ميرين حسبا، وأكرم منه نسبا، وأطول منه باعا، وأرحب منه ذراعا. فأرسل إليه الملك يقول: إنه لا يخفى أنى لم أزوّج ابنتى من ميرين حتى فعل بالسبع ما فعل. فإن كنت راغبا فى هذه المصاهرة فلا بد لك من مثل ما فعله ميرين. فى[(١)] جبل سقيلا ثعبان قد ضيق على الخلق هذا الإقليم. فإن قتلته وكفيت الروم شره أجبتك الى ما سألت. قال: فأفكر أهرن ففطن أن قتل الذئب ليس من صنيع ميرين، وأن تلك الضربة ليست ضربته. وقال: الرأى. أن أركب الى هذا المحتال، واستخبره عن الحال لعساه أن[(٢)] يصدقنى الخبر. فركب فى موكبه وجاء الى باب إيوان ميرين، واستأذن ودخل فتلقاه ميرين بأتم إعظام وإكرام. ثم خلا به وقال[(٣)]: إنى جئتك لأستخبرك عن شىء، ولا بدّ أن تكشف الغطاء وتصدقنى عنه. فضمن له عن نفسه الصدق فيما يسأله. فقال: إنى خطبت الى قيصر ابنته فأجابنى على شريطة أن أقتل الثعبان. فأخبرنى الآن كيف كان حرب السبع، ودلنى على وجه الحيلة فيه. فأطرق ميرين عند ذلك ساعة مفكرا، وقال فى نفسه: إن لم أخبره بمصدوقة الحال لم يخف الأمر عليه. والصدق هو رأس مال الفتوة، والكذب مباين للمروّة. والرأى أن أدله على الرجل فلعله تحسم على يده أيضا مادة شر هذا الثعبان، وأعتضد بأهرن ونكون بين الروم يدا واحدة لئلا يتمكن منا عدوّ، ثم ندبر على هذا الفارس نقتله[(٤)] ليخفى الأمر ولا يطلع عليه أحد».

(١) ك، طا: وفى جبل (٢) ك، كو، طا: فعساه يصدقنى (٣) صل: ثم قال. والتصحيح من ك، كو، طا. (٤) ك: فنقتله.

ثم استحلف أهرن على الكتمان لخلف له . فكتب الى هيشويه كتابا ، وذكر فيه أن أهرن من أولاد القياصرة ، وأنه ممن لا يخفى شرفه . وقد خطب الى الملك ابنته فأجابه وشرط عليه أن يقتل الثعبان الذى فى جبل سقيلا . والآن فقد توسل بى اليك لتدبر أمره . فحمل أهرن كتابه الى هيشويه فضمن له ذلك . فأقبل كُشتاسب فتلقاه مع أهرن وخدماه . ولما نزل عرض عليه ما تجشم لأجله أهرن(١) بعد أن ذكر حسبه ونسبه ورغبته فى مصاهرة قيصر . فقال : استعمل حربة طولها خمسة أذرع فى كل واحد من طرفيها سنان مؤلل كأسنان الحية رأسه كإبرة الشوك . وأحضر لى فرسا وجوشنا حتى أكفيهم أمر هذا الثعبان الهائل بإذن الله عز وجل . فعمل أهرن ما أشار به عليه ، وحمله وجاء الى هيشويه . وجاء كشتاسب وركب وركبا معه وساروا حتى قربوا من ذلك الجبل . فوقفا وصعد كشتاسب الجبل ، وقد طلعت الشمس ، فرأى ثعبانا متغيظا قد فتح فاه عن مثل الجحيم ، واجترّ اليه كشتاسب بنَفَسه . فرماه بالنشاب ، ولما قرب منه وضع الحربة ما بين فكيه . فعض عليها فدخلت فى حلقه فأخذ يغرغر ويقذف السم من فيه حتى كاد يغمر وجه الأرض بسمه . ثم علا(٢) رأسه ، وضربه ضربة أفرغت دماغه ما بين تلك الحجارة . فترجل وقلع من شدقيه نابين طويلين ، وانصرف نحو عين هناك واغتسل وسجد يبكى ويعفر وجهه فى التراب يدعو الله تعالى ويشكره على إعانته إياه على ذلك السبع العظيم ، وهذا الثعبان الهائل ، ويسأله أن يجمع شمله بأبيه وأخيه . ثم ركب مخضل الوجه بدموعه ، وعاد إلى صاحبيه ففرح بذلك أهرن ، ولما عاد إلى منزله أهدى له هدايا كثيرة من التحف والثياب والجواهر والخيل والأسلحة . فلم يأخذ لنفسه منها غير فرس وقوس وعدّة سهام . ووهب الباقى لهيشويه . فركب أهرن الى منزله ، وانتشر الخبر فى المدينة بأن أهرن قتل الثعبان . وحُمل الثعبان على العجل الى ميدان قيصر . وكان كقطعة جبل . فاجتمع الناس ينظرون اليه ، وابتهج قيصر لذلك ، واتخذ ذلك اليوم عيدا . ولما كان من الغد استدعى الأسقف والبطارقة والجاثليق ، وسلم ابنته الى أهرن . وكان يظهر التبجح به وبالختن الآخر الذى يسمى ميرين . وبنى قصرا مشرفا على الميدان فكان يجلس فيه وينظر الى لعبهما فى الميدان بالكرة والصولجان حتى مضى على ذلك زمان . فاتفق أن ابنة قيصر التى(٣) تحت كشتاسب قالت له ذات يوم : مالك لا تركب الى ميدان الملك وتتنفس ساعة وتلق عن نفسك بعض هذا الهم والحزن ؟ فاستحضر مركوبه ، وركب ودخل الميدان ، ووقف ساعة ينظر الى مطاردة من هناك من الأمراء وملاعبتهم بالكرة . فاستدعى صولجانا ، وتقدّم ولاعبهم فغلب الكل غلبة فضوا منها العجب .

(١) لفظ «أهرن» من ك ، كو ، طا . (٢) لفظ «من» من كو ، ك ، طا . (٣) طا : التى هى .

ثم شرعوا فى النضال والمراماة فنضلهم كشتاسب . فتعجب قيصر منه واستحضره واستدناه واستخبره
عن اسمه وحاله ومولده . فقال: أنا ذاك العبد الذليل الذى طرده الملك من المدينة، وجفا ابنته حيث
اختارته غريبا نازح الوطن بعيدا عن الأهل والسكن. وهو الذى قتل السبع الهائل والثعبان الصائل،
وكفى الروم شر هذين الشيطانين . ثم قال: وهيشويه دلنى عليهما . وأنيابهما بعدُ عندى فى البيت.
فان رأى الملك أن يسأل هيشويه عن ذلك فليفعل ليعلم أنه ليس فى مصاهرتى عار ولا فى مواصلتى ١٠٦
شنار . فجاء هيشويه وشهد بذلك، وأحضر هو أنياب السبعين بين يدى الملك، فغضب على أهرن
وميرين، وقال : كيف كان يخفى هــذا الأمر؟ ثم اعتذر الى كشتاسب واعترف بالتقصير فى حقه .
وقال : أين ولدى كتايون فقد ظلمتها كثيرا ؟ فحضرت فى الحــال بين يديه فاعتذر اليها عما سلف ،
ولاطفها وقال لها : هل سألت زوجك عن حاله وأصله ومحتده ومولده ؟ فقالت : إنى سألته كثيرا
عما يقوله الملك ولكنه ليس يخبرنى عن مصدوقة الحال ، ولا يطلعنى على حقيقة الأمر . ولا أشك
أنه من بيت عظيم وعرق كريم . فانصرف قيصر الى إيوانه . ثم أتاه كشتاسب من الغــد ودخل
عليــه فأجلسه بجنبه على تخت من الذهب ، فأحضروا له منطقة وخاتما وتاجا قيصريا . فقبل التاج
ووضعه على رأسه واعتذر اليه، وقال لأصحابه : كونوا كلكم مطيعين لفرّخ زاد — يعنى كشتاسب،
وكان قد تسمى عندهم بهذا الاسم وأخفى اسمه الأوّل — ولا تخالفوه فى قوله ولا فعله ، وكونوا أيقاظا
فى خدمته .

ذكر ما جرى بين إلياس ملك الخزر وبين قيصر

قال : وكان إقليم الخزر أقرب الأقاليم الى بلاد الروم . وكان ملكهم إلياس ابن الملك مهراس. فكتب اليــه قيصر[(١)] كتابا يبرق فيــه ويرعد حتى كأنه قطر بقلمه دما، وقال : إنك قد اسـتوليت على ممـالك الخزر فى هذه المدّة المديدة، وقد انتهت الآن أيام استبدادك بها . فنفــذ الينا الخراج والحمل ورهائن من أولادك . وإلا ففرّخ[(٢)] زاذ يسير اليك، ويدوّخ[(٣)] بلادك، ويملك تختك وتاجك . فاغتاظ إلياس حين قرأ الكتاب، وأرسل اليــه يقول : إنا ما سمعنا قبل اليوم بكل هذه الرجولية والشجاعة فى الروم . وأنت أما ترضى، إذا لم أطلب منك الخراج، أن تنجو منى رأسا برأس ؟ وأراك[(٤)] قد تهت وأعجبت بنفسك منــذ استأمن اليك هذا الفارس . وهذا الرجل الوحيد ولو كان جبل حديد فليس إلا من حبالاتك وأشراكك التى نصبها الشيطان لهلاكك . ثم لا تجشمه النهوض الىّ فإنى لا أتأخر

(١) صل : الملك قيصر . والتصحيح من ك ، كو، طا . (٢) فى نسخ الترجمة كلها : فرخ زاد بغير فاء .
(٣) ما بين الشرطتين ساقط من ك . (٤) «وأراك — الى — الفارس» . ساقط من ك .

عن المسير إليك . وبلغ جوابه هذا الى أهرن وميرين فأرسلا الى قيصر وقالا : إن إلياس ليس كالسبع والثعبان . فاحذر أن يخلف ظنك فرخ زاد اذا تضرمت نار الحرب، وانتصب إلياس للطعن والضرب . فاغتاظ قيصر من كلامهما واستحضر فرخ زاد وقال له : اعلم أن الياس رجل شجاع مسعر يحطم الأسد ببأسه ولا يصطلى أحد بناره . فان كنت تقدر على مطاولته وتستطيع مقاومته فأعلمنى، وإن كان غير ذلك فأعلمنى أيضا لأرى رأيا آخر، وأصرفه بالرفق والمداراة عما عزم عليه . فقال(١) له : أى حاجة لك الى هذا التطويل والقال والقيل ؟ إنى اذا علوت ظهر الفرس لم أفكر فى جميع رجال الخزر . غير أنى لا آمن المخامرة من ميرين وأهرن . فتعاون أنت وابنك على حماية ظهرى فى ملتحم القتال . فانى بحول الله وقوته لا أبقى إلياس ولا جيشه ولا تاجه ولا تخته .

قال : ولما كان من الغد وصل عسكر إلياس فأشار قيصر على كشتاسب بأن يبرز بعسكره من المدينة ويزحف إليهم . فبرز بهم الى المصاف . ولما رآه الياس، وشاهد شدة أعضاده وعبالة صدره وكيفية كره وفره أرسل اليه فارسا، وقصد أن يخدعه ويصرفه عن وجهه بمال يعطيه أو ولاية يجعلها له . فأجابه كشتاسب وقال : إنك تضرب فى حديد بارد . وما أنا ممن ينخدع لك ، وتؤثر فيه رقيتك .

ولما طلعت الشمس من الغد ركب عسكر الروم وجاء قيصر وعبى الصفوف ورتبها ؛ فخلّف ميرين وأهرن لحفظ الأثقال وما وراء العسكر، ووقف فى الميمنة ، ورتب ولده المسمى سقيل فى الميسرة، وجعل كشتاسب فى القلب. فتزاحف الفريقان والتقى الجمعان. ولما رأى الياس كشتاسب قال لأصحابه : انما طلب قيصر منا الخراج لكون هذا الفارس على بابه . قال : وتلاقى إلياس وكشتاسب فسدّد اليه إلياس سهما فأخطأه، وبادره كشتاسب فطعنه طعنة أذرته عن ظهر الفرس، ثم مدّ يده(٢) وأخذ بأطواقه واجتره من بين فرسانه، وركض به الى قيصر فسلمه اليه . ثم عاود المعترك وزحف بجموعه الى صفوف الخزر فزحزحهم عن مواقفهم ، وبدّد جموعهم ومزقهم كل ممزق ، بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمة . ثم ترك الروميين فى أقفيتهم، وانصرف نحو قيصر فتلقاه قرير العين منشرح الصدر فشكر سعيه وقبله بين عينيه . ثم انصرفوا الى دار الملك(٣) مظفرين منصورين. وخدمت الروم كشتاسب بالهدايا والتحف وأنواع المبار والخدم . ثم بعد مضى أدوار من الزمان شاور قيصر كشتاسب فى إنفاذه رسولا الى لهراسب ومطالبته بأداء الخراج وإيذانه بالحرب. فقال له كشتاسب : رأيك أصوب وأحكم . فافعل ما ترى .

(١) صل : وقال : والتصحيح من ك، كو، طا . (٢) ك : يده اليه . (٣) طا، كو : ملوك الروم

ذكر مراسلة قيصر لُهراسبَ بذلك

قال : وكان فى أصحاب قيصر رجل عاقل معروف بالشهامة والصرامة مذكور برصانة الرأى ورزانة العقل يسمى قالوس . فأرسله الى لهراسب وأمره أن يقول له : أدّ الينا خراج ايران ليبقى عليك ملكك . وإن لم تفعل ذلك نفذت اليك فرخ زاد فيدوّخ ديارك ويملك بلادك . فمضى الرسول الى لهراسب . فلما وصل أعلم بوصوله ، فجلس على تخت من العاج ، واعتصب بالتاج ، ومثل بين يديه الأمراء والقوّاد سماطين . ثم أمر بادخال الرسول . فدخل وأدّى اليه الرسالة(١) فعظم عليه ذلك . ثم أمر بانزاله فى موضع يليق بجلالة قدر مرسله . وفرشوا له البسط المنسوجة بالذهب ، (١٠٧) وقدّموا له الهدايا والتحف ، وبلغوا فى إكرامه وإعظامه الغاية . فلما كان الغد جاء الرسول باب إيوان الملك واستأذن فأذن له . فدخل وخلا به لهراسب وقال : أيها الرجل العاقل ! إنى مسائلك(٢) عن أمر فلا تعدل عن الصدق فيه . ثم قال : إنا لم نسمع بكل هذه الرجولية فى الروم قبل يومنا هذا . وكان ملكهم أضعف الملوك . فمن أين تجدّد الآن لقيصر هذه القوّة والشوكة حتى يبلغ به الأمر الى أن صار ينفذ كل حين الى إقليم ويطالب أهله بأداء الخراج وقبول الجزية ويهدّدهم ويخوّفهم سطوة بأسه ، وحتى إنه أسر إلياس ملك الخزر مع جلالة قدره وفخامة أمره ؟ فقل لى من أى جهة شمخ بأنفه ، واستعلى أمره ؟ فقال قالوس : أنا كنت الرسول الى ملك الخزر ، وتردّدت رسولا غير مرة الى غير واحد من الملوك ، وما سألنى أحد منهم عما سألنى الملك عنه . وقد أنعم الملك علىّ بما لا أقدر معه على مخالفته فيما يشير به . ليعلم الملك أنه اتصل بقيصر رجل يصيد الأسود بيده ، ويضحك على جميع الرجال بقوّته وبطشه . وقد أصبح بين الروم كالنار على علم » . وسرد عليه حكايته وقصته فى قتل السبع والثعبان . فقال له لهراسب : فبمن تُشبّه هذا الرجل ؟ فقال كأنه ولدك زرير وجها وقدا وشمائل وشكلا . فسرى عن لُهراسب وذهب عنه بعض ما أحاط به من الهم ، وأعطى الرسول بدرا من المال وعدّة من الجوارى والغلمان . ثم قال : أعلم قيصر أنى متأهب لقتاله ومصمم عليه . فانصرف الرسول .

وأحضر لهراسب زرير وقال له : إن هذا الرجل ليس غير أخيك كشتاسب . فدبر الأمر ولا تبطئ ، واحمل اليه التاج والتخت . فإنى قد وهبت له السلطنة ، وقلدته الملك . ولا تظهر فى العسكر إلا أنك خرجت لقتال قيصر » . فبرز زرير فى جميع أولاد الملوك والأمراء ، وسار يطوى المراحل حتى وصل الى حلب نخيم فى صحرائها فامتلأت بالخيل والرجال ، واستخلف مكانه بهرام من

(١) ك ، كو : طا ، رسالة قيصر . (٢) ك ، كو ، طا : انى سائلك .

الذرية الجوذرزية (أ)، وركب فى خمسة من غلمانه، ومضى الى قيصر فى زى رسول . ولما دخل عليه وجدعنده قالوس وكشتاسب . فخدمه وخدم جميع من حضر من الأمراء، ولم يلتفت الى كُشتاسب . فقال له قيصر : مالك لا تقبل على فرخ زاد ؟ فقال : لأنه عبد أبق من الملك لهراسب جاء[1] اليك فمكنته من خدمتك ، ووطأت له كنفك . فلم يجبه كشتاسب بشئ . ثم قال له : لهراسب يقول : إن عدلت عن طريق السداد، ورغبت عن الطاعة والانقياد تركت المقام بأرض ايران وجعلت بلاد الروم مستقر سريرى . ثم اعلم أن أهل إيران ليسوا كالخزر، ولا أنا كالياس الذي تسلطت على بلاده، وتمكنت منه . فقال قيصر : أنا على عزيمة اللقاء . ثم صرف الرسول وخلا بكشتاسب وقال له : لماذا سكت ولم تجبه بشيء؟ فقال : إنى خدمت لهراسب زمانا طويلا، وحالى غير خاف عليه . ثم الأولى أن أمضى اليهم رسولا حتى أبلغ لك فيهم ما تريد، وأبلغك ماتطلب وتروم . فقال له قيصر : أنت أعلم . فركب وأقبل الى مخيم زرير . فلما بدا من الطريق وراه[2] وجوه العسكر والأمراء تلقوه رجّالة ، وخدموا وسجدوا واستبشروا ، وقالوا : قد انتهت دولة الأسى والأسف ، وأقبلت دولة السرور والفرح . ثم جاء زرير فترجل وقبل الأرض بين يديه . فعانقه كشتاسب ونزل وجلس على التخت مع أكابر إيران وأمرائها . فدعا له زرير وقال له : إن أباك قد طعن فى السن — لازلت ممتعا بالشباب — وزهد فى الملك وفوضه اليك . وها هو قد نفذ اليك التاج والتخت ، ورضى من الدنيا بزاوية يعتزل فيها ويعبد الله عز وجل . ثم قدّم اليه التاج والطوق والسوار . فلبسها وتسنم التخت واصطف بين يديه الجوذرزيون مثل بهرام وساوه وريو (ب) ، وغيرهم من أولاد الملوك، وحيوه بتحية الملك، ودعوا له كما يدعى للسلاطين .

ثم نفذ كشتاسب الى قيصر وقال : إن مقصودك قد حصل . وزرير ووجوه العسكر يتوقعون منك المجيء وحدك الى معسكرهم ليعاهدوك[3] ويصالحوك . فلما أتى الرسول قيصر ركب وأقبل الى معسكر الايرانيين فرأى كشتاسب جالسا على تخت من العاج معتصبا بتاج[4] من الفيروزج . فقام كشتاسب وتلقاه وعانقه ولاطفه . فعلم قيصر أنه[5] سلالة الملك لهراسب، فخدمه وقبل الأرض بين يديه ثم طفق يعتذر اليه ويقضى العجب مما شاهد منه . فقبل كشتاسب معذرته وعانقه وقاله له : جهز الينا صاحبتنا التى اختارتنا فإنها تعبت تعبا كثيرا وتحملت بسببنا عناء ثقيلا . فانصرف قيصر مطرقا من

(أ) ليس فى الشاه أن بهرام هذا من ذرية كودرز . وقد تقدّم أن بهرام بن كودرز قتل . انظر المتن ص ٢١٤

(ب) عبارة الشاه : لا تعين أن هؤلاء الثلاثة من نسل كودرز .

(١) طا، ك : وجاء . (٢) ك، طا : ورأته . (٣) ك، طا : حتى يعاهدوك .

(٤) لفظ «بتاج» من ك، طا . (٥) طا : انه كشتاسب سلالة الخ .

الخجل ونادما على ما سبق منه من سوء العشرة فنفذ الى كتايون كنزا من الذهب وتاجا وجواهر كثيرة وأحمالا من الثياب وألف وصيفة . وجعل على جميع ذلك فيلسوفا ارتضاه لحفظه . ونفذ مع ذلك الى كشتاسب أساحة وخلعا فاخرة برسم من عنده من الأمراء . فلما وصلت كتايون الى كشتاسب ارتحل من حلب متوجها الى بلاد إيران . فشيعه قيصر مرحلتين ، ثم حلف عليه كشتاسب وردّه . وسار الى إيران فتلقاه أبوه لهراسب وعانقه واعتذر اليه ، وقال : إن الله تعالى كان قد قدّر غيبتك عن هذا الإقليم الى هذه الغاية . ثم قبل التاج ووضعه على رأسه فقال له كشتاسب : أيها الملك ! لاخلت منك المملكة ولا تحلت إلا بك السلطنة . فاعتزل لهراسب ، وتقلد كشتاسب الملك . على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر واقعة للفردوسى ناظم الكتاب أخبر بها فى هذا الموضع

قلت : كان الدقيقى الشاعر أول من شرع فى نظم أخبار ملوك الفرس فنظم من أخبار كشتاسب ووقائعه مقدار ألف بيت . ثم اخترمته المنية فجاء الفردوسىّ رحمه الله ، وبدأ بأولهم فنظم ما قد نقلناه ١٠٨
وأوردناه حتى انتهى الى هذا المكان فأورد ما نظمه الدقيقى مكتفيا به . وذكر السبب فى ذلك فقال : رأيت فى المنام كأن على يدى جاما من المدام ، وكأن الدقيقى قد بدا لى ونادانى بصوت رفيع وقال : اذا شربت الراح فلا تشرب إلا كما كان يشرب كيكاوس وعلى رسمه وآيينه[1] من أجل أنك فى خدمة ملك يفتخر به التاج والتخت ، وتبتهج منه السعادة والبخت . وهو الشاهنشاه محمود آخذ البلاد وجالب السرور الى قلوب العباد ، الذى سوف يطأ بخيله بلاد الصين ، ويستولى فيها على أسرّة السلاطين . ثم إنه ما أسرع نظمك لهذا الكتاب ! وبعد أن وصلت الى هذا المكان فلا تبخل علىّ واكتب ما نظمته من قصة كشتاسب وأرجاسب . فإنه إن مرّ بمسامع هذا الشاهنشاه حصلت لى به سعادة ، وتمهد لى به شرف وسيادة . قلت : وأنى للفردوسىّ والدقيقى بمثل ما حصل لهذا العبد من السعادة بخدمة مولانا السلطان الملك المعظم ملك ملوك العرب والعجم أبى الفتح عيسى ابن السلطان الملك العادل أبى بكر بن أيوب ، وحصوله من حضرته العالية

شمس الجلال تطلع منه ... مشرقا من ضيائه الآفاق[2]
روض العلوم ريان يهمى ... فيه للفضل وابل غيداق
صيد الملوك مُدّوا سماطين ... مثولا يعمهم إطراق

(١) صل : وآيينه . والتصحيح من ك ، طا ، والشاه .

(٢) فى حاشية الأصل : «هذه الأبيات لمترجم الكتاب ، و ك ، طا ، تزيد « من قصيدة سلطانية » .

هيبة دون طامح الطرف سام   دخلت تحت رقه الأعناق
شرف الدين مالك الأرض عيسى   من حباه بفضله الخلاق
ملك مُلك من سواه لدى الله   م مجاز وملكه استحقاق

فهو الذى لو عاش محمود لاحتاج الى خدمة بابه وملازمة ركابه وتعلم آدابه — لا زال خلفا عن ملوك المشارق والمغارب، قارعا هضاب المفاخر والمناقب، ممتعا بولده الملك الناصر داود الأريحى السرىّ ابن السرى أبقاه الله تعالى فى سماء السيادة قمرا يستمد من أنوار شمس أبيه، واصلا تحت ظل سعادته نهاية آماله وغاية أمانيه ما أنار النيران ورفد الرافدان (١) .

١٥ — ذكر نوبة كُشتاسب بن لُهراسب . وكانت مدّة ملكه مائة وعشرين سنة §

قال الدقيقى : لما سلم لهراسب سرير السلطنة الى ولده كشتاسب سار الى نوبهار بلخ . وكانت متعبَّد عُبادهم يقصدونها للمجاورة، وينقطعون فيها للعبادة . وكانت عند الفرس بمنزله مكة الطاهرة المحروسة عند العرب . فدخلها لهراسب وخلا بنفسه وأغلق عليه باب متعبده ولبس المسوح ولازم الخضوع والخشوع وطرح (٢) سواره وسدل شعره على عادتهم . وقام على ذلك ثلاثين سنة . يعبد الشمس تأسيا بجمشيذ، الى أن انتهى أجله — كما يأتى ذكره .

§ ١٥ — كشتاسپ

الخامس من الملوك الكيانيين، والخامس عشر من ملوك الشاهنامه .

ويمتاز عهده برسالة زردُشت، والحروب التى أرّثها هو وابنه اسفنديار لنشر الدين الجديد .

ويسمى فى الأبستاق "ڤِستاسپه" و "كڤى ڤستاسپه" . وينسب فى بعض المواضع الى أسرة نوذر (٣) .

ويذكر فى الكتب العربية باسم بِشتاسف وِشتاسب . وقد ذكره بشار باسم بِشتاس :

قومى اغبقينا فما صيغ الفتى حجرا   لكن رهينة أحجار وأرماس
روّى مشاشى فان الدهر ذو عبر   أفنى قباذا، وأوهى ملك بشتاس (٤) =

(١) كو: ووقد الفرقدان . (٢) ك: وخلع سواره . (٣) أفستا، حـ ٢ ص ٧٧ (٤) الغرر: ص ٣٧٧

ولما تسلم كشتاسب سرير الملك واعتصب بتاج أبيه قال : إن الله تعالى إنما حبانى الملك لأنشر لواء العدل وأبسط جناح الأمن ، وأطهر الأرض من كل من عاث وأفسد (١) ، وأحمى القطيع من الذئب والأسد ، ولا أمد يد الأذى الى سالكى طرق الانقياد ، ولا أضيق الأرض على الأحرار أهل الخير والسداد . » فأنارت الأرض بأنوار معدلته ، وانعمرت برأفته ورحمته حتى صارت الدنيا (٢) كما قال مترجم الكتاب فى صفة عهد مولانا السلطان وما ظهر فيه من الأمن والأمان :

برأفته طاب الزمان فقد غدت　　تخاصر آرام الصريم ضراغمه
وتربض فى تجر السراحين شاؤه　　وتفرخ فى وكر العقاب حمائمه

ثم إنه رزق من بنت قيصر ولدين أحدهما يسمى إسفنديار والآخر بِشوتَن . واستتب له الملك ، ودخل تحت أمره جميع الملوك ، وأدّوا اليه الخراج وبذلوا له الجزية . ما خلا ملك توران المسمى أرجاسب . فإنه كان ملك الصين والمستعبد لرقاب الشياطين ، وكان بسبب ذلك يأخذ الإتاوة من أرض إيران .

ثم بعد مضى سنين مضت من ملك كشتاسب ظهر زردُشت وادعى النبوّة فقال لكشتاسب : إنى رسول الله اليك . وهو يقول لك : اقبل الدين ، وتفكر فى هذه السماوات والأرضين ، وانظر هل

= وقد خصِّص له فصل فى الأبستاق يسمى باسمه خلاصته أن الله قال لزردشت : اذهب واقرأ هذا الكتاب أمام الملك كشتاسپ لعله يؤمن . خذ مواعظى كلها واذكرها له كلمة كلمة» . فذهب زردشت وتقدّم الى الملك ودعا له وبارك عليه . ثم قرأ عليه الزندقَستا وقال : تعلم سبلها ، واسلك فيها . فان رغبت فى شرعها فمأواك الجنة فى السماء . وإن أعرضت عن وصاياها فستلق الى الأرض رأسك المتوج ؛ يغضب الله عليك ، ويحوّل سعادتك شقاء . ثم تهبط من بعد الى جهنم إن لم تستمع لهداية القادر (٣) » .

ويذكر فى مواضع أخرى منها :

" نعبد روح الملك المقدّس ڤشتاسپه المقدام ، الكلمة المتجسدة ... ... الذى طرد الكذب فأفسح للدين المقدّس ... ... والذى جعل نفسه عضدا وعونا لهذا قانون أُهرا ، لهذا قانون زرتُشترا ،

الذى أخذها (الشريعة) واقفة موثقة من أيد الهونو ، فمكّن لها لتجلس فى سواء الأرض عاليا حكمها ، غير متقهقرة ، مقدّسة ... ... الخ (٤) . =

(١) صل : فسد . والتصحيح من طا . (٢) ك : الدنيا كلها . (٣) أفستا ، ج ٢ ص ٣٢٨ نقلا عن زرتشت نامه . (٤) = ٢٠٥

يقدر على خلق هذه الأشياء غير رب العزة والكبرياء؟ فاذا وضح لك الأمر فاقبل دين هذا الرسول وتعلم منه طريق اليقين» . فآمن به كشتاسب وجميع من كان بحضرته من الملوك والأمراء وسائر الموابذة والهرابذة . وبنى للنار بيوتا كثيرة وجعل لها قبابا رفيعة . ثم غرس على باب بيت (ا) نار بكشمير شجرة سرو، وكتب على ساقها : « إنّ كشتاسب قبل دين الحق وأشهد على نفسه هذا السرو » . ثم بعد مضى أدولة (١) من الزمان استعلى السرو واستغلظ وارتفع فى السماء فأمر كشتاسب فبنوا عليه قصرا فى طول أربعين ذراعا وفى عرض مثلها . وجعلوا سقفه من الذهب ، وأرضه من الفضة ، وترابه من العنبر . ورصعوا حيطانه بالجواهر واليواقيت الزواهر . وصوّروا فيه صورة جمشيذ وأفريدون . ثم عملوا حوالى القصر سورا من حديد . ثم اتخذ الملك كشتاسب هذا القصر مجلسه (٢) ، وادعى أنه يصعد منه الى السماء . وفرّق الرسل الى أطراف البلاد ، وكتب إلى الملوك يأمرهم بالمصير إلى خدمة هذا السرو ، وباستماع مواعظ زردُشت والدخول فى دينه وترك عبادة الأصنام والأوثان ، فأجابه الناس إلى ذلك ودخلوا فى دينه طوعا وكرها . ثم بعد مدة أخرى قال زردشت لكشتاسب : إنه لا يحسن فى ديننا أن نذل لملك الترك ونعطيه الجزية . فقال : أمتثل أمرك ،

= وفى بعض المواضع نرى زرتُشترا يقرب قربانا الى أناهتا لتؤيده حتى يجعل الشجاع ڤشتاسپه بن أُرْقَط — أسپه يفكر بالشرع ، ويتكلم به ، ويعمل من أجله . فأعطته الإلهة ما (٣) سأل .

وفى موضع آخر أن المجد الملكى تجسد فى ڤشتاسپه فصار يفكر بالشرع ويتكلم به ويعمل من أجله . وطرد الباطل فأفسح للدين الإلهى (٤) .

ويُرى ڤشتاسپه (كشتاسب) فى موضع آخر من الأبستاق يقرب قربانا داعيا أن ينتصر على أعدائه . ويذكر أحيانا اسم هؤلاء الأعداء ومنهم أرِكَت — أسپه (أرجاسب) (٥) .

وأما تاريخ زردشت ودينه فأبين وأطول من أن ألم به هنا .

ويحس القارئ حين يبلغ هذا العصر من عصور الشاهنامه أنه قد خرج من ظلمات الأساطير الى سُدفة التاريخ حيث يجد أسماء وأفعالا وأحوالا تشبه ما يعرف فى تاريخ الأكمينيين : فالكتب العربية تذكر، فى الكلام عن كشتاسب وبهمن، اسم كيرش وداريوش . وأبين من هذا ما فى تاريخ =

(ا) هى نار سهر برزين كما فى الشاه . وكشمير التى تذكر هنا هى كشمَر من قرى نيسابور .

(١) كو : أدوار . (٢) ك : منزله . (٣) = ٧٨ (٤) = ٢٠٦

(٥) = ٧٩

(١٠٩) ولا نودّى اليه بعد هذا شيئا. فاتفق أنّ بعض الشياطين سمع ما جرى بين الملك و بين زردُشت فأنهى[1] ذلك فى الحال إلى أرجاسب ملك الصين، وقال : إن كشتاسب قد مرق عن الدين . وقد خرج فى أرضه شيخ طاعن فى السن، وادعى أنه نبي مرسل اليه فقبل دينه واتبعه وخلع ربقة طاعتك، وعزم على النهوض لمقاتلتك. فكتب أرجاسب[2] ملك الصين كتابا طويلا — أورده الدقيقى على طوله — ومقصوده أنه عنف كشتاسب و وبخه وسفه رأيه وعقله، وأمره بأن يترك دين زردشت ويرجع الى ما كان عليه من دين آبائه وطريقة أسلافه، وأنه إن لم يفعل ذلك نهض اليه فى عساكر الصين، ودوّخ بلاده وخرب دياره، ولم يبق منها حجرا ولا مدرا ولا زرعا ولا شجرا، و يطم عيونها و يقطع أنهارها ويقتل رجالها ويسبى نساءها . وختم الكتاب ونفذه على يد ساحرين من دهاة أصحابه . فلما وصل الكتاب الى كشتاسب استحضر وزيره جاماسب، واستدعى الأمراء والإصبهبذية، وأحضر زردشت، وأحضر كتابه . ثم قرأ كتاب ملك الصين عليهم فوثب أخوه زرير، وكان بهلوانه، وولدُه اسفنديار، وسلا أسيافهما، وقالا : كل من لم يتبع دين الملك ولم يمتثل أمره قتلناه بأسيافنا . وطفقا يبرقان ويرعدان . ثم استأذن زرير كشتاسب فى أن يجيب عن كتاب أرجاسب . فأذن له[3]

= هردوت الذى يذكر فى نسب الأكمينيين هِستَسپس أبا لدارا . وهستسپس هو ڤِشتاسپه فى الأبستاق، وكُشتاسپ فى الشاهنامه[4] .

ويرى ورنر أن الشبه بين كشتاسب ودارا قوى : فلهراسپ الذى اعتزل الملك لابنه كشتاسپ ثم حارب أرجاسپ فى بلخ يشبه هستسپس أبا دارا ، الذى كان حاكما على برثيا فى ملك ابنه فلما ثارت عليه الثورات أبلى فيها بلاء عظيما . ثم الحروب الدينية أيام كشتاسب تشبه النزاع الدينى الذى كان حينما ثار سمرديس على قمبيز وأيده المجوس . وقد انتصر دارا على الثائرين . وحرب دارا والاسكيث فى الشمال تشبه حرب إسفنديار وأرجاسپ فى قصة هفت خَوان . وهنالك أدلة على أن دارا غيّر دينه أثناء تملكه[5] .

ويمكن أن يزاد لتأييد هذا الرأى أن دارا تزوج أتوسا امرأة قمبيز . وفى الأبستاق ذكر هُتَوسا التى من أسرة نوذر . وأنها قربت قربانا لتكون عزيزة مكرمة فى بيت الملك ڤشتاسپه[6] . =

---

(١) ك : فالق . (٢) ك، طا، كو : أرجاسب عند ذلك كتابا . (٣) طا : فأذن له فيه .

(٤) انظر الطبرى ومروج الذهب فى الكلام على لهراسب وكشتاسب أو وشتاسب و بهمن، وانظر براون (Browne) ١ ص ٩٢ (٥) ورنر (Warner) حـ ٥ ص ١١ (٦) أفستا، حـ ٢ ص ٢٢٤ و ٢٥٧

فقام هو واسفنديار وجاماسب ، واعتزلوا ناحيـة وكتبوا جواب كتاب أرجاسب، وشحنوه بألفاظ كإبر اللهاذم تخرق حجاب الصدور، وكلمات كظبات الصوارم تقطع أغشية القلوب . وذكروا فيه أنهم عازمون على المسير اليه لاستئصال شأفتـه فى ألوف ألوف من رجال الحرب وأبناء الطعن والضرب . وجاءوا بالكتاب الى خدمة كشتاسب . فنظر فيه وكتب عليه اسمـه ورمى به الى الرسولين، وقال : لولا أن قتـل الرسل غير مستحسن عنـد الملوك ولا جائز فى شريعـة صاحب الزند لنكلت بكما وقطعت أيديكما وأرجلكما . ثم ردّهما بالخزى والهوان فانصرفا .

ولما وصلا الى صاحبهما أرجاسب وقرأ جواب الكتاب عظم عليه ذلك ففرق الرسل فى أطراف ممـالكه، وجمع جموعا وحشر جنودا لا تحصر ولا تحصى، وانتخب منهم ألف أمير وفرّق عليهم الفيلة والأعلام . ثم قسم فيما بينهم ثلثمائة ألف فارس . ثم جعـل أخاه المسمى كُهرَم على أحد جناحى العسكر، وجعـل أخا له آخر يسمى أندريمان على الجناح الآخر . وعمد الى تركى آخر طاعن فى السن قد أفنى عمره فى الغشم والظلم، وتربى فى القتـل والنهب، وولاه قيادة عساكره . وجعل أميرا آخر يسمى خشاش على الطليعة، وأمر بألا يتقدمه أحد فى المسير . ودعا بشيطان آخر[1] وأمره أن يكون

= وأرى أنه لا يمكن فى هذا العهد الذى لا يزال الظلام مسيطرا عليه أن نقول إن كشتاسپ هو دارا . ولكن أظن أن هناك مناسبة بين لهراسب ومن بعـده من الملوك الكيانيين فى الشاهنامه وبين الاكمينيين الذين يعرفهم التاريخ .

ويمتاز هذا العهد كذلك بأن فى أيدينا كتابا فهلويا يساير الشاهنامه فيما تقصه . ولعله أقدم سند فى هذا الموضوع . ذلكم كتاب "ياتكارِ زَريران" أى "ذكرى زريز" الذى يقص من أنباء الحرب بين إيران وتوران وقتل زرير الخ .

ويرى ورنر أن حرب الدين هذه كانت حربا بين فئتين من الايرانيين . ويستدل بتشابه الأسماء وانتهائها بكلمة "اسپ" وهى فارسية معناها الفرس . ويمكن أن يزاد لتأييد رأى ورنر هذا أن قصة الدقيقى لا تستقيم إلا على هذا الفرض، فما كان لملك الصين أو الترك أن يحارب كشتاسپ من أجل تركه دينه الى دين زردشت . فان الترك لم يكونوا يدينون بدين الفرس حتى ينقموا على كشتاسپ المروق منـه . على أن الثعالبى يحل هـذا الإشكال برواية أن كشتاسپ هو الذى بدأ بدعوة أرجاسپ الى الدخول فى دينه[2] . ثم المقارنة السالفة بين هذا العهد وعهد دارا الذى كان فيه النزاع الدينى بين الايرانيين أنفسهم يزيد فى هذا البحث الغامض حجة أخرى . =

(١) كر : يسمى هوس ديو . وفى الشاه : هوش ديو . (٢) الغرر : ص ٢٦٣

على ساقة العسكر يسير وراءهم ، فاذا رأى واحدا منهم تأخر وانصرف من العسكر يضرب رقبته في موضعه كائنا من كان من غير أن يدعه أن يجاوز موضع قدمه . فأقبل بالعساكر كذلك حتى وصل الى إيران كالنار المحرقة لا تبقى ولا تذر . فانتهى[١] الخبر الى كشتاسب فطير الكتب الى أطراف ممالكه ، وأمرهم بالإقبال الى بابه . فاجتمعت عليه عساكر ملأت الحزن والسهل ، وغمرت البر والبحر . ففتح أبواب الخزائن ، وأطلق لهم أرزاق سنتين . ثم ركب فيهم وسار الى أن وصل الى بلخ ومنها الى جيحون . ووصل أرجاسب من ذلك الجانب ، وتدانى ما بين الفريقين . فجلس كشتاسب ذات يوم ودعا وزيره جاماسب العالم — وكان رأس الموابذة ، وملك علمائهم ، وهو المنظور اليه فى مجالسهم ومجامعهم ، العالم بأحكام النجوم المتكلم على ما يكون من الكائنات — فسأله كشتاسب عن عاقبة قتال العسكرين ومآل أمر الفريقين . فعظم ذلك عليه وقال : ياليتنى كنت رجلا جاهلا حتى لم[٢] يسألنى الملك عن هذا . ولا يتصوّر أن أخبر عما يكون فى هذه الحرب من الوقائع . ولو أخبرت لم آمن سطوة الملك إلا أن يعاهدنى[٣] ألا يمسنى بسوء . » فحلف له على ذلك فقال : اعلم أيها الملك أنه اذا التحم القتال واحمر البأس فأول من يخوض غمرة الحرب يكون ولدك أردشير

= وأما أبطال هذا العهد وعظماؤه فهم فى الايرانيين :

(١) زرير أخو الملك . وتذكره الأبستاق باسم زَيرِفَيرى . ويعدّ من القدّيسين ، ونجده فيها مقرّبا بعض القرابين للانتصار على كشتاسپ .

(٢) واسفنديار . ويسمى فى الأبستاق سپِنتو — داته . وليس له فيها المكانة التى تلائم مكانته فى الكتب الأخرى التى تجعله بطل دين زردشت . وهو أعظم أبناء الملك ، وبطل الأبطال فى هذا العهد . وسيرى القارئ ما كان بينه وبين رستم بطل الأبطال فى العهد الماضى . وقد نقلت عن ابن هشام فيما تقدّم أن سيرة رستم واسفنديار كانت معروفة بين العرب إبان ظهور الاسلام . ومن مآثر اسفنديار التى أغفلتها الشاهنامه بناء سدّ فى وجه الترك من وراء سمرقند عشرين فرسخا[٤] .

(٣) وبِشوتَن أخو إسفَنديار الذى يسمى فى الأبستاق پِشوتنو . وفيها دعاء للملك كشتاسپ بأن يبرأ من المرض والموت مثل پشوتنو . وذلك أن زردشت سقاه ضربا من اللبن فنسى الموت . وهو أحد السبعة الخالدين . وكان حاكما فى كنك دز[٥] . =

(١) ك ، طا : وانتهى . (٢) كو : جاهلا لم يسألنى . (٣) ك ، طا : على أن لا .

(٤) البلدان : ص ٢٩٠ ، وتاريخ حمزة ص ٢٧ (٥) أفستا ، حـ ٢ ص ٣٢٩ والحاشية ، نقلا عن زردشت نامه وبندهش . وانظر المتن ص ١٥٢

فيغنى غناءً حسنا، ويقتل خلقا كثيرا ثم يُقتل بالآخرة. ويتلوه فى ذلك ولدك الآخر المسمى شيذاسب طالبا بثأر أخيه. فيقتل طائفة أخرى من الترك ثم يقتل أيضا. ثم يتقدّم ولدى لطلب ثأر شيذاسب فيغنى غنـاء حسنا فيرى الدرفش الجاماسبانى قد سقط فى المعترك فيرفعه ويمسكه بأسنانه عاضا عليه ويقاتل بيده. ثم يأتيه سهم غرب فيقتله. ثم يتقدّم ابن لزرير فيقتل ستين نفسا من آساد الصين، ثم ينصرف فيصيبه سهم فيقتله. ثم يخوض غمرة الحرب أخوك زرير فتجرى فى المعترك سيول الدماء، ويكون له فى العدوّ نكايات عظيمة ثم يكمن له تورانى اسمه بيذرَفش فيرميه بمزراق مسموم فيهلكه. ثم تنقض الصفوف، وتشتجر الرماح والسيوف فيكثر القتل فى الطائفتين. ثم يتقدّم قاتل زرير فيلقاه ولدك اسفنديار فيقتله، ويقع فى عساكر العدوّ، ولا يزال يدير عليهم رحى الطعن والضرب حتى يزلزل أقدامهم، ويبـدّد صفوفهم، ويفرّق جموعهم فينهزم أرجاسب حينئذ، ويفرّ الى الصين فى خِف من العدد خائبا خاسرا. واعلم أيها الملك أن ما قلته كائن من غير نقصان ولا زيادة. ولمـا سألنى الملك عن هذا البحر المظلم لم أستطع أن أخالفه ولا أخبره. ولولا ذلك لم أكشف الغطاء عن هذا الأمر، ولم أهتك الستر عن هذا السر. فخر الملك صعقا عند ذلك. ثم أفاق وأخذ فى البكاء والعويل. وقال ماذا أصنع بعد هؤلاء الأعزة بالتاج والتخت؟ فقال لجاماسب: إن كان الأمر على ما تقول أشرت

= (٤) وكُرَزم يذكر فى الأبستاق باسم كڤارِزم. وهو أخو إسفنديار الذى أفسد بينه وبين أبيه. والشاهنامه تجعله من الأقرباء فقط.

(٥) ثم بنو كشتاسب كثيرون، فى الأبستاق يدعو زردشت له قائلا: " لعـله يولد لك عشر بنين، ثلاثة سدنة نار، وثلاثة محاربون، وثلاثة حارثون. ولعل واحدا منهم يكون مثـل جاماسپ يباركك بسعادة عظيمة تزداد كل يوم"(١) وفى الشاهنامه أنه قتل من أبنائه فى موقعة واحدة ثمانية وثلاثون.

(٦) ونسطور بن زرير. ويذكر فى يا تكارِ زريران باسم بستور الذى ثأر لأبيه. ويسمى فى الغرر بستور بالباء أيضا. فهو اذا المذكور فى الأبستاق باسم بسـتَفيرى(٢) وينبغى اذًا أن يقرأ فى الشاهنامه بستور، بالبـاء.

(٧) وهُماى بنت كشتاسب التى تذكر فى الأبستاق باسم المقدّسة هما. =

(١) أفستا، حـ ٢ ص ٣٢٨ (٢) = ٢٠٧

عليهم بالكف عن القتال . فقال جاماسب : إن تخلف هؤلاء فمن يقدر أن يقاتل عسكر الصين ؟ ثم إن هذا أمر الله الذى لا مفرّ عنه[١] ، ولا ينجى الحذر منـه . فإن الكائن لا محالة كائن ، والمحذور لابد واقع . ثم وعظه ونصحه وعزاه وأمره بالصبر . فقبل مقالته ، وصمم على قتال ملك الترك .

ولما أصبح ضربت الكوسات ، وركبت العساكر فرتب الميامن والمياسر . وأقبل العدو فى الطّم
(١١٠) والرّم . وتزاحف الفريقان والتقى الجمعان . وقامت الحرب بينهم أسبوعين على ساق — فزعم الدقيق أن الأمر جرى على ما ذكره جاماسب الحكيم ، على التفصيل الذى سبقت الإشارة اليه . فلم نطوّل نحن بإعادته — قال : فانهزم أرجاسب ، واتخذ الليـل جملا ، وتوجه الى بلاده . ولما علم من بقى من جنوده بهربه رموا القسىّ ، ولاذوا بأطراف الأمان . فأمنهم كشتاسب بعد أن قتل منهم مقتلة عظيمـــة .

= (٨) ثم جاماسب الوزير الأكبر يذكر فى الأبستاق باسم كاماسپه بن هفوفه[٢] ويجعـل من المحاربين أحيانا[٣] . وقد تزوّج إحدى بنات زردشت وكتب الأبستاق وخلف زردشت على أمور الدين .

وأما أبطال التورانيين فهم الملك أرجاسب وأخوه أندريمـان وكُهرم ابنه ثم بيدِرَفش وطرخان . ويذكر الأولان فى الأبستاق باسم أرِكَت — أسپه وڤندرَمَينى ؛ نجدهما يقربان القرابين لينتصرا على كشتاسب وزريروالآريين فلا يستجاب لهما[٤] .

ولا تصف الأبستاق أرجاسب بأنه تورانى كما تصف أفراسياب . بل تسميه السفاح الهڤيَونا . وتذكركذلك أمم هڤيونا[٥] . ويسمى هؤلاء "الخيون" فى الكتب الفهلوية وفى ياتكار زريران[٦] . ويظن بعض المؤلفين أنهم قبائل هِينُك — نو الذين يذكرون فى تاريخ الصين ، أو چيونيتا الذين ذكرهم أمينوس[٧] ووصف ما كان بينهم و بين الملك سابور الثانى .

وشجرة السرو التى غرسها كشتاسب أوغرسها له زردشت تصفها الشاهنامه بأنها من الجنة . وفى بعض نسخ الكتاب أن القصر بنى حول الشجرة لا فوقها[٨] . =

(١) صل : منه . والتصحيح من طا . (٢) = ٢٠٧ (٣) = ٧٠ (٤) = ٨١
(٥) = ١١٧ (٦) ورنر حـ ٥ ص ١٣ (٧) (Ammianus Marcallinus) . أنظر ورنر (Warner) حـ ٥ ص ١٣ (٨) انظر مول (Mohl) حـ ٤ ص ٣٠٤

ثم لمـا[1] أصبح ركب مع وجوه أصحابه وجاء إلى المعترك يبكى على قتلاه . وجعل يقف على واحد واحد حتى انتهى إلى أخيه زرير. فلما وقعت عينه عليه مزق ثيابه، ونزل عن ظهر الفرس، وطفق يبكى عليه ويندبه . ثم رفعه بيده وجعله فى تابوت من الذهب . وجعل أيضا أولاده المقتولين فى التوابيت . ثم أمر فعدّوا القتلى فبلغ عدد قتلى[2] الإيرانيين ثلاثين ألفا . منهم ألف ومائة وثلاثة وستون نفسا من الوجوه والأكابر . سوى من جرح منهم، وعددهم أربعة آلاف ومائتان وأربعون نفسا . ثم بعد ذلك أشار كشتاسب على ابن أخيه زرير، وكان يسمى نسطور، أن يعود بالعساكر الى ايران . فانصرفوا معه راجعين الى بلادهم . ثم عاد كشتاسب[3] الى ايران . وزوّج ابنته هُماى من ابنه إسفنديار على الملة الفهلوية . ثم قدّم نسطور على عشرة آلاف فارس من الرجال المذكورين، وأنفذه إلى ولاية اتياش[4] وخُلّخ، وأمره بالركض اليهم وشن الغارات عليهم . وأقام فى مستقر سريره ودار ملكه .

= ويروى أن هذه الشجرة بقيت الى زمن الخليفة المتوكل العباسى، وأنها ذكرت له وهو يبنى سامرا فتشوف لرؤيتها ولم يستطع الذهاب الى خراسان فكتب الى الوالى أن يقطعها ويحملها على العجَل الى بغداد . فاجتمع الناس حول الشجرة يبكون ويضجون وعرضوا على الوالى خمسين ألف دينار فداء للشجرة فلم يقبل . فلما قطعت الشجرة أخربت كثيرا من الأبنية ومجارى الماء، وانبعثت ضروب الطير التى كانت معششة فيها صائحة تحجب النور لكثرتها . وضجت البقر والشاء وغيرها من البهائم التى كانت تأوى إليها . وبلغت نفقة نقل الشجرة إلى بغداد خمسمائة ألف دينار . وحملت أغصانها على ألف وثلاثمائة جمل . ولما كانت الشجرة على مرحلة من الجعفرية قتل المتوكل قبل أن يراها[5] .

وفى بعض الروايات أن زردشت أتى بشجرتى سرو من الجنة؛ غرس واحدة فى كشمر والثانية فى طوس .

وعهد كشتاسپ فى الشاهنامه زهاء ٥٤٠٠ بيت نظم الدقيقى منها زهاء ١٠٢٠ . ويمتاز فى هذا العهد أربعة أقسام :

١ — مجىء زردشت الى كشتاسپ وما تبعه من حرب إيران وتوران . =

(١) لك : ولما أصبح . (٢) ك، طا : القتلى من الايرانيين . (٣) طا : عاود كشتاسب ايران .
(٤) ك، كو : ايتاس . (٥) ورنر (Warner) حـ ٥ ص ٢٨ نقلا عن دبستان .

ثم جمع عساكره كلها على ولده إسفنديار(١) ودار فى جميع الأقاليم حتى إقليم الروم والهند واليمن، وقطع البحر(٢) والظلمة حتى قرّر فى جميع البلاد دينه . وتواترت الكتب من جميع الأطراف إلى كشتاسب بأنهم قد أطاعوا لابنه اسفنديار، ودخلوا فى دينه . فنفذ كشتاسب إلى كل إقليم زندا — قلت : وهو الكتاب الذى جاء به زردُشت . وذكر أبو جعفر الطبرى فى كتابه عن بعضهم أن زردشت كان من أهل فلسطين . وكان خادما لبعض تلامذة أرميا النبى عليه السلام خاصا به أثيرا عنده . فخانه وكذب عليه فدعا الله عز وجل عليه فبرص . فلحق ببلاد أذربيجان، وشرع بها دين المجوسية . ثم توجه إلى كشتاسب وهو ببلخ . فلما قدم عليه وشرح له دينه أعجبه فقسر الناس على الدخول فيه . وذكر أيضا عن بعضهم أن ظهور زردشت عند كشتاسب كان بعد ثلاثين سنة من ملكه وأنه أتاه بكتابه الذى

= ٢ — قصة هفتخوان .

٣ — قصة إسفنديار ورستم .

٤ — رستم وشغاذ .

وفى القسم الأول العنوانات الآتية . وما بين القوسين محذوف فى الترجمة :

(١) الفردوسى يرى الدقيقى فى المنام . (٢) لهراسپ يذهب الى بلخ وكُشتاسپ يجلس على العرش . (٣) ظهور زردشت وقبول كشتاسپ دينه . (٤) كشتاسپ يمنع الإتاوة عن أرجاسپ . (٥) رسالة أرجاسپ الى كشتاسپ . (٦) أرجاسپ يرسل رسولا الى كشتاسپ . (٧) زرير يجيب أرجاسپ . (٨) الرسول يعود برسالة كشتاسپ . (٩) كشتاسپ يجمع جيوشه . (١٠) جاماسپ يتكهن بعقبى الموقعة . (١١) كشتاسپ وأرجاسپ يصفّان الجيوش . [(١٢) بدء القتال بين الايرانيين والتورانيين وقتل أردشير وشيرويه وشيدسپ . (١٣) قتل كرامى بن جاماسپ ، ونيوزار . (١٤) بيدرَفش يقتل زرير أخا كشتاسپ . (١٥) إسفنديار يسمع بقتل زرير . (١٦) إسفنديار يسير لحرب أرجاسپ . (١٧) نسطور وإسفنديار يقتلان بيدرفش]. (١٨) أرجاسپ يهرب من الموقعة . (١٩) تأمين إسفنديار الترك . (٢٠) رجوع كشتاسپ الى بلخ . (٢١) كشتاسپ =

---

(١) كو : وأعطاه الذخائر والأموال ومكنه من جميع أسباب السلطنة سوى التاج والتخت فانه قال : لم يأن لك هذا بعد . وأمره بأن يجر العساكر ويدور فى جميع أطراف الممالك و يلزم الناس بالتدين بدينه . فسار اسفنديار الخ .

(٢) كو : بحر الظلمة .

ادعاه أنه أوحى اليه فقبله فكتب فى جلد اثنى عشر ألف بقرة حفرا فى الجلود ونقشا بالذهب ، وصيره كشتاسب فى موضع من اصطخر يقال له زربيشت(ا)ووكل به الهرابذة ومنع من تعليمه العامة .

وحكى أبو جعفر أيضا فى موضع آخر أن كشتاسب وأباه لهراسب كانا على دين الصابئين حتى أتاهما زردُشت بما أتاهما — عاد بنا الكلام ؛ قال الدقيق : فطاف إسفنديار فى أطراف العالم حتى استوى له جميع الممالك ، وأطاعه جميع الملوك . فرجع إلى مكانه وقعد فيه واختار الراحة ودعا أخاه المسمى فرشيذ ورد ، وأعطاه بلاد خُراسان وعقد له عليها ونفذه اليها .

ذكر قبض كُشتاسب على ولده إسفَنديار وحبسه إياه

قال : وكان فى خدمة كشتاسب رجل يسمى كُرَزم(ب)، باقعة من البواقع ممن نجذته الحروب وحنكته الخطوب . وكانت بينه وبين إسفنديار عداوة قديمة . وكان كلما ذكر اسفنديار أطلق فيه لسانه ، وقبح صورته وذكر مساوئه . فاتفق أنه كان ذات يوم جالسا عند كشتاسب بجرى حديث إسفنديار فقال: إن الولد عدو فلا ينبغى أن يرفع قدره ويفخم[1] أمره . فإنه لا يؤمن شره عند ذلك . والأمرش[2] إذا جاوز الحدّ فينبغى أن يقطع رأسه حتى يؤمن معرته . ولما سمع كشتاسب ذلك خلا به واستنطقه . فقال : إن حقوق نعمة الملك علىّ كثيرة . ولم أستجز معها أن أخفى عنه سرا أعلمه . ثم قال له : اعلم أيها الملك أن اسفنديار يهم بك ، ويريد أن يقبض عليك ويستبد بالسلطنة والتاج والتخت . وقد اجتمعت عليه العساكر . وهو من تعرفه ولا يخفى عليك بأسه وبطشه . وقد

= يبعث إسفنديار الى الأقاليم كلها فيقبل الناس دين الخير منه . (٢٢) كرزم يسعى باسفنديار . (٢٣) ذهاب جاماسپ الى إسفنديار . (٢٤) كشتاسپ يسجن إسفنديار . (٢٥) كشتاسپ يذهب الى سيستان وأرجاسپ يعبئ جيوشه كرة أخرى . [(٢٦) الفردوسى يمدح السلطان محمودا وينقد الدقيقى] . (٢٧) هجوم أرجاسپ على بلخ وقتل لهراسپ . (٢٨) كشتاسپ يسمع بمقتل لهراسپ ويقود الجيش الى بلخ . (٢٩) كشتاسپ ينهزم أمام أرجاسپ . (٣٠) جاماسپ يبعث الى إسفنديار . (٣١) [إسفنديار يرى أخاه فرشيدورد] . (٣٢) إسفنديار يأتى الى الجبل حيث يعسكر كشتاسپ . (٣٣) كشتاسپ يرسل إسفنديار مرة أخرى لحرب أرجاسپ .

(ا) كذا فى النسخ كلها . وأظنها دزنبشت . أى حصن الكتب . — أنظر أوراق أسيوية ص ١٥٢ وما بعدها .

(ب) هو فى الغرر : كردم .

(١) ك، كو : ولا يفخم . (٢) صل : والأمرس . ك، طا : والأمر . كو : والبردوس . الشا : العبد .

أدّيت اليك ما سمعت وتحققت . والآن أنت أعلم وبالرأى والتدبير أبصر . فأخذ كلامه بقلب الملك، واهتم من أجله، وترك الطعام والشراب، وأرق ليلته يفكر فى أمر إسفنديار .

ولما أصبح استدعى جاماسب وأمره أن يركب الى مخيم اسفنديار، ويذكر أنه قد عرض حاجة يحتاج فيها الى حضوره، وأن ينصرف فى الحال معه من غير مكث ولبث . وكتب اليه مع جاماسب كتابا فى هذا المعنى يستعجله فيه ويأمره بأن يحضر فى الحال ولا يمكث طرفة عين . فحمل جاماسب الكتاب الى إسفنديار . وكان فى تلك الساعة فى متصيد له، ومعه أولاده الأربعة . وهم بهمن، وآذرافروز، ونوشاذر، ومهرنوش . فسمع صوت هاتف يقول : إن كشتاسب قد أرسل جاماسب . فلما سمع ذلك تعجب ضاحكا . فسايله بهمن عن ضحكه. فقال له : اعلم يابنى أن الساعة يأتينى رسول من عند الملك . وقد أفسدوا قلبه علىّ، وغيروا رأيه فىّ . فبينا هو مع ولده فى هذا الحديث إذ طلع جاماسب فاستقبله إسفنديار . فنزل وناوله الكتاب، وذكر(١) أن الشيطان قد أضل أباه . وأعلمه بالحال فقال له إسفنديار : فما ترى أيها العالم؟ فقال له فيما قال : لابدّ(٢) من امتثال أمر أبيك والحضور بين يديه . فانه هو الملك وأمره المطاع . فسلم عسكره الى ولده بهمن، وأقامه مقام نفسه(٣) . فلما علم الملك بوصوله جلس على التخت معتصبا بالتاج، وأحضر الأمراء والقوّاد، وأمر الموابذة بالحضور . وجاءوا وجلسوا على الكراسى فى مراتبهم . وجاءوا بكتابهم ووضعوه بين (١١١)
يدى الملك . فدخل إسفنديار وخدم وسجد ثم مثل بين يدى أبيه . فقال الملك للأمراء والعلماء والموابذة والإصبهبذية : ماذا تقولون فى حق رجل يربى ولده فيحسن تربيته، ولا يزال يعتنى به حتى يعلمه جميع الآداب، ثم يعلى أمره ويرفع قدره حتى يجعل اليه أمور العباد والبلاد، ويفوض اليه جميع الممالك، ويرضى هو من سلطانه بتاج(٤)، ويقعد هو فى صورة حافظ رحل . ثم لا يقنع الولد ذلك(٥) حتى يهم بقتله ويسعى فى التدبير عليه . فما قولكم فى حق هذا الولد؟ وما الذى يستحق أن يجازيه به الأب؟ فقالوا أيها الملك! أى شىء أشنع وأفظع من طلب الابن مكان الأب وهو بعد فى مهلة الحياة؟ فقال : هذا هو ذلك الولد . ولكنى سأعاقبه عقوبة يعتبر بها أهل المملكة، وأقيده بقيد لم يقيد به أحد . فقال إسفنديار : أيها الملك! ما عندى من هذا خبر، ولا هممت به . ولو فعلت ذلك لم أكن من أصل طاهر . ثم أنت السلطان، وأمرك المطاع، وحكمك النافذ . وأنا بين يديك فافعل ما تشاء . فأمر الملك باحضار الحدّادين والقيود والأغلال والسلاسل . فقيد

(١) لك : وذكر له .
(٢) لك، كو، طا : لابد لك .
(٣) كو، طا : وركب مع جاماسب فى عدة من خواصه وتوجه الى حضرة أبيه .
(٤) كو : بتاج وتخت .
(٥) لك، كو، طا : ذلك منه .

وغل وسلسل. ثم أمر بحمله على الفيل وإنفاذه الى قلعة شبدز — ورأيت فى بعض الكتب أنها القلعة المعروفة بكرد كوه(١) § — فحملوه اليها . وأقاموا فى محبسه أربع سوار من الحديد، وشدّوه بالسلاسل الى تلك السوارى . ووكلوا به جماعة من الحرس . وركب كشتاسب وسار نحو زابلستان وأقام فى ضيافة رستم سنتين . وأما بهمن بن إسفنديار فانه لما علم أن جدّه حبس أباه ترك المعسكر، وركب فى إخوته(٢) الثلاثة، وساروا نحو أبيهم إسفنديار، ولازموه يؤنسونه ويخدمونه ويعللون قلبه .

وانتهى الخبر الى أرجاسب ملك الصين بأن كشتاسب قبض على إسفنديار وحبسه، وأنه ترك البلاد خالية وراءه، وسار الى زابلستان وأقام بها، وأنه ليس غير لهراسب فى مدينة بلخ مع سبعمائة نفس من عبدة النار، وطائفة من السدنة والحرس . فقال لأصحابه: انتهزوا(٣) فى إدراك الثأر، واهتبلوا غرة الايرانيين فإن كشتاسب حبس إسفنديار، وسار الى زابلستان» . ونفذ جاسوسا الى بلخ ليقف على حقيقة الأمر ويرجع اليه بصحة ذلك . فرجع اليه بصحة الأمر، وأعلم أرجاسب بذلك فهمّ أن يطير فرحا وسرورا، وأطلق من الهم قلبا كان مأسورا . هذا آخر ما نظمه الدقيقى .

ذكر مقتل لهراسب من كلام الفردوسى (أ)

[لما ظفرت بهذا الكتاب، علقت يدى بالأسباب . نظرت فاذا النظم ضعيف، واذا كثير من الأبيات سخيف . وقد كتبتها لكى يرى الملك، ركيك الكلام كيف سبك . وقد قدّم الجوهرىّ

§ الذى فى الشاه : أنهم حبسوه فى قلعة كُنَبدان . وفى الأبستاق ذكر جبل "سپنتو — داته" وهو المذكور فى الكتب الفهلوية باسم "سپنداد" أى جبل إسفنديار . وهو كما فى بُندهش قرب جبل ريوند(٤) . وفى معجم البلدان أن ريوند من نواحى نيسابور . ويؤيد هذا ما فى ورنر عن جبل سپنداد أنه قرب جبال بار الى الشمال الغربى من نيسابور(٥) .

وأما كرد كوه، فهى، كما يقول ميرخوند، فى روزبار . وهو، كما فى معجم البلدان، اسم أمكنة كثيرة منها قصبة فى بلاد الديلم . ويقول ورنر أن كرد كوه قرب قزوين وأنها صارت بعد من قلاع حسن الصباح(٦) .

وفى الغرر : أن إسفنديار سجن فى قلعة كمنذان(٧) . وأظنه تحريف كنبذان .

(أ) حذف المترجم هذه القطعة فترجمتها وأثبتها هنا ليعرف رأى الفردوسى فى الدقيقى، ولما فيها عن الشاهنامه والسلطان محمود.

(١) طا : كرده كوه . (٢) طا : مع إخوته . (٣) كو : انتهزوا الفرصة .

(٤) أفستا، ج ٢ ص ٢٨٩ (٥ و٦) ورنر (Warner) ج ٥ ص ٣٠ (٧) الغرر : ص ٢٨٠

جوهرين، واستمع الملك الى الكلامين . إن لم يكن غير هذا الكلام فى وسعك، فدعه ولا تشق على طبعك . ماعناء الأرواح والأجسام، فى حفر معدن ليس فيه إلا الرغام؟ وان لم يمدّك الطبع بالوزن المسبوك ، فلا تمدن يدك الى كتاب الملوك . إن كظم الفم على المسغبة، خير من وضع مائدة غير معجبة . رأيت كتابا يفيض بالسير، ويتضمن الحقائق والعبر، منثورا عفّى عليه الزمان، ولم ينشط لنظمه انسان . وما رأيت أحدا يتحدّث بنظمه ، فطويت القلب الفرح على غمه . وإن تسأل عن عمره الزمان ، فقد كرّ عليه من الأعوام ألفان .

قد أحسن القائل(١) المنطيق، بما مهد للناظم الطريق. ان كان لم ينظم إلا سطورا قلائل، واحدا من آلاف الوقائع والمحافل(٢) فقد كان الدليل الخبير، الذى وضع المُلك على السرير . وقد تلقاه الأكابر بالجاه والمال، وجنى عليه ذميم الخلال . ولقد كان مداح الملوك، يتوّجهم بدرّه المسلوك . غير أنه كان واهى النظام، فلم يتجدّد به دارس الكلام .

وقد استبشرت بهذا الكتاب فالا، وحملت أعباءه أعواما طوالا . ولكنى لم أر أبيّا معطاء على عرش الملوك وضاء . فناءت نفسى بالعناء، ولم يكن غير الصمت دواء .

بصرت بجنة غناء، يتبوّأها السعداء . ولم أجد الى داخلها سبيلا، ولا رأيت سوى المُلك فيها إكليلا . ولم يكن بد من سبيل على قدرها، لا تضيق بنضرتها وروائها . فلبثت عشرين عاما أدخر الكلام، وأفتش عن الجدير بكنز التؤام، أبى القاسم الملك الكريم، الذى ازدان به تاج السلاطين، ملك العالم محمود رب الأبهة والجود، الذى يقابله القمر وكيوان بالسجود .

قد استوى على عرش العدالة، فمن ذا الذى رأى بين الملوك مثاله ؟ وقد توجت باسمه الكتاب، وأضاء قلبى المظلم الجناب ، ما عرف العالم مثله عظيما، مهيبا أديبا جوادا عليما . فاق الملوك أجمعين وتنزهت سيرته عن العائبين . سواء عنده الدنيا والتراب، مقدام فى الوقائع والمآدب لا يهاب . فى الوقائع السيف وفى المآدب الذهب، لا يضن على طالبهما ولا يرهب] .

قال : فأمر أرجاسب ابنه كُهَرم بأن يتقدّمه فى ألف فارس من نخب العسكر، ويركض(٣) إلى بلخ ويقتل من يجد فيها من الموابذة والهرابذة، ويحرق ما كان بها من دور كشتاسب وقصوره وإيواناته، وأن يقتل إسفنديار إن كان هناك محبوسا . وذكر أنه لايبطئ عن اللحاق به، ويطير بجناح الاستعجال

(١) يعني الدقيق الشاعر . (٢) يحتمل المعنى أن يكون المعنى : "ألفا من أنباء الوقائع والمحافل" أى ألف بيت.
(٣) ك : وينهض .

فى أثره . فركب وسار فى مثل عصفة الريح حتى خيم بصحراء بلخ . فضاقت الأرض على لهراسب بما رحبت ، والتجأ الى الله تعالى(١) وفوض أمره اليه . وخرج وجمع من أهل السوق وأوباش البلد مقدار ألف رجل لايصلحون للحرب ،ولبس خفتانه وركب ،وخرج ،مع ضعفه وشيخوخته ، إلى قتال كُهَرم ، وجعل يحمل عليهم يمينا وشمالا حتى نكأ فيهم نكايات عظيمة . فلما رأى كهرم ذلك أشار على أصحابه بأن يحدقوا به فأطافوا(٢) به ورشقوه بالسهام فأصابته منها عدّة أسهم ، وخرّ من فرسه الى الأرض ، وبادروه بالسيوف وقطعوه . وكانوا يحسبونه شابا فلما رفعوا المغفر عن رأسه رأوا كافور شيبه مغلفا بخلوق دمه . فعرفه كهرم وقال : إنه لهراسب(٣) ، وبعد أن قتل فقد انكسر ظهر ابنه . ثم دخلوا الى بلخ وقصدوا بيوت النار والقصور المرفوعة عليها فهدموها وأحرقوها بما فيها من كتب الزند . وكان فى بيت النار المسمى نوش آذر ثمانون هربذا فقتلوهم وأجروا دماءهم حتى أطفأوا بها نار زردشت التى كانت فيه (أ)

وكانت لكشتاسب امرأة عاقلة فى بلخ . فلما رأت هجوم العسكر على المدينة أخرجت فرسا من مرابط خيول لهراسب ، وركبته وخرجت من وسط القوم ، ونجت بنفسها راكضة الى سجستان حتى وصلت الى كشتاسب فأعلمته بهجوم عسكر الصين على مدينة بلخ ، وبأنهم قتلوا لهراسب وأحرقوا بيوت النار وقتلوا الهرابذة وأطفأوا النيران التى لم تكن تطفأ ، وأنهم سبوا بنتيه هُماى وبه آفريد . فعظم ذلك على كشتاسب وأخذه المقيم المقعد ، ورمى(٤) بالتاج عن رأسه وجعل يبكى على أبيه . واستحضر الأمراء والقوّاد ونفذ الكتب الى أطراف ممالكه ، واستدعى عساكره واستعجلهم . فاجتمع عليه جمع عظيم فسار بهم الى بلخ وباميان . ووصل من ذلك الجانب أرجاسب بعساكر كادت تملأ ما بين الخافقين . فصادفه كشتاسب وجعل ولده فرشيذوَرد على الميمنة وابن أخيه نسطور على الميسرة ، ووقف فى القلب . وأما أرجاسب فانه جعل كهرم على ميمنته وكُندُر على ميسرته . فالتقى الجمعان وتلاطم البحران ، واتصلت الحرب بينهم ثلاثة أيام(٥) . ووقعت الدبرة على الإيرانيين فقتل منهم خلق عظيم . وكان لكشتاسب ثمانية وثلاثون ابنا فقتلوا عن آخرهم فى تلك الوقعة . فاضطر كشتاسب الى الانهزام فثنى عنانه ورجع بمن معه من عساكره . وصادف فى طريقه بعد يومين جبلا عظيما عليه عيون من الماء وليس اليه طريق إلا من موضع واحد فصعد اليه بعساكره ، وأقعد طائفة (١١٢)

(أ) فى بعض نسخ الشاه كلاما يحتمل أن زردشت نفسه قتل فى هذه الغارة . وجرى على هذا مول وورنر فى ترجمتهما . ولكنى لا أجد كلام الشاه بينا فى هذا .

(١) ك ، كو ، طا : الله عز وجل . (٢) صل : طافوا . والتصحيح من ك ، كو ، طا .

(٣) ك ، كو ، طا : لهراسب أبو كشتاسب . (٤) ك : ورمى التاج . (٥) ك ، كو ، طا : بلياليهن .

منهم على ذلك الطريق بعد أن حفروا دونهم حفيرة . فجاء أرجاسب بجنوده وأحاطوا بهـذا الجبل من جميع جوانبه، وحاصروهم وضيقوا عليهم حتى فنيت أقواتهـم وكانوا يذبحون خيولهم ويزجون بلحومها أوقاتهـم(١) . فاستحضر كشتاسب جاماسب، وقال له : أخبرنى عن أسرار الفلك، ودلنى على من يكون معاضدى ومعاونى والآخذ بيـدى حتى تنجلى عنى هـذه الغمة، وتنكشف عن وجه سعادتى(٢) الظلمة . فقال له جاماسب: إن كان الملك يصدّقنى ويقبل قولى فليعلم أنه لايرزق الظفر على هذا العدوّ إلا بأن يطلق إسفنديار . فسر كشتاسب بذلك وقال : لقد ندمت فى الساعة التى قيدوه فيها وسلسلوه، على مابدر منى فى حقه، وإصغائى الى قول حاسده الذى قد ذاق وبال أمره — يعنى أنه قتل فى تلك الوقعة — والآن من يقـدر على المصير اليه ليطلقه من محبسه ؟ فقال جاماسب : أنا أتجرّد لذلك . فقال : افعل وبلغه منى السلام واعتذر اليه عما سبق، وقل له يبادر ويتلافى هذه الدولة ويدفع عنها هذا العدوّ . وإلا زالت واضمحلت . ثم إنى أشهد الله على نفسى وأشهدك أيها الحكيم العالم ! أنه إن فعل ذلك فوّضت اليه الملك، واعتزلت منزويا فى بعض المتعبدات كما فعل لهراسـب .

فلبس جاماسب قباء تركيا وتزيّا بزيهم، ونزل من الجبل ليلا، وتوسط عسكر أرجاسب وانسل فيما بينهم، وسار الى القلعة التى كان فيها اسفنديار محبوسا . فلما وصل اليها دخل على اسفنديار وخدم وقبل الأرض، وبلّغه سلام أبيه وأدّى اليه رسالته، وأخبره بقتل لهراسب وإحراق بيوت النـار وهدمها، وقتل الموابذة(٣) فيها وإطفاء النار الموقودة بها، وسبى أختيه من مدينتهما(٤) . ثم أعلمه بما جرى على أبيه كشتاسب فى الوقعة التى جرت بينه وبين أرجاسب(٥)، وبمقتل إخوته الثمانية والثلاثين، ثم انهزام كشتاسب وتحصنه بالجبل وإحداق عسكر العدوّ به وما هو فيـه من الضيق والشدّة . فامتنع من الخروج وقال : إنهم لم يذكرونى فى الرخاء والرفاهية فلا أذكرهم فى حالة البؤس . وحسبى هذا القيد شاهدا عند الله عز وجل على ظلم كشتاسب لى . فجرت بينهما مفاوضات ومناظرات . ثم قال له(٦) : أما ترق لأخيك فرشيذوَرد الذى لم يزل كان وقيذ القلب من أجلك متأسفا على فراقك، وقد مزقوه فى هـذه الوقعة كل ممزق ؟ فأثر فيه هذا القول وقال : هلا أعلمتنى بهذا من قبل ! وغشى عليه . ثم لما أفاق بكى عليـه ساعة . وأمر جاماسب باحضار الحدّادين ليفكوا عنه أغلاله وقيوده . فحضروا

(١) صل : أقواتهم . والتصحيح من ك، كو، طا . (٢) ك : هذه الظلمة . (٣) ك، كو، طا : الموابذة والهرابذة . (٤) ك كو، صل : مدينتها . والتصحيح من طا . (٥) صل : بينه وأرجاسب . والتصحيح من ك، كو . (٦) كو : قال له جاماسب .

وطفقوا يبردونها بالمبارد . فضجر من ذلك وجاش فقطعها بيده ووثب كالسبع المحرج . ثم لما أصبح دخل الحمام وخرج ، واستحضر سلاحه وعدّته وفرسه ، وركب مع ابنين له : أحدهما بهمن والآخر آذرافروز . وتقدّمهم جاماسب يدلهم على الطريق . فلما أصحر نزل وسجد ودعا الله عز وجل ثم نذر أوّلا أن يطلب بثأر لُهراسب ولا يذكر شيئا مما عامله به أبوه من الحبس والقيد وأن يراعى قلبه ، وأن يبنى مائة بيت نار فى البلاد ومائة خان فى الصحارى المسبعة والطرق الخالية . ثم ركب وسار حتى وصل الى معسكر الأتراك . فعبر عليهم بالليل حتى صعد الى الجبل نحو أبيه ، بعد أن قتل من طلائعهم خلقا كثيرا . فلما دخل عليه قبل الأرض بين يديه وسجد . فوثب أبوه اليه وعانقه(١) واعتذر اليه عما سبق منه ، وأخذ يلعن كُرزم الذى أفسد قلبه عليه . ثم قال : يابنى لا تذكر ما سلف ولا تتوان فى الطلب بالثأر . فإنى قد نذرت لله عز وجل أنى إن رزقت الظفر بهذا العدو فوّضت اليك التاج والتخت ، واعتزلت فى ناحية من الأرض ، وانزويت منقطعا الى الله عز وجل . فقال له إسفنديار : إن رضاك عنى هو التاج والتخت ، وبذلك تم لى السعادة والبخت . وإن أمس بما فيه قد عبر(٢) ، والماضى قد عفا ودثر . وبعد هذا إذا سللت سيفى وانحدرت من هذا الجبل لم أبق من رجال العدوّ أحدا ، ولم أترك من بلادهم عينا ولا أثرا .

وعلم الإيرانيون بوصول إسفنديار فأقبلوا بالليل الى سرادق كُشتاسب ، ودخلوا عليه فامتثلوا لمجيئه فرحا وسرورا . وكأنهم كانوا أمواتا فصادفوا بمقدمه(٣) نشورا . فحرضهم إسفنديار وحثهم على الصدق فى القتال والتشمر للانتقام . فنشطوا للقاء بنيات صادقة وقلوب بإدراك الظفر واثقة . وباتوا طول ليلهم يعدّون ويستعدّون (ا) .

قال : وانتهى الخبر الى أرجاسب باتصال إسفنديار بأبيه ، واختراقه عسكره فى جنح الليل ، ونكاياته فى طلائعه فعظم ذلك عليه حتى أظلم(٤) عليه النهار ، وخانه الصبر والقرار ، وعزم على الانصراف الى بلاده ، والاكتفاء بما حصل له من الاسم فى قتل لُهراسب وكسر كشتاسب . وصمم على ذلك حتى سلم جميع ما نهبه من بلخ وما حصل له من المغانم فى تلك الوقعة الى كُهرم حتى يتقدّم به ويسير هو وراءه . فجاءه رجل من أمراء الصين وقوّادها يسمى كُركسار فقال : أيها الملك ! كيف يجوز

(ا) ما أشبه قدوم إسفنديار على الايرانيين وهم محصورون على الجبل بقدوم رستم عليهم وهم محصورون على جبل هماون. وفى هذه وأشباهها يحس القارئ أن القصة تريد أن تلحق إسفنديار ببطل الدين برستم . انظر المتن ص ٢٢٢

(١) طا : فعانقه . (٢) لك : غبر . (٣) صل : صاروا . والتصحيح من لك ، طا . (٤) لك ، كو ، طا : أظلم فى عينه .

الانحياز عن قوم كسرناهم ونهبناهم ؟ فلا تحمل ذكرك بانصرافك عنهم . وإن كان قد دخل قلبك شيء من أجل حضور إسفنديار فأنا غدا بين الصفين قرنه ، وسأبارزه وأقتله . فلما سمع أرجاسب هذا منه عاد قلبه اليه وسكن جأشه ، وقال : إن فعلت ذلك فلك الحكم على بلاد توران الى بحر الصين ، وأجعل اليك قيادة العساكر ، ولا أخرج من أمرك . ووعده ومنّاه وحرضه ثم جعله على عسكره . وباتوا ليلتهم تلك فى تعبئة واستعداد .

ولما طلعت الشمس نزل إسفنديار من الجبل بعساكره فوقف نسطور فى الميمنة ، ووقف إصبهبذ آخر فى الميسرة ، ووقف كُشتاسب فى القلب ، وتقدّم إسفنديار . وسوّى أيضا أرجاسب صفوفه ورتب جنوده ، فوقف كُهرَم فى ميمنته ، ووقف ملك جِكِل المسمى قاآ (أ) فى ميسرته . ولما رأى أرجاسب إسفنديار صعد الى رابية مشرفة ينظر منها الى المصاف ، وأمر ساربانه بأن
١١٣ يحضر جمّازات كثيرة حتى إنه إذا أحس بتوجه غلبة على أصحابه ركبها فى خواصه وأقاربه وجنّبوا الخيل واستقبلوا بها طريق الصين . وأما إسفنديار فإنه برز الى ما بين الصفين كفيل هائج فحمل على القلب وقتل منهم فى حملة واحدة ثلثمائة نفس ، ثم عدل نحو الميمنة فقتل منهم مائة وستين فارسا ، وفرّ كُهرَم من بين يديه . ثم رجع الى الميسرة وقتل مائة وخمسة وستين فارسا . فلما رأى أرجاسب ذلك التفت الى كُركسار وتقاضاه إنجاز ما وعده . فبرز من الصف وأخرج نشابة نصلها فولاذ ، وسدّدها نحو إسفنديار فوقعت من (١) جوشنه فى موضع ثغرة صدره فتطامن (٢) على سرجه يريهم أن النشابة قد خلصت اليه . فسلّ كركسار عند ذلك صمصامه وأسرع اليه يريد قتله . فاستوى فى سرجه وتطامن ورماه بوهق أنشبه فيه ، وأسره ورماه على وجهه الى الأرض . ثم جره فى التراب وسلمه الى بعض أصحابه ليحمله الى حضرة كشتاسب . وأوصى بألا يعاجل بالقتل . ثم زحف بجميع عساكره الى العدو فهزمهم . وفرّ أرجاسب وخواصه وأمراؤه على تلك الجمازات ، وتوجهوا نحو خُلّخ . وترك جنوده بين أشداق المنون . فأمر إسفنديار أصحابه فوضعوا فيهم السيف حتى امتلأ ما هنالك من الفضاء بأشلاء القتلى وجثثهم . فهرب من أمكنه الهرب ، واستأمن الباقون الى إسفنديار ، وتضرعوا اليه وبكوا . فكف عنهم . وانصرف الى أبيه غريقا فى دماء القتلى وقد لزقت يده على قائمة السيف . فصبوا عليها اللبن الحليب حتى خلصت من مقبض السيف . ثم خلعوا عنه خفتانه ونزعوا منه السهام التى أصابته . ثم اغتسل ولبس ثياب بذلة وعمد هو وأبوه الى متعبد ، وأقاما فيه أسبوعا يشكران ربهما سبحانه وتعالى على ما أزلّ اليهما من تلك النعمة .

(أ) ليس فى نسخ الشاه والتراجم التى بيدى تسمية هذا الملك .

(١) صل : فى جوشنه . والتصحيح من ك ، كو ، طا . (٢) ك : فتطامن اسفنديار يريهم .

ثم خرج إسفنديار فى اليوم الثامن وجاءوه بكُركسار فقال: أيها الملك! إن أبقيتنى كنت لك عبدا ناصحا أرشدك الى مصالح الأمور، وأدلك على روئين دِز التى هى دار ملك أرجاسب ومستقر تخته ومدفن دفائنه وذخائره. فأمر بأن يردّ مقيدا الى محبسه. ورجع الى المعترك وأمر بتفريق ماحصل من الغنائم على عسكره. ثم رجع نحو أبيه فسأله أن يقصد قصد أرجاسب ويدخل بلاد الترك ويطلب بثأر إخوته ويخلص أخواته المسبيات من بلخ. ووعده بأنه اذا فعل ذلك يقلده الملك ويعتزل، كما سبق به الوعد. فامتثل إسفنديار أمره وأعدو استعد وحشد واحتشد، وسار قاصدا بلاد توران فكانت الحرب المعروفة بهفت خوان. وهذه قصتها نذكرها إن شاء الله تعالى:

ذكر وقائع هفتخَوان(١) وما يتعلق بها من فتح روئين دِز، وقتل أرجاسب §

قال: فسار (١) إسفنديار من بلخ قاصدا قصد توران. فانتهى فى مسيره الى مكان يتشعب منه طريقان فنزل عنده وأمر بمدّ السماط. ثم قعد للشراب وأمر بإحضار كُركسار الأسير. ولما حضر أمر فتابعوا عليه أربعة أقداح من الراح ثم قال له: إن صدقتنى عما أسايلك عنه من أحوال ممالك توران وطرقها المفضية اليها آمنتك على نفسك وأصحابك وأولادك، واذا رزقت الظفر جذبت بضبعك، ورفعت من قدرك، وملكتك بلاد توران. وإن كذبتنى لم يخف كذبك علىّ وقتلتك ومثلت بك. فقال: إنك لا تسمع منى غير الصحيح. فرفع جاما من الشراب فشربه على اسم كشتاسب

§ هفت خوان معناه «سبع موائد». وأظن «خوان» محرّف عن خان ومعناه المنزل. فهى اذًا هفت خان، كما فى الغرر، أى سبعة منازل. يحس القارئ أن هذه القصة قصة هفتخوان انما وضعت محاكاة لقصة رستم المسماة بهذا الاسم(٢). فكلا البطلين يعدل عن الطريق البعيدة الى طريق قصيرة مملوءة بالمخاوف فيلقى سبعة خطوب منها قتل سبع وتنين وامرأة ساحرة. وكلاهما يشرب الخمر ويغنى على المزهر قبل أن يلقى الساحرة. وكلاهما يستدل أسيرا يهديه الطريق وإن كان رستم يستدل الأسير بعد اجتياز العقبات السبع. ثم تخليص إسفنديار أختيه من الأسر وقتله أرجاسب يقابل تخليص رستم كيكاوس وقتله سبيذديو. واحتيال إسفنديار لدخول حصن أرجاسب لا نظير له فى قصة هفتخوان رستم ولكن يشبه ما فعله رستم فى فتح الجبل الأبيض(٣). وفى قصة بيژن ومنيژه. =

(١) حذف المترجم أبياتا فى مدح السلطان محمود. وهى مدح عام لا يستفيد منه المؤرخ شيئا غير قول الشاعر أنه ينظم بتأييد السلطان محمود.

(١) تلفظ هفتخان. (٢) المتن ص ١١٠ (٣) ص ٧٨ حاشية.

ثم أقبل عليه وقال : أعلمنى الآن عن روئين دِز ، وأخبرنى فى أى المواضع هى ، وأخبرنى عن الطرق المفضية اليهـا والسهل والوعر منهـا ، وعن كمية أهلها وكيفية وضعها . فقال : إن من ها هنا الى هذه القلعـة طرقا ثلاثة : أحدها يقطـع فى ثلاثة أشهر وفيـه المنازل العامرة والبلاد الآهلة . والثانى يقطع فى شهرين وفيـه مراع معشبة ومياه عذبة ولكن ليس فيه عمارة ولا قرى . والثالث يقطع فى أسبوع . ولكن هـذا الطريق مملوء(١) بالذئاب والسـباع والثعابين التى لا ينجو من معرتهـا أحد . ثم مع هذا فى هذا الطريق امرأة ساحرة خطبها أعظم ونكايتها أفظع من الجميع . وهـذا كله مع ما فيه من مكاره البرية والعنقاء والبرد والزمهرير . ثم يفضى الى القلعة وهى قلعـة رأسها فى عنان السماء، وأسها فى قعر المـاء . وهى مملوءة بالعتاد والعدّة محتفة بواد عميق كثير المـاء بحيث اذا أراد أرجاسب الخروج منها لم يمكنه ذلك إلا على السفن . ثم إنه لو أقام فيها مائة سنة لم يحتج الى شىء يحمل اليه من خارج . فان له فيها الزرع والثمـار والأشجار . فلمـا سمع إسفنديار ذلك أطرق ساعة ثم قال : لا طريق لنـا سوى الطريق المختصر . فقال كُركسار : إنه لم يسـلك هـذا الطريق قط إلا من مل الحياة وسئم البقاء . فقال له إسفنـديار : إن كنت معى فسترى العجائب . ثم قال له : فمـاذا الذى نلقاه فى هذا الطريق فى اليوم الأوّل ؟ فقال يتصدى لك ذئبان ذكر وأنثى كأنهما فيلان

═ ويظهر أن القاصّ يريد أن يفضل إسفنديار على رستم فهو يقتحم به أهوالا أفظع مما اقتحم رستم . وقد يكون فى قتـل إسفنديار العنقاء مايشـعر بغرض القاصّ فى تصوير البطلين عدوّين متنافسين . فمآثر العنقاء على أسرة زال معروفة مما تقدّم(٢) .

وقد تقدّم التنبيه إلى التشابه بين إنقاذ إسفنديار أباه وجيشه محصورين على الجبل وإنقاذ رستم الإيرانيين على جبل هماون(٣) .

وسيرى القارئ بعدُ التقاء البطلين فى الحرب وظفر رستم على قرنه بحيلة العنقاء .

وقد مهد الثعالبى فى الغرر لهذه القصة بقوله :

”هذه القصة الى منتهاها من بقية قصة رستم مما لا يقبله العقل ولا يصدّقه الرأى ، ولكنى أوثر ألا يخلو كتابى هـذا منها مع شهرتها وتداول الناس إياها ، وميلهم اليها ، واسـتطابة الملوك عجائبهـا واستكثارهم فى الصحف والأبنية من تصاويرها ،ومع اتصالها بما تقدّم من قصص الكتاب ، وحاجته الى سياقتها“ .

═

(١) طا ، كو : مملوءة . (٢) ص ٣٠٥ وما بعدها . (٣) ص ٢٢٢

قوة وشكلا . ولهما قرون كقرون الأوعال يكادان ينقضان بهما مبانى الجبال . أضراسهما عظيمة وأكتافهما غليظة وأوساطهما دقيقة.» ثم أمر بأن يردّ گُركسار الى موضع الحبس فى خركاه نصبت له ثم اندفع فى شربه مع ندمائه وأصحابه .

ولما أصبح من الغد ركب سالكا للطريق المذكور المسمى هفتخوان فى جموعه وجنوده . ولما قرب من المنزل خلف وراءه العسكر وأمر أخاه بِشوتَن بأن يسير بهم وراءه على سكون وتؤدة . وتقدّمهم وسار فاعترضه الذئبان كأنهما غمامتان . فأخذ القوس ورشقهما بالسهام حتى أثخنهما بالجراح ثم بادرهما فمزقهما بالسيف كل ممزق . ثم ترجل وعمد الى ماء هناك واغتسل . ثم استقبل الشمس وجعل يتمرّغ فى التراب ويعرض عجزه على الله تعالى ويتضرع اليه ويشكره على ما منّ به عليه من كفاية معرة السبعين . ثم وصل بشوتن بالعساكر فرأى إسفنديار فى الصلاة فقضى العجب (١١٤) مما شاهد . واجتمعت الأكابر والأمراء وأثنوا ودعوا له . ثم نصبت الخيم ومدّوا السماط فأمر إسفنديار باحضار گُركسار، فجاء يرسف فى قيوده . فأمر فسقوه ثلاثة أقداح من الشراب الصرف. ثم سأله وقال : ماذا نرى غدا فى المنزل ؟ فقال : يتعرّض لك أسدان هصوران اذا تغيظا وجاشا فى الغاب كادا يحرقان فى الجو منيع العقاب . فتبسم إسفنديار وقال : ستعلم غدا صنيع هذا الأسد بذاك الأسد .

ولما أن جنّ الليل وأظلم أمر بالرحيل . فرحلوا وتقدّمهم هو، وترك العسكر مع أخيه كما فعل بالأمس . وسار الى أن ارتفع النهار فاعترضه فى طريقه سبعان كأنهما ناران تلتهبان[1] . فبادر إسفنديار

= وقصة هفت خوان فى الشاهنامه تتضمن العناوين الآتية :

(١) مدح السلطان محمود . (٢) المنزل الأول : إسفنديار يقتل ذئبين . (٣) المنزل الثانى : إسفنديار يقتل أسدين . (٤) المنزل الثالث : إسفنديار يقتل تنينا . (٥) المنزل الرابع : يقتل ساحرة . (٦) المنزل الخامس : يقتل العنقاء . (٧) المنزل السادس : يجتاز الثلج . (٨) المنزل السابع : يعبر النهر ويقتل گُركسار . (٩) يذهب الى روئين دِژ (القلعة النحاسية) فى زى تاجر . (١٠) أختا إسفنديار يعرفانه . (١١) بشوتن يهجم على روئين دِژ . (١٢) إسفنديار يقتل أرجاسپ . (١٣) إسفنديار يقتل كُهرم . (١٤) إسفنديار يكتب الى گشتاسپ فيجيبه . (١٥) إسفنديار يرجع الى گُشتاسپ .

(١) كلمة «تلتهبان» من ك، طا، كو

أحدهما بالسيف فشق من مفرق رأسه الى زوره بنصفين . وارتاع(١) الآخر لذلك وصال عليه فتلقاه بالسيف وألحقه بصاحبه . وعدل ونزل وطفق يدعو الله تعالى ويشكره . فلحقه أخوه وتلاحق الأمراء والقوّاد فنزلوا ونصبوا الخيم . وقعد إسفنديار واستحضر الأسير وعامله معاملته بالأمس . فلما طابت نفسه قال له : أيها الشقى ! ماذا نلقى غدا فى المنزل الذى بين أيدينا ؟ فقال ما أدرى كيف يكون حالك غدا ؟ إن أمامك ثعبانا يستخرج بنَفَسه الحوت من البحر، و يستنزل العقاب من الجو . عيناه كالنار المشتعلة ، وكأن بين(٢) فكيه حفرة من حفر الجحيم ، وكأن مابين منكبيه ركن جبل عظيم . ولو قبلت منى أيها الشهريار لرجعت عن هذا الطريق ، ولم تلق بيدك الى التهلكة . فقال له ياسيئ الظن ! سأجرك بهذه الحالة حتى ترى العجب وتعلم أن هذا الثعبان لا ينجو من سيفى . فأمر النجارين فعملوا له عجلة وركّبوا فى أطرافها نصولا محدّدة . ثم أمر فعملوا له صندوقا كبيرا ، وسمروه على العجلة ، وربطت على فرسين قويين . وقعد فى الصندوق وساق الفرسين لينظر كيف مشيهما بها . فجراها وجريا بها كالرعد والبرق .

ولما كان الغد دقت الكوسات وارتحلوا . فجعل عليهم أخاه وتركهم وراءه ، وتقدّم بالعجلة والصندوق . فلما سمع الثعبان جعجعتها انحط من رأس الجبل منحدرا . فتوارى إسفنديار فى الصندوق . فلما أسهل فغرفاه وابتلع الفرسين مع الصندوق والعجلة . فنشبت النصول المركبة فيها فى حنكه وفكه فبقى لا يستطيع ابتلاعها ولا قذفها . فغرغر وأفرغ من فمه السم بحرا أخضر . فانسل إسفنديار من الصندوق بيده السيف مسلولا فعلا دماغه بالسيف حتى شققه ، وسطع من نار سمه دخان فى الهواء فهلك . وخر إسفنديار صعقا من روائح السم . فوصل بعد ساعة أخوه وأصحابه فرأوه مغشيا عليه . ثم أفاق وقام كأنه وسنان أو سكران فخلع خفتانه لما أصابه من السم ، ولبس ثوبا آخر . وطفق يبتهل إلى الله تعالى ويدعوه ويشكره على السلامة والظفر . ثم خيموا على حافة نهر هناك . واستحضر گركسار وسأله عما يراه من غده فى المنزل الذى بين يديه . فقال : اذا نزلت غدا تأتيك امرأة ساحرة تريك البر بحرا والبحر برا . وقد رأت عساكر كثيرة فما بالت بها ولا أفكرت فيها . فقال إسفنديار : سأقتلها غدا وأقصم بقتلها ظهور السحرة أجمعين .

ثم لما كان الغد سار وخلف أخاه على العسكر . واستصحب مزهرا وظرف شراب وقدح ذهب ، وسار حتى وصل إلى أرض شجراء فيها عيون جارية وأزهار زاهرة ، وحدائق بأحداق

(١) لد : فارتاع . (٢) كلمة "بين" من طا

النرجس ناظرة . فاستظل بظل شجـرة ، وملأ جامه من الشراب وحطه بين يديه ، وأخذ المزهر بجس أوتاره وغنى بما يقرب معناه من قول مترجم الكتاب :

يا طيب لذتنـا بالأمس فى نعم — بين المـدام وبين الناى والعود
فى حجـر سحارة[١] الألحاظ فاتنـة — كناعم من غصون البان أملود
يا ليتها حضرتنى اليـوم تطربنى — نفسى الفداء لها من غادة رود

فلمـا سمعت الساحرة صوته استبشرت وفرحت وقالت : قد ظفـرت بصيد . ثم تصوّرت فى صورة حورية بيضاء ذات مقلة كحلاء وقامة ميلاء، وتبرجت وحضرت لديه . فأظهر الفرح بها وسقاها قدحا من ذاك الشراب . وكان معه سلسلة يزعم أن زردشت أتى بها أباه من الجنة . فألقاها على الساحرة وخنقها بها . فاستحالت فى الحال فى صورة سبع عظيم . فقال لها إسفنديار : لا تنفعك الآن معى حيلة، ولا أهابك ولو صرت جبلا . فاظهرى فى صورتك التى أنت عليها . فتبدّت عجوزا شوهاء شمطاء، متقلصة المشافر، غوليّـة المعارى والمحاسر . فعلاها بالسيف وطير رأسها . فوصل بشوتن وأصحابه وخيموا فى تلك الغيضة . وأمر إسـفنديار باحضار الأسير فسقوه ثلاثة أقداح من الشراب الخسروانى . ولمـا طابت نفسـه قال له إسفنديار : انظر أيها الشقى ! الى رأس الساحرة معلقا على تلك الشجرة ، وأخبرنى عن المنزل الآخر وما يعترضنا فيه . فقال : إن الأمر فيه أصعب وأعظم . فكن فيه أيقظ وأحزم . إن أمامك غدا جبلا شاهقا عليه طائر يعرف بالعنقاء . وكأنه جبل يمرّ فى الهواء (أ) . ولو رأت فى الأرض فيلا تدلت عليـه واختطفته بمخلبها ومزقته بمنسرها . ولها فرخان متشابهان يُسفان اذا أسفّت، ويحلّقان اذا حلقت . والأولى بك أن ترجع ولا تتعرّض لشرها . فقال إسفنديار : سأخيط جناحها بالنشاب، وأقطع رأسها بالسيف .

ثم لمـا أن رأى الليل قد اعتكر ارتحل بالعسكر وسار طول الليل حتى طلعت الشمس وارتفعت وصارت كتاج على قمة الجبل . فخلف العسكر وراءه واستصحب العجلة والصندوق[٢] . فرأتها العنقاء فانقضت عليها كأنها سحابة سوداء تغطى عين الشمس وتحجب ضوءها . فوقعت على العجلة لتنشب فيها مخالبها وتحلّق بها، على عادتها فى الصيد . فدخلت تلك النصول فى أجنحتها ورجليها . فضعفت (٤١٥
قواها وسقطت الى الأرض تضطرب . وانسل إسفنديار من الصندوق ووضع فيها السيف ومزقها .

(أ) عبارة الشاه : كأنه جبل طائر .

(١) ك : ساحرة الألفاظ . (٢) كو : والصندوق على الهيئة المذكورة السابقة . وسار فصادف جبلا رأسه فى أعنان السماء . فوقف فى سفحه بالفرس والعجلة والصندوق فرأتها العنقاء الخ .

ثم سجد شكرا لله تعالى . فوصل أخوه بالعسكر وأصحابه وأولاده فخيموا و بسطوا فرش الديباج و بُسُط الحرير . وجلس إسفنديار واستحضر أسيره فجاء مصفر اللون لما رأى من نكايات إسفنديار فى تلك السباع . فقال له إسفنديار : أخبرنى أيها الخبيث ! عما نرى فى المنزل الآخر . فقال : غدا تقع فى خطب لا ينجيك منه سيف ولا سنان ؛ يمطر عليك من الثلج ما يغمر الرمح فتبقى مع هذا الجحفل الجرّار تحت الثلج عاجزين . ويهب هواء بارد شديد يكاد يمزق بزمهريره لحاء الشجر ، ويخمد النار فى قلب الحجر . ومع ذلك فليس بعجب من سعادتك أن تسلم[1] منه كما سلمت من غيره . ثم إنك تفضى بعد ذلك الى برية فى نحو ثلاثين فرسخا تلتهب من حر الشمس ، رملها مائر مايدب فيها نملة ولا يدرج فيها طائر ، ولا توجد فيها قطرة ماء ولا طاقة حشيش . فاذا قطعت وراء هذه الأرض أربعين فرسخا فحينئذ تبدو لك القلعة . ووصفها بمعنى قول أبى فراس (ا) حيث يقول :

لنا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل
رسا أصله تحت الثرى وسما به الى النجم فرع لا ينال طويل

فضج الايرانيون حين سمعوا ذلك وقالوا : أيها الملك ! لا تدر حول البلاء ما استطعت . وكلام كُركسار إن صح فنحن لم نأت هذا الموضع إلا للاستسلام للهلاك والموت . والرأى أن نعدل من هذا الطريق الى طريق آخر . فغضب إسفنديار وقال : إن كنتم قد سئمتم ومللتم فارجعوا وراءكم فانى لا أحتاج اليكم فى هذا الأمر . ويكفينى أخى وولدى عونا فى هذا الخطب . فلما رأوا تغيره اعتذروا اليه وقالوا : نحن عبيدك ونصحاؤك ، وأرواحنا ونفوسنا فداؤك . وما قلنا ما قلناه إلا طلبا لسلامتك وجريا على مقتضى النصيحة لك . فقبل معذرتهم .

ثم لما تبلج الصبح ارتحلوا وساروا الى آخر النهار . فنزل[2] فى منزل هواؤه كهواء الربيع صافى الجو مُصحى السماء فنصبوا فيها الخيم ونزلوا . فبيناهم كذلك اذ أظلم الجو واشتدت الريح ونشأت سحابة أبرقت وأرعدت وأطبقت عليهم ثلاثة أيام بلياليهن تهيل عليهم الثلج هيلا حتى امتلأت الأودية . فصاح إسفنديار بأخيه بِشوتَن وقال : قد اشتدّ علينا الأمر وليس ينفعنا الآن رجولية ولا قوة . والرأى أن نلجأ الى من لا ملجأ منه إلا اليه . فإنه الكاشف للضر والقادر عليه . فاجتمعوا ورفعوا أيديهم وتضرعوا الى الله تعالى مبتهلين ودعوه دعوة الصادقين . فسكن الهواء وانجلت السماء . فأقاموا هنالك ثلاثة أيام .

(ا) الأبيات للسموءل . وفى حاشية الأصل ، لك ، طا : الأبيات للسموءل وهى من أشعار الحماسة .

(١) لك : أن تنجو منه وتسلم كما .   (٢) لك ، طا ، فنزلوا .

ولما طلعت الشمس من اليوم الرابع أمر بحمل الأزواد والاستظهار بالطعام والشراب . وارتحل بهم وسار الى أن عبر نصف الليل فسمع صوت الكركى فاستدعى الأسير وقال : أما قلت أنه لا ماء فى هذه البرية؟ فقال : هاهنا ماء ملح وبعده ماء آخر زعاق تشربه الوحوش(١) . فساروا وتقدّم إسفنديار وسار فأفضى الى بحر لا قعر له ولا ساحل . فتقدّم الساربان بالجمل الذى كان يقدم القطار وخاض الماء ليعبر فغرق الجمل . فأدركه إسفنديار فأخذ بأخفاذه واجتره واستخرجه . فوقف ووقف الجميع فاستحضر كركسار وسأله عن المخاض، وأمره بأن يتقدّم فى العبور . فقال : كيف يمكننى ذلك مع ما فى رجلى من أثقال الحديد؟ فأمر برفع قيوده عنه . فأخذ بزمام الجمل وخاض الماء وعبر، وتبعه العسكر حتى حصلوا من ذلك الجانب فخيموا ونزلوا للطعام والشراب . فأحضر كركسار وقال : اذا أخذت مدينة أرجاسب فقتلته وقتلت أولاده وسبيت ذراريه ونساءه كيف يقع ذلك منك؟ أيسرك أم يسوؤك؟ فضاق صدره وسفه على إسفنديار وشتمه . فعلاه بالسيف وقتله ورماه الى البحر . فركب وحده . وكان بينه وبين المدينة عشرة فراسخ . وسار وصعد الى بعض الجبال فرأى القلعة فاستعظم أمرها واستعضل داءها فأطرق مليا يقرع سن الندم على تقحمه فى تلك المهالك الصعبة، وتورطه فى تلك المسالك الوعرة، حين رأى حصانة حصارها، ووثاقة أسوارها، وكثرة رجالها، وفسحة مجالها . فنظر فرأى تركيين معهما كلاب للصيد فى سفح ذلك الجبل . فانحط عليهما وأسرهما، وجاء بهما الى مخيمه واستخبرهما عن أحوال القلعة والطرق المفضية اليها وعدد من فيها من المقاتلة . فأخبراه عن أرجاسب وجميع أحواله، وذكرا له أن فيها ثلاثين ألف فارس، وأن فيها من الذخائر ما لا ينفد فى عشر سنين، وفيها الحبوب مدخرة فى سنابلها . فضاق إسفنديار ذرعا بما سمع منهما فقتلهما . ثم خلا بأخيه وقال له : إن هذه المدينة لا تفتح بالمحاصرة والمقاتلة . ولا بدّ فى ذلك من إعمال الحيلة، والالتجاء الى المكر والخديعة . فكن متيقظا، وفرّق طلائعك، وأقعد على بعض المراصد ديدبانا . فاذا أخبرك بأنه رأى بالنهار دخانا متراكما، وبالليل نارا عالية على القلعة فاعلم أن ذلك من صنيعى فاركب وأقبل الى القلعة بخيلك ورجلك . ثم استدعى الساربان وأمر بإحضار مائة راحلة فأوقر عشرة منها بالذهب، وخمسة بالجوهر، وخمسة بالثياب . وأحضر مائة وستين صندوقا، وأقعد(١) فى كل صندوق رجلا موسوما بالشجاعة والجرأة من رجاله بعدده وسلاحه . وحملها على ثمانين راحلة . ثم غير زيه، وجعل على الجمال عشرين رجلا من شجعان أصحابه وأقامهم مقام الجمالين، وتزيوا بزيهم . ثم ذهب بهم الى القلعة . فلما قرب منها استقبله الناس وأهل الأسواق،

(١) يشبه هذا ما فعله قصير لينتقم من الزباء ملكة الجزيرة الخ

(١) لك، طا، الوحوش والسباع .

واستبشروا بمقدمهم ، وحسبوهم عير تجارة ، وسألوه عما معه من الأقمشة والأمتعة . فقال : لست أخبركم بشيء ما لم أدخل على الملك وأخبره بحالى . فحينئذ أعامل‍كم وأبايعكم . فحط الحمول تحت (١١٦) القلعة ، وأخذ طاسا مملوءا من اللؤلؤ الشاهى وفرسا وعشرة أثواب ديباج ، وصعد . فأدخل على الملك فخدم وقدّم تلك التحف وقال : أيها الملك ! إنى رجل تاجر . وكان أبى مملوكا تركيا ، وأمى من الأحرار (أ) وقد صحبتنى أحمال من كل نوع من الجواهر والمفارش والملابس . وقد قصدت بابك حتى أبيع وأبتاع بجاهك وتحت ظلك . وقد تركت الأحمال تحت القلعة . (وأتوقع من الملك أن يأذن فى إصعادها الى هذه القلعة)(١) . فقال : اشرح صدرك وطب نفسا . وأمر بأن يعطى دارا فى القلعة ودكانا أمام الدار حتى ينزل فيها ويبيع ويشترى كما يريد ويشتهى . فجاء الحمالون وحملوا الصناديق والأحمال وصعدوا بها الى القلعة . فسأل واحد وقال لبعض الحمالين : أى شيء فى هذه الصناديق ؟ فقال له الحمال : ما ندرى غير أنا قد حملنا أرواحنا على أكتافنا . » وحط أحماله فى تلك الدار .

قال : فحمل إسفنديار تخوتا من ثياب الوشى ، ودخل على أرجاسب وقال : إن مع العبد أشياء تصلح للخزانة من الأطواق والمناطق والأسورة والقلائد وغيرها . فليحضر الوكيل وليأخذ ما يريد . وقدّم الثياب بين يديه فأكرمه الملك وأحسن اليه وأمر الحجاب ألا يمنعوه من الدخول عليه مهما أراد . ثم استخبره عن اسمه فقال : اسمى خُرّاد . فسايله عن أحوال إيران و إسفنديار فقال : فارقت تلك البلاد من خمسة أشهر وكل من الناس يتحدّث على حسب هواه ؛ فطائفة يقولون : إنه وقع بين إسفنديار وبين أبيه . وجماعة يقولون : إن إسفنديار يسلك طريق هفتخوان . فضحك أرجاسب وقال : إن النسور لا تستطيع أن تطير فى هواء هفتخوان . واستبعد ذلك . ثم إن إسفنديار قام وخرج وفتح الدكان ، واجتمع عليه أهل المدينة ، ونفقت سوقه وطفق يبيع ويشترى الى آخر النهار . فلما خلا وجهه رأى أختيه حافيتين حاسرتين على كتف كل واحدة منهما جرة وهما خارجتان لنقل الماء . فوقفتا على دكان إسفنديار نغطى وجهه عنهما بطرف كمه . فقالت إحداهما : أيها الساربان ! من أين أقبلت ؟ وما الذى عندك من خبر إسفنديار وكُشتاسب ؟ فان كان عندك خبر فأخبرنا به . فانّا من بنات الملك كشتاسب ، وقد وقعنا فى الأسر ، وحملنا الى هذه القلعة . ونحن كما ترى تحت المهانة والذلة نتبذل فى الخدمة على رءوس الاشهاد . ويا طوبى لمن مات فواراه التراب — قلت وهذه حالة عبرت عنها ابنة النعمان بن المنذر حيث قالت :

(أ) فى الشاه : « أبى تركى وأمى من الأحرار » فالمراد بالأحرار هنا الفرس .

(١) ما بين القوسين من ك ، طا .

بينا نسوس الناس والأمر أمرنا إذا نحن فيهم سوقة نتنصّف
فأف لدنيا لا يدوم نعيمها تقلّب تارات بنا وتصرّف

قال : فصاح عليهما إسفنديار، وطردهما . فعرفته إحداهما بصوته، وهى هُماى، لكنها سترت وكتمت طلبا للستر عليه . وجعلت تبكى وتذرف الدموع . فعلم إسفنديار بأنها قد عرفته فنحى طرف الكم عن وجهه وبكى ساعة . ثم قال لها : اصبرا على ما تقاسيانه من الشدّة والبلاء أياما أخر . وصرفهما من عنده . ثم أغلق دكانه وجاء باب أرجاسب فدخل وقال : أيها الملك ! إنا لما توسطنا البحر فى متوجهنا الى هاهنا عصفت علينا الهواء، وهاج علينا البحر وأشرفنا(١) على الموت . فنذرت أنى إن سلمت عملت دعوة عظيمة . وأرجو أن يشرف الملك عبده، ويحضر مع الأمراء والخواص . فأجابه الملك الى ملتمسه، وقال لأكابر أمرائه وأصحابه : احضروا غدا عند خُرّاد . فقال أيها الملك ! إن منزلى يضيق . فأَصعدُ السور وأوقدَ النار، على ما يقتضى حال هذا الشهر (ا) المبارك(٢)، وأفرح الأمراء والحاضرين بالمنادمة على الشراب . فقال : الأمر اليك فافعل ما اشتهيت . فوثب مسرورا وأتى منزله وأمر بإصعاد الأحطاب الى السور . فرقّوا اليه حطبا كثيرا . وذبح خيلا وغنما وأوقد النار حتى ارتفع الدخان واستوى الطعام . فحضر الملك والأمراء فطعموا وجلسوا للشراب . ولما جن الليل وثملوا انصرفوا فأشعل إسفنديار بقية الأحطاب، واستنار(٣) الجو بضوء النار . وحين رأى الديدبان الموكل من جهة أصحاب إسفنديار ارتفاع الدخان بالنهار، واستضاءة النار بالليل سعى الى بِشوتَن أخى إسفنديار، وأخبره بالحال . فأمر بدق الكوس(٤) إشعارا بالرحيل . فساروا يسوقون نحو القلعة . فأعلم أرجاسب بأن عسكرا عظيما قد قدم من إيران . فنادى فى المدينة بالنفير . فركب كُهرم بن أرجاسب فى المقاتلة وخرج بهم . فصافوا الايرانيين فرأى كهرم بشوتن أخا إسفنديار فى القلب فحسبه إسفنديار . فالتقت الفئتان فقَتل نوشاذر بن إسفنديار طرخان أحد أمراء أرجاسب أو أولاده (ب) فانهزم كهرم موليا الى القلعة، وأخبر أباه بمكان إسفنديار وكونه صاحب الجيش القادم . ووصف له شكله وهيئته وعدّته . فاهتم لذلك، وأمر جميع العسكر بالخروج من القلعة وبصدق القتال وبذل الوسع فى الدفاع . فخرجوا عن آخرهم حتى خلت القلعة من المقاتله .

(ا) فى الشاه : أنه شهر تير . وهو الشهر الرابع من السنة الفارسية القديمة وهو يوافق شهر يونيه و يوليه .

(ب) هذه العبارة : « أحد أمراء أرجاسب أو أولاده » ليست فى الشاه .

(١) ك : فأشرفنا . (٢) ك، طا : المبارك (لا). (٣) ك : فاستضاء .

(٤) ك : الكوسات .

فلما دخل الليل وأظلم الجوّ أخرج إسفنديار رجاله من الصناديق، وأطعمهم وسقاهم ثم قال لهم : إن هذه الليلة ليلة بلية فشمروا عن ساق الجد وحصلوا لأنفسكم ذكرا يبقى أبد الدهر . وقسمهم ثلاثة أقسام : فوكل البعض بباب القلعة، ورتب البعض فى وسطها، وهجم بالباقين على باب أرجاسب (ا) ووضع السيف فى الحرس ومن كان على الباب . فلما أحس أرجاسب بذلك قام وهو سكران (ب) ولبس سلاحه، وقام فى وجه إسفنديار، وتضاربا وتصادما فأصابت أرجاسب جراحات أثخنته فسقط وقتل . وارتفع الصراخ عليه من قصره . ثم وكل إسفنديار بداره وحرمه بعض خدمه . وعدل الى مرابط خيله وأخرج خيولا عربية فركبوها . وترك فى القلعة جماعة يحفظون بابها . وأمرهم أن يرفعوا فى آخر الليل أصواتهم وينادوا(١) بشعار إسفنديار . ثم خرج من القلعة الى عسكره وأصحابه وهم نزول بقرب القلعة . وسمع كهرم أصوات الايرانيين ولغطهم من القلعة فاهتمّ وأحضر أخاه أندريمان، وتفاوضا فى موجب تلك الأصوات(٢) . فلما رأوا الصياح فى الازدياد انصرفوا راجعين نحو القلعة ليخرجوا العدوّ عن وسط دارهم فى الأوّل . فلما وصلوا الى باب القلعة لحقهم إسفنديار بجنوده ورمى بعض من كان من أصحابه فى القلعة برأس أرجاسب من أعلاها . فانكسرت قلوبهم، وانقصمت ظهورهم، واستسلموا للموت، ووصلوا نار الحرب حتى امتلأت الأرض بجثث القتلى وأشلائهم وسالت الأودية والشعاب بدمائهم . وأسر إسفنديار كهرم فولوا هاربين . ونجا من لم يحضر أجله وسبق به فرسه . واستأمن الباقون . فلم يؤمنهم إسفنديار . وكان سفاكا للدماء، فوضع فيهم السيف حتى حصدهم حصدا . ١١٧

ثم خيموا دون القلعة ونزلت العساكر واشتغلوا بالأكل والشرب واللهو واللعب والعيش . ثم أمر بنصب خشبتين عند باب القلعة فصلب عليهما كُهرَم وأندريمان ابنى أرجاسب . وعند ذلك انقضت دولتهم وتقضت أيامهم وامّحت آثارهم . وكذلك سنة الله فى الذين خلوا من قبل . ولن تجد لسنة الله تبديلا . ثم فرّق إسفنديار أمراءه وأصحابه فى أطراف توران، وأطلق أيديهم فى القتل والأسر والنهب . ثم كتب الى كشتاسب كتاب الفتح، وذكر فيه ما يسره الله تعالى له من الظفر والنصر وأخذه بثأر لُهراسب، واقتصاصه لمن قتل من أولاد كُشتاسب . وطير النُجب والهجن بالكتاب الى إيران، وأقام منتظرا ما يأمر به أبوه . فلم يمض إلا قليل حتى ورد جواب كتابه من

(ا) فى الشاه : أنه حين بلغ قصر أرجاسب صاح . فخرجت أختاه فأمرهما أن تسيرا الى دكانه حتى تنجلى الموقعة .

(ب) ليس فى الشاه أنه كان سكران بل كان نائما . وكلا الأمرين عجيب فى هذه الحال .

(١) صل، طا : ينادون . (٢) طا : الأصوات الأجنبية .

حضرة أبيه . وفيه، بعد حمد الله، أنه قد طال شوقنا اليك ولا صبر لنا عنك . وقد قضى الله وطرك وحقق أملك . فأقبل إلينا مظفرا منصورا ، واقدم علينا منشرح الصدر مسرورا . فلما ورد عليه الكتاب تجهز وفرّق جميع المغانم وما حصل من الذخائر من خزائن أقارب أرجاسب وأمرائه على العسكر حتى أغناهم ، وزادهم فى ذلك على مناهم . ولم يبق غير خزانة أرجاسب خاصة فإنه تركها برسم الملك كشتاسب ، فأوقر[1] منها مائة حمل من الجوهر، ومائة من الأكاليل والحلى والحلل، وألفا من المفارش والمطارح، وثلثمائة من الجامات الصينية المدهونة والمخروطة . واختار وصائف كأنهن الأقمار، وأرسلهن فى العماريات فى صحبة بنتى كشتاسب . ومن جملتهن أختا أرجاسب و بنتاه و زوجته . ثم أمر ، بعد تفريغ القلعة، بتخريبها وهدمها ففعلوا ذلك .

ثم انصرف راجعا[2] فى طريق هفتخوان . ولما قارب بلاد ايران تلقاه أولاده الثلاثة وأمراء أبيه . ثم تلقاه أبوه كشتاسب . واتخذوا يوم الاجتماع عيدا وكادوا يطيرون فرحا وسرورا[3] . واجتمعوا فى مجلس الأنس والطرب، وجعل الأب يشرب على اسم الولد، والولد على اسم الأب .

وهذا آخر قصة هفتخوان والحمد لله رب العالمين .

ذكر ما جرى بين رستم وإسفنديار وما أفضى اليه حالهما §

قال : وانصرف إسفنديار من مجلس أبيه ذلك الى ايوانه وهو واجم مهموم . فنام عند أمه كتايون ابنة ملك الروم . فلما انتصف الليل استيقظ وطلب جام شراب فأحضر فشرب . وجلس مع أمه وشكا اليها أباه، وذكر أنه وعده أنه اذا أخذ بثأر لهراسب، واستخلص المسبيّات من أخواته أن يوليه الأمر، ويسلم اليه التاج والتخت، وأنه قد وفى بذلك، ويريد أن يدخل عليه من الغد

§ قد رأينا فيما تقدّم محاولة القصة منافسة رستم باسفنديار، ومعارضة مآثره بمآثره . وفى هذه القطعة يتجلى حرص القصة على إنصاف البطلين جهد الطاقة مؤثرة إسفنديار حين لا يكون بد من تفضيل أحد البطلين على الآخر : كلا البطلين يريد خيرا بصاحبه، ولكن وراءهما كشتاسب قد أصر على أن يُحمل رستم إليه مقيدا، ويأبى إسفنديار التقى البار إلا أن يمتثل أمر أبيه على كره . ورستم بطل الأبطال فى العهد الماضى يأبى كل الإباء أن يرى فى الأغلال . فلا مناص اذًا من الحرب . ولا بد أن يعاقَب كشتاسب بما فعل بابنه إسفنديار، وأن يُجعل إسفنديار بطل الدين شهيدا، ولا بد =

(١) طا : وأوقر . (٢) ك، طا : راجعا آخذا . (٣) فى الأصل فرحا وفرحا . والتصحيح من ك، طا .

اذا أصبح[1]، ويذكّره قوله، ويستنجزه وعده . وقال : لا أرضى منه بدون ذلك وإن أعطانى جميع الممالك . وعلمت أمه أن أباه لا يفعل ذلك فنهته عنه وقالت : ما تصنع بالتاج والتخت ؟ ألا ترى أن جميع الممالك تحت حكمك ، وجميع الخزائن فى قبضتك، وأمور السلطنة مفوضة إلى رأيك وتدبيرك ؟ وهل بقى لكشتاسب غير تاج أنت المتوج به معنى، وتخت أنت الجالس عليه حكما ؟ وسيصير ذلك إليك أيضا . وأى شئ أحسن من أن يكون الولد ماثلا كالأسد بين يدى والده يحمى حريمه ويصون عرينه؟ فغلظ كلامها على إسفنديار، وكرهه وقال : ما أصدق ما قيل : لا تفش إلى النساء سرك ولا تطعهن فانك لا تجد فيهن ذات رأى .

ثم إنه لازم أباه على المعاقرة والمنادمة فأحس كشتاسب بما فى نفسه فأحضر جاماسب العالم وجميع الكهنة الذين كانوا من أصحاب لُهراسب . فحضروا بالكتب والزيجات، واستخبرهم كشتاسب عن طالع إسفنديار وعن مدّة عمره وعن حسن سيرته، وأنه هل يلبس التاج ويمتع بالملك أم لا ؟ وأنه هل يموت على فراشه أو يقتل؟ فنظر جاماسب فى زيجاته القديمة ثم اغرورقت عيناه بالدموع، وقطّب ما بين عينيه . فقال له كشتاسب : أخبرنى بالحال عاجلا فقد أمررت عيشى بهذا العلم . فأخبره بأن إسفنديار يقتل فى زابلستان فى حرب تكون بينه وبين ولد دستان . فقال : لو أعطيته

= مع هذا أن تحفظ له بطولته وغلبته . فتجهد القصة أن تظفر إسفنديار برستم، ثم تلجأ إلى حيلة العنقاء لقتل إسفنديار . ويبكى رستم على إسفنديار بعد أن رماه الرمية المصمية، ويقول إسفنديار لرستم : لم تقتلنى أنت وإنما قتلنى كشتاسب حين أكرهنى على قتالك، فيصطلح البطلان فى الساعة الآخرة . ويعهد المقتول إلى القاتل بتربية ابنه بهمن فيعود رستم إلى تربية أبناء الملوك كما ربى سياوخش من قبل . ثم يرى القارئ فى الفصل الذى يلى هذا أن رستم يؤخذ بجنايته على إسفنديار فيموت ميتة فظيعة .

ولا ريب أن القارئ يحسّ سعة الخيال والاحتيال البليغ للخلاص من هذا المأزق الذى التقى فيه البطلان وجها لوجه . ولكن جمال القصة وروعتها إنما يدركهما قارئ الشاهنامه نفسها .

ثم قصة إسفنديار ورستم فى الشاهنامه تتقسمها هذه العناوين :

(١) إسفنديار يطمع فى الملك، وأبوه يستشير المنجمين . (٢) إسفندريار يطلب الملك من أبيه . (٣) جواب كشتاسب . (٤) كتايون تنصح إسفنديار . (٥) إسفنديار يقود جيشا إلى زابلستان . (٦) إسفنديار يبعث بهمن الى رستم . (٧) بهمن يجىء إلى زال . =

(١) ك، طا : إذا صبح من الغد

تاج السلطنة وسلمت اليه تخت المملكة لازم مكانه وأمن مما تذكره من صروف الزمان وطارق الحدثان. فقال جاماسب : إن الكائن سيكون ، وسواء اذا حقت المنون الحركة والسكون . ثم إن القدر المحتوم أسبل على قلب كشتاسب حجاب الغفلة حتى أنفذ إسفنديار الى زابل لقتال رستم . وذلك أنه جلس ذات يوم فى إيوانه، وحضرت الموابذة والأمراء والأكابر وأركان الدولة ودخل إسفنديار وخدم ووقف فى مقامه من الخدمة فدعا لأبيه، وأخذ يعدّد مقاماته ووقائعه وما سبق له من الحروب، وما ناله من جلائل الخطوب، وما ابتلى به من الحبس على تلك الهيئة الفظيعة والصورة الشنيعة . ولما فرغ من تعداد ذلك استنجز أباه ما وعده، وسأله الوفاء بما أطمعه فيه . وقال : إنى لأستحى من الأكابر اذا قالوا : أين كنوزك وأين جنودك؟ فأى حجة بقيت لك وهل بقى سبب تنجى به ؟ فقال أبوه : لا معدل عن الصدق . وقد وفيت بأكثر مما التزمته ، ولم تترك لى على وجه الأرض عدوا إلا أفنيته، ومالك فى الأرض قرن غير ابن دستان الجاهل الذى استبد ببلاد زابل وغزنة وبُست، وأخلّ بالخدمة والطاعة بعد أن كان كالعبد فى خدمة كيكاوس ، وبعده فى خدمة كيخسرو[1] . وقد بلغ به الأمر الى أن قال: ملك كشتاسب طريف مستحدث، وملكى تليد متقدّم. 
ولا أجد فى توران ولا إيران من يساجلنى ويقاومنى » . فلا بدّ[2] من أن تنهض الى سجستان لتأتى به أسيرا مع ولده وأخيه . واذا فعلت ذلك فوحق واهب الحول والقوة ، ومنوّر الشمس والقمر إنى لا أستروح الى عذر، ولا أعتل بعلة، وأقلدك الأمر وأسلم اليك الملك. فقال إسفنديار : أيها الملك !

=(٨) بهمن يبلغ الرسالة إلى رستم . (٩) رستم يجيب إسفنديار . (١٠) بهمن يرجع . (١١) لقاء رستم وإسفنديار . (١٢) إسفنديار لا يجيب رستم الى ضيافته . (١٣) إسفنديار يعتذر من قعوده عن ضيافة رستم . (١٤) إسفنديار يعيب نسب رستم . (١٥) رستم يرد كلام إسفنديار ويذكر حسبه ومآثره. (١٦) إسفنديار يفخر بأجداده. (١٧) رستم يفخر بشجاعته. (١٨) رستم يشرب الخمر مع إسفنديار . (١٩) رستم يرجع الى قصره . [(٢٠) زال ينصح رستم] . (٢١) رستم يحارب إسفنديار . (٢٢) زواره وفرامرز يقتلان ابنى إسفنديار . (٢٣) رستم يهرب الى الجبل . (٢٤) رستم يشاور أهله . (٢٥) العنقاء تنجد رستم . (٢٦) رستم يعود لقتال إسفنديار . (٢٧) رستم يصيب إسفنديار فى عينه بسهم . (٢٨) إسفنديار يوصى الى رستم . (٢٩) بشوتن يحمل نعش إسفنديار الى كشتاسب . (٣٠) رستم يرجع بهمن الى ايران .

(١) ك، طا : الملك كيخسرو . (٢) طا : لا بد لك .

هذا منك ترك للرسم القديم، وعدول عن الطريق المستقيم . واللائق بك أن تنازع أصحاب الأقاليم، وتطلب ملك صاحب الروم أو صاحب الصين لا أن تتعرّض لمنازعة شيخ كان كيكاوس يسميه صياد الأسود ووهاب تخت الملوك وصاحب الرخش . وليس ممن نبغ فى هذا الزمان بل هو بهلوان كبير ورث السيادة كابرا عن كابر، ومعه عهد الملك كيخسرو . فان كان عهد الملوك لا يعوّل عليه فلا يعوّل على عهدك أيضا . ثم قال كشتاسب : إن أردت السلطنة فخذ طريق سجستان وافعل ما أمرتك به . فغضب إسفنديار وقال : ما بك قصد رستم ولا دستان، ولكنك تريد إبعاد إسفنديار لأن نفسك لا تسمح بتفويض الأمر اليه . فلا زلت ممتعا بالتاج والتخت . وأما أنا فيكفينى زاوية من الأرض أعتزل فيها، وأكون(١) مع ذلك عبدا مطيعا لك ممتثلا لأمرك . فقال له أبوه : لا تحتد وخذ العسكر وامض . وهذه الأموال والخيل والأسلحة بين يديك فخذ منها ما اشتهيت . ولا تتوان فى الأمر . فخرج ودخل الى إيوانه فأتته أمه وهى تبكى وقالت : قد أخبرنى بهمن بأنك تريد الخروج الى زابلستان لقتال رستم بن دستان . فلا تتعرّض له ولا تلق بيدك الى التهلكة . فانه الرجل الذى لا يصطلى بناره، ولا يجارى فى مضماره . فقال لها : إنه كما ذكرت . ولكن كيف أخالف أمر الملك كشتاسب ؟

فركب فى عساكره وتوجه نحو زابلستان، وسار حتى وصل الى طريق يتشعب منه طريقان : أحدهما يفضى الى زابلستان، والثانى الى قلعة جُنبُذان . فبرك الجمل المتقدّم من جمال الأثقال ولزق بالأرض . وجعل الساربان يضرب على رأسه وهو لا يتحرّك ولا يثور . فتطير إسفنديار من ذلك، وأمر بأن يقطع رأسه مكانه ففعلوا به ذلك . ثم سار إسفنديار وهو مهتم حتى وصل الى هيرمَند فخيم بها . وأرسل ولده بهمن الى رستم، وأمره أن يقول له : من علت فى الأرض(٢) درجته، وترقت فى الجلالة مرتبته فالواجب عليه أن يحمد الله عز وجل على ما أنعم به عليه من ذلك حتى يزيده من فضله ويمتعه بما أولاه . ومن عرف الدنيا وخبرها دارى الملوك، وتجنب مخاشنتهم . ومن زرع شيئا حصد زرعه . ومن سمع منه قول سمع مثله . وقد تعاقبت عليك الأزمان والعصور، وأفنيت عمرك فى خدمة الملوك . فلو نظرت بعين العقل لعلمت أن الأليق بك غير ما أنت عليه . ولم تحصل من أسلافنا وأجدادنا على هذه الجلالة(٣) والسيادة إلا من حيث إنك كنت تفرغ وسعك فى طاعتهم، وتبذل جهدك فى خدمتهم . ولما تقلد لهراسب صرت حلس بيتك، وأعرضت عن خدمته . ولما تولى ولده كشتاسب جريت على ذلك السنن، ولم ترفع به رأسا حتى لم تكتب اليه

(١) صل : وأكون عبدا مطيعا . والتصحيح من ك، طا . (٢) ك، طا : فى الأرض (لا)
(٣) صل : الحالة . والتصحيح من طا .

الى هذه الغاية ولا كتابا واحدا . ولا يخفى أنه لم يتسنم سرير الملك من عهد أوشهنج الى هذا العهد ملك مثله فى حسن سيرته وسداد طريقته . وقد تيسر له من الفتوح ما لم يتيسر لغيره حتى دخل تحت حكمه جميع ممالك المشرق والمغرب، وصار العالم ككرة شمع فى يده؛ فما من ملك إلا وقد أدّى اليه الجزية، وما من مدينة إلا وحمل اليه خراجها . وقد ضاق صدره مما تعامله به من إخلالك بخدمته وقلة احتفالك بجنبه ، وركونك الى الاعتزال والخمول . وما أنت ممن ينساه الملوك أو تتغافل[1] عنه، ولا ممن يغتفر له تقاعده عنا . وقد اغتاظ ذات يوم من صنيعك لحلف أنه لا بدّ أن ترى فى سرادقه مقيدا مكبلا . وما جئت إلا لهذا الأمر . فاحذر عاقبة سخطه وغضبه . فاجتمعوا[2] جميعا أنت وأبوك وولدك وأخوك على التشاور فى الأمر، وعلى النظر فى وجه الرأى[3] . ولا تخربوا بيوتكم فيشمت الأعداء بكم . واذا حملتك مقيدا اليه سعيت فى رضاه عنك، وتلطفت فى أن يعود الى أحسن ما كان عليه معك .

فسار بهمن متحملا هذه الرسالة . فلما تجاوز هِرمَند أخبر زال بقدومه فركب ، ووصل فى الحال بهمن ولم يكن يعرف دستان . فلما رآه قال : أيها الدهقان !. أين سيد القوم رستم بن دستان ؟ فهذا إسفنديار قد قدم وخيم على حافة النهر . فقال له دستان : انزل واسترح فان رستم وأخاه فى متصيد لهما فى جماعة من الفرسان . فقال بهمن : إن إسفنديار لم يأذن لنا فى هذا . ولكن ابعث معنا من يدلنا على المكان الذى هو فيه . فسأله دستان عن اسمه ، فقال : أنا بهمن بن اسفنديار، حافد الملك كشتاسب . فترجل دستان له وخدمه، فترجل بهمن أيضا . وسايله وحادثه ثم نفذ معه فارسا حتى[4] يدله على موضع رستم . فتوجه نحوه فلما رآه رستم مقبلا من بعيد ركب مع أخيه واستقبله فترجل له بهمن وخدمه . فسأله رستم عن اسمه فأعلمه فاعتنقه ولاطفه وسايله ، وذهب به الى مخيمه . فلما جلسوا بلغه بهمن سلام الملك، وأعلمه بوصول إسفنديار ونزوله على نهر هِرمند[5] . قال : ومعى رسالة من إسفنديار أعرضها إن أذنت . فقال رستم : قد تعب ابن الملك وجاء من مكان بعيد . فنأكل أولا ما حضر من الطعام ثم الأمر اليك، والعالم بحكمك» . فبسطوا السفرة، وكان مما أحضر حمارا وحش وضع أحدهما بين يدى بهمن والآخر بين يدى رستم . وكان رستم يأكل كل مرة وحده حمار وحش . فنظر الى أكل بهمن فتبسم وقال : كيف سلكت طريق هفتخوان بهذا الأكل؟ وكيف تكون قوّة بأسك وأكلك هذا الأكل؟ فقال بهمن : من كان من

(١) صل : ولا يتغافل . والتصحيح من ك، طا . (٢) ك، طا : واجتمعوا . (٣) ك، طا : وجه الرأى فى ذلك . (٤) ك : حتى (لا) . (٥) طا : هيرمند .

شجـرة الملك لا يكون كثير الأكل[1] ولا كثير الكلام . و ينبغى أن يكون الأكل قليلا والجدّ كثيرا . فضحك رستم وقال : أبت الرجوليـة إلا ظهورا . وملأ جاما من الشراب فشربه، وملأ جاما آخر ناوله بهمن فتوقف ولم يجسر على شربه . فأخذ زواره الجام من يده وشرب بعض ما فيه ثم ردّه اليه فشرب . وأخذ يقضى العجب من رستم وشربه وأكله وقدّه وشكله . ثم ركب رستم و بهمن يسيّران (١١٩)
فأدّى اليـه بهمن رسالة إسفنديار . فامتلأ دماغه فكرا وأطرق ثم رفع رأسه وقال : أبلغ إسفنديار سلامى وخدمتى، وقل له : إنى كنت أتمنى على الله تعالى أن أرى وجهك ، وأجتمع بك، وأشاهد هيبتك وأبهتـك، وأنادمك وأعاقرك . والآن فقـد حقق الله تعـالى هذه الأمنيـة . وأنا صائر الى خدمتك، ومستمع شفاها منك رسالة الملك كُشتاسب . وسأحمل معى عهود الملوك من عهد كيقباذ الى عهـد كيخسرو حتى تنظر فيها وتنظر فى أمرى ؛ فإن كان جزاء ما عاملت به الملوك من الأفعـال الجميله، وما تحملته لهم من الأعباء الثقيلة فى الدولة القُباذية وما بعدها، القيد والحبس فقيد رجلىّ ويدىّ بالحبال والأصفاد . وإن لم تبد منى جناية توجب ذلك فلا تقابلنى بكلام يوغر صدرى و يوحش قلبى، ولا تقـل قولا لم يقبـله قط أحد، ولا تتعنّ بحبس الريح فى القفص، ولا تلج معى فان اللجاج دأبى وديدنى، ولم ير أحد رجلى فى القيد، وافعل معى ما يليق فعله بالسلاطين، وطهر قلبك بفضيلة الرجولية من دنس الداء الدفين ، واشرح صدرك ، واعبر المـاء الينا . وكن ضيفنا حتى أصـير لك عبدا كما كنت لكيقباذ من قبل . واذا فعلت ذلك وأقمت فى هذه البلاد شهرين تستريح فيهما أنت ومن معك فتحت لك أبواب الخزائن التى ملأتها بحـدّ السيف ، وأبحتك إياها ، واذا عزمت على الرجوع لم أفارقك وأسير فى خدمة ركابك حتى نصير معا الى حضرة الملك كشتاسب فأعتذر اليـه ، وأستسلّ ما فى قلبه من سخيمة، وأقبل رأسـه ويده ورجله ، وأتلطف حتى يقبل معذرتى . ثم قال لبهمن : احفظ ما قلته لك، وأدّه الى إسفنديار .

فانصرف راجعا الى أبيـه . وبقى رسـتم فى موضعه ، واستحضر أخاه زواره، وولده فرامرز ، وأرسلهما الى أبيه دستان، وأمرهما أن يقولا له : إن إسفنديار قد وصل . فانصبوا له فى الأواوين التخوت الذهبية، وابسطوا المفارش الخسروانية، وافعلوا ما فعلتم فى ضيافة الملك كيكاوس بل أكثر وأحسن، وأعدّوا الأطعمة . وهأنا ذاهب اليـه داعيا له مسـتضيفا . فإن رأيتُ فى رأسـه خيرا لم أبخل عليـه بشىء من الكنوز والذخائر والجواهر والخيل والأسلحة وان ردّنى ولم يجب دعوتى ما يكون يومى معه بالنير المضىء . ثم لا يخفى أن الغلبة لمن تكون. فقال له زواره : لا تشغل سرك

(١) ك : ولا كثير الكلام (لا).

بهـذا . فانه لا يختار مكاشرتك ومخاصمتك . ولست أرى فى الأرض شهريارا مثـله سماحة وبسالة وشهامة وحزامة . والعاقل لا يصـدر منه الشر» . فتوجه زواره نحو زال، وتوجه رستم نحو هرمند فوقف على شاطئ النهر ينتظر مجىء بهمن اليه .

وأما بهمن فانه لمـا دخل على أبيـه وقف ماثلا فسأله وقال : ما الذى ردّ عليك ذلك البهلوان الشجاع؟ فجلس بين يديه ، وأورد ما سمع من جوابه . قال : وها هو قد جاء الى شاطئ النهر بلا جوشن ولا عدّة ولا سلاح » . ووصف بهمن ما شاهد من شهامته ومهابته وقوته وشـدّته . فصاح إسفنديار عليـه ، ولم يعجبه وصفه لرستم بمحضر ممن حضر من القوم . وأمر بإسراج فرس له أدهم ثم ركب واستصحب مائة فارس وسار حتى وصل الى شاطئ النهر . فصهل الأدهم من هـذا الجانب وصهل الرخش من ذلك الجـانب . فخاض رستم المـاء وعبر الى إسفنديار فترجل له وخدم ودعا وأثنى ثم قال : إنى طالمـا كنت أتمنى على الله تعالى أن أرى الشهريار قادما علىّ حتى أجالسه وأفاوضـه . وأستشهد الله ، ولا يستشهده كاذبا إلا من يكون بحبـل الغواية جاذبا ، أنى لو رأيت سياوخش لم أسر برؤيته سرورى برؤيتك . ولست تشبه إلا ذلك الملك المتوج — يعنى سياوخش — فطوبى لكشتاسب إذ رزق ولدا مثلك ، وطوبى لأهل إيران إذ يخدمون تاجك وتختك ، وتبا لمن تجاسر على قتالك . فنزل إسفنديار واعتنقه ودعا له وأثنى عليه وقال : أحمد الله حين أقر عينى بطلعتك ، وكحل ناظرى برؤيتك . فاستضافه رستم وسأله إجابة دعوته وإكرامه بمنادمته ومعاشرته . فقال : لست أخرج عما حدّه لى الملك ، ولا أخالف ما اقتضاه أمره سرا وجهرا . وإنه لم يأمرنى بالمكث فى زابل ، ولا بقتال أهل كابل . والمرجو منك أن تفعل ما يستحلى فى العاقبة ثمره ، ولا تخالف حكم الملك وأمره . فانه مهما رآك وقد أُدخلت عليـه مقيدا قرع سن الندم وتعثر فى ذيل الخجل ، ولم تبق فى القيد الى الليـل . ولاشك أنه لا يجىء منه شر ولا ينالك منه مكروه وضـير . فقال رستم : قد سألت الله مثل هذا اليوم لأفرح بلقائك وأسر برؤيتك ، والآن فقد خفت عين السوء وأن ينتهز الشيطان فرصـة ويغرك بتاجك وتختك . ثم إنك اذا امتنعت من إجابتى ولم تحضر دعوتى جرّ ذلك علىّ عارا يبقى أثره مدى الدهر . واذا أخرجت الحلف من رأسك واجتهدت فى إصلاح ذات البين أطعتك فى جميع ما تشير به علىّ ولم أخالفك فى شىء غير القيد . فانه أمر فظيع وحالة شنيعة لا أرى عليهما ما

ثم إن إسفنديار وعده بالمصير الى داره ، وإجابته الى ضيافته . فركب رستم وانصرف راجعا ، وأمر بترتيب الأطعمة وتهيئة أسباب الضيافة . وجعل ينتظر حضوره فأبطأ حتى فات وقت الحضور ،

فغضب رستم واغتاظ وأمر أخاه بأن يمدّ السماط، ويحضر أصحابه و يقدّم اليهم ما أعدّوه لإسفنديار. وركب متوجها الى معسكره، وعبر اليه الماء ودخل عليه فشكا من تأخره عنه وقال له : إنك تعظمت ورفعت قدرك عن المصير إلىّ . وكأنك تستصغرنى فى شجاعتى وتستخف بى فى رأيى وأدبى . فاعلم وتحقق أنى رستم المنتمى إلى سام بن نَيرم . وكم من أسد اختطفته عن ظهر فرسه بهذا الوهق ؛ مثل كاموس الكُشانى ، وخاقان الصين الى غيرهما من القروم الصعاب . وأنا حافظ ملوك إيران
١٢٠ ومعينهم على أعدائهم أجمعين . وأراك بتملق اليك وتواضعى لك قد ظننت الظنون وتوهمت أن فعلى ذلك عن ضراعة وعجز واستكانة وخوف . وأنا أكره قتالك لما أرى فيك من الأبهة والجلالة، ولا أريد أن يتلف شهريار مثلك . وقد توليت بهلوانية العالم زمانا طويلا ، وما رآنى أحد خاضعا لأحد ذليلا . وقد طهرت وجه الأرض من كل ضدّ ، وتحملت فى ممارسة الحروب كل عبء . والحمد لله إذ لم أمت حتى رأيت لى قرنا يتصدّى لقتلى والانتقام منى » . فتبسم عند ذلك إسفنديار وقال : يا ابن سام بن نيرم ! أرى صدرك قد ضاق بتأخرى عن ضيافتك. ولم يؤخرنى عنها إلا الحرّ الشديد والطريق البعيد . وكان فى نيتى أن أحضر من الغد باكرا، وأعتذر من تقصيرى ، وأقرّ عينى برؤية دستان بن سام، وأشرب معكم يوما . فتجشمتَ وتعنّيت . فخفض الآن عليك واسكن ، وتناول الكأس ، واترك هذه الحدّة والطيش . فمكن له ليجلس عن يساره فقال : لا أقعد إلا حيث اشتهيت . ثم لما استوى بهم المجلس قال له إسفنديار : إنى سمعت من الموابذة أن دستان الخبيث الجوهر إنما نَتجته[(١)] الجنّ فأخفته النساء عن سام لقبح صورته وسماجة شكله . ثم إن ساما لما علم به أمر بإخراجه الى البحر لتأكله دواب البحر . فانقضت عليه العنقاء ورفعته الى وكرها، وطرحته عند أفراخها . وكان يطعم من فضلات جيف ترفعها الى أن ترعرع وكبر . فحملته الى باب سجستان فقبله سام واستلحقه لجهله وحمقه وجنونه ولأنه لم يرزق ولدا . فحمله ذلك على قبوله وإلحاقه بنسبه ليستظهر به . ثم إن أكابر أسلافنا ونصحاء أجدادنا اعتنوا به ورفعوا منه وجذبوا بضبعه حتى سمق قدره وطال باعه . فولد له رستم الذى طاول الكيوان وقهر الأقران، ولم تزل مرتبته ترتق حتى بلغ به الأمر الى مخالفة السلطان والخروج عن طاعة الرحمن» . فقال له رستم : ما أراك إلا وقد اخترت الزيغ واتبعت الشيطان . فلا تقل إلا ما يليق بالملوك . وهم لا يعدلون فيما يقولون عن سنن الصدق ومنهج الحق . وإن أباك أعلم بدستان، ويعرف أنه بهلوان كبير القدر غزير العلم ، وأن ساما هو ابن نيرم ، وأن نيرم ولد أوشهنج ثالث ملوك العالم .

---

(١) ك طا : نجلته .

ويعلم أن أمى ابنة مهراب ملك الهند الذى كان الضحاك خامس آبائه ، ومن له أصل مثل هذا الأصل ، وهو الأصل الذى لا ينكر شرفه ذو عقل . وأما شرفى فى نفسى فجميع الأكابر يعلمون إلىّ فى الآداب ، ومحتاجون الى تعلمها منى . ومعى عهد كيكاوس ومنشوره الذى لم يبق لأحد علىّ حجة ، وعهد كيخسرو الذى لم يكن له فى الملوك مثل . وكم من ملك ظالم قتلت ! وكم من موقف حرج وقفت ! وهذا عمرى(١) وقد أناف على ثلثمائة سنة ولم أزل بهلوان العالم . ومنذ شددت منطقة الخدمة استراحت الملوك وكفيتهم العناء والتعب . ثم إنى لم أقل ما قلت إلا لأنك وإن كنت عظيم القدر شديد البأس فأنت حديث السن قريب العهد ، ولأنك لا ترى فى العالم غير نفسك ، ولست مطلعا على الأسرار الخفية . هذا وبعد أن أطلنا الكلام فأحضر أيها الساقى المدام ، وحث الأقداح وروّح الأرواح » . فتبسم إسفنديار وقال : قد أسمعتنى وقائعك وأخبار مقاماتك . فاسمع حالى ، واعلم أنى شمرت أولا عن ساق الجدّ فى أمر الدين حتى طهرت بساط الأرض عن عبدة الأوثان ، وغطيت بدمائهم الأرض . ثم ذكر وقائعه وما سبق شرحه من تقطيعه السلاسل والجوامع عند إرادتهم إطلاقه من الحبس ، وما جرى له فى محاربة أرجاسب وكسره إياه وسلوكه طريق هفتخوان وإيقاعه به ، وأنه صادف أهل بلاد توران يعبدون الأصنام فأبادها وسدتها وعبادها ، وأوقد فيها نار زردشت التى يزعم أنه جاء بها من الجنة (ا) فى مجمر وأظهر بتلك البلاد دينه ولم يترك بها عدوا . ثم قال : وأنا ابن كشتاسب بن لهراسب ابن أروند الذى كان فى مملكته صاحب تاج وتخت ، وهو ابن كى بشين بن كيقباذ وهلم جرا الى أن يصل طرف النسب بأفريذون الذى هو متشعب أغصان الكيانية ، وجرثومة الشجرة الخسروانية . وأمى هى ابنة ملك الروم المتصل نسبه بسلم بن أفريذون . وأنت تعلم أنك وأسلافك عبيد أسلافى وخدمهم ، وأنك ما استفدت هذه السلطنة إلا بخدمتهم ، وما اكتسبت هذه المناقب إلا بطاعتهم ، وإن كنت الآن(٢) خالعا ربقة الطاعة . ثم قال إسفنديار : الحديث ذو شجون يجرّ بعضه بعضا ، وأنت عطشان أيها البهلوان فاشرب شربة . ثم مدّ إسفنديار يده اليه ممازحا وأخذ بيده وقال له : قد صدق من قال : إن أعضادك كأفخاذ الهزبر وصدرك كصدر الثعبان ، ووسطك كوسط النمر . وعصر يده فى أثناء الحديث حتى كادت أظافيره تقطر دما . فلم يتغير وجه رستم ، وجعل يضحك ويقول : طوبى لكشتاسب اذ رزق مثلك . ثم عصر يده حتى توردت وجناته ، وكادت أنامله تحلب بالدم أيضا . فضحك إسفنديار وقال : أيها الفارس المقدام ! اليوم خمر وغدا أمر . خذ الجام فانك تنساه غدا ، واشربه فلن ترى بعده عيشة رغداً .

(ا) فى الشاه : « التى أتى بها من الجنة فى مجمر » وكلمة يزعم من المترجم .

(١) ك : عمرى قد . (٢) كلمة الآن من ك ، طا .

وإنى سوف أختطفك برمحى من ظهر فرسك اذا بارزتك غدا، ولا تبقى حينئذ طالبا نزالا ولا نضالا أبدا . ثم أحملك مقيدا مكبلا الى خدمة الملك فأشـفع فيك اليه، وأبسط عذرك لديه حتى أطلقك فتعود الى الراحة من بعد العناء، والى الرخاء بعد الشقاء» . فقال له: ستمل هذه الحرب . فانك بعدُ مارأيت شدائد القتال، ولا حضرت وقائع الرجال. وسوف أحملك عن ظهر فرسك غدا وأحملك الى الى إيوانى فأجلسك على التخت، وأتوجك بالتاج الذى أعطانيه كيقُباذ، وأفتح لك أبواب الخزائن وأفرغها(١) عليك وعلى عسكرك، ثم أقدم بك على كشتاسب فأضع على رأسك تاج السلطنة وأشـد على خصرى بين يديك منطقة الخدمة مثلما فعلت فى خدمة الملوك المـاضين. واذا صرت أنت الملك وأنا البهلوان لم يبق لنا عدوّ فى جميع الأرضين». فقال إسفنديار : قد انتصف النهار وقد غلبنا الجوع فهاتوا الطعام. ثم حكى صاحب الكتاب شيئا من صفة أكلهما وشربهما، وأن رستم تملق له بعد أن ثمل وعاود
(٢) استدعاءه الى ضيافته، وأن إسفنديار امتنع من إجابته، وقال له : ارجع الى إيوانك فاستعد للقتال. فانصرف رسـتم بعد أن أعذر وأنذر ووعظ ونصح — فى كلام طويل أورده صاحب الكتاب — قال : فاجتمع بِشوتَن بأخيه إسفنديار، ونصحه أيضا وقال : الرأى أن تركب غدا الى إيوان رستم، وتداريه وتجنح الى السلم، ولا تلق(٢) بيدك معه الى التهلكة . قال : كيف أخالف أمر كشتاسب، وأخرج عن طاعته ؟ وهو لم يأمرنى إلا بتقييده محمولا الى حضرته . ومهما لم أف بذلك ضاع سعيي فى الدنيا والآخرة، وكان ذلك عصيانا منى لزردُشت حين(٣) أمر بطاعة الملك، وذكر أن مخالفته توجب النار» . فسكت عنه أخوه .

وأما رستم فانه لمـا عاد الى منزله طلب من أخيـه زواره أن يحضره سـلاحه وعتاده ، وأمره بالركوب غدا مع العسكر . ولمـا أصبح ظاهر بين جُنَنه، وركب وأقبـل نحو نهر هيرمَند . وركب إسفنديار من ذلك الجانب فى عساكره(٤) وجاء حتى لقى رستم . فعدلا الى موضع خال ليتبارزا منفردين. وأمر كل واحد منهما أصحابه بالإمساك عن الحرب، وثبات كل فى مكانه، وتعاهدا على هذه الجملة. ثم زحف كل واحد الى صاحبه ، وتطاعنا بالرماح زمانا طويلا حتى تقصفت رماحهما . فاستلا السـيوف وتضاربا زمانا حتى تكسرت . ثم تضاربا بالعمد والدبابيس وتقارعا حتى تشظت البيض على رءوسهما . ثم انفرد كل واحد منهما عن صاحبه بعد أن أجهدا وتشققت عنهما الجواشن، وتمزقت على خيلهما التجافيف . ولمـا أبطأ رستم على أصحابه خاف أخوه زواره عليه فزحف وأقبل

(١) لك، طا : وأفرقها . (٢) صل : تلق . والتصحيح من طا . (٣) طا : حيث أمر

(٤) «فى عساكره» من لك ، طا .

الى عسكر الايرانيين فسفه عليهم . فاغتاظ نوشاذَر بن إسفنديار وقال : أيها السِجزى الجاهل ! إن إسفنديار ما أمرنا بالقتال . فان ابتدأتم به رأيتم صنيع الرجال . فبدأ الزابليون وأوقدوا نار الحرب . فقتل زواره نوشاذر ، وقتل فرامرز بن رستم أخاه مِهرنوش . فبادر بهمن الى أبيه وأخبره بمقتل ابنيه ، وأن الزابليين هم الذين بدءوا بالقتال . فصاح إسفنديار برستم وقال : أيها الخائن الغادر ! أما عاهدتنا على ألا يجرى بين العسكرين قتال ؟ وقد قتل اثنان من أصحابك اثنين من أبنائى . أما تستحيي من الله تعالى ثم منى ؟ فحلف له رستم أن ذلك لم يصدر عن أمره ولا عن رأيه ، وأنه يقبض فى ساعته على ولده وأخيه ، وينفذهما مقيدين الى حضرته . قال : ثم تراميا فرمى إسفنديار رستم بنشابة نصلها من الألماس فخلصت اليه ، وكانت سهام رستم لا تخلص الى إسفنديار ، فأصابه غير مرة حتى جرحه وجرح رخشه بحيث ضعفت قواهما . فاضطر رستم الى النزول فترجل وهرب الى جبل كان هناك . وولى الرخش يعدو نحو إيوان رستم .

فلما رأى إسفنديار رستم يرقى فى الجبل والدم يسيل منه قال له : أعطنى يدك حتى أحملك مقيدا الى حضرة الملك ، وأستوهبك منه وأتشفع فيك . فمكر به رستم وأظهر إجابته الى ذلك حتى أمهله إسفنديار وأعطاه الأمان الى الغد . فنزل رستم من الجبل وهو مثخن بالجراح فعبر الماء ومضى الى منزله . ورجع إسفنديار الى معسكره فوضع بين يديه رأسى ولديه فأخذ يذرى عليهما دموع الجزع ويندبهما وينوح عليهما . ثم أمر بوضع كل واحد منهما فى تابوت من الذهب . ونفذهما الى أبيه كشتاسب . وأرسل اليه رسولا ، وأمره أن يقول له على سبيل التعنيف والتوبيخ : إن هذه نتيجة رأيك فى قتال رستم . وهذا أوّل الأمر . والله أعلم بما يكون من بعد .

وأما رستم فانه لما دخل إيوانه طرح نفسه متململا مما به ، وأحدق به أبوه زال وأمه روذابه وأخوه وولده يبكون عليه . والرخش عنده واقف ناكس الرأس ، وبه مائة من الجراح . فقال زال : إنى سأدبر أمرك ، وأستعين بالعنقاء على معالجتك» . فاستصحب ثلاثة أنفس بثلاثة مجامر ، وأخذ معه ريش العنقاء التى ذكرنا قصتها فى خبره على ما سلف فى الجزء الأول من الكتاب . فصعد الى جبل هناك ، وأوقد النار فى بعض تلك المجامر وأحرق بها بعض تلك الريشة (أ) فلما انتصف الليل (١) اذا هو بهدّة من الجوّ واذا بالعنقاء قد نزلت اليه . فسايلته عن حاله فأخبرها بحال ولده رستم وما به

(أ) لم تذكر تلك الريشة من قبل ، والمذكور فى عبارة المترجم «ريش العنقاء» وعبارة الشاه : أن زالا صعد على الجبل فأخرج ريشة وأشعل النار وأحرق قطعة من تلك الريشة .

(١) صل : انتصف النهار . والتصحيح من ك ، طا . وعبارة الشاه : فلما مضى هزيع من الليل .

من الجراحات التى أصابته من إسفنديار، وأخبرها أيضا بأن الرخش أصابته سهام تكسرت فيه وتغلغلت فى جسمه . فأمرته العنقاء باحضار رستم ورخشه . فنفذ زال اليه حتى صعد مع فرسه الى الجبل . فلما رأته العنقاء رفرفت عليه تعطفا وتحننا فأدخلت منقارها فى جراحاته، وأخرجت منها نصالا أربعة. ثم مسحتها بجناحها فالتأمت . وأعطته ريشة وأمرته أن يبلها باللبن ويمسحها بها ويشدّها فانها تبرأ. وصنعت مثل ذلك(١) بالرخش واستخرجت منه بمنقارها ستة نصال . فوجد فى الحال خفة، وانتفض وحمحم . فتهلل رستم فرحا بسلامة الرخش . ثم قالت لرستم : لأى معنى تعرّضت لقتال إسفنديار وهو رجل مذكور وشجاع بطل، وقاتله لا يرى الخير بعده، وتبطل سعادته، وتحالفه شقاوته، وتقصر مدّته، ويلقى العناء بقية عمره، ويذوق العذاب بعد موته ؟ فإن رضيت بهذه الحالة فاركب وأبصر العجب . فركب رستم وسار الى ساحل البحر . فأسفّت العنقاء على شجرة من الطرفاء فقالت له : اقطع من هذه الشجرة قضيبا مستقيما يكون أحد طرفيه أغلظ من الآخر، فان فيه يكون هلاك إسفنديار، ثم قوّمه بالنار، وركب عليه نصلا عتيقا، واجعل له قُذَذا . ثم اذا جاء إسفنديار يطلب قتالك فتضرع اليه وابك بين يديه فلعلك تصرفه عن قتالك بالمقال الحلو . فاذا لم يفعل فوتر قوسك، وسدّد نحو عينه هذا السهم، بعد أن يكون قد نقعته فى سلاف الخمر . فانه يصيب عينه، ويكون فى ذلك حينه . وأرشدته على الطريق حتى عاد الى إيوانه . ثم ودعت زالا، وحلقت فى جوّ السماء .

ولما رجع رستم فعل ما أمرته به العنقاء، وركب الرخش مصبحا، وتنكب القوس مدججا، وأقبل نحو إسفنديار . فبلغ الخبر إسفنديار بأن رستم قد عاد الى القتال . فقال ما حسبت أنه يقدر أن يصل الى إيوانه . ورجوعه الآن ليس إلا برقى دستان الساحر . فاستحضر جننه وعدّته، وركب نحوه . فلما تقاربا قال له إسفنديار : أيها السجزى ! كأنك قد نسيت صنيعى بك بالأمس . وكان ١٣٢
ظنى أنك تكون اليوم محمولا الى الرمس . ولم تبرأ إلا برقية أبيك وسحره . وسأسد عليك اليوم سبيل حيلته ومكره، فأجعل بدنك كالغربال بصاردات النبال، وأتركك بحالة لا ينفعك معها رقية أبيك زال . فقال رستم : إنى ما جئت اليوم للقتال، وإنما جئت لأتضرع اليك عساك تجنح الى السلم، وتطفئ من قلبك نار الحقد .

قال : وجعل يتضرع اليه ويسأله الكف عن المحاربة ويستنزله عن غلوائه فى المباينة . فما زاده ذلك إلا غلوّا فى غوايته، واستمرارا على جهالته . فلما علم رستم إصراره وإدلاله بما أوتى من الشدّة والبسالة أخذ القوس، ورماه بالنشابة التى سبق ذكرها فأصابت حدقته فانقلب عن ظهر الأدهم

(١) طا : مثل ذلك أيضا .

مضرجا بالدم وغشي عليه . ثم أفاق واستوى قاعدا وأخذ برأس النشابة وانتزعها بيده . فجاءه أخوه بِشوتَن وولده بهمن راجلين . فلما وجداه على تلك الحالة شقا الثياب، ووضعا على رءوسهما التراب، وضماه الى صدورهما، وجعلا يمسحان الدم عن وجهه، وطفق بِشوتَن يندبه وينوح على مآثره ومفاخره، ويتلهف على محاسنه ومكارمه، ويلعن التاج والتخت، ويدعو على صاحبهما كشتاسب حيث عرض ولده للهلاك بسبب ضنته بهما عليه . فقال له : لا تكثر الجزع فانه لم يكن نصيبي من الملك غير ما ترى، وإن الموت غاية كل حي . وقد اجتهدت فى أمر الدين وتعبت فى نصره تعبا طويلا حتى شيدت بنيانه ورفعت أركانه . ثم كبابي طِرف الأمل، واخترمني محتوم الأجل . ولعلي أحصد ما زرعت فى دار القرار ومنزل الأبرار . فانظر الى هذا العود الذى بيدى، واعلم أن ابن دستان ما قتلني به بالرجولية بل بحيلة دستان ودلالة العنقاء . وكان رستم واقفا منه بمرأى ومسمع فقال : ما قتلك إلا الشيطان حين ملك عليك قيادك ومنعك رشادك . فقال : قد وقع المحذور فادن مني وتقبل وصيتي . فترجل رستم ودنا منه متوجعا . وكان الخبر قد انتهى الى زال وزواره وفرامرز . فحضروا رجالة وجعلوا يبكون بضجيج ونحيب . وقال زال لرستم : جزعي عليك الآن أكثر من جزعي على إسفنديار . فقد بلغني عن عالم الصين وسائر المنجمين أن من يقتل إسفنديار يقتل ولا تطول مدّته، وتحق فى الدارين شِقوته . قال : فقال إسفنديار لرستم : قتلي لم يكن بريك ولا بحيلة العنقاء، ولم يقتلني سوى كشتاسب حيث أكرهني على قتالك . وكان الله قد كتب عليّ ذلك . والآن فهذا ولدي وقرّة عيني بهمن . فتسلمه مني، وتقبله قبولا حسنا، واحمله معك الى زابلستان، وربه تربية الوالد لولده » . فصفق رستم يده على يده وقال : أمتثل أمرك وأربيه وأؤدبه وأسعى له حتى يملك التاج والتخت .

ثم أقبل إسفنديار على أخيه وقال له : اذا فاضت[(١)] نفسي فارجع الى الوالد بالعسكر، وقل له : قد أدركت وطرك، ونلت أملك حين أوردتني موردا صفوه كدر، وما لوارده صدر . فلك الآن التاج، ولي الهم والحزَن . ولك التخت، ولي التابوت والكفن . وسنجتمع غدا عند الله ونحتكم .

ولما قضى مقالته تنفس نفسا شديدا خرجت معه روحه . فأحدق به الزابليون والايرانيون جميعا يبكون عليه . ثم أحضروا له تابوتا من الحديد، وكفنوه بالديباج والحرير، وضمخوه بالمسك والعبير، ووضعوه فيه . وأحضر رستم أربعين جملا برسم تابوته ليعاقب بينها فى حمله . وقرنوا بين جملين منها، ووضعوا التابوت عليهما . واحتف به أصحابه وساروا وعليهم ثياب السواد وملابس

(١) ك ط : فاظت .

الحداد . ويقاد بين يديه فرسه الأدهم مقطوع العرف والذنب، منكس السرج ، معلقا عليه عموده وخنجره وجوشنه ومغفره . فانصرف أخوه بشوتن على هـذه الجملة الى حضرة كشتاسب . وأقام ولده بهمن بزابل فى كفالة رستم .

ولما بلغ الخبر كشتاسب مزق ثيابه، ورمى بالتاج عن رأسه . ولما قرب بشوتن ووصل تلقته أمه وأخواته يندبنه ويحن عليه وينتفن الشعور ويلطمن بين يديه الخدود :

رمى الحدثان نسوة آل حرب   بمقدار سمدن له سمودا

فردّ شعورهنّ السود بيضا   وردّ خدودهنّ البيض سودا

قال : فدخل بشوتن على كشتاسب فما خدمه ولا سجد له على العادة، وقرب من التخت وقال رافعا صوته : الآن انقصم ظهرك ووهى أمرك . وستجد جزاء فعلك ، وتذوق وبال ظلمك حين أسلمت ولدك للموت متمسكا بهـذا التاج والتخت . ثم أقبل على جاماسب ولعنه وعلّمه، وسفه رأيه وعقله . ثم أدّى الى كشتاسب ما قال له إسفنديار . وأخبره بوصيته الى رستم بتربيـة ولده بهمن ، وإقامته بزابلستان . وأقيمت المآتم على إسفنديار وتمادت حتى استمرت الندبة والنياحة عليه فى تلك الديار سنين .

وبقى بهمن بزابل يربيه رستم ويعلمه الآداب الملوكية والمراسم الكيانية حتى برع فيها . ثم كتب بعد ذلك الى كشتاسب كتابا استشهد فيه الله على أنه استكف إسفنديار غير مرة عن قتاله ، ووعظه ونصحه، وسمح له بجميع مايملكه من صامت وناطق وما حوت يده من التيجان والمناطق . واستشهد على ذلك بشوتن أخا إسفنديار، وذكر أنه واقف على الحال . ولكن جرى قلم التقدير(١) بما جرى عليه، وقضى القضاء بما سبق اليه . وليس لأمر الله دافع ولا لحكمه مانع . وقد ربيت هذا الشهريار الذى هو عندى، وأدبته وهذبته . والملك إن حلف لى وبسط عذرى واغتفر سيئاتى فأنا بين يديه بالبدن والروح، وبما أملكه من الأموال والكنوز . ولما وصل الكتاب الى كشتاسب حضر بشوتن وشهد عنده بصدق رستم فيما قال . فعفا الملك عنه وتجاوز عما بدر منه، وأجابه عن كتابه محيلا فيه ما جرى على إسفنديار، على غير الزمان وتصاريفه . وقال فيـه : إن بشوتن صدّقك فى مقالك، وقد عفونا عنك وغفرنا لك . وأنت لدينا مكرم كما كنت بل أكثر، وأثير كالذى من قبل بل آثر . ولك الحكم على بلاد الهند وقنّوج . وان استزدت زدناك .

---

(١) لك : التدبير .

قال : ثم إن بهمن ترعرع وكبر حتى فاق الملوك أبهة وجلالة . فأشار جاماسب على كشتاسب باستدعائه وجعله ولىّ عهده ، لمـا أدركه من طالعه أن السلطنة ستصير اليه من بعده . فاستصوب الملك ذلك ، وكتب الى رستم كتابا يأمره فيـه بتجهيز بهمن وإنفاذه الى حضرته . وكتب الى بهمن كتابا آخر يأمره فيه بالمبادرة . فأعدّ له رستم ما يحتاج اليه أولاد الملوك ويليق بهم، وجهزه الى حضرة كشتاسب . فلما وصل اليه سر بلقائه، وأظهر الاعتداد بقربه، وسماه أردشير فعرف به . وامتحنه فوجده فارسا كميا شهما ذكيا فهما عالمـا فطنا عابدا لربه سبحانه وتعالى . وكان طويل النجاد طويل اليد، اذا انتصب قائما وأرسل يديه تجاوزت أصابعه ركبتيه بمقدار قبضة . وكان لا يفارقه ولا يصبر عنه ساعة، ولا يطيق البعد عنه لحظة . (١٢٣)

ذكـر مقتـل رستم §

قال صاحب الكتاب : كان عند أحمد بن سهل بن ماهان بمرو رجل كبير طاعن فى السن يسمى سروا . وكان ينتسب الى سام بن نَيرم . وكان حُفَظة لأحوال آبائه وأخبار أسـلافه فحكى أنه كان لزال بن سام جارية مغنية فحبلت منه فولدت ابنا بهىّ المنظر مهيب الرواء كأنه سام بن نيرم . فسر به أبوه واعتده لظهره قوة ومن تصاريف دهره جنة . فاستحضر الموابذة والعلماء والمنجمين فحضروا بكتبهم وزيجاتهم فنظروا فى طالع المولود فوقفوا على سر الفلك فى طالعه وما كتب من هلاك أخيه على يده . فجعل بعضهم ينظر الى بعض . ثم قالوا لزال : أيها البهلوان الجليل ! لا تنظر الى هذا المولود بعين المحبة فإنه اذا بلغ مبلغ الرجال أهلك نسل سام بن نيرم، وبدّد شمل هذه العشيرة ، وملأ أرض

---

§ حذف المترجم هنا أبياتا فى مدح السلطان محمود، يعنينا منها هذه الشذرات :

"إن بقيت فى هذه الدار الحائلة، وهدانى العقل والحكمة، أنهيت هذا كتاب المـاضين، وتركت لى ذكرا فى الآخرين، باسم محمود ملك العالم الكبير، أبى القاسم فخر التاج والسرير... أخذ الضعف بعينىّ وأذنىّ، وأنحى الفقر والكبر علىّ . وكذلك قيدنى الحظ الجائر، وبلى من السنين الكرة والجدّ العاثر . أرتل الحمد ليل نهار ، لملك الأرض العادل المختار . وأرى الناس معى حامدين، إلا لئيم النجار سيئ الدين . فهو منـذ استوى على العرش الأغر، أغلق باب العداء وغل يد الشر... أسجل له ذكرا على الزمان، لا يزول ما بقى إنسان . بهـذا كتاب الملوك السالفين، وسجل الأكابر والأبطال الغابرين.

وانى لمرتقب بتخليد ذكراه، أن أنال الدينار من عطاياه . حتى يبقى لى بعد الموت أثر، من كنز ملك الملوك الأكبر" . =

سجستان شرا وفتنة، ونغص على كل أحد عيشه . ولا تطول مع ذلك مدته، وتدركه على القرب شقوته . فعظم ذلك على زال وتنفس الصعداء . والتجأ الى الله تعالى وفوض أمره اليه، واعتصم بحسن الظن فيه، وسماه شغاذ . وكان يربيه حتى شب فنفذه الى ملك كابل فترعرع عنده وصار كالنخل الباسق والليث الباسل . فتفرس فيه ملك كابل استعداده للتقدم لما رأى فيه من الأبهة والجلالة فزوجه ابنته اعتضادا بمكانه واستظهارا به . وكان رستم يأخذ كل سنة من أهل كابل ملء مسك ثور ذهبا . وكان ظن صاحب كابل أنه اذا صاهر شغاذ ترك رستم ذلك الرسم . فلما كان وقت أداء الخراج طالبه رستم على الرسم المعلوم، وأجحف بأهل كابل حتى أدوا الإتاوة المعهودة. فعظم ذلك على شغاذ فأسره فى نفسه، وخلا بصهره وقال : اذا كان هذا الأخ لا يحترمني ولا يستحيي مني فليس علي مراعاته، وهو وأجنبي(١) آخر سيان عندى . والرأى أن نحتال عليه ونمكر به حتى نتمكن منه . فأخذا يتفكران فى وجوه الحيل وأسباب المكر، ونسيا قول القائل : من حفر حفرة لأخيه وقع فيها(٢)، وإن من يريوما يربه . وقعدا ليلة يفكران فى ذلك من أولها الى أن بزغت الشمس. فقال له شغاذ : الرأى أن تعمل دعوة عظيمة يحضر فيها جميع أكابر كابل، وتجلس للشراب بين المعازف والمزاهر، ثم تشتمني على رءوس الأشهاد، وتأمر بإخراجي ذليلا مهانا حتى أجعل ذلك سبيلا الى الخروج الى زابل وأشكوك الى رستم، وأذكرك عنده بفساد السريرة ودخل الطوية، وأحمله على قصدك وانتزاع المملكة من يدك . وأما أنت فاعمد الى متصيد فى طريقه، واحفر فيه جبابا على قدر رستم ورخشه، واغرز فى قعر تلك الجباب نصولا محددة وحرابا مؤللة ثم غط رءوسها . وإياك أن يطلع على بعض هذا السر أحد . فتوافقا على هذا الرأى . ثم إن ملك كابل جلس يوما للشراب واستحضر جميع أمرائه وأكابر مملكته، وحضر شغاذ . فلما دارت الكؤوس، وطابت النفوس أخذ شغاذ يفتخر بأبيه ويتبجح بأخيه . فصاح به الملك وقال : أقصر عن هذا الكلام فلست من شجرة

= وقصة رستم وشغاذ فى الشاهنامه فيها العنوانات الآتية :

(١) الفاتحة وفيها مدح السلطان محمود . (٢) رستم يذهب الى كابل من أجل أخيه شغاذ . (٣) حفر ملك كابل آبارا فى المتصيد، وسقوط رستم وزواره فيها . (٤) رستم يقتل شغاذ ويموت . (٥) سماع زال بموت رستم وزواره، وإحضار فرامرز تابوت أبيه، ووضعه فى القبر . (٦) فرامرز يقود جيشا ليثأر لأبيه ويقتل ملك كابل . (٧) روذابه تتوله حزنا على رستم . (٨) كشتاسب يستخلف بهمن ثم يموت .

==(١) ك : وهو والأجنبي سيان . (٢) ك : من حفر لأخيه قليبا أوقعه الله فيه قريبا .

دستان بن سام . وإن رستم ليستنكف من أخوّتك، وكذلك دستان يأنف بنوّتك . وأطال النفس فى هذا النوع من الأذى . فاغتاظ شغاذ وخرج من المجلس متوجها الى زابل . فلما اجتمع بأخيه سايله وقال : كيف حالك مع الكابلى ؟ فقال : إنه كان قبل هـذا يراعى جانبى ويحترمنى . والآن فقد تغير عما كان عليه حتى جفانى على رءوس الملأ، وفعل وصنع". وأغرى رستم به وحمله على قصده . فسار فى جيش نحو كابل . فلما قرب منها أرسل شغاذ الى صهره يأمره باستقبال رستم والتنصل اليه عما قرف به . فتلقى رستم ولما دنا منه رمى من رأسه شارة هندية كانت عليه، ونزع خفيه، وهوى بوجهه الى الأرض بين يديه، وسعى فى ركابه حافيا حاسرا، وجعل يستقيله العثرة التى صدرت منه فى حالة السكر . فعفا عنه رستم . ثم نزل فى بعض نواحى كابل عند ماء وخضرة وأرض طيبة . فقدم اليه ملك كابل أنواع الأطعمة، وأحضره الشراب والمغانى . ثم قال لرستم(١) : إن لنا هاهنا متصيدا مملوءا يعافير وغزلانا . فإن نشطت نهضنا اليه . فوقع ذلك من رستم موقع الارتضاء، وحبب ذلك اليه محتوم القضاء . فتهلل وجهه وارتاح للصيد فأمر بإسراج الرخش . وشدّ عليه عدّته وركب ومعه أخواه زواره وشغاذ وجماعة من الخواص . فساروا حتى وصلوا الى ذلك المرج الذى حفر فيه الحفائر . فجعل الرخش يشم التراب ويرتاع، وينزوى بعضه الى بعض ويثب، ويبحث الأرض بحوافره . فضجر منه رستم وضربه بالسوط ضربة وثب منها فوقع به فى حفيرة من تلك الحفائر فتمزق بطنه وخاصرته بما فيها من الحراب والنصول . وأصابت رستم أيضا فأسرعت فى صدره وسائر جسده . ووقع زواره فى حفيرة أخرى . فاجتهد رستم وتحامل حتى خرج من تلك الحفيرة ورمى بنفسه على شفيرها ممزق الصدر مثخنا بالجراحات . فنظر فى وجه أخيه شغاذ فعلم أن ذلك من فعله وخبثه . فقال له : أيها الخبيث ! ستندم على ما جررته على نفسك . فقال : إن تصاريف الزمان قد انتقمت منك لكثرة ما كنت تدل به من قتل الناس وسفك الدماء . وقد انتهى الآن أمرك وتصرم شرك . ثم تصدّى له ملك كابل فقال له على وجه الاستهزاء : أيها البهلوان ! ما هـذا الذى أصابك فى هذا المتصيد ؟ أما نجمع لك الأطباء ليعالجوك فلعلك تبرأ وتصح . فقال له رستم : أيها الخبيث المحتال ! أما أنا فقد انتهى زمانى أسوة من مضى من الملوك السالفة مثل جمشيد الى سياوخش . وأنت فلا تبقى بعدى إلا قليلا ، وسترد من غدرك موردا وبيلا . ثم قال لأخيه شغاذ : بعد أن أفضيت الى هذه الحالة، وصرت بهـذه الصفة فأحضرنى قوسى مع نشابتين لأذود بها السباع عن نفسى إلى أن تخرج روحى . فتناول شغاذ قوسه ووترها ، ومدّها مـدة ثم حطها بين يديه مع نشابتين . فتناولها رستم ففزع منه شغاذ فتترس بشجرة دُلب كانت هناك مجوّفة قد أتت عليها (١٢٤)

(١) ك : بعد أن أخذ منه الشراب

السنون . فرمى رستم الشجرة بإحدى النشابتين فنفذت فيها وخلصت الى شغاذ وخاطته مع الشجرة فتأوه آهة خرجت معها روحه . ففرح رستم وحمد الله على ما يسر له من إدراك ثأره بيده وقبل موته . ثم خرجت فى الحال روحه . ومات زواره أيضا فى الحفيرة التى وقع فيها . ولم يسلم ممن كان هناك من الزابليين غير فارس ركض الى زابل وأخبر دستان بما أصاب ولده رستم . فقامت القيامة عليه وعلى جميع عشيرته ، وشملهم الصياح والعويل . فنفذ فرامرز بن رستم فى عسكر كثيف لنقل رستم من مصرعه الى زابل . فلما وصلوا الى ذلك الشجر الخسروانى حلوا عنه المنطقة الكيانية فخيطوا جراحاته وغسلوه ، ووضعوه فى تابوت من الساج . واستخرجوا زواره من مصرعه أيضا ، وحنطوه وكفنوه . ثم استخرجوا الرخش وخيطوا جراحاته وكفنوه فى الديباج ، وعملوا له تابوتا ووضعوه فيه ، وحملوه على فيل عظيم . وتوجهوا بالجميع نحو زابل والخلائق تضج ، والأرض ترتج لوقع ذلك الرزء العظيم والخطب الهائل الجسيم . فعملوا له فى بستانه ناووسا عظيما ، ووضعوا تابوته فيه على تخت من الذهب ، وسدّوا باب الناووس . ودفنوا الرخش أيضا . وأقيمت المآتم عليه فى زابل حتى لا تكاد تسمع فى أقطارها غير عويل النوادب ونحيب النوائح .

ثم إن فرامرز فتح باب بعض كنوز أبيه ، وأعطى العسكر وأرضاهم ، وتوجه بهم للطلب بثأر أبيه رستم . فتلقاه ملك كابل وقامت الحرب بينهم على ساق . ولما وقعت عين فرامرز عليه فى القلب حمل عليه فى أصحابه الزابليين الموتورين فأخذه أسيرا وعاد به الى معسكره . ووضع السيف فى أصحابه حتى أتى على أكثرهم جرحا وقتلا . وقبض على أربعين نفسا من أقارب ملك كابل . ثم جاء به الى ذلك المتصيد وسلخ من جلدة ظهره مثل وتر فعلقه به منكسا فى بعض تلك الحفائر . وأحرق أقاربه هناك . وعمد الى الشجرة التى تستر بها شغاذ فوضع فيها النار فأحرقها واحترقت جثة شغاذ معها أيضا . ثم وضع السيف فى أهل كابل حتى لم يبق منهم أحد . ثم انصرف وعاد الى مملكته وجلس فى عزاء أبيه . وتمادى المأتم على أهل سجستان الى تمام سنة كاملة . ولم يزالوا فيها فى ثياب الحداد وملابس السواد . وعظم الرزء على روذابه أم رستم حتى نذرت ألا تقرب الطعام والشراب حتى تلحق به . فأمسكت عن المطعم والمشرب أسبوعا فأظلمت عينها وضعفت ، وزال عقلها . ثم إنها وثبت ودخلت المطبخ فوجدت حية ميتة فى ماء هناك فمدّت إليها[1] يدها لتأكلها فحال بعض جواريها بينها وبين ذلك . فحملوها الى إيوانها وأحضروها الطعام فطعمت . وأقلعت عما عزمت عليه ، وسلمت ورضيت بقضاء الله . وفرّقت ما كان لها من الخبايا والدفائن على الفقراء والمساكين . وبقيت تدعو الله تعالى لرستم وتسأله أن يجعل الجنة مأواه ودار الخلد مثواه .

(١) صل : اليه . والتصحيح من طا .



رستم يسقط فى حفرة مملوءة نصالا ، و يرمى أخاه شغاذ أحد المؤتمرين عليه فيسمره فى شجرة بالسهم

[منقولة من (الكتاب الاسلامى The Islamie Book) لسير توماس أرنولد والأستاذ أدلف كرهمان رقم ٧٩]

١٦ — ذكر نوبة بهمن بن إسفنديار، وكانت مدة ملكه ستين سنة §

قال : ولما دنا وقت وفاة كُشتاسب أحضر جاماسب العالم وقال له : لم يطب عيشى منذ قتل إسفنديار ولا يوما واحدا . وقد رأيت تفويض الأمر الى ولده بهمن، ويكون عمه بِشوتن دستوره وصاحب سره . فعليكم بالسمع والطاعة . ثم أحضر بهمن وسلم اليه مفاتيح الكنوز ومقاليد الخزائن وتنفس الصعداء وقال : قد وليت السلطنة مائة وعشرين سنة، وقد شارفت الأجل وتصرم عمرى . فتسلم التاج والتخت وعليك بالعدل والإحسان، وملازمة سبل السداد، ومصاحبة أهل العقل والرشاد . فلما فرغ من وصيته خرجت روحه . فدفنوه وعقدوا له المآتم على عادتهم . ثم جلس بهمن (١) على سرير الملك واعتصب بتاج السلطنة قائما مقام كشتاسب .

قلت : قال غير صاحب الكتاب : كانت أم بهمن تنتسب الى بنيامين بن يعقوب بن إسحاق ابن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكانت زوجته أم ولده ساسان تنتسب الى سليمان بن داود عليهما السلام . وتفسير بهمن بالعربية « الحسن النية » . وكان متواضعا تخرج كتبه : من أردشير عبد الله وخادم الله السائس لأموركم . ويقال أنه غزا الرومية الداخلة فى ألف ألف مقاتل . وكان فيما قالوا من أعظم ملوك الفرس شأنا وأفضلهم تدبيرا . ومن آثاره الباقية القرية المعروفة بهمينيا من الزاب الأعلى، والأُبلّة، وكان سماها حين بناها بهمن أردشير .

١٦ — بهمن §

السادس عشر من ملوك الشاهنامه، والسادس من الملوك الكيانيين .

وأصل بهمن فى الأبستاق "فهو — مانو" أى "الفكر الطيب" . وهو أحد القوى الست (أمِشَسپِنتا) التى تلى إله الخير أُهرامزدا . ويسمى اليوم الثانى من كل شهر من الشهور الفارسية باسم بهمن لأنه المَلَك المسيطر عليه . وفى الأبستاق فصل مسمى باسمه . وله فى أدعية الثلاثين يوما (سى روزه) دعاء أوله :

"نقرّب الى فهو — مانو، الأمشسپنتا، نقترب الى السلام الودود النفْس، والذى هو أقوى على الإهلاك من المخلوقات الأخرى كلها (٢) " .

وفى عهد بهمن يزيد التشابه بين ملوك الشاهنامه والأكمينيين الذين يعرفهم التاريخ . فالتشابه بين بهمن أردشير وبين الملك الخامس من الأكمينيين الذى يسميه اليونان أرتكزِركس (Artaxerxes) =

(١) كلمة «بهمن» من طا . (٢) أفستا، ج ٢ ص ٣

قال الفردوسى : ثم إن بهمن لما تمكن من الملك فرّق على عساكره أموالا وافرة وأباحهم ذخائر كثيرة . ثم جلس ذات يوم فى محفل عام ، واستحضر جميع وجوه أصحابه وأمرائه وقواده، وقال (١٢٥)
لهم : إنه لا يخفى عنكم حال إسفنديار وما عمل به رستم وأبوه الساحر . وابنه فرامرز متصف بعداوتنا فى السر والعلن . وأنا ممتلئ القلب من الهم والحزن . ومالى هم[١] إلا بإدراك ثار أبى وإخوتى الذين قتلوا بزابل . وكل ولد كان من الماء الطاهر سلك مسلك أفريذون حين اقتص من الضحاك بجمشيذ، ومنوچهر حين اقتص لا يرج من قتلته، وكيخسرو حين اقتص لسياوخش من أفراسياب ، وفرامرز حين اقتص من ملك كابل لرستم . والآن أنا أولى الناس بالانتقام لاسفنديار الذى لم ير فارس مثله فى الأرض . فماذا ترون وماذا تقولون ؟ فرفعوا أصواتهم وقالوا : نحن عبيدك المخلصون . وقلوبنا مملوءة بمحبتك ، ونفوسنا مجبولة على طاعتك . وأنت أعلم بالرأى والتدبير . فافعل ما ترى فنحن لك تبع . فلما سمع منهم ذلك الجواب ازداد حقده توهجا ، وأمرهم بقصد سجستان . فاستعدوا لذلك ، وارتحل فى مائة ألف فارس ، وسار حتى نزل على هيرمند فأرسل الى دستان وأعلمه أنه قد جاء طالبا لثأر أبيه وإخوته . فرد اليه فى الجواب : إن الملك أعلم بحال إسفنديار وما جرى بينه

=أبين وأقوى مما بين گشتاسپ ودارا[٢] . ويرى مؤلف باستان نامه ، ويوافقه مول (Mohl) ، أن بهمن أردشير هو أرتكزركس . ويقول نُلدكه (Noldeke) أن الإيرانيين سمعوا بأرتكزركس من بعض المؤلفين السريان الذى كان ينقل عن مؤرّخى اليونان، فادعوا أنه بهمن . وكان الأول يلقب عند اليونان "طويل اليد" فترجموها ولقبوا بها الثانى فقالوا "دراز دست"[٣] .

ويؤيد قول الأستاذ نلدكه أن البيرونى يلقب بهمن بكلمة مقروشر ، وهى الكلمة اليونانية . ويفسرها بطويل اليد . ولا يلقبه بالكلمة الفارسية .

ويرجح أن بهمن هو أرتكزركس المسائل الآتية :

(١) اتفاق الاسم واللقب فى الفارسية واليونانية . فأردشير هو باللغة القديمة أرتخشيَرشا وقد حرفها اليونان الى (Artaxerxes) . ودرازدست هو معنى (Longmanus) التى لقب بها هذا الملك عند مؤرّخى الغرب ترجمةً للكلمة اليونانية . والكتب العربية كذلك تلقبه طويل اليد أو الباع وتفسره بنفوذ أمره وبعد مغازيه[٤] .

(١) طا : اهتمام . (٢) أنظر ص ٢٢٦ حاشية . (٣) الحماسة الايرانية ص ٢٢
(٤) انظر الطبرى ، ج ٢ ص ٣ ، البيرونى ص ٣٧ ، وحمزة ص ٢٨

وبين رستم، وأنه كان أمرا محتوما وقدرا مقدورا. فعدّد عليه حقوق رستم على آبائه عامة وعليه خاصة إذ كفله ورباه حين فقد أباه. ووعده، إن كف عنه، أن يعطيه جميع ما احتوت عليه يده من الكنوز والخزائن والدفائن الطارف منها والتالد. فلم يقبل بهمن ذلك منه وتوغل سجستان. فتلقاه زال ولما قرب منه ترجل وسجد لديه وعفر لحيته البيضاء فى التراب بين يديه. ثم قال: أيها الملك! إن هذا وقت الرحمة وأوان الرأفة. اذكر سوالف حقوقنا وسوابق خدمتنا، وأخرج من قلبك الداء الدفين ولا تتبع بالثأر ناسا[1] مقتولين. وارحم عجز دستان بن سام ووقوفه هكذا ضارعا ذليلا بين يديك. فغضب بهمن من كلامه، وأمر به فقيد وحبس، ولم يسمع فيه شفاعة أحد من أصحابه. ثم استخرجوا من قصور دستان وكنوزه أحمالا[2] من الذهب والجوهر والمسك والعنبر والتيجان والمناطق والملابس والمفارش وغير ذلك من الخيل والأسلحة وسائر ما اقتناه رستم مدّة عمره، واكتسبه من الملوك الماضين الى آخر عهده. ثم أطلق أيدى أصحابه فى الأسر والنهب فى جميع نواحى زابل. وبلغ الخبر بذلك الى فرامرز وهو فى ناحية بُست. فركب فى عساكره وجنوده يريد قتال بهمن. فتلقاه بهمن والتقوا فى موضع يقال له كورابذ. فقامت الحرب بينهم على ساق، واتصل القتل والقتال فيما بينهم الى تمام ثلاثة أيام بلياليهن. ولما كان اليوم الرابع ثارت ريح عاصف فى وجه فرامرز وأصحابه،

= (٢) وقول البيرونى عن بهمن أردشير أنه ابن أخشويرش.

وأظن أخشويرش هو خشيَرشا أى إكزِركس (Xerxes) فأردشير بن أخشويرش يقابل أرتكزركس ابن إكزركس.

(٣) وقول المسعودى[3] عن أبقراط: "كان قبل الاسكندر بقريب من مائة سنة، فى أيام أرطخشست من ملوك الفرس الأولى. وأرى أنه بهمن بن إسفنديار بن كيبشتاسب ابن كيلُهراسب. وقد ذكر ذلك جالينوس الخ". وأرطخشست هو أرتخشتر أو أرتخشيرشا أعنى أرتكزِركس. وقد حكم ما بين سنتى ٤٢٥ و ٤٦٥ وذلك قبل الاسكندر بقريب من مائة سنة كما يقول المسعودى.

(٤) وقد أدرك بعض الكتّاب شبها بين حوادث رستم وإسفنديار وبهمن كما ترويها الشاهنامه، وبين ما عرف فى التاريخ من قتل ارتبانوس قائد حرس إكزِركس إياه، وتوليته أرتكزركس مكان أبيه، ثم بطش هذا بأرتبانوس. كما قتل رستمُ إسفنديارَ وربى ابنه بهمن حتى ولى الملك ثم بطش بهمن بأسرة رستم.[4]

(١) طا: أناسا (٢) كو، طا: أحمالا محملة. (٣) الاشراف ص ١٣١ (٤) وررنج ٥ ص ٢٨٢

وكانت(١) عليهم دبور الأدبار، فتبع بهمن الريح الثائرة، وحمل بأصحابه على صفوف فرامرز، ووضعوا فيهم السيف فولوا الأدبار فلم يبق منهم غير فرامرز . فإنه ثبت فى مستنقع الموت مع عدّة من أسود رجاله ، وما زال يضرب بالسيف حتى أسر . فحمل الى بهمن فأمر به فصلب وهو حى ثم رشقوه بالسهام حتى مات .

قال : ثم إن بِشوتن عم بهمن أتاه، وهو موجع القلب من قتل فرامرز وما جرى على دستان ابن سام، فقال : إنك قد أدركت ثأر أبيك، وبلغت فى ذلك غاية أمانيك . فأقلّ من هذا النهب الذريع والقتل الشنيع، واستشعر الخوف من الله عز وجل، وانظر الى تصاريف الزمان وما صنعتْ بإسفنديار حين قصد زابل ، وبرستم بن دستان حين يمم كابل . ولا تؤذ أحدا ينتسب الى أصل كريم، وينتمى الى بيت قديم . وإن دستان بن سام بن نريمان إن دعا الله عز وجل عليك ، وردّ الحكم فيما بينك وبينه اليه لأثرفيك وإن كنت قوى الطالع عالى النجم صاعد الجدّ . ثم إن هذا التاج لم يصل اليك إرثا عن(٢) أبيك وجدك . وإنما حصل لك بسبب رستم الذى

= على أن فى الكتب العربية أن بهمن هو كورش أو أنه الذى أمر كورش برد الاسرائيليين الى بيت المقدس، الى غير هذا من الخلط واللبس . ويقول المسعودى فى الاشراف(٣) : والاسرائيليون يزعمون أن بهمن يسمى بلغتهم فى كتب أخبارهم كورش . وفى الطبرى ومروج الذهب والأخبار الطوال وغيرها أن أم بهمن من نسل طالوت وزوجه من ذرّية سليمان . وهذا مثال من اللبس بين أساطير الفرس والساميين .

ثم أولاد بهمن، كما فى فارس نامه والطبرى، هم ساسان ودارا وخُماى وفرنك وبهمن دوخت .

ومن آثاره، فيما زعموا، مدينة آباد أردشير وهى همينيا ، وبهمن أردشير وهى الأبلة ، وعمارة هراة وهمدان وعسكر مكرم(٤) .

ثم أخبار بهمن موجزة فى الشاهنامه، كما يرى القارئ، ولكن سيرته نظمت مطولة جدا فى كتاب من كتب الحماسة التى نظمت بعد الشاهنامه اسمه بهمن نامه .

وقصته فى الشاه ١٦٧ بيت فيها العناوين الآتية :

(١) انتقام بهمن لإسفنديار . (٢) بهمن يكبل زالا . (٣) بهمن يقاتل فرامرز ويقتله . (٤) بهمن يطلق زالا ويعود الى إيران . (٥) بهمن يتزوج ابنته هُماى ويجعلها ولية العهد .

---

(١) طا : فكانت . (٢) طا : من . (٣) ص ٢٠٠ (٤) أنظر الطبرى وفارس نامه وأوراق أسيوية .

قرّره بالسيف على كيقُباذ ومن بعده من الملوك . فانف الشر من قلبك، وأطلق هـذا الشيخ الكبير من حبسك » . فأدرك بهمن الندم ، وأطلق دستان وأمر العسكر بالإمساك عن القتل والنهب . ثم رجع عائدا الى إيران، وأقام فى مستقر ملكه ينهى ويأمر، ويعطى ويمنع . وكان له ابن شجاع يسمى ساسان، وبنت تسمى هُماى ذات رأى وعقل، وكانت تلقب جِهرآزاذ . فبنى بها أبوها بمقتضى الملة الفهلوية ، وكان يحبها لفرط حسنها وجمالها . فحملت منه وضعفت ونحفت . فعظم ذلك على بهمن حتى أمرضـه . وازداد مرضه فاستحضر ابنته هماى ، واستدعى الأكابر والأعيان، وقال : إنى قد فوّضت الأمر الى ابنتى هماى، وعهدت اليها حتى تكون هى بعدى صاحبة التاج والتخت، والأمر والنهى الى أن تلد فيصير ذلك لولدها ذكرا كان أو أنثى . فرضوا بذلك .

ثم إن ولده ساسان لما رأى ذلك عظم عليه، وحار فى أمره وملكه الهم فترك أباه وهرب وصار الى نيسابور فتزوّج بها بعض بنات أكابرها . وكان يكتم أمره ولا يعرّف أحدا بنسبه . فحملت منـه زوجته وولدت ابنا فسماه ساسان أيضا . ثم مات هو بعـد زمان يسير . فترعرع ولده ساسان وكبر فلم يصادف عنده ما يزجى به وقته فأحوجه الفقر الى أن صار راعيا لصاحب المدينة يرعى بين تلك الجبال والشعاب . فيقال هو جدّ الساسانية . وسيأتى تمام خبره من بعد .

§ ١٧ — ذكر نوبة هُماى جِهرازاذ بنت بهمن بن[(١)] إسفنديار وكانت مدّة ملكها ثلاثين سنة

قال صاحب الكتاب : وبعـد بهمن جلست ابنته هماى على سرير الملك واعتصبت بالتاج، ووعدت الخلق بالعـدل والإحسان، وقالت : بارك الله لنا فى الملك ، وجعـل أفعالنا خير، ولا أرى أحدا منا سوءا .

---

§ ١٧ — هُمـاى

السابعـة فى الملوك الكيانيين ، والسابعـة عشرة من ملوك الشاهنامه . وقد تقـدّم فى فصـل كُشتاسپ ذكر هماى ابنته التى تزوّجت أخاها إسفنديار . وتسمى هماى وخمانى وتلقب جهرازاذ . وفى مروج الذهب أن ذلك اسم أمها .

ثم فى قصـة هماى الملكة — كما رأى ورنر[(٢)] — شبه بأسطورة تؤثر عن سميراميس، رواها كتِسيا الذى كان طبيبا عند ملوك الفرس بين سنتى ٣٩٨ و ٤١٧ ق . م .

(١) صا

(٢) (Warner) ج ٥ ص ٢٩٣

ثم إنها ولدت ابنا فأخفته من الناس، وأظهرت أن ولدها مات بعد أن وضعته، مضنّة بالسلطنة. واستأثرت بالملك والأمر والنهى، وجندت الجنود. وأطاعها الملوك[(١)] وأصحاب الأطراف رغبة ورهبة. ولم يكن لها شغل إلا نشر العدل، وملاحظة أحوال الرعية، ومعاملتهم بالحسنى والرأفة.

(٤٢٦) قال: وكان ولدها كأنه كُشتاسب فى صورته. فلما أتت عليه ثمانية أشهر أمرت فصنعوا له صندوقا وبطنوه بالديباج والحرير، ووضعوا فيه جملة من اللآلئ والجواهر والذهب. ووضعوا الصبي فيه، وشدّوا على عضده جوهرا نفيسا له قيمة، وأطبقوه عليه وأوثقوا رأسه. وأمرت به فألقى فى الفرات فى أول الليل فكان طول الليل يمرّ فى مثل حال السفينة ترفعه الأمواج وتخفضه. فلما طلع النهار وقع الى ساقية ضيقة كان يأتيها كل يوم قصار يغسل فيها الثياب. فجاء القصار على عادته فوجد ذلك الصندوق فأخذه وفتح رأسه فرأى طفلا كالقمر منوّما بين الذهب والجوهر. فسرّ به وردّ رأس الصندوق وغطاه بثيابه. وكان قد مات له ابن فى تلك الأيام، وهو موجع القلب بسببه. فغسل الثياب، وعجل وحملها مبلولة مع الصندوق، وعاد مسرعا الى بيته فبشر زوجته وقال: عوّضك الله من ولدك خيرا منه مع أموال وافرة وجواهر فاخرة. فكشفت المرأة رأس الصندوق فبهتت لما رأت من حسنه وجماله فأخذته فضمته الى صدرها وألقمته ثديها. فسماه القصار داراب

= وقد أوجزها ديودور. وخلاصتها أن أم سميراميس ألقتها فى الجبال حين ولدتها فغذتها الحمائم. ثم عثر عليها بعد سنة رعاة ملك أشور. فأخذها رئيس الرعاة سِمّاس وتبناها وسماها سميراميس. فلما كبرت رآها أُنِّس والى سورية من قِبَل الأشوريين فأحبها وتزوّجها وولدت له ابنين. ثم أحبها ملك أشور ننوس فانتحر زوجها وتزوّجها الملك وولدت له نِنياس. فلما مات الملك خلفته على العرش وامتد سلطانها. وبنت مدينة بابل ومصانع أخرى. ولما بلغت الثانية والستين من عمرها، بعد اثنتين وأربعين سنة من ملكها، ولت ابنها مكانها وانتحرت هى أو انقلبت حمامة ولحقت بسرب من الحمام.

يرى ورنران فى قصتى هُماى وسميراميس تشابها: فى كلتا القصتين طفل يرمى ثم يعثر عليه. وملكة تخلف زوجها على العرش ثم تخليه لابنها. وكلتا الملكتين مولعة بتشييد الأبنية العظيمة. ثم يروى المسعودى أن أم هماى كانت يهودية أى سورية. هذه أوجه الشبه التى رآها ورنر. وأنا أزيد عليها أن "هماى" عند الفرس اسم طائر اذا وقع ظله على إنسان صار ملكا. فهذا يقابل انقلاب الملكة حمامة فى قصة سميراميس. ثم حمزة الأصفهانى يقول أن هماى اسمها شميران. والقزوينى =

(١) طا: جميع الملوك.

لأنه وجده فى المـاء(أ)، وقام بتربيته. ثم إنه قال ذات يوم لزوجته: إن بقيت هذه الجواهر عندنا هكذا مكتومة فسواء هى والتراب. والرأى أن نهاجر الى مدينة لايعرفنا فيها أحد فنتمكن من الانتفاع بهذه الجواهر. فارتحل بزوجته ولقيطه وأداته، وصار الى بلدة أخرى. فكان يبيع من تلك الجواهر وينفق على نفسه وعلى الصبى. فترعرع وشب، وكان يخرج ويلعب مع الصبيان ويصارعهم فيغلب الكل. فضجر القصار من يده (ب) وحمّله الكارة وألزمه القِصارة. وكان كل يوم يهرب من يده، ويبطل عليه شغله، ويدور خلفه فى طلبه فيصادفه وهو فى الصحراء وبيده القوس والنشاب فيجفوه ويصيح عليه، ويأخذ منه قوسه. فقال له ذات يوم: يا أبى! قد علمتنى كتاب الزند فسلمنى الى من يعلمنى طرفا من الأدب. فانى اذا فرغت من ذلك اشتغلت بصناعتك ولم أخرج من طاعتك. فسلمه الى بعض المؤدّبين فتعلم الأدب حتى برع فيه. فقال له ذات يوم: اعلم أنه لا تجىء منى القِصارة ولا حمل الكارة فسلمنى الى من يعلمنى الفروسية فانى لا أصلح لغيرها. فاختار القصار رجلا بصيرا بآداب الفروسية وأنواعها فسلمه اليه. فمكث عنده زمانا طويلا حتى تعلم منه جميع آداب الفروسية وصار بحيث اذا جال فى الميدان فاق جميع الأقران. فخلا يوما بالقصار وقال: إنى مخبرك بأمر كنت أخفيه عنك؛ اعلم أنى لست أجد فى طبعى وقلبى ميلا ونزوعا اليك. وليس بيننا مشابهة

= يقول أنها كانت تسمى سمره.[1] وفى شميران وسمره شبه بسميراميس. ثم الشاه تجعل حكم هماى قبل اسكندر بستة وخمسين عاما. وذلك قريب جدا من العهد الذى عاش فيه كتسيا فى بلاد الفرس.

ومن آثار هماى، فيما زعموا، ثلاثة إيوانات: أحدها وسط مدينة اصطخر والثانى على المدرجة التى يسلك فيها من اصطخر الى خراسان، والثالث على طريق دارا بجرد على فرسخين من اصطخر. ويقول حمزة أن هذه المصانع تسمى بالفارسية هزارستون (ألف عمود) وأن باصفهان رستاقا يسمى تيمره من آثار هماى. وفى فارس نامه أنها بنت جربادقان.[2]

ثم قصة هماى فى الشاهنامه ٣٢٠ بيت فيها هذه العناوين:

(١) هماى تترك ابنها فى صندوق بنهر الفرات. (٢) تربية القصار داراب. (٣) سؤال داراب امرأة القصار عن نسبه، ومحاربته الروم. (٤) رشنواد يعرف أمر داراب. (٥) حرب داراب وجيش الروم. (٦) هماى تعرف ابنها. (٧) هماى تجلس داراب على العرش.

(أ) معنى «درآب» بالفارسية «فى الماء».

(ب) كذلك فى نسخ الترجمة. وفى الشاهنامه: من فعله.

(١) حمزه ص ٢٨ ونزهة ص ٦٨ (٢) الأخبار الطول ص ٢٩ والطبرى وحمزة.

وانى آنف من الانتساب اليك والقعود على الدكان بين يديك . فاصدقنى عن حقيقة حالى معك . فصاح عليه القصار وسفهه فيما قال . وقال : إن كنت تجد فى قلبك من الانتساب إلى شكا فسايل أمك حتى تخبرك من نجلك[1] . فسكت على ذلك . ثم إن القصار خرج ذات يوم فى شغله . فأغلق الباب على زوجته وسل عليها السيف وأوعدها وتهددها وقال لها : اصدقينى عن حالى ، وأخبرينى عن أصلى ، و بالسبب الذى أصارنى الى بيت هذا القصار . فخافت وسألته الأمان وأخبرته بالحال وحدثته بحديثه وحديث الصندوق والجوهر والذهب . فأطرق مليا مفكرا ثم قال لها : وهل بقى من ثمن تلك الجواهر شيء أشترى به مركوبا ؟ فأعطته قدرا من الذهب فآشترى فرسا وعدة رثة رخيصة .

وكان لتلك الناحية مرزبان فقصده وآتصل بخدمته . وآتفق أن عسكر الروم غزوا تلك الناحية فملكوها ونهبوها وقتلوا المرزبان الذى كان عليها . فأنهى ذلك الى هُماى ملكة العالم فجردت لقتال الروم إصبهبذا يسمى رشتواذ[2] ، وكان ذا شرف صميم و بيت فى الإصبهبذية قديم ، وضم[3] إليه العساكر . وقصده داراب وآتصل بخدمته ، وأثبت كاتب الجيش اسمه فى جريدته . ثم إن الملكة هماى أمرت رشتواذ بعرض الجيوش ، وركبت وخرجت بنفسها ، فجعل الجيش يمر بها فوجا فوجا . فعبر داراب رافعا على كاهله عمودا بهلوانيا وكأنه قد ملأ الميدان أبهة و بهاء و رونقا وسناء . فنظرت الملكة الى قده الكيانى وشكله الخسروانى فتحلب ثديها لبنا . فقالت : من أين هذا الفارس؟ ولست أشك أنه من أصل كريم و بيت قديم . وما هو إلا فارس بطل إلا أن عدته لا تليق به .

قال : فسار الإصبهبذ قاصدا قصد الروم . فأظلتهم السماء ذات يوم بسحابة وطفاء ذات برق ورعد ووابل وودق ، فنصبوا الخيم ومدوا السرادق . وجعل المطر يتدفق كأفواه القرب ، والخيل تسوخ فى الوحل الى الركب . فآوى كل منهم الى خيمة أو فازة أو خركاه ، غير داراب فإنه لم يكن له مأوى يأوى إليه . فرأى هناك طاق بناء قد طال عليه الأبد يريد أن ينقض فآلتجأ إليه ونزل تحته وهو مبتل الثياب حليف الاكتئاب . فجلس على التراب قانعا بالمنزل الخراب ، و ربط فرسه عنده والمطر يفيض فيضا . فعبر الاصبهبذ على ذلك الحائط فسمع هاتفا يقول : أيها الطاق المستهدم اثبت مكانك فإن تحتك ملكا كبيرا نجله أردشير . ولا تخف من المطر ، وآحفظ ما نقول لك . وهتف بهذا ثلاث مرات . فتعجب الإصبهبذ من ذلك ، ونفذ بعض أصحابه حتى يأتيه بخبر الذى نزل تحت الطاق . فجاء ورأى شابا ذا رواء ومنظر قد آبتل ثوبه وفرسه ، وهو ممدد على التراب . فأخبر

(١) طا : من الذى نجلك . (٢) فى الشاه : رشنواذ بالنون . (٣) طا : ضمت .

الإصبهبذ بذلك فأمر بإحضاره . فعادوا إليه وأيقظوه وأعلموه بطلب الإصبهبذ له . فقام وركب . فلما[١] آستوى على ظهر فرسه وقع الطاق . فجاءوا به الى سرادق الإصبهبذ فأكرمه وتلقاه . وأخلوا له خركاهة[٢] وأوقدوا[٣] له بالمندل الرطب نارا وأوسعوه إعظاما وإكبارا . ولما أصبحوا من الغد وعزم الإصبهبذ على الركوب أمر وزيره فقدّم إليه دست ثوب وفرسا بعدّة ذهب ، ومنطقة وسيفا . وسأله عن أصله ومولده فأخبره داراب بقصة القصار ومبدأ أمره معه على ما سمعه من مرضعته . فنفذ الإصبهبذ فى الحال فارسا لإحضار القصار وصاحبته مع الجوهرة التى كانت مشدودة على عضد داراب إذ هو فى الصندوق . قال : فجعل رشتواذ داراب مقدّم طليعته ، وركب ومضى فى طريقه فغافصهم طلائع الروم وآلتقوا وجرت بينهم وقعة عظيمة . فقتل داراب منهم خلقا كثيرا وهزمهم ١٢٧
وركب أكتافهم ، وتبعهم يضرب[٤] أعناقهم الى قرب معسكر العدوّ . ورجع الى الإصبهبذ مظفرا فشكره وأثنى عليه ودعا له وقال : لا خلت عساكر المملكة منك ، ولا زالت مشدودة الأزر بك . ولما دخل الليل أخذ الإصبهبذ فى تهيئة أسباب الحرب ، وداموا طول ليلهم فى الإعداد والاستعداد للقاء العدوّ من الغد . ولما اصطبحوا اصطف الجمعان ، وتقدّم داراب الصفوف ، ووقع فى جيوش الروم كالذئب الغارث فى سائمة الغنم ، والليث الثائر فى سائبة النعم . فقلب القلب وفرّق شمل الميمنة والميسرة ومعه الآساد الايرانيــة يقدمهم وهم خلفه بالعمد الحاطمة والدبابيس القاصمة . فغلبت الروم ونكصوا على أعقابهــم ، وصواعق السيوف تنحط على رقابهم . فقتــل داراب منهم أربعين جاثليقا . وثنى عنانه وبيده صليبهم (أ) . ولما أتى الإصبهبذ شكره وشكر سعيه ، وحكمه فى جميع الغنائم ليستصفى لنفسه ما يريد ، ويفرّق على الجيش ما يريد . ثم ركب الإصبهبذ وتوغل بعساكره بلاد الروم فجاسوا خلالها ودوّخوا أقطارها . حتى اضطرّ قيصر الى التزام الخراج فصالحهم على مال حمل اليهم وهـدايا كثيرة أحضرها لديهم . فقفل الإصبهبذ ومعه داراب آخذين فى طريقهم الأوّل . فلما وصلا الى مكان الطاق المذكور صادفا القصار وزوجتــه مقبلين ومعهما الجوهرة . فاستخبرهما الإصبهبذ عن حال داراب فسردا عليه خبره من أوّل يوم وجد[٥] الصندوق الى أن انتهى . فبشرهما بالخير ووعدهما بالغنى والأمان من الفقر . ثم كتب الإصبهبذ كتاب الفتح الى الملكة ، وذكر فيــه أحوال داراب وما شاهــد من

(أ) هذا بعض أغلاط الشاهد . فان هــذه المواقع كانت قبل المسيح . ولا ريب أن ما ترويه الشاه عن الفرس والروم فى هذا الطور مشوب بما كان بين الأمتين أيام الساسانيين .

(١) ط : ولما . (٢) ط : خركاه . (٣) صل : أوقد . والتصحيح من طا
(٤) صل : فضرب . والتصحيح من طا . (٥) طا : وجدا .

عجائب حاله، وما سمع من الهاتف بالطاق المنهار، ثم ما حدّثه به القصار وزوجته . ووصف آثار نكاياته فى العدوّ فى غزوته تلك . وختم الكتاب ونفذه مع تلك الجوهرة الى الملكة . فلما أتاها الكتاب ووقفت على ما فيه ورأت الجوهرة فاضت عينها بالدموع ، واستعرت نار الشفقة منها بين الضلوع ، وعلمت أن ذلك الشاب الذى أخذ بقلبها يوم العرض لم يكن إلا ولدها . فحمدت الله تعالى وشكرته حين ردّ عليها ولدها وقرة عينها ففرّقت كنزا من الكنوز على الفقراء والمساكين وسائر الناس أجمعين، ونفذت جملة الى بيوت النار ومن بها من الهرابذة والموابذة . ثم وصل الإصبهبذ بعد عشرة أيام ومعه داراب والأمراء والأكابر . فأخّرت الإذن لهم فى الدخول إليها مقدار أسبوع . فأمرت أن يعمل لداراب تخت من الذهب، وكرسيان من الفيروزج واللازورد، وتاج مرصع بالجواهر الشاهية ، وطوق وسواران ، وثوب منسوج بالذهب والجوهر . وأمرت المنجمين باختيار يوم مبارك للإذن . ثم إنها أذنت فلما دخل داراب تلقته ومعها جام مملوء من الياقوت ، وجام مملوء من الزبرجد فنثرتهما عليه، وضمته الى صدرها، وقبلت عينه، ومسحت بيدها وجهه، وأخذت بيده وأجلسته على التخت . ثم جاءت بالتاج الكيانى وقبلته ووضعته على رأسه ، وبشرت الناس بسلطنته . واعترفت له بالإساءة[1] إليه ، وقالت : سكر الشباب ، وحب الأموال ، وموت الوالد، وعدم ذى رأى فى المملكة يرجع اليه — أمور اجتمعت فحملتنى على ماسبق منى اليك . وجعلت تعتذر اليه وتستقيله العثرة . فرضى عنها داراب . فاستحضرت موبذ الموبذان وجميع الأكابر والأمراء فحكت لهم ما سبق منها الى داراب بائحة بذلك على رءوس الملأ . وأخبرتهم بندامتها على ذلك . ثم قالت : اعلموا أنه لم يبق لبهمن ولد غير هذا، وهو وارث الملك، وصاحب التاج والتخت . فاتبعوا أمره، وتلقوا بالسمع والطاعة حكمه» . فتقبلوا ذلك وسروا بسلطنته، ونثروا عليه الجواهر حتى كاد ينغمر فيها . فطابت القلوب، وانشرحت الصدور، وتتابعت التهانى والبشائر . فدخل القصار فيمن دخل على داراب فهناه بالملك الجديد والطالع السعيد . فأمر بإحضار عشر بدر من الذهب، وجام مملوء من الجواهر، وتخوت من أنواع الثياب، ووهب له الجميع . وقال : أيها القصار ! اجهد كل الجهد فلعلك تجد فى الماء صندوقا آخر يحتوى على طفل مثل داراب» . وانتهت عند ذلك غصة القصار، وأغناه فيض الدرهم والدينار عن مقاساة الماء والنار .

---

(١) كو، طا : اساءتها .

١٨ — ذكر نوبة داراب بن بهمن بن إسفنديار . وكانت مدّة ملكه اثنتى عشرة سنة §

قال صاحب الكتاب : لما جلس داراب على تخت السلطنة ، واحتفل مجلسه بالأكابر والأمراء والأعيان قال : إنا لم نرزق هذه الدولة بسعى ولا جهد بل الله تعالى تفضل بها علينا عفوا . ولم يرأحد أعجب من أمرنا أمرا . فلا نؤدّى شكر هذه النعمة إلا بالعدل والإحسان وما يخلد لنا الذكر الجميل الى آخر الزمان . والله تعالى يجعل قلوب الرعية بنا مسرورة وصدورهم بأيامنا مشروحة .

قال : فدخلت الملوك تحت طاعته ، وحملت الإتاوات من الهند والروم وغيرهما من الأقاليم الى حضرته . ثم إنه ركب ذات يوم إلى الصحراء ليشاهد الخيول السوائم فى المروج والرياض فصعد فى الطريق إلى جبل عال فرأى تحت الجبل بحرا عظيما . فأمر بإحضار المهندسين من بلاد الروم والهند . وأمرهم أن يشقوا من تلك البحيرة نهرا فامتثلوا أمره . ثم أمر ببناء مدينة كبيرة على ذلك النهر وسماها داراب كرد . وهى معروفة بدارابجرد من بلاد فارس . وبنى بها بيت نار . وأسكن المدينة أصحاب الحرف والصناعات .

---

١٨ — داراب §

الثامن من الملوك الكيانيين ، والثامن عشر من ملوك الشاهنامه . وقد بينت فى فصل بهمن أردشير المشابهة بينه وبين الملك أرتخشيرشا أو أرتكزركس الأول الملقب بطويل اليد . فان صدق الحسبان وكان بهمن الشاهنامه هو أرتكزركس التاريخ أمكن تشبيه داراب الذى تجعله الشاهنامه أبادارا الأخير ، بدارا الثانى الذى ولى من سنة ٤٢٤ الى ٤٠٤ ق . م . والذى يلقب «أُخوس» . وأوجه الشبه بينهما ما يأتى :

(١) داراب هو ابن بهمن فى الشاهنامه ، ودارا هو ابن أرتكزركس فى التاريخ . وقد حسبنا من قبل أن بهمن هو أرتكزركس .

(٢) كلاهما ولى بعد أخيه الذى ولى بعد أبيه : داراب بعد أخته هماى التى وليت بعد أبيها بهمن ، ودارا بعد أخيه اكزركس الثانى الذى تولى بعد أبيه أرتكزركس الأول .

(٣) داراب ولى وأخته (أو أمه) حية ، ودارا غصب الملك من أخ له اسمه سغديانوس وقتله . =

ولما استقر على سريره بث الجنود فى جميع أطراف الممالك، واستسخر جميع الملوك . ثم إنه خرج عليه رجل من العرب يسمى شعيب بن قتيب بجمع مائة ألف فارس[(١)] من أولى النجدة والبأس، وأبناء الرماح والصفاح . فنهض اليهم داراب فى عدد[(٢)] كثير فالتقوا واتصل الحرب بينهم ثلاثة أيام . (١٢٨)
ولما كان اليوم الرابع انهزمت العرب وقتل شعيب . فأطاعه سائر ملوك العرب والتزموا أداء الخراج اليه . فنفذ داراب الى بلادهم من يأخذ منهم خراج السنة الماضية مع خراج السنة الحاضرة . وسار من ذلك المعترك بجموعه وجنوده متوجها نحو بلاد الروم . وكان ملكهم يسمى قيلقوس[(٣)] فنهض اليه من عمورية فى أكابر حضرته وأركان دولته مع عسكر عظيم فالتقوا وجرت بينهم وقعتان عظيمتان . ولما كان اليوم الرابع هرب قيلقوس وأصحابه وتركوا جميع ما كان معهم من الخيل والأسلحة والعتاد والعدّة، ومضوا ورماح الإيرانيين فى أدبارهم حتى دخل فيمن سلم الى عمورية فتحصن بها (أ) . وأرسل الى داراب بعض دهاة حضرته مع صندوقين من الجواهر الشاهية وتحف ومبارّ ومماليك وجوار يسأله[(٤)] أن يجيبه الى الصلح ويجنح معه الى السلم، ويقول : لما قصد الملك قتالى وتوغل بلادى وعزم على أخذ عمورية التى هى دار ملكى ومقرّ عزى لم أجد بدا من ملاقاته وممانعته . وبعد أن جرى ما جرى فليفعل الملك الآن ما يليق بكرمه وحسبه ونسبه . قال:

= (٤) داراب ثامن الكيانيين، ودارا ثامن الأكمينيين إذا عددنا سغديانوس المقتول .

وكذلك يقول مول (Mohl) أن داراب هو داريوس أُخوس . وإن صح هذا فقد حذفت الشاهنامه بين داراب (الذى هو دارا الثانى) وبين دارا الأخير ملكين : هما أرتكزركس الثانى وأرتكزركس الثالث . أى حذفت كل من سمى أردشير بعد أردشير الأوّل أعنى بهمن أردشير . وليس يبعد أن يلتبس الأمر على الرواة فى هذه القصص المملوءة بالخرافات .

ثم داراب لا يذكر فى الأبستاق فيتم الانفصال بين الكتاب المقدّس وبين الشاهنامه فى هذا العهد . وقصة داراب فى الشاهنامه ١٣٥ بيت تتقسمها العناوين الآتية :

(١) بناء داراب مدينة دارا بجرد . (٢) داراب يهزم جند شعيب . (٣) محاربة داراب فيلقوس، وتزوج ابنته . (٤) إرجاع داراب ناهيد (بنت فيلقوس) وولادتها الإسكندر .

(أ) المعروف فى التاريخ أن المقدونيين حاولوا الاستيلاء على آسيا الصغرى أيام فيليب فلم يستطيعوا . ثم ارتدوا حين جاءهم نعى فيليب . (سيكس Sykes ج ١ ص ٢٤٥) .

(١) صل : فارس أولى النجدة . وكو : من قبائل العرب أولى الخ . (٢) كلمة « كثير » من كو، طا .

(٣) قيلقوس بالقاف فى نسخ الترجمة . وفى الشاه : فيلقوس بالفاء . (٤) صل : و يسأله . والتصحيح من كو، طا .

فاستحضر داراب عند ذلك أعيان حضرته وأرباب دولته، وعرض عليهم رسالة صاحب الروم، واستشارهم فى الأمر . فقالوا : إن الملك أعلم وهو بالرأى والتدبير أبصر . وإن وراء ستارة هذا الملك بنتا فى غاية الحسن كأنها الشمس الطالعة، ذات قدّ كالسرو الباسق، وشعر كالليل الغاسق، وثغر كاللؤلؤ المتناسق . فإن رأى الملك خطبها اليه» . فأحضر الرسول وأمره بأن يقول لقيصر : إن كنت تريد ألا ينهتك ستر الحشمة من وجه(١) حالك فزوّجنى ابنتك ناهيد التى هى وراء سترك، وجهزها إلىّ مع ما تقرر من الخراج . فرجع الرسول بهذا الجواب الى قيصر فسر بما التمسه من المصاهرة، وتردّدت السفراء بينهما فى تقرير الخراج وكميته(٢) . فاستقر الأمر على أن يؤدّى الى داراب كل سنة(٣) مائة ألف بيضة وزن كل بيضة أربعون مثقالا من الذهب الأحمر . فقسمها قيصر على جميع(٤) أمراء الروم . ثم أمر جميع فلاسفة بلده أن يستعدوا للتأهب للخروج فى صحبة ابنته . ثم خرجت فى مهدها محفوفا بالأساقفة يقدمهم سكوبا وهو أعلمهم وأزهدهم . وخلف المهد ستون جارية بالأكاليل والشنوف، على يد كل واحدة منهن جام من الذهب مملوء من الجوهر، مع عشرة أحمال من الديباج الرومى المنسوج بالذهب والجوهر، وثلثمائة حمل من الملابس والمفارش، الى غير ذلك من النفائس التى تجلب من الروم . فلما وصلت العروس وسلمها سكوبا الى صاحبها داراب(٥) ثنى عنانه وعاد الى بلاد فارس .

قال : فاتفق أن ابنة قيصر كانت ذات ليلة مضطجعة مع داراب فى الفراش فتنفست فشم من نكهتها رائحة كريهة فنفرت نفسه منها واهتم بسبب ذلك . فجاءوا بالحكماء والأطباء فعالجوا تلك العلة منها بدواء يسمى الاسكندر فى بلاد الروم فشفيت وطابت نكهتها، غير أن تلك النفرة استمرت على قلب داراب . وكان لا يميل اليها ولا يقرب منها، وبلغ به الأمر الى(٦) ردّها الى أبيها . فانصرفت مهمومة حزينة وقد احتوت على حمل منه ولم تطلع(٧) عليه أحدا . فلما تم لها تسعة أشهر ولدت ابنا فسمته أمه الاسكندر تيمنا باسم الدواء الذى وجدت عليه الشفاء . فلم يظهر ملك الروم أنه ولد داراب، وأظهر أنه ولده . ثم إنه شب وترعرع فكان تظهر عليه الشمائل الخسروانية، وتسمع من منطقه المعانى البهلوانية . وكان قيصر يحبه ويؤثره على ولده الى أن كبر ولبس وجهه طوق الشهامة (أ)، وطال منه نجاد الصرامة . فجعله قيلقوس ولى عهده والقائم مقامه من بعده، وعلمه جميع الآداب الملوكية حتى صار لا يصلح إلا للسلطنة والجلوس على سرير المملكة .

(أ) هذه الجملة من إنشاء المترجم، وليست ترجمة عبارة فارسية .

(١) طا : عن . (٢) صل : وكميتها . والتصحيح من طا . (٣) طا : كل سنة الى داراب . (٤) كو، طا : على أمراء . (٥) طا : سكوبا الذى صحبها الى داراب . (٦) طا : الى أن ردّها . (٧) طا : لم تطلع .

قال : وكان لداراب ولد ذو شكل ومنظر سماه دارا باسمه . ولما مضت عليه اثنتا عشرة سنة من ملكه مرض فأحضر أرباب دولته ، وقال : إنى قد عهدت الى دارا وجعلته ولى عهدى فاسمعوا له وأطيعوا . ثم مات وصار الأمر بعده[1] لولده .

١٩ — ذكر نوبة دارا بن داراب . وكانت مدّة ملكه أربع عشرة سنة §

قال صاحب الكتاب : كان دارا هذا ملكا قوى البطش ، صعب العريكة ، ريض الطبع ، ذلق اللسان ، مهيب المنظر . فلما جلس على السرير[2] قال لمن حضر من أعيان الأمراء والأكابر : ألا من خلع ربقة الطاعة[3] خلعنا رأسه من جسده . ومن أضمر سوءا أخرجناه بالسيف من خلده . ولست أريد وزيرا ولا مدبرا وظهيرا ، بل أنا الملك والوزير والمستشار والمشير . واستحضر الكاتب وأمره فكتب الى كل ملك من أصحاب الأقاليم كتابا كأنه خنجر يكاد يقطر دما مشحونا بالتهديد والإيعاد[4] والمحافظة على طرائق السداد والرشاد . ثم فتح أبواب خزائن أبيه ، وأطلق أرزاق العساكر ، وفرّق لهم شمل الخبايا والذخائر . ثم عرضهم وجعل كل طائفة منهم تحت راية إصبهبذ أصيل ، وأمير كبير . ونفذ كل واحد منهم الى طرف . وأطاعه جميع ملوك الأرض ، وانثالت على حضرته رسل الهند والصين والروم وسائر الأقاليم بالهدايا والتحف والإتاوات والخدم . وبنى بالأهواز مدينة سماها

---

§ ١٩ — دارا

هو تاسع الملوك الكيانيين ، والتاسع عشر من ملوك الشاهنامه . وهو أوّل ملك تاريخى فى الكتاب ، تتفق القصة والتاريخ فى اسمه ومعظم حوادثه . ويسمى فى كتب الأوربيين دارا كُدُمانوس (Darius Codomanus) . وقصته فى الشاهنامه ٤٥٩ بيت فى العناوين الآتية :

(١) ملك دارا بن داراب . (٢) موت فيلقوس وجلوس الاسكندر على السرير . (٣) مجىء الاسكندر الى دارا فى زىّ رسول . (٤) حرب دارا والاسكندر وهزيمة دارا . (٥) الموقعة الثانية بين دارا والاسكندر . (٦) الموقعة الثالثة بين دارا والاسكندر ، وهرب دارا الى كرمان . (٧) كتاب دارا الى الاسكندر فى طلب الصلح . (٨) قتل دارا بيد وزرائه . (٩) إيصاء دارا الى الاسكندر وموته . (١٠) كتاب الاسكندر الى أكابر إيران .

(١) طا : من بعده . (٢) طا : سرير الملك . (٣) كو : ربقة الطاعة من عنقه

(٤) كو : والايعاد والانذار يأمرهم فيه بسلوك سبيل الطاعة والانقياد والمحافظة الخ .

زرنوش . وبنى بأرض الجزيرة مدينة أخرى واسعة وسماها دارنو . وهى التى تسمى اليوم دارا، على ما قاله غير صاحب الكتاب .

قال : ومات فى عهده فيلقوس صاحب الروم فاضطربت بموته أمور بلاده حتى قعد الاسكندر مقعد جدّه من السلطنة فأصلح الفاسد ولم الشعث . وكان فى ذلك العهد فى بلاد الروم الحكيم سطاطاليس ذو الذكر الشهير . فدخل على الاسكندر (١) . وقال : أيها الملك ! إن هذا التخت قد رأى مثلك كثيرا، ولا يدوم مع من تسنمه إلا قليلا . وأجهل من تحت السماء من لا يقبل مواعظ العلماء . وإنا من التراب خلقنا وله ولدنا . ويجزبنا أن نميل اليه ونحرص عليه . فإن أحسنت بقى ذكرك ودام ملكك . وإن أسأت لم تحصد غير ما زرعت . وعن قريب تفارق التاج والتخت . (١٢٩) وليس يأخذ بيد الملوك إلا الإحسان وبالاساءة يحرم الخير الانسان . فاستحسن الاسكندر كلامه ، واستغزر فضله . فصار لا يصدر إلا عن رأيه، ويبالغ فى إكرامه حتى يجلسه معه على تخته . فجاءه رسول دارا لطلب الاتاوة المعينة المذكورة فعظم ذلك على الاسكندر، واستشاط من الغضب مستعرا كاللهب وقال للرسول : أخبر صاحبك بموت الطائر الذى كان يبيض بيض الذهب . وقل له إنه قد مات وإن حظك قد فات . فارتاع الرسول لجوابه وانصرف مختفيا الى صاحبه . فجمع الاسكندر جيوشه وفرّق عليهم ذخائر جدّه وكنوزه . وأعدّ واستعد، وخرج يخفق على رأسه لواء أخضر . فجاء الى مصر ونزل عليها فاتصل الحرب بينه وبين صاحبها أسبوعا فغلب الاسكندر واستأمن اليه أكابر أهل مصر وانضموا اليه . فارتحل بهم من مصر قاصدا قصد إيران . فانتهى الخبر بذلك الى دارا فخرج من اصطخر فى جنود قد سدّوا بالرماح طريق الهبوب على الرياح . وسار حتى نزل على الفرات . ووصل الاسكندر وخيم بإزائه بحيث لم يكن بين العسكرين أكثر من فرسخين . فتنكر الاسكندر وركب فى زى رسول واستصحب عشرة من خواصه يعرفون لسان الايرانيين . وكلٌّ حُوّل قُلّب . وقصد بذلك أن يقف على حال عدوّه عيانا . فأتى مخيم دارا فأنهى اليه أن رسولا من صاحب الروم قد وصل فأذن له . فدخل وقبل الأرض ومثل قائما ودعا له وقال : إن الاسكندر يقول : إنى لم أقصد قتال الملك ولا منازعته فى ملكه ، وإن غرضى أن أجوب البلاد، وأجول فى أقطارها وأشاهد عجائبها . ولم أضمر غير الحسنى . فان كنت تضن بتراب أرضك أن أدوسه وتمانعنى بخيلك ورجلك غير مطلع على ما فى ضميرى ومصمما على قتالى فأنا موافقك على ما تختار . فاختر يوما للملاقاة . فلست بالمتنكب عن مقاتلة الملوك وان كانوا فى العدد الكبير والجم الغفير . قال :

(١) يروى التاريخ أن فيليب دعا أرسطو لتعليم اسكندر حينما بلغت سنه أربع عشرة سنة

فلما وقف دارا على عقله ورأيه وشهامته وذكائه ورآه كأنه داراب أبوه قاعدا على تخته فى تاجه وطوقه قال له : ما اسمك ؟ والى من تنتسب؟ فقد أعجبتنى بما أرى فيك من الشمائل الكيانيـة . وما أظنك إلا الملك الاسكندر(ا) . وكأنك لم تخلق إلا للتخت، ولست تصلح إلا للتاج والطوق . فقال : كيف يقدم على هذا مثل ذلك الملك مع ماخص به من الدهاء والعقل ؟ وإنما هذه الرسالة هو الذى حلنيها كما تحملت . فأمر به الملك فأنزل فى موضع يليق به . ثم لما مدّوا السماط استدعاه فحضر. ولما رفع السماط جلس للشراب فأخذت السقاة فى إدارة الأقداح الذهبية . فكانت النوبة كلما انتهت الى الرسول شرب ووضع القدح فى حجره، ولم يردّه الى ساقيه . حتى اجتمعت عنده أقداح عدّة . فأعلم الساقى الملك بصنيعه . فقال : سله عن السبب فيما صنع . فلما انتهى اليه قال له : أيها الشهريار! لم تحط هذه الجامات فى حجرك ؟ فقال : هكذا رسم ملوك الروم أن الرسل اذا شربوا عندهم كانت الظروف لهم . فإن كان رسم ايران على خلاف ذلك فردّها الى خزانة الملك . فضحك الملك لمقالته، وأمر بإحضار جام مملوء من الجواهر الشاهية فوضعه(1) فى يده . قال : فاتفق أنه حضر المجلس رجل كان دارا قد أنفذه الى الروم لطلب الخراج فبطش به الاسكندر . فلما نظر الى الاسكندر عرفه فدنا من الملك وأطلعه على الحال وقال : إن هذا هو الاسكندر الذى مضيت اليه أطالبه بالخراج فأهاننى فخرجت من عنده وهربت . وإنه لإدلاله بقوّته أقدم على هذه الحركة ليعاين أحوال الملك ويقف على كمية العسكر . فأكثر دارا عند ذلك النظر الى الاسكندر . فأحس بذلك وتصبر الى أن قرب وقت الغروب فاهتبل غرة الملك، وقام الى الدهليز وخرج فركب فى أصحابه ونجوا بأنفسهم طردا وركضا . قال : فالتفت الملك الى مكانه فلم يجده فنفذ الى خيمته فما وجد فيها . فأركب فى طلبه ألف فارس فاتبعوا أثره ففاتهم ولم يدركوه وانصرفوا بعد أن شارفوا طلائع الروم . وعادوا وقد فاتهم الملك اليقظان وطرف سعادتهم ناعس وسنان (ب) .

قال : ولما طلعت الشمس ركب دارا وعبر الفرات فى جيشه أجمع . فصافّه الاسكندر فى جنوده يقدمهم فيول كشمّ الهضاب ودكن السحاب . فالتقوا ودارت رحى الحرب بينهم أسبوعا . ولما كان اليوم الثامن ثارت دبور الإدبار فلطمت وجوه الايرانيين بعجاج أغطش نهارهم، وأعمى أبصارهم .

(ا) فى النسخة السريانية من قصة اسكندر أن رسل دارا الى اسكندر الذين طلبوا منه الجزية، كما تقدّم، صوّروا اسكندر وقدّموا الصورة لدارا حينما رجعوا . (ورنر (Warner) ج ٦ ص ٣٠) والشاه تذكر هذا فى قصة قيذافه الآتية .

(ب) فى الروايات الأخرى اليونانية والسريانية أن الاسكندر عبر فى فراره نهرا متجمدا ذاب ثلجه بعد أن بلغ الاسكندر الشاطئ، وغرق حصانه . ولم يستطع الفرس إدراكه لذلك .

(1) طا ، كو : فوضعوه .

فغلبت الروم بعد أن كانت مغلّبة ، وانهزم الايرانيون . فتبعهم الاسكندر فى عساكره الى شاطئ الفرات فقتل منهم خلقا كثيرا . وانصرف الى مخيمه وقد شرع أمر الروم فى الاعتلاء وأخذت نار الفرس فى الانطفاء . ولكلٍّ أجل معلوم، ولا يدوم إلا ملك الواحد القيوم .

قال : ففرّق دارا رسله فى أقطار بلاده ، وطير كتبه الى أطراف ممالكه ، وحشد وحشر خلقا عظيما ، واستأنف الأمر فعاد بعد انقضاء شهر وعبر الفرات . ونهض اليه الاسكندر فالتقوا واتصل الحرب بينهم ثلاثة أيام . فقتل من الايرانيين خلق، وكانت الدبرة عليهم . فدارت على دارا دائرة السوء فولاهم ظهره ، وركب الاسكندر كالريح العاصف أثره . وأمر بأن ينادى نداء الأمان فى المنهزمين، وأوعز باستمالتهم أجمعين . فاستظل الإيرانيون عند ذلك بظل أمانه ، وتمسكوا بعصم إحسانه . فأقام الاسكندر بعد هذه الوقعة فى مكانه ذلك أربعة أشهر . وفرّق ما غنم من الإيرانيين على عساكره .

وسار دارا حتى وصل الى جهرم . فاستقبله أكابر الفرس متوجعين لما أصابه فمضى الى اصطخر، وكتب الى أصحاب الأطراف والى الأمراء والأعيان يستحضرهم فحضروا فجمعهم فى إيوانه . وقال: إن ملوك الروم كانوا من قبل صيدا فى أيدينا وأضحوا الآن يصيدوننا ، وإنهم كانوا أذل من الثعالب فصاروا كالنمور ، وكانوا أعجز من البغاث فعادوا كالصقور . وقد رضوا من قبل أن يتركوا فى أطمار الخمول ضارعين فصاروا الآن جبابرة فى ملابس القهر رافلين . فإن تعاضدتم متوازرين وتظافرتم متظاهرين كفينا شرهم ونفينا ضرهم . وكانت عينه فى أثناء خطابه تدمع، وقلبه يكاد يتصدّع . فوثب الحاضرون وقالوا : إنا ملاقو عدوّنا وباذلون جهدنا فى الدفاع عن أنفسنا وأهالينا . ونصابر ١٣٠
العدوّ، ويشدّ كل[(1)] منا ذيله بذيل صاحبه (ا) . فأمر دارا بتفريق الأموال والخيل والأسلحة عليهم حتى تجهزوا وأخذوا أهبتهم . فبلغ الخبر الاسكندر، وهو بالعراق، بانتعاش دارا وارتياشه وإعداده واستعداده . فأقبل الى فارس فاستقبله دارا فى عساكر كثيرة لايحويهم الحصر لكنهم قلوا حين خانتهم السعادة وفاتهم النصر . فالتقوا وجرت بينهم وقعة أخرى عظيمة فانهزم دارا أيضا وهرب الى كرمان (ب) . وأقبل الاسكندر حتى استولى على اصطخر التى كانت مستقره ومستقر الملوك الماضين قبله . فأمر فنادى مناديه : ألا من لاذ بعصمة الأمان، وآثر الطاعة على العصيان أو طأناه

(ا) ترجمة العبارة الفارسية : بپنديم دامن يك اندر دگر .

(ب) المعروف فى التاريخ أن دارا بعد موقعة إربل فرّ الى همذان .

(1) طا : كل واحد منا .

بساط النعم، وآمناه من مخاوف النقم، وأسونا كَلْمه، ورقعنا خرقه . ومن لم يقابل أمرنا بالامتثال عركناه عرك الرحى للثفال .

وأما دارا فانه لما وصل الى كرمان افتقد من أصحابه مقدار الثلثين . وجمع من حضره من وزرائه وقال لهم : ماذا ترون، وبماذا تعالجون هذا الداء العضال ؟ فقالوا : أيها الملك ! اتسع الآن خرقنا على الراقع، وغمرتنا أمواج الدواهى والبواقع . وصارت نساؤنا وأولادنا فى أسر الاسكندر وتحت يده. واحتوى أيضا على مخدّرات الملك وكنوزه وكنوز آبائه الماضيين وذخائر أسلافه الأكرمين. وقد انسدت علينا الأبواب سوى باب المسالمة والمداراة والرضى بأن تكون مرعيا لا راعيا، ومحكوما عليه لا حاكما . فاكتب اليه فى هذا المعنى كتابا تدفع به الشر عنك فى العاجل الى أن يفرج الله فى الآجل. ولا يمتنعن الملك من مخاطبته بذلك، ولا يضيقن به جنانه، فإن من يذكر النار لا يحترق لسانه .
فكتب اليه كتابا مشحونا بالخضوع والضراعة والطواعية والاستكانة . فسأله[1] فيه أن يكف حدّ بأسه عنه ويجنح معه الى السلم، ويعده فيه أنه إن ردّ اليه مخدّراته وحرائره سلم اليه دفائن كُشتاسب وذخائره، ولا يخرج بعد ذلك عن طاعته ، ولا يعدل عما يعود بمظاهرته ومعاضدته . فلما وصل الى الاسكندر كتابه كان من جوابه له أن قال : إن مخدرات الملك مستقرات بأصبهان . ومعاذ الله أن يتعرّض لهنّ أحد، أو يمتد الى ذخائرهنّ منا يد . وأنت إن نشطت الى الرجوع الى إيران فليس لك من ذلك مانع ولا دافع ، والممالك كلها لك وبحكمك ، ونحن مطيعون لأمرك . فلما وصل الجواب الى دارا قضى العجب من تصاريف الزمان ودوائر الحدثان، وقال : أصعب من القتل عندى أن أشدّ فى خدمة الرومى وسطى . وإذا آل الأمر الى ذلك فالموت ولا هذا الصوت ، والقبر ولا هذا الصبر . وإذا طما البحر زاخر العباب فلا موقع عنده لقطر السحاب .

ثم انه لما عجز عن جميع وجوه الحيل كتب الى فُور ملك الهند كتابا يذكر فيه مادهاه من البائقة التى لم تبق له باقية ، والداهية التى صارت مُنّته لها واهية ، ويسأله أن ينجده على أن يحمل اليه من الجواهر مايملأ كنوزه ويغنى جنوده (ا) . فبلغ ذلك الى الاسكندر فركب وطار بجناح الركض الى كرمان ، فصافه دارا بمن كان معه من أصحابه فانتفضوا فى أسرع من رجع الطرف ولمع البرق ، واستأمن الى الإسكندر أكثرهم . وهرب دارا فى ثلثمائة فارس .

(ا) فى الروايات اليونانية والسريانية أن دارا طلب من فور أن يلقاه عند شعاب قزوين، وأنه وعده نصف الغنائم وحصان الاسكندر — بُسفلوس . (ورنر (Warner) ج ٦ ص ٣١) انظر الكلام على فور فى وقائع الإسكندر الآتية .

(١) كذا فى نسخة الأصل، طا . وأظنها : يسأله .

وكان معه دستوران § لا يفارقانه ليلا ولا نهارا و يصحبانه سرا وجهارا ، يسمى أحدهما ماهيار والآخر جانوشيار[١] . فقال أحدهما لصاحبه : إن هذا الشقى لن يرى بعد هذا التاج والتخت . والرأى أن نغتاله ونتوسل بقتله الى الاسكندر . فإنه يرفع بقدرنا ، وينوه بذكرنا ، ويولينا بعض الأقاليم . فتوافق الغادران على ذلك . فلما جنّ الليل بينا دارا يسير بينهما[٢] إذ ضربه جانوشيار بمزراق فأنفذه فيه فانقلب عن ظهر الفرس صريعا . فتركاه على حاله وأقبلا الى الاسكندر ، وهو على الأثر ، فقالا له : أيها الملك ! إنا قتلنا عدوك مغافصة ، فليهنك التاج والتخت . فقال : إن كنتما صادقين فأوقفانى على مصرعه . فسارا بين يديه الى أن أوقفاه على دارا . فنزل اليه الاسكندر ، وأمر بأخذهما والاحتياط عليهما فى حفظهما . فرفع رأس دارا ووضعه فى حجره ، ومسح وجهه بيده ، وبكى حتى تساقطت عبراته على خدّه ، ورفع التاج عن رأسه ، وحل أزرار جوشنه ، وأخذ يلاطفه ويقول : أيها الملك ! إن استطعت فقم واقعد فى المهد ، وإن قدرت فاركب الفرس فإنى أجمع عليك أطباء الروم والهند حتى يعالجوك . واذا شفيت سلمت اليك[٣] التاج والتخت وأفوض هذه الممالك اليك . وسأبكى عليك دما لما أراه بك وكيف لا يكون هذا وأنا وأنت تفرّعنا من جرثومة واحدة وقددنا من أديم واحد . وسأصلب[٤] الفاتكين بك المغتالين لك . فلما سمع دارا ذلك منه دعا له وأثنى عليه

§ سار الاسكندر ، بعد أن فتح بابل وسوسه واصطخر الى همدان . فلما قاربها سمع أن دارا فرّ الى شعاب قزوين[٥] . فأقام أياما ثم سار فى نخبة من جنده يقتفى دارا وكان يرجو أن يدركه فى الرى . فلما بلغها سمع أن دارا جاوزها ميمما الشرق . فاستراح الاسكندر خمسة أيام ثم استأنف السير مشرّقا على الطريق المعروفة طريق البريد اليوم بين طهران ومشهد التى تسير من همذان الى بلخ . فلما بلغ شعاب قزوين سمع أن بسّوس سترب بلخ ابن عم دارا ، وسترب سيستان ، وقائد الفرسان ائتمروا على الملك فأسروه . فأسرع متعقبا الجيش الفارسى . وبلغه على الطريق أن الجيش الفارسى كله استحسن أسر الملك ، وأن المرتزقة اليونان اعتزلوا سائر الجيش واعتصموا بالجبال حين عجزوا عن نصرة الملك . فلما شارف الاسكندر الجيش الفارسى أمر بسّوس أن يُقتل دارا ثم هرب . فألفى الاسكندر عربة عليها جثة دارا تغطيها الجروح ، ملقاة فى نهر[٦] . وذلك فى يوليه سنة ٣٣٠ =

(١) اسمه فى الشاه : جانوسپار . (٢) صل : بهما . والتصحيح من طا . (٣) كلمة « اليك » من طا .
(٤) صل : سأطلب . والتصحيح من طا . (٥) شعاب قزوين التى يذكرها أريان (Arrian) يرى بعض المؤرخين أنها شعب سردره (ورنر ج ٦ ص ٣٢ ، سيكس (Sykes) ج ١ ص ٢٦٢) .
(٦) ورنر (Warner) ج ٥ ص ٣٢ ، سيكس (Sykes) ج ١ ص ٢٦١ وما بعدها .

ووصف له ما أوتيه من جلالة القدر وفخامة الأمر وعلو الشان وروعة السلطان وكيف تقلب به الزمان حتى صار كما يراه ذليلا وبأيدى عبيده قتيلا . ثم أوصى الى الاسكندر بتقوى الله والاحسان الى الخلق عامّة والى أولاده ونسائه وأقاربه خاصة . وسأله أن يتزوّج بابنته المسماة روشَنَك § وقال : لعلك ترزق منها ولدا يجدّد اسم إسفنديار، ويزين بِدِين(١) زردشت الديار، ويحافظ على خدمة النيران وإقامة مراسم النوروز والمهرجان . حتى لا تمحى آثار كُشتاسب ولا يزول رسم لُهراسب . فتقبل الاسكندر وصيته(٢)، ووعده أن يقرن بالاسعاف مسألته . فأخذ دارا بيده ثم وضعها على فيه ثم ودعه وخرجت روحه . فبكى الاسكندر ونثر على تاجه التراب وشق على نفسه الثياب . فعمل له ناووسا على مقتضى دينهم وشريعتهم، ونصبوا فيها تختا من الذهب . وكفنوه فى الوشى والحرير، وغمروه بالمسك والكافور، ووضعوه فى تابوت من الذهب . ثم حملوه والاسكندر يمشى بين يديه راجلا

= والروايات الفارسية تجعل مقتل دارا قرب دامغان على مائتى ميل الى الشرق من الرى . وهذا يوافق روايات اليونان وإن كانت لا تسمى المكان . فأما نَبَرزانِس قائد الفرسان فاستسلم للاسكندر فعفا عنه . وأما بسّوس سترب بلخ وصاحبه برسانِتِس سترب سيستان فذهبا كل الى ولايته . وقد ادعى سترب بلخ الملك وسمى نفسه أرتخشيَرشا (أرتكزركس) . ثم كان عاقبتهما أن أسرهما الاسكندر وقتلهما .

وهذا يبين أن سترب بلخ وهو ابن عم الملك أراد بقتله أن يخلو له الجو لا أن يتقرب به الى الاسكندر، وأن الاسكندر لم يقتلهما قصاصا لدارا . فقد عفا عن قائد الفرسان وهو وسترب سيستان قتلا بأيديهما دارا . وأدع للقارئ المقارنة بين ميتة دارا آخر الأكمينيين وميتة يزدجرد الثالث آخر الساسانيين . فبينهما مشابهات كثيرة .

§ تجمع الروايات على أن دارا والاسكندر اتفقا على أن يتزوّج الثانى ابنة الأوّل . وهذا غير صحيح فان الاسكندر لم يدرك دارا حيا . والذى يعرفه التاريخ أن الاسكندر فتح حصنا حصينا فى جهات سمرقند كان لأحد الأمراء البلخيين أُكسيَرتِس . ثم تزوج رُكسَنا ابنة هذا الأمير . وأظنها روشَنَك المذكورة فى الشاهنامه . وقد تزوّج الاسكندر بعد رجوعه من الهند ابنة لدارا اسمها برسين أو ستاتيرا، فى مدينة سوسه سنة أربع وعشرين وثلاثمائة .

(١) صل : دين . والتصحيح من طا . (٢) طا : منه وصيته

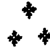
فى جميع أكابر الروم والفرس حفاة حسرا الى أن أدخلوه الى ناووسه ووضعوه على سريره (أ) . ثم سدّوا بابه . ثم أمر الاسكندر بنصب جذعين عند الناووس، وصلب اللذين غدرا به حيين . وأمر برجمهما فرجما عبرة لمن نظر وموعظة لمن اعتبر .

فلما رأى الايرانيون حسن سيرة الاسكندر وما دارى به دارا فى حياته، وعامله به[1] بعد مماته تسارعوا الى طاعته وتصافقوا على الرضى بسلطنته، وأطلقوا الألسنة بالثناء عليه، ورفعوا الأيدى بالدعاء له . قال : فقدم من كرمان الى إصفهان بعض أصحاب الاسكندر فبلغ سلامه الى مخدرات دارا وأصحابه، وأعلمهم بما جرى عليه، وأخبرهم بما فعل الاسكندر معه من المراعاة والمداراة وما أوصى به اليه، وأن الاسكندر حلف بالأيمان المغلظة أنه لم يضمر له سوء الذى جرى عليه ولم يرصده له . (١٣١)
ولكن من بيته نبغ عدوّه . فوعدهم الرسول عن لسان الاسكندر ومناهم وسلاهم وعزاهم، وأخبرهم بأن الاسكندر قد أصبح داراهم . ثم ركب من كرمان متوجها نحو اصطخر معتصبا بتاج الشرف والفخر . والله مالك الملك، يؤتى الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير .

وهذا آخر الخبر عن أحوال الطبقة الكيانية والحمد لله رب العالمين .

(أ) دفن الاسكندر دارا فى أصطخر .

(١) كلمة « به » من طا :



وكان تمام طبع هذا الجزء بمطبعة دار الكتب المصرية فى يوم الثلاثاء ٢٧ شوّال سنة ١٣٤٩ (١٧ مارس سنة ١٩٣١) م

محمد نديم
ملاحظ المطبعة بدار الكتب المصرية

(مطبعة دار الكتب المصرية ٨٩٧/١٩٣٠-١٢٠٠-)